المعنى الصحيح لإنجيل المسيح

تقديم الدكتور

الهادي جطلاوي

عميد كلية الآداب - تونس

شارك في هذا العمل الرحماني لجنة الترجمة

الدكتور عيسى دياب — الدكتور إكرام لمعي

الأستاذة عواطف زوبي — الدكتور نور الدين العربي

الدكتور علي الحلبي

المعنى الصحيح لإنجيل المسيح

الجزء الأول من العهد الجديد

جميع الحقوق محفوظة ©
للناشرين

إصدار جديد لعام

2017

صدر الجزء الثاني من العهد الجديد

تحت إسم البيان الصريح لحواريّي المسيح

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب
أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات
أو نقله أو استنساخه بأي شكل من الأشكال
دون إذن خطي مسبق من الناشر

الآراء الواردة في هذا الكتاب
لا تعبر بالضرورة عن اتجاهات تتبناها الدار

ISBN 978-614-430-068-8

كتابنا للنشر

دار كتابنا للنشر
لبنان – المنصورية (المتن)
تلفاكس: 00961/4/532255 موبايل: 00961 /3 /808415
e-mail: kitabouna@yahoo.com
www.kitabouna.com

الفرات

الفرات للنشر والتوزيع / الإدارة والتوزيع
رأس بيروت – شارع عبلا – بناية بخعازي – بيروت – لبنان
تلفاكس: 00961/1/750554
e-mail: alfurat@alfurat.com

المعنى الصحيح لإنجيل المسيح

تقديم الدكتور

الهادي جطلاوي

عميد كلّية الآداب - تونس

شارك في هذا العمل إلى جانب لجنة التّرجمة

الدّكتور عيسى دياب — الدّكتور إكرام لمعي

الأستاذة عواطف زويدي — الدّكتور نور الدّين العربي

الدّكتور علي المخلبي

تم هذا العمل الجليل بإشراف

منصور الذهبي   ومظهر الملوحي

جميع الحقوق محفوظة

«للكلمة»

أقوال حول الكتاب

المستشار محمد سعيد العشماوي

القرآن الكريم لم يذكر، في أي من آياته أنه يوجد تحريف أو تزوير مادي في التوراة أو في الانجيل، كما أنه لم يتهم المسيحيين بأي تحريف أو تزوير معنوي أو تغيير للحقيقة المقصودة من النصوص. واقتصر ما جاء فيه على أن اليهود حرّفوا معنى آيات كتبهم بقسر الألفاظ على غير المقصود منها أو تأويلها على صورة توافق أهواءهم أو تفسيرها على نحو يخالف ما هدفت إليه.

الأب بولس فغالي

جاء هذا الكتاب المعنى الصحيح لإنجيل المسيح موجها بشكل خاص إلى القارئ العربي بلغة عربية سليمة وبأسلوب سلس وجذاب ومعاني عميقة غير مألوفة بالنسبة للقارئ المسيحي.

جاءت رسالة السيد المسيح للكون كله ولا يجب أن تكون محصورة في جدران الكنيسة، ومن حق القارئ العربي أن يرى كلمة الله امتدادا للغته وثقافته، حيث السيد المسيح هو ابن البيئة الشرقية. وهذا ما يجسّده هذا الكتاب.

يحملنا هذا الكتاب إلى روابي فلسطين حيث نجلس إلى جانب الحواريين ونستمع إلى سيدنا عيسى المسيح حيث ينقلنا برسالته السماوية إلى أحضان الأب الروحي.

الدكتور محمد فاضل الجمالي*

بكل أسف لقد أهملنا عن قصد وجهل التراث الروحي المسيحي، الذي هو جزء من تراثنا الشرقي.

لقد آن الأوان لنفتح صدورنا لهذا التراث الغني.

---

* رئيس وزراء العراق سابقاً، ومن مؤسسي ميثاق الأمم المتحدة.

الدكتور علي حرب

فأنا، وإن كنت عربيا مسلما، فإني مسيحي لاعتقادي بأن الحق يتجلى في الخلق...

فإذا كان الغير يتعصّب وينغلق فتلك مشكلته، فإن التعصّب ضد الغير، ولأقل ضد الحقيقة، إنّما يرتدّ ضدّ الذات وينفجر عنفا وإرهابا كما شهدنا وعانينا، ولهذا لا مندوحة من الانفتاح على العالم للتعرّف عليه واستيعابه أكان صديقا أم عدوا.

الأستاذ عباس محمود العقاد

...ويأتي إلى هؤلاء البشير المنظورُ، فماذا يقول لهم إن لم يقل لهم إن الله رب بني الإنسان وإنه هو ابن الإنسان، وإن الحب أفضل الفضائل وأفضل الحب حب الأعداء، وإن الكرم أن تعطي من يسألك وأكرَمه أن تعطي فوق ما تُسأل وأن تُعطي بغير سؤال، وإن مملكة السماوات لا تفتحه الأموال، وإن ما لقيصر لقيصر، وما لله لله، وإن المجد الذي يتنازعه طلابه لا يستحق أن يُطلب، وإن المجد الذي لا يستحق أن يطلب لا موضوع فيه لنزاع[1].

الدكتور هاشم العلوي القاسمي*

نزولا عند رغبة صديقنا الأخ مظهر الملوحي يطيب لي أن أعبّر عن تصوري الخاص "للإنجيل" الكتاب المقدس.

لقد شغلت منذ زمن طويل بمسألة حوار الأديان: اليهودية والمسيحية والإسلام، وبالنسبة لقراءتي الخاصة للإنجيل فقد اعتنيت خاصة ب"إنجيل لوقا" الذي أملك منه نسخة خاصة موثّقة وإطار المقارنة بين الكتب المقدسة، تأكد عندي المشرب السماوي

(1) من كتاب "حياة السيد المسيح".

* رئيس شعبة التاريخ. كلية الآداب - جامعة سيدي محمد - فاس، المغرب.

الأول لها كلها، وبالنسبة ل"إنجيل (متّى، مرقس، يوحنا ولوقا): يعتبر ترجمة للسيد عيسى المسيح في مجموعة "العهد الجديد" تمثل تعبّدا لاهوتيا تجمع تعاليم السيد عيسى المسيح عليه السلام.

وقد كان اهتمامي بإنجيل لوقا راجعا كونه الإنجيل الوحيد الذي يتكلّم ويروي ولادة السيد المسيح، كما يعرض لصلبه وبعثه، وفيه نصوص لم ترد في "الأناجيل" الأخرى. وكثيرا ما يعرض للصراع اليهودي المسيحي، وعلى المستوى الظاهر تشدّني إليه مسألة الخلق مما جعلها صورة لإبداع الكون وخلق الصراع بين الإنسان المخلوق والقوى "الإلهية الخالقة للكون". إنها قصة الوجود والعدم بين الأديان كلّها.

هذه "سيدي الأخ مظهر" لمحة عن تصوّراتي وإلى اللقاء، وفي البدء كانت الكلمة، والسلام.

الدكتور عيسى دياب*

ما هي ميزات ترجمة "المعنى الصحيح" لـ"إنجيل المسيح" و"البيان الصريح لحواريي المسيح" إلى اللغة العربية؟

لترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة العربية تاريخ طويل. مع أننا نجهل تاريخ البدايات الحقيقي، غير أننا نملك بعض الوثائق عن ترجمات لبعض الأجزاء تعود إلى القرن التاسع وهي ترجمات تمت في السياق الثقافي العربي والإسلامي. بعد ذلك جرت محاولات ترجمة في سياقات مسيحية شرقية، والأهم منها في سياقات مسيحية غربية أفضت إلى صدور ترجمة مجمع إنتشار الإنجيل في روما (البروباغاندا) في النصف الثاني من القرن السابع عشر، وكانت هذه الترجمة الأساس لكل الترجمات الحديثة المعروفة وأهمها ترجمة البستاني- سميث- فانديك والترجمة اليسوعية. هذا ما يجعلنا نتكلم عن ترجمات تنتمي إجمالاً إلى عائلتين: ترجمات في سياق عربي مسيحي وإسلامي وترجمات في سياق مسيحي شرقي وغربي متعدد الثقافات وأهمها الثقافتان البيزنطية واللاتينية. ترجمات العائلة الأولى قليلة ومتواضعة لكنها تمتاز في أنها جاءت مسكوبة بقالب ونكهة عربيين ونُحتت فيها بعض المصطلحات الكنسية واللاهوتية بقالب عربي جميل؛ في حين ترجمات العائلة الثانية كثيرة حجمًا وعددًا لكنها جاءت مشحونة بمصطلحات وعبارات عُرِّبت بقوالبها اليونانية أو اللاتينية الكنسية وبنكهة هاتين الثقافتين.

برأينا، إن ترجمة "المعنى الصحيح" فتح جديد في ميدان ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة العربية. بدأ المترجمون من حيث انتهت ترجمات السياق العربي وطوروا فيها كثيرًا، فجاءت الترجمة تحفة فريدة مسكوبة بقالب عربي أصيل إن لجهة العبارات الاصطلاحية الكنسية واللاهوتية، أو أسماء العلم، أو الأساليب والتراكيب اللغوية. ويمكن أن تُعتبر هذه الترجمة بداية جديدة قابلة للتطوير في مراجعات وإصدارات مستقبلية. ومن الواضح أنه أصبح لدينا خطان في الترجمة: الخط المسيحي المشرقي،

---

* أستاذ جامعي في حقول الديانات الساميّة والعلاقات الإسلامية المسيحية؛ ومستشار ترجمة لدى اتحاد جمعيات الكتاب المقدس.

المتأثر بالثقافات السريانية والبيزنطية واللاتينية، والخط المسيحي الإسلامي العربي المحافظ على تراكيب وأساليب اللغة العربية الأصيلة وقواعد الاشتقاق والتعريب فيها.

ونتوقع أن تنتشر هذه الترجمة انتشارًا واسعًا بين قرّاء العربية الأصيلة ومحبيها من مسيحيين ومسلمين. وسيكون لهذه الترجمة تأثير بالغ على المسيحيين العرب أو المشرقيين الناطقين بالعربية وقد ينحون منحى استعادة المصطلحات المسيحية العربية التي استخدمها المترجمون العرب في عصر النهضة العربية الأولى.

بيروت في 25 تموز/يوليو 2016

الدكتور منصف الوهايبي*

هذا الكتاب "المعنى الصحيح لإنجيل المسيح" قراءته واجب بقدر ما هي متعة. وقد بذل فيها الأساتذة الأجلاّء جهدا لا يخفى؛ وأخرجوه أو أعادوا تخريجه في هيئة "الكتاب الأمّ" الذي لا يفتأ يذكّر الإنسان بأنّ الكون نفسه كتاب يمكن أن يتآلف في بنية واحدة كلّيّة إذا هو استطاع أن يفكّ رموزه وينفذ إلى دلالته على قدرة الخالق وحكمته. بل هو يستطيع أن يحتذي هذه البنية ويضاهيها إذا استقامت له جودة الآلة وإصابة الغرض المقصود. وقد لا يخفى أنّ نزعة كهذه تنهل من نبع السيّد المسيح، وتقوم على العرفان مقابل البرهان العقليّ، تجعل من بلوغ الكمال الجماليّ أنطولوجيّا ومعرفيّا ممكنا.

نتعلّم من هذا الكتاب كيف نشحذ نظرنا حتّى ينفذ من الكلمة إلى العالم الطّبيعي؛ وهو أيضا "كلمة" و"كتاب" وصحائف متناثرة؛ يتملّى فيه "الصّانع المخلوق" قدرة "الصّانع الخالق" وحكمته. بل إنّ الصّنعة تشهد، ما ائتلفت في بنية واحدة كلّيّة، للإله الخالق المتعالي الذي لا يوصف ولا يمكن إدراكه، وكأنّها برهان على وجوده. لأقلْ هذا كتابٌ أيقونةٌ، حفرٌ في الروح، في جسد الحياة نفسها حيث فضاء الكمال الجمالي مقابل الفضاء الواقعيّ، حيث الأشياء "النّاقصة" إلى زوال وفناء.

نصّ حيّ لا يكاد القارئ يحمله على معنى حتى يندّ عنه. نصّ أشبه بمتاهة تضلّ فيها العين، ومظنّة لانصراف الخواطر في فهمه إلى أنحاء من الاحتمالات شتّى؛ وهي كلّها معانيه الصحيحة؛ إذ لا يمكن اختزال شيء ما إلى حقيقة واحدة؛ وكلّ ظاهرة إنّما هي حاصل تركيب معقّد من عناصر مختلفة.

نصّ يعلّمنا أن نُحِبّ، والحبّ "تركيب" من الانفعالات أو هو سيمياء من الغرائز متشابكةً متراكمةً تجعله أشبه بإكسير؛ فهو يشكّل من عناصر مختلفة خليطا جديدا ذا نكهة خاصّة غير قابلة لأن تردّ إلى أيّ من هذه العناصر وحده. على أنّنا ونحن نقرأ هذا الإنجيل نتعلّم كيف يكون حبّنا من اللطف والصفاء؛ حتّى ليكوننّ له ظلّ، ويكوننّ له ضوء.

* شاعر تونسي حائز على جائزة البابطين لأفضل ديوان شعر.

الدكتور حسام عبد علي الجمل*

لقد أهداني الأستاذ مظهر الملوحي نسخة من كتاب "المعنى الصحيح لإنجيل المسيح"، ولمّا قرأت الكتاب تبيّنت لي حقائق كبيرة لا حدود لها منذ نشوء البشرية حتّى ظهور الإسلام، أمور لم أعتد على قراءتها ولم أسمع بها، وقد قرأتها في هذا الكتاب. وكان من أروع الكتب التي اطلعت عليها في حياتي مع أني أملك مكتبة شخصية تشغل غرفة كاملة في بيتي وتحتوي على أعداد تفوق الآلاف. وأنا أستاذ جامعي أدرّس في المرحلة الأولى والثانية والثالثة والرابعة وأشرف على تحضيرية الماجيستير وإعداد الدكتوراه، ولديّ عدد كبير من الطلبة الذين أشرف على رسائلهم، وناقشت الكثير من أطروحات الدكتوراه، وصدرت لي مجموعة من الكتب.

أتقدّم بالشكر الجزيل حيث يعجز لساني عن شكر الأستاذ مظهر الملوحي لما قدّمه لي من فضيلة الاطلاع والعلم في كتابه الثمين النفيس. ومن الحقائق التي تبيّنتها مثلا، موضوع المسيح ابن الله، فهذا المصطلح هو من المصطلحات التي لم نعتد عليها. فنحن كنّا نظن كما يظن عدد كبير من الناس بأنّ السيّد المسيح عليه السلام قد جاء إلى هذه الدنيا عن طريق التزاوج. والحقيقة التي شرحها الأستاذ مظهر هي أننا كلّنا ننتسب إلى مدننا مثلا: أنا من محافظة بابل في العراق إذن أنا بابليّ. والسيّد المسيح حين يقول أنّه ابن الله يعني منسوب إلى الله وليس جيء به إلى هذه الدنيا عن طريق التزاوج الجنسي أو بين الجماع بين المرأة والرجل، بل هو منسوب إلى الله. أمّا ابن الله الوحيد فهي تدلّ على أن السيّد المسيح هو الشخصية الوحيدة التي جاءت إلى هذه الدنيا من غير تزاوج الذكر والأنثى، لذلك يُدعى ابن الله لأنّه الوحيد الذي جاء إلى هذه الدنيا بهذه الطريقة وليس هو ابن الله بالتزاوج أو ما شاكل ذلك.

أدرك بعقلك إذ تفتح لك الكتب ... واقرأ كتاب المسيح أ لعلمه لجب
هذا كتاب إلى الانجيل يشرحه ... وصدقه لم تزل تحتاجه الكتب
أضف لعلمك علما كنت تجهله ... في كل ما قد قرأت شأنه عجب
ما ضاع علم وضلت في مفاصله ... يزهو به الدين في طياته الرتب
وكل رتبة علم راح يشرحها ... وكل سطر من الإنجيل يكتتب

* شاعر وأكاديمي – العراق/ الحلة، مركز محافظة بابل.

الدكتور مارتان عقّاد*

يشرّفني أن أقدّم لهذه الترجمة العربية للإنجيل ولأعمال الحواريين. وهي ترجمة تتضمن سيرة السيّد المسيح وتعاليمه، وأعمال الحواريين التي تروي نشأة جماعة أتباع السيّد المسيح ونشاطهم الدعوي، بدءًا من أراضي فلسطين إلى أقاصي العالم المعروف آنذاك.

لقد نشأتُ في بيت أساسه الكتاب المقدّس. ولم تكن لغة الكتاب المقدّس غاية في حدّ ذاتها بل هي تعبير من الله لنعرف من خلاله عمق الذات الإلهية وكيف نسلك بحياة روحية، وأن محبة ما نراه في حياتنا اليومية هو تعبير عن محبة الله التي هي دعوة لكل إنسان بأن يعرف الاله الحق بكل لغات العالم، لأن من حق المخلوق على الخالق أن يكلمه بلغته وثقافته ليعبر له عما يريده منه في كل مكان وزمان.

لقد كرّس جدّي ومن ثمّ أبي حياتهما لنشر كلمة الله، في الشرق الأوسط والخليج (بترأسهما جمعيّة الكتاب المقدّس لأكثر من ستين سنة).

فلقد تعلّمتُ من جدّي فؤاد عقّاد أنّ الكتاب المقدّس لا يستطيع أن يحتكره أي شعب أو فئة من الناس أو كنيسة، بل هو ملك الإنسان أينما كان، لأن لله الكون وما فيه. وتعلّمتُ منه أيضا أنّ الله لا يُحتكر ضمن جدران كنيسة أو معبد أو لغة بعينها، فالمحبة هي لغة الله (الله محبة)، وهي خارج الأطر اللغوية والزمانية والمكانية. وكلمة الله ليست جامدة بل تتجلّى في الكلمة (المسيح) والكون بمعنى الحياة.

فكلّ كلمة لا تحمل قوة الروح الالهية الحيّة تكون قاتلة (فالروح تحيي أما الحرف فيقتل). وهذا ما سنكتشفه ونختبره من خلال قراءتنا لهذا الكتاب.

وتعلّمتُ من والدي لوسيان عقّاد أنّ اللغة هي وسيلة تعبير وليست غاية في حد ذاتها. وفي تأملاتنا الرّوحية العائلية كنّا نتناول كلمة الله بعدّة لغات لنصل إلى عمق الفكر الالهي. وما عرفت والدي يومًا متعصّبا لترجمة معيّنة للكتاب المقدّس، سواء كانت عربيّة أو غير عربية، بل كان يتحمّس لها جميعًا، لأن هدفه كان أن يرى كلمة الله

* مدير معهد دراسات الشرق الأوسط في كليّة اللاهوت المعمدانيّة العربيّة، المنصوريّة، لبنان.

بلغة يفهمها الناس. وفي وعظه في الكنيسة، كان يحرص على عدم ترسيخ ترجمة بعينها للكتاب المقدّس في أذهان الناس، بل عكس ذلك، كان يقصد استخدام أيّ ترجمة جديدة يمكن أن تفتح معنى النص بشكل جديد وتُحيي مقدرة الجماعة على اتّباع المنهج الإلهي وتُجدّدها.

وأذكر حماس والدي في استخدام ترجمة الشاعر اللبناني موريس عوّاد، باللهجة اللبنانيّة (العامّية) (إجت الساعة يا بيّي) لأنه رأى فيها تعبيرا وجدانيا هو الأقرب إلى قلب الإنسان.

وصدرت ترجمة جديدة للإنجيل سنة 2008 تحت عنوان: المعنى الصحيح لإنجيل المسيح. وأذكر فرح والدي وحماسه وتشوّقه لقراءتها عندما قدّمت له نسخة منها. فصرف الليل كلّه في قراءة هذه الترجمة بدموع الفرح وكان مأخوذا بالنص والمقالات المطروحة حوله واللغة والأسلوب ونقل المعنى بصدق كامل. فكان هذا الكتاب كوليد انتظره طوال حياته، وتأسّف كثيرا لأن والده فؤاد الذي هو جدّي لم ير كتابا على هذا النحو.

وأنا أعتبر أنّ هذا الكتاب هو ثمرة دعاء من جدّي وأبي ونبتة زرعوها فأينعت.

وإني في منتهى الغبطة والفرح أن أرى كلمة الله بلغة عربية سلسة في متناول القارئ العربي أينما كان.

وتجيب هذه الترجمة عن أسئلة كثيرة مطروحة الآن من قبل القارئ العربي.

المقدّمة

بقلم الدكتور الهادي جطلاوي

عندما عرض عليّ الأستاذ مظهر الملّوحي أن أراجع تعريبا للإنجيل أنجزه بعض الباحثين مؤخّرا للنشر تملكّني - أنا المسلم المتعامل عادة مع القرآن - إحساس غريب امتزج فيه التخوّف من مسؤولية ثقيلة تلقي على كاهلي ما قد يتسرّب إلى النصّ من الأخطاء والهفوات في الأداء والعبارة، ممّا ربّما يصرف القارئ عن النصّ الديني في الوقت الذي كان من المفروض- على خلاف ذلك- أن يرغّبه فيه ويقنعه بالانصراف إليه والتفاعل معه. وانتابني تهيّب أعظم من تسرّب الخطأ مأتاه ما في منزلتي البشرية من حدّ وقصور، يقع دون الوحي الإلاهي في بلاغته وسحره الذي لا يدركه اللّسان البشري. فكيف لمن كانت هذه منزلته أن ينصّب نفسه مقيّما للكتاب المقدّس؟ وهذا تهيّب قد لا يفهمه القارئ المسيحي ولا يجد له مبرّرا وهو الذي تعوّد على قراءة الأناجيل التي سجّلها الحواريون أصحاب السيد المسيح وأتباعه، ممّن عايشه وأخذ عنه كلٌّ بطريقته وأسلوبه. فتلتقي النصوص غالبا وتختلف أحيانا اختلافا لا يعدو أن يكون إثراء لتلك النصوص، يكمّل به بعضها بعض، دون أن يكون بالضرورة مصدرا للشقاق والفرقة بينها. وهو تهيّب يفهمه القارئ المسلم الذي تلقّى في تعاليم دينه أنّ القرآن معجز بلفظه ومعناه، وأنّه وحي من اللّه على رسوله وتوقيف منه على المؤمنين ليس لهم أن يجتهدوا في لفظه بالزيادة ولا بالنقصان ولا بالتعديل والمراجعة.

ولقائل أن يقول ليس لهذا التهيّب من مبرّر ما دام الأمر متعلّقا بترجمة للنصّ المقدّس. والترجمة تعبير عن فهم شخصيّ للنصّ وتأويل له، تحمله صياغة شخصية جديدة للنصّ في لغة غير لغته الأصلية، بما تحتمله الترجمة ذاتها من خطر على حسن أداء المعنى في لفظه وأسلوبه ومعناه. ومثلما ترجم الإنجيل فقد ترجم القرآن وغيره من النصوص المقدّسة. فتعدّد القرآن بتعدّد مترجميه وهي تراجم متقاربة ساعية ما استطاعت إلى أداء المعنى بلفظ لا يمكن له أبدا أن يكون سميّ اللّفظ العربي، ولا طمع له في أن يكون كذلك. وإنّما هو الأداء أوفى ما يمكن وأصدق ما يمكن أن تحمله اللّغة المترجمة، تبلّغ المعنى وتقصر عن تبليغ جمال أداء المعنى وسحره اللّغوي. بل حتّى مجرّد أداء المعنى كلِّ المعنى يبقى من المطامع والأوهام.

وهذا في حدّ ذاته مصدر عظيم من مصادر التهيّب من ركوب الترجمة عامّة. فكيف بك إذا كان النصّ المترجم نصّا مقدّسا؟

ولعلّ الذي يهوّن من هذا التهيّب الذي ينتاب المترجم للنصّ الديني -أيّاً كان ذلك النصّ- هو أنّ النصّ المقدّس في أصل منشئه نصّ متعدّد تعدّدا مادّيا لغويّا، مهما بدا ذلك التعدّد أو التنوّع تنوّعا جزئيّا. أمّا تعدّد "الأناجيل" بصيغة الجمع فأمر ظاهر لا يحتاج إلى تدليل، فهذا إنجيل يوحنّا وهذا إنجيل متّى... وقارئ هذه الأناجيل لا يخفى عليه ما بينها من مواطن الائتلاف والاختلاف وهذه مسألة جديرة بالاهتمام في حاجة إلى أن يتجاوز الباحث فيها مجرّد الإحساس إلى النظر العميق في أسباب الائتلاف والاختلاف وتبعاته في إطار الدراسة المقارنة للنسخ المتعدّدة للأصل الواحد.

أمّا تعدّد القرآن فهو، وإن لم يكن ظاهرا ظهوره في الأناجيل، قائم في تعدّد القراءات، بل في تعدّد المصاحف وقد ألّف أبو بكر السّجستاني (ت 316 هـ) كتابا في "المصاحف" بالجمع. ففي القرآن إقرار بنزوله على سبعة أحرف وفي السنّة النبويّة أحاديث مبيحة لتعدّد القراءات. وفي التراث الإسلامي تشريع للقراءات المتعدّدة وضبط لشروطها ومواضعها وأعلامها، وذلك رغم توحيد عثمان لنسخ القرآن المتعدّدة في مصحف عثماني واحد.

وتعدّد القراءات في النصوص الدينيّة أمر بديهيّ، يستمدّ شرعيّته من الملابسات التاريخيّة الحافّة بنشوئه المتّصلة بتقبّله وتدوينه. فالنصّ الدّيني كان دائما في منطلقه نصّا شفويّا، كان شفويا في نزوله وحْيا، وشفويّا كذلك في تبليغه ونشره رسالةً. ومن هنا كان نصّا متعدّدا بتعدّد ما يعتريه في تنقّله من تحريف وتغيير يكبر أو يصغر عن قصد أو عن غير قصد.

ينضاف إلى هذه الأسباب المادّية التاريخيّة انتساب النصّ الدّيني إلى جنس الكتابة الفنّيّة المكنّية والكناية قائمة في الإنجيل وفي القرآن معا وإن بأسلوبين مختلفين. فالسيد المسيح في الإنجيل ما ينفكّ يضرب للناس الأمثال ويختبر فطنتهم في فكّ الألغاز واستخلاص العبر من قصص لا يراد منها ظاهرها بل يطلب منها تأويلها وما وراء أحداثها من كناية وهداية .أمّا القرآن فإنّ قضيّة التأويل فيه أعقد، إذ فيه ما في الإنجيل من اختلاف في تفسير السنّة النبويّة في أقوال الرسول وأفعاله على أنّها رموز تشريعيّة إن صدرت من محمّد رسولاً دعت إلى فعل ما فعله وترك ما تركه. فكان مثل المسيح

قدوة وإماما وفي القرآن ما ليس في الإنجيل من صياغة قام النظم فيها على الإشارة والإيحاء والعبارة المتهيّئة لتعدّد الفهم والقراءة.

فتراوح تلقّي النصّ الديني بين فهمه على ظاهره وتوسيع دائرة فهمه على الإباحة والتخيير أو تضييق دائرة فهمه على التحذير والتحريم.

فكانت قابليّة النصّ الدّيني للتلقّي المتعدّد في لغته ومعناه، بل كان حقّه في ذلك من الأسباب المهوّنة على المترجم يترجمه أو المفسّر يؤوّله. وكان في سماحة الأستاذ مظهر الملّوحي وإيمانه بجدوى التعاون وانفتاح القراءة والمعرفة على آفاق في الدّين تتعدّى حدود الدّين الواحد إلى محاورة الآخر بحثا عن أسباب الألفة من خلال عناصر الفرقة. وكان ذلك من العوامل الميسّرة أيضا لهذا التلاقي بين المسيحية دينا والعربية لغة.

ولقد أتاحت لنا فرصة النظر عن كثب في عربية الإنجيل أن ننتبه إلى مواضع شبه والتقاء بين عربية الإنجيل وعربية القرآن في التعبير والتصوير تغرينا بالبحث في مستقبل قريب -إن شاء اللّه- عن خصوصيّة الأسلوب الدّيني وعن الروابط القائمة بين لغة الإنجيل ولغة القرآن في منشئها وأسباب انعقادها.

تونس – سوسة في 21 أوت 2007

الهادي الجطلاوي

لماذا هذه القراءة لمعاني الإنجيل ودلالاته

حسب إحصائية دار الكتاب المقدس، تُرجم الكتاب المقدس إلى أكثر من ألفين وثمانمائة لغة ولهجة على مستوى العالم. ولكن مازالت هناك لغات ولهجات لبعض القبائل لم يترجم إليها الكتاب المقدس بعد. أمَّا في اللغة العربية فيوجد من الترجمات الحديثة المعاصرة ما لا يقل عن عشر ترجمات مختلفة بدءًا بترجمة ڤاندايك، وهي ترجمة قام بها أحد المرسلين الأمريكان في بيروت بمساعدة بطرس البستاني، وقد تمت عام 1860 م. وهي تعتبر أول ترجمة كاملة للكتب المقدسة (التوراة، الزبور، الانجيل، وغيرها من كتب الأنبياء) في العصر الحديث. وقد تبنّتها جميع الكنائس الناطقة بالعربية مثل الكنائس الأرثوذكسية والكاثوليكية، فضلاً عن الإنجيلية، إلى أن خرجت للنور الترجمة التفسيرية وترجمة الإنجيل الشريف، وغيرهما. وكان لكل ترجمة من هذه الترجمات هدفًا مختلفًا؛ فترجمة جمعية الكتاب المقدس (أي الترجمة المشتركة) كان الهدف منها التخفيف من اللغة العربية الكلاسيكية في ترجمة ڤاندايك، أي تحديث الترجمة وجعلها معاصرة مع عدم فقدان المعنى أو الالتزام بقواعد اللغة العربية. أمّا الترجمة التفسيرية (المعروفة أيضًا بكتاب الحياة) فكان الهدف منها إعادة كتابة الإنجيل بطريقة سهلة وتوضيح المفردات، حتى لو اضطُرَّ المترجم إلى إضافة كلمة هنا أو هناك من عندياته أو إضافة حرف جر، أو وضع علامات الاستفهام والتعجب والترقيم. . .إلخ، ليفسر الإنجيل نفسه بنفسه. وأمّا الترجمة المعروفة باسم "الإنجيل الشريف" فقد كُتِبَت بلغة أقرب إلى فهم الإنسان العربي، ذلك بأننا إذا اطّلعنا على التاريخ اكتشفنا أنه عندما بدأ العلماء المسيحيون في القرن التاسع يترجمون الإنجيل إلى اللغة العربية -والتي أصبحت اللغة الرسمية لبلاد مصر والشام- ترجموا الكتاب إلى اللغة التي تعلمها المصريون والسوريون من العرب القادمين من الجزيرة العربية، وهذه اللغة كان يتحدث بها الجميع على اختلاف دياناتهم. لذلك كتبوا بسلاسة شديدة على الإنجيل "بسم الله الرحمن الرحيم - الإنجيل الشريف طبقًا للبشير متى"، فحين ذاك كان المسيح والمسيحي يستخدمان نفس المفردات، لكن مع الوقت، وبسبب ظروف كثيرة، منها السياسية (بما فيها الحروب الصليبية) والاقتصادية والاجتماعية، والتي أدَّت إلى دفع

المسيحيين إلى داخل الكنائس والأديرة، فضلاً عن الانغلاق وتقوقع الذات، الأمر الذي وسّع الفجوة بين أبناء الوطن الواحد، فصار لكل جانب لغة تختلف عن الآخر. فكلمة (الشريف) مثلاً التصقت بالإسلام، حيث كان يطلق هذا اللقب على أي شخص مسيحي أسلم، ولذلك رُفِضَ هذا المصطلح في المجتمع المسيحي. وأيضًا تحية الإسلام (السلام عليكم)، التي هي أصلاً تحية السيد المسيح، اقتصرت على المسلمين، وأصبح للمسيحيين تحية مختلفة منها (نهارك سعيد). وهكذا أصبح للمسيحيين شيئًا فشيئًا لغة لا يفهمها إلاَّ من تربى في الكنيسة، رغم أن هذه اللغة عربية ومفرداتها مفهومة ومدركة، إلاَّ أنَّ دلالاتها تختلف اختلافًا كبيرًا. فمثلاً لو دخل مسلم إلى الكنيسة وسمع عظة مسيحية تتحدث عن النعمة فسوف يظن أن كلمة نعمة هذه بحسب مفهومه تعني الخبز أو غيره من الخيرات المادية بينما يكون الواعظ يتحدث عن فضل المسيح المنقذ من الذنوب. وكلمة الخلاص لا تعني عند المسلم سوى نهاية أمر أو مشكلة أو خروج من مأزق ما، ولا علاقة لها بالنواحي الروحية أو العلاقة مع الله. من أجل ذلك اختفت مصطلحات مسيحية كثيرة من المطبوعات الإسلامية، وتلاشت مصطلحات إسلامية من المطبوعات والمؤلفات المسيحية، مثل (بسم الله الرحمن الرحيم) (الشريف).. إلخ. من ثَّمَّ حاول مترجمو الإنجيل الشريف أن يغيّروا بعض مفردات الإنجيل لتصبح قراءته سهلة وميسرة للناطقين بالعربية الذين لا يعرفون المصطلحات المسيحية، وهنا نأتي إلى السؤال الهام: ما الذي تضيفه عزيزي القارئ هذه القراءة التي بين يديك إلى الترجمات الكثيرة السابقة لها؟!

أولاً: تحاول هذه القراءة الوصول إلى المعنى والدلالة من وراء الكلمة

كما نعلم جميعًا، إنَّ الفكرة روح والكلمة تجسيد للفكرة، أي لهذه الروح، فالفكرة من خلال كلمات تتحوّل إلى حروف محددة وجمل مفيدة. فالفكرة هنا تتَّضح وتظهر وتتحدّد من خلال الكلمات التي تعبّر عنها، لكنها أيضًا تتجمّد عندها. فالفكرة لم تعد فكرة على اتّساعها، فقد تجمّدت عند الكلمات، من هنا يأتي دور المعنى والدلالة لهذه القراءة. فهذه القراءة لم تحاول تجميد الفكرة في كلمات لكنها أعطت الكلمات اتّساعًا ومرونة لتُمكِّن القارئ من إدراك أن الجملة المكتوبة ليست نهاية المطاف: إننا نقدّم المعنى الذي يكمن خلف الكلمة لكنه ليس هو الكلمة النهائية.

ثانيًا: تحاول هذه القراءة أن تجعل هذا المعنى معاصرًا

فبعد أن تصل القراءة إلى المعنى من وراء الكلمة، تقوم بصياغة الكلمة طبقًا للحضارة والزمان والمكان، حيث أنها ليست من زمن خلا وابتعد وليست مرتفعة ومتعالية على الحضارة. إن القراءة هنا تقوم مقام الجسر الذي يصل بين ما كُتِبَ منذ أكثر من ألفي عام وبين الحضارة الحديثة والأحداث اليومية. فكما قال أحد اللاهوتيين: إنه يمسك الإنجيل بيده اليمنى وبالجريدة اليومية بيده اليسرى، ويحاول أن يجيب على التساؤلات اليومية المثارة في الجريدة من خلال الكتاب المقدس، ولا يمكن أن يحدث هذا إلاَّ من خلال الجسر الذي يصل بين الاثنين: وهو شخص ذلك اللاهوتي. ولقد حاول أصحاب هذه القراءة أن يكونوا الجسر الموصل بين الإنجيل الذي كُتِبَ من ألفي عام والحضارة الحديثة اليوم.

ثالثًا: تحاول هذه القراءة أن تقدّم الخلفية الحضارية لأحداث الإنجيل

فبناءً على اكتشافات علماء اللسانيات والاجتماع، فلا بد من إضافة بعض المعلومات الحضارية التي كانت متوفّرة لجمهور السيد المسيح والتي يجهلها العديد من الناس اليوم. لذلك أضفنا عددًا من الحواشي والمقدّمات لكل سفر من أسفار الإنجيل، وأيضًا بعض المقالات التي تعالج مواضيع ذات أهمية كبيرة لقُرَّاء هذا الكتاب.

رابعًا: تحاول هذه القراءة أن تكون مفرداتها مفهومة ومدركة لدى الجميع دون تكلّف

حاولت هذه القراءة أن تقدّم قراءة محايدة؛ بمعنى أن يقبلها المتحدثون بالعربية دون أن يشعروا بغرابة؛ فيقرأونها قراءتهم للغتهم اليومية دون الشعور بأنهم مستهدفون لأمر أو لآخر.

عزيزي القارئ: نرجو أن تستمتع بقراءة هذا النص الفريد والمختلف عن غيره من ترجمات الكتاب المقدّس، ونحتاج أن نستمع إلى رأيك وانطباعاتك.

المسيحيون واليهود في المنظور القرآني

الشيخ الدكتور مصطفى راشد*

طلب مني الأستاذ مظهر الملوحي أن أكتب دراسة موضوعية عن تحريف المسحيين واليهود للكتاب المقدس (التوراة، الزبور، الانجيل).

بدايةً بتوفيق مِن اللهِ وإرشاده وسَعياً للحق ورِضوَانه وطلباً للدعم من رُسله وأحبائه، نصلى ونسلم على كليم الله موسى عليه السلام، وكل المحبة لكلمة الله المسيح له المجد في الأعالي، وكلّ السلام والتسليم على نبي الإسلام محمد ابن عبد الله، أيضا نصلى ونسلم على سائر أنبياء الله لا نفرق بين أحد منهم -------- أما بعد:

في معرض ردّنا عن التحريف، سننظر في أمرين هامّين هما الآيات التي تتناول مسألة التحريف من جهة، والآيات التي تتناول منزلة الكتاب المقدّس من جهة أخرى.

1. الآيات التي تتناول مسألة التحريف

إنّ الآيات القرآنية المتعلقة بالكتاب المقدّس والتي يستند إليها دعاة التحريف هي قوله تعالى:

أ. ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: 75]

"يقول البغوي في تفسيره قوله تعالى: (وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ) يعني التوراة (ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ) يغيّرون ما فيها من الأحكام (مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ) قال ابن عباس ومقاتل: نزلت في السبعين الذين اختارهم موسى لميقات ربه، وذلك أنهم لما رجعوا - بعدما سمعوا كلام الله - إلى قومهم رجع النّاس إلى قولهم، وأمّا الصّادقون منهم فأدوا كما سمعوا، وقالت طائفة منهم: سمعنا الله يقول في آخر كلامه إن استطعتم أن تفعلوا فافعلوا، وإن شئتم فلا تفعلوا، فهذا تحريفهم وهم يعلمون أنه الحق."[(1)]

---

* الشيخ الدكتور مصطفى راشد عالم أزهري رئيس الاتحاد العالمي لعلماء الإسلام من أجل السلام ورفض العنف ورئيس منظمة الضمير العالمي لحقوق الإنسان.

(1) الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1417هـ/1997م، ج 1، ص 113.

ب. ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: 46].

ج. ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: 78].

ويقول ابن كثير في تفسير هاتين وشبيهاتهما: "يخبر تعالى عن اليهود، أنّ منهم فريقا يحرّفون الكلم عن مواضعه ويبدّلون كلام الله، ويزيلونه عن المراد به، ليوهموا الجهلة أنه في كتاب الله كذلك، وينسبونه إلى الله، وهو كذب على الله، وهم يعلمون من أنفسهم أنهم قد كذبوا وافتروا في ذلك كله؛ ولهذا قال: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: 75].

وقال مجاهد، والشعبي، والحسن، وقتادة، والربيع بن أنس: ﴿يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ﴾ [آل عمران: 78] يحرّفونه. وهكذا روى البخاري عن ابن عباس: أنهم يحرّفون ويزيدون وليس أحد من خلق الله يزيل لفظ كتاب من كتب الله، لكنهم يحرّفونه: يتأوّلونه على غير تأويله. وقال وهب بن منبه: إنّ التوراة والإنجيل كما أنزلهما الله لم يغيّر منهما حرف، ولكنهم يضلّون بالتحريف والتأويل، وكتب كانوا يكتبونها من عند أنفسهم، ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: 78] فأمّا كتب الله فإنها محفوظة ولا تحوّل. رواه ابن أبي حاتم، فإنّ قصد وهب ما بأيديهم من ذلك، فلا شكّ أنّه قد دخلها التبديل والتحريف والزيادة والنقص، وأمّا تعريب ذلك المشاهد بالعربية ففيه خطأ كبير، وزيادات كثيرة ونقصان، ووهم فاحش. وهو من باب تفسير المعبر المعرّب، وفهم كثير منهم بل أكثرهم، بل جميعهم فاسد. وأمّا إن قصد كتب الله التي هي كتبه من عنده، فتلك كما قال محفوظة لم يدخلها شيء.

د. ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُواْ

نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ﴾ [المائدة: 13-14]. يقول البغوي في هاتين الآيتين: "قال قتادة: نقضوه من وجوه لأنهم كذّبوا الرّسل الذين جاءوا بعد موسى وقتلوا أنبياء الله ونبذوا كتابه وضيّعوا فرائضه قال عطاء أبعدناهم من رحمتنا. . . وقيل معناه: إن قلوبهم ليست بخالصة للإيمان بل إيمانهم مشوب بالكفر والنفاق. . . (يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ) قيل: تحريفهم بسوء التأويل باللّفظ والكلام.

وبالنّظر في هذه الآيات، من حيث المعاني والمقاصد واللّغة وأسباب النزول نجد أنّ الآيات تشير إلى من يحرّفون الكلم عن مواضعه -- والضمير هنا عائد على رجال الدّين اليهود والمسيحين وليس الكتب، بل عائد على الذين يحرفون الكلم بألسنتهم تأويلا وَلَيّا، ولم تقصد الآيات النص في ذاته مطلقا، سواء كتاب الإنجيل أو كتاب التوراة، حيث أنّ بهما الحقيقة التي لا يذكرها حسب كلام الآيات رجال الدّين اليهود والمسيحيين فهذا مقصد الآيات.

وتأكيدا على استحالة تحريف التوراة والإنجيل نورد بعض الآيات:

أ. يقول الله تعالى ﴿وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [الأنعام:34]. ويقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: وقوله "ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا"، هذه تسلية للنبي وتعزية له فيمن كذّبه من قومه وأمره بالصّبر كما صبر أولو العزم من الرّسل ووعده بالنّصر كما نصروا. . . قال: " ولا مبدّل لكلمات الله"، أي التي كتبها في الدنيا والآخرة لعباده المؤمنين كما قال لأنّ كلام الله محفوظ من التبديل والتحريف"، والكلمات هنا هي السّنن الكونيّة التي قام عليها الوجود والحركة، وهي قراراته والأحكام التي حفظت في اللوح المحفوظ.(1)

ب. ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الأنعام:115].

هناك ميل عام إلى أن (كلمة ربّك) هنا هي كل كلام الله المنزل في كتبه. ثم يضيف: (لا مبدِّل لكلماته). يذهب الكثيرون إلى أنّ المعنى: لا مُغيّر لأحكامه وكلماته المنزلة !!.

---

(1) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق محمد حسين شمس الدّين، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 1419، ج 3، ص 225.

ويقول الله تعالى أيضا: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [يونس: 64].

ج. ويقول الله تعالى أيضا: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: 9]. ويستفتح بعض المتشدّدين على أهل التوراة والإنجيل بأن القرآن حفظ بمعجزة سالما كما نزل على (النبيّ الأميّ)، ويستعلون عليهم متّهمين إيّاهم بتحريف التوراة والإنجيل بينما هم قد حافظوا على صحّة نقل القرآن، وسلامة حفظه، ودليلهم قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: 9]. قالوا: هذه نبوّة عن حفظ القرآن، وفي تواتر نقله سالما عن الرسول معجزة تؤيّد تلك النبوة. والسؤال هنا: هل لفظة ذكر في القرآن تقتصر على القرآن فقط؟

وهل المقصود بآية سورة الحجر 9: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) هو القرآن؟ وهل تكفّل الله في حفظ كلامه بالقرآن دون سواه من كلام وكتب مثل الإنجيل والتوراة؟

فنحن لا ننكر أن تعبير الذّكر اطلق على القرآن في أكثر من سورة وآية، كقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: 6].

غير أنّنا نعلم أن القرآن قد أطلق تعبير الذّكر على الإنجيل والتوراة كذلك وعليه نقول إن لفظة (الذكر) لا تقتصر على القرآن، بل هو مرادف للكتاب، كما أن (أهل الذكر) مرادف (لأهل الكتاب). فالذكر في لغة القرآن، مرادف للكتاب. وعلى الحصر، فهو مخصوص بالتوراة، كقوله: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء: 105]. كما هو مخصوص بالإنجيل كقوله: ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: 58]، والخطاب في آية آل عمران لعيسى المسيح.

فالذّكر الحكيم، خلافا لما يتوّهمه العامّة، مرادف للكتاب المقدّس، أي التوراة والإنجيل، وهذا واضح من تسمية القرآن (أهل الكتاب) أهل الذكر: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء 7]. إنّ الذّكر على الإطلاق هو الذي عند أهل الكتاب، أهل الذّكر. وما الذّكر الذي أنزل على محمد سوى تفصيل للذّكر الحكيم، كما أنّ القرآن هو (تَفْصِيلَ الْكِتَابِ) [يونس 37].

د. ويقول البغوي في تفسير قوله عزّ وجل: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ

﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ [الكهف: 27]. ما أوحي إليك من كتاب ربّك يعني القرآن واتبع ما فيه (لا مبدّل لكلماته) قال الكلبي: لا مغيّر للقرآن. وقيل: لا مغيّر لما أوعد بكلماته أهل معاصيه أي لا مبدّل للسنن. وقيل لا مبدّل لكلمات الله في القرآن والإنجيل والتوراة وكلّ كلماته المنزّلة. ولأنّ هذه الآيات واضحة، لا لبس فيها، حيث تؤكّد استحالة تحريف كلام الله بِلاَ النافية نفياً قطعياً، لذا يقال عن تلك النصوص أنها قطعيّة الدلالة، لوضوحها، فهي لا تحتمل التأويل أو التورية، أي أنّ كلام الله من المستحيل لبشر تبديله، ومن يقول بغير ذلك ويُكفّر أهل الكتاب، فقد كفر لإنكاره معلوما من الدّين بالضرورة قطعيّ الدّلالة ولكن يستطيع أن يقول إنّهم كافرون بالإسلام ولا يرميهم بالكفر عامّة.

2. منزلة الكتاب المقدّس في القرآن:

أ. كما أن القرآن به الكثير من الآيات التي تُعظم الإنجيل والتوراة، مثل قوله تعالى في سورة آل عمران آية 3: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ [آل عمران: 3]، في تفسير هذه الآية يقول القرطبي قوله تعالى: نزل عليك الكتاب يعني القرآن بالحق أي بالصدق، وقيل: بالحجّة البالغة. والقرآن نزل منجّما. فلذلك قال (نزل) والتنزيل مرّة بعد مرّة. والتوراة والإنجيل نزلا دفعة واحدة فلذلك قال أنزل. ومصدّقا حال مؤكّدة غير منتقلة، لأنّه لا يمكن أن يكون غير مصدّق، أي غير موافق، هذا قول الجمهور. وقدر فيه بعضهم الانتقال على معنى أنه مصدّق لنفسه ومصدّق لغيره.

ب. ويقول الله تعالى أيضا ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ [آل عمران: 48].

ج. ويقول تعالى ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: 46].

د. وقوله تعالى ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: 43].

ج. ويقول الله تعالى أيضا: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ

﴿ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: 44]. يقول القرطبي في تفسير هذه الآية قيل: كل من بعث من بعد موسى بإقامة التوراة والإيمان بها، وأنّ اليهود قالت: إنّ الأنبياء كانوا يهودا. وقالت النصارى: كانوا نصارى صدّقوا جميعا بالتوراة من لدن موسى إلى زمان عيسى عليه السلام. كانوا يحكمون بما في التوراة، وقيل: معنى " أسلموا " خضعوا وانقادوا لأمر الله فيما بعثوا به، وقيل: أي يحكم بها النبيّون الذين هم على دين إبراهيم (عليه السّلام) والمعنى واحد. و" الذين أسلموا " ههنا نعت فيه معنى المدح. أي إنّا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور للذين هادوا يحكم بها النبيّون والربّانيّون والأحبار؛ أي ويحكم بها الربّانيّون وهم الذين يسوسون الناس بالعلم ويربّونهم. وقال أبو رزين: الربّانيّون العلماء الحكماء والأحبار. قال ابن عباس: هم الفقهاء: والحبر الرّجل العالم وهو مأخوذ من التحبير وهو التحسين، فهم يحبّرون العلم أي يبيّنونه ويزيّنونه، وهو محبر في صدورهم. قال مجاهد: الربّانيّون فوق العلماء، والألف واللاّم للمبالغة.

د. ويقول الله تعالى ﴿وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: 46]. يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية قوله تعالى: "وقفينا" أي: اتّبعنا (على آثارهم) يعني: أنبياء بني إسرائيل [عليهم السلام] (بعيسى ابن مريم مصدّقا لما بين يديه من التوراة) أي: مؤمنا بها حاكما بما فيها (وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور) أي هدى إلى الحق، ونور يستضاء به في إزالة الشّبهات وحلّ المشكلات لكلّ الناس. (ومصدقا لما بين يديه من التوراة) أي: متّبعا لها، غير مخالف لما فيها، إلاّ في القليل ممّا لدى بني إسرائيل وبعض ما كانوا يختلفون فيه، كما قال تعالى إخبارا عن المسيح أنّه قال لبني إسرائيل: (ولأحل لكم بعض الذي حرّم عليكم) [آل عمران: 5]. ولهذا كان المشهور من قول العلماء أنّ الإنجيل نسخ بعض أحكام التوراة. وقوله: (وهدى وموعظة للمتّقين) أي: وجعلنا الإنجيل هدى يهتدى به الخلق، (وموعظة) أي: وزاجرا عن ارتكاب المحارم والمآثم (للمتقين) أي: لمن اتّقى الله وخاف وعيده وعقابه.

هـ. وقوله تعالى ﴿وَلۡيَحۡكُمۡ أَهۡلُ ٱلۡإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: 47]. الآية واضحة في تعظيم الإنجيل ودعوة الله لهم للحكم بما جاء فيه ومن ينكر أو يرفض ذلك فأولئك هم الفاسقون، أمّا ابن كثير فيقول

في تفسير هذه الآية وقوله: (وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه) قرئ (وليحكم) بالنصب على أن اللام لام كي، أي: وآتيناه الإنجيل [فيه هدى ونور] ليحكم أهل ملّته به في زمانهم.

و. قوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: 66].

ز. ويقول الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: 68]، إشارة إلى أنّ إيمان المسيحيّين واليهود يتوقّف على تعظيم وإقامة التوراة والإنجيل -- ويقول ابن كثير يقول تعالى: قل يا محمد: (يا أهل الكتاب لستم على شيء) أي: من الدّين (حتى تقيموا التوراة والإنجيل) أي: حتى تؤمنوا بجميع ما بأيديكم من الكتب المنزّلة من الله على الأنبياء.

ح. وفى سورة المائدة ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: 110]. يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية يذكر تعالى ما امتن به على عبده ورسوله عيسى ابن مريم عليه السلام ممّا أجراه على يديه من المعجزات وخوارق العادات.

وبخصوص الجزء الثاني من الموضوع، وهو: هل يحقّ لنا أن نطلق على المسيحي واليهودي مشرك أو كافر؟ نقول أنه من الكفر أن نطلق على المسيحيين واليهود مشركين أو كفار حتى لو كفر أو أشرك بعضهم، ذلك بعد أن وصفهم الله بأهل الكتاب.

ي. ويقول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [آل عمران: 199].

ونجد في سورة النساء آية 123 ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: 123]. وفي الآية 131

﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ [النساء: 131].

وفي سورة المائدة ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: 5] وفي سورة المائدة ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: 68].

وفي سورة الأنعام ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: 154].

وفي سورة يونس ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ﴾ [يونس: 94].

وفي سورة هود ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [هود: 17].

وفي سورة الإسراء ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا﴾ [الإسراء: 2].

وفي سورة العنكبوت ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: 46].

وفي سورة السجدة ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [السجدة: 23].

وفي سورة الجاثية ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الجاثية: 16].

وفـي سـورة الـحـديـد ﴿لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَلَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحديد: 29].

ذلك وغيرها عشرات الآيات التي تتكلّم بكلّ وضوح على أنّ اليهود والمسيحيين هم أهل كتاب ويختلفون عن المشركين والكفار، ومن كفر منهم أو أشرك يلحق بالمشركين والكفار، لكن يظل أهل الكتاب، أهل كتاب كما وصفهم الله، ومن يقول بغير ذلك فينكر معلوما من الدّين بالضّرورة.

لذا علينا ألا نستمع للجهلة، الذين يكذّبون على الله ويضلّلون النّاس، ظلماً وبهتانا، وهناك فارق كبير بين أهل الكتاب والكافرين والمشركين بوجود الله -- حمانا الله من هذا الشرك وهذا الإثم العظيم.

هذا والله من وراء القصد والابتغاء. والله المستعان.

مفهوم الوحي في الإنجيل والتوراة وغيرهما من كتب الأنبياء

عندما نتكلّم عن التوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الأنبياء، فإنّنا نستخدم عادة كلمة "وحي" للدلالة على الطريقة الّتي كان يكلّم بها الله عقول أنبيائه. فقد كان يبلغ رسالته من خلال عقل نبيّ من أنبيائه بطريقة لا تجعل من هذا الأخير مجرّد جهاز استقبال سلبي، بل شخصا متفاعلا مع تلك الرسالة، إذ كان النبي يستخدم ملكاته العقلية وكافة إمكاناته البشرية لتلقّي رسالة الله، وإبلاغها إلى قومه بأسلوبه الشخصي، وبالشكل المناسب لهم.

فالحواريّ بطرس الصخر يشرح بوضوح مفهوم الوحي في الكتاب المقدّس حين يقول في رسالته الثانية: "فإرادةُ الإنسانِ لا دَخْلَ لها أبَدًا في كَشفِ النُّبُوّاتِ، بل إنّ الأنبياءَ هُم الّذينَ أتَوْا بِالوَحي وهُم في ذلِكَ يَقتَدونَ بِرُوحِ اللهِ" (رسالة بطرس الثانية 1:21). يعلن بطرس هنا أنّ الله وحده هو الذي يأخذ زمام المبادرة في إرسال الوحي إلى أنبيائه الذين يصبحون حسب تعبيره مقتادين أو منقادين بروح الله العاملة من خلال عقولهم. لكنّ عقول أولئك الأنبياء فاعلة لا منفعلة فقط، وذلك على مستويين: مستوى تلقّيها لكلمة الله، ومستوى تبليغها للآخرين بواسطة لغتهم وأسلوبهم الخاصّ، مع بقاء الأنبياء خلال ذلك بشرا عاديين يبلّغون رسالة الله، أو ينشرون كلامه.

لهذا السبب، يمكن الحديث عن الكتاب المقدّس بما هو كلام الله وكلام البشر في الآن نفسه. فهو كلام الله لأنّه يتضمّن رسالته إلى بني البشر. وهو كلام البشر لأنّ الأنبياء تلقَّوْا محتوى تلك الرسالة، وبلّغوه، أو دوّنوه بأسلوبهم الخاصّ، إذ كانوا يُعمِلون تفكيرهم في الأمور التي يعلنونها، أو التي يدوّنونها، ويستنفرون قدراتهم ومواهبهم لتبليغ الرسالة بطريقة فعّالة. وكانوا يستخدمون اللّغات التي يتكلّمونها سواء العبرية أو الآرامية أو اليونانية، ويسجلّون الوحي بأسلوبهم الخاص.

كان المؤمنون منذ القديم حريصين على أن يقرأ الناس الكتب المقدسة ويفهمونها بلغتهم الأمّ. ففي القرن الخامس قبل الميلاد عندما أخذت الآرامية مكان العبرية، وأصبحت لغة اليهود الرئيسية في فلسطين سارع الوُعّاظ والمعلّمون إلى ترجمة أجزاء من التوراة والزبور وغيرهما من كتب الأنبياء إلى الآرامية. فكتاب عزرا (عُزير) يخبرنا

أنّ عزيرا كان يقرأ التوراة بالعبرية لليهود العائدين من منفاهم ببابل إلى مدينة القدس، ثم يترجمها إلى الآرامية التي كانت اللغةَ المَحْكِيَّةَ التي يفهمها أولئك اليهود.

وعندما استقر اليهود في مصر حوالي القرن الثالث قبل الميلاد، جرت ترجمة التوراة إلى اليونانية التي كانت قد أصبحت لغة متداولة بين اليهود هناك. بعد ذلك بقرنين، ظهرت ترجمة للزبور وغيره من كتب الأنبياء، عُرفت فيما بعد بالترجمة السبعينية لأنّ سبعين عالما (كما قيل) اشتركوا في إنجازها. ثم، في القرون الأولى التي تلت ميلاد السيد المسيح، تُرجمت أجزاء من التوراة والزبور وكتب الأنبياء والإنجيل إلى اللغة القبطية واللاتينية والأرمينية والسريانية والإثيوبية.

إنّ مفهوم الوحي في الكتاب المقدس مرتبط ارتباطا وثيقا بجوهر الرسالة الإلهية. ويتلخص جوهرها أنّ الله ذا الجلال والعظمة قد أحبّ أن يعلن عن نفسه لبني البشر بطريقة حميميّة حتى يستمتعوا بقرب العلاقة معه. فهو لا يريد فقط أن يتعرّفوا على إرادته، بل أيضا أن يصبحوا من العارفين بذاته تبارك وتعالى وأن يحبّوه محبّة حقيقية.

لكن كيف تصبح هذه العلاقة ممكنة؟ في السّفر الأول من الكتاب المقدّس الذي هو سفر التكوين نقرأ أنّ الله خلق الإنسان ليعبّر عن صفاته الحميدة: "وقال الله تعالى: "ها إنّنا نخلق الإنسان ليكون ظِلّنا في الأرض، ذكرًا وأنثى نخلقه. وأعطى الله الإنسان سلطة على السّمك والطّير وكلّ الحيوانات. نعم، جعله مسؤولا على الأرض وعلى كلّ من فيها. وهكذا أصبح الإنسان خليفة الله في الأرض" (التوراة، التكوين 26: 1 – 27). ومعنى ذلك أنّ البشر يحملون بعض صفات الخالق، ولو أنّه يختلف عنهم كثيرا في نواح عديدة كالعظمة والبقاء مثلا. لذلك نحن بشر عاقلون، نفكّر، ونسلك وفق مبادئ أخلاقية، ونملك ضميرا ومشاعر وأحاسيس. ونستطيع كذلك ربط علاقات شخصية متينة مع من حولنا من البشر من جهة، ومع الخالق من جهة ثانية. ولأنّنا غير مختلفين تماما عن الله، فاشتراكنا في بعض الصفات معه يجعلنا قادرين على معرفته والدخول في علاقة وشيجة معه.

هناك في الكتب السماوية العديد من الآيات التي تبيّن أنّ الإنسان لم يكن هو فقط من يريد معرفة الله عن قرب، بل الله كذلك يحبّ أن يُعرف بنفس الطريقة. فالنبي موسى عليه السلام على سبيل المثال كان واعيا بجسامة المسؤولية التي كانت على عاتقه في الخروج ببني يعقوب من عبودية مصر، وقيادتهم عبر الصحراء نحو الأرض المقدّسة.

لنتأمل في الآيات التالية دعائه لله في صلاته، وكيف استجاب الله له: "وَقَالَ النَّبِيُّ مُوسَى للهِ: "هَا أَنْتَ قَدْ قُلْتَ لِي: قُدْ هَذَا الشَّعْبَ، وَلَكِنْ لَمْ تُعْلِمْنِي مَنْ سَتُرْسِلُ مَعِي. ثُمَّ قُلْتَ: إِنِّي عَرَفْتُكَ بِاسْمِكَ وَحَظِيتَ بِرِضَايَ. فَالآنَ إِنْ كُنْتُ حَقّاً قَدْ حَظِيتُ بِرِضَاكَ، فَأَرْشِدْنِي إِلَى طَرِيقِكَ لِكَيْ أَسْلُكَ حَسَبَ قَصْدِكَ، وَأَحْظَى بِمَسَرَّتِكَ، وَاذْكُرْ أَيْضاً أَنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ هِيَ قَوْمُ مِيثَاقِكَ". فَأَجَابَهُ تعالى: إِنَّ تَجَلّياتي تُرَافِقُكَ فأجعلُكَ مُستَقِرًا". (التوراة، سفر الخروج 12: 33-14)

كما أوحى الله على لسان النبي إرميا عليه السلام عن زمن آت في المستقبل لا يكتب فيه شريعته على قلوب البشر فحسب، بل يتيح لهم معرفة ذاته. فقال تعالى: "وفي قادم الأَيّام، أُبرم مع بني يعقوب ميثاقا جديدا هذه ميزته: في سريرتهم تكون شريعتي، وفي عقولهم أنقشُها، وأكون لهم ربّا، ويكونونَ أُمّتي. وحينها لن يكون من الضّروري لأهل أُمّة الله أن يرشدوا أقاربهم وجيرانهم قائلين: "اطلبوا قُرب الله!" لأنّهم جميعا يكونون من العارِفين بي حقّ المعرفة، صغارا وكبارا، وإنّي لذنوبهم وخطاياهم غفور رحيم" (كتاب النبي إرميا 33: 31-34).

ولقد أخبرنا سيّدنا المسيح عليه السلام بعد ذلك أنّه يتمتّع بعلاقة قربٍ خاصّة مع الله، وأنه بفضل هذه العلاقة يعرف الله بشكل فريد ويستطيع الإخبار عنه: "قد أوكَلَ إليّ اللهُ أبي الصَّمَدُ أمرَ كُلِّ شَيء، ولا أحَدَ يَعرِفُ حَقيقتي إلاّ هو، ولا أحَدَ يَعرِفُ حَقيقةَ اللهِ الأبِ الصَّمَدِ إلاّ أنا الابنُ الرُّوحيُّ لهُ تَعالى، والنّاسُ الّذينَ أَردتُ أن أكشِفَ لهُم عَنها" (متّى 11: 27).

هكذا، عندما صلّى في الليلة التي سبقت تسليمه لليهود، ذكر كشفه سر ذات الله لحوارييه، وكيف أصبح بإمكان حواريّيه معرفته: "وبَعدَ أن أَتَمَّ سَيِّدُنا عيسى عليه السلام حَديثَهُ هذا مَعَ أتباعِهِ، رَفَعَ نَظَرَهُ إلى السَّماءِ داعيًا مُبتَهِلاً: "اللهُمّ، أيُّها الأبُ الرَّحمنُ، ها قد آنَ الأوانُ، أوانُ تَمجيدِ الابنِ الرُّوحيّ! فارفَعْ شأنَهُ كي يُظهِرَ الابنُ الرُّوحيّ مَجدَكَ تَبارَكَ اسمُكَ وتَعالى، لقد وَكَّلتَهُ على كُلِّ البَشَرِ حتّى يَهَبَ لِكُلِّ مَن يُؤمِنُ بِهِ مَكانَةً في دارِ الخُلدِ. وإنّ طَريقَ الخُلودِ لا يَكونُ إلاّ مِن خِلالِ مَعرِفَةِ ذاتِكَ جَلَّ جَلالُكَ أنت اللهُ الواحدُ الحقُّ، ومَعرِفةِ عيسى المَسيحِ الّذي أرسَلتَهُ . . . ربِّي لقدِ اصْطفَيْت جماعةً مِنْ أهْلِ هذا العالم ليكُونُوا أتباعًا لي، وقد كانُوا دائمًا في الحقيقةِ مِن خاصَّتِك، وقد كَشفتُ لهم عن سرِّ ذاتِكَ، وإنّهم ليَعمَلون بتعاليمِك" " (يوحنا 1: 17-3، 6).

لقد اعتبر الحواري يوحنا سيدنا عيسى كلمة الله الأزلية الذي صار بشرا، والذي كشف بشكل ملموس عن الله: "فِي الْبَدْءِ، قَبْلَ خلق الكون، كانَ الْكَلِمَة - كلمةُ الله. وَكانَ الكَلِمَةُ مَعَ اللهِ، وكانَ قائِمًا بذاتِ اللهِ (. . .) واستحال الكلمةُ إلى كائنٍ بشريٍّ، وعاشَ فِي الدُّنيا بينَنا، ورأيْنا عَظَمةَ شَأنِهِ، التِي تَتَناسَبُ معَ مكانَتِهِ بما أنّهُ الابنُ الرُّوحيُّ الفَريدُ للهِ الأبِ الرَّحيم، المُجَسِّدِ لرحْمةِ الله الفائقةِ وفيهِ تَحقيقٌ لوَعدِ اللهِ الحَقِّ وفَضلِهِ (. . .) فما مِنْ أحَدٍ حَظِيَ برُؤيَةِ الله قَطعًا، أمّا الابنُ الرُّوحيُّ الفَريدُ لهُ تَعالى، المُقرَّبِ للهِ الأبِ الصَّمَد، فقد جاءَ ليُعرِّفَنا بذاتِهِ تَعالى" (يوحنا 1:1، 14، 18).

وبهذا المعنى، ينبغي النظر إلى مفهوم الوحي في الكتاب المقدّس في سياق السّبل التي كشف الله من خلالها عن نفسه لبني البشر. فالكتاب المقدّس بكافّة أسفاره مجموعةٌ من الكتب التي أوحاها الله عن طريق عمله التفاعلي مع عقول أنبيائه بهدف إعلان رسالته. ذلك أنّ الأنبياء كانوا يتلقّون رسالة الوحي من الله، لكنّهم كانوا يبلّغونها بالطريقة التي يستطيع بها قومهم فهمها، سواء من ناحية اللغة، أو الشكل، أو الأسلوب.

هكذا، أعلن الله لأنبيائه بعض الأشياء عن ذاته، وهم بدورهم سجّلوها وبلّغوها لمن حولهم. لكنّ قمّة إعلان الله عن ذاته لم تكن بواسطة الكلمات، بل بواسطة شخص فريد في التاريخ البشري هو سيدنا عيسى بن مريم عَلَيْهِ سَلَامُهُ؛ الشخص الذي أعلن بشكل أكثر وضوحا صفات الله عزّ وجلّ -محبّته وقداسته وقدرته- سواء من خلال شخصه، أو كلامه، أو أفعاله.

إنّ الكتاب المقدّس هو رسالة الله لنا المبلَّغة لنا من خلال أنبيائه بالطريقة التي نستطيع فهمها، وكل أسفاره تشير إلى شخص سيّدنا عيسى بصفته التجلِّيَ الأوضح والأكمل لصفات الله عزّ وجلّ. فإذا أحببنا معرفة الله بحقٍّ، فلننظر إلى سيّدنا المسيح، وإذا أحببنا التعرُّف على السيد المسيح فلنطالع أسفار الكتاب المقدّس لأنها تتضمن الوحي الذي من خلاله نلتقي بالمسيح الحيّ، ونستهلّ معه رحلة معرفة الله والسعي إلى قربه تعالى.

مفهوم الوحي في الإسلام

يُعرّف لسان العرب الوحي لغةً على أنّه "الإِشارة والكتابة والرِّسالة والإِلْهام والكلام الخَفِيُّ وكلُّ ما أَلقيته إِلى غيرك. يقال: وحَيْتُ إِليه الكلامَ وأَوْحَيْتُ. ووَحَى وَحْياً وأَوْحَى أَيضاً أَي كتب؛ (. . .) والوحي: المكتوب والكِتاب أَيضاً، وعلى ذلك جمعوا فقالوا وُحِيٌّ مثل حَلْي وحُلِيٍّ(. . .) قال علقمة قرأْتُ القُرآن في سنتين، فقال الحارثُ: القرآن هَيِّنٌ، الوَحْيُ أَشدُّ منه؛ أَراد بالقرآن القِراءة وبالوَحْي الكِتابة".

أمّا شرعاً، فقد وردت تعريفات عدّة للوحي يمكن تقسيمها إلى قسمين: 1- تعريفه بحسب المضمون الموحى به، فيكون معنى الوحي تبعا لذلك هو كلام الله إلى رسله، 2- تعريفه باعتباره فعل إيحاء، والطريقة التي كان يتمّ بها. وقد غلب الأخذ بالتعريف الثاني سواء لدى جمهور علماء المسلمين، أم عامّة الناس.

وكلا الاتجاهيْن في التعريف الشرعي لا يخرُجان عن الأشكال الثلاثة التي حدّدها القرآن للوحي، والتي تلخّصها الآية 51 من سورة الشورى كالآتي: (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ)، فالشّكل الأوّل للوحي هو كلام الله لرسله عن طريق قذف الفكرة أو نفثها في روعهم، أي بعبارة أخرى إلهامهم، وهو ما ذهب إليه القرطبي وابن كثير في تفسيريهما، إذ استشهد كلاهما بالحديث الذي أورده ابن حبان في صحيحه: أنّ الرّسول قال: "إِنَّ رُوح الْقُدُس نَفَثَ فِي رَوْعِي أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوت حَتَّى تَسْتَكْمِل رِزْقهَا وَأَجلهَا فَاتَّقُوا اللَّه وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَب". وفي هذا الإطار، تندرج أيضا الرؤيا الصالحة، كما في حديث عائشة بأنّ: "أوّل ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصّادقة في النّوم فكان لا يرى رؤيا إلاّ جاءت مثل فلق الصبح" وهو قول تؤكّده رؤيا النبي إبراهيم في سورة الصافات، الآية 102، والّتي صدّقها إبراهيم لأنه اعتبرها وحيا من الله. إلاّ أنّ عامّة المسلمين وعلماءهم لم يُبدوا كبيرَ اهتمام بهذا الشكل من الوحي، مع أنّه يبقى الأقربَ إلى المفهوم المسيحي الذي عبّر عنه الحواري بطرس خير تعبير في رسالته الثانية: "واعلَموا قَبلَ كُلِّ شَيءٍ أَنّهُ لا نُبُوَّةَ في كُتُبِ الوَحيِ مِن إنشاءِ مَلَكاتِ الأَنبياءِ المُرسَلينَ، فإرادةُ الإنسانِ لا دَخْلَ لها أبدًا في كَشفِ النُّبوّاتِ، بل إنّ الأنبياءَ هُم الّذينَ أتَوْا بِالوَحي وهُم في ذلِكَ يَقتَادونَ بِرُوحِ اللهِ" (رسالة بطرس الثانية 1: 20-21).

أمّا الشكل الثاني فهو كلام الله لرسله من وراء حجاب، ويُورد المفسّرون كدلالة على ذلك قصة تكليم الله للنبي موسى الذي كان يسمع الصوت ولا يرى الله. ويخبرنا القرآن في سورة الأعراف أنّ النبي موسى سأل النظر إلى الله، لكنّه تعالى أخبره باستحالة ذلك، وأعطاه دليلا ملموسا على ذلك جعله يتراجع عن تلك المسألة: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الأعراف: الآية 143]. وقد حاول بعض السّلف كابن عبّاس استثناء النبي محمد من ذلك، حيث قالوا برؤية محمد لله تعالى رؤية العين ليلة المعراج، إلاّ أنّ جمهور المسلمين نفَوْا ذلك مستدلّين بمجموعة من الأحاديث منها حديث عائشة: "من حدّثكم أنّ محمداً رأى ربّه فقد أعظم الفرية على الله" رواه مسلم. وعن أبي موسى الأشعري أنّ النبي قال: إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه" رواه مسلم. ويبدو حسب القرآن أنّ هذا الشكل من الوحي اختص به نبيُّ الله موسى دون غيره من الأنبياء.

والشكل الثالث من الوحي هو أن يرسل الله سبحانه رسولا يبلّغ أنبياءه ما يشاء، والمقصود بالرسول هنا ملاك من عند الله. وقد اختصّ نبي الإسلام بهذا النوع من الوحي الذي يبدو أنه وحي إملائي. وهو يأتي على صور ذكرها السّلفُ كما يلي:

- إرسال الله الملك في هيئته الملائكية أو على هيئة رجل يراه النبيُّ، وقد يراه أو يحسُّ به من كان حوله. وهذا الأمر ليس بغريب، إذ يخبرنا القرآن في أماكن عديدة أنّ الملائكة تتنزّل من السماء إلى الأرض. فقد تمثّل الملاك بشرا سويا لمريم عندما جاء يبشّرها بسيدنا عيسى، كما زارت الملائكة لوطا على هيئة بشر قبل هلاك قومه. ونعلم أنّ جبريل هو الملاك المكلَّف بهذا الشكل من الوحي بالنسبة إلى محمّد، وقد كان غالبا يتمثّل في صورة رجل مجهول كما في حديث عبد الله بن عمر الذي أشار إليه الترمذي ورواه الإمام أحمد عن الرّجل الذي جاء إلى النبي فأدناه منه حتّى تلامست ركبتاهما وظلّ الرجل يسأله في أمور كثيرة تخصّ الإيمان والإسلام، ثمّ، إذ انصرف أخبر محمَّدٌ من حوله أنه جبريل جاء يعلّمهم دينهم. كما كان جبريل يتمثّل في صورة صحابي معروف اسمه دحية الكلبي.

- نزول الملاك بشكل غير مرئي ويكون ذلك على شكل صلصلة جرس شديدة كانت من شدّتها تجعل جبينه يتفصّد من العرق في اليوم الشديد البرد على حدّ تعبير عائشة، فعن عائشة "أنّ الحارث بن هشام سأل النبي صلّى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي فقال: رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشدّه عليّ فَيَفْصم عنّي وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثّل لي الملك رجلاً فيكلّمني فأعي ما يقول". (فتح الباري في شرح صحيح البخاري). وعن أبي هريرة: "كان محمد إذا نزل عليه الوحي استقبلته الرّعدة وفي رواية كرُب لذلك وتزبّد له وجهه وغمّض عينيه، وربما غطَّ كغطيط البَكر (صحيح البخاري باب كيفية نزول الوحي). وعن زيد بن ثابت: "كان إذا نزل الوحي على محمّد ثقل لذلك ومرّة وقع فخذه على فخذي، فوالله ما وجدت شيئاً أثقل من فخذ محمّد" (صحيح البخاري كتاب التفسير باب سورة النساء).

ويجدر التنبيهُ هنا إلى أنّ الملاك جبريل حامل الوحي للنبي محمد هو نفسه الرّوح القدس بالنسبة إلى المسلمين. فقد أجمع المفسّرون وجمهور المسلمين على ذلك، بعكس المسيحيين الذين يرون رأيا مختلفا، إذ الروح القدس بالنسبة إليهم هو روح الله الحيّ التي تعمل فيهم والتي لا يوحي بها فقط لأنبيائهم ورسلهم كما جاء في لوقا: "وحَظِيَ زَكَريّا عليه السلام بفَيضٍ مِن رُوحِ اللهِ، فأخَذَ يُخبِرُ بالنَّبإِ الجَليلِ مُنقادًا بالرّوحِ" (لوقا 1:67)، بل يوحي تعليمه وإرشاداته إلى كافة المؤمنين كما في لوقا أيضا: "لأنّكُم ستَنعَمونَ في تِلكَ السّاعةِ بهِدايةِ رُوحِ اللهِ بما عليكُم قَولَهُ" (لوقا 12:12). ومن ثمّ، يمكن القول إنّ الوحي بالنسبة إلى المسلمين قد انقطع تماما بموت النبي محمّد. ففي صحيح مسلم من حديث أنس رضي الله عنه قال: "قال أبو بكر رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر: انطلق بنا إلى أمّ أيمن نزورها كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها، فلمّا انتهينا إليها بكت، فقالا لها: ما يبكيك؟ إلى أن قالت: ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السّماء". بينما يختلف الأمر بالنسبة إلى المسيحيين الذين يؤمنون أنّ الله لازال بروحه تقدّس وتعالى يمنحهم الهداية والفهم والاستنارة. فقد أخبر السيد المسيح حوارييه في الإنجيل: "وعِندي أُمورٌ كَثيرةٌ أوَدُّ أن أُكلِّمَكُم بها، ولكنَّكُم تَعجَزونَ عن تَحمُّلِها الآن. ولكن عِندَما تأتي رُوحُ اللهِ، فستُرشِدُكُم إلى الحَقِّ كُلِّهِ، لأنّ كُلَّ ما تَبُثُّهُ فيكم هو الحَقُّ، ولن تَتَكلّمَ من تِلقاءِ نَفسِها، بل ستُطلِعُكُم على ما بَلَغَها مِنّي فقط، وتُنبِئُكُم بما سَيَجري مِن أحداثٍ في المُستقبلِ.

وستَرفَعُ مِن شأنِي لأنّها تُذَكِّرُكُم بِكُلِّ ما قد أخبَرتُكُم بِهِ مِن أُمورٍ" (يوحنّا 16 : 12-14).
وقبل ذلك قال: "يا أحبَابِي، ها أنا أحدِّثُكم بكلِّ هذه الأمورِ وأنا مَا زِلتُ معكُم مُقِيمًا في هذه الدُّنيا، وعندما أغادِرُكم سيُرسِلُ اللهُ الأبُ الرَّحمنُ لكُمُ المُعِينَ الَّذِي يُعلّمُكم باسْمِي، وهذا المعينُ هو روحُ الله التِي ستُعلّمُكم كلَّ شيءٍ وتَهْديكُم وتُذكّرُكم بِكُلِّ ما قُلتُه لكم" (يوحنّا 14: 25-26).

التّحريف والوحي الإلهي

المقدّمة

"إنّ الكتاب المقدّس خليط من الحقائق والأباطيل، قد صيغت عبر مراحل زمنيّة متتابعة. " هكذا يلخّص المؤلّف بسّام داود عجك موقفَه تجاه مسألة التّحريف.(1) ومن المؤسف أنّ هذه النظرة تعكس موقف العديد من المسلمين اليوم، علماء وشعبًا. وربّما تعلّقت هذه المسألة بشكل أساسيّ بموضوع الوحي الإلهي والفرق بين المفهوم المسيحي والإسلامي لهذه المسألة. ولن نتطرّق هنا إلى موضوع الوحي والإعلان في هذا المقال لأنّه مطروح في مقال آخر من هذا المجلّد. ولكنّنا سنركّز على مسألة التّحريف دون سواها، بدءًا من ورودها في بعض آيات القرآن الكريم، وذهابًا إلى كيفيّة فهم هذه الآيات لدى المفسّرين المسلمين الأوّلين والتّابعين، وصولا إلى ورودها في عدد من الكتابات الإسلاميّة الجدليّة والحواريّة خاصّة حتى القرن الرابع عشر للميلاد. ويتمثّل ما اكتشفناه -وهو ما ننوي إظهاره هنا- في أنّ عبارة "التّحريف" القرآنيّة لم تُفهَم، في معظم الأحيان، بمعنى "تحريف اللّفظ" - أي تبديل الكلمات- في فترة ما قبل القرن الحادي العشر للميلاد. بل فَهِم المسلمون العبارة بأنّها تشير إلى "تحريف المعنى"، أي التّحريف بالتّفسير أو التّأويل، وهو الإساءة في فهم نصٍّ أدبيّ معيّن. ويتبيّن من دراسة أدبيّة دقيقة للنّصوص الإسلاميّة الحواريّة والجدليّة مع المسيحيّين واليهود أنّ المفهوم الإسلامي لعبارة "التّحريف" بما هو تحريف لفظي دخل على الفكر الإسلامي تحديدًا ابتداءً من القرن الحادي عشر للميلاد، في كتابات العلاّمة الظّاهري ابن حزم الأندلسي. وجدير بالذّكر أنّ تلك الفترة تتناسب مع بداية الحروب الصليبيّة التي شنّجت العلاقات الإسلاميّة-المسيحيّة تشنيجًا لم تتخطّاه الديانتان إلى يومنا هذا. ومن هنا فإنّ هذا المقالَ يدعو القارئَ المسلم خاصّة إلى إعادة النّظر في الموقف الإسلامي المعاصر، الذي ينحصر في المفهوم الأوّل للتّحريف كـ"تحريف لفظيّ". ويسعى هذا المقال كذلك إلى تشجيع المنتمين إلى الدّيانتَيْن المسيحيّة

(1) **عجك**، بسّام داود، **الحوار الإسلامي المسيحي: المبادئ. التاريخ. الموضوعات. الأهداف**، دار قتيبة، (مكان الإصدار مجهول)، 1998، ص 338.

والإسلاميّة على التّحاور في مسألة فهم الكتاب المقدّس وتفسيره بهدف إزالة العوائق وسوء الفهم بينهما، التي تؤدّي إلى التعصّب الدّيني، في حين أنّه ينبغي على الحوار الدّيني أن يقرّب بين البشر ويرفعهم إلى مستويات روحيّة وفكريّة ووجدانيّة عُلْيَا من خلال التبادل البنّاء.

"التّحريف" في مفهوم مفسّري القرآن الكريم

يَرِد فعل "حرّف" أو أحد مشتقّاته أربع مرّات في ثلاث آيات من نصّ القرآن. بالإضافة إلى تلك الآيات الصّريحة، نجد أيضًا آيتين إضافيّتَيْن، إحداهما تتّهم من (يكتبون الكتاب بأيديهم)، والأخرى من (يلوون ألسنتَهم بالكتاب). وسنورِد تلك الآيات، وننظر أوّلاً في كتابات أهمّ مفسّري القرآن الكريم من المسلمين، الكلاسيكيّة منها، كتفاسير الطّبري والرّازي والجلالين والزّمخشري والطبرسي والطوسي والفيض الكاشاني، والحديثة منها، كتفاسير رشيد رضا وسيّد قطب و**التّفسير الوسيط** الذي أصدره بعض علماء الأزهر، والتفسير الكاشف لمحمد جواد مغنيّة، وتفسير روح البيان للبروسوي، دون إغفال تفاسير أخرى مختلفة.

في الآية الأولى: (**أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**)[1].

يفهم المفسّرون المسلمون فعل "حرّف" في هذه الآية بمعنى: تغيير الكلمة عن معناها، أي تأويلها على الخطأ عمدًا بعد فهمها على وجهها الصّحيح.[2] ويتّفق أكثرهم على أنّ الآية تشير إلى اليهود الذين تأوّلوا كلام الله على غير تأويله الصّحيح، بعد أن فهموه على وجهه الصّحيح.[3] ويشير المفسّرون إلى واقعتَيْن

(1) سورة البقرة: آية 75

(2) راجع: **الطبرسي**، أبو علي الفضل بن الحسن، **مجمع البيان في تفسير القرآن**، دار مكتبة الحياة، طبعة جديدة ومصححة، بيروت، لبنان، الجزء الأول، ص ص 316 . 318؛ انظر أيضا **الطبري**، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق أحمد ومحمود شاكر، مؤسسة الرسالة، 1420هـ/2000م، ج 2، ص 245-256، الأخبار 1328-1332.

(3) **الطوسي**، أبي جعفر محمد بن الحسن، **التبيان في تفسير القرآن**، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، المجلد الأول، ص ص 312 . 314؛ ويقول ابن كثير في هذه الآية: "(وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ) أي: يتأولونه على غير تأويله ﴿مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ أي: فهموه على الجلية ومع هذا يخالفونه على بصيرة (وَهُمْ يَعْلَمُونَ(أنهم مخطئون فيما ذهبوا إليه من تحريفه وتأويله. وهذا المقام شبيه بقوله =

تاريخيّتَيْن متوازيتَيْن قام فيهما اليهود بهذا العمل المكروه، أولاهما عندما استلم قادة اليهود كلام الله من النبي موسى، وثانيتهما عندما سمعوا كلام الله من نبيّ الإسلام على عهده. فيُذكَر في الحالتيْن أنّ فئة من اليهود أساءت إلى كلام الله الذي سمعته عندما أساءت تفسيره فحرّفت تطبيقه. وتشير هذه الآية إلى يهود المدينة على عهد النبيّ، وإلى أنّهم اتّبعوا نفس أسلوب اليهود على عهد النبي موسى.[1] وتفسير عبارة (مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ) هو أنّ اليهود أضلّوا الشعب لا عن سهوٍ، بل "مِن بعد ما فهموه وضبطوه بعقولهم ولم يبق لهم شبهة في صحّته".[2] فالإعلان بالوحي جاء إعلانًا حسنًا، ومن ثمّ، تمّ التّحريف في تأويله عمدًا. ويشير المفسّرون إلى أنّ ذلك التّحريف لم يتمّ في كلام الله نفسه، بل فيما أضافه بعض هؤلاء اليهود على الكلام الذي سمعوه عن الله فيما بعد.[3] ويمكن أن يتلخّص فهم المفسّرين المسلمين لهذه الآية بما يلي: "أنّ مجموعة من بني إسرائيل حين عادوا من جبل الطّور قالوا: سمعنا أنّ الله قال لموسى: اعملوا بأوامري قدر استطاعتكم، واتركوها متى تعذّر

= تعالى: (فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ) [المائدة: 13] انظر **ابن كثير**، ابو الفداء القرشي، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق سامي بن محمّد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1420هـ/1999م، ج 1، ص 307.

(1) راجع: **مغنية**، محمد جواد، **التفسير الكاشف**، دار الجواد، الطبعة الثالثة، بيروت، لبنان، 1981م، الجزء الأول، ص ص 131 . 132.

(2) راجع: **البروسوى**، إسماعيل حقى، (قده)، **تفسير روح البيان**، دار إحياء التراث العربي، الطبعة السابعة، بيروت، لبنان، 1985م، المجلد الأول، ص ص 166. 167؛ وممّا هو متواتر في كتب التفسير عن هذه الآية: "وقال السدي: (وَهُمْ يَعْلَمُونَ) أي أنهم أذنبوا. وقال ابن وهب: قال ابن زيد في قوله: (يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ) قال: التوراة التي أنزلها الله عليهم يحرّفونها يجعلون الحلال فيها حرامًا، والحرام فيها حلالا والحق فيها باطلا والباطل فيها حقًا؛ إذا جاءهم المحق برشوة أخرجوا له كتاب الله، وإذا جاءهم المبطل برشوة أخرجوا له ذلك الكتاب، فهو فيه محق، وإن جاءهم أحد يسألهم شيئًا ليس فيه حق، ولا رشوة، ولا شيء، أمروه بالحق، فقال الله لهم: (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ(" (البقرة: 44) انظر **ابن كثير**، ج 1، ص 308. وواضح أن ما نُسب إلى اليهود هنا يتعلق بفهمهم وتأويلهم للكتاب ولا يتعلق بألفاظ الكتاب لأن الإقرار بثباتها بيِّن

(3) راجع: **الكتكاني**، السيد هاشم بن السيد سليمان بن سيد إسماعيل بن سيد عبد الجواد الحسيني البحراني التوبلى، **البرهان في تفسير القرآن**، تهران در، جابخانه آفتاب، بطبع رسيد، المجلد الأول، ص 115.

عليكم العمل بها".[1] ففي كلّ التّفاسير التي تصفّحناها، لم يفهم المفسّرون كلمة "تحريف" في هذه الآية الأولى بمعنى "تبديل الكلام"، بل بمعنى تضليلِ مَنْ سَمِعَهُ من خلال سوء وضعه في سياقه وفساد تأويله.

في الآية الثانية: (فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ).[2]

يربط العديد من المفسّرين للقرآن مسألة التّحريف في هذه الآية بقساوة قلوب اليهود.[3] فقد قست قلوب اليهود نتيجة إبعاد الله إيّاهم عن رحمته تعالى، عقوبة لهم على "نقضهم ميثاقهم"، وهذا الإبعاد هو ما يفسّر، حسب المفسّرين، عبارة "لعنّاهم".[4] ويستخرج البعض[5] معنى التحريف في هذه الآية من عبارة (ونسوا حظًّا). ويشير المفسّرون إلى أنّ النّسيان يأتي نتيجة المعصية. فاليهود، بسبب عصيانهم، قست قلوبهم فسقطت أشياء عديدة من التوراة عن حفظهم. فيُفهم "التّحريف"، في هذه الآية، بمعنى ضُعف قدرة اليهود العصاة على حفظ التوراة، فيتركونها ويكتمون منها صفات محمّد، لا بمعنى التبديل أو التغيير في النصّ. ويفسّر البعضُ الآخَر من المفسّرين "التّحريف" هنا بأنّه كتم اليهود لذكر محمّد في توراتهم بمعنى التبديل، ممّا يقترب من مفهوم التّحريف اللّفظي.[6]

---

(1) راجع: **الشيرازي**، ناصر مكارم، **الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل**، مؤسسة البعثة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1992م، المجلد الأول، ص ص 238 ـ 240.

(2) سورة المائدة: آية 13.

(3) **الألوسي**، أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الرابعة، بيروت، لبنان، 1985م، الجزء السادس، ص ص 89 ـ90.

(4) راجع **الزمخشري**، جاد الله محمود بن عمر، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، الجزء الأول، ص ص 614 ـ 616؛ **والشيرازي**، ناصر مكارم، **الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل**، مؤسسة البعثة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1992م، المجلد الثالث، ص ص 569 ـ 572.

(5) **الفيض الكاشاني**، المولى محسن، **تفسير الصافي**، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، 1982م، الجزء الثاني، ص 21.

(6) **القرآن الكريم وبهامشه تفسير الجلالين**، دار إحياء علوم الدين، دمشق، سورية، ص 144.

في الآية الثالثة: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يُحْزِنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ **يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ**. يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا. وَمَنْ يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ شَيْئاً. أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ. لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ. وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ).(1)

يتّفق المفسّرون في تفسيرهم للقرآن بأنّ هذه الآية تتعلّق بطلبِ فئاتٍ من اليهود من نبيّ الإسلام أنْ يحكم على بعض الأمور الّتي حصلت بينهم. فبعث بعض اليهود إلى محمّد وطلبوا منه أنْ يُقرّ في مسألة الدّيّة بين قبيلتيْن منهما.(2) وينقلُ البعضُ مِن روايةٍ أخرى بأنّ نبيّ الإسلام سُئل عن حالة زنى، فأعْطى قادةُ اليهود التّعليماتِ لمرؤوسيهم بأنْ يقبَلُوا كلام محمّدٍ إذا اتّفق مع تقاليدهم الشّرعيّة البعيدة عن النصّ التوراتي الأصليّ، وأن يرفضوا حكمه إذا كان مناقضًا له. فاتهام القرآن اليهود بالتحريف في هذه الآية ترمي إلى بيان تلاعبهم بشريعة توراتهم. فشريعة التوراة واضحة في مسألة الزّنى وهو عقاب الرّجم.(3) فكان اليهود، على أيّام محمّد، قد ابتعدوا عن هذا التعليم واتّبعوا تقاليدهم بدلاً منه، ففضّلوا الجلد على الرّجم. وعندما أرجعهم نبيُّ الإسلام إلى شريعتهم، رفضوا فَتْواه لقساوة قلوبهم ونقضًا لكتابهم. والإشارة هنا أيضا صريحة إلى أن التحريف هو تحريف معنى التوراة وليس تحريف نصّها.

في الآية الرابعة: (مِنَ الَّذِينَ هَادُوا **يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ** وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا **لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ** وَطَعْنًا فِي الدِّينِ. وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا

(1) سورة المائدة: آية 41.

(2) كذا في **الألوسي**، أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الرابعة، بيروت، لبنان، 1985م، الجزء السادس، ص ص 135 . 140. وانظر أيضًا **الفيض الكاشاني**، المولى محسن، **تفسير الصافي**، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، 1982م، الجزء الثاني، ص ص 35 . 37.

(3) **القرآن الكريم وبهامشه تفسير الجلالين**، دار إحياء علوم الدين، دمشق، سورية، ص ص 149 . 150

وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً). [1]

يقول المفسّرون في هذه الآية إنّها تشير إلى اليهود أيضًا، وهم الّذين وصلوا في جرأتهم في مواجهة نبيّ الإسلام إلى أن أساؤوا الأدب تجاهه وتحدّوه كما يتّضح من الآية. وفي مسألة التّحريف، يشيرون إلى أنّ اليهود توصّلوا إلى "أن يحرّفوا الكلام عن المقصود به"، أي أنّهم أوّلوا عبارات التوراة "بغير المقصود منها".[2] ويضيف بعض مفسّري القرن العشرين بأنّ هذه الظّاهرة ليست فقط ظاهرة يهوديّة، بل إنّ "في زماننا هذا من محترفي دين المسلمين من ينافسون. في هذه الخصلة. اليهود".[3] فمن الواضح هنا أنّ المقصود هو تحريف المعنى لا تبديل اللّفظ.

في الآية الخامسة: (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ **يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ** ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً. فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ)[4]

هذه الآية الخامسة هي الآية التي يُخرِج منها المفسّرون معنى تحريف اللفظ أكثر منه في أيّ آية أُخرى. وأكثرهم يربط عملية كتابة اليهود للتوراة ونسبها إلى الله بعمليّة تبديل صفات نبيّ الإسلام الحقيقيّة بصفات خاطئة أضافوها إلى توراتهم. ففي الطوسي: "أحبار اليهود كانت غيّرت صفة النبيّ (ﷺ) ليوقعوا الشكّ للمستضعفين من اليهود".[5] وفي الطبرسي: "كتابتهم بأيديهم أنّهم عمدوا إلى التوراة وحرّفوا صفة

---

(1) سورة النساء: آية 46

(2) **قطب**، سيد، **في ظلال القرآن**، دار الشروق، الطبعة الشرعية السابعة، القاهرة، مصر، 1978م، المجلد الخامس، ص ص 675. 676؛ ويبدو ما جاء في جامع الطبري شديد الدلالة على أن أمر التحريف يتعلق بالمعاني لا بالألفاظ يقول الطبري: "أما تأويل قوله: "يُحَرِّفون الكلِمَ عن مواضعه"، فإنه يقول: يبدِّلون معناها ويغيِّرونها عن تأويله." انظر **الطبري**، **جامع البيان**، ج 4، ص 436. وراجع أيضًا **القرطبي**، أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، **الجامع لأحكام القرآن**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1965م، الجزء الخامس، ص ص 242. 244، وأيضًا لجنة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى، القاهرة، مصر، 1973م، طبعة 1994م، الحزب الخامس، ص ص 822. 823.

(3) قطب، سيد، المرجع نفسه.

(4) سورة البقرة: آية 79

(5) الطوسي، أبي جعفر محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، مرجع سابق، ج 1، ص ص 321. 323.

النبيّ". [1] ويشير مغنية إلى أنّ "الافتراء عليه [أي على الله]، وعلى نبيّه من أعظم المعاصي وأشدّها عقاباً وعذاباً". [2] ويروي البروسوي أنّ اليهود، عندما كانوا يسألون أحبارهم عن صفات محمّد، "قرأوا عليهم ما كتبوا فيجدونه مخالفاً لصفته عليه السّلام، فيُكذّبونه". [3] ففي ذلك، يقول الكتكاني، قال الله: "**(فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ)** من هذه الصّفات المحرّفات المخالفات لصفة محمّد". [4] ورغم اتّهام المفسّرين لليهود بهذه التّهمة، فإنّهم لا يسحبونها على كلِّ نصِّ التوراة ولا على جميع نسخها، بل يتّهمونهم بالافتراء على نبيّ الإسلام كلّما سألهم المسلمون عن صفات نبيّهم في كتابهم. فالتّحريف اللّفظي هنا يحمل معنى التّحريف الشّفهيّ أكثر من معنى التّحريف المكتوب بمفهومه الحرفيّ.

في الآية السادسة: (وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً **يَلوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ** لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) [5]

يطيل المفسّرون في هذه الآية في تفسيرهم لمعنى "ليّ اللّسان". فيفسّره البعض بمعنى "يحرّفون الكلم ويعدلون به عن القصد"، أي تحريف المعنى، "عناداً عن الحقّ وميلاً عنه إلى غيره". [6] ويضيف البعض بأنّ هذه الآية من القرآن "نزلت في

---

(1) **الطبرسي**، أبو علي الفضل بن الحسن، **مجمع البيان في تفسير القرآن**، مرجع سابق، ج 1، ص ص 325 ـ 328؛ ويقول ابن كثير في هذا مبيّنا الاختلاف بين ما يقوله اليهود وبين ما عندهم: "يخبر تعالى عن اليهود . . . أنهم يشترون الضلالة بالهدى ويعرضون عما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ويتركون ما بأيديهم من العلم عن الأنبياء الأولين في صفة محمد صلى الله عليه وسلم ليشتروا به ثمنا قليلا من حطام الدنيا (وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ(أي يودّون لو تكفرون بما أنزل عليكم أيها المؤمنون وتتركون ما أنتم عليه من الهدى والعلم النافع." **ابن كثير**، **تفسير القرآن العظيم**، ج 2، ص 323.

(2) **مغنية**، محمد جواد، **التفسير الكاشف**، دار الجواد، الطبعة الثالثة، بيروت، لبنان، 1981م، ج 1، ص ص 133 ـ 135.

(3) **البروسوى**، إسماعيل حقى، (قده)، **تفسير روح البيان**، مرجع سابق، ج 1، ص ص 167 ـ 169

(4) **الكتكاني**، **البرهان في تفسير القرآن**، مرجع سابق، ج 1، ص ص 118 ـ 119.

(5) سورة آل عمران: آية 78.

(6) **القرطبي**، **الجامع لأحكام القرآن**، مرجع سابق، المجلد الرابع، ص 121؛ يقول الطبري: "قال أبو جعفر: يعني بذلك جل ثناؤه: وإنّ من أهل الكتاب، وهم اليهود الذين كانوا حَوالي مدينة =

اليهود والنّصارى جميعًا" ، الّذين يسحبون من تفسيرهم لكتبهم العقائد الدينيّة الخاطئة.[1] وهنا أيضًا يشير البعض إلى أنّ هذه الظاهرة ليست فقط عند اليهود، بل أيضًا عند غيرهم من رجال الدّين "حين يفسدون" ، الّذين "يؤوّلون نصوص كتابهم، ويلوونها ليًا، ليصلوا منها إلى مقرّرات معينة، يزعمون أنّها مدلول هذه النصوص . . . بينما هذه المقرّرات تصادم حقيقة دين الله في أساسها".[2] ويتابع بعض المفسّرين المعاصرين على نفس النحو من التّفسير، مشيرين إلى أنّ اليهود كتبوا كتابًا آخر "وجعلوا يلوون ألسنتهم بقراءته يوهمون النّاس أنّه من التوراة" ، بعد أن جعلوا من دينهم هوية قومية وقاوموا كلّ غريب حاول أن يقترب من دينهم. فيضيف البعض أنّه "هكذا يفعل أشباههم من المسلمين اليوم" أيضًا. ويدلّ ذلك الكلام أنّ المقصود من ليّ اللّسان هنا ليس التّحريف اللّفظي بل خطأ تأويل النّص وإخراج عقائد غير صحيحة منه. حتّى أنّ البعض "قد يحرّفون القرآن بالتأويل لتأييد تقاليدهم وبدعهم أو يعرضون عنه اعتذاراً بأنهم غير مطالَبين بأخذ دينهم منه بل من كلام العلماء".[3]

التّحريف في مفهوم الكتّاب المسلمين قبل القرن الحادي عشر للميلاد

عندما نلتفت إلى النصوص الإسلاميّة والعلميّة الأخرى غير التفسيريّة، وبعضها حواريّة، يستوقفنا أنّ مواقف علماء المسلمين تجاه الكتاب المقدّس لم تنحصر في مسألة التّحريف، بل إنّ بعض هذه المواقف عكست انفتاحًا غير عاديّ تجاه موثوقيّة

= رسول الله ﷺ على عهده، من بني إسرائيل. . . "يلوون" ، يعني: يحرِّفون، "ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب" ، يعني: لتظنوا أن الذي يحرّفونه بكلامهم من كتاب الله وتنزيله. يقول الله عز وجل: وما ذلك الذي لوَوْا به ألسنتهم فحرّفوه وأحدثوه من كتاب الله. ويزعمون أن ما لووا به ألسنتهم من التحريف والكذب والباطل فألحقوه في كتاب الله "من عند الله" ، يقول: مما أنزله الله على أنبيائه "وما هو من عند الله" ، يقول: وما ذلك الذي لووا به ألسنتهم فأحدثوه، مما أنزله الله إلى أحد من أنبيائه، ولكنه مما أحدثوه من قِبَل أنفسهم افتراء على الله. يقول عز وجل: "ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون" ، يعني بذلك: أنهم يتعمدون قِيلَ الكذب على الله، والشهادة عليه بالباطل، والإلحاقَ **بكتاب الله** ما ليس منه، طلبًا للرياسة والخسيس من حُطام الدنيا" **الطبري، جامع البيان،** ج 6، ص 535-536.

(1) لجنة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم،** مرجع سابق، الحزب الثالث، ص ص 603 . 604.

(2) قطب، سيد، في ظلال القرآن، مرجع سابق، المجلد الأول، ص ص 418 . 419.

(3) رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، المجلد الثالث، ص ص 344 . 345.

تلك النصوص. وإليكم ثلاثة أمثلة من القرن التّاسع للميلاد. يستشهد المؤرّخ اليعقوبي، بنصّ الكتاب المقدّس بكثافة، مستخدمًا نصوص الإنجيل كمراجع تاريخيّة موثوقة. ويستخدم القاضي ابن قتيبة نصوص الكتاب المقدّس ليحسم ما بين الأحاديث الصحيحة وغير الصحيحة في كتابه الشهير **كتاب تأويل مختلف الحديث،** فيعطي تلك النصوص مكانة رفيعة في علم الحديث. ويستشهد الإمام القاسم ابن إبراهيم الرسّي (وهو مؤسّس الزيديّة في اليمن) من الإنجيل، من أوّل سبعة فصول بالوحي الذي سجّله متّى بكثافة، مستخدمًا الأسلوب القرآني. ولا مجال هنا لسرد النّماذج العديدة لتلك المقاربات البنّاءة، بل إليكم فقط نموذج واحد من **كتاب الردّ على النصارى** للقاسم الرسّي، وهو ذكر لـ "الصّلاة الربّانيّة" التي علّمها السيد المسيح لأتباعه (من متّى 6: 9-13):

ولَكِن، إذا صَلَّيْتم، فَلِلّه وحده فصَلّوا،

وإذا حَكَمْتُم في أرضه بِحُكْم، فاعدُلوا وقولوا:

ربّنا الذي في السماء، تقدَّس اسمُك وحِكْمَتُك،
وعَظُمَ مُلْكُك وجَبَروتك.

أَظْهِر حُكْمَك في أَرْضِك،
كَما أَظْهَرْتَه في سمائك.

وارْزُقْنا طعام فاقة يَوْمِنا.

واغْفر لَنا سالِفَ جرمِنا،

كما نَغْفر لِمَن ظَلَمَنا.

واعْفُ عَنّا برحمتك وإن أجرَمْنا.

ولا تَبْتَلِنا، ربّنا، بالبلاء،

وخَلِّصْنا مِن مَكارة الأسواء.

فإنّ لَكَ المُلْكَ والقُدْرةَ،

ومِنْك الحُكْمَ والمَغْفِرةَ،

أَبَد الآبِدينَ،

وَدَهْرَ الدّاهِرين.[1]

أمّا في ما يتعلّق بمسألة التّحريف، فنكتشف تطوّرًا واضحًا عند علماء المسلمين إذا قارنّا بين فترة ما قبل القرن الحادي عشر وما بعده. وقد تميّز القرن التاسع، كما أشرنا، بمواقف منفتحة كموقف اليعقوبي وابن قتيبة والقاسم الرسّي. بل إنّنا لا نجد في نصّ جدليّ ككتاب **الردّ على النّصارى** لابن ربّان الطبري (وهو نصرانيّ اعتنق الإسلام، وهو غير محمّد ابن جرير الطّبري)، ادّعاء التّحريف اللّفظي ضدّ المسيحيّة. بل ما نجده هو الإشارة إلى "أوجه من التناقض والكبائر . . . في شريعة إيمانهم". أي في قانون الإيمان المسيحي الذي يذكره الطبري كاملاً. ويذهب إلى تفسير "الكلمات التي تأوّلوها بخلاف معانيها" وإلى ذكر "التحريف والفساد الموجود فيه". أي في التأويل المسيحي لكتابهم. وفي كتاب آخر للكاتب نفسه بعنوان **كتاب الدّين والدولة**، يجادل الطّبري مع من يقول بأنّ في القرآن أباطيل، فيقول: "إن لم يَسُغْ (أي لم يجُزْ) ذلك في التوراة والإنجيل وفيمن حَضَرَهما، فذلك غير سائغ في القرآن وحَمَلَتِه أيضًا".[2]

أمّا في القرن العاشر، فنظرنا في كتابَيْن مهمَّيْن، وهما **كتاب الإعلام بمناقب الإسلام** لأبي الحسن العامري و**كتاب تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل** لأبي بكر ابن الطيّب الباقلاّني، فلم نجد فيهما شيئًا عن تحريف اللّفظ. بل يتّهم العامري رجال دين اليهود والنصارى بتحريف معاني الرموز في كتبهم خوفًا من فقدان مناصبهم إذا اعترفوا بنبوّة محمّد.[3] وأمّا الباقلاّني، فكلُّ ما يذكره في التحريف هو ما يختصّ بترجمة اليهود الفاسدة لتوراتهم من العبريّة إلى العربيّة.[4]

---

(1) حقّق هذا النص وقدّم له:
Ignazio di Matteo, Ignazio, in "Confutazione contro I cristiani dello zaydita Al-Qâsim b. Ibrâhîm". Rivista degli Studi Orientali (Rome) 9 (1922): 301-364.

(2) **الطبري**، علي ، **كتاب الدين والدولة** (حقّقه وترجمه ألفونس مينجانا)، مانشستر، 1923، ص 35.

(3) **العامري**، أبو الحسن محمّد ، **كتاب الإعلام بمناقب الإسلام** (حقّقه عبد الحميد غراب)، القاهرة، 1967، ص 202.

(4) **الباقلاّني**، أبو بكر محمّد ابن الطيّب ، **كتاب تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل** (حقّقه الأب ريتشارد مكّارثي)، بيروت، 1957، ص 181.

التّحريف في مفهوم الكتّاب المسلمين بعد القرن الحادي عشر

يظهر التحوّل الشاسع في موقف المسلمين من مسألة التّحريف في القرن الحادي عشر، وبالتّحديد ابتداءً من كتابات ابن حزم الأندلسي وبالأخصّ في **كتاب الفَصل في المِلَل والأهواء والنِحَل**. ويتناول ابن حزم في هذا الكتاب الواسع نصَّ الكتاب المقدّس في كلّ أجزائه وبالتفصيل، مشيرًا إلى "التناقضات" و"الاختلافات" والأمور التي – في مفهومه – "تتنافى مع منطق العقل". ويجدر الذّكر بأنّ **كتاب الفصل في المِلَل** لا ينحصر في نقد الكتاب المقدّس وديانتَيْ اليهود والنصارى فقط، بل يذهب إلى هدم جميع المواقف الدينيّة والملل الإسلاميّة وغير الإسلاميّة التي لا تلتزم بموقِف ملّته "الظّاهريّة". ففي موقف ابن حزم الأندلسي نجد هذا التحوّل الجذري من ادّعاء "تحريف المعنى" ضدّ اليهود والنصارى إلى الادّعاء عليهم بـ"تحريف لفظيّ" لكتبهم.

ولقد اعتنق أكثر الكتّاب المسلمين من بعده الموقف ذاته من الكتاب المقدّس، خاطفين التبادل الإسلامي المسيحي من عالم التّحاور في التفسير إلى عالم المجادلة في موثوقيّة النصوص الكتابيّة. هذا ما نجده، مثلا، في **شفاء الغليل في التبديل** لأبي المعالي الجُوَيْني في أواخر القرن الحادي عشر، وفي الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة **لشهاب الدين القرافي في القرن الثالث عشر، وفي** هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى **لابن قيّم الجوزيّة في القرن الرابع عشر**.

أين يقف المسلم والمسيحي اليوم من هذا الموضوع؟

فما هو موقف المسلمين اليوم من تهمة التحريف ضدّ اليهود والمسيحيّين؟

أكثر المسلمين اليوم يعتنقون فكرة "تحريف اللفظ"، وهي التهمة التي توارثها المسلمون عبر الأجيال منذ ابن حزم. ومن الواضح أن هذا الموقف لا يترك للحوار البنّاء مجالاً، لأنّه يلغي الأساس الكتابي للتبادل الإسلامي المسيحي في المجالَيْن العقائدي واللاهوتي. وهدف هذا المقال كان الإشارة إلى مواقف أخرى بنّاءة اعتنقها أهم علماء المسلمين خاصّة قبل القرن الحادي عشر. وبذلك نرغب أن نقدّم إلى القارئ المسلم نماذج في الحوار في هذا الموضوع غير النموذج المتشدّد المنتشر اليوم.

ولنختم قولنا بموقف مَن سُمِّيَ بـ"شيخ الإسلام، بحر العلوم وصدر القروم، الناسك، العابد، الزاهد" تقي الدين أحمد بن تيميّة، الذي تمكّن من تخطّي موقف "تحريف اللفظ" المتشدّد، رغم أنّه عاش في القرن الرابع عشر. ففي كتابه **الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح**، وكما يشير عنوانه، يتّهم النصارى بتبديل دين السيد المسيح من خلال تأويلهم الخاطئ لكلامه. ولا شك أنّه كان يعرف كتابات ابن حزم والجويني والقرافي، وكان شيخ ابن قيّم الجوزيّة في دمشق. ولكنّه رغم علمه للموقفَيْن الإسلاميّيْن المحتملَيْن، تحريف اللفظ وتحريف المعنى، قد امتنع من أن يلتزم صراحة موقف تحريف اللفظ. فكان ابن تيمية رجل حوار وعلم أن الموقف المتشدّد يقتل الحوار. فبيّن موقفه في الكلام التالي: "فَعُلِم أن التوراة التي كانت موجودة بعد خراب بيت المقدس وبعد مجيء بختنصر وبعد مبعث المسيح وبعد مبعث محمد فيها حكم الله، والتوراة التي كانت عند يهود المدينة على عهد رسول الله وإن قيل إنه غُيِّرَ بعض ألفاظها بعد مبعثه فلا نشهد على كل نسخة في العالم بمثل ذلك فإن هذا غير معلوم لنا وهو أيضا متعذر بل يمكن تغيير كثير من النسخ وإشاعة ذلك عند الأتباع حتى لا يوجد عند كثير من الناس إلا ما غير بعد ذلك ومع هذا فكثير من نسخ التوراة والإنجيل متّفقة في الغالب إنما تختلف في اليسير"[1].

ولكنّه ركّز نقده على تهمة تحريف المعنى، كان موقفه هنا حتميًّا:

"وإذا عُرِفَ أنّ جميع الطوائف من المسلمين واليهود والنصارى يشهدون أنه قد وقع في هذه الكتب تحريف وتبديل في معانيها وتفاسيرها وشرائعها، فهذا القدر كافٍ."[2]

ونختم بالقول بأنّ هناك فرقا أساسيّا في الأصل بين مفهوم المسيحيّين لكتبهم ومفهوم المسلمين. إذ يركّز المسيحيّون على أنّ الكتاب المقدّس يشير إلى السيد المسيح، وهو نفسه كلمة الله الأزليّة. وأكثرهم لا يتمسّك بمفهوم للوحي الكتابي بمعنى "التنزيل" كما يعتقد المسلمون في كتابهم. بل الكتاب المقدّس شهادة

(1) ابن تيميّة، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق د.علي حسن ناصر ود.عبد العزيز إبراهيم العسكر ود. حمدان محمد، دار العاصمة، ط 1، الرياض، 1414هـ، ج 2، ص 419.
(2) المرجع نفسه، ج2، ص 413.

موثوقة، أَوْحى بها الله لرُسُله ليقود الإنسان إلى معرفته تعالى. وينبغي على أهل الإيمان أن يسعَوْا إلى التّحاور والتّبادل البنّاء في كلّ وقت من خلال سَعْيِهِم إلى اكتشاف المعاني العميقة والمُغنِية في هذه الكلمة المكتوبة.

ملاحظة:

الرجاء من الباحثين والمؤرّخين وعلماء الدّين إن كان لديهم مخطوطات للتّوراة والزّبور والإنجيل تُثبت خلاف ما لدينا الآن، فليخرجوها إلى النور.

مخطوطات الإنجيل القديمة

مخطوطات يونانية:

المخطوطة اليونانية ب٦٦ (العام ٢٠٠ م)

جزء من الإنجيل، سفر يوحنا، على ورق البردي،
ترد فيه الآيات ١:١-١٣.
وتُعرَف هذه المخطوطة أيضًا بـ"بودمر ٢"
وهي موجودة في مكتبة بودمر في سويسرا.
تعود إلى العام ٢٠٠ م. تقريبا.

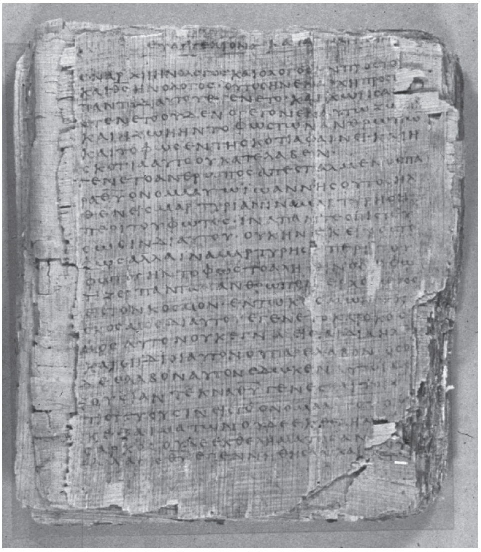

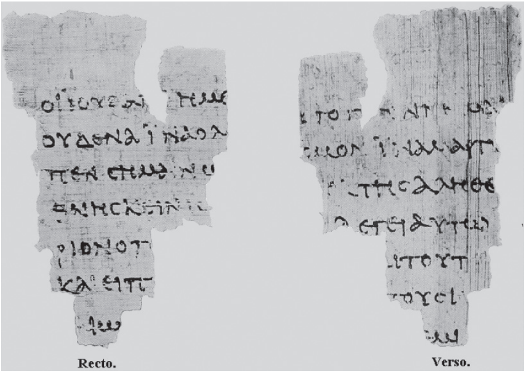

المخطوطة اليونانية ب52 (العام 125 م)

جزء من الإنجيل، سفر يوحنا، على ورق البردي توجد فيها الآيات 33-31:18 و38-37. موجود في مكتبة جون رايلانز في انجلترا. يعود إلى العام 125 تقريبا.

المخطوطة اليونانية "ب" (ما بين 330 و370 م.)

وهي معروفة أيضا بالفاتيكانية، من مكتبة الفاتيكان. في هذه الصورة آيات من نهاية سفر لوقا وبداية يوحنا. تعود إلى ما بين 330 و370 م.

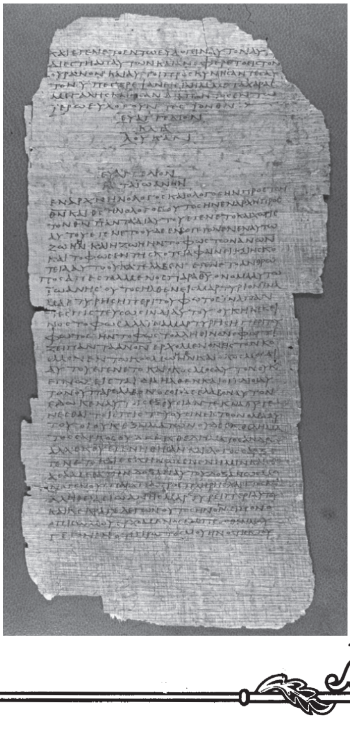

المخطوطة اليونانية ب75 (ما بين 175 و225 م.)

صفحة تحتوي على آيات من نهاية سفر لوقا وبداية سفر يوحنا. يُعرَف هذا النص أيضا بـ"بودمر 15" وهو في مكتبة بودمر في انجلترا. يعود إلى ما بين 175 و225 م.

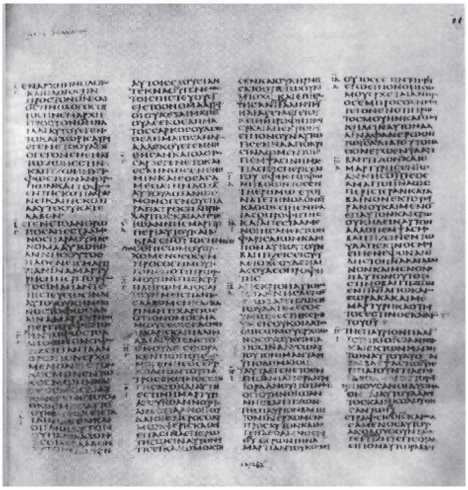

المخطوطة اليونانية "ألفا" (ما بين ٣٣٠ و٣٧٠ م.)

وهي معروفة أيضا بالسينائية، من المكتبة البريطانية في لندن. في هذه الصورة الفصل الأول من سفر يوحنا في الإنجيل. تعود إلى ما بين ٣٣٠ و٣٧٠ م.

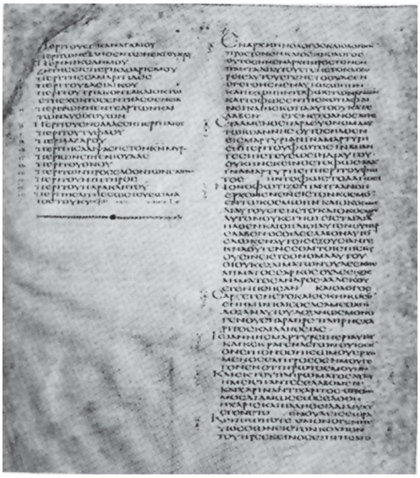

المخطوطة اليونانية "أ" (العام ٤٥٠ م. تقريبا)

وهي معروفة أيضا بالإسكندرانية، من المكتبة البريطانية. تعود إلى القرن الخامس م. في هذه الصورة الفصل الأول من يوحنا.

المخطوطة اليونانية "ب٦٤" (ما بين ٦٦ و١٧٠ م.)

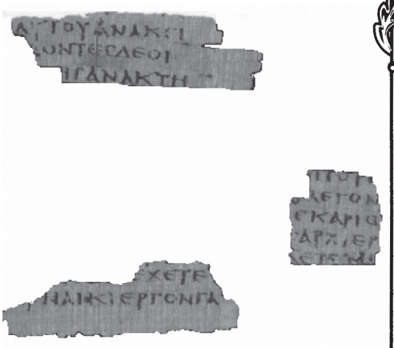

أجزاء من الإنجيل، سفر متى. هذه المخطوطة موجودة في مكتبة كلية ماجدلن في جامعة أكسفورد، وهي معروفة أيضا باسم "بردية عيسى." هناك أجزاء أخرى من هذه المخطوطة في مدينة برشلونة في أسبانيا. هناك جدال حول التاريخ المضبوط لهذه المخطوطة.

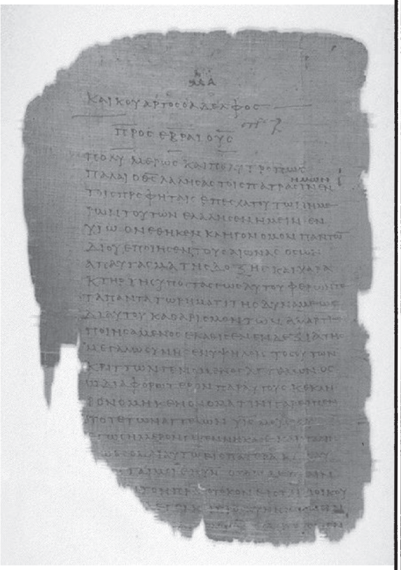

المخطوطة اليونانية "ب٤٦" (ما بين ٨٥ و٢٠٠ م.)

تحتوي هذه المخطوطة على رسائل الحواري بولس وهي في مكتبة تشيستر بيتي في مدينة دبلن. في هذه الصورة الفصل الأول من الرسالة إلى العبرانيين. يُرجِع العلماء هذه المخطوطة إلى ما بين ٨٥ و٢٥٠ م.

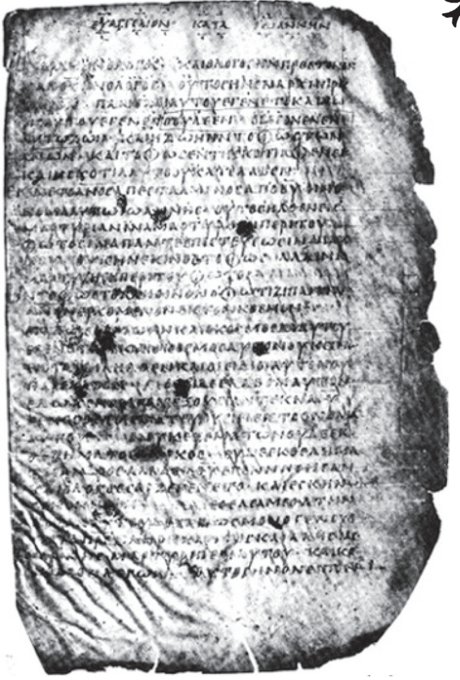

المخطوطة اليونانية "و" "واشنطني"
(ما بين ٤٣٠ و٤٨٠ م.)

"المخطوطة اليونانية "د" أو "بزاي

مخطوطات عربية:

بسم الله الرحمن الرحيم رب تمم بخير
بشارة متي الرسول ❖ الاصحاح الاول
كتاب ولاد عيسى المسيح ابن داوود ابن
لابراهيم ولقد ولد ابرهيم اسحق وولد اسحق يعقوب
وولد يعقوب يهوذا واخوته ويهوذا ولد الفارص
والزرح من تامرة والفارص ولد الحاصر والحاصر ولد
الارم والارم ولد العامنذ والعامنذ ولد الناحشن
والناحشن ولد السالم والسالم ولد الباعز من راحبة
والباعز ولد العابد من راعثة والعابد ولد الايشي

المخطوطة العربية ليدان (الإنجيل الأنيق)

هناك في هذه الصورة بداية سفر متى من الإنجيل الأنيق في مدينة ليدان. يعود إلى القرن التاسع الميلادي. الترجمة قديمة جدا وقد تكون أقدم ترجمة للإنجيل الشريف في اللغة العربية. ومن الجدير بالذكر استعمال التنغيم والفواصل مع استعمال اسم "عيسى" للسيد المسيح.

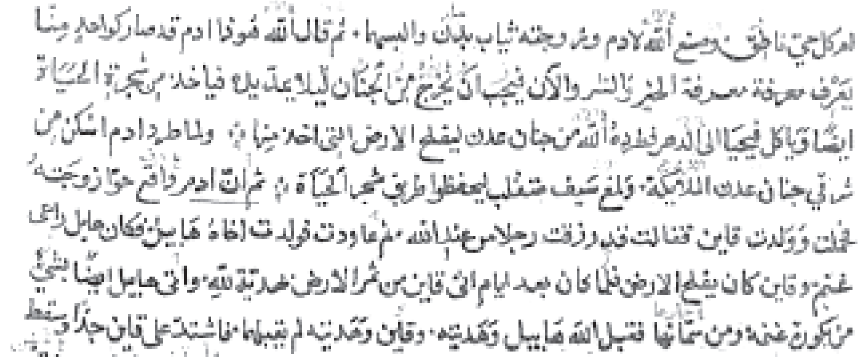

ترجمة سعاديا

في هذه الصورة جزء من التوراة (تكوين الفصلين ٣ و٤) من ترجمة سعاديا جَأُون العربية، وهي موجودة في مكتبة بابا الأقباط في القاهرة.

المسيح المنتظر عند اليهود

يعتبر مفهوم المسيح المنتظر من المفاهيم الأساسية في الكتاب المقدّس، إذ كان يعبّر عن أمل بني يعقوب (بني إسرائيل) في ظهور قائد كبير فيهم. وتجدر الإشارة إلى أنّنا كتبنا أيضا مقالة عن مفهوم المسيح لدى المسيحيين، وفيها عرضنا مختلف طرائق تحقيق عيسى الناصري عليه السلام للنبوءات الخاصة بظهور المسيح المنتظر، وكذلك انزياحه عن الصورة النمطية المرسومة له في المخيال الشعبي.

إنّ كلمة "المسيح" مأخوذة في الأصل من الكلمة العبرية "مشياخ"، وتعني "الشخص الممسوح". وهي تدلّ بشكل ملموس على عملية المسح من خلال سكب الزيت أو ما شابه على الرأس أو غيره من الأعضاء. ونستنتج من هذا أمرين اثنين: أوّلا أنّ عملية المسح لم تكن مرتبطة بأهداف دينية فقط، بل كانت مرتبطة أيضا بأهداف تطبيبيّة. ثانيا أنّ كلمة المسيح في دلالتها العبرية لم تكن مرتبطة بشخص معيّن، بل إن العديد من قوم بني يعقوب قد تمّ مسحهم بأمر من الله كعلامة تعيينهم للقيام بوظيفة معينة في المجتمع. وكان من بين هؤلاء الممسوحين الأحبار والملوك والأنبياء.

المصادر الأدبية

سنعتمد في دراستنا لنبوءات اليهود الخاصّة بالمسيح المنتظر على النصوص العبرية الكثيرة، وتحتوى على جميع الكلمات المشتقّة من جذر فعل "مسح". ورأينا أن تشمل هذه الدراسة مختلف النصوص التي تتحدّث عن مجيء شخص ذي سمات خاصة من خلال استخدام هذه النصوص لمختلف الصور الدالة عليه، مثل القضيب أو الصولجان الذي يرمز إلى المُلْك، والنجمة التي ترمز إلى العظمة والسموّ، والقاضي الذي يرمز إلى الحكم، وغيرها من الصور. كما أنّ الكثير من هذه النصوص تتحدّث عن انحدار هذا الشخص من نسل سيّدنا داود الملك، وإعلانه نفسه قائدا جديدا لبني يعقوب.

تظهر هذه النبوءات في الكتاب المقدّس باللغة العبرية، وفي قسم كبير من أدبيات المذاهب اليهودية ما بين 200 قبل الميلاد و200 للميلاد، إذ تمّ تحديد الأسفار التي يضمّها الكتاب المقدّس قبل نهاية القرن الثالث قبل الميلاد. كما ظهرت في القرنين

التاليين أسفار الأبوكريفا اليهودية الخمسة عشر المدوّنة باللغتين الآرامية واليونانية، والواردة في الكتاب المقدّس الكاثوليكي.

نعثر على أدلّة أخرى لآمال الناس بظهور المسيح المنتظر قبل الميلاد في عدد من كتب الترجوم Targums التي هي عبارة عن شروح وحواشٍ تعليميّة لنصوص الكتاب المقدس، والتي قد تشمل شروحات تنتمي لقرون سابقة. ونجد بموازاة ذلك عددا من الوثائق التي تمّ العثور عليها ضمن مخطوطات البحر الميت في قمران، والتي تتضمّن توقّعات متطوّرة عن مجيء السيد المسيح. كما نجد ابتداء من القرن الأوّل للميلاد نوعا آخر من الأسفار التي لم تَرْقَ إلى مستوى أسفار الوحي، وتُسَمَّى أسفار السيودوبيكرافا Pseudepigrapha. وهي في أغلبها ذات طبيعة رؤياوية (نسبة إلى سفر الرؤيا)، تحفل برؤى يوم النشور، ويحتلّ المسيح فيها حيّزا هامّا. ونعثر أيضا ابتداء من زمن سيّدنا عيسى على قسم كبير من تفاسير حخامي اليهود، خاصّة المشناة، والتلمود، والمدراش، التي تعكس توقّعات الناس التي تعود إلى عهود أقدم بكثير، وتتشابه مع مثيلتها في كتب الترجوم. وهناك أيضا الكتابات الهيلينية اليهودية لفيلون السكندري ويوسيفوس التي تنتمي لنفس الحقبة. يمكن القول إنّ كلّ هذه الكتابات تتضمّن في تصويرها لشخص المسيح المنتظر جوانب دنيوية سياسية، إضافة إلى الجوانب السماوية الخاصة به كمنقذ للبشرية، وذلك بغضّ النظر عن التباينات التي تتضمّنها تلك الكتابات بخصوص التمثّلات الكهنوتية والنبوية والملوكية للمسيح.

نماذج كتابية

أوّل إشارة كتابية إلى شعيرة المسح بالزيت تتعلّق بسيدنا هارون عليه السلام وبنيه الذين تمّ تعيينهم أحبارا لبني يعقوب (انظر التوراة، سفر الخروج 40: 28-41، 7: 29). كما أنّ الإشارة الأكثر ورودا في الكتاب لذات الشعيرة هي تلك المتعلقة بالوصف المتداول لملك ما على أنّه مسيح الله، مثلما نجد في أنشودة الفرح التي صدحت بها حنينة لدى ولادة ابنها النبي صموئيل حوالي القرن العاشر قبل الميلاد: "يَدِينُ اللهُ أَقَاصِيَ الأَرْضِ، وَيَمْنَحُ عِزَّةً لِمَنْ يَخْتَارُهُ مَلِكاً وَيُمَجِّدُ مَسِيحَهُ" (كتاب النبي صموئيل الأول 2: 10). بعد ذلك، وبأمر من الله مسح النبي صموئيل شاول ملكا، ثم مسح داود عليه السلام من بعده (كتاب النبي صموئيل الأول 16: 9، 1: 10، 13: 16). إلاّ أنّ أبيمالك كان هو أوّل من حمل من بني يعقوب لقب المَلِك (سفر القضاة 6: 9، 22). ورغم أنّ خبر

تنصيبه لا يفيد أنّه خضع لشعيرة المسح، إلاّ أنّ قصّة الأشجار التي تلي خبر التنصيب في سفر القضاة تتضمّن أولى الإشارات الكتابية إلى شعيرة مسح الملوك بالزيت (انظر سفر القضاة 8: 9).

تصوّر قصّة النبي صموئيل الدور الذي كان يلعبه الأنبياء جنبا إلى جنب مع الملوك. مع ذلك، لم يخضع من بين الأنبياء لشعيرة المسح سوى نبيَّين هما أليشع (اليسع) (انظر كتاب الملوك الأول 16: 19) وأشعيا الذي قال: "رُوحُ الله عَلَيَّ، لأَنَّ الله مَسَحَنِي لأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ" (أشعيا 1: 61-2). لا نعلم أنّ أشعيا خضع بالفعل لشعيرة المسح، ولكنّ إقراره قد يأخذ بعدا رمزيّا يترجم عن رغبته في أن يصبح مختار الله. وبالإضافة إلى الأمثلة الواردة عن مسح بني يعقوب، هناك في كتاب النبي أشعيا إشارة فريدة إلى الملك الفارسي كورش كملك ممسوح من الله (1: 45). ذلك أنّ مهمّته في كسر شوكة الأمم سوف تغدو أحد العوامل التي انبنى عليها تصور المسيح كحاكم دنيوي.

وإلى جانب ما فهمه اليهود بأنّ الأحبار والأنبياء والملوك مسحاءُ لله أي أشخاص مسحهم الله، ظهرت توقّعات أخرى بخصوص خروج قائد لبني يعقوب من عشيرة يهوذا. ونجد أوّل تعبير عن هذه الفكرة في خطاب النبي موسى عليه السلام إلى بني يعقوب قبل عبورهم نهر الأردن باتجاه أرض كنعان (التوراة، سفر التثنية 15: 18-18). ولكنّ موسى عليه السلام في خطابه ذاك لم يشر إلى مجيء ذلك النبي كشخص ممسوح من الله، لأنّ فكرة المَلِك لم تكن واردة لدى بني يعقوب في ذلك الوقت. كما أنّ أوّل إشارة إلى فكرة النبيّ المَلِك الآتي ترد في نبوءة بلعام (التوراة، سفر العدد 17: 24-19) وهي النبوءة التي تتناول بتفصيل طلب النبي يعقوب بركات لابنه يهوذا كما وردت في التوراة (سفر التكوين 10: 49). ويمكن القول إن القضيب أو الصولجان يرمز في كلا المقطعيْن إلى المُلْك. إضافة إلى أنّ نبوءة بلعام تخبر عن ملك يجيّش الجيوش لغزو المناطق الواقعة شرق فلسطين.

إنّ الدور العسكري للملك الممسوح من الله مبيَّن بتفصيل في كتاب الزبور، (المزمور 2)، حيث يخاطب الوحي الإلهي الملك قائلا: "أنت في مقام ابن لي"، ويخبره أنّه سيعطيه الأمم ميراثا له، وأقاصي الأرض ملكا له ليسوسهم "بقضيب من حديد"، وهو ما يسبغ على حكمه طابعا كونيا (انظر أيضا المزمور 110). كما يتميّز حكم الملك في المزمور 72 باللين، وإحلال الصلاح والسلام والبركة على الجميع.

ووراء كلّ هذه الإشارات تقبع صورة النبي داود الذي ظلّ رغم ضعفه البشري معظَّما مبجلا عند بني يعقوب. وبسببه ظلّ بنو يعقوب ينتظرون ظهور ملك مثله أو أعظم منه. وتبيّن هذه الإشارات أيضا الوعيَ المتنامي لدى بني يعقوب بأنّ ميثاقهم مع الله لم يكن ذا أهمية بالنسبة إليهم فقط، بل بالنسبة إلى جميع شعوب الأرض وإلى الأبد. ورغم أنّ المزمورَيْن 96 و98 في كتاب الزبور يختلفان عن المزامير السّابقة الذكر في إشارتهما الواضحة إلى مجيء قاض بدل الملك، فإنّه يمكن القول إنّ القاضي أو الملك ليسا في النهاية سوى ظل الله في الأرض.

هناك أيضا نصّان يعودان إلى حوالي القرن الثامن قبل الميلاد (كتاب النبي أشعيا، الفصل 11 وكتاب النبي ميخا الفصل 5)، يتكلّمان عن مجيء قاض من فرع يسّى الذي كان أبا للنبي داود. ويتكلّم النبي ملاكي من القرن الخامس قبل الميلاد عن مجيء قاض ينقّي ويمحّص الناس مثلما النار تنقّي وتمحّص الناس مثل المعادن (انظر كتاب النبي ملاكي 1 : 3-3) حيث يبدأ بالحديث عن رسول يمهّد الطريق، قبل أن يأتي "سيّدُكم الّذي تَنتَظِرونَهُ فجأةً إلى بيته المقدّس". وسيتجلّى الله في هذا الرسول، بحيث يُسَرُّ الناس بمجيئه، ولا يثبت أحد عند ظهوره. كما نعثر في كتاب النبي دانيال 25 : 9، 26 على رؤيا ما بعد إعادة بناء مدينة القدس، وفيها يظهر أيضا مسيح الله.

نماذج من كتابات اليهود

نلاحظ أنّ قراءات نصوص الكتاب المقدّس من زاوية تَنَبُّئِها بمجيء المسيح المنتظر ستصير أكثر وضوحا في التفاسير اليهودية المتأخّرة. فهذا سيودو- يوناثان يربط في تفسيره بين تخصيص خيمة الاجتماع للعبادة في التوراة (كتاب الخروج 9 : 40-10) و"الملك المسيح المنذور في آخر الزمان لإنقاذ بني يعقوب". كما يتمّ الرّبط في كتاب النبي ميخا (1 : 5-3) وبشكل دقيق بين القائد الآتي من بيت لحم وشخص المسيح المنتظر.

نقرأ أيضا في السيودوبيكرافا: "أمّا الأسد الذي رأيت، (. . .) متحدّثا إلى النسر، ومؤنبا إياه عن انعدام الصلاح لديه، (. . .) فهذا هو المسيح الذي حفظه الله العلي حتّى نهاية الزمان، والذي سيخرج من نسل النبي داود" (عزرا الثاني 31 : 12-34).

وفي كتاب أخنوخ (النبي إدريس) الأول 1 : 46 وما يليه، يسمّى المسيح

بالمرتضى، وسيد البشر (ابن الإنسان)، ويتمّ تصويره ككائن سماوي سابق على الخلق. كما تؤكّد كتب النبوءات السيبيلية Sibylline Oracles 5 : 108 وما يليها أنّ الله سيُرسِل قاضيا ملكا ليدين الشرَّ وينشر الخير بين البشر. ويصوّر كتاب **وصايا لاوي** (The Testament of Levi) 18 : 2 القاضي "مثل ملِك" و"حَبر جديد". أمّا كتاب وصايا بنيامين (The Testament of Benjamin) **فيتكلّم عن "النجاة بواسطة نبيّ لا نظير له"**.

يبيّن المثالان الأخيران أنّ توقّعات بعض الكتابات المتأخّرة تتعلّق -على الأقلّ- بتصوّرين للمسيح المنتظر، مسيح موسى الذي هو قائد على مثال النبيّ داود، ومسيح هارون الذي هو شخص كرجلِ دينٍ. أمّا كتاب شريعة الجماعة (Rule of the Community) من مخطوطات البحر الميت فيشير إلى حوالي ثلاثة تصوّرات لشخص المسيح المنتظر بما فيها النبي، والمسيح على مثال النبي داود، والمسيح كرجل دين متشفّع.

والجانب الهيليني من الكتابات اليهودية تمثله كتابات فيلون ويوسيفوس في تناولها السياسي للمسيح المنتظر. ففي كتاب حياة موسى يصوّر فيلون ظهور رجل جليل القدر، صاحب سلطان على شعوب كثيرة. كما يسرد يوسيفوس تصوّرات عديدة للمسيح المنتظر منها القائد المحبوب عند الشعب، ومحرّك الجماهير، ومن تمّ تعيينه لهذا المنصب، وغيرها. وفي كتابه الحرب اليهودية يربط شخص المسيح بالإمبراطور الرّوماني فيسباسيان الذي تمّ إعلانُه إمبراطورا على التّراب اليهودي.

يمكن القول إذن، إنّ صور المسيح المنتظر كما وردت في الكتاب المقدس العبري وبعض المصادر اليهودية الأخرى تتضمّن تلك التي يظهر فيها كقائد على غرار النبي داود، وكرجل دينٍ، وكشخص متفوّقٍ على كلّ البشر، وكملك كونيِّ النفوذِ، يوحِّدُ بني يعقوب، ويحمي عقيدتهم، ويعيد بناء الهيكل، ويجعل التوراة شريعة كلِّ الأمم، ويكون قاض عادل، نصيرا للمظلومين، يعاقب الظالمين سواء كانوا من بني إسرائيل أم من باقي الأمم، وسيِّدِ كلِّ البشر، إنّه الملِك السماوي، الأزلي، المتعالي، السابق على كلِّ الخلق.

المسيح المنتظر في المفهوم المسيحي

تتحدث الفصول الأخيرة من سفر النبيّ أشعيا عن رؤيا مجيء المسيح المنتظر في صورة خادم، وهي الفصول التي تتناول نفي بني يعقوب خلال القرن السادس قبل الميلاد. فنجد في كتاب النبي أشعيا صورة خادم لله مؤيَّدا بروحه تعالى لنشر العدل بين شعوب الأرض (أشعيا 1:42-7). وهي الصّورة التي تأخذ تعبيرها الأعمق لدى أشعيا في الفصل 53 من كتابه حيث يصوّر رجلا منبوذا ومحتقرا، حاملا خطايا الآخرين في صمت، لكنه في المقابل موعود بنصر من الله.

وقد عرضنا في مقال سابق مجموعة من التوقّعات لبعض اليهود وتتعلّق بمجيء المسيح المنتظر. وهي التوقّعات نفسها التي نجدها أيضا في الإنجيل الشريف. ففي حوار بين سيدنا عيسى وبعض المتشدّدين اليهود (متّى 42:22)، يعلن هؤلاء أنّ المسيح سوف يأتي من نسل النبي داود، محيلين في ذلك على كتب الأنبياء الأوّلين. ونجد الفكرة نفسها لدى الملك هيرودس (انظر متّى 6:2) في معرض ردّه على الحكماء القادمين من الشرق.

فبعض المذاهب اليهودية كانت قد تأسّست في زمن السيد المسيح حول مجموعة من التوقّعات والآمال المتضاربة بخصوص المسيح المنتظر. وكان التيّار الرئيسيّ مكوَّنا من المتشدّدين اليهود (أي طائفة الفريسيّين)، الّذين كانوا يعتبرون أنفسهم قادة لعامّة الشعب، ويخصّصون حياتهم للحفاظ على نقاء العقيدة اليهودية تحت الاحتلال الرّوماني. كما كانوا حريصين على التحقّق من صحّة العلامات الخاصة بظهور المسيح المنتظر، ولذلك يتشاورون مع العلماء الذين كانوا خبراء في تفسير التوراة. وإلى جانب هؤلاء نجد أيضا المتحمّسين (الغيورين) أصحاب التصوّر السياسي العسكري المؤطر لظهور المسيح المنتظر، وهو التصوّر الذي كانوا يستلهمون منه مقاومتهم للاحتلال الروماني. أمّا الأسينيون فقد أكّدوا على السمات الذاتية والرّوحية للمسيح المنتظر، ومن ثمّ، انسحبوا إلى الصحراء للعيش في جوٍّ من النّسك والرهبنة.

ويمكن تقسيم إعلان الإنجيل الشريف أن سيدنا عيسى هو المسيح المنتظر إلى ثلاثة أقسام. فهناك أقوال الناس الذين عاصروه، وأقوال سيدنا عيسى عن نفسه، وأقوال وردت في كتاب الإنجيل تمّ تسجيلها لاحقا.

أوّل من تعامل مع سيّدنا عيسى بصفته المسيح المنتظر هم حواريّوه. فهذا بطرس الصّخر يجيب سيّدنا عيسى قائلا: "أَنْتَ الْمَسِيحُ!" (مرقس 29:8). وهو الجواب الذي يؤكّده بشكل أقوى كلٌّ من متّى ولوقا عندما سجّلا الوحي كما نلاحظ من جواب بطرس الصخر عند كلٍّ منهما: "إنّكَ أنتَ المَسيحُ الابنُ الرُّوحيُّ للهِ الحَيّ" (متّى 16:16)، و"أَنْتَ المَسِيح مختار الله!" (لوقا 20:9). أمّا يوحّنا الحواري فيستخدم في سجلّه كلمة المسيح العبرية مرّتيْن مكتوبة بالحروف اليونانية عوض الكلمة اليونانية "كريستوس" (Christos). وفي كلتا الحالتين يتمّ التعرّف على المسيح. ففي المرّة الأولى يخبر الحواري أندراوس أخاه سمعان (بطرس الصخر) قائلا: "لقد تعرّفْنا على المسيحِ المُنقذِ". وفي المرّة الثانية تخبر عنه المرأة السّامرية التي التقى بها عند البئر.

ورغم أنّ المرأة السّامرية لم تكن يهوديّة، إلاّ أنّها كانت فيما تبدو حاملة لأغلب معتقدات اليهود. فعندما كان سيدنا المسيح يشرح لها معنى العبادة الحقيقيّة بادرته بإثارة موضوع المسيح المنتظر مُحَاوِلَةً بذلك ربّما إنهاء الحوار، فخاطبته قائلة: "أعلم أنّ المسيحَ آتٍ، وهو مَن سيبيِّنُ لنا كلَّ شيءٍ" (يوحنّا 4: 25). فأجابها ببعض الغموض: "أنا هو، أنا الذي يكلّمك!" كما يبدو أنّ المرأة السامرية استوعبت كلام سيّدنا عيسى لأنّها تركت جرّتها وذهبت إلى البلدة لتخبر الجميع عنه. وكان واضحا أنّها كانت بانتظار مجيء المسيح، فقد كانت دهشتها بادية في قولها لأهل بلدتها: "هلمُّوا إليّ لتَرَوا رجُلاً حدَّثني بكلِّ ما جرى لي من أمور! أتُراهُ المسيحُ المنتظَر؟!" ونحن نعرف أنّ سيّدنا عيسى مكث في تلك البلدة يومين، وأنّ كثيرين عرفوا أنّه "مُنقذُ البشر أجمعين" بسبب ما سمعوه منه بأنفسهم.

ونقرأ كذلك عن عامّة الناس الذين كانوا ينتظرون مجيء المسيح المنحدر من نسل النبي داود، والذين آمنوا بأنّه ليس سوى سيّدنا عيسى. وقد اندهش كثيرون في عيد الخيام اليهودي بسبب الآيات التي كانت تجري علي يديه (انظر يوحنا، الفصل 7) عندما كان يعلّم الناس خارج الحرم الشريف في القدس، وتساءلوا: "هل إذا جاءَ المَسيحُ، ستَكونُ آياتُهُ ومُعجزاتُهُ أعظَمَ مِمّا أتى بِهِ هذا الرَّجُلُ المُبارَك؟!" (الآية 31). فقد قال البعض إنّه "حقًّا النبيُّ المَوْعُود الذي أَخْبَرَتْنا التوراةُ بمَجِيئِهِ" والذي يهيئ الطريق لقدوم المسيح، بينما قال آخرون بل "هو ذاك المسيحُ المنتَظَرُ". ذلك أنّ الآمال الخاصّة بمجيء المسيح كانت منتشرة بين مختلف فئات المجتمع اليهودي

والمجتمع السّامري. وكان معاصرو سيّدنا عيسى ممّن عاشوا حوله يعكسون اختلاف تلك التوقّعات والرموز المرتبطة بمجيء المسيح المنتظر، والموجودة في الكتاب المقدس العبري وكتابات اليهود الأخرى. كما أنّ كلمة "المسيح" كانت مرتبطة في الأذهان بالملك الرجل المقدّس منقذ العالم.

شهادة سيّدنا عيسى عن نفسه

في سجلّ لوقا للوحي يتجلّى بشكل ضمنيّ فهم سيّدنا عيسى لدوره (18: 4-19)، وذلك حين أعلن في بيت العبادة رسالته لأهل الناصرة. فقد فتح عن قصد الكتاب، وقرأ الدعوة الموجودة في الفصل 61 من سفر النبي أشعيا، ثم قال: "اليومَ تَحقّقَ لكم الوعدُ الذي كنتم به تَسمعون". هكذا أعلن سيّدنا عيسى عن نفسه كشخص مسحه الله (مسيح)، وأرسله إلى مهمَّشي المجتمع والفقراء والمسحوقين والأسرى والمعذَّبين.

إنّ وجود سيّدنا عيسى في بيت العبادة دليل على التزامه النموذجي بالشريعة اليهودية، وكذلك على علاقة الاستمرارية بين رسالته والتوراة الشّريفة، وعدم نيّته نقض أيٍّ من الوصايا المفروضة. كما جاء بأمور مثيرة للدهشة، وبرهن خلال كلّ ذلك على فرادة رسالته. لقد فهم أنّ دعوة التوراة لمحبّة الله والجار إنما هي جزء من محبة الله لقوم ميثاقه، لكنّه في الآن نفسه وضع الأساس لفهم جديد للمحّبة: "أحْبَبْتُكُمْ كما أحبَّنِي اللهُ الأبُ الرَّحمنُ، فاثبُتُوا على محبَّتِي ولا تدَعُوا أيَّ حاجِزٍ يفصِلُكم عنْها" (يوحنا 9: 15). وحثّ الآخرين أيضا على محبّة بعضهم بعض (12: 15). وأوصى أتباعه قائلا: "كَما أرسَلَني اللهُ الأبُ الرَّحمنُ إلى النَّاسِ، أجعَلَكُم أنا أيضًا إلى النّاس مِن المُرسَلينَ" (21: 20).

تبدو أقوال سيّدنا عيسى في كثير من الأحيان غامضة ومثيرة للجدل، كما أنّ إعلاناته المباشرة كانت منذرة ومشفوعة بالحذر. فعوض الإفصاح بشكل جريء وصريح عن هويّته، كان يفضّل الكلام بشكل غير مباشر، كمخاطبته الناس بالأمثال، واستخدامه لقب "سيّد البشر" بصيغة الغائب. وسبب ذلك أنّه كان حريصا على ألاّ يساء فهم دوره كمسيح لله سواء كان المسيء له من أتباعَه المتحمّسين أم من أعداءه، لأنّ ذلك الدور لم يكن يتطابق مع الصورة الشعبية النمطية للمسيح كشخصية سياسية ثائرة.

كان فهم من سجّلوا الوحي لشخصية المسيح واضحا لا غبار عليه، ويبدو ذلك في انتقائهم للأحداث التي سجّلوها بخصوصه، وفي حبكة الكتابة التي اعتمدوها وأسلوبها، وفي إشارتهم إلى العلامات الخاصة بظهور المسيح كما وردت في الكتب السماوية في صيغتها العبرية. فقد أشار متّى في الفصل الأوّل من سجلّه للوحي أربع مرّات إلى سيّدنا عيسى بصفته مسيح الله، ثمّ استشهد بعد ذلك بالعديد من نصوص كتب الأنبياء الأوّلين للربط بين سيّدنا عيسى وهويّته كمسيح الله (6:2، 18:12 وما يليه، 35:13، 5:21، 41:22 وما يليه). أمّا مرقس فيصف في مجمل سجلّه الأخبار السارة عن سيدنا عيسى المسيح، الابن الروحي لله (مرقس 1:1). والحدث الرئيسي في سجلّه (9:1-11) يتعلّق بنزول روح الله على سيّدنا المسيح بعد تغطيسه في نهر الأردن، وهو مسح رمزي له قبل مباشرته الدّعوة.

وإذا كان لوقا ويوحنّا الحواري يستخدمان في سجلّيْهما عن سيّدنا عيسى المسيح المادّة نفسها الموجودة في متّى ومرقس، فإنهما يضيفان مع ذلك أشياء خاصّة بكلّ واحد منهما. فلوقا يركّز على الشفاء والتعاليم، بينما يركّز الحواري يوحنا على الخطاب الفلسفي اليوناني في تأطير فهمه لرسالة سيدنا عيسى. ففي الفصل الأوّل من سجلّ يوحنا الحواري، نجد سؤال قادة اليهود للنبي يحيى بن زكريا حول هويته عليه السلام، وردَّه عليهم بقوله: "أَنَا لَستُ الْمَسِيحَ المنتظر." وهو الردُّ الذي يبيّن أنّ هذا الموضوع كان يشغل ذهن قادة اليهود الذين كانوا يتساءلون فيما إذا كان المسيح المنتظر قد أتى.

ولكنّ المؤمنين الأوائل لم يدركوا الأبعاد الكاملة لمجيء المسيح إلاّ بعد تضحية سيّدنا عيسى بحياته وانبعاثه وظهوره المتكرّر لأتباعه، إذ اعتبره الحواريون نبيّا مكلّفا بتبليغ كلمة الله، ورجل دين يقود الناس إلى الله، وملكا شريف الأصل، قدّوس القدرة. وكانوا ينظرون إلى كلّ واحد من أدواره الثلاثة هذه في إطار كونه المسيح المنتظر. كما كانت كلُّ أخباره تؤكّد عمل الله من خلاله. وما شعيرة المسح التي تمّت بذلك الشكل التبجيلي في الأسبوع الأخير من حياته على الأرض، إلاّ دليل على أنّه المسيح بحقٍّ.

فأوّل إعلان عامٍّ بأنّ سيّدنا عيسى هو المسيح تمثل في شهادة بطرس الصخر أمام جمهور اليهود خلال عيد الخمسين (انظر سيرة الحواريين 27:2، 31)، عندما أحال

على المزمور 110 في كتاب الزبور في إشارته إلى انبعاث السيد المسيح من الموت وصعوده إلى السماء. ثمّ أعلن أنّ سيّدنا عيسى الذي قام من الموت هو المسيح. كما يفسّر الحواري بولس في رسائله لجمهور اليهود أنّ سيّدنا عيسى ليس سوى المسيح. ففي الرسالة إلى العبرانيّين يُعتبر سيّدنا عيسى رئيس الأحبار على رتبة الملك صادق (8 : 5-10). وفي سفر الرؤيا يقدم الحواري يوحنا سيدنا عيسى على أنه مسيح الله، المشرئبُّ بنظره إلى آخر الزمان عندما تصير "مَمَالِكُ الْعَالَمِ تَحْتَ سُلْطَانِ رَبِّنَا وَمَسِيحِهِ، وَسَيَمْلِكُ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ". (سفر الرؤيا 15 : 11)

هكذا، تعكس سجلاّت الإنجيل جميعا الجوانب الملوكيّة والنبويّة والحبريّة لشخص السيد المسيح، كما أخبرت عنها التوراة والزّبور وغيرُهما من كتب الأنبياء. وفي الفصول الأولى من سجلاّت متّى ولوقا، يتمّ رصد شجرة نسب سيّدنا عيسى صعودا إلى النبيّ داود. ومباشرةً قبل صلبه يتساءل بيلاطس الوالي الرّوماني عمّا إذا كان سيّدنا عيسى هو ملك اليهود، تماما كما سأل هيرودس الكبير عن ذلك قبل ولادته. ومن جهة أخرى، كان سيّدنا عيسى يتحدّث عن الله باعتباره وليَّ أمره والملك الحقيقيّ. وهو ما جعله يدخل مدينة القدس ممتطيا أتانا ليسجّل اختلافه عن ملوك الأرض، ويؤكد أنه ملك مسالم. فقد قهر الظلم والشرّ والموت لا بقوّة العنف، بل بقوّة المحبّة.

أمّا الوظيفة النبوية لسيدنا عيسى فواضحة من خلال تعاليمه الاجتماعية من جهة، وتحذيراته بشأن مصير مدينة القدس من جهة أخرى. فهو يؤكّد ما جاء في التوراة الشريفة، ويُدين في الآن نفسه النظرة الفقهية الضيقة المتشدّدة للبعض في مقاربة التوراة. وهو على غرار أنبياء بني يعقوب الذين سبقوه لم يكن يثنيه مراء معارضيه عن المضي قدما في الجهر بدعوة الناس للعيش طبقا لشريعة المحبّة.

وأخيرا، تتجلّى وظيفته الحبرية في معاناته والتضحية بنفسه على الصليب حيث قارب العنف البشري عبر أخذه هذا العنف على عاتقه، وهو الأمر الذي تتحدّث عنه بإسهاب الرسالة إلى العبرانيين. كما أنّ هذه الوظيفة الحبريّة كانت تعني خدمة الآخرين، لأنّه أعلن أنّه جاء ليخدم الناس لا ليخدمه الناس، وأكبر برهان على ذلك هو تناوله خلال عشائه الأخير منشفة وغسله لأقدام حوارّييه.

مفهوم المسيح المنتظر في الإسلام

كلمة "المسيح" هي في الأصل كلمة عبرية تعني الشخص الممسوح بالزّيت، ويكون عادة شخصا استثنائيا اصطفاه الله للقيام بمهمّة إلهية عظيمة. لكن خلافا للفكرة السائدة التي دأبت على ربط مفهوم المسيح بشخص سيدنا عيسى فقط، نرى أنّ جردا بسيطا للمواضع والسياقات التي وردت فيها كلمة "المسيح" في الكتاب المقدس يبيّن أنّ هذا المفهوم ارتبط بأشخاص آخرين كانوا إمّا أحبارا أو أنبياء أو ملوكا. ففي التوراة في سفر الخروج مثلا ترد الإشارة إلى مسح الله لهارون عليه السلام وبنيه أحبارا لبني يعقوب (بني إسرائيل) حيث نقرأ: "وَلِبَنِي هَارُونَ تَصْنَعُ أَقْمِصَةً، وَتَصْنَعُ لَهُمْ مَنَاطِقَ، وَتَصْنَعُ لَهُمْ عمائم تُعْطِيهِمْ كَرَامَةً وَجَلالا. وَتُلْبِسُ هَارُونَ أَخَاكَ إِيَّاهَا وَبَنِيهِ مَعَهُ، وَتَمْسَحُهُمْ وَتُكَرِّسُهُمْ وَتُطَهِّرُهُمْ لِيَكُونُوا أَحْبَارًا لِي" (سفر الخروج 40: 28-41). وهي الفكرة التي تجد صداها القويّ في الآية 4 من المزمور 110: "أَقْسَمَ اللهُ وَلَنْ يَتَرَاجَعَ فِي كَلامِهِ: أَنْتَ حبرٌ إِلَى الأَبَدِ عَلَى رُتْبَةِ المَلِكِ صَادِقَ"، كما تجد صداها بعد ذلك بقرون في الإنجيل في رسالة العبرانيين: "إنَّ كُلَّ رَئيسٍ للأَحبارِ إنّما هو رَجُلٌ تَمَّ تعيينُهُ مِن بَينِ البَشَرِ إمامًا يَنوبُ عَنهُم عِندَ اللهِ العَظيمِ، فيَرفَعُ للهِ الأَضاحي والقَرابينَ لِلتَّكفيرِ عنِ الخَطايا. وهو مُعَرَّضٌ مِثلُهُم لِلضَّعفِ البَشَريّ، فقد يَعطِفُ على النّاسِ الغافِلينَ الضّالّينَ. لذا عليهِ أن يُقَدِّمَ القَرابينَ، تكفيرًا عَمّا اقتَرَفَهُ مِنَ ذُنوبٍ، وبَعدَ ذلِكَ يُكَفِّرُ عَن خَطايا الأَنام. ولم يَكُن لأَحدٍ أن يَتَّخذَ لنَفسِهِ هذِهِ المَكانةَ الشَّريفةَ مِن تِلقاءِ نَفسِهِ، بَل كانَ اللهُ هو الّذي يَختارُ مَن يُريدُ لهذِهِ المَكانةِ، كَما اختارَ سَيِّدَنا هارونَ كَبيرًا للأَحبار. وكذلِكَ السَّيِّدُ المَسيحُ لم يَرفَع نَفسَهُ لِيَكونَ كَبيرَ الأَحبارِ، بَلِ اللهُ هو الّذي اختارَهُ لذلِكَ، إذ قالَ في الزَّبورِ: أنتَ أقرَبُ إليّ مِن الابنِ لأبيهِ، واليَومَ على العَرشِ أجلَسناكَ. وقالَ عَنهُ في المَزاميرِ أيضًا: "إنَّكَ أنتَ حَبرٌ إلى الأَبَدِ، على نِظامِ المَلِكِ صادِقٍ".

وترد الإشارة أيضا في عدّة مواضع من الكتاب المقدّس إلى المسيح كملك عظيم تدين له شعوب الأرض، ويتحقّق في عهده حلم العدل والسلام الشاملين، وهو الملك الذي صدحت بتمجيده حنينة لدى ولادة ابنها النبي صموئيل قائلة: "وأعداء

الله ينكسرون حين يُرعِدُ عليهم مِن عُلاه. الله هو الذي يجزي من في أقاصي الأرض ويشد أزر الملك الذي اختاره (مسيحه) ويمنحه النّصر والعِزّة".

وبالفعل مسح الله بعض رجال بني يعقوب ملوكا له كما هو الحال مع طالوت والنبي داود عليه السلام. إلاّ أنّ الوعد بمجيء ملك خارق لا مثيل له بين السابقين واللاحقين ظل قائما عبر التاريخ الطويل لبني يعقوب خصوصا بعد انهيار مملكة داود الأرضية وسقوط بني يعقوب في السبي واحتلال أراضيهم بعد ذلك، وهو الوعد الذي يدور عليه كتاب النبي زكريا آخر أنبياء العهد القديم، خصوصا عندما يقول متنبئا بحدث المجيء المستقبلي: "اِفْرَحُوا جِدًّا واهْتِفُوا يا أَهْلَ الْقُدْسِ! هَذا مَلِكُكُمْ يَأْتِي إِلَيْكُمْ صَالِحًا وَمَنْصُورًا، وَدِيعًا وَرَاكِبًا عَلَى دابتِهِ وَجَحْشِها. قال تعالى: سأُبِيدُ مَرْكَبَاتِ الْحَرْبِ مِنْ أَفْرَايِمَ، وَالْخَيْلَ مِنَ الْقُدْسِ، وَأُكَسِّرُ أَقْوَاسَ الْقِتَالِ. هَذَا الْمَلِكُ يُعْلِنُ السَّلامَ لِلأُمَمِ، وَيَمْتَدُّ مُلْكُهُ مِنَ الْبَحْرِ إِلَى الْبَحْرِ، وَمِنْ نَهْرِ الْفُرَاتِ إِلَى آخِرِ الأَرْضِ. ولأجلِ عَهدِيَ المَختوم بدَمِ الأضاحي أُطلِقُ أسرَاكِ مِنَ البئرِ الّتي لا ماءَ فيها، اِرْجِعُوا إِلَى الْحِصْنِ أَيُّهَا الأَسْرَى الَّذِينَ لَهُمْ رَجاءٌ، فَإِنِّي أُخْبِرُكُمُ الْيَوْمَ أَنِّي سَأُعْطِيكُمْ ضِعْفَ أُجْرَتِكُمْ" (كتاب النبي زكريا 9: 9-12).

والملاحظ أنّ الوعد بمجيء هذا الشخص العظيم نبيا، وحَبرا، وملكا قد تحقّق بالفعل بالنسبة إلى المسيحيين في شخص سيّدنا عيسى، فقد ورد في حديث سيّدنا عيسى مع المرأة السامرية التي التقاها على البئر في بلدة سوخار تأكيد قطعي لذلك، فعندما قالت له المرأة: "أعلم أنّ المسيحَ آتٍ، وهو مَن سيبيِّنُ لنا كلَّ شيءٍ". فأجابها: "ألاَ إنِّي أنا المسيحُ الذي يكلِّمك." (يوحنّا 25:4-26) فانطلقت المرأة إلى بلدتها تاركة جرّة مائها لتخبر الناس قائلة: "هلمُّوا إليّ لترَوا رجُلاً حدَّثني بكلِّ ما جرى معي من أمور! أتُراهُ المسيحُ المنتظَر؟!" (يوحنّا 29:4). وقبل ذلك، أخبر فيليب صديقه نثنائيل قائلا: "قدْ تعرَّفْنا على المسيحِ المُنتظر الّذي أخبر عنه النبيُّ موسى في التوراة، وكذلك الأنبياءُ في كُتُبِهم، إنّه عِيسَى بنُ يوسف من قرْيةِ الناصرة." ثمّ، عندما رَأَى سيدنا عيسى نَثَنَائِيلَ مُقْبِلاً إِلَيْهِ، فَقَالَ عَنْهُ: "حقًا، هذا رجلٌ مِنْ بني يعقوب صادقٌ غيرُ مُخَادِعٍ". فقالَ لَهُ نَثَنَائِيلُ: "وكيف عرفتني؟!" أَجَابَ سيدنا عيسى وَقَالَ لَهُ: "قد رأيتك جالسًا تحت شجرةِ التِّين قبل أن يدعُوك فِيليب." فقال نَثنائيل: "أيا مولانا، إنَّك حقًّا الابنُ الرُّوحيُّ للهِ، أنتَ الملك الذي ينتظِره بنو يعقوب!" فأجابه عيسى: "هل آمنت بي لمجرّدِ أنْ أخبرتُكَ أنَّني رأيتُك تحت شجرةِ التِّين؟ سَوف تشهد ما هُو

أعظمُ مِن ذلكَ وأبْهَى!" (انظر يوحنّا 45: 1-50). وغير ذلك من الشواهد في هذا الباب ما يضيق عنه هذا المقال.

إلاّ أنّ الشيء الذي كان يتجنّبه سيّدنا عيسى بشدّة، هو ربط رسالته بالشأن السياسي الضيّق لليهود، الذين كانوا يتصوّرون المسيح المنتظر آنذاك قائدا عسكريا دنيويا يحرّرهم من الرومان، ويقيم مملكة النبي داود الأرضية من جديد. وهو ما كان في نظر سيدنا عيسى تقليلا من شأن رسالته الكونية. لهذا السبب كان لا يتوانى عن انتهار مَنْ جهر بكونه المسيح المنتظر، مثلما حدث عندما حذّر الحواريين بسبب قول بطرس له إنه المسيح (مرقس 29: 8-30). وكما حدث عندما سأله بيلاطس "هل أنت ملك اليهود؟" فحدّد له سيدنا عيسى بدقة الفرق بين مفهوم المملكة الرّبّانيّة لديه، والمفهوم الضيق لدى اليهود: "لستُ ملكًا دنيويًا، ولوْ كان كذلكَ لدَافعَتْ حاشِيَتِي نفسُها عنِّي فلا يقْبِض اليَهودُ عليّ. ولكنَّ ممْلكَتي ليْستْ من هذا العالمِ" (يوحنّا 36: 18).

وعندما نأتي إلى المفهوم الإسلامي للمسيح نلاحظ أنّ كلمة "المسيح" كما وردت في القرآن تتضمّن مسافة توتّر واضح. فهي بصفتها دالاّ لسانيا signifier تحيل على مدلول signified أو مفهوم للمسيح يندرج ضمن التصوّر اليهودي والمسيحي لفكرة المسيح على أساس الحقل الدلالي الذي يؤطّره فعل المسح بالزيت. وهو التصوّر الذي يؤكده القرآن بمصادقته على الطرح المسيحي الذي يربط مفهوم المسيح باسم سيدنا عيسى. لكنّ هذه الفكرة سرعان ما تترك المكان لفجوة توتّر بينها وبين مدلول الآيات القرآنية التي وردت فيها كلمة المسيح، والتي تنحو نحو نقض الطرح اليهودي المسيحي لفكرة المسيح عموما والمسيح المنتظر بشكل خاص إذ تجعل منه مجرّد شخص عادي لا يختلف عن عباد الله الذين حملهم الله من قبل تبليغ رسالته:

(لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلاَ الْمَلاَئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا) [النساء: 172]

(مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) [المائدة: 75].

(لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [المائدة: 17] إلى غير ذلك من الآيات.

ورغم أنّ المفسرين واكبوا الطرح القرآني محاولين الانزياح به عن الطرح اليهودي المسيحي لمفهوم المسيح إلاّ أنّهم على العموم لم يستطيعوا التخلّص تماما من الأبعاد التّناصية intertextual التي احتفظت بها كلمة "المسيح" في انتقالها من نسق لغوي إلى آخر. فالقرطبي على سبيل المثال يشرح في تفسيره للقرآن كلمة المسيح كما يلي:

"وَالْمَسِيح لَقَب لِعِيسَى وَمَعْنَاهُ الصِّدِّيق؛ قَالَهُ إِبْرَاهِيم النَّخَعِيّ. وَهُوَ فِيمَا يُقَال مُعَرَّب وَأَصْله الشِّين وَهُوَ مُشْتَرَك. وَقَالَ اِبْن فَارِس: وَالْمَسِيح الْعِرْق، وَالْمَسِيح الصِّدِّيق، وَالْمَسِيح الدِّرْهَم الْأَطْلَس لاَ نَقْش فِيهِ (. . .) وَالْأَمْسَح: الْمَكَان الْأَمْلَس (. . .) وَبِفُلَانٍ مَسْحَة مِنْ جَمَال. وَالْمَسَائِح قِسِيّ جِيَاد، وَاحِدَتهَا مَسِيحَة. قَالَ: لَهَا مَسَائِح زُور فِي مَرَاكِضهَا/ لِين وَلَيْسَ بِهَا وَهْنٌ وَلاَ رَقَق. وَاخْتُلِفَ فِي الْمَسِيح اِبْن مَرْيَم مِمَّا ذَا أُخِذَ؛ فَقِيلَ: لِأَنَّهُ مَسَحَ الْأَرْض، أَيْ ذَهَبَ فِيهَا فَلَمْ يَسْتَكِنَّ بِكِنٍّ، وَرُوِيَ عَنْ اِبْن عَبَّاس أَنَّهُ كَانَ لاَ يَمْسَح ذَا عَاهَة إِلاَّ بَرِئَ؛ فَكَأَنَّهُ سُمِّيَ مَسِيحًا لِذَلِكَ، فَهُوَ عَلَى هَذَا فَعِيل بِمَعْنَى فَاعِل. وَقِيلَ: لِأَنَّهُ مَمْسُوح بِدُهْنِ الْبَرَكَة، كَانَتْ الْأَنْبِيَاء تُمْسَح بِهِ، طَيِّب الرَّائِحَة، فَإِذَا مُسِحَ عُلِمَ أَنَّهُ نَبِيّ. وَقِيلَ: لِأَنَّهُ كَانَ مَمْسُوح الْأَخْمَصَيْنِ. وَقِيلَ: لِأَنَّ الْجَمَال مَسَحَهُ، أَيْ أَصَابَهُ وَظَهَرَ عَلَيْهِ. وَقِيلَ: إِنَّمَا سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ مُسِحَ بِالطُّهْرِ مِنْ الذُّنُوب" (انظر تفسيره للآية 45 من سورة آل عمران).

فبالرغم من كلّ التفسيرات الواردة في الشاهد أعلاه نرى أنّ الأصل العبري للكلمة يبقى قائما سواء في قول القرطبي إنّ الكلمة معرّبة وأصلها الشين أي مشيح، أو في ذكره لفعل المسح بالزيت كشعيرة كانت معروفة لدى بني إسرائيل. وهذا ما عنيته بفجوة التوتّر قبل قليل.

ولكنّ هذا التوتّر والشحّ في تناول القرآن لفكرة المسيح المنتظر تقابله غزارة واضحة في كتب الحديث النبوي التي لا يكاد يخلو كتاب منها من التطرّق بشكل أو بآخر لمسألة المسيح المنتظر. على أنّها جميعا تذكر أنّ مجيء المسيح سيكون على شكل نزول من السماء بعد أن كان رُفع إليها أو ما يعرف بالمجيء الثاني لدى المسيحيين. ففي الصّحيحين البخاري ومسلم، نقرأ الحديث الشهير: "والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم- صلى الله عليه وسلم - حكماً مقسطاً، فيكسر

الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها" . ويورد مسلم في صحيحه أيضا قول الرسول: "لا تزال طائفة من أمّتي يقاتلون على الحقّ ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى ابن مريم - صلى الله عليه وسلم - فيقول أميرهم: تعال صلّ لنا، فيقول: لا إنّ بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة" . وممّا جاء في مسند الإمام أحمد وغيره حديث أبي هريرة الذي يقول فيه: "فيهلك الله الملل كلّها إلاّ الإسلام، ويهلك الله المسيح الدجّال، وتنزل الأمنة في الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنّمار مع البقر، والذئاب مع الغنم." وفي حديث أبي أمامة وسنده صحيح: "فيكون الذئب مع الغنم كأنه كلبها، ويمرّ الوليد على الأسد فلا يضرّه، وتمرّ الوليدة على الحية فلا تضرّها." وممّا رواه أيضا الديلمي والضياء المقدسي وصحّحه الألباني حديث أبي هريرة أنّ الرّسول قال: "طوبى لعيش بعد المسيح! طوبى لعيش بعد المسيح! يؤذن للسماء في القطر، ويؤذن للأرض في الإنبات، حتّى لو وضعت حبّك على الصفا لنبت" .

وبِغضّ النظر عن نبرة الصِّدام الواردة في هذه الأحاديث، والتي تعكس فجوة التوتر الملازمة لخطاب الإسلام عن المسيح، يُمكِننا بسهولة ملاحظة استنادها لمعجم النجاة المرتبط بمجيء المسيح المنقذ، والمألوف لدى الأنبياء الأوّلين كما عند النبي أشعيا حيث المسيح الآتي سوف: (يقضي بين الفقراء قسطًا وعدلاً، ويُنصف المستضعفين في الأرض. سيعاقب بكلمته مذنبي الدنيا، وبنفخةٍ منه يُميتُ الأشرار. يتّخذ الإخلاص والأمانة حزامًا يحيط بهما وسطه. وعندها، سيَسكن الذئب مع الخروف، ويرقد النّمر مع الجَدي. ويكون العِجل والخروف في أمان مع الأسد، ويقودهم جميعًا طفل صغيرٌ. وترعى البقرة بجوار الدّبّ ويبيتُ أولادُهما معًا، ويأكل الأسد التبنَ كالثور. ويلعب الرّضيع بكلّ أمان على وكرِ الأفعى، ويمدّ يده إلى جُحر الثعابين) (كتاب النبي أشعيا 4: 11-8).

يمكن القول كخلاصة لما سلف إنّ فكرة المسيح المنتظر في الإسلام هي فكرة محكومة بالالتباس والتوتّر نظرا إلى انعدام تطابق مصادر الشريعة الإسلامية بشأنها، وعلى الأخصّ القرآن والحديث، وأيضا للتعارض بين ظاهر النصوص في ارتباطها بالتراث المسيحاني " messianic literature " وبين مدلولاتها الإسلامية التي تسعى إلى نقض لبّ الرؤية المسيحانية. لكنّ ما هو إيجابي في هذا الالتباس والتوتّر هو أنّه لا

يُحْسَمُ لِجِهَةٍ دون أخرى على الرغم من محاولة الفقهاء القيام بذلك، بل يترك للباحث الموضوعيِّ مساحةَ حريةٍ تسمح له بالمزيد من التأمّل والمساءلة والبحث في هذه المسألة التي يمكن أن تتطوّر يوما ما إلى لبنة هامة في صرح الحوار المسيحي الإسلامي.

ألقاب السيد المسيح

المسيح

"المسيح" لقب يعني (الممسوح بالزيت) ويعني أيضًا (المختار). فقد كان الناس من بني يعقوب في زمن الأنبياء القدامى مثل داود وسليمان (عليهما السلام أجمعين) يسكبون الزيت على رأس الرجل الذي كان مختارًا لخدمة الله وأمّتهم. وعلى سبيل المثال فقد يدهن كلٌّ من رجال الدّين الأحبار والملوك الصالحين (وأحيانًا الأنبياء) بالزيت. وعملية سكب الزيت على رؤوسهم كانت ترمز إلى سكب أو حلول روح الله على هؤلاء الناس لتقويتهم لخدمة الله. وقد ورد في التوراة وفي غيرها من كتب الأنبياء أنّ من يُدعى المسيح هو من يكون في الغالب الملك المختار من سلالة النبي داودعليه السلام. وجاء واضحًا في عدد من الأناشيد في الزبور (أي المزامير) حول ملك بني يعقوب أنّه مختار من الله أو أنّه "ابن الله" وأنّه لذلك مسؤول عن إقامة عدالة الله وسلامه على الأرض. وهذا يعني إنصاف المقهورين والمظلومين، والفقراء منهم خاصّة. ولقد وعد الله النبي داود الملك بأن يظلّ الملك من سلالته على الدوام. ولكن بعد دمار مدينة القدس في العام 586 ق.م. بدا أنّ ذلك كان نهاية مملكة النبي داود وسلالته. ولكنّ بني يعقوب توقّعوا أن يحفظ الله وعده لهم بحفظ المملكة لسلالة داود من خلال تكليف المسيح المنتظر بإقامة العدالة على الأرض إلى الأبد.

الابن الروحي لله (ابن الله)

تستخدم هذه العبارة كثيرا في الإنجيل الشريف، وجاءت ترجمتها باللغة العربية في غالب الأحيان بـ"ابن الله"، لكن هذه العبارة لا علاقة لها مطلقا بالولادة أو بالإنجاب، معاذ الله! إذ أن استخدام كلمة "الابن" هنا هو استخدام مجازي بحت. وأصل استخدام هذه العبارة هو أنّ الملك عندما كان يعيّن خليفة له، أو نائبا فإنه كان يدعوه ابنه، بغضّ النظر عن وجود أو عدم وجود علاقة دموية تربطهما. فاللّقب لم يكن يشير إلى علاقة القرابة، بل إلى مسألة تفويض السلطة. وبهذا المعنى، يمكن القول إنّ لقب "ابن الله" في الإنجيل الشريف يشير إلى الملك الذي يدين له كلُّ الملوك بالولاء، والذي فوّضه الله خليفة له أي مُمَثّله الملموس الحبيب على

الأرض. وقد كان الإمبراطور الروماني يعتبر نفسه الجدير بهذا الدور، لذلك احتفظ بهذا اللقب لنفسه. وقد اتخّذ ملوك مصر (الفراعنة)، كذلك، هذا اللقب ليشيروا به إلى أنفسهم، كما استخدموا لقب "حبيب الإله فلان" لبيان قرب علاقتهم مع ذلك الإله. أمّا بالنسبة إلى اليهود ف "ابن الله" هو المسيح المنتظر، وهو مختار الله المنحدر من سلالة النبي داود ليكون ملكا على بني إسرائيل (بني يعقوب). ويخبرنا الإنجيل الشريف أنّ "ابن الله" هو الحاكم المفوّض من الله ليهيمن على خلقه إلى الأبد. لمزيد من المعلومات حول هذا اللّقب، يُمكن العودة إلى فهرس المصطلحات والأسماء.

الابن الرّوحي (الابن)

مع أنّ مستمعي سيدنا عيسى كانوا على علم بألقاب مثل "ابن الله" (أي الابن الروحي لله)، وابن داود ﷺ أي وريث عرش النبي داود)، وابن الانسان (يعني سيد البشر)، فإنّهم لم يفهموا جيدا عندما استعمل السيد المسيح لقب "الابن" (أي الابن الرّوحي). ومن المرجّح أنّهم حسبوا هذا اللقب اختصارا للقب أطول. وبسبب استخدام سيدنا عيسى النادر للقب "ابن داود" ولقب "ابن الله" فإنّ تعبير "الابن" يميل أكثر إلى أن يكون اختصارا للقب "ابن الإنسان" الذي كان سيدنا عيسى يفضل إطلاقه على نفسه. وكان السيد المسيح يستخدم هذا اللقب المختصر، كما يبدو، في بعض السياقات عندما كان يتكلم عن نفسه وعن الله ويتغيّر في إشارته بين الاثنين بسرعة، حيث كان استعمال التعبير الطويل صعبا. وفي هذه القراءة اعتمدنا مصطلح "الابن الرّوحي" بدل مصطلح "الابن".

وريث مملكة النبي داود ﷺ ابن داود)

كما ذكرنا سابقًا، أثاب الله تعالى النبي داود ﷺ على طاعته، ووعده بأن يكون الحاكم على بني يعقوب من ذريته على الدوام. وعند خراب القدس سنة 586 ق.م، بدا ذلك بمثابة نهاية لمملكة داود ولنسله، إلاّ أنّ بعض الناس كانوا يأملون أن تستعيد سلالة داود تلك المملكة. لذلك انتظروا ظهور الشخص الذي أطلقوا عليه لقب "وريث النبي داود" وهو الإنسان الذي بواسطته ستتمّ استعادة المملكة. وقد فهم كثير من اليهود عبارة "مملكة الله" فهما متعصّبا لأنّهم كانوا يرون أن المملكة تنحصر فيهم دون غيرهم، وقد أوضح السيد المسيح للناس ضمن تعاليمه عن المملكة

الرّبانية الموعودة، أنّ اهتمام الله يشمل جميع البشر على الأرض. ولم يكن تفضيله للقب "سيّد البشر" إلاّ جزءًا من هذا التوضيح.

سيّد البشر (ابن الإنسان)

غالبا ما كان سيدنا عيسى يتجنّب استخدام اسم "المسيح" أو "ابن داود" في إشارة إلى نفسه. وقد طلب أيضا من حوارييه ألاّ يدعوه بهذين اللقبين، وذلك تفاديا لاستمرارية الدلالات الوطنية الضيقة التي ارتبطت بهما في أذهان يهود القرن الأول للميلاد. كما تجنّب السيد المسيح وحواريوه استخدام لقب "الابن الروحي لله" (ابن الله) للسبب نفسه، ولتفادي الصدام مع السلطات الرومانية، إذ كان الإمبراطور الروماني يحتفظ بهذا اللقب لنفسه، ولا يسمح لأحد باستخدامه تحت طائلة تهمة الخيانة العظمى. ولم يبدأ سيدنا عيسى بالإشارة إلى نفسه على أنه "المسيح" و"ابن الله" بشكل أكثر علانية إلاّ في نهاية دعوته بين الناس أي عند اقتراب ساعة صلبه وبعثه حيا.

وكان السيد المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ يفضّل إطلاق لقب "سيّد البشر" على نفسه، ولفظه الحرفي باليونانية هو يقابل "ابن الإنسان". وربّما في هذا إشارة إلى النبوءة التي أشار إليها النبي دانيال في قوله: "ونظرت في الرؤيا في الليل فرأيت شخصًا يشبه ابن إنسان قادمًا في ظُلَلٍ مِنَ الغَمَامِ فأقبل إلى الله صاحب الأزل فقرّبوه من حضرته. فمنحه سلطة وجلالاً وقوّة ملكيَة، حتّى يخدمه الناس من مختلف الشعوب والأمم واللغات. سلطانه سلطان أبدي لا يزول، ومملكته لا تفنى" (كتاب النبي دانيال 7: 13-14) وهذه النبوءة عن "ابن الإنسان" إشارة إلى المنقذ الذي سيختاره الله ليحكم الناس في جميع أنحاء الأرض. وهو الذي سيدينهم أيضا بتفويض من الله يوم الدين (انظر يوحنا 5:27).

المعلّم

رغم أنّ سيّدنا المسيح كان يفضّل بشكل غير مباشر الإشارة إلى نفسه بلقب "سيّد البشر"، فإنّ حواريّيه لم يكونوا يستخدمون ذلك اللقب عندما كان بينهم، وحتّى عندما صعد إلى السماء لم يكونوا يستخدمونه إلاّ نادرا. ذلك أنّ اللقب الذي كانوا يفضّلون استخدامه عندما كان بينهم هو لقب "المعلّم" أو أيَّ لقب مماثل يليق

بالمقام المحترم لقائد مجموعة من التلاميذ أو المريدين. وقد كان سيدنا عيسى عادة ما يطلب من حوارييه ألاّ يكشفوا هوّيته الحقيقية حتى يحين الوقت المناسب.

سيّدنا أو مولانا

بصرف النظر عن لقب "المسيح"، أصبح لقب "سيدنا" أو "مولانا" أكثر ألقابه شيوعا لدى أتباعه عَلَيْنَا سَلَامُهُ بعد قيامه من الموت. فقد أدركوا أنّ هذا اللقب يعني سيادة السيد المسيح على الخلق جميعا (انظر سيرة الحواريين 36:10)، وليس مجرد منقذ لبني يعقوب أو ملك عليهم.

وقد كان لهذا اللقب وقع قوي داخل الإمبراطوريه الرومانية، إذ كان الإمبراطور نفسه يدعى سيدا ومولى، (وهو لقب كان أكثر تداولا من لقب "ابن الله"). ولقد تعرّض أتباع سيدنا المسيح الأوائل لاضطهاد شديد بسبب استخدامهم لهذا اللقب، حيث وُجهوا بتهمة خيانة الحكومة الرومانية "لأَنَّهم يُبايِعُون مَلِكًا غيْرَ الإمبراطور اسْمُهُ عيسى" (سيرة الحواريين 7:17).

لقد تمّت ترجمة اسم الله "يهوه" في كتب الأنبياء القديمة من اللغة العبرية إلى اللغة اليونانية بكلمة "كيريوس" "kurios"، دون أداة التعريف. وهي نفس الكلمة التي تُستخدم أيضا في ترجمة لقب "سيدنا" إلى اللغة اليونانية للإشارة إلى المسيح، وتكون عادة مقترنة بأداة التعريف. هكذا نجد إذن، تمييزا واضحا بين الاستخدام اللّغوي للكلمتين في اللغة اليونانية، وهو تمييز حافظت عليه ترجمات الإنجيل الشريف إلى لغات أخرى مثل الآرامية. ولكنْ، للأسف، لم تحترم العديد من ترجمات الإنجيل إلى العربية هذا التمييز الموجود في النص اليوناني، بحيث دأبوا على دعوة سيدنا عيسى "الربّ عيسى" (الربّ يسوع). وهي ترجمة غير دقيقة للاستخدام اليوناني.

رسول الله المقدّس

يبرز هذا اللقب برّ المسيح الكامل لله، مع إشارة خاصّة للمهمة الفريدة التي خصّصه الله لها وأرسله إلى العالم من أجلها.

المنتظر مجيئه إلى هذا العالم

يستخدم هذا اللقب للدلالة على المسيح المنتظر، وقد استخدمته مارثا أخت لَعازَر في إشارة إلى سيدنا عيسى (انظر يوحنا 27:11). كما استخدم السّامريّون لقبا مماثلا للإشارة إلى المنقذ الموعود "الذي يأتي" (انظر يوحنا 25:4).

كلمة الله

"كلمة الله" هو لقب لسيدنا المسيح ورد في الوحي الذي سجّله يوحنا الحواري. وقد كانت هذه العبارة مألوفة لدى اليهود، إذ كانت لا تعني فقط طرائق كشف الله عن ذاته للإنسان، بل أيضا قدرته التي أوجد بواسطتها جميع الأشياء كخالق وحفيظ. ويمكن العثور على بدايات تشكّل هذا المفهوم في كتاب الزبور (المزامير) في الآية: "وقَالَ كَلِمَةً فَكَانَ. وَأَمَرَ فَصَارَ!". (مزمور 6:33). وفي الفترة التي تسبق السيد المسيح بمائتي أو ثلاثمائة سنة جاء في بعض النصوص المقدّسة تصوير لكلمة الله أو لحكمته وكأنّها إنسان، ثم أصبحت هذه الصورة لكلمة الله أمرا مألوفا عند الناس. ودأب الناس في دُور العبادة كلّ أسبوع على سماع الترجوم الآرامي الذي هو عبارة عن ترجمات التوراة وغيرها من كتب الأنبياء الأولين. وكانت كلمة الله في هذه الترجمات تبدو كهيئة قد تجلّى الله من خلالها، وبواسطتها خلق العالم، وصار يتدبّر شؤون الكون، ويتواصل مع البشر، ويكشف عن ذاته. فبكلمة الله خلق الله النور في اليوم أوّل من أيام الخلق. وإذا كان النصّ العبري يقول إنّ الله تجلّى للنبي سليمان، فإن الترجمة الآرامية تقول إنّ كلمة الله (memra) تجلّت أمامه وكلّمته. كما أنّ كتابات يهودية أخرى انتشرت قبل زمن السيد المسيح بقليل كانت تتحدّث عن كلمة الله الشافية والحافظة والعادلة بالنسبة إلى كلّ من توكّل عليه.

لقد كان الحواريّ يوحنا يختصر أحيانا لقب "كلمة الله" إلى مجرّد "الكلمة". وبذلك، أقام حلقة وصل مع الإغريق الذين كان فلاسفتهم يستخدمون عبارة "الكلمة"، للإشارة إلى مبدأ الخلق الذي ينظّم الكون. وهكذا، كشف يوحنّا للفريقين اليهود والإغريق أنّ "الكلمة" ليست قوّة مجرّدة فقط، بل إنّ السيد المسيح هو كلمة الله الأزلية التي بها خلق الله العالم ولم يزل حفيظا عليه، والتي إذ صارت بشرا، جعلت مجد الله مرئيّا في العالم.

علاقة السيد المسيح بالله

لقد تعلّم السيد المسيح قراءة الكتب المقدسة والصلاة كأي طفل نشأ في أحضان أسرة يهودية في القرن الأول للميلاد. فقد كان يذهب كل أسبوع إلى بيت العبادة بمسقط رأسه الناصرة حيث حفظ الكثير من فصول الكتب المقدسة. واستظهر العديد من الصلوات التي شكّلت جزءا من الشعائر التعبدية عند اليهود، وكان ممّا دأب على سماعه هذه الكلمات:

"يا بَنِي يعقوب اسْمَعُوا وَعوا، اللهُ هو الواحِدُ الأحَدُ، فَأَحِبُّوا اللهَ ربَّكُمْ مِنْ كُلِّ قُلُوبِكُمْ وَنُفُوسِكُمْ وَقوَّتِكُمْ" (التوراة، سفر التثنية 4:6-5).

ولقد وردت أول إشارة إلى تشكّل وعي السيد المسيح بخصوصية علاقته بالله في قصة زيارته الأولى إلى القدس، قصد الاحتفال بعيد الفصح (وهو عيد الانعتاق من نير العبودية في مصر) عندما كان عمره اثنتي عشرة سنة. فحين بحثت عنه أمّه مريم وزوجها يوسف، وعثرا عليه في حرم بيت الله منهمكا في حوار مع كبار رجال الدين، وسألاه القدوم أجابهما قائلا: "لا عليكُما، ألا تَعلَمانِ أنّهُ يَجِبُ أن أهتَمَّ بشُؤونِ ولِيّ أمري؟!" (لوقا 2:49) وممّا يثير الاهتمام هنا أن النصّ اليوناني يذكر أن السيد المسيح تحدّث عن الله بلفظ يقابل كلمة "أب".

وعندما بلغ السيد المسيح الثلاثين من عمره بدأ دعوته بين الناس، فتطهّر بالتغطيس في نهر الأردن على يد ابن خالته النبي يحيى بن زكريا: "وعِنْد خُروجِه مِنَ المَاء، رأى السَّماواتِ وقَدِ انشقّتْ، ورُوحُ الله عليْهِ كحَمامَةٍ نزَلتْ، وسُمِعَ صوتٌ من السَّماء يقولُ: أنتَ الحَبيبُ، الابنُ الرُّوحيُّ لي، وقد رَضِيتُ بكَ كُلَّ الرِّضى" (مرقس 1:10-11). وسوف نرى بعد قليل أن هذه الكلمات مقتبسة من الزبور (المزامير) وهي تشير في سياقها الأصلي إلى النبي داود كخليفة لله أو حبيب الله. وسوف تساعدنا هذه الخلفية التوراتية على فهم قصد المسيح عندما تكلّم عن الله كـ"أب" أو عندما قال عنه "أبي".

وهناك عبارات هامة جدا تلخص كل الإشارات الغريبة والعجيبة التي كان السيد المسيح يتكلّم بها عن نفسه: "قد أوكَلَ إليّ اللهُ أبي الصَّمَدُ أمرَ كُلِّ شَيء، ولا أحَدَ يَعرِفُ حَقيقتي إلاّ هو، ولا أحَدَ يَعرِفُ حَقيقةَ اللهِ الأبِ الصَّمَدِ إلاّ أنا الابنُ الرُّوحيُّ لهُ تَعالى، والنّاسُ الّذينَ أرَدتُ أن أكشِفَ لهُم عَنها" (متّى 27 : 11).

لقد لقّن السيد المسيح أتباعه صلاة، عُرفت فيما بعد بالصلاة الربانية، وهي تبدأ بهذه الكلمات التي تطابق اللفظ الأصلي للصلاة: "أبانا الذي في السماوات". وهذه العبارة ليست جديدة، لأن اليهود قد دأبوا على استخدامها في صلواتهم لعدة قرون، وهي تشير إلى انتمائهم إلى أمّة الله، ويكون اللهَ لهم أبا وهم له أبناء. واللافت للنظر أن السيّد المسيح استخدم عبارة ليس من حق أحد أن يلفظها إلا المسيح الملك، وذلك عندما خاطب الله في صلواته الخاصة مستخدما الكلمة الآرامية "abba" التي تتطابق مع كلمة "أبي". من ذلك أنّ المسيح عندما كان يصلي قبيل أن يعتقله قادة اليهود كان يتضرّع إلى الله قائلا: "يا اللهُ أنتَ أبي الصَّمَدُ (حرفيّا: أَبّا، يا أَبي)، أنْتَ القَادِرُ علَى كُلِّ شَيْءٍ، أبْعِدْ عَنّي كَأسَ الآلامِ هذِهِ، ولكنْ يَا رَبِّ لِيَكُنْ مَا تُرِيدُ لا مَا أرِيدُ" (مرقس 14 : 36). ولم يسبق لأي يهودي من قبل أن كانت له الجرأة على مخاطبة الله بهذه الكلمة، لأنها تعني أنّه المسيح الملك الأبدي المختار حقّا، إذ ليس من حق أحد غير المسيح المنتظر أن يخاطب الله بعبارة "أبي". لذلك كانت إشارة المسيح هذه دلالة على إيمانه العميق بوجود علاقة خاصّة تربطه بالله.

لقد أصبحت تسميتا "الابن" و"ابن الله" من التسميات الأكثر تداولا بين المسيحيين بخصوص السيد المسيح، ولكنّهما أصبحتا كذلك من أعسر التسميات على الفهم. وإذا أردنا فهم قصد السيد المسيح عندما يصف نفسه بتلك الصفة فإننا نحتاج إلى فهم معاني تلك الكلمات في التوراة. وهنا تستوقفنا أمور بالغة الأهمية:

الأمر الأوّل:

تأتي الكلمات الدالّة على الابن (ben, bar)، في النص الكتابي باللغتين العبرية والآرامية، في عدد كبير من العبارات الاصطلاحية والمجازية، ضمن التعامل مع العلاقات بين الناس فيما بينهم، وبينهم وبين المجتمع، ثم بين الناس والمجتمع والقادة من جهة والله من جهة ثانية. غير أنّنا نجد من ناحية أخرى في بعض اللغات، أن التعابير الدالّة على القرابة أو النسب لا تستعمل بشكل مجازي، أي أن كلمة "ابن"

تعني الابن "البيولوجي" لا غير ولا تستعمل بشكل واسع أو بشكل مجازي للإشارة إلى العلاقات الأخرى، بل إنّ كلمة "ابن" لا تشير إلى ابن الأخ أو ابن الأخت أو ابن الزوجة أو ابن الزوج أو الابن بالتّبني.

وكان لا بدّ أن تُفهم التعابير باللغتين العبرية والآرامية لـ "أبناء الله" أو "ابن الله"، في مثل هذه اللغات التي أشرنا إليها آنفا، فهما حرفيّا، دون الانتباه إلى الاختلافات اللغوية والسياقيّة والاجتماعيّة للكلمة، وهو ما جعل الناس يفكّرون بأن المرجع في عبارة "ابن الله" هو علاقة النسب.

ولقد تعمّق هذا الفهم في الثقافات التي تتحرّك داخل عقيدة تقوم على الشرك، والتي يوجد العديد منها حتى اليوم، فكان أن تُرجمت عبارة "ابن الله" ترجمة فورية سطحيّة، لأن الآلهة في هذه الثقافات تنجب آلهة أخرى. وأشهر هذه الثقافات ثقافة العالم اليوناني الروماني القديم التي وفّرت الأرضية العقائديّة القائمة على الشرك وكان ذلك قبل انتشار المسيحيّة، وهو ما يطرح إمكانية سوء فهم هذه المصطلحات اليهودية: "الابن" و"الأب"، فاعتبرت إشارة إلى أن الله أنجب إلها آخر.

ويشير العالم اليهودي كلوسنير (Klausner) في كتابه، إلى أن "ابن الله" كان تعبيرا رمزيا شاعريا شائعا عند اليهود. ولكن الوثنيين (غير اليهود) الذين كانوا يعتقدون أن بعض عظمائهم مثل اسكندر الكبير وأفلاطون وفيثاغورس... كانوا أولاد آلهة عاشرت نساء عاديات، ولذلك رأوا في تعبير "ابن الله" علاقة بيولوجية حقيقية بين عيسى والله."[1]

الأمر الثاني:

تتمّ الإشارة إلى الله بصفته أبا لبني يعقوب، والفكرة هنا هي أن الله يهتمّ بقوم ميثاقه اهتمام رب الأسرة (الأب) بأبنائه (أو عياله). فكما أن الأبناء مطالبون بالانصياع لسلطة أبيهم وطاعته، كذلك بنو يعقوب (أي بنو إسرائيل) مطالبون بالإقرار بهيمنة الله على حياتهم والانقياد لإرادته. يقول النبي أشعيا عليه السلام في إحدى صلواته: "وَمَعَ ذَلِكَ فَأَنْتَ يا الله أَبُونَا، نَحْنُ الطِّينُ وَأَنْتَ الْخزَّافُ، وَكُلُّنَا عَمَلُ يَدَيْكَ" (أشعيا 8:64).

(1) Klausner, Joseph, The Messianic Idea in Israel, New York: The Macmillan Company, 1955, p.527.

ولقد أشار جريلوت ورينارد (Grelot and Renard) إلى أن اللغة العبرية تستعمل غالباً كلمة الابن داخل تركيب إضافة للدلالة على الانتساب كما في "أبناء إسرائيل" و"أبناء بابل" (انظر حزقيال 23: 17)، و"أبناء تصيون" (الزبور، مزمور 149: 2)، و"أبناء الأنبياء" (كتاب الملوك الثاني 2: 5)، و"أبناء الإنسان" (حزقيال 2: 1، دانيال 8: 17).(1)

ونجد في الإنجيل في سجلّ متّى 17: 25، أن "أبناء" الملوك هم في الحقيقة مواطنوهم، وذلك في مقابل الآخرين المغلوب على أمرهم. وفي متّى كذلك 13: 38 نرى أنّ "أبناء المملكة" هم أبناء مملكة الله. وبشكل مشابه ترد العبارة "أبناء الله" في الكتاب المقدّس (أي عيال الله)، وتُستخدم في حالتي المفرد والجمع للإشارة إلى الأفراد والناس، والملائكة الذين ينتسبون تلقائياً إلى الله ويتمتعون بفضله الخاصّ.

لقد دعا الله بني إسرائيل ومن معهم أن يقبلوا منه عهداً حتى يكونوا قوم ميثاقه المخلصين المختارين؛ فيرعاهم "كأب" (انظر التوراة، سفر التثنية 32: 6؛ كتاب النبي ارميا 31: 9)، ويتحدون معه كـ"ابنه" أو "أبنائه". وفي الإنجيل الشريف، يكون "أبناء الله" هم "أبناء المملكة" (متّى 13: 38)، فهم الذين قبلهم الله ولهم منه حياة أبدية معه في مملكته.

الأمر الثالث:

عندما يتكلم بنو يعقوب عن الله كأب فإنهم يمثّلون الابن بشكل جماعي. فقد أوحى الله إلى النبي موسى ﷺ وهو يلقنه الكلام الذي سيقوله لفرعون، لحثه على السماح لبني يعقوب بالهجرة من أرض مصر: "وعليك أن تخبر فرعون أنّ الله تعالى يقول: بنو يعقوب عيالي الشرفاء. وإنّا أمرناك أَن تُطلق عيالي ليعبدوني، ولكنّك رفضتَ. لذلك سنهلك أوّل أبنائك وأشرفهم" (التوراة، سفر الخروج 22:4-23). ثم بعد ذلك بعدة قرون أرسل الله الوحي عن هجرة بني يعقوب من مصر على لسان النبي هوشع قائلا: "عِنْدَمَا كَانَ شعبُ بَني يعقوبَ صَغِيراً أَحْبَبْتُهُ، فدَعوتُ الابنَ

---

(1) Grelot, Pierre and Renard, Henri (1988), 'Son of God', in Xavier Léon-Dufour (ed.), Dictionary of Biblical Theology (2nd edn., London: Geoffrey Chapman), 561-63.

الرُّوحيَّ لي ليَخرُجَ مِن مِصرَ" (كتاب النبي هوشع 1: 11). ففي هاتين الآيتين يخاطب الله قوم بني يعقوب مستخدما كلمة " ابني" لأنه يقيم بينه وبينهم علاقة خاصّة، فهم لا يشركون به ولا يعبدون آلهة بقيّة الأمم، وهو يعتبرهم قوما اختاره وفضّله بمحبّته.

ومن هنا فإن البنوّة مرتبطة بالعهد الذي يقوم بين الله وعبده الصالح. ففي كتاب النبي أيوب 1: 6، 2: 1، 38: 7، تنطبق عبارة "أبناء الله" (عيال الله) على الصالحين المقيمين في السماء، ومن المحتمل أن يكون المقصود بذلك الملائكة الأمناء. ولكون الكلمة العبرية "ملاك" تعني "الرسول" فمن المحتمل أنّ هذا الاستعمال في كتاب النبي أيوب يعني كل الكائنات السماوية، سواء كانوا في الحقيقة رسلا أم لا. وتُستعمل هذه العبارة في معنى مشابه لهذا في الإنجيل (لوقا 20: 36)، عندما يتحدّث عن المؤمنين المنبعثين أي المقيمين في دار الخلد حيث يُدْعَوْنَ "أبناء البعث" أو "أبناء القيامة".

ونجد في القرن الأول للميلاد استعمالات إضافية لكنها أقلّ شيوعاً. فقد كانت عبارة "أبناء الله \ عيال الله" تشير إلى اليهود الذين دعاهم الله إلى إرضائه فيصطفيهم تعالى. وإذا جاز التعبير، فإنّ هؤلاء كانوا بني إسرائيل الحقيقيين، فمن ذلك قوله: "الرجل المستقيم... يدعو نفسه ابن الله ... ويتفاخر بأن الله أبوه." (كتاب الحكمة 2: 12، 16). أو قوله: "لماذا أُعتبر ضمن أبناء الله؟ ولماذا نصيبه مع الصالحين؟" (الحكمة 5: 5). ونجد كذلك "ليكن أبا لليتامى، وبدلاً من الزوج لأمهاتهم، وستكون بذلك مثل ابن لله العلي، وهو سيحبّك أكثر ممّا تحبّك أمّك" (كتاب سيراخ 4: 10).

ونجد هذا الاستعمال نفسه في الإنجيل، (متّى 5: 44-45 ولوقا 6: 35). فعبارة "أبناء الله (أهل بيت الله)" هناك تبدو دلالتها في مقاربة صفات الله الرفيعة والأخلاقية، مع الضمان بأن يصبحوا شيئاً خاصاً لحسناته وحبّه الأبوي. "أَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ، وادُعوا بالخير لمُضطهِديكم، فتُصبِحونَ بذلِكَ مِن أَهلِ بَيتِ اللهِ أبيكم الرَّحمَن في عُلاهُ" هكذا نرى، أن مصطلح "أبناء" بصفة عامّة يعنى الناس الذين يطيعون أو يتبعون من نُسبوا إليه، أو الذين مُيزوا ببعض الميزات، أو الذين يشتركون في أمر ما مثل الحياة الآخرة أو نور الله. وفي الإنجيل الشريف تعني

عبارة "أبناء الله \ عيال الله \ أهل بيت الله" عموماً الناسَ الذين رضي الله عنهم، أي أنّهم مواطنو مملكته الموعودة، وقد أُطلق عليهم أيضاً مصطلح "الصالحين".

الأمر الرابع:

يوصف ملك بني يعقوب أحيانا بـ"الابن" لأنه ينوب عن الله في حكم قومه، ونجد هذه الفكرة في الكلمات التي خاطب بها الله النبي داود الملك (من خلال النبي ناثان. فقد خاطب الله النبي داود عليه السلام في معرض حديثه عن النبي سليمان عليه السلام الذي سوف يرث عرش أبيه ويشيّد بيت الله في الحرم الشريف قائلا: "وسأُجعلُك تستوي على عرش حكمك دون أعداء. أنا الله أُخبرك أنّي سأُقيم لكَ بيتًا، فمن ذرّيّتك يكون الملوك. وعندما تنتهي أيام حياتك وتدفن في مرقدك مع آبائك، أقيم خلفًا لك من صُلبك وأثبت مُلكه. إنّ خلفك هو الذي يقيم لي بيتًا لإكرام اسمي، وأُثبّت عرش مُلكه إلى الأبد. وأكون له في مقام الأب وهو يكون في مقام ابني الروحي، وإذا ارتكب السوء أُؤدّبه، فأسلّط عليه شعوبا أخرى، فتقوّمه بضرباتها" (كتاب النبي صموئيل الثاني 11:7-14). وقد وردت فكرة الملك الابن أيضا في تعبير شعري في الزبور (المزامير) الذي يشير إلى تتويج الملك، حين يقول النبي داود: "وَهَا أَنَا أُعْلِنُ مَا قَضَى بِهِ الله: أوحى الله إليّ: «أَنْتَ ابْنِي، يا من على العرش اليوم أجلسناك. سنورّثُكَ الأمم، والأرض بأكملها، ومن عليها" (مزمور 7:2).

لقد كان شائعا في الشرق الأدنى القديم أن يُطلق لقب "ابن الله" على الملك بعد تتويجه، وقد يزعم الملك أنّه "الله" ذاته. ومن المعلوم أنّ أهميّة هذا اللقب تكمن في فعاليّته وما يوفّره من هيبة وهيمنة أكثر من كونه لقبا ذا حقيقة وجوديّة. ومع ذلك فقد أصبح بعض الملوك متغطرسين وادّعوا أنهم آلهة. ويعني لقب "ابن الله" أنّ لهم سلطة من الله أو من الآلهة ليحكموا الناس الخاضعين لهم، والذين لم يكونوا هم أنفسهم خاضعين إلاّ لله الواحد أو بالنسبة إلى الوثنيين للآلهة المتعدّدة.

ونجد بمصطلحات مشابهة استعملت عند بني إسرائيل أيضاً. ففي زمن النبي موسى، كان بالنسبة إلى فرعون بمثابة "إله" (التوراة، الخروج 4: 16؛ 7: 1)، والقادة الأبطال المبكرون (المعروفون بالقضاة) كانوا يسمون "آلهة" (الخروج 22: 8، 9)، وهذا شأن الحكّام (الزبور، مزمور 82: 1، 6) والملك (مزمور 45: 6-9؛ كتاب النبي أشعيا 9: 6). وعلى كلّ فإنّ مصطلح "ابن الله" كان أكثر شيوعا. ويذكر نيومن

وستان Newman and Stine (521 /1988) تعريفاً واسعاً لذلك إذ كتبوا: "في كتب الأنبياء الأولين وفي اليهودية، تُستعمل عبارة "ابن الله" بشكل متكرّر للأشخاص الذين اختارهم الله ليعملوا نيابة عنه لفائدة قومه."[1] وكان هذا اللقب ملائماً للملك كممثل لهم أمام الله، وكخليقة الله فيهم. وأشارت هذه الاستعارة إلى أن سلطة الملك تنبع من الله وأنّ مملكته أمانة من الله أيضا، وهم لا شكّ سيحاسبهم الله.

يتّضح ممّا سبق أن بني يعقوب كانوا ينظرون إلى أنفسهم بمثابة "الابن" وإلى الله بمثابة "الأب" بشكل مجازي لا غير. فلم يكن القصد وراء استخدام استعارة الأب/الابن تبيان أصل الشعب أو الملك أو المكان الذي قدموا منه، بل كان القصد التعبير عن العلاقة القائمة بين الله وقوم ميثاقه بصفة عامة وبين الله والملك بصفة خاصّة. وهي علاقة تشبه أية علاقة وطيدة بين أب وابنه.

لقد كان لملك بني يعقوب مكانة خاصة في زمن الأنبياء القدماء لأنه كان يمثّل الله. وكان النبي داود عليه السلام يُعتبر أعظم ملوك بني يعقوب على الإطلاق. أمّا الملوك الآخرون الذين أتوا من بعده فمنهم من كان مخلصا لله مطيعا، ومنهم من كان شريرا انحرف بشعبه عن الصراط المستقيم. ومع سبي بني يعقوب إلى بابل انتهت سلالة هؤلاء الملوك. إلا أن الناس بدؤوا بعد قرون عديدة من ذلك يتوقون إلى مجيء ملك آخر من آل بيت النبي داود باعتباره ملكا نموذجيا، فانتظروا قدوم ملك عليهم يخشى الله، وقادر على بسط الأمن والنماء والعدل ليس بين بني شعبه فقط بل بين الأمم جميعًا.

ثم تطورت تدريجيا هذه الأفكار كلّها وتبلورت في فكرة واحدة، هي فكرة "المسيح" التي تعني بكل بساطة الرجل "المدهون أو الممسوح رأسه بالزيت". وقد كانت هذه الشعيرة الخاصّة بمسح رأس الملك بالزيت تعبيرا عن تعيينه للقيام بدوره الخاصّ باعتباره ممثلا لله وخليفته على الأرض. وهكذا ظلّ بنو يعقوب لعدة قرون ينتظرون بشوق كبير الوقت الذي يستعيدون فيه حريتهم واستقلالهم، تحت قيادة ملكهم الممسوح (المسيح) الذي يحكم بالعدل ويبسط حكم الله على الأرض.

---

(1) Newman, Barclay Moon and Philip C. Stine, A Handbook on the Gospel of Matthew, New York: American Bible Society, 1988, p.521

واستنادا إلى المعلومات الحضارية التي توصّل إليها الباحثون بخصوص التوراة وغيرها من كتب الأنبياء الأوّلين، يمكننا أن نفهم قصد السيد المسيح عندما استخدم مفردات "الأب" و"الابن" للتعبير عن علاقته الخاصّة مع الله. وينبغي أن نفقه خمس نقاط أساسية لنفهم ما يرمي إليه السيد المسيح عندما تكلّم عن الله كـ"أب" أو عندما قال "أبي" أو عندما أشار إلى نفسه كـ"ابن". وهذه النقاط الخمسة هي:

النقطة الأولى:

عندما يشير السيد المسيح إلى الله كـ"أب" وإلى نفسه كـ"ابن" فهو يتكلم بشكل مجازي. وهذا الاستخدام البلاغي الموجود في التوراة يراد به تحديد العلاقة القائمة بين الله وقوم ميثاقه وليس في ذلك أية إشارة إلى مسألة الأصل أو الولادة البشريّة - تعالى الله عن ذلك علوّا كبيرا.

النقطة الثانية:

استعارة الأب/الابن مستقاة من التوراة، والزبور، وغيرهما من كتب الأنبياء الأولين. ولم يكن يخطر ببال اليهود أبدا فهم كلمتي الأب والابن في إطارهما الجنسي الحرفي الضيق، مثلما هو حال الوثنيين الذين كانوا يؤمنون بتعدّد الآلهة، وبإنجابها للبنين والبنات.

النقطة الثالثة:

عندما يشير السيد المسيح إلى نفسه كـ"ابن" فإنه يواصل التعبير المتواتر عند قومه، وهم شعب بني يعقوب. فالمسيح يرمز، في الحقيقة، وبطريقة خاصّة، إلى هذا الشعب. ففي حين بدا من بني يعقوب عصيان أمر الله، ظهر من السيد المسيح خضوع كليّ لإرادته. والشعب الذي عاهده الله، واختاره ليكون نورا وبركة لباقي الأمم فشل في ذلك، فجاء السيد المسيح لكي يتمّم تلك المهمّة التي تخلّى عنها بنو يعقوب.

النقطة الرابعة:

هناك أمر ما فريد في العلاقة بين السيد المسيح والله. فبينما خاطب بنو يعقوب الله مستخدمين عبارة "أبانا" بصيغة الجمع ليشيروا إلى انتمائهم إلى أمّته، نجد أن السيد المسيح يذهب أبعد من ذلك بكثير ويخاطب الله مستخدما عبارة "أبي". وفي ذلك

تعبير عن كونه المسيح الملك المنتظر، المقرّب إلى الله، لأنّ هذه العبارة بهذه الصيغة الضيّقة لا يحقّ لأحد أن يستعملها إلاّ المسيح المنتظر.

النقطة الخامسة:

منح السيد المسيح أتباعه حق معرفة الله كـ"أب". فعندما يفكر أتباع السيد المسيح في أنفسهم كأهل بيت الله، فإنهم يؤمنون أن السيد المسيح هو من منحهم أحقية هذا الانتساب. ولقد سجّل الحواري يوحنا الكلام التالي: "وأمّا الّذِينَ اسْتَجَابُوا له وآمَنُوا به، فقدْ مَنَحَهُمُ الحَقَّ في أنْ يكُونُوا عِيَالَ الله. ولَيسَت هذِهِ البُنُوَّةُ ذاتَ طَبيعةٍ بَشَريّةٍ، بل إنّ اللهَ هو مَن أسبَغَ عليهِم تِلكَ الصِّفةَ فجَعَلَهُم عِيالَهُ" (يوحنا 1: 12-13).

كما كتب الحواري بولس إلى أتباع السيد المسيح قائلا: "أمّا أنتُم في غَلاطيَةَ، يا مَن آمَنتُم بالسَّيِّدِ المَسيحِ، فقد أصبَحتُم أيضًا مِن أهلِ بَيتِ اللهِ، وكانَ سَيِّدُنا عيسى، الابنُ الرُّوحيُّ للهِ، وَسيلَةَ رُوحِهِ تَعالى إلى قُلوبِنا، وإنّكُم لَتَقولونَ مُقتَدينَ بِروحِهِ تَقَدَّسَ وتَعالى: "يا اللهُ أنتَ أبونا الرَّحمنُ!" (الرسالة إلى أحباب الله في غلاطية 4:6).

لم يكن في استطاعة الذين سجّلوا وحي الإنجيل سوى استخدام مثل هذه اللغة الجريئة لأنهم كانوا على بيّنة من مقاصد السيد المسيح عندما تكلّم عن علاقته بالله، مستخدما مفردات "الأب" و"الابن". كما أن أتباع السيد المسيح استخدموا عبارة "ابن الله" (الابن الروحيّ لله) كأحد أهم أسماء السيد المسيح، وكانوا بذلك شهودا على علاقة الحبّ الأزلية التي تجمع بين الله والمسيح بقدرة روحه تقدّس وتعالى.

معنى عبارة "ابن الله"

النص الإنجيلي الذي تناولته الترجمات العربية التاريخية يستخدم كثيراً عبارة "ابن الله"، وهو ما أثار الكثير من التساؤلات، وكان سبباً في سوء التفاهم المؤسف بين الإخوة المسيحيين والمسلمين. لذلك أصبح مُهِمًّا العمل على توضيح ما تعنيه وما لا تعنيه هذه العبارة في الإنجيل الشريف.

الله تبارك وتعالى لم يتّخذ صاحبة، ولم ينجب أولاداً من صاحبة، سبحانه وتعالى عن ذلك، فهذه الفكرة مرفوضة تماماً عند المسيحيين والمسلمين على السواء. وبهذا المعنى يتّفق الإنجيل الشريف على أن الله لم يلد ولم يولد ولم يكن له كُفُؤاً أحد.

في هذه الحالة، إذ كان الإنجيل الشريف لا يعني أية علاقة جسدية، ولا أية ولادة تناسلية، فما المقصود من عبارة "ابن الله" التي تظهر في الإنجيل الشريف؟ لنسجّل أولاً أن كلمات النصوص السماوية تحتمل عدة وجوه، حسب سياق الآيات التي تظهر فيها وأسباب نزولها. ففي القرآن الكريم تعني كلمة "أمر" فريضة، كما تعني أحياناً مسألة. وبذلك يكون المقصود في عبارة "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" (سورة التوبة 67) هو الفريضة، بينما في سياق آخر مثل "قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ" (سورة الأنعام 58) يكون المقصود هو المسألة، وهكذا نرى أن اللفظ الواحد يحتمل عدة وجوه حسب سياق الآيات وسبب نزولها.

إن كلمة "ابن" تحتمل كذلك أكثر من معنى، حيث يمكن أن يقصد بها معناها الحرفي المرتبط بولادة الطفل من علاقة جسدية بين أب وأم، كما يمكن أن تأخذ معنى مجازياً رمزياً أو روحياً. فالعرب يقولون مثلاً إنَّ فلاناً "ابن الوطن" أو "ابن البلد" أو "ابن النيل". وهذا لا يعني أن كلاً من الوطن أو البلد أو النيل اتّخذ صاحبة وأنجب منها أولاداً. سيكون الأمر مضحكاً إذا نحن قصدنا ذلك. إذ إن الكلمة "ابن" في هذه العبارات تشير ببساطة إلى العلاقة العميقة من حيث الهُويّة بين شخص ما وأحد الأمكنة.

واللغة العربية تستخدم كلمة "الأب" بشكل مجازي رمزي أيضاً. فكنية "أبو عمار" لا تعني أن لصاحبها ولداً اسمه عمار، بل تعني رمزياً أن هذا الشخص مهندس

وهب قسطاً كبيراً من حياته لبناء بلده. والطبيب الفيلسوف أبو البركات البغدادي (ت 470 هـ/ 1077 م) سمي كذلك لأن الناس اعتبروه مصدر بركات في حياتهم.

كما أنّ اللغة العربية تستخدم كلمة "الأخ" بشكلٍ مجازي رمزي. فحين يخاطب شخص ما شخصاً آخر بكلمة "أخي" لا يعني ذلك أنهما ينتميان جسدياً إلى أب واحد. بل الكلمة إقرار بإنتمائهما الإنساني المشترك الذي قد يتضمن، أو لا يتضمن، العنصر الديني.

هناك عبارة مهمّة جداً في اللغة العربية هي عبارة "بنت شفة"، وهي تفيد كل كلمة يتفوّه بها شخص ما. فالقول "لم ينبس ببنت شفة" يعني أنه لم يتفوَّه بأية كلمة. إذ ليس المقصود أن شفتي الشخص قد اتَّخذتا صاحبة وأنجبتا بنتاً هي كلمته، بل المقصود أن الكلمة التي يتفوه بها الشخص هي بمثابة بنت رمزية له لكونها تنبع من ذاته وتعبّر عن شخصه.

والجميع يعرف كذلك عبارة "ابن السبيل" (انظر سورة البقرة 177 و215، سورة النساء 36، سورة الأنفال 41، سورة التوبة 60، سورة الإسراء 26، سورة الروم 38، سورة الحشر 7). فالعبارة لا تعني أنّ السبيل اتّخذ صاحبة وأنجب ولداً، بل تعني أن ابن السبيل هو شخص ضرب كثيراً في الطريق، لدرجة أنّ علاقة وثيقة تطوّرت بينه وبين السبيل، حتى إن الناس يفكّرون في الطريق بمجرد أن يروه.

كلمة "ابن" استُخدمت بشكل رمزيٍّ روحي في الحديث الصحيح أيضاً. حيث يقول نبي الإسلام مثلاً: "أنا أولى الناس بعيسى الأنبياء أبناء علات وليس بيني وبين عيسى نبي". والعلات تعني حرفياً الجواري. لكن الحديث الشريف لا يعني طبعاً أن الأنبياء كانوا أبناء جوارٍ. معاذ الله! فعبارة "أبناء علات" تعني فقط إنتماءهم لأب واحد من أمهات مختلفات. وهذا أيضاً لا يعني أنهم أبناء أب واحد أنجبهم جسدياً من أمهات مختلفات. فهذا أمر غير معقول! إنَّ الحديث يرمي إلى وجود رابط روحاني وطيد ووشيجة مشتركة بين جميع الأنباء لكونهم يخدمون إلهاً واحداً. هكذا نرى أن كلمة "ابن" يمكن أن تستخدم للدلالة على رابطة روحانية عميقة دون أن تتضمّن أية إشارة إلى المعنى الحرفي للعلاقة الجسدية.

وفي التراث الصوفي يطغى إستخدام هذه اللغة الرمزية للتعبير عن العلاقة الحميمة بين الإنسان وربه، فهم يشبهون عشقهم لله بالفراشة المنجذبة نحو النار. لكنهم لا يقصدون بذلك أنهم فراشات بالمعنى الحرفي للكلمة، أو أن الله عبارة عن لهيب نار.

كما أنهم يشبهون هذا العشق الإلهي بالعلاقة بين العاشق والمعشوق. لكنهم لا يستخدمون هذه الكلمات بالمعنى الحرفي المرتبط بعلاقات العشق بين بني البشر. لهذا ينبغي النظر إلى عبارة "ابن الله" على أنها إشارة للعلاقة الروحية العميقة التي لا تتضمن المعنى الجسدي للبنوة.

فالإنجيل الشريف لا يستخدم عبارة "ابن الله" بالمعنى الجسدي، بل نراها هنالك تتضمن ثلاث دلالات رمزية على الأقل:

أولاً: جميع الناس، بمعنى ما، هم أبناء الله. نقرأ في سيرة الحواريين (17: 28 – 29): "إنّما نَحنُ عِيالُ اللهِ".

لكننا نعرف أن هذا لا يعني أننا أبناء الله بالمعنى الحرفي للكلمة، أي أبناؤه كما لو أنه أنجبنا. معاذ الله! فالعبارة تعني بشكل رمزي أن الله يحبنا مثلما يحب الأب الودود أبناءه. الله يهتم بنا، ويعتني بنا، ويؤدبنا، ويعلّمنا، ويطعمنا، إلخ. وهذا المعنى، رغم وروده في روايات الإنجيل الشريف بشكل عام، ليس المعنى المقصود في رواية الإنجيل التي نحن بصدد دراستها.

ثانيا: هناك معنى خاص لعبارة "ابن الله" نجده في إعلان الإنجيل الشريف أن كل الذين يؤمنون بالسيد المسيح ﷺ يصبحون عيال لله. وهذا المعنى حاضر في الإنجيل الشريف الذي نحن بصدده والذي يقول مشيراً إلى السيد المسيح: "وأمّا الّذينَ اسْتَجابُوا له وآمَنُوا به فقدْ مَنَحَهُمُ الحَقَّ في أنْ يكُونُوا عِيالَ الله، ولَيسَت هذِهِ البُنُوَّةُ ذاتَ طَبيعةٍ بَشَريّةٍ بل إنّ اللهَ هُوَ مَنْ أسْبَغَ عليهِمْ تلكَ الصِّفة فجعَلَهُم عِيالَهُ" (يوحنا 1: 12– 13).

هذا المقطع يقصي بشكل واضح أي معنى حرفي لعبارة "ابن الله". فهؤلاء عيال الله لا من الناحية الجسدية، ولكن بمعنى أن الله يتبنّاهم روحيًا. الله يحبّهم ويعتني بهم مثلما يحب الأب الحنون أبناءَه ويعتني بهم.

ثالثاً: يستخدم الإنجيل الشريف عبارة "ابن الله" بشكل خاص للإشارة إلى الملك العظيم الذي كان بنو إسرائيل ينتظرون قدومه حسب نبوءات التوراة وغيرها من كتب الأنبياء الأوّلين. نقرأ في كتب الأوّلين أن النبي داود ﷺ أراد أن يبني بيتاً لتمجيد الله ولكن الله لم يسمح بذلك، وأوحى إليه:

"وإذا تَمَّت أيّامُكَ لِتَنْصَرفَ إلى آبائِك، أُقيمُ مَن يَخلُفُكَ مِنْ نَسْلِكَ الَّذي يَكونُ مِن بَنيكَ، وأُثَبِّتُ مُلكه، فهو يَبني لي بيتاً وأنا أُثَبِّتُ عَرْشَه لِلأبَد. أنا أكونُ له في مَقامِ

الأبِ وَهُو يَكونُ لِيَ في مَقامِ الابنِ، وأَمَّا رَحمَتي فلا أنزعُها عنه كما نَزَعتُها عنِ الَّذِي كان قَبلَكَ. وأُقيمُه في بَيتي وفي مُلكي لِلأبد، ويكون عرشهُ ثابِتاً لِلأَبد" (كتاب أخبار الأيّام الأوّل 17: 11 - 14).

يبدو لأَوَّل وهلة أن هذه النبوءة تشير بمعنى ما إلى النبي سليمان ابن داود عليه السلام الذي ورث عرش الملك عن أبيه، وبنى بيت الله المقدّس. لكننا حين نتأمل كلماتها أكثر نجد أن الحديث عن الابن الذي سيُثبَّت الله مملكته إلى الأبد لا يمكن أن ينطبق على سيدنا سليمان، لأن هذا الأخير توفي وورث الملك من بعده ملك آخر. لذلك نقول إن هذه النبوءة تشير إلى شخص آخر من نسل النبي داود سيثبت الله مملكته إلى الأبد.

بسبب هذه النبوءة صار بنو إسرائيل كلما اشتدت عليهم وطأة الجور والاضطهاد ينتظرون أن يبعث الله بينهم ملكاً باراً يحكم فيهم إلى الأبد، تماماً مثلما ينتظر المسلمون الشيعة اليوم قدوم الإمام المهدي. وقد كان بنو إسرائيل يطلقون على هذا الملك المنتظر اسم "المسيح" ومعناه في اللغة العبرية "ذاك الذي مسحه الله علامة على منحه سلطة السيادة". وكانوا يسمونه أيضاً "ابن الله" لأنّ الله أوحى إلى النبي داود: "أَنا أكونُ له في مَقامِ الأبِ وَهُو يَكونُ لِيَ في مَقامِ الابنِ، وأَمَّا رَحمَتي فلا أنزعُها عنه".

ويبدو واضحاً من هذه الآية أن كلمتي "ابن" و"أب" لا تتضمّنان أي معنى من معاني البنوّة الجسدية تجاه الله. فالمسيح المنتظر ينحدر جسدياً من نسل النبي داود. وبذلك نقول إن إشارة الآية إلى المسيح كابن لله هي إشارة رمزية تنبني على رباط المحبة والرحمة تجاه المسيح المنتظر.

هكذا يؤكد الإنجيل الشريف أنّ سيدنا عيسى المسيح سلامه عليه تحقّقت فيه هذه النبوءة. وكان هو المسيح المنتظر، الملك العظيم. وبهذا المعنى تصبح عبارتا "المسيح المنتظر" و"ابن الله" مترادفتين من حيث تضمُّنهما المعنى نفسه في العديد من آيات الإنجيل الشريف الذي نحن بصدد دراسته. ومن هذه المواضع:

يوحنا (1: 49). وفيه نرى نثنائيل أحد الحواريين الأوَّلين يقول لسيدنا عيسى المسيح سلامه عليه: "أيا مَولانا، إنَّكَ حقًّا الابنُ الرُّوحيُّ للهِ، أنتَ المَلِكُ الّذي يَنتَظِرُه بَنو يَعقوبَ".

يوحنا (11: 27). وفيه تقول مرثا إحدى الأتباع مخاطبةً سيدنا عيسى المسيح ﷺ: "أجل يا مَولاي، ما زِلتُ على عَهدي مُؤمِنَةً بأنّكَ أنتَ المَسيحُ الابنُ الرُّوحيُّ للهِ، الّذي كُنّا نَنتظِرُ مَجيئَهُ إلى هذا العالَمِ".

يوحنا (20: 31): "وإنّ ما وَرَدَ ذِكرُهُ مِن مُعجِزاتِهِ ﷺ في هذا الكِتابِ إنّما لتَكونوا على يَقينٍ بأنّ عيسى ﷺ هو المَسيحُ المُنتَظَرُ، الابنُ الرُّوحيُّ للهِ، فتَحصُلوا بفَضلِ إيمانِكُم بِهِ على نَعمةِ الحَياةِ الخالِدةِ".

نلاحظ في هذه الآيات كلها أن عبارة "ابن الله" تعني ببساطة "المسيح المنتظر، الملك العظيم" كما لا تتضمّن أية إشارة إلى أي شكل من أشكال البنوة الجسدية.

جاء في الإنجيل الشريف أنّ اللهَ مُحِبٌ لعباده محبة الأب لأسرته، إذ يصف الله بأنّه رب بيت المؤمنين، ويصف المؤمنين بأنّهم من أهل بيته. والمقصود بذلك أنّ اللهَ يحبّ المؤمنين ويعتني بهم أكثر مما يعتني أبٌ بشري صالح بأولاده، وهم بدورهم يحبّونه ويسعون إلى طاعته وتعظيمه. أما السيد المسيح ﷺ، فمقامه عند الله حسب النص الأصلي للإنجيل كمقام البكر الذي يتولّى أمر أفراد العائلة وأمر الخدم في البيت، وأحيانًا تضاف كلمة "الفريد" في وصفه. فهذا اللقب يشير إلى الصلة الحميمة بين الله والمسيح، وعلى هذا الأساس يمنح المسيح أتباعه الحق ليكونوا أهل بيت الله. وهذا اللقب يعني أيضا أنّه المسيح الملك المنتظر الذي يَمْلِك على المملكة الأبدية التي وعد الله بها عباده الصالحين.

وهناك بُعد آخر لهوية السيد المسيح لا بدّ من الإشارة إليه. وفي بعض الآيات ترى إشارةً لكيان السيد المسيح ﷺ، فهو كلمة الله التي ألقاها إلى مريم العذراء وأصبحت إنسانًا بقوّة روح الله. وحسب الإنجيل كلمة الله هي صفة قائمة في ذاته تعالى. ومن هذا المنطلق نستطيع أن نرى كيف يكون لدى سيدنا عيسى المسيح ﷺ سلطة على بيت الله كسلطة الابن البكر عند الناس.

وبناء على ذلك يمكن القول إنَّه إذا كان يحق لكل نبي أن يقول: "مَن سمعني فقد سمع الله"، فإن الإنجيل الشريف يؤكد أن كلام الله قد أصبح إنسانًا قابلاً للرؤية بالنسبة لبني البشر، وذلك في شخص السيد المسيح الذي قال: "حقًّا إنَّ مَن رآني رأى تَجَلّي اللهِ الأبِ الرَّحمنِ في بَشَرٍ".

روح الله (الرّوح القدس)

سوف نتحدّث في هذا البحث عن روح الله في أربع نقاط كما يلي:

1.هويّة روح الله.

❊ من هي روح الله؟

❊ علاقة روح الله بذات الله.

2. تأييد روح الله للمسيح (في ولادته، في دعوته، في معجزاته، في تضحيته بحياته، في قيامته).

3. عمل روح الله في العالم (مع الضّالين، مع المهتدين).

4. ألقاب روح الله في ارتباطها بعملها.

❊ المعين "البارقليط" (انظر يوحنّا 14: 16، 26، 15: 26، 16: 7).

❊ روح الحقّ.

أوّلا هويّة روح الله:

تُعلمنا الكتب المقدّسة للأديان السّماوية أنّ الله واحد كائن بذاته وحيٌّ بروحه وناطق بكلمته. فإنْ كان سُبحانَه حيًّا برُوحه فهذه الرّوح التي يحيا بها عزّ وجلّ هي روحٌ مقدَّسة، لأنّ الله قدّوس. ولذلك سُمّيت روحُه الرّوح القدس، والبعضُ يظنُّ أنّ روح الله هي روح مخلوقة مختلفة عن الله، والبعضُ الآخر يظنُّ أنّها أحدُ ملائكة الله كجبريل أو ملاكٍ آخر. غير أنّنا نجد آيات التّوراة تَنسِب إلى الروح القدس أعمال الله عزّ وجلّ. يقول النبيُّ أيّوب: "رُوحُ اللهِ صَنَعَتنِي وَنَسَمَةُ الْقَدِيرِ أَحْيَتْنِي" (كتاب النبي أيّوب 33: 4). وفي هذه الآية الكريمة نجد أنّ روح الله هي الّتي تَخْلِق، فالله يَخلِق بروحه، ونجد تكرارا لهذه الفكرة في التّوراة في كتاب التّكوين حين يقول عن خلق الله سبحانه وتعالى للإنسان وخلق الله الإنسان من أديم الأرض، من تراب خلقه، ونفخ فيه من روحه، فأصبح آدم إنسانا ينبضُ بالحياة" (سفر التكوين 2: 7). فالله جلَّ جلالُه أبدع في خلق الإنسان ونفخ فيه من روحه وبذلك صار سيّدُنا آدمُ نفَسًا حيَّة. وهكذا،

صرنا بالمثل كائناتٍ حيَّةً عاقلة ناطقة. ومن هنا، نعلم أنّ روح الله القدّوس هي من الله فهي ذاتُ الله، إذ يُعزى إليها أعمالُ الله سبحانه وتعالى.

وتذكر روح الله في القرآن عدَّة مرّاتٍ بعبارة "روح القدس". ومن هذه الآيات ما جاء في سورة النّحل (16) الآية 102 (قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ اُلْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِاُلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ اُلَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسلِمِينَ) ويؤمن غالبيّة المسلمين أنّ روح القدس هو جبريل، لأنّه ملاك، والملاك روحٌ، ولأنّه ينقل كلمة الله، فهو بمعنى خاصٍّ، روحٌ مُقدَّسٌ جدّاً.

وتوجد آياتٌ أخرى يصعب فيها فهمُ المقصود بروح القدُس. من ذلك بعضُ الآيات القرآنية التي تشير بـ"روح قدُس" إلى دعوة سيّدنا عيسى المسيح.

(وأتينا عيسى ابن مريم البيّنات وأيّدناه بروح القدس)[1].

ومن المفسرين والمتقدمين من علماء المسلمين من اعتبر القُدُس هو الله. يقول ابن كثير ملخّصا هذا المعنى عمّن سبقه: "وقال أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس: القدس هو الرب تبارك وتعالى. وهو قول كعب... وحكى القرطبي عن مجاهد والحسن البصري أنهما قالا القدس: هو الله تعالى، وروحه: جبريل."[2] ويقول الرازي مفصّلا حضور الروح القدس في مسيرة السيد المسيح: "قال الحسن في تفسير الآية: القدُس هو الله تعالى، وروحُه جبريل عليه السلام، ومعنى القول: أعنّاه بجبريل في أوّل أمره، وفي وسطه وفي آخره. أمّا أوّل الأمر فلقوله: فنفخنا فيه من روحنا. وأمّا في وسطه، فإنّ جبريل عليه السّلام علّمه العلومَ وحفِظَه من الأعداء. وأمّا في آخر الأمر، فحين أرادت اليهودُ قتلَهُ أعانه جبريلُ عليه السّلام، ورفعه إلى السّماء."[3]

وقال ابن عبّاس: إنّ روح القدس هو الاسم الذي كان يُحيِي به عيسى الموتى.[4]

وقال أبو مسلم: إنّ روح القدس الذي أُيِّد به يجوز أن يكون الرّوحَ الطّاهرة التي نفخها الله تعالى فيه، وأبانه عن غيره ممّن خلق من اجتماع نطفتي الذكر والأنثى.

---

(1) البقرة، سورة 2، الآية 87، والآية 253..

(2) **ابن كثير، تفسير القرآن العظيم**، ج 1، ص 323.

(3) **الرازي**، فخر الدين الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج 3، ص 436.

(4) **الطبري، جامع البيان**، ج 2، ص 321؛ **ابن كثير، تفسير القرآن العظيم**، ج 1، ص 124.

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾[1]

والرّأيُ الشّائع هو أنّ "روح القُدُس"، في هذه الآيات، يُشير مرّة أخرى إلى الملاك جبريل. ولبعض المُفسِّرين الأوائلِ آراءٌ أخرى، مثل ابن زيد، وابن عباس، وابن أنس. تواترت حتى وصلت إلى البيضاوي (685هـ/1282 م)، والسيوطي (911هـ/1505م)، وأهمّ معاني روح القدس عندهم:

1 - الرّوح الذي نفخه الله في عيسى،[2]

2 - الإنجيل الذي أنزله الله على عيسى،[3]

3 - أحد أسماء الله الّذي يسمو فوق كلّ اسمٍ والذي استحضره عيسى لإتمام المعجزات مثل معجزة إقامة الموتى.[4] وعلى أساسٍ ما ورد في هذه التّفاسير، نرى أنّه وقع تفسيرُ "روح القدُس" بأنّه شيء أعظمُ من ملاكٍ، إنّه شيء من الله ونزل من عند الله.

وبالعودة إلى الإنجيل الشريف، نجد أنّه يشير أيضاً إلى روح الله بأنّها الرّوح القدس، لأنّها روح الله ومن الله. وهذا التّعبيرُ "الرّوح القدُس" لا يُستعمل إطلاقاً في الإنجيل للإشارة إلى جبريل أو كائن مخلوق آخر. بل يُستخدم دائماً في الإشارة إلى الذات الإلهية.

تأييد روح الله للسيد المسيح في ولادته، ودعوته، ومعجزاته، وقيامته من الأموات:

وُلد سيّدنا المسيح بطريقة مُعجزةٍ لم يسبقه أحدٌ إليها أو يَتْبَعْهُ فيها. إذ وُلد من عذراء لم يقربها رجل. وهذا الميلاد الفريد كان وراءه عملٌ عظيم من الله سبحانه

(1) المائدة، سورة رقم 5، الآية رقم 110.

(2) **ابن كثير**، **تفسير القرآن العظيم**، ج 1، ص 323؛ **البيضاوي**، **تفسير البيضاوي**، ج 1، ص 357.

(3) **الطبري**، **جامع البيان**، ج 1، ص 404؛ **ابن كثير**، **تفسير القرآن العظيم**،ج 1، ص 124؛ **البيضاوي**، المرجع نفسه ونفس الصفحة...

(4) **الثعالبي**، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ج 1، ص 86؛ **البغوي**، **معالم التنزيل**، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ج 1، ص 120...

وتعالى إذ يُعلِّمنا الإنجيل أنّ الرّوح القُدُس حلّ على مريم وزرَعَ في رَحِمِهَا النّطفة الّتي صارت جنينًا ثمّ طفلا ?أمّا قصّة الميلاد الشّريف لسيّدنا عيسى المسيح فهي كما يلي: كانت هناك فتاة صالحة تدعى مريم، عُقِد قرانها على رجل اسمه يوسف. وقبْل اقترانِهما الفِعليّ تبيّن له أنّها تحمل في أحشائها جنينا من روح الله" (متّى 1: 18).

ويؤيّد القرآنُ ذلك إذ يذكر أن الله تعالى أرسل روحه إلى مريم فتمثّل لها بشرا سويّا ونفخ فيها من روحه، فكان سيدنا عيسى كلمة الله وروح منه.

وكان سيدنا عيسى، لمّا كبُرَ، يجُول ويُعلِّمُ الناس ويدعوهم إلى التّوبة إلى الله والإنابة إليه. وكان سبحانه وتعالى يؤيّد دعوته بالرّوح القدس: "وبعد أن تطهّر سَيِّدُنا عيسى بماء الأردن، غادَرَ مُنقادًا بروح الله التي أخذته إلى البراري والقفار" (لوقا 4: 1).

وفي ما يتعلّق بمعجزاته، فقد كانت روح الله تؤيّد المسيح عيسى في صنع المعجزات "أمّا أنا فأطرد الشياطين بقوّة روح الله، وهذا دليل على أنّ قيام المملكة الربّانيّة قد حلّ حقًّا" (متّى 12: 28).

أمّا عن قيامته من الأمواتِ، فقد أقامت روحُ الله المسيحَ عيسى من الموت مُنتصرا على القبر وغالبًا شوْكَةَ المَوْتِ "إنّ اللهَ أقامَ بروحِهِ سَيِّدَنا عيسى مِن المَوتِ خالِدًا، وأحَلَّ رُوحَهُ فيكُم. فكَما بَعَثَ اللهُ سَيِّدَنا عيسى مِن المَوتِ، فإنّهُ سيَبعَثُكُم أيضًا برُوحِهِ ويَجعَلُكُم مِن الخالِدينَ". (الإنجيل، سفر روما 8: 11).

(إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ)[1] إنّ المسيح روح من الله يصدر منه صدور الكلمة من الذات الناطقة.

فإذا اعتبرنا المقصودَ بـ(أيّدناه بروح القدس) أنّها روحُ المسيح الشّريفةُ العالية القدُسيّة - كما قال الرّازي في تفسيره أي الرّوح الّتي تؤيّد السيد المسيح في ذاته وشخصيّته، كان السيد المسيح روحَ الله القدس، فهو أسمى من أن يكون مجرّد مخلوق، ذلك أنّه ينطوي على روح الله .

(1) النساء، سورة رقم 4، الآية 171.

وإذا اعتبرنا المقصود بـ(أيّدناه بروح القدُس) أنّها روح القدُس الذّات القائمة بنفسها والّتي تؤيّد السيد المسيح في سيرته ورسالته، كان المسيح أيضاً أسمى من مجرّد مخلوق. وفي كلتا الحالتيْن فإنّ تأييدَ المسيح بروح القدس يرفعه فوق المخلوق.

وإضافةً إلى ما سبق، إذ يمتاز التعبير في قوله (كلمته ألقاها إلى مريم وروح منه) عن سائر التّعابير القرآنية. فهو يُحدِّدُ ذاتَ المسيح بأنّها روحٌ منه تعالى، أي صادرة منه، لا عن طريق الخلق بل عن طريق الصّدور. وهو ما يدلّ عليه ترادُفُ الإسْمَيْن "كلمته" و"روح منه". فهو روحٌ منه تعالى يصدر منه صدورَ الكلمة من الذّات النّاطقة في حديثها النّفسي، وبما أنّه لا حدوث في الله، فإنّ كلمته في ذاته غيرُ مُحدَثة أو الرّوح منه غيرُ محدث.

عمل روح الله في العالم مع الضّالّين:

نعلم جميعا أنّ الله رحيم غفور مُحِبٌّ، يريد أنْ يعبُدَه كلُّ بني آدم بالحقّ، وأنْ يُخلِصُوا في تقواهم وأنْ يتقرّبُوا إليه بالإيمان، ولكنْ لدينا مشكلة خطيرة! فاللهُ القدّوس لا يتعامل إلاّ مع قلب طاهر، لذلك يجب أن تكون قلوبنا مُطهَّرة مِنْ كلِّ مرَضٍ وفسادٍ. ويجب أنْ تُغفرَ خطايانا - وليس الغفران غفرانا وقتيًّا فقط عن طريق تغطيتها ببعض الأعمال الصّالحة، بل وجب أن تكون خطايانا مغفورة تماماً ومغسولة نهائيًّا. وهذا الغفرانُ والتّطهيرُ لا يُمكن أنْ يحدث إلاّ للّذين يؤمنون بسيدنا عيسى المسيح الذي أعلن مرّة فقال: "جاء في كتاب الله أنّ على المسيح المنتظر مقاساةَ آلام كثيرة. ثمّ يموت ثم يبعث حيًّا بعد ثلاثة أيّام. وستُزفُّ إلى كلِّ الأمم رسالةُ التّوبة وبشائرُ غفران الذّنوب لكلِّ مَنْ يؤمن بي ويدعو باسمي، بدءًا من القدس" (الإنجيل، لوقا 24: 46و47).

وهذه هي الاجابة الدقيقة عن هذا السّؤال، لماذا جاء سيدنا عيسى المسيحُ إلى العالم؟ لقد جاء ليحُلَّ قضيّة الخطيئة في حياتنا. لقد دفع عقوبة المعصية ضدّ قداسة الله، وتدنيس كرامته، التي لا يمكننا إطلاقاً أن ندفعها. فكانت رسالة السيد المسيح، أن يعلن رحمة الله كمُنجٍ للجنس البشري، بسبب استعدادِه أنْ يتحمّل العقاب عن معصيتنا، نيابةً عنّا، فنستطيع أنْ ننال غفران المعاصي باسمه - فالقلب المريض

(سورة البقرة 2: 10) يمكن أن يحلَّ محلَّه قلبٌ طاهرٌ، وهذا العمل من قبيل تطهيرِ القلب وتنقية النّفس يتمّ بواسطة عمل روح الله. وهذا العمل هو عطيَّةٌ منَ الله إلى كلّ إنسان، فالله هو الوهّاب الكريم. ولذلك، يدعونا الإنجيل الشّريف جميعا للتوبة باسم سيّدِنا عيسى المسيح.

تُوبوا إلى اللهِ، وليُؤمِنْ كُلُّ مِنكُم بِسَيِّدِنا عيسى المَسيحِ المُنتَظَرِ، وتَطَهَّروا بالماءِ صِبغةً للهِ حتّى تَستَطيعوا الانضِمامَ إلى جَماعتِهِ، فيَغفِرَ اللهُ ذُنُوبَكُم وتَحصُلوا على هِبَةِ رُوحِهِ تَقَدَّسَ وتَعالى، فلقد وَعَدَ اللهُ أن يَهَبَكُم رُوحَهُ، وهو وَعدٌ لأبنائِكُم أيضًا، وللأغرابِ البَعيدينَ كذلِكَ، نَعَم هو ذاكَ، لكُلِّ الّذينَ يَختارُهُم اللهُ ليَكونوا مِن أُمَّتِهِ" (سيرة الحواريّين 2: 38و39).

ولا يواصل الإنجيل تعليمه حول التّطهير بروح الله فحسب، بل يعلّمنا كيف نعيش بما تمليه علينا روح الله، فهذه الآية مثلاً تقول:

"فافهَموا قَصدي: اقتَدوا بِروحِ اللهِ، إنّها تَحميكُم مِن هَوى النَّفسِ وأَعمالِها، لأنّ ما تُريدُهُ النَّفسُ يُخالِفُ إرشادَ رُوحِ اللهِ، فكُلٌّ مِنهُما يُحارِبُ الآخَرَ. . . ".

فالأعمالُ النّاتِجةُ عَن أَهواءِ النَّفسِ واضِحةٌ، إنّها الفَحشاءُ واتِّباعُ الشَّهَواتِ والفُجورُ، وعِبادةُ الأصنامِ والسِّحرُ والبُغضُ والهَيَجانُ والغيرةُ والنِّزاعُ والأنانيَّةُ والتَّحَزُّبُ والخِصامُ والحَسَدُ وَالسُّكْرُ والمُجونُ، إلى آخِرِهِ، وكَما حَذَّرتُكم سابِقًا، فإنّي أُكَرِّرُ تَحذيرَكُم مَرّةً أُخرى، إنَّ الّذينَ يَمضونَ في ارتِكابِ هذِهِ الخَطايا، لن يَكونَ لهُم نَصيبٌ في المَملَكةِ الرَّبّانيّةِ المَوعودةِ" (رسالة غلاطية 5: 16 – 17، 19 – 20).

ومع أنّ هذه الكلمات قد أُوحي بها منذ ألفيْ سنة، إلاّ أنّ هذه القضايا ذاتها تميّز الآن الصّراع بين الخير والشرّ، بين المؤمنين وغير المؤمنين. ولا نستطيع أن نحيا الحياة الرّوحيّة التي تُرضى الله سبحانه وتعالى ونتّبع روحه إلاّ باستعدادنا لقبول عمل روح الله في قلوبنا.

عمل روح الله في العالم مع المهتدين:

جاءت روح الله لتمنح عباد الله قوّة. ولقد وردت هذه الفكرة في آيةٍ أخرى من القرآن تشير إلى المؤمنين المُخلصين لله:

﴿أولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ (سورة المجادلة (58: 22).

نرى هنا أنّ جميع النّاس الصّالحين والأبرار يقوّيهم الله بروحه تعالى. والكلمة المُستَخدَمة "روح منه" قويّةٌ جدّا ودقيقة. فمتَى قدَّم أيُّ واحدٍ قلبَه المؤمن الطاهر لله، فالله يقبله لا ريب، ثمّ يقوّيه بالرّوح السّماويّة الّتي لا نستطيع أن نعرّفها تعريفاً وافياً كما أنّنا لا نستطيع أن نعرّف بلغتنا البشريّة ذات الله وصفاته. وهذه الآيةُ فريدةٌ من نوعها في القرآن، ذلك أنّها الوحيدة التي تتكلّم عن المؤمن العاديّ بأنّه يتأيّد بروح الله.

وجاءت في الإنجيلِ الفكرة ذاتها التي تقول بأنّ الله يؤيّد عباده المؤمنين بروحه ويقوّيهم، ويشجّعهم بقوّة هذه الرّوح:

"ومِن أجلِكُم أسألُهُ تَعالى السَّنَدَ والتّأييدَ، وأن يَمنَحَكُم بِرُوحِهِ القُوّةَ في أعماقِكُم حَسَبَ غِناهُ المَجيدِ" (الرّسالة إلى أحباب الله في أفاسوس 3: 16).

ألقاب روح الله في ارتباطها بعملها:

المُعين "البارقليط":

من أشهر ألقاب روح الله في الإنجيل والذي استخدمه السيد المسيح هو "البارقليط" وهذه الكلمة تأتي من اللّغة اليونانية وتعني المُعين، وقد اختلط الأمر على البعض بين هذه الكلمة وبين كلمة أخرى مشابهة في الحروف الهجائية ولكنها مختلفة تماما عنها، ذلك أنّ البعض تصوّر أنَّ لفظ "بارقليط" الوارد في الوحي الّذي سجّله يوحنّا والأوصاف التي أطلقها السيّد المسيح عليه لا تنطبق على الرّوح القدس، أي روح الله، إنّما تنطبق على إنسانٍ نبيٍّ، يأتي بعد المسيح بمعنى أنّها تنطبق على إنسان وليس على روح المولى عزّ وجلّ.

وسببُ وقوع الخطأ والخلْط في محاولة شرح كلمة بارقليط هو وجودُ كلمةٍ يونانيّة مشابهة لكلمة بارقليط "باراكليتوس" هي بيريقليط "بيريكليتوس"، وتعني "المشهور أو الممدوح أو المُمَجَّدَ أو المحمود"، ممّا جعلهم يفسّرون الكلمة على أنّها تشير إلى شخص محمود وممدوح. وقالوا إن التفاوت في اللّفظين يسير جدًّا، وإنَّ الحروف اليونانيّة كانت متشابهة، فتبدَّلَ لفظُ بيريكليتوس إلى باراكليتوس في بعض النّسخ، ولكنّ الواضح أنّه لا توجد مخطوطة واحدة في أيِّ مكان من الأماكن ولا في أيِّ زمن من الأزمنة وُجد فيها غير كلمة البارقليط Parakletos.

إضافة إلى ذلك، فاللّغة اليونانيّة لا تحتوي على إعراب (فتحة وكسرة وضمّة وسكون. . . إلخ شأن اللّغة العربية) وقد تمّ إعراب القرآن الكريم في حوالي عام 30 للهجرة على يد أبي الأسود الدّؤلي، فالإعراب في اللّغة اليونانيّة هو جزء من كتابة الكلمة نفسها.

ومن ثمّ، فإنَّ تغيير كلمة (∏αρακλητωζ - Parakletos لتصبح ∏ερικλντωζ Periklutos) يعني تغيير ثلاثة حروف موجودة في أصل الكلمة(e, i, u / ε ι ν) لتصبح (a, a, e /α α η) ولا يُوجد أيُّ دليل أو برهان على حدوث تغيير في القراءة الأصليّة. إذ لديْنا عددٌ ضخم من المخطوطات التي تحتوي على الوحي الّذي سجّله يوحنّا، ويعود أقدمُ هذه المخطوطاتِ إلى سنة 200م، وهي معروضة حاليا في المتاحف وعلى شبكة الإنترنت ومُتاحة للجميع للإطّلاع عليها. وجميع المخطوطات لا يوجد بها سوى كلمة باراقليطوس ∏αρακλητωζ - Parakletos التي تعني المُعينَ أو الشَّفيع أو المُدافع، وهو الشّخص الّذي يُدعَى لمساعدة شخص آخر أو صديق حميم. (الإنجيل، يوحنا 14: 16، 26، 15: 26، 16: 7).

"وممّا يُثبِت صحّةَ هذا القول أنَّ البارقليط يعني روح الله القدّوس ولا يعني مجرّد إنسان، وذلك اعتمادا على القرائن المتعلّقة بروح الله وقد ذكرها الإنجيل. ومن تلك القرائن: قول السيّد المسيح عن البارقليط في يوحنّا (14: 16) أنّه "يبْقَى معكم إلى الأبد". فهل يوجد إنسان أيًّا كان يمكث إلى الأبد؟

ومن القرائن أيضا قولُ السيّدِ المسيح عن البارقليط في المرجع السّابق آية 17: "لا يستطيع أهل هذه الدنيا أن يراها ولا يعرفها، فهل هذا ينطبق على أي إنسان كائنا من كان؟ فالإنسان يمكننا رؤيته ومعرفته، أمّا الروح فلا تُدرك ولا تُرى.

ومن القرائن أيضا قولُ السيّد المسيح عن البارقليط في المرجع السابق آية 17 "وأمّا أنتم فإنّكم أدْرَى بها وهي بيْنكم وستبْقى في قُلوبِكم". فهل هذا الكلام ينطبق على إنسان يأتي بعد المسيح بستّة قرون؟ وكيف يقول عنه المسيح أنّه ماكث معكم؟ وكيف يمكن لإنسان أن يمكث في قلوب الناس؟ يقول السيد المسيح أنّه سيكون في قلوبكم. وروح الله وحْدَها هي الّتي يمكنها أنْ تحُلَّ في داخل البشر إذا طلبوها وفتحوا قلوبهم لها.

روح الحقّ:

الحقُّ هو الله سبحانه وتعالى، وعندما نقول "روح الحقّ " نعني "روح الله" . وقد استخدم الإنجيل الشّريف هذا الاسم للتّعبير عن الرّوح القدُس، وذلك قصْدَ بيانِ أنّ الرّوح القدُس هو روح الله الحقّ. ويكتسب هذا الاسم بُعدا آخر متمثّلا في أنّ الرّوح التي تعلن الحقَّ وتقدِّمه إلى البشريّة تتميّز بخاصيّتيْن: أوّلا أنّها روح الله الحقّ. ثانيا أنّها الرّوح الّتي تأتي بالحقّ إلى العالم وتُعلنه.

مفهوم المملكة الربانية

تخبرنا الكتب السماوية أنّ الله هو خالق الكون، والملك على أمم الأرض جميعا (كتاب الزبور، مزامير 82 : 22، 7 : 47-9، 19 : 103، كتاب النبي دانيال 34 : 4-35). ورغم ذلك، ضربت هذه الأمم بحكم الله عرض الحائط، وانغمست في المعصية والجهل والفوضى. إلاّ أنه كان لله تعالى مقصد عظيم لتجديد الرّباط بينه وبين تلك الأمم. وبناء على وعد لنبيّه إبراهيم عليه السلام ، اختار الله ذريّة النبي إبراهيم المنحدرة من ابنه يعقوب لتُمثِّلَ عباده المخلصين (التوراة، سفر الخروج 5 : 19-6)، وكان هدف الله تعالى إحياء العقد المنفرط بينه وبينهم، وذلك بأن يحبّهم ويرعاهم، وهم يطيعوه ويعبدوه. وكان ذلك جزء من خطّته لإنقاذ البشر بحيث يهدي إلى طريقه قوم بني يعقوب أوّلا (التوراة، سفر تكوين 3 : 12، 18 : 18، كتاب النبي أشعيا 9 : 11-10)، ثمّ يأتي بالشعوب الأخرى من خلال قوم ميثاقه حتّى يخضع البشر جميعا لحكمه، فيحبّوه بحقّ ويعبدوه بإخلاص (كتاب الزبور، مزمور 27 : 22، كتاب النبي زكريا 9 : 14).

كان الله تعالى الملك الوحيد على بني يعقوب، لكنّهم رغبوا في تنصيب ملك عليهم من البشر أسوة بالأمم الأخرى (كتاب النبي صموئيل الأول 5 : 8). فاستجاب الله لهم، وجعل طالوت (شاول) في البداية ملكا عليهم. إلا أن طالوت عصى، فنزع تعالى منه الملْك، وسلّمه إلى النبي داود عليه السلام ، ثم إلى ذريّة داود من بعده، عِلما بأنّ الله هو الذي كان يعيّن هؤلاء الملوك مُمثلين له على الأرض، بينما يظلّ هو الملك الفعلي على بني يعقوب.

وبينما كانت ذريّة النبي داود تتعاقب على كرسي المُلْك، دأب الأنبياء الذين أتوا من بعد داود عليه السلام على الحديث عن زمن آت سيحقّق فيه الله وعودَه التي وجّهها لنبيّه إبراهيم. فكانوا يقولون إن الله سيقيم مملكة جديدة، وسيحكمها مسيح الله المنحدر من نسل داود، وستكون مملكته الموعودة مغايرة لكلّ الممالك التي سبقت. فالنبي أشعيا عليه السلام إنّما كان يشير إليها عندما تحدّث عن رئيس السلام، ووريث عرش داود، الذي سيحطّم كلّ قلاع الشر، وينشر الصلاح والسلام والفرح، فيعود البشر للعيش من جديد بانسجام مع الخالق ومع بعضهم بعض (كتاب النبي أشعيا 1 : 9-7، 1 : 11-10، 17 : 65-25).

ثمّ كان أن عاقب الله بني يعقوب لأنّهم تركوه وانصرفوا يعبودون آلهة وثنيّة، فأباح لأعدائهم أرضهم وخلع ملكهم، وطردهم من الأرض التي كان قد ائتمنهم عليها. وعندما تابوا وندموا عن السنوات التي سجدوا فيها للأصنام سمح للبعض منهم بالعودة إلى أرضهم. وخلافا لما كانوا يتوقّعونه، لم يُقِمْ الله مملكة النبي داود من جديد، ولم يعيّن عليهم ملكا من نسله فظلّوا ينتظرونه.

وخلال فترة نفي بني يعقوب، كان الله قد أعلن على لسان النبي دانيال (أنه سيقيم مملكة ربانية تدوم إلى الأبد، وتحلّ محلّ باقي ممالك الأرض جميعا) (كتاب النبي دانيال 2:31-45) كما تنبّأ النبي دانيال (أنّ الملك الجديد سيدعى "سيد البشر" وسيكون مثل ابن الإنسان، لكنّ عرشه سيكون في السماء مهيمنا على كل الناس من مختلف الشعوب والأمم واللغات (انظر كتاب النبي دانيال 13:7-14) وسينال أولياء الله العليّ تلك المملكة (دانيال 18:7، 22، 27).

وبناء على وعد الله هذا، كان بنو يعقوب عند ميلاد سيّدنا عيسى ﷺ ينتظرون بفارغ الصبر قيام المملكة الربانية، من خلال مجيء المسيح المنتظر، الملك المخلّص الموعود. ولقد كانت تصوّراتهم عن تلك المملكة تتباين من فريق إلى آخر. فكان البعض يتوقّع قيام هذه المملكة حسب نبوءة النبي دانيال عليه السلام، بينما كان أغلبية بني يعقوب بما في ذلك طائفة المتشدّدين يتوقّعون مجيء المسيح كقائد عسكري عظيم يحطّم غيرهم من الأمم، ويقضي على الضّالين من بني يعقوب، ثم يقيم من جديد مملكة النبي داود بالشكل الذي كانت عليه في سابق مجدها. وكان كثير من بني يعقوب يتوقّعون قيامها في زمانهم، لكنّهم فشلوا جميعا في التعرّف على الأمور التي كان يصنعها الله تعالى ليجعلهم أهلا لدخول تلك المملكة الربانية الموعودة.

لم تكن مملكة النبي داود عليه السلام في الحقيقة سوى المرحلة الأولى من مراحل قيام المملكة الربانية، وهي مجرّد صورة لِما ستكون عليه المملكة الربانية في المراحل اللاّحقة. أمّا المرحلة الثانية، فتمثّلت في ظهور سيّدنا عيسى المسيح، ملك الصّلاح الموعود لإنقاذ البشر مثلما وصفه الأنبياء الأوّلون. فقد أعلن الله أنّ السيد المسيح حبيبا له على رؤوس الأشهاد (الإنجيل، متّى 17:3، 5:17) وأكّد ذلك بواسطة المعجزات التي أيّده بها (سيرة الحواريين 22:2). وتمثّلت المرحلة الثالثة في صعود سيّدنا المسيح إلى عرشه في السماء، وجلوسه على يمين الله خليفة له. ثمّ هاهي

المملكة الربانية في زمننا الحاضر تتّسع وتنمو بتزايد أعداد المنتمين إليها من خلال إيمانهم بسيّدنا عيسى المسيح، وإقراره ملكا عليهم، بحيث يعلن غفران ذنوبهم، ويحيي أرواحهم بواسطة روحه تقدّس وتعالى، ويقودهم ويرعاهم ويضمن لهم نعيم الآخرة. ويعطيهم في هذه الدنيا القدرة على تذوّق كلمة الله الطيّبة، ومعاينة الآيات التي تظهر عظمة العالم الآتي (انظر الرسالة إلى أحباب الله العبرانيين 5:6). وعند رحيلهم عن هذه الدنيا يأخذهم إليه في انتظار اكتمال خدمته على الأرض (انظر الرسالة الثانية إلى تيموتاوس 4:18). عند ذلك تنفتح المرحلة الموالية بعودته من السماء إلى الأرض، وسيحطّم السُلط والأنظمة المناوئة له، ويمنح أجساد جديدة مجيدة لقومه المخلصين له، حتى إذا تطهّرت الأرض من كلّ الشرور وضع مملكته الربانية المأهولة بأوليائه بين يدي الله الملك العظيم الذي سيدخلهم نعيما رائعا لا يوصف، وستكون تلك هي المرحلة الأخيرة، وفيها سيتجلّى الله بين الناس، وسينعمون معه بالفرح والطمأنينة (كتاب الرؤيا 3:21-4).

إضافة إلى هذه المراحل المتعلّقة بالمملكة الربانية، تتوفّر المملكة أيضا على عناصر وظيفية تشتغل بشكل دائم كما هو الحال في الممالك الأرضية. فمثلا، هناك الملك الذي هو الحاكم، والسلطة التي تخوّل له أن يحكم، والمجال الذي يمارس فيه سلطته، والسكّان الذين يقطنون هذا المجال، من المواطنين والأجانب، وهناك قوانين تمكّن الأجانب من الحصول على صفة المواطنة، وبالتالي، التّمتّعُ بكافة الحقوق والإمتيازات المصاحبة لهذه الصفة. وتوجد قوانين أخرى وأعراف تحكم نظام المملكة.

لقد ضرب السيد المسيح عدة أمثال للناس عندما كان على الأرض، وذلك في محاولة منه للكشف عن حقيقة المملكة الربانية التي كان الله يقصد إقامتها من خلاله. ولفهم تلك الأمثال وكل التعاليم الأخرى المتعلّقة بمملكة الله، علينا دائما استحضار أنّ عبارة المملكة الربانية إنّما تشير إلى كلّ المراحل التي ذكرناها سابقا أو بعضها، أو إلى بعض العناصر في تلك المملكة أو كلّها. وعندما نريد دراسة تعاليم السيد المسيح المتعلّقة بالمملكة الربانية، علينا تحديد مراحل المملكة وعناصرها التي كانت في ذهنه عندما نطق بأحد تلك التعاليم، وإلاّ فإنّ الأمر سيختلط علينا.

يخبرنا الحواريّ متّى أنّ السيد المسيح كان يتنقل في مناطق عديدة، يعلّم الناس

وينادي ببشارة المملكة الربانية (انظر متّى 4:23، 9:35). وهذه البشارة كان يقابلها طبعا الإنذار الموجَّه إلى كلّ الذين يرفضون الإقرار بحكم الخالق عليهم، وذلك بتوعّدهم بأنّ لهم عقاب في الآخرة. فالمملكة الربّانية هبة الله تعالى لأمّته بتجديد رباطه معهم، وهي قابلة للتحقّق والنموّ خلال حياة المؤمن على الأرض، ومستمرّة بعد رحيله في الآخرة، وآيلة إلى اكتمال عجيب في الزمن الآتي. وبإمكان الجميع في هذه الدنيا قبول دعوة الله بانضمامهم إلى أمّته أي مملكته عن طريق التوبة والإقرار بأنّ سيدنا عيسى المسيح هو المنقذ والملك، حتى يكونوا من الموعودين بدار الخلد.

والبشارة في الدعوة للانضمام إلى أمّة الله أي مملكته هي دعوة مفتوحة للجميع وقائمة إلى يومنا هذا. ستبقى فرصة الانضمام إلى هذه المملكة مفتوحة في وجه كل راغب في ذلك إلى حين عودة سيّدنا المسيح. لكنّ الأوان سينتهي بمجرّد عودته سَلَامُهُ عَلَيْنَا. وبما أنّ أوان عودته مجهولٌ ولا علم لأحدٍ به، فمن الحكمة ألا يتأخّر أحد في الانضمام إلى المملكة، فالإنجيل الشريف يخبرنا بما يلي: "اعلَموا أنّ مَوعِدَ رِضى اللهِ قد حانَ. نعم، اليومَ هو يَومُ النّجاةِ" (الرّسالة الثانية إلى أحباب الله في كورنتوس 6:2).

مفهوم الفدية "الفداء"

التعريف بكلمة فداء:

تعني كلمة "فداء" دفع ديّة محددة لعتق عبد أو تحرير إنسان مأسور. وتدلّ كلمة "فداء" على تحمّل ما قد يقع على الآخر من جريرة أو عقاب.

الفدية عند اليهود

كانت الفدية في الديانة اليهودية تُقدّم عن كل الشعب للتكفير عن ذنوبهم وآثامهم، وذلك على المستويين الفردي والجماعي، حيث كان يدخل أحد الأحبار إلى المحراب الأقدس الداخلي في بيت الله المقدّس، ويقدّم عن نفسه وعن الشعب ذبائح للتكفير وطلب الغفران. وكانت تُجرى شعائر خاصة يقوم بها رجال الدين ويتبعونها بدقّة شديدة حتى يقبل الله منهم هذه الفدية. والفدية غالبا ما تكون كبشا أو ثورا أو بعض الحيوانات الأخرى الطاهرة أي القابلة للذبح.

الفدية في الإسلام "الأضحية"

وفي الإسلام تُذبح الفدية "الأضحية" كل عام كتذكار للفدية التي قدّمها النبي إبراهيم عليه السلام عن ابنه، إذ ذبح الكبش عوضا عن ابنه وتم الفداء ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ (الصافات 107). ومن هنا يتّضح لنا أنه لكي يتمّ الفداء لا بد من ذبح ذبيحةٍ وسفك دمها وموتها عوضا عن البشر.

فدية السيد المسيح في الإنجيل

تعلمنا الكتب المقدسة أن كل بني آدم خطاؤون، وقد وُلد الإنسان بنفس أمّارة بالسوء. ومنذ خلق الإنسان الأول. أي سيدنا آدم. والإنسان يعصي ربه إذ في كل حين يأكل من الشجرة المحرّمة فتتكرّر مأساته، ولأن ذات الله عز وجل خالية من أي شر أو فساد فهو لا يطيق الإثم ولا يرضى بالخطيئة. ولذلك أصبح الإنسان بارتكابه للإثم يقف دائما موقف المتّهم المدان، فكان لا بد من إيجاد حل لمشكلة الذنوب التي لوّثت نفس الإنسان وجعلته في انفصال عن الله الملك القدوس. وكانت المعضلة التي واجهت الأديان السماوية الثلاثة في شكل تساؤل: كيف يقترب الإنسان المذنب لعبادة الله القدوس؟ وهل يتقبل الله تلك العبادة؟! وهل يمكن أن يقبل الله توبة الإنسان

المخطئ بكل بساطة؟ وإذا كان الله رحيما ويقبل توبة التائب فهو بذلك ليس عادلا، ودليلنا على ذلك أنه عندما يسرق إنسان ما إنسانا آخر ويُضبط متلبّسا بجريمته ويقف أمام القاضي معترفا بسرقته ويطلب العفو من الذي أساء إليه، ويعفو الإنسان المُساء إليه ويسامح السارق ويرد هذا الأخير ما قد سلبه، لكنّ القاضي يستمرّ في الدعوة ويحكم على السارق. والسؤال هنا لماذا يقع الحكم على السارق إذا كان قد طلب العفو وأعاد المسروق والمجني عليه سامحه؟ ألا تكون روح العدالة قد تحقّقت هنا؟ ولا بدّ للعدالة الإنسانية أن تأخذ مجراها والقاضي مطالب أن يفي العدالة القانونية حقها. فالإنسان يُعاقب حتى لو لم ينتفع من جريمته، بل لمجرد أنه أخطأ بفعل السرقة، ولا بد عندئذ أن تطبّق عليه العدالة الإنسانية. وعند الحديث عن الله نجد الأمر أصعب، لأن العدالة هنا إلهية وليست بشرية، والعدل صفة من صفات الله كالرحمة تماما، فإذا أخطأ إنسان فإنّ خطيئته ليست ضد البشر الذين أخطأ في حقهم فقط، بل هي ضد الله عز وجل. وعندما يتوب المخطئ إلى الله، فالله برحمته سوف يغفر له ويتقبّل توبته ولكن تبقى مشكلة العدالة قائمة، فمثلا لو وقفنا عند حد رحمة الله فسنتّهمه عز وجل بعدم العدل، لذلك كان لا بدّ من إيفاء العدالة الإلهية حقّها. فالشريعة اليهودية قرّرت أن يقوم اليهودي المخطئ برفع صلاة توبة إلى الله للغفران وأن يردّ المسلوب، ولكي يحصل على غفران الله ورضاه الكامل، عليه أن يقدّم ذبيحة حيوانية لتتحقّق العدالة الإلهية. فتتحقّق حينئذ العدالة إلى جانب الرحمة. أما أتباع السيد المسيح عليه السلام فيؤمنون أنه عليه السلام جاء بديلا عن الذبيحة الحيوانية في الشريعة اليهودية. ذلك أنّه لكي يكون ذبيحة كاملة فلا بد أن يكون بلا خطيئة أو ذنب، إذ وُلد من عذراء وعاش بلا خطيئة وضحّى بنفسه فداءً عن الإنسان الذي يقبل بهذا الفداء ويتقدّم إلى الله طالبا التوبة ويقوم برد ما سلبه سواء ماديا أو معنويا، ثم يؤمن بأن العدل الإلهي أخذ مجراه بذبح السيد المسيح العظيم. وهكذا يتحقّق العدل مع الرحمة. وقد يتساءل البعض: هل من العدل أن يموت إنسان بريء بدل أناس مجرمين؟ وما الدافع لذلك؟ نقول أن الدافع هو الحب، فبالحب قدّم سيدنا عيسى نفسه فدية ليعتق الإنسان من سجن ذنوبه، وقد كان العدل كل العدل أن يموت السيد المسيح فداء للبشر، فالبشرية كلها كانت مع سيدنا المسيح لمّا ضحّى بحياته، فهو لم يكن مجرّد نائب أو بديل من جانب والبشرية في وضع الانفصال عنه من جانب آخر، بل كانت متّحدة به بالإيمان فماتت معه ورجعت إلى الحياة معه وذلك كله بالإيمان به. أما الإسلام فيتحدّث فقط عن الله الرحمن الرحيم الذي يقبل

توبة التائب ويغفر له، وتبقى مشكلة العدالة الإلهية غير واضحة في هذا الشأن، مع أنها موجودة بوضوح في استبدال النبي إبراهيم لابنه بكبش، وفي تقديم الحجيج ذبائح الأضحية.

نتائج فدية السيد المسيح

كان الغرض من فدية السيد المسيح هو إعادة العلاقة بين الإنسان المذنب والله الملك القدوس إلى ما كانت عليه قبل عصيان الإنسان لله، لقد كان العدل الإلهي يستوجب أن يموت كل من أخطأ، فالقانون العادل ينصّ على أن جزاء الخطيئة الموت، ولأن عدل الله رحيم ورحمته عادلة فقد شاء ألا يطبّق نص القانون على الإنسان ويميت البشرية كلها تحقيقا للرحمة وسعيا إلى المحافظة على متطلبات العدالة الإلهية، فطُبّق القانون على سيدنا عيسى عليه السلام إذ مات هو لأجل البشرية حتى يعتقها من العقوبة التي كانت تستحقها. وعليه يكون كل من يقبل فدية المسيح قد أعتق من العقوبة التي كان يستحقها ولم تعد علاقته بالله علاقة مذنب بقاض أو عبد بسيد بل علاقة ابن بأبيه، وله الحق أن يُقبل إلى الله بثقة فيقبله الله ويرضى عنه ويتقبّل صلاته وعبادته.

مفهوم الذّبيحة لدى المسلمين

الفدية بالذبح كعنصر أساسي في الثقافة العربية الإسلامية

لعلّ أهمّ ما يمكن أن نستهلّ به الحديث عن مفهوم الأضحية أو القربان في الإسلام هو الحديث المنسوب إلى نبيّ الإسلام، والذي يقول فيه "أنا ابن الذّبيحيْن" وقد رواه ابن مردويه والثعلبي في تفسيريهما والزمخشري في الكشاف. والذّبيحان كما فهمهما الآخذون بهذا الحديث هما إسماعيل بن إبراهيم الخليل، وعبد الله بن عبد المطلب. لن نحاول في هذا المقام التحقيق في صحّة هذا الحديث، أو في من يكون الذبيح لأنّ ذلك سيخرج بنا عن الموضوع الذي نحن بصدده. فقط، نودّ الإشارة إلى أنّ القرآن الكريم لم يذكر الذّبيح بالاسم، لأنّ الآيات المتعلّقة بهذا الحدث في سورة الصّافات لا تسمّيه، بل تصف الحدث فقط.

ولم تَحْسِم كتب الحديث والتفسير أيضا المسألة بشكل نهائيّ لصالح سيّدنا إسماعيل، بل بقي العديد من جمهور المسلمين الأوائل محدّثين ومفسّرين ورواة أخبار يقولون إنّ النبي إسحاق هو الذّبيح بما في ذلك ابن قتيبة، والطّبري، وابن سلاّم. كما قال بذلك بعضُ الصّحابة أيضا. وهو ما يجعلنا نعتقد أنّ الجدال حول تلك المسألة لم يكن واردا في بداية الإسلام، بدليل أنّ مسألة الاسم لو كانت أساسية بالنسبة إلى المسلمين لكان القرآن فصل فيها. فالجدال قد يكون احتدم حولها في فترة متأخّرة.

ولكنّ ما يهمّنا من ذكر الحديث السّابق هو بيان أنّ فكرة التّضحية أو الفدية بالذّبيحة كانت وما زالت معروفة جدّا لدى المسلمين، وقد كانت معروفة قبلهم لدى عرب الجاهلية. فالذبيح الأوّل في حديث الذّبيحين الذي أوردناه أعلاه هو إشارة إلى قصّة النبي إبراهيم عليه السلام المذكورة بتفصيل في الكتاب المقدس (انظر التوراة، سفر التكوين الفصل 22) والمذكورة أيضا باقتضاب في القرآن: (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ. فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ. وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ. قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاَء الْمُبِينُ. وَفَدَيْنَاهُ

بِذِبْحٍ عَظِيمٍ. وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ) [الصافات/102-111].

أمّا الذّبيح الثاني فهو عبد الله بن عبد المطلب والد النبي محمّد. ومجمل قصّة هذا الذبيح الثاني هو أنّ عبد المطلب جدّ النبيّ كان قد نذر في الجاهلية نذراً لله لئن رزق عشرة أولاد وبلغوا أشدّهم معه لينحرنّ أحدهم عند الكعبة. فلمّا رزقه الله بأولاده العشرة، أراد الوفاء بنذره. فألقى القرعة عليهم ليذبح منهم من تَطلَعُ عليه. فكان أنْ طلعت على عبد الله والدِ النبيّ محمّد. فقام رؤساء قريش على عبد المطلب، وأنكروا عليه ما كان يريد أن يفعل خوفا من أنْ تقلّدَه العرب في فعله ويصبح ذبح الأبناء سُنّة. فأخبرهم أنّه نذر نذرا ووجب عليه الوفاء به. فقالوا له إنّهم مستعدّون لفداء ابنه ببذل أموالهم أو نحر أنعامهم ومواشيهم. وألحّوا عليه في ذلك حتّى قبل الاحتكام في الأمر إلى كاهنة من كهّان العرب. فأفتت عليهم أن يُجْرُوا قرعة بين عشرة من الإبل وبين عبد الله، فإذا خرجت القرعة على عبد الله زادوا عشرة أخرى، وهكذا حتّى تخرج القرعة على الإبل. فظلّ عبد المطلب يزيد في الإبل عشرة عشرة والقرعة تخرج على عبد الله حتّى وصل عدد الإبل مئة فخرجت القرعة أخيرا على الإبل، فكان الفرح بهذا الفداء كبيرا.

ونلاحظ أنّ قصّة الذبيح الثاني تعتمد ثلاث متواليات أساسيّة حاضرة في قصّة النبيّ إبراهيم وابنه. وأولى هذه المتواليات هي أمر الله لإبراهيم عليه السلام بذبح ابنه، ويقابله نذر عبد المطلب ذبح ابنه عبد الله. وثانيتها طاعة النبي إبراهيم لأمر ربّه، ويقابلها حرص عبد المطلب على الوفاء بنذره. وأخيرتها فداء الله لابن إبراهيم بذبح عظيم، ويقابله فداء عبد الله بمائة من الإبل. ومن هنا، وجب القول إن فكرة الفداء بالذّبيحة هي من العناصر الثقافية الحاضرة بقوّة في النسق (paradigm) الثقافي العربي الإسلامي، ومن ثمّ، الأهمية التي يكتسيها عيد الأضحى لدى المسلمين كإحياء سنويّ لهذا العنصر الثقافيّ الهامّ.

عيد الأضحى في المنظومة الإسلامية

لا يجادل أحد في أهمية عيد الأضحى بالنّسبة إلى المسلمين. فبالإضافة إلى كون الأضحية من شعائر الإسلام المشروعة في القرآن، والسنّة، وإجماع المسلمين، يمكن القول إنّ عيد الأضحى أصبح من الأعياد التي تغلغلت في متخيّل المسلمين إلى درجة

أنّ الحرص على الاحتفال به فاق الحرص على القيام بأهمّ الفرائض بالنسبة إلى الكثير منهم. كما لا يجادل أحد في أنّ عيد الأضحى قد سُنّ تيمُّنا بسيّدنا إبراهيم الخليل الذي كاد يذبح ابنه طاعة لأمر الله تعالى، ولكنّ رحمته تعالى شاءت أن يُفتدى ابن إبراهيم من الموت بكبش من عنده. وتسمية عيد الأضحى إنّما جاءت حسب ابن عباس من كون الحدث المذكور قد تمّ في وقت الضحى. ولهذا السبب سُميت الذبيحة لدى المسلمين بالضحية أو الأضحية وهو ما يؤكّده لسان العرب بتعريفه لها على أنها "الشاةُ التي تُذْبَحُ ضَحْوَةً مثل غَدِيَّةٍ وعَشِيَّة، وفي الضَّحِيَّة أَربعُ لغاتٍ: أُضْحِيَّةٌ وإِضْحِيَّةٌ والجمع أَضاحيُّ، وضَحِيَّةٌ على فَعِيلة، والجمع ضَحايا، وأَضْحاةٌ، والجمع أَضْحىً" ويكون الاحتفال بعيد الأضحى في اليوم العاشر من ذي الحجّة بعد انتهاء وقفة عرفة، أحد أهمّ مناسك الحجّ.

ومن أهمّ شروط الأضحية أو ذبيحة عيد الأضحى أن تكون من الإبل أو البقر أو الغنم أو المعز، وقد ثبت أنّ النبيّ كان يضحّي بكبشين أملحين أقرنين، واحد عن أمّته، وواحد عن بيته، كما جاء في عدد من الأحاديث، منها الحديث الذي أخرجه الحاكم في المستدرك أنّ الرسول "كان إذا ضحّى اشترى كبشين، أملحين، أقرنين، فإذا خطب وصلّى، ذبح أحد الكبشين بنفسه بالمدية، ثم يقول: اللّهم هذا عن أمّتي جميعا، من شهد لك بالتوحيد، وشهد لي بالبلاغ، ثمّ أتى بالآخر، فذبحه، وقال: اللّهم هذا عن محمد، وآل محمد، ثمّ يطعمهما المساكين، ويأكل هو وأهله منهما" ومن أهمّ الشروط أيضا أن تكون خالية من العيوب التي لخّصها الفقهاء في اثنى عشر عيبا وهي: الجدعاء أي ذات القطع البائن في الأذن والأنف والشفة واليد ونحو ذلك، والخرقاء أي مثقوبة الأذن، والعمياء، والعوراء، والعرجاء، والعجفاء أي الهزيلة، والجرباء التي فسد لحمها من الجرب، والمريضة، والمقطوعة اليد، والمقطوعة الرجل، والمقطوعة الذنب، والمقطوعة الأذن والطرف.

الأضحى والفصح

هناك إشارتان هامّتان بخصوص عيد الأضحى لا يمكن أن يمرّ بهما قارئ التوراة والإنجيل دون أن تسترعيا انتباهه، وهما توقيت عيد الأضحى الذي يصادف العاشر من شهر ذي الحجّة، وشرط خلو الذّبيحة من كلّ عيب. وهما إشارتان تحيلان أيضا وإن بشكل رمزي وغير مباشر إلى الفصح أو عيد العبور لدى بني إسرائيل عندما كانوا في

مصر، حيث أمرهم الله أن يذبحوا في اليوم العاشر من الشهر حملا ذكرا خاليا من كلّ عيب، ويضعون دمه علامة على البيوت حتّى يعْبُرَ عليهم ملاك الموت ولا يهلك الأبكار من أبنائهم كما هو مفصّل في الشاهد التالي:

وعندما كان بنو يعقوب في مصر، حذّر الله موسى وهارون (عليهما السلام) قائلاً: "ليكن شهر خروجكم من الآن أوّل شهور السنة. فأعلنا لكلّ جماعة بني يعقوب أنه على كلّ ربّ أسرة أن يأخذ خروفًا واحدًا عن أهل بيته في العاشرِ من هذا الشهر... لا يتجاوز عمره سنة واحدة، ويجب أن يكون خاليا من كلّ عيب، وتنتقونه من الغنم أو الماعز... وإنّي أتجلّى في تلك الليلة في بلاد مصر، وأقضي على أبكار المصريين وعلى أبكار حيواناتهم التي يملكون، فأنفّذ حُكمي في آلهة المصريّين كلّها، لأنّي أنا الله رب العالمين. وسأحمي كلّ من يُرَشُّ على بيته الدمُ ولن أصيبه بمكروه حين أضرب بلاد مصر، لأنّ الدّم سيكون علامةً تحميه. إنّ هذا اليوم عليكم فريضة فاحتفلوا بهذا العيد إكراما لي على مدى الأجيال" (التوراة، سفر الخروج 1:12 – 14).

ويمكن أن يذهب الباحث المنشغل بعملية التّناص والحوار بين الأديان أبعدَ من ذلك في عقد المزيد من التّرابطات النصية بين عيد الأضحى وعيد الفصح، خصوصا إذا علمنا أنّ عيد الفصح الّذي دأب بنو إسرائيل على الاحتفال به قد كان أيضا اليوم الذي اقتيد فيه السيّد المسيح للصّلب ليكون بالفعل وبتعبير النبي يحيى بن زكريا: "الذِّبحُ العَظيمُ المُرسَلُ مِن اللهِ ليُزيلَ عن البَشَرِ ذُنوبَهُم" (يوحنّا 1:29).

ومن ثمّ، تبدو أهمية الذبيحة والأضحية في الثقافة الإسلامية بما هي نقطة أساسية من نقاط التقاطع واللّقاء بين المنتمين للديانات التوحيدية الثلاث، وعلى الأخصّ الإسلام والمسيحية لما تفتحه من آفاق رحبة للحوار وتجاوُز الاختلافات الظاهرة، واختراقها قصد النفاذ إلى عمق الحقيقة الدينية الكامنة وراء الطقوس والشعائر واللغات.

مذاهب اليهود وجماعاتهم على عهد السيد المسيح

المتشدِّدون (الفريسيُّون):

تعني الكلمة العبرية التي تقابلها "فريسي" في أكثر الترجمات العربية "المنفصل"، واخترنا تعريبها بكلمة "متشدِّد". وقد كان المتشدِّدون جماعةً من اليهود المتديّنين المعروفين بِصَرامتهم في حفظ شريعةِ موسى، وتراثِ الآباء الشّفاهي الذي لم يكتب. وكانوا راسِخين في العلم، يدرسون التوراة، والزّبور وغيرهما من كتب الأنبياء بإخلاصٍ. ورغم أنّهم كانوا قلّة، إلاّ أنّهم كانوا يحظَوْنَ بمُساندةِ عامَّةِ الشّعب لهم. ولذلكَ، لم يكن تأثيرهم في الرّأي العامّ فحسب، بل كان لهم تأثير في السّياسة الوطنيّة أيضا. والمتشدّدون هم الجماعة الدينية اليهودية الوحيدة التي بقيت قائمة بعد دمارِ مدينةِ القدس سنة 70 للميلاد. ويُعتبرون الآباءَ الرُّوحيين للفكر اليهودي الحديث.

وكان نقاء الشّعب اليهودي شاغلَهُم الأعظم، لذلك أثقلوه بفرائض الطّهارة الّتي كانت تهُمُّ في الأصل أحبار بني إسرائيل، وخاصة مظاهر الطّهارة البادية للعيان، كتلك التي تتعلّق بالختان والاغتسال وحفظ السّبت والطّعام. ولذلك، كانوا يتجنَّبُون الاختلاطَ بمن لا يؤمن بمبادئهم الصّارمة، ويعتبرونه ضالاًّ.

الصّدوقيُّون:

كان الصّدوقيّون جماعةً من علية قومِ بني إسرائيل. وكانُوا ذَوِي نفوذ، ليس لكونهم أغنياء فحسب، بل لأنهم احتلّوا أغلبيّة المراكز العليا بين صفوف الأحبار. ورغم أنّ الكثير من الصّدوقيّين لم يكونوا أحبارًا إلاّ أنّهم عُيّنوا شيوخا للشّعب داخل المجلس الأعلى لليهود (السنهدرين) والذي كان خاضعا لسلطة الاحتلال الرُّوماني. لذلك، كانوا يحرصون على مناصبهم بالعمل على نيل رضا المحتلين الرومان، وإن كان ذلك على حساب العقيدة. ولم يكن الصّدوقيّون يؤمنون إلاّ بالتّوراة ككتابٍ موحًى من الله، خلافا للمتشدِّدين؛ أمّا الزّبور وغيره من كتب الأنبياء فلم يكونوا يؤمنون بها، ولم يؤمنوا بالملائكة والأرواح ويوم القيامة أيضا. فإذا اعتبرنا أنّ جماعةَ المتشدِّدِين همُ الوجهُ المُحافِظُ لليهوديّة في ذلك الوقت، فالصّدوقيّون همُ الوجهُ المُتحرِّرُ (اللّيبرالي).

الجليليُّون:

كانت منطقة الجليل تضمُّ، زمنَ السيّد المسيح، عددا كبيرا من الوثنيين، إضافة إلى اليهود المنحدرين من أسَرٍ هاجرت من منطقة يهوذا شأن مريم أمّ السيد المسيح، وزوجها يوسف. وكان اليهود المقيمون في منطقة يهوذا يحتقرون سكان الجليل، ويعتبرونهم جهلة. كما كانوا يسخرون من لهجاتهم. ورغم ذلك فقد وعد الله على لسان النبيّ أشعيا عليه السلام أن يُرسِلَ المسيح إلى هذه المنطقة ليُخرِجَ أهلَها من الظّلمات إلى النور. ولربّما لمَسَ أهلُ الجليل احتياجهم إلى الهداية الرّوحية، عكس اليهود المقيمين في منطقة يهوذا، الّذين كانوا مُكابرين، فخُورين بتقاليدهم، يعتبرون أنفسهم غير محتاجين إلى التوبة.

السّامريّون:

هؤلاء هم سكّان السّامرة أي المنطقة الواقعة بين الجليل ومنطقة يهوذا. وقد كانوا ثمرةَ التّزاوج بين بني يعقوب وغيرهم من الشعوب، وهو الأمر الذي بدأ -على الأرجح- بعد السبي الآشوري لمعظم بني يعقوب. وقد كان اليهود والسامريُّون يكرهون بعضَهم بعض بشدّة، لأنّ كلَّ فريق كان يزعم اتّباع الشّريعة الحقيقيّة لسيّدنا موسى، مُتَّهِمًا الفريق الآخر بتحريف تلك العقيدة. وقد كان اليهود يتجنَّبون المرور من السامرة وهم في طريقهم بين يهوذا والجليل، حتّى لو أخذت الرّحلةُ مدّةً أطول.

جباة الضرائب (العشّارون):

كان جباة الضّرائب من الأهالي الذين يعملون على جبي الرسوم الجمركية وباقي الضرائب لصالح السلطة الرّومانية المحتلَّة. وكانوا يحتالون على السكّان لتحصيل مقادير تفوق الضرائب المستحقّة عليهم، وذلك لحسابهم الشّخصي. وقد كان سائر اليهود يمقتون جباة الضرائب لأنّهم يعتبرونهم خونة ضالِّين.

المتحمّسون (الغيورون):

كانت فلسطين في عهد السيّد المسيح تحت احتلال الرّومان. وكان الكثير من اليهود يؤمنون بضرورة أن يكون لهم مَلِكٌ صاحب سِيادة على أرضهم، إلاّ أنّ جماعةً منهم كانت تريد تحقيق ذلك على الفور، وبأيِّ ثمن. وهؤلاء هم المتحمّسون (أو الغيورون) الذين كانوا يقاومون الاحتلال الروماني مستعملين العنف أحيانا لتحقيق هدفهم. وكان من نتائج ذلك الثورةُ التي قامت ضدَّ الرّومان سنة 66 للميلاد، والتي

أدّت إلى تدمير مدينة القدس على أيدي الرومان سنة 70 م. وقد كانت تعاليم السيّد المسيح تخالف بشدّة مبادئ هؤلاء المتحمّسين.

الأسينيّون:

مع أنّ الإنجيل الشريف لم يُشِرْ إلى الأسينيين، إلاّ أنّهم كانوا مَوْجُودِين باعتبارهم حركة في عهد السيّد المسيح. وكانوا يقولون بفساد المؤسَّسة الدّينية، وشعائر العبادة في بيت الله في القدس. ولذلك، انسحبوا إلى الصحراء وانتظموا هناك في جماعات منعزلة عُرفت بتزهّدها. وقد اكتُشفت آثارُ إحدى تلك الجماعات في قمران على البحر الميّت.

هيرودس، أسرته ومؤيّدوه (الهيرودُسيون):

لا يُعرف سوى النزر القليل عن الهيرودسيين، فقد كانوا يهودا يؤيِّدون الملك هيرودس الكبير وسلالته، لأنّهم فضَّلوا حُكْمَهُ على الحكم المباشر للرّومان.

فقهاء التوراة:

كان لكلِّ فريق من اليهود علماؤه الّذين يفسّرون له التوراة. وكان هؤلاء مسؤولين على اتخاذ القرار في المحاكم، وعلى تعليم التوراة، وتفسيرها وتطبيق تعاليمها. وكان معظمهم من المتشدّدين الذين يسيطرون على دُور العبادة، رغم أنّ عددا منهم كانوا أحبارًا وصدوقيّين. وقد كان المتشدِّدون من بينهم مسؤولين أيضا على حفظ التوراة في إطار تراث الشّيوخ.

الأحبار:

كان أحبار بني إسرائيل من ذريّة هارون عليه السلام. وهم المسؤولون عن شعائر العبادة في حرم بيت الله، كإعداد القرابين وجمع التقدمات وصيانة مبانئ الحرم ومَرافقه. ولقد كانوا الوحيدين الذين لهم الحقُّ في دخول المحراب المقدّس في بيت الله: لأنّ اللاّويّين (خدّامَ بيت الله) وباقي بني إسرائيل لم يكن لهم ذلك الحقُّ. وكان أغلب الأحبار يَخْدِمُون مرّتيْن خلال السّنة، مدّة أسبوع فقط في كلِّ مرّة. ولكنَّ فئةً منهم يُدْعَوْنَ الرُّؤساء كانوا ذوي سلطة على الآخرين منهم، وكانوا دائِمِي الحُضور في الحرَمِ الشّريف على مدار السّنة. ومعظم هؤلاء الرُّؤساء كانوا من الصّدوقيّين. وعلى رأسهم كبيرُ الأحبار الّذي يشرف على نظام تقديم الأضاحي، وكان هو الوحيد الذي له الحقُّ

في دخول الجزء الدّاخلي (المحراب الأقدس) من بيت الله مرَّةً كلَّ سنةٍ في عيد الكفارة.

اللاّويون (خدام بيت الله):

اللاّويون هم ذريّة النبيّ موسى عليه السلام. وكان للذّكور منهم دَوْرٌ مُهِمٌّ في مساعدة الأحبار. فكانوا مسؤولين عن سَيْرِ العبادة في الحرم، وعن القيام بالأعباء الثّانوية الأخرى كمساعدة الحبر على ارتداء لباسه الخاصّ، وإعداد الكتب المقدّسة للتّلاوة، وتنظيف الحرم الشّريف والإشراف على النظام هناك.

المجلس الأعلى لليهود (السنهدرين):

ترك الرومان لليهود، رغم سيطرتهم عليهم، حرّيّة إدارةِ شؤونهم الدّاخلية. فقد كان للمجلس الأعلى السّلطةُ في إدارة الشؤون الدّينيّة والمدنيّة، وذلك تحت السّلطة العليا للحاكم الرّوماني. وكان المجلس يضمُّ - في الأغلب- واحدا وسبعين عضوا: أربعة وعشرون من رؤساء الأحبار، وأربعة وعشرون من الشّيوخ، واثنين وعشرين من فقهاء التوراة، أمّا كبير الأحبار الذي كان يرأس المجلس كلَّه فيُعيَّنُه الرّومان. ورغم السّلطة التي كان يتمتّع بها هذا المجلس، إلاّ أنّه لم يكن يملك سلطةَ الحُكمِ على أحدٍ بعقوبةِ الإعدام لأنّها كانت حكرا على الحاكم الرّوماني فقط.

حرس بيت الله:

كان حرسُ بيت الله في الأغلب من اللاّويين، وتنحصر مُهمّتُهم في حِفظ النّظام داخل مَرافق الحَرَم الشّريف. وهم يَدِينُونَ بالوَلاء للمجلس الأعلى اليهودي.

القرابة ومسألة "شعب الله المختار"

من الحقائق المهمّة الواردة في رسالة الإنجيل أن الله ألقى كلمته الخالدة إلى مريم العذراء لكي تصبح إنسانا بقوّة روح الله. وقد وُلد ذلك الإنسان قبل حوالي 2000 سنة في بلدة صغيرة في فلسطين تسمّى النّاصرة. وكان من الممكن أن يُرسل اللهُ كلمتَه إلى مناطقَ وحضاراتٍ كثيرةً عبر العالم، ولكنّه اختار هذه المنطقة دون سواها.

فمن بين مئات الثقافات المختلفة والمهمّة على كوكبنا الأرضي وقع اختيارُ الله على الثقافة الشرقية، وتحديدا الشّرق الأوسط. وتُعتبر القرابة بهذه الثقافة مسألة قائمة على أساسِ تسلسلٍ أبويّ يعود إلى الزمن البعيد. فبعض الثقافات تنظر إلى مسألة الأصل كتسلسلٍ سُلاليّ يشمل الآباء والأمّهات على حدّ سواء، بينما تأخذ ثقافات أخرى بعين الاعتبار الأمّهات فقط. وقد ترعرع السيد المسيح ﷺ في كنف الثقافة الفلسطينيّة القديمة التي تحدّد مسألة الأصل على أساس الامتداد السّلالي المحدَّد بشجرة الآباء. والحضاراتُ الّتي تفعل ذلك تعطي أهمية بالغة للنّسب الذّكوري، إذ الذّكور فقط هم من يُورّثون جوهرَ وجودِهم وطبائعِهم لأبنائهم، حيث من اليسير على أبناء هذه الثقافة ذكرُ أسماء أجدادِ أجدادِهم، ولكن من غير الممكن فعلُ الأمر ذاته بخصوص جدّات جدّاتهم.

إنّ مفهوم القرابة أو صلة الدّم أساسيٌّ بالنّسبة إلى الثقافات والشعوب التي تشترك في مجموعة من المعتقدات والعادات والتقاليد. فهناك معتقداتٌ وتقاليد نتقاسمُها مع كل العالم، وعلى سبيل المثال تقرّ كلّ الشعوب بأهميّة مؤسّسة الزّواج بشكل أو بآخر. ولكنّ بعضَ المعتقدات والتقاليد لا يتقاسمها جميع الشعوب. ففي الوطن العربي، مثلا، تُستعمل الحنّاء كنَوْع من الزّينة لزَخرفة بعض أجزاء الجسد في مناسبات الزفاف، في حين لا تحظى الحناء بأيِّ اهتمام يذكر في أمكنة أخرى من العالم لأنّها ليست من عادات تلك الشعوب وتقاليدها.

وتشكّل دراسةُ أواصر القرابة وكيفيّة تسلسلها مجالا واسعا للدّرس في ميدان الانتروبولوجيا التي تعتبر أنّ الشّعوب والثقافات المختلفة تنظّمها أنساقُ قرابةٍ تختلف من ثقافة إلى أخرى، بحيث يختلف نظام علاقات القربى من ثقافة إلى ثقافة بطريقة

تُعطي معانٍ مغايرة للأدوار القائمة داخل كلٍّ مجموعة، وكذا كل النواحي التي تتعلّق بالحياة العائليّة. فالدّراساتُ الّتي تهتمّ بعُرى القرابة تطرح أسئلة من قبيل: مَنْ هم الأشخاص الّذين يُشكّلون "العائلة" في هذا الشعب؟ كيف تنتقل الممتلكات والهويّات وراثيّا من أسرة إلى أخرى؟ كيف يصبح المرء عضوا في عائلةٍ ما وكيف يتمّ توارُثُ هذه العضوية؟ أين يعيش الأزواج حديثو العهد بالزّواج حسب تقاليد هذا الشعب أو العشيرة؟

إنّ الشعوب والحضارات التي تنتقل فيها الهويّة عن طريق الآباء فقط تختلف عن مثيلاتها في بقاع أخرى من العالم. ففي بعض الثقافات يمكن للطفل أن يرث هويّتَه عن أبويْه معا أو قد يرثها عن طريق أمّه فقط. هناك بعض أنظمة الوراثة التي تحتوي على عادات معقّدة جدّا يرث من خلالها الطّفل جوانب مختلفة من هويّته من خلال أبيه وأمّه، وقد يرث بعضَها من العمّات والخالات أو الأعمام والأخوال. وفي الشرق الأوسط، قد يشعر المرء بارتباط قوي مع أمّه، إلاّ أنّ هويّة الأمّ، الطائفية والوطنيّة على سبيل المثال، لا يمكن أن تنتقل إلى الطّفل. وبسبب ضرورة انتقال الهويّة من الأب إلى الابن، لا يستطيع شخصٌ ما الانتماء إلى مجموعةٍ تتقاسم نفسَ الهويّة إلاّ إذا كان الأب جزءا منها. فكيف يتحقّق مثلا الانتماءُ إلى قبيلة معيّنة بالنسبة إلى أغلب النّاس؟ الجواب: عن طريق الانحدار من أبٍ يكون عضوا في تلك القبيلة. وكيف ينتمي شخصٌ ما إلى طبقة الأشراف؟ الجواب: من خلال الأب. وكيف ينتمي شخصٌ ما إلى طائفةٍ دينيّة؟ الجواب: من خلال الأب.

هكذا، تبدو الصّلات الأبويّة راسخة وصلبة. فقد كان الأشخاصُ الّذين عاشروا السيّد المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ وسمعوا كلامه ينتمون إلى ثقافة أبويّة كالّتي نُصادفها اليوم في الشرق الأوسط، بحيث يمكن الحديث عن استمراريّةٍ دامت 2000 سنة، من زمن السيّد المسيح إلى الآن. ولكن رغم أنَّ المسيح عاش في مجتمع اتّسم بانتقال الهويّة عن طريق الأب فقط، فقد أبدى معارضته لبعض الجوانب السلبية في منظومة القرابة الأبوية التي ترعرع في أحضانها. لذلك، فإنّ فَهْمَنا للطّريقة التي قارب بها السيّد المسيح نظام القرابة الذي عاش فيه يمكن أنْ يساعدنا على فهم الدّعوة التي وجّهها لأتباعه ماضيا وحاضرا. فحتّى قبل أن يستهلَّ السيّد المسيح رسالته سبَقه النبيُّ يحيى بن زكريّا عليه السلام الّذي هو ابنُ خالته، فدخل في مواجهةٍ مع أولئك الّذين يعتبرون شجرة النّسب أهمَّ عاملٍ في تحديد الحياة الرّوحية للفرد. وتمَثّل دورُ النّبيّ يحيى في الإخبار بقدوم السيّد

المسيح والتّعريف بالنّظام الجديد الذي أتى به. فقد كان يُخاطب الوافدين عليه كي يتطهّروا بالماء على يديْه قائلا: ﴿توبوا إلى اللهِ، ولْتَكُن توبَتُكُم بَيِّنةً في أعمالِكُم الصّالحةِ، ولا تُسِرّوا في أنفُسِكُم أنّكُم في مَأمَنٍ مِن غَضَبِ اللهِ، كَما في قولِكُم: "نَحنُ المُنحَدِرونَ مِن سُلالةِ النَّبيِّ إبراهيمَ، شَعبُ اللهِ المُختار". إنّ هذا لن يُفيدَكُم في شَيءٍ، فاللهُ قادِرٌ على أن يَستَبدِلَ بكُم حِجارةً يَجعَلُها أبناءً لإبراهيمَ! ألا فاعلَموا أنّ غَضَبَ اللهِ إنّما يَنزِلُ كالفأسِ تَقتَلِع الأشجارَ مِن جُذُورِها، ألاَ وإنّكُم هذِهِ الأشجارُ غيرُ المُثمِرةُ! وغَيرُكُم مِمّن كانوا أمثَالَكُم كتِلكَ الأشجارِ الّتي سيَقتَلِعُها اللهُ ويُلقي بها في نارِ جَهنَّمَ﴾ (لوقا 8:3-9). كان لهؤلاء الناس لا محالة فكرة عن شجرة النسب كما هو الحال اليوم.

لقد كانت تلك الكلمات التي نطق بها النبيّ يحيى بن زكريا ﷷ تحدّيا قويّا جدّا لأولئك المُتفاخرين بانحدارهم من سلالة النبيّ إبراهيم ﷷ، إذ أخبرهم بكلّ شجاعة أنّ "ثمارهم"، أي أعمالهم الصّالحة الّتي هي دليل على توبتهم، أهمّ بكثير من مسألة النّسب الشّريف. والمغزى الذي يمكن استخلاصه من ذلك يتمثّل في أنّ السيّد المسيح يمثّل مرحلة جديدة تعتبر فيها التوبة وطاعة الله أهمَّ بكثير من الانتماء البيولوجي، ومن الهويّة القبليّة أو العرقيّة أو الدينيّة فيما يخصّ تحديد أحقيّة الانتماء لأمّة الله.

لقد جاء السيّد المسيح حقّا بنظام وراثي جديد في إطار أمّة الله الجديدة، بحيث لا يتحدّد الانتماء إلى أهل الله أو أمّته عن طريق شجرة النّسب، وإنّما من خلال الحرص على القيام بما يرضي الله. فمن خلال الحرص على ذلك يتمكّن الفرد من الدّخول إلى مملكة الله الأبديّة الّتي وعد بها أنبياءه الأوّلين. لكن كيف يمكن للمرء أن يصبح جزءا من أمّة الله المُنضوية تحت حكمه؟ لقد سبق للسيّد المسيح أن أجاب على ذلك السؤال عندما سأله أحد قادة رجال الدّين اليهود المسألة ذاتها، حيث قال: ﴿على أرواحِكُم أن تَتَجدّدَ﴾ (يوحنا 7:3). فكما أنّ الإنسانيّة تتكوّن من رجال ونساء وُلدوا في إطارٍ عائليٍّ معيّن، كذلك تتكوّن الأمّة الجديدة ممّن وهبهم الله الحياة الجديدة. وعلى عكس ميلادهم الأوّل الذي لم تكن لهم يد في اختياره، فقد أصبح الآن بإمكانهم أنْ يختاروا ولادتَهم الجديدة بالدّخول في هذه الأمّة. وكما أنّ النّاس يرثون خصائصَ ومميّزاتٍ جسديّةً عن آبائهم، فقد أصبح المؤمنون بالسيّد المسيح مُميَّزين من النّاحية الرّوحية بانتمائهم إلى الله الّذي أتاح لهم من خلال إيمانهم بالسيّد المسيح التّعبيرَ عن الكثير من الصفات القائمة بجوهره وعميق حقيقته.

لقد كان السيّد المسيح يعرف أنّ أتباعه سيواجهون عدّة مشاكل بسبب التزاماتهم الأسريّة الماديّة الجسديّة مقابل التزامهم تجاه أسرتهم الرّوحية الجديدة. لذلك، بيّن ﷺ بوضوح أنّ الّذي يختار أن يكون معه قد يدخل في صراع مع بعض أفراد أسرته نتيجة لقراره ذلك. ففي إحدى المرّات، بينما هو يلقي موعظته أمام جمع من الناس جاءه بعض أفراد أسرته ليأخذوه إلى البيت، فأوضح لهم أنّ ولاءه لأسرته البيولوجية يأتي في المرتبة الثانية بعد ولائه لأمّة الله الجديدة. فقد كان المسيح ﷺ يريد لأتباعه أن يولوا المقام الأوّل لمسألة انتمائهم إلى أمّة الله. إذ قال: ﴿لاَ تَظُنُّوا أنّي جِئْتُ لأقيمَ السَّلامَ بيْنَ المُؤمنين وغيْرِ المُؤمِنِينَ فِي الأرْضِ على حِسَابِ الحَقِّ. بلْ جئتُ بِرِسَالَةِ الحَقِّ الّتِي هِيَ كَحَدِّ السَّيْفِ لِأفْصِلَ بَيْنَهُمْ! وَهَكَذَا سَتُثِيرُ دَعْوَتِي الخِلاَفَ بَيْنَ الابْنِ وَأبِيهِ، والبِنْتِ وأمِّهَا، وزَوْجَةِ الابْنِ وحَمَاتِهَا، ويُصْبِحُ أعْدَاءُ الإنْسَانِ مِنْ أهْلِ بَيْتِهِ. وأقولُ لَكُمْ مَنْ أحَبَّ أبَوَيْهِ أوْ أبْنَاءَه أكثرَ منّي، فلا يَسْتحِقّنِي﴾. (متّى 10: 34-37)

يشكّل تراثُ السيّد المسيح وهويّتُه إذن موضوعا استأثر اهتمام الناس كثيرا. فنحن نُشير عادة إلى السيّد المسيح باسم ابن مريم وذلك اعتبارا لما ورد في الكتب المُقدّسة الّتي تَذكُر أنَّه عاش تحت كفالة يوسف الّذي لم يكن أباه. وقد طعن بعضُ اليهود بشكل سيّءٍ في نسبه واُعتبروه ابنا غير شرعيّ. وذلك بسبب افتقاده لأبٍ بيولوجيّ، كما أنّهم لم يشعروا بالارتياح لعدم انحداره من أسرة ثرية أو شهيرة. إنّ اليهود الّذين انتقدوا المسيح كانوا يجهلون مقاصد الله. فقد جاء في الآية الأولى من سيرة السيّد المسيح التي سجّلها الحواري متّى أنّ السيد المسيح هو وارث عرش النبيّ داود. وهذا لقبٌ ملكيّ يفيد أنّ المسيح من ذريّة المُلوك أبناء يعقوب، كما أنّه من "ذريّة النبيّ إبراهيم" وهي العلامة الأكثر تحديدا لهويّة بني يعقوب. ولكن، كيف يمكن للسيّد المسيح أن يكون سليلَ النبيّ إبراهيم والنبيّ داود رغم أنّه لم يكن له أب بشريّ؟ لقد منح الله يوسف بصفته زوج مريم أمِّ المسيح الحقَّ في أن يصبح وليَّ أمر السيِّد المسيح بما في ذلك تسميته وتربيته. وشجرة النّسب الّتي رسم معالمَها متّى في سيرة حياة المسيح وسلالته هي شجرة يوسف، والهدف منها إبراز حقّ السيّد المسيح في المطالبة بعرش النبيّ داود بصفته المسيح المنتظر. إلاّ أنّها ليست الشجرة الحقيقيّة لسلالة السيّد المسيح. وهذا يُبيّن أنّ الهويّة والانتماء الرّوحي للسيّد المسيح أهمُّ بكثير من أيّ انتماء عائلي.

فقبل ميلاد المسيح بأجيال كثيرة تنبأ النبي داود ﷺ بقدوم المسيح المنتظر حيث قال: "أقسم الله ولا رادَّ لِقسَمِهِ: لقد جعلناكَ حبرًا إلى الأبد، على نظامِ المَلِكِ صادِقٍ" (كتاب الزبور، المزمور 4:110). وقد كان الملك صادق أحد عبادَ الله في عهد النبيّ إبراهيم ﷺ، وكان ينتمي لأمّة أخرى. ولم تدوَّنْ سلالتُه كما هو الحال بالنسبة لسلالة الأحبار من بني يعقوب. فأصبح بذلك يُمثّل الشّخص الّذي يستمدّ حقّه في أنْ يكون إماما عند الله من الله نفسه وليس من سلالته الأبويّة. وهذا ينطبق تماما على السيّد المسيح الذي يستمدّ حقّه وشرعيّته من الله، لا من انتمائه القبلي أو نسبه العائلي.

إنّ هويّة السيّد المسيح تأتي من صلاحه واستقامته وليس فقط من انتمائه لأيّة نسب. فمثلما دعا أتباعَه كي يكون ولاؤهم له ولمملكة الله فوق ولائهم للنّاس، أبان أيضا من خلال حياته، وولادته العجيبة، أنّ هويّتَه كمنقذ وملك مُستمدَّة من الله. ففي أمّة الله الجديدة بيّن السيد المسيح أنّ ولاءنا له أهمُّ من أيِّ ولاء عِرقيّ. والّذين لبَّوْا نداءه كفُّوا عن النظر إلى النّاس من منظور الانتماء السُّلالي، إذ لم يعد هناك اعتبارٌ للفَرق بين اليهوديّ وغير اليهوديّ، والذّكر والأنثى، أو أيّ اعتبار لأواصر القرابة والنسب. لقد أصبحت أمّة الله تضمُّ كلَّ النّاس الّذين لبَّوْا نداء المسيح للتّوبة والاستقامة من خلاله. فلا عجبَ أنْ يُسمِّيَ السيِّدُ المسيح هذا التحوُّلَ ولادةً جديدةً!

أتباع السيد المسيح وحَواريوه

أتباع السيد المسيح

كان أتباع سيدنا عيسى ﵇ جماعة من الرجال والنساء قرروا اتِّباعه خلال حياته على الأرض، والاستمرار في إخلاصهم وولائهم وطاعتهم له بعد تضحيته بحياته وقيامته من الموت. ويدعى هؤلاء الأتباع في بعض ترجمات الإنجيل الشريف بالتلاميذ، لأن المعلّمين اليهود، وأيضا الفلاسفة الإغريق كانوا عادة محاطين بتلاميذهم وأتباعهم شأن السيد المسيح.

كان على تابع السيد المسيح ملازمته وطاعته والولاء التام له (انظر مرقس 8: 34-38، لوقا 14: 26-33)، وفي بعض الأحيان عليه مغادرة بيته وعمله، والتحرّر من ممتلكاته (مرقس 10: 21، 28) واضعا رضا مولاه عيسى فوق كل الاعتبارات مهما كلفه ذلك. ويمكن القول إن طبيعة هذه العلاقة كانت أقرب إلى علاقة عبد بسيده منها إلى علاقة تلميذ بمعلّمه كما نفهمها اليوم.

وقد ظلّ أفراد الجماعات الأولى الذين آمنوا بسيدنا المسيح بعد انبعاثه من الموت، يدعون أتباع المسيح، وظلوا يعتبرون المسيح مولاهم رغم أن بعضهم لم يلقه أبدا وجها لوجه (انظر سيرة الحواريين 6: 1). وهو ما يمكن قوله اليوم أيضا عن المؤمنين الذين يعتبرونه مولاهم رغم أنهم لم يروه أبدا بأعينهم. وهو ما يتطلب من هؤلاء المؤمنين معاملة بعضهم بعض بالطريقة نفسها التي كان تلاميذ السيد المسيح يتعاملون بها فيما بينهم، ألا وهي المحبّة (يوحنا 13: 34-35)، والعيش في سلام، وحفظ عهد الخبز والملح فيما بينهم (مرقس 9: 50). ويستخدم الإنجيل الشريف عدة كلمات للدلالة على أتباع السيد المسيح عموما مثل: المؤمنين والصالحين والإخوة. وهي الكلمات نفسها التي استخدمها الله تعالى قديما في إشارته إلى المؤمنين من بني يعقوب.

أتباع السيد المسيح من النساء

خرق سيدنا عيسى ﵇ العرف عندما سمح للنساء أن يكُنَّ من أتباعه. إذ جاء في لوقا 8: 1-3 مثلا إشارة إلى نساء كن يتبعن سيدنا عيسى من بلدة إلى بلدة وهو يبشّر

بالمملكة الربانية؛ وقد كان بعضهن ممّن شفاهن من مرض أو مس شيطاني، بينما كان بعضُهنّ الآخر من ذوات المال والجاه يساندنه ﷺ وتلاميذه بمالهن. وقد كان مسموحا للنساء في ذلك الزمن أن يساندن معلّمي الدين بالمال، إلا أنّه لم يكن مسموحا لهن عادة أن يسرن وراءهم من بلدة إلى بلدة. ولكن السيد المسيح ﷺ أكّد في زيارته لبيت مريم ومرثا إمكانية أن تصبح النساء تلميذات له وأن يتعلّمن منه تماما كباقي تلاميذه (لوقا 10: 38-42).

وقد لعبت التابعات دورا مهمّا حين جعلهن الله أوّل من شهد انبعاث السيد المسيح حيّا، رغم أن شهادة النساء في الثقافة اليهودية لم تكن مقبولة على العموم أو مُعَوّلا عليها. بذلك كرّم الله تعالى هؤلاء النسوة، ورفع قدرهن بين باقي الأتباع، خصوصا عندما طلب منهن الذهاب وإخبار باقي أتباعه بما رأين، وهو ما أكّده بطرس الصخر فيما بعد (انظر متّى 28: 7).

أتباع السيد المسيح من الأطفال

لم يكن للأطفال اعتبار في زمن السيد المسيح، إلا أن معاملته لهم اختلفت عما كان سائدا آنذاك، فقد اهتمّ بهم اهتماما خاصّا، ورفع شأنهم بين أتباعه. كما سمح لهم ﷺ أن يأتوا إليه ليباركهم، وأعلن أنّ ورثة المملكة الربانية يشبهون الأطفال من حيث بساطة وضعهم الاجتماعي (مرقس 10: 13-16)، بل حث أتباعه على قبول الأطفال رسلا له (مرقس 9: 36-37).

هكذا نرى أن أتباع سيدنا عيسى لم يكونوا من الرجال فقط، بل من النساء والأطفال أيضا. ونجد في سيرة الحواريين (أي أعمال الرسل) أن بيوتا بأكملها آمنت بسيدنا المسيح، ممّا يعني أن العبيد المنتمين إلى تلك البيوت آمنوا أيضا، علما أن العبيد كانوا من الدرجات الدنيا في المجتمع.

الحواريون

اختار السيد المسيح حوارييه من بين الدائرة الأوسع لأتباعه. ونحن هنا نستعمل كلمة "حَواري" كترجمة للكلمة الإغريقية "apostolos" التي تعني "شخصا مرسلا بمهمّة". وقد اختار سيدنا عيسى ﷺ هؤلاء الحواريين ليرافقوه في حله وترحاله، ويقوموا بمهمّة الدعوة معه، حيث أعطاهم القدرة على شفاء الأمراض، وتحرير الناس من سطوة الجن والشياطين.

كانت المهمّة الأساسية لهؤلاء الصحابة إعلان الشهادة لسيدنا المسيح، وقد كانوا مؤهلين لذلك بحكم السنوات التي عرفوه فيها عن قرب وبشكل شخصي، وبحكم عمق ما تعلّموه منه أيضا. كما كانت مهمّة هؤلاء الصحابة الشهادة لانبعاثه من الموت (مثلا سيرة الحواريين 1: 22، 2: 32، 3: 15، 13: 31). فقد كانوا قادرين على إثبات هوية سيدنا عيسى كمسيح الله الذي رفعه إليه تصديقا لما كتبه أنبياء الله من قبله (مثلا سيرة الحواريين 2: 24 وما يليه، 36، 3: 26، الرسالة إلى أحباب الله في روما 1: 4). وقد كلّف سيدنا عيسى بعد انبعاثه أولئك الحواريين بتبليغ رسالته إلى كافة الشعوب والأمم (سيرة الحواريين 1: 8).

لقد كان لروح الله دور أساسي في تأييد الحواريين على إعلان الشهادة لسيدنا المسيح بشكل فعّال. فقد وعدهم سيدنا عيسى ﷺ أنه بعد رحيله سيرسل لهم روح الله كي تشهد له (يوحنا 15: 26-27)، وتذكرهم بكلامه، وتقودهم إلى الحق (يوحنا 14: 26). لذلك يمكن القول إن شهادة الحواريين ليست مسألة عواطف وانطباعات وذكريات، بل هي ثمرة إرشاد روح الله لهم، لأن شهادتهم للسيد المسيح إنّما هي عين شهادته.

ولهذا السبب اتّخذ تعليم الحواريين للمؤمنين الأوائل صفة المعيار العقائدي (سيرة الحواريين 2: 42، رسالة يوحنا الأولى 2: 19)، واعتُبِر هؤلاء الحواريون أركان جماعات المؤمنين الأولى (الرسالة إلى أحباب الله في غلاطية 2: 9) لأن أمّة الله إنّما بُنيت على أساس الحواريين والأنبياء (الرسالة إلى أحباب الله في أفاسوس 2: 20). وأخبر السيد المسيح أيضا أنّ الحواريين سيجلسون معه ليدينوا بني يعقوب يوم الحساب (متّى 19: 28)، ونعلم أنّ أسماءهم ستكون منقوشة على أساسات المدينة المقدسة التي سيقيمها الله في آخر الزمان (كتاب الرؤيا 21: 14). إنّ سيدنا عيسى ﷺ هو الذي اختار حَوارييه أي رسله، وقد اختار بعضهم بشكل شخصي، مع أنّ ذلك يتعارض مع التقليد اليهودي الذي كان يقضي عادة أن يبحث شخص ما عن معلّم، ويقرّر اتّباعه بعد ذلك. وقد حرص سيدنا عيسى أن يذكّرهم بذلك خلال العشاء الأخير الذي سبق القبض عليه وصلبه: "ولا يَذهبَنَّ بكم الظنُّ أنّكم اختَرْتُموني بلْ أنا مَنِ اختارَكُم لتَكُونُوا مِمَّنْ يُثمِرُ أعمالاً يدُوم تأثيرُها إلى الأبد، فيمنحُكم اللهُ الأبُ الرَّحمنُ بذلك كلَّ ما تسألُونه باسْمِي" (يوحنا 15: 16).

وينبغي التذكير أن سيدنا المسيح اختار من حيث العدد اثني عشر حواريا، بسبب ما يحمله عدد 12 من رمزية. فالتوراة تذكر أن نبي الله يعقوب عليه السلام كان له اثنا عشر ابنا أصبح كل واحد منهم سلفا لقبيلة من قبائل بني يعقوب الاثنتي عشرة، علما بأن الله كرّم بني يعقوب في القديم باختيارهم قوم ميثاقه. ولكن مجيء السيد المسيح غيّر مفهوم شعب الله، وجعل كل مؤمن بسيدنا عيسى المسيح جزءا من هذا الشعب، بغض النظر عن الانتماء العرقي لبني يعقوب. إنّ اختيار سيدنا عيسى سلامه علينا لاثني عشر حواريا إذن، كان من الناحية الرمزية عبارة عن إعادة تعريف لمفهوم شعب الله على أسس جديدة.

وقد تمّ فيما بعد اعتبار بعض الأشخاص حواريين مثل الحواري بولس الذي ظهر له السيد المسيح في رؤيا بينما كان في طريقه إلى دمشق. واعتُبر أَندَروني وجونِيا من الحواريين أيضا. وقد تمّ التأكيد على كونهم حواريين بسبب "المعجزات والعجائب والكرامات" التي جرت على أيديهم (انظر رسالة بولس الثانية إلى أحباب الله في كورنتوس 12: 12). ولكن تبقى أهمّ علامة على اعتبار شخص ما حواريا هو ظهور السيد المسيح له بعد انبعاثه سلامه علينا من الموت.

خلفيات أتباع سيدنا عيسى

لقد انتمى الحواريّون إلى خلفيات مختلفة وهذا أمر جدير بالاهتمام. فسمعان (الملقّب بالوطني المتحمّس) جاء مثلا من خلفية سياسية قومية تنادي بمقاومة الاحتلال الروماني، بينما كان متّى متعاونا مع الرومان بحكم مهنته كجابي ضرائب. وبهذا يمكن اعتبار سمعان ومتّى عدوين لبعضهما من وجهة نظر دنيوية سياسية. غير أنّ سيدنا عيسى سلامه علينا طلب منهما الولاء له، واتّباع تعاليمه، وتقديم ذلك على كل الولاءات الدنيوية الأخرى. وكان بطرس وأندراوس ويعقوب ويوحنا يحترفون مهنة الصيد التي كان بنو يعقوب يحتقرونها. إضافة إلى أن معظم أتباع السيد المسيح كانوا يقطنون منطقة الجليل وهي لا تحظى بأهمية عند اليهود في منطقة يهوذا، بسبب ضعف تديّن سكّانها وعدم صفاء عرقهم لاختلاطهم بأعراق أخرى. ومع ذلك عيّن سيدنا المسيح بطرس الصياد الجليلي، كأحد أهمّ قادة الأمّة.

وإذا كان الحواريون الإثنا عشر ينحدرون من بني يعقوب، فإنّ الدائرة الأوسع لأتباعه ضمّت أيضا أشخاصا من اليونان. وأكّد الحواريون أنّه بإمكان أي شخص من

خارج بني يعقوب أن ينتمي إلى أهل بيت الله (انظر الفصول 10، 11، و15 من سيرة الحواريين). وهكذا أكّد سيّدنا عيسى ﷺ أنّ رسالته شاملة بقبوله الناس جميعا أتباعا له من مختلف الخلفيات السياسية والاجتماعية والعرقية. فلم تقتصر رسالته على أمّة أو طبقة أو فئة معيّنة، بل شملت الإنسانية جمعاء.

نساء حول السيد المسيح

كانت علاقة السيد المسيح عليه السلام بالنساء مثار حيرة واستفزاز بالنسبة إلى العديد من رجال الدين عبر العصور. فجماعة المؤمنين التي التأمت حوله كانت تضمّ يهودا وغير يهود، أغنياء وفقراء، شيوخا وأطفالا مع وجود نساء من كل هذه الفئات. فسيدنا عيسى عليه السلام لم يضع بينه وبين النساء مسافة أو حجابا، بل عاملهن على قدم المساواة مع الرجال، مصغيا إليهن، شافيا إياهن كما كان يفعل مع الجميع.

سيدنا المسيح يشفي النساء

خلال القرن الأول للميلاد كانت الثقافتين اليهودية والهيلينية تعتبران النساء أقلّ درجة من الرجال، إلا أن الوقائع التي تطالعنا في الإنجيل الشريف لا تترك مجالا للشك في أن سيدنا عيسى عليه السلام كان يعامل النساء على قدم المساواة مع الرجال. فقد شفى مثلا العديد منهنّ: شأن حماة بطرس الصخر (انظر مرقس 1:29-31، متّى 8:14-15، لوقا 4:38-39)، والمرأة النازفة (مرقس 5:24-34، متّى 9:18-26، لوقا 8:41-56)، وابنة رئيس بيت العبادة (مرقس 5:21-24، 35-43، متّى 9:18-26، لوقا 8:41-56)، وامرأة غير يهودية، سورية فينيقية أو كنعانية (مرقس 7:24-30، متّى 15:21-28). ورغم أنّ الشريعة اليهودية لم تكن تجيز لمس غير اليهود والنساء في فترة حيضهنّ لأنها تعتبر هؤلاء نجسون، لكنّ السيد المسيح وضع يده الشريفة شافيًا كل واحدة من هؤلاء النسوة، وأعاد لهن عافيتهن، مانحا إياهن نصيبا كريما في دعوته.

سيدنا المسيح يضرب المثل بالنساء في الإخلاص والتفاني

لقد أثارت الأرملة الفقيرة التي ألقت بالنزر الذي تملكه في خزانة بيت الله في القدس إعجاب السيد المسيح (مرقس 12:38-44، لوقا 21:1-4)، بينما وقف يوبّخ رجال الدين الذين أوصلوا مثيلاتها إلى عتبة الفقر باستغلالهن وسرقة أموالهن. كما مجّد المرأة التي سكبت قارورة العطر على رأسه في قرية بيت عنيا قبيل اعتقاله (مرقس 14:3-9، متى 26:6-13، لوقا 7:36-50). ونحن نعلم أيضا أن النساء هن اللواتي ثبتن بجانبه سواء عند صلبه أو في قبره، وهن اللواتي نشرن خبر قيامته (مرقس 15:42 حتّى

8: 16، متّى 57: 27 حتّى 10: 28، لوقا 50: 23 حتّى 11: 24، يوحنّا 1: 20-2، 11-18).

تعاليم السيد المسيح في مواجهة موقف رجال الدين من النساء

كان السيد المسيح يعتبر النساء والرجال سواسية بالنظر إلى مسؤوليتهم عن أفعالهم. بل إنه كان يعتبر النساء ضحايا أكثر منهن مخطئات. فهن لم يعدن في نظر السيد المسيح مجرد ممتلكات قابلة للبيع والشراء، بل كائنات بشرية تستحق الاحترام والمحبّة والتبجيل. هكذا نجد أن كل سجلّ من السجلاّت الأربع للإنجيل تركّز على علاقة سيدنا عيسى بالنساء من منظور خاص. فمرقس يحرص على إبراز المنزلة التي تبوأتها النساء إلى جانب كل المعذبين في ظل الإيمان الجديد، والفرصة التي أتيحت لهن لخدمة السيد المسيح ومرافقته، كما يحب أن يقارن إخلاص النساء وولاءهنّ بتخلّي أتباعه عنه، موضحا بذلك أن الإيمان الحق يتجلّى في الطاعة ونكران الذات.

ويسجّل متّى ومرقس القصص نفسها عن كيفية قبول السيد المسيح للغرباء والدخلاء والمهمشين، وشفائه لهم، بما في ذلك النساء اللواتي غالبا ما يتمّ نسيان أسمائهن. ويذهب متّى أبعد من ذلك فقد كان بإمكانه في عرضه سجلّ التسلسل الملكي لنيل السيد المسيح عرش المملكة الربانية، إدراج أسماء نساء شهيرات وشريفات من بني يعقوب مثل سارة ورفقة وراحيل، لكنه عوض ذلك فضّل تذكير قرائه بنساء مؤمنات من خارج بني يعقوب، مثل راعوث المؤابية. لم يخجل عليه السلام من ذكر نساء مثل تامار ورحاب التي كانت زانية.

وركّز لوقا على إبراز صلاح مريم وحكمتها، وذكر أيضا أنّ الله أوحى إلى امرأتين غيرها، وهما اليصابات وحنان، كما أوحى أيضا نظيريهما الصالحين زكريا وسمعان. فالنساء بالنسبة إلى لوقا يتبوأن مكانة عظيمة في المملكة الربانية، حيث يظهرن في الأمثال المرتبطة بهذه المملكة، ويمجّدن الله في بيت العبادة (لوقا 10: 13-17). ويذكر لوقا قصة المرأة التي مسحت قدمي السيد المسيح بشعرها وقوله لها "إيمانك بي قد نجّاك، فامضي في طريقك بأمان الله" (انظر لوقا 50: 7)، والمرأة النازفة التي لمست ثوب السيد المسيح وسط الزحام فقال لها: "اعلمي يا ابنتي أن ثقتك بي كانت السبب في شفائك. فامضي بأمان الله" (لوقا 8: 48). ثم يذكر لوقا بعد ذلك قصة الأختين مرثا ومريم، وإشارته إلى أن مريم نالت حظوة في اختيارها الجلوس عند قدميه كعادة

المريدين في ذلك الوقت، لحظة التعلّم (لوقا 38 : 10-42). وعندما تصرخ إحدى النساء مخاطبة السيد المسيح بقولها: "بوركت الأمّ التي ولدتك وأرضعتك" فيجيبها هو قائلا: "وبورك من يصغي لكلام الله عاملاً به" (لوقا 27 : 11-28). فمريم لم تنل الشرف فقط لكونها ولدت سيدنا عيسى المسيح، بل لأنها سمعت كلام الله وحفظته. وفي كتاب سيرة الحواريين (أي أعمال الرسل) يمضي لوقا في التذكير بدور النساء المهم في البدايات الأولى لتأسيس جماعة المسيح، وبانسكاب روح الله عليهن في يوم عيد الخمسين (سيرة الحواريين 17 : 2)، ودورهن في استقبال وحي الله لهن (سيرة الحواريين 9 : 21) وقيادتهن لجماعات المؤمنين (سيرة الحواريين 12 : 12، 14 : 16).

وفي الوحي الذي سجّله يوحنا نرى النساء وقد أخذن دور القيادة، وهن يبدعن طرقا خاصة ومناسبة لاتّباع سيدنا عيسى. فهو لم ينتقد المرأة السامرية عندما ذهبت تكلّم أهل بلدتها عنه (يوحنا 4 : 4-42)، رغم أن الحواريين أصابهم الارتباك والحرج عندما تحدّث معلّمهم معها (الآية 27). ويقارن يوحنّا بين ضعف إيمان الحواريين وخوفهم من جهة، وبين قوة إيمان مريم ومرثا من جهة أخرى (40 : 10 حتّى 44 : 11). فقد نطق كل من بطرس الصخر ومرثا شهادة إيمان عظيمة دون أن يفهما عمق ما نطقا به، ولكن مريم فهمت عمق الإيمان بسيدنا عيسى ﷺ فمسحت رجليه مستحقة بذلك مقام المريدة الواعية بما تؤمن به حقا وفعلا، بينما بقي الآخرون وكأنّهم تائهون في عتمة اللّيل (11.9). وبغسلها رجلي السيد المسيح أعطت المثال الحق على الإيمان، وهو الفعل الذي حاكاه السيد المسيح في العشاء الأخير (4 : 13-17). ويذكر يوحنّا أنّ مريم بدت أكثر وعيا بدور الحواري من بطرس. ونرى أيضا كيف أن السيد المسيح ائتمن امرأة على تبليغ خبر قيامته، وهذه المرأة هي مريم المجدلية (10 : 20-18).

طبعا لم تكن كل النساء المذكورات في أسفار الإنجيل الشريف نماذج للإيمان. فقد كان بعضهن يقفن في صف الظالمين ضد سيدنا المسيح، إذ كن عرضة للضلال والغواية كباقي البشر. فقد كانت امرأة ظالمة هي التي طلبت رأس يحيى بن زكريا ﷺ ثمنا لرقصها أمام الملك، كما أن امرأة هي التي حاولت إقناع السيد المسيح أن يتبوأ ابناها مركز الزعامة بين الحواريين. ولعلّنا نستطيع أن نقول إن النساء أكثر قابلية واستعدادا لفهم رسالة السيد المسيح، وأنّ من يكون في الدرجة الدنيا في نظر الناس قد يحظى في مملكة الله في المقام الأوّل، وأن الأطفال هناك قد يتفوّقون على الكبار مرتبة.

مفهوم جماعة المؤمنين (الكنيسة)

من بين الإشكالات المرتبطة بلفظ "الكنيسة" في اللّغة العربية، شأن بعض اللّغات الأخرى، هو استخدام الكلمة تارة للإشارة إلى المبنى الذي يتعبّد فيه المسيحيّون، وتارة أخرى إلى مجموعةٍ أو طائفةٍ مسيحيّةٍ معيّنة مثل كنيسة الأقباط الأرثوذكس، أو كنيسة الإغريق الأرثودكس، أو الكنيسة المارونية أو كثير من الكنائس البروتستانتيّة.

ونجد في اللّغة اليونانيّة الّتي هي اللّغة الأصليّة للإنجيل الشّريف أنّ كلمة إكليسيا (ekklesia) والّتي تقابلها كلمة "كنيسة" بالعربيّة، كانت تُستَخدم للدّلالة على أيّة مجموعة من المؤمنين تجتمع لتعبد الله باسم السيد المسيح ﷺ. ثم أصبحت فيما بعد تدلّ على كلّ من ينتمي إلى أمّة الله أي كلّ النّاس من مختلف الأعراق واللّغات والثقافات الّذين يؤمنون أنّ الربّ الواحد الخالق تجلّى بكلّ جلال في شخص السيّد المسيح.

لقد استخدَمت شعوبُ شرق المتوسّط كلمة إكليسيا قبل زمن السيّد المسيح للدّلالة على كل لقاء شعبيّ أو تجمّع ينعقد بدعوة من السّلطات. واستخدم اليهود الذين يتكلمون باليونانيّة هذه الكلمة للإشارة إلى بني إسرائيل (بني يعقوب)، أي قوم ميثاق الله كما ورد في التوراة وغيرها من كتب الأنبياء. ولفهم مدلول لفظ "إكليسيا" أو جماعة المؤمنين كما وردت في الإنجيل الشّريف، ينبغي علينا أن نبدأ بفكرة "شعب الله" الواردة في التّوراة والزّبور وغيرهما من كتب الأنبياء. وبعد ذلك نرى كيف أعطى سيدنا عيسى ﷺ للفكرة بعدا جديدا طوّره الحواريّون لاحقا.

يبدأ الكتاب الأوّل في التّوراة، الّذي هو سِفر التّكوين بوصف عملية الخلق التي يمثّل آدم وحواء اكتمالها، إذ حظيا بمنزلة شرف عالية، وبعلاقة قربٍ حميمة مع الله في جنّة عدن. إلاّ أنّ هذه العروة انفصمت عندما عصيا أمر الله وأكلا من الشجرة، ففقدا بذلك منزلتهما المتميّزة، وأُهبطا من الجنّة إلى الأرض. فكان لانفصالهما عن الله والذل الذي لحقهما من جرّاء فعلتهما الشنيعة أثرٌ على ذرّيّتهما الّتي حُكِم عليها بالنّفي. ثمّ عندما فسُد أمر ذريّة آدم سلّط الله عليهم الطوفانَ عقابا لهم وأنجى نوحا عليه السلام وأهله. وتُعتبر قصّة النبيّ إبراهيم عليه السلام الّتي وردت بعد ذلك ذات أهميّة لأنّها تمثّل مرحلة

جديدة في علاقة الله مع بني البشر، وفيها نستشفّ أربعة جوانب هامّة في الميثاق الذي أبرمه الله مع النبيّ إبراهيم حين طلب منه الانتقال من أور في العراق إلى فلسطين، كما جاء في سِفر التّكوين (12: 1-3، 15: 18-21، 17: 1-8)

وهذه الجوانب هي:

1) وعد الله بخصوص الأمّة: "سأجعلكم أمّة عظيمة"

2) وعد الله بخصوص الأرض: "سأورثكم الأرض إلى الأبد"

3) وعد الله بخصوص العلاقة مع قوم ميثاقه: "سأكون ربّكم وتكونون قومي"

4) وعد الله بخصوص بركته ونعمته على جميع شعوب العالم: "سأبارك جميع شعوب الأرض وأنعم عليهم من خلالك".

ونظرا إلى هذه العلاقة الوثيقة فقد وعد الله النّبيَّ إبراهيم عليه السلام وذريّتَه أن يصبحوا قوم ميثاقه. وبما أنّ النّبيّ يعقوب، حفيد النبيّ إبراهيم، قد أعاد اللهُ تسميَتَه، فقد أصبح فرع من ذريّة النبيّ إبراهيم تُعرَف فيما بعد باسم عشيرته الذي هو "بنو يعقوب" أو "بنو إسرائيل".

وبعد قرون من الزمن، في فترة الخروج من مصر، أخبر النبيُّ موسى عليه السلام قومَه أنّ الله يريد أن يأخذ عليهم الميثاق مفضّلا إيّاهم على غيرهم من الأمم، فقد جاء في التوراة في سفر التثنية: (لأنكم قومٌ مقدّس لله ربّكم. فإيّاكم قد اختار الله ربّكم من بين جميع شعوب الأرض لتكونوا القوم الخاصّ لميثاقه. ولم يفضّلكم الله ويتخيّركم لأنكم أكثر عددا من سائر الشعوب، فأنتم اقلّ الأمم عددا، بل من محبّته وحفاظا على القسم الذي أقسم به لآبائكم الأوّلين).[1] وتُعتبر هذه الآيات من أوضح الإشارات الّتي وردت في التوراة، والتي تبرز كيف أصبح بنو يعقوب ينظرون إلى أنفسهم على أنّهم "شعب الله المختار". إلاّ أنّ هذه الفكرة تُفهَم في أحيان كثيرة فهما خاطئا. فقد تبادر أحيانا إلى ذهن اليهود أنّ الله يحبّهم أكثر من غيرهم من الشّعوب. كما نسُوا أنّ الله اُختار هذه العلاقة الوثيقة ببني يعقوب ليُسبغ حُبَّه وبركتَه على النّاس أجمعين. إنّ غاية الله من هذه العلاقة الوثيقة مع بني يعقوب هي تمكين البشر من استعادة علاقتهم التي انفرطت عراها مع الله بعصيان آدم وحواء.

---

(1) التوراة، سفر التثنية، 6: 7.

ويمكن تلخيص هذه الأفكار التي وردت في التوراة بالقول، إنّ حرص الله على هذه العلاقة مع بني يعقوب ليس لأنهم أفضل من غيرهم من الشعوب، بل لأنّ الله أراد أن تعمّ بركاته على جميع شعوب الأرض من خلالهم، كما أنّه اختارهم من منظور محبّته الشاملة للإنسانية جمعاء.

وعندما أرسل الله سيّدنا عيسى ﷺ ليكون حَلقة وصل تُتيح لبني آدم استعادة منزلة الشّرف والقرب الّتي كانوا يحظون بها عنده تعالى، فسمح بتطوير الأفكار السّالفة الذّكر بخصوص شعب الله، وتجلّى ذلك في بروز ثلاث أفكار جديدة على الأقلّ:

الفكرة الأولى:

أعلن السيد المسيح تمثيله شعب بني يعقوب برمّته بطريقة فريدة وخاصة، وذلك بالإشارة إلى نفسه عبر ألقاب وردت في التوراة والزّبور وغيرهما من كتب الأنبياء، وهي ألقاب تُطلق على بني يعقوب ككلّ. ومن ذلك مثلا أنّ المسيح وصف نفسه بـ"الابن الروحي لله" وهو لقب كان يطلق على شعب بني يعقوب وملوكهم في الزبور وغيره من كتب الأنبياء. كما كان السيد المسيح يلقّب نفسه بـ"عبد الله" وهي صفة كان النبيّ أشعيا عليه السلام يطلقها على شعب بني يعقوب ككلّ. كما وصف نفسه بالكرمة الحقيقيّة، ونعلم أنّ الله وصف بني يعقوب في الزّبور بـ"الكرمة". فالسيّد المسيح يريد من خلال هذه الأسماء أن يقول إنه هو الذي يمثّل بني يعقوب، قوم ميثاق الله.

الفكرة الثانية:

دعا سيّدنا عيسى ﷺ النّاس ليكونوا من أتباعِه، وتحدّث عن تأسيس جماعة خاصّة به. وعندما اختار اثني عشر رجلا ليكونوا حواريّيه كان في ذلك إشارة واضحة لأسباط بني يعقوب الاثني عشر. وحين عبّر بطرس الصّخر وهو أحدُ الحواريّين عن إيمانه بأن سيّدَنا عيسى هو المسيح المنتظر أجابه قائلا: (وإنّي أُطلِقُ عليكَ لَقَبَ الصَّخرِ. وعلى أساسِ تِلكَ الصَّخرةِ سأُقيمُ أُمّتي، فيَكونُ إيمانُها راسخًا وأبوابُ المَوتِ لن تَصمُدَ أمامَها) (متّى 16: 18). ومن بين تعاليم السيّد المسيح أنّه شرح لأتباعه طريقة بناء علاقتهم فيما بينهم على أساس متين، كما قدّم لهم معالم الحياة البارزة في كنف جماعتهم الجديدة. لذا، يجب النظر إلى جماعة المؤمنين باعتبارها امتدادا للأمّة السّالفة، أي لبني يعقوب، وقد دخلت هذه الأمّةُ عهدا جديدا من خلال

السيّد المسيح. وأصبح من واجبها إظهارُ انقيادها وطاعتها للسيّد المسيح كرئيسٍ لها، كما أصبح حواريّوه في مرتبة الآباء لهذه الجماعة الجديدة.

الفكرة الثالثة:

لقد كان السيّد المسيح يتشوّق إلى الوقت الذي يصبح فيه قوم ميثاق الله مكوَّنا لا فقط من اليهود، بل من كلِّ الشّعوب والأمم أيضا. وبانبعاث السيد المسيح من الموت، قد أبدى الله رضاه على كلِّ ما قاله عَلَيْهِ السَّلَامُ عن نفسه، ونصره أمام الأمم قاطبة. ثمّ بُعَيْد قيامته من الموت تحدّث عن السّلطة الفريدة التي منحه الله إيّاها، والّتي أمر حواريّيه على أساسها بنشر رسالته في الآفاق ودعوةِ النّاس للدّخول في المملكة الربّانية: "لقد مَنَحَني اللهُ كُلَّ سُلطانٍ في السَّماءِ والأرضِ، فانطَلِقوا إذن وطُوفوا في الأرضِ على جَميعِ الشُّعوبِ وحَدِّثُوهُم عن رِسالتي حتّى يُؤمنُوا بِها ويَصيروا مِن أتباعي، وكدَليلٍ على إيمانِهِم، طَهِّرُوهُم بالماءِ باسم اللهِ الأبِ الصَّمَدِ والابنِ الرُّوحيِّ لهُ ورُوحِهِ تَقدَّسَ وتَعالى، وعَلِّمُوهُم أن يَعمَلوا بكُلِّ ما أَوصَيتُكُم بِهِ، وتَيَقَّنوا بأنّي سأكونُ مَعَكُم على الدَّوامِ إلى آخِرِ الزّمانِ". (متّى 28: 18-20)

يصف كتاب سيرة الحواريين (أو أعمال الرّسل) ارتفاعَ عدَدِ جماعة المؤمنين في الأسابيع والسّنوات الّتي تلت صعود السيّد المسيح إلى السّماء، فعندما خاطب الحواريّ بطرس جموع المُصلِّين في القدس يوم عيد الخمسين آمن ثلاثة آلافٍ منَ النّاس وتطهّروا بالتّغطيس في الماء على يد الحِواريّين (انظر سيرة الحواريين 2: 1-47). وقد كانت شعيرة الطّهارة بالتّغطيس معروفة لدى اليهود كعلامة على استقبال شخصٍ جديد في عقيدتهم، وهي الوظيفة التي احتفظ بها التطهير بالتّغطيس حتّى بين المؤمنين بالسيّد المسيح.

وقد طوَّرَ الحِواريُّون بواسطة كتاباتِهم فكرةَ جماعة المؤمنين من عدّة جوانب، كما أشاروا إلى أهميّة كل جماعات المؤمنين أينما كانوا. هكذا، تحدّث الحواريُّ بولس مثلا في رسالته الأولى إلى المؤمنين في كورنتوس عن تلك الجماعة من المؤمنين الّذين كانوا يلتقون في منزل عَقيل وبَرَكة (انظر كورنتوس الأولى 16: 19). كما كان على علم بوجود عدّة جماعات من المؤمنين في مناطق أخرى لأنّه تحدّث عن الجماعات الموجودة في مقاطعة آسيا.

ولقد تحدّث الحواريّ بولس عن أتباع السيّد المسيح لا باعتبارهم مؤمنين فقط بل

باعتبارهم "أولياء صالحين" أيضا. ورغم أنّ النبيّ موسى عليه السلام أشار إلى بني يعقوب كشعب يتمتّع بمنزلة خاصّة عند الله، إلاّ أنّ الحواريّ بولس قد تحدّث عن كلّ المؤمنين بالسيد المسيح كعباد صالحين وذوي منزلة خاصّة عند الله، بغضّ النّظر عن صلتهم بذريّة يعقوب. وقد استهلّ رسالتَه إلى المؤمنين في مدينة فيليبي بهذه الكلمات: "إلى جَميعِ عِبادِ اللهِ الصّالِحينَ في مَدينةِ فيليبّي، أي أتباع سَيِّدِنا عيسى المَسيحِ" (1: 1). ويستخدم بولس وصفا رائعا لجماعة المؤمنين حين يشبّههم بأمّة الجسد الواحد للسيد المسيح: "إنّ الرَّجُلَ أصلُ المَرأةِ، كَما أنّ السَّيِّدَ المَسيحَ أصلُ جَماعةِ المؤمنينَ، ومُنقِذُهُم باعتِبارِهِم أُمّةَ الجَسَدِ الواحِدِ لهُ على الأرضِ" (أفاسوس 5: 23). والفكرة الأساسيّة هنا هي أنّ كلّ المؤمنين بالمسيح عليه السلام ليسوا فقط مرتبطين ببعضهم بعض ومتوحّدين بل بالسيد المسيح أيضا لأنّه بمثابة الرّأس للجسد.

وعندما كتب الحواريُّ بطرس الصخر رسالته إلى أتباع السيّد المسيح المقيمين فيما يُعرف اليوم بتركيا، وقد كان من بينهم يهودٌ وغيرُ يهودٍ فاستخدم صورا وألقابا كانت حكرا على بني يعقوب في التّوراة والزّبور وغيرهما من كتب الأنبياء، ووصف بتلك الألقاب أتباع السيّد المسيح على اختلاف أعراقهم: "أمّا أنتُم فإنّكُم جَماعةٌ اختارَها اللهُ، أحبارٌ للمَلِكِ العَظيمِ، أُمّةٌ مِنَ المَنذورينَ، خَصَّهُم لذاتِهِ حتّى تَرفَعوا ذِكرَهُ بَينَ النّاسِ، لأنّهُ أخرَجَكُم مِن ظُلُماتِ الشَّرِّ إلى نورِهِ الباهِرِ. ولم تَكونوا مِن أُمّةِ اللهِ سابِقًا، أمّا اليَومَ فقد صِرتُم مِن أُمّتِهِ تَعالى. وكُنتُم لا تَتَمَتَّعُونَ بِرَحمتِهِ تَعالى، أمّا الآن فأنتُم تَتَمَتَّعونَ بها" (رسالة بطرس الأولى 2: 9-10).

وهكذا، أصبحت عبارة "جماعة المؤمنين" الواردة في تعاليم الحواريّين تعني كلَّ أفراد قوم ميثاق الله المؤمنين بالسيّد المسيح منقذا، وذلك على مرِّ المراحل التّاريخية المختلفة بما في ذلك الماضي والحاضر والمستقبل. فهي تضمّ جميع البشر من مختلف الأعراق والثقافات، نساء ورجالا، شيبا وشبابا. وباختصار جميع من استجابوا للأخبار السارّة المتعلّقة بمحبّة الله كما تجلّت من خلال السيّد المسيح.

الموعظة على الجبل

ورد نص الموعظة على الجبل في الوحي الذي سجّله الحواري متّى (الفصلين 5 . 7). وورد جزء من هذه الموعظة في الوحي الذي سجّله لوقا (6: 20 . 49). ولكي نفهم جيدا مضمون الموعظة على الجبل والغرض منها علينا أن نضع في اعتبارنا المبادئ التالية:

أولا: الموعظة على الجبل تقدّم مبادئ عامّة

كل ديانات العالم لها شرائع، وكل ديانة في العالم تدّعي أنها تحمل شرع الله، أما تعاليم السيد المسيح عليه السلام فلا ترتبط بشريعة. فتعاليمه عليه السلام لها مبادئ، وهذه المبادئ يسهل تطبيقها بحسب ظروف البيئة والمجتمع والعصر. والشرائع الحرفية تتعثر في نقلها من جيل إلى جيل، ومن عصر إلى عصر، أما المبادئ العامّة فيسهل بمرونة كاملة نقلها عبر العصور والأجيال.

لقد ألقى السيد المسيح عليه السلام الموعظة على الجبل كواعظ، وهي ليست شريعة من وضع رجل قانون، بل هي تعليم وليست قانونا. ورفض السيد المسيح أن يضع نفسه مكان القاضي أو حتى أن يأخذ موقع المشرّع، ولم يصدر أوامر يحكم بها على الناس أو يحكم بها الناس على أنفسهم، ولكنه أعلن قيما ومبادئ، وقدّم إستراتيجيّة عمل إيمانيّة في مواجهة مواقف الحياة من أجل النمو والبناء. ويتّضح ذلك في قوله عليه السلام: "وافعَلوا أنتُم أيضًا بالنّاسِ كَما تُريدونَ أن يَفعَلوا بِكُم، لأنّ هذِهِ خُلاصةُ التّوراةِ وكُتُبِ الأنبياءِ" (متّى 7: 12)، وفي هذه الآية يترك السيد المسيح للإنسان أن يضع لنفسه الأسلوب الذي يعامل به الناس والذي يحب أن يعامله الناس به.

ثانيا: الموعظة على الجبل تسمو على القانون

الموعظة على الجبل تسمو على القانون لأنها تتحدّث عن الهدف منه وتلخّص مقاصده. فهي ليست شرائع جامدة متحجّرة. وعندما قال السيد المسيح: "وتَعلَمونَ أيضًا أنّهُ جاءَ في التّوراةِ: العَينُ بالعَينِ والسِّنُّ بالسِّن" كان يضع أمام سامعيه نموذجا للقانون الجامد الذي لا يعرف الرحمة أو الشفقة، ولذلك قدّم بعدها مبدأه السامي "أمّا

أنتُم فلا تُحاوِلوا الانتِقامَ مِمَّن أساءَ إليكُم، بل إنّي أقولُ لكُم: مَن ضَرَبَكَ على خَدِّكَ الأيمَنِ، فأَدرْ لهُ الأيسَرَ" (متّى 5: 38. 39). ومن هنا يعالج ﷺ ظاهرة العنف والقتل والإجرام والفوضى والهمجيّة في سلوك البشر والتعامل فيما بينهم، وبذلك يسمو بالإنسان إلى مكانته الإنسانية بعد أن كاد يشابه في سلوكه مع الآخر الحيوان.

ثالثا: الموعظة على الجبل تتّجه إلى نوعية خاصة من البشر

والموعظة على الجبل لم يوجهها السيد المسيح إلى كل البشر بل إلى نوعية خاصّة منهم، أولئك الذين لهم رؤية لتغيير العالم، وقد وضع ﷺ الإستراتيجية التي إذا اتّبعها أصحاب الرؤى الطموحة لتغيير المجتمع، أولئك الذين وضعوا على عاتقهم أن يصنعوا عالما أفضل، فلسوف يحقّقون نجاحا مذهلا، يقول السيّد المسيح: "أنتُم مِلحُ هذِهِ الأرضِ! لكنْ إذا فَقَدَ المِلحُ مُلوحَتَهُ، فمَن يُعيدُها إليهِ؟ فيُصبِحُ عِندئذٍ لا نَفعَ فيهِ فيُرمى ويُداس. أنتُم نورُ هذا العالَمِ! أنتُم مِثلَ مَدينةٍ مَبنيّةٍ على قِمّةِ جَبَل، ظاهِرةٌ للعيانِ على الدّوام. وأقولُ لكُم: هل يُوجَدُ إنسانٌ عاقِلٌ يوقدُ مِصباحَهُ فيَحجُبَ نورَهُ بوعاءٍ يَضعَهُ فوقَهُ؟ كَلاّ! إنّهُ يَختارُ لهُ مَكانًا عاليًا ليُضيءَ نورُ هذا المِصباحِ دُروبَ القابِعينَ في الظُّلُمات. وكذلِكَ أنتُم، نورُ اللهِ في الأرضِ، تُضيئونَ سُبُلَ النّاسِ بنورِكُم، مِن خِلالِ أعمالِكُم الخَيِّرةِ فتَجعَلونَ النّاسَ يَتَوَجَّهونَ إلى اللهِ أبيكُم الرَّحمنِ في عُلاه بالشُّكرِ والتَّسبيح" (متى 5: 13. 16). من هذه الكلمات يتّضح لنا أن سيدنا عيسى وجّه عظته إلى جماعة متميزة من البشر. فإنه ﷺ كان يخاطب فئة قادرة على تحمّل مسؤولية إصلاح المجتمع وخلق عالم أفضل يغلب عليه الحب والعفو والتسامح والعدل بين البشر، إنّها جماعة تسعى إلى الكمال وتصبو نحو رضا الله عزّ وجلّ: "إنّما عليكُم أنتُم يا أتباعي أن تَشمَلَ مَحبّتُكُم جَميعَ النّاسِ كما تَشمَلُ مَحبّةُ اللهِ أبيكُم الرَّحيم جَميعَ عِبادِهِ" (متّى 5: 48).

الموعظة على الجبل تركّز على جوهر علاقة الإنسان بالله وليس مظهرها

وانتقد سيدنا عيسى ﷺ في موعظته على الجبل كذلك بعض الفرائض الدينية التي كانت تُمارس بلا روح أو معنى أو هدف، والتي تتمّ لمجرد إرضاء الضمير أو استكمال شكل الإيمان أو الرياء بتقوى زائفة، ومن الممارسات الدينية التي كانت تُمارس بلا هدف ودون مضمون ثم جاء السيد المسيح وأعطاها معنى وهدفا هي شرائعُ الصدقةِ والصلاةِ والصومِ.

أولا: شريعة الصدقة (الزكاة) متّى ٦: ١ - ٤

فضح سيدنا المسيح المتدينين الذين يقومون بفعل الخير، مستهدفين استقطاب أنظار الناس واكتساب مديحهم. وقد سمّاهم بالمرائين الذين يستبقهم من ينفخ بالبوق أمامهم حتى يراهم الناس. يقول ﷺ: "إيّاكُم والنِّفاقَ في عِباداتِكُم واحذَروا أن تَعبَدوا اللهَ مُراءاةً للنّاسِ ليَمتَدحوكُم، إذ بهَذا لن يَكونَ لكُم ثَوابٌ عِندَ اللهِ أبيكُم الرَّحمنِ في عُلاه" (متّى 6: 1). والغاية من هذه الصورة هو إظهار ما يفعله بعض الناس من تبجّح وتباهٍ بأعمال الخير والإحسان، وهو خُلقٌ يشجبه أصحاب الذوق الرفيع فكيف بالله جلّ جلاله!

ولمّا كانت الصدقة عملاً إنسانياً تحرّكه عواطف الرحمة في قلب المؤمن إرضاءً لله، وسعياً لطاعته، والقيام بما يسرّه تعالى، فمن الواجب إذن ألاّ يكون الغرض من الصدقة هو الكبرياء لأنه لا يرضي الله تعالى. وينبغي ألا تكون أيضا انتقاصاً من كرامة الفقير وكسرا لعفّته وشعوره أمام من يراقب مهانته وانكساره، خصوصا أنّ وجود الفقراء في الأرض سببه يعود في غالب الأحيان إلى جشع الأغنياء وظلمهم. لذلك أظهر لنا السيد المسيح بوضوح أنّ ما يطلبه الله منّا هو النوايا الحسنة التي تحرّك أعمال الإنسان قبل القيام بها.

فمن يعمل لإرضاء الله وحده لا يهمّه مطلقاً إن علم الناس بذلك أم لا لأنه سيأخذ أجره من الله، وهذا الأجر يبقى له إلى الأبد. أما من يفعل الخير أمام الناس لكي يمدحوه ويحترموه فقد استوفى أجره فلا أجر له عند المولى: "اجتَنِبوا أن تَمنَحوا صَدقاتِكُم جَهرًا، بل امنَحوها المُحتاجينَ سِرًّا ولا تَكونوا كالمُنافقينَ الّذينَ يُشهِرونَ صَدَقاتِهِم في بُيوتِ العِبادةِ وفي الشّارع رياءَ النّاسِ فيَكيلونَ لهُم المَديحَ. الحَقَّ أقولُ لكُم، ما لهؤلاء مِن جَزاءٍ إلاّ ما قد وَصَلَهُم مِن النّاسِ" (متّى 6: 2). ويقول ﷺ أيضا تشديداً على الدافع السليم للصدقة: "امنَحوا صَدَقاتِكُم سِرًّا فلا تَعرِفُ شِمالُكُم ما قَدَّمَت يَمينُكُم، واللهُ أبوكُم الرَّحمنُ يَعلَمُ ما أسرَرتُم ويَمنَحُكُم الجَزاءَ الأوفى" (متّى 6: 3.4). وإذا كان هذا الأمر ممّا لا يمكن تطبيقه عمليّاً، إلاّ أنّ إرادة كسب رضا الله وحده تجعل المرء يحاول بكل جهده وبصدق وإخلاص حجب أعماله الخيّرة عن أعين الآخرين وأسماعهم، ولا يطمع في مديح أو إكرام أو إطراء، بل يكفيه ما يذخر له الله في كنوزه الأبدية الباقية.

ثانيا: شريعة الصلاة (متّى ٦: ٥ ـ ١٥)

وللصلاة أيضاً أحكامها في نظر الربّ القدير. فقد انتقد سيدنا عيسى ﷵ أولئك الذين يقفون منفردين في بيوت العبادة اليهوديّة وفي زوايا الشوارع يصلون حتّى يراهم الناس فيبجِّلوهم لتقواهم: "ولا تُصَلّوا صَلاةَ المُنافِقينَ الّذينَ يُقيمونَ صَلاتَهُم في دُورِ العِبادةِ وبينَ العامّةِ في الطُّرُقاتِ حتّى يَراهُم الجَميعُ. والحَقَّ أقولُ لكُم: لقد نالَ هَؤلاءِ أجرَهُم مِن النّاسِ ولَيسَ لهُم عِندَ اللهِ ذَرّةُ جَزاءٍ أو إحسان" (متّى 6: 5). وقد بيّن أنّ صلوات هؤلاء التي تُقدَّم بشكل استعراضي، لا تكاد تصل إلى ما فوق أنوفهم. إنّ الله لا يستجيب لصلاة الذين يتعمّدون التظاهر واستجلاب تقدير الناس، لأنّهم بذلك يبتغون رضا الناس وتقديرهم ولا يبالون برضا الله.

فالصلاة الحقيقيّة هي تلك التي تصل بين العبد وخالقه، ويقول عنها السيّد المسيح: "أمّا أنتُم يا أحبابي فأقيموا صَلاتَكُم في خُشوعٍ للهِ أبيكُم الرَّحمنِ في غُرَفِكُم مُغلِقينَ الأبوابَ لتَكونوا في مَنأى عن أَعيُنِ النّاسِ وعن أَلسِنَتِهِم، فتَنالونَ ثَوابَ أبيكُم الرَّحمنِ عالمِ السِّرِّ والنَّجوى" (متّى 6:6). حينئذ يكون الله سميعا مجيبا لصوت عبده المتضرّع إليه من كل قلبه، بعيداً عن كل شاغل أو عائق، وبصفاء الفكر وسلامة القصد وصدق النيّة يصغي إلى كل آهة في النفس ويمسح كل دمعة تسفح خشوعاً وانكساراً، ويعطي من خزائن خيره ونعمته ما يملأ القلب ويشبع النفس، لأنه يستجيب لأصحاب المقاصد النقيّة والأهداف الكريمة.

أما في الصلاة الجماعيّة والتي لا بد منها في نظر الله، فقد أعطانا سيدنا المسيح ﷵ أحكامه في ضرورة خلوّ هذه الصلاة من تكرار الكلام باطلاً شأن الوثنيين، كتلك الصلوات المحفوظة التي تتلى عن ظهر القلب دون أن يقصد المصلّي معانيها، ودون التمعّن فيما تهدف إليه ولاسيما إذا كانت تُكرّر المرة تلو الأخرى دون الالتزام بمقتضياتها: "وعِندَ صَلاتِكُم، لا تَتوجَّهوا إليهِ بعَقيمِ الكَلامِ المُكَرَّرِ كما يَفعَلُ الوَثَنيّونَ الّذينَ يَحسَبونَ أنّهُ بكَثرَةِ كَلامِهِم تُستَجابُ دَعواتُهُم. نعم، لا تَكونُنَّ مِثلَهُم، واعلموا أنّ اللهَ أباكُم الرَّحمنَ مُطلِّعٌ على حالِكُم قَبلَ أن تَسألوا" (متّى الفصلين 7 و8) وقد أورد ـ جلّ شأنه ـ صورةً لصلاة نموذجية تُدعى بالصلاة الربانية للاقتداء بها وفيها أهمّ ما ندعو لأجله تعظيما لله. وهي إعلان لطلب مرضاته الصالحة وكل احتياجات والنفس الروح والجسد، أفرادا وجماعة. وكل من يؤدي هذه الصلاة عليه

أن يعنِيَ كل كلمة فيها من كل قلبه، وأن يطبّق معانيها على حياته الخاصّة، فيسامح الآخرين قبل أن يطلب غفران الله لنفسه، وذلك بكل صدق وإخلاص وباحترام كامل لله، فهو الذي يعرف ما تخفيه القلوب إنّه عليم بذات الصّدور.

ثالثا: شريعة الصوم (متّى ٦: ١٦ . ١٨)

أما في الصوم فقد رأى السيد المسيح ﷺ أنّ العبوس على وجوه الصائمين يصوّرُ رياء الناس. ولا يدرك كثير من هؤلاء معنى الصوم وأهدافه التي قصدها الله، بل كثيراً ما يصوم الناس لغايات غير روحانيّة وقد يجعل البعض الآخر صومهم للظهور بمظهر التديّن والتقوى، وهذا القصد يرفضه الله ويشيح عنه. يقول السيّد المسيح: "واحذَروا أحبابي عِندَ صَومِكُم أن تَكونوا عابِسي الوُجوهِ كَما يَفعَلُ المُنافِقونَ الّذينَ يَصطَنِعونَ التَّعبَ ليَمتَدِحَهُم النّاسُ. والحَقَّ أقولُ لكُم، لقد نالَ هؤلاءِ النّاسُ أجرَهُم. أمّا أنتُم فعِندَ صَومِكُم اغسِلوا وجوهَكُم وتَعَطَّروا، كي لا يَبدوَ أثرُ الصّيامِ على وُجوهِكُم، فلا يَعلَمَ بذلكَ غَيرُ اللهِ أبيكُم الرَّحمنِ الّذي يَعلَمُ ما تُخفي الصُّدورُ فيَمنَحُكُم على إخلاصِكُم الأجرَ والثَّوابَ" (متّى 6: 16 . 18).

فالصوم كما هو معروف في الكتب السماوية المقدسة تذلّل وقهر للنفس، فكثيراً ما كان يُمارَس في الديانة اليهوديّة متلازماً مع لبس الخيش على الجلد، والجلوس على التراب والرماد. وهو بمعناه الحقيقي امتناع عن كل أنواع الطعام والشراب، لكي يشعر الصائم بألم الجوع والعطش عند الانكسار والتذلّل أمام الله في الصلاة لأمر مطلوب أو للنجاة من ضيق محتوم.

أمّا اليوم فقد تباعدت الممارسات الدينية عن أهدافها الفعلية، وحافظ الكثيرون على الشكل وأضاعوا المضمون. فصارت الصدقات للافتخار والتباهي، وأمست الصلاة عادة بكلمات محفوظة تتلى كما يتلو التلميذ المحفوظات في المدرسة. وأصبحت التقوى لباساً يظهر به زاهياً أمام الناس. ويمارس الصوم لأهداف مختلفة منها الاستجابة للفريضة ومنها تحسين الصحة الجسديّة، وقليلا ما يكون في سبيل البحث عن غفران لذنب ما. ولا تُغفر الذنوب والخطايا بصوم ولا بصدقة بل تُغفر بطلب الرحمة من الله، تلك التي تكون مشفوعة بالتوبة الصادقة وقبول فدية السيد المسيح.

لماذا يصرّ الكثيرون على الاهتمام بمظاهر الشعائر الدينية دون السعي إلى مقصدها؟ ولماذا يقضون الحياة متمسكين بتقوى ظاهرة لا تفيدهم شيئاً ويعوّدون أنفسهم على ممارسات لا طائل من ورائها في نظر الله صاحب القوة والسلطان؟

ذلك هو فعل عدو النفوس إبليس الذي لا يُضيره أن يتصدّق الناس أو يصلّوا أو يصوموا ولكن يضيره أن يحقّقوا رضا الله والامتثال لمشيئته الصالحة. والأولى بنا أن نعود إلى حق الكلمةِ الإلهية فنبتغيه كاملاً غير منقوص. والله القدير قادر أن يهدي خطواتنا دائماً في الطريق السديد السليم وأن ينير قلوبنا بنور إنجيله العظيم.

أمثال السيد المسيح

إنّ الأمثال التي نطق بها السيّد المسيح عَلَيْنَا سَلَامُهُ، وتمّ تسجيلها في الإنجيل الشّريف، عبارة عن حكايات وتشابيه واستعارات تأخذ بلُبِّ القارئ. فعندما كانت الجماهير من الناس في القرن الأوّل للميلاد تستمع إلى تلك الأمثال، كانت تجد فيها انعكاسا لتفكيرها، ونظرتها إلى العالم والمجتمع والسياسة، وذلك بطريقة تجعلها تكتشف من جديد الكثير من الحقائق التي كانت مألوفة لديها. وكانت تلك الأمثال تفتح أمام بعض الناس آفاقا جديدة للأمل والفرح ووضوح الرّؤية، بينما كانت تُشعِر البعض الآخر بالغضب لأنّها كانت تكشف ما بداخلهم من ظلمة. فبعض الأمثال مثلا كانت تحتوي على كثير من الجرأة بحيث أثارت غضب رجال الدّين الّذين لم يجدوا سبيلا لإسكات صوت السيّد المسيح إلا بقتله.

إنّ كلمةً مثل " parable" تعني في أصلها اليوناني "المقارنة". وهذا الضرب من القول كان يستخدمه الرواة في المجتمعات الإغريقية الرّومانية خلال القرن الأوّل للميلاد، ولازال يستخدمه كتّاب السينما والتّلفزيون حتّى في عصرنا الحاضر. وقد أخذت الأمثال أشكالا متعدّدة لتبليغ المعنى إلى المستمع أو القارئ، مراوحة في ذلك بين المثل البسيط والحكاية المركّبة. إنّ هدف الأمثال الأساسيّ هو اكتشاف المعنى العميق في أشياء وتجارب الحياة اليوميّة البسيطة لعامة الناس، فالمثل ينمّ في كلّ الحالات عن فكرة مجرّدة، وغالبا ما تكون ملتبسة، ولكن المثل يعبّر عنها بأشياء ملموسة، إضافة إلى كونه يحتوي على درس أخلاقيّ واضح. لقد كان الأمر بالنّسبة إلى جماعات المؤمنين الأوائل أشبه ما يكون بمرآة كبيرة وضعها سيّدنا عيسى في مواجهة أتباعه حتّى يروا أنفسهم وعالمهم بنظرة خالقهم.

لقد كانت الأمثال عبارة عن حكايات عَقَدَتْ وشائج صلة حميمة مباشرة بينها وبين جمهور القرن الأوّل للميلاد. ولذلك كان لها تأثير قويّ على نظرتهم لِما كان يحدث حولهم. فعلا لقد كان للعديد من أمثال السيّد المسيح طابع ثوري نظرا إلى تأثيرها في تفكير النّاس تجاه قادتهم الدينيّين والسياسيّين. فقد قال السيّد المسيح عَلَيْنَا سَلَامُهُ أمثالا عن المملكة الربّانيّة خلخلت البنى السياسيّة والدينيّة في ذلك الزّمن، إذ كانت

قيم مملكة الله التي وردت في تلك الأمثال تتعارض مع القيم التي تأسّست عليها آنذاك موازين القوى السياسيّة.

"إنّ الدُّخولَ إلى مَملكةِ اللهِ لا يَكونُ إلاّ ببَساطةِ الأطفالِ الّذينَ لا يَنشغِلونَ بالمَراتِبِ الدُّنيويّةِ" (مرقس 15 : 10).

"كَمْ هو عَسيرٌ أنْ يترُكَ الأغْنياءُ دُنياهُم ويَدْخُلُوا في مَملكةِ اللهِ" (مرقس 23 : 10)

"أحِبّوا أعداءَكُم، وأحسِنوا إلى مُبغِضيكُم! اسألوا بَركاتِ اللهِ لكُلِّ مَن يَطلُبُ عليكُم اللَّعنات، وادعُوا بالخَيرِ لمَن أساءَ إليكُم" (لوقا 27 : 6-28).

"دَعْ دَفنَ المَوتى للأمواتِ رُوحيًّا مِن النّاسِ" (لوقا 60 : 9).

ولذلك ينبغي علينا عندما نحاول اليوم قراءة هذه الأمثال وفهمها، أن نأخذ بعين الاعتبار السّياق التّاريخي والثقافيّ للقرن الأوّل للميلاد. ومن أهمّ الأمثال التي ذكرها السيد المسيح عليه السلام مثل الرجل السّامري وأحد الأحبار، وخادم بيت الله، والرّجل الجريح (انظر لوقا 10 : 29-37)، وقد كان ردًّا على سؤال عالم التوراة: "من هو جاري" يقول سيّدنا عيسى:

"هَبْ عابرَ سَبيلٍ كانَ في طَريقِهِ مِن القُدسِ مُتوَجِّهًا إلى أريحا، فقَبَضَ عليهِ قُطّاعُ الطُّرُقِ وأشبَعوهُ ضَربًا وعَرَّوهُ ثُمّ تَركوهُ مُلقىً بَينَ المَوتِ والحَياةِ ومَضَوا في سَبيلِهِم .ثُمّ مَرَّ بِهِ بَعدَ ذلِكَ أحَدُ رِجالِ الدِّينِ الأحبارِ. وعِندَما رآهُ مالَ عَنهُ إلى جانِبِ الدَّربِ الآخَرِ وتابَعَ طَريقَهُ دونَ الالتِفاتِ إليهِ. وكذلِكَ فَعَلَ بالرَّجُلِ خادِمٌ مِن خُدّامِ بَيتِ اللهِ، فإنّهُ عِندَما رَآهُ مالَ عَنهُ أيضًا إلى الجانِبِ الآخَرِ مِن الطَّريقِ ومَرَّ دونَ الاهتِمامِ بِهِ. وقَصَدَهُ في النّهايةِ أحَدُ السّامريّينَ المَنبوذينَ فأشفَقَ على ذلِكَ الرَّجُلِ عِندَما رَآهُ، واهتَمَّ بِهِ وعَالجَهُ وضَمَّدَ لهُ جِراحَهُ، ثُمّ حَمَلَهُ على دابّتِهِ إلى أحَدِ النُزُلِ فأنزلَهُ هُناكَ وأخَذَ يُتابِعُ عِنايَتَهُ بِهِ، ثُمّ غادَرَهُ السّامريُّ في اليَومِ التّالي، بَعدَ أن أوصَى بِهِ صاحِبَ النُزُلِ إذ دَفَعَ إليهِ دينارينِ مِن الفِضّةِ وقالَ لهُ: "لِيَكُنِ الرَّجُلُ الجَريحُ مَحطَّ رِعايتِكَ، ولكَ مُقابِلَ ذلِكَ مَبلَغٌ عِندَ عَودتي زِيادةً على ما نَقَدتُكَ". "فأنبِئْني أيُّها الرَّجُلُ الفَقيهُ أيُّ هؤلاءِ الثّلاثةِ عَمِلَ للرَّجُلِ الّذي وَقَعَ في أيدي قُطّاعِ الطُّرُقِ بما جاءَ في تِلكَ الوَصيّةِ؟!" فأجابَهُ الفَقيهُ: "ثالِثُهُم ذاكَ الّذي أشفَقَ عليهِ". فرَدَّ عليهِ سَيِّدُنا عيسى قائلاً: ها إنّ لكَ في السّامريِّ نِعْمَ المَثَل.

ولكي يفهم القارئ هذا المثل اليوم، ينبغي أن يكون على دراية بأنّ السّامريّين واليهود كانوا جيرانا آنذاك ولكنّهم كانوا أعداء كذلك. ويمكن للعربيّ في القرن الحادي والعشرين مثلا أن يستبدل السامريّ الطيّب باليهودي الطيّب، ولليهوديّ أن يستبدل السامريّ الطيّب بالمسلم الطيّب حتّى يحيط بمغزى المثل. كما يمكن للأرميني أن يستبدل السّامريّ الطيّب بالتركيّ الطيّب، وللأمريكي أن يستبدل السّامري أيضا بالعراقيّ الطيّب، وقس على ذلك.

وينبغي كذلك تفسير الأمثال في إطارها التّاريخي الخاصّ بها. فمن الأمثال الأولى الموجودة في الوحي الذي سجله مرقس مَثَل الجديد والقديم، ويذكره السيّد المسيح في معرض ردّه على سؤال عن عدم صوم أتباعه كما يصوم باقي أتباع الجماعات الأخرى يقول السيّد المسيح: "أنتُم تُريدونَ لأتباعي أن يَستَمسِكوا بِعاداتِكُم القَديمةِ، فمَثلُكُم كمَثَلِ مَن يُرَقِّعُ ثَوبًا قَديمًا بِرُقعةٍ مِن قُماشٍ جَديدٍ، فَيُفسِدُهُما كِليهِما، أو مَثلُكُم كمَثَلِ مَن يَملأُ قِربةً قَديمةً جافّةً بعَصيرِ عِنَبٍ طَازَجٍ، فيَتخَمَّرُ العَصيرُ وتَنتَفِخُ القِربةُ وتَتمَزَّقُ ويَنسَكِبُ العَصيرُ. فَالعَصيرُ الطّازَجُ يَجِبُ أن تَحتوِيَهُ قِربَةٌ جَديدةٌ لَيِّنةٌ طَريّةٌ لِتَستوعِبَهُ" (مرقس 2: 21-22).

ونلاحظ في هذا المثل استخدام السيّد المسيح لتشابيه وصور بسيطة عن القماش والقِرَب القديمة والجديدة، قصْد تعبيره عن الاختلاف الجذريّ لرسالته عن بقيّة الشرائع. وهي كلُّها تشابيه وصور كانت مألوفة عند عامّة الناس من سكان القرى في ذلك الزمن.

وتركّز الأمثال على وصف طبيعة المملكة الربّانية مقابل السلطة السياسيّة والدينيّة التي كانت قائمة في فلسطين في عهد السيّد المسيح. كما تعقد مقارنات طريفة مع طبيعة معاملة الآباء لأبنائهم وأهلهم. فكثير من الأمثال تتحدّث عن رحمة الله وذلك بواسطة قصص بسيطة عن الخراف الضّالة (متّى 12: 18-14، لوقا 1: 15-7) والابن الضّالّ (لوقا 11: 15-32) والشجرة التي صارت مأوى للطيور بعد أن نبتت من بذرة صغيرة (مرقس 30: 4-32، متّى 31: 13-32، لوقا 18: 13-19).

كما تُصوِّرُ كثيرٌ من الأمثال العقاب المحتوم الذي سيلحق بكلٍّ من وقف حجر عثرة في طريق قيام المملكة الربّانيّة. وتكون هذه الأمثال عبارة عن جمل منفردة تفيد التحذير مثل الجملة التّالية من لوقا: "مَن يَنظُرُ وَراءَهُ وهو يَحرِثُ، لا يَصلُحُ أن يَكونَ

عُنصُرًا في المَملكةِ الرَّبّانيّةِ" (لوقا 62:9)، أو أمثال أخرى تفيد هلاك الذين ينتهكون حرمات الأبرياء، مثلما نلاحظ بوضوح في مَثَل الكرم (مرقس 1:12-12، لوقا 9:20-19) أو في مثل الغنيّ الغبيّ (لوقا 13:12-21)، أو العبد الكسول (لوقا 41:12-48) أو الرّجل الغني وعزير (لوقا 19:16-31).

ونجد في سيرة المسيح في الوحي الذي سجّله متّى سلسلة من الأمثال التي تنتهي بقصّة آلام السيّد المسيح، وجميعها تختتم بصيغة إدانة واضحة مثلما هو الأمر في مثل العبد الأمين والعبد الخائن (45:24-51)، ومثل العذارى العشر (1:25-13)، ومثل العبيد وكياس الذهب (14:25-30)، ومثل الخراف والجداء (31:25-46) وغير ذلك من الأمثال التي لا تكُفُّ عن إثارة فكر القارئ. إلاّ أنّها لا تشعرنا دائما بالرضا عن أنفسنا حيث تكون أحيانا عبارة عن توبيخ لنا بسبب أنانيّتنا تجاه الآخرين، كما تكون أيضا عبارة عن تشجيع لنا في أزمنة التّهميش والاضطهاد.

وداعة المسيح
"وديع ومتواضع القلب"

حسب الوحي الذي سجّله متّى في الإنجيل (11: 29)، جاءت هذه الكلمة التي قالها السيد المسيح عن نفسه، في سياق دعوته "المُتعَبونَ الّذينَ يَنوؤونَ بأحمالٍ ثقيلة" وتحتوي هذه الكلمات على وصف يُعتبر من بين الكنوز الأثيرة المحبوبة جدّا في التراث المقدّس، بينما هي مثار حيرة في نظر عموم المسلمين غالبا. والمعروف عن الإسلام - ولا سيما في سُوَر القرآن التي أعقبت الهجرة - تناوله موضوع القوة والنداء المشدّد والغضب، على أنها صفات تناسب "رسل الله". لذلك فإن المفهوم في الإنجيل عن صفات "اللطف والتواضع" لدى أنبياء الله المرسلين يتضمّن ما يبدو تعارضا ملحوظا، وهو لا يناسب النموذج من السيرة النبوية. وفي بعض الدوائر الأدبية بين المسلمين - كما على صفحات "أولاد حارتنا" لنجيب محفوظ حيث محمد هو قاسم "القاسي" وعيسى هو رفاعة "الليّن" - فنرى صورة السيد المسيح في أقلّ درجات الجدارة لافتقاره إلى قوة النموذج في رسول الإسلام في المدينة وتسليمه نفسه بمنتهى الدّعة عند اعتقاله في البستان.

ههنا قضايا عميقة لكلتا الإيمانين تحتاج إلى تقص متأن. ومن الأفضل أن نبدأ بالكلمات اليونانية التي عبرت عن مدلول الألفاظ العبرية الأصلية (حيث ترد في كتاب الزبور استخدامات كثيرة لها، والنبي موسى وصف نفسه بهذه الصفة "الحُلم" أو الوداعة - في التوراة في سفر العدد 12: 3). ولكن عمّقت على نحو بارز المعنى الذي كان لدى اليونانيين في استعمالات أفلاطون وأرسطو. فكلمة "وديع" هي praos و"وداعة" هي praotes، ويقول أحد الكتّاب إنهما ابتكرتا عند تسجيل وحي الإنجيل. أمّا "متواضع" فهي tapeinos، وقد أُلحق بها مُضافٌ إليه لتصير *tapeinophrosune* بمعنى "تواضع الروح". وهذه بدورها لها مرادف هو *epieikeia*، أي "لطف مُذعِن" على نقيض أوهام العظمة أو جنون العظمة.

ينبغي ألاّ نتخيّل أنّ هذه الصفات تشير إلى ما هو ضعيف أو خامل أو خانع. فإن للكلمة *epieikeia* علاقة بصفتين غير غريبتين عن القرآن. أمّا الصفة الأولى فهي

"اعتراف المرء بأنّه مخلوق في حضرة الخالق" . أمّا الأخرى فهي القدرة على عدم الإصرار على صرامة الشريعة بل "تلطيف حدّتها" برحمة واسعة وافرة بما يكفي لأن نُعنى بالإنصاف ونرى كيف يمكن أن تؤدي الفروض البالغة القسوة إلى خرق عدالة الشريعة بحد ذاتها. وهنا أيضًا، كما لا بد أن نرى، نواحي تتناغم مع بضعة نصوص قرآنية. وثمة كلمة لاتينية تماثل *epieikeia*، ألا وهي *mansuetudo* ، لها تقريبا معنى حيوان مدجّن رُوّضت وحشيته كي يُستخدم استخداما أحسن من حالته البريّة الأولى. على هذا المنوال ينبغي أن تُحيط بالشريعة رحمة لتكبح جماح صرامتها في سبيل الصفح عن الأضرار وتقويم المظالم.

بهذا المعنى تكون الألفاظ "وديع" و"لطيف" و"متواضع" قابلة للتبادل بين المعلّم والمريد على حد سواء، وإن كانت تَزِنُ وزنا مختلفا، إن صح التعبير. ففي رسالته الأولى إلى أحباب الله، يوصيهم الحواري بطرس (3: 4و 14) أن يتّصفوا بحيازة "نُفوسٍ وَديعةٍ مُطمَئنةٍ" ، في حين أن رسالة الحواري يعقوب (1: 21 و3: 13) تدعو سامعي كلام الله إلى حيازة "الوداعة" الواجبة بمعناها المألوف. وفي الواقع فإن استعارة "لترويض" تلائم كلتا الطريقتين، بمقدار ما تتطلّب صبرا عظيما للمعلّم، وامتثالا مستعدا للتلميذ. أمّا النبي أشعيا عليه السلام فيستخدم في كتابه (1: 3) الفكرة عكسيا حيث يقول: (حتّى الثيران والحمير تعترف براعيها ولا تتنكّر له)، في حين أنّ (عبادي بنو يعقوب فلا يعترفون بنا. مهما فعلنا لا يقدّرون).

وهكذا فإن التعامل الحكيم من قبل الرب والخضوع الواجب من قبل العبد على حد سواء، يستلزمان ويوضّحان معنى *epieikeia*. وقد رأى بعض مفسّري القرآن شيئا من ذلك في علاقة هذين اللفظين البينيّة. إذ ارتأوا أنّ كلمة "رب" لا تعبّر فقط عن "الربوبية" أو السيادة، بل عن "التربية" أيضا، مشيرة إلى حُكم هو أيضا تعليم. وقد تحمل الكلمة معنى "من يربّي" كطريقة لفهم الخلق ذاته وكيف يُضفي الخالق على المخلوق أهميّة تتّصف بأنها تبادليّة.

أليس شيءٌ من هذه الفكرة عينها ماثلا حين تسأل سورة القيامة 36و 37: (أَيَحْسَبُ الإنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِن مَنيٍّ يُمْنَى) إنّ البشر المُعاندين الضالين يحسبون أنهم متروكين على هواهم. ولكن كلاّ! إن الله ليجذب البشر في سُبلهم إلى مقاصده تعالى. واستعارة "الطِّوَل" (الحبل الذي تُربط به الدابّة لترعى ويبقى طرفه بيد

صاحبها) تلائم تماما كيف ينبغي لنا أن نرى استمالة إمكانياتنا المعطاة لنا وتوجيهها إلى مقصِد معيّن والى نفع لا يمكن بلوغه بطريقة أخرى.

ثمة فرق شاسع جدا بين قوّة ثور يرعى في البريّة، حيث يمكن أن يبقى "بهيميا" ومبدّد القوّة، وذلك الثور نفسه مشدودا إلى محراث فعّال واعد بالحصاد الآتي. فالانضباط الذي يبدو أشبه بمُعيق هو بالحقيقة تحرير. إذ هنا رصيدٌ يُستخدم، من شأنه لولا ذلك أن يظلّ عقيما. وقد كُسبت قدرة على الخدمة من مشروع كان يمكن أن يتبدّد. فالأمر يحتاج إلى*praotes* في الاتّجاهين: "الوداعة" التي توظّف المعونة المُتلقّاة.

ومفهوم التلمذة هذا يُترجم إلى موقف إنساني مُصوّر في تراث العبادة المسيحي بحسب شعيرة "العهد" في الكنسية الميثودية، حيث يرد في جزء منه:

"لدى السيد المسيح خدمات كثيرة يجب القيام بها: بعضُها سهلة، وبعضها صعبة، بعضها تجلب الإكرام وبعضها تجلب الهوان، بعضها توافق ميولنا الطبيعية ومصالحنا الوقتية وبعضها مناقضة لهذه وتلك. في بعضها يمكن أن نسرّ المسيح ونسرّ أنفسنا، وفي بعضها لا يمكن أن نسرّ المسيح إلاّ بإنكار نفوسنا".

وفي الصلاة التي تلي ذلك نقول:

"يا ربّ، ضعني أينما تشاء أنت، ورتّبني مع من تشاء أنت. وجّهني إلى العمل، وجّهني إلى الألم. وظّفني لأجلك أو نحّني جانبا لأجلك. دعني أكن ممتلئا، دعني أكن فارغا. إنني أسلم كلّ شيء لمرضاتك وأضعه تحت تصرّفك".

هذا معنى "الوداعة" سواء لدى الرب أو لدى المريد.

ولهذا تثبيتٌ وطيد حين نلاحظ أنّ دعوة السيد المسيح في الإنجيل (متّى 11: 29) تربط بين "التعلّم" و"نيرِهِ". ويبدو هذا الربط غريبا، ولا سيما لأنّ الدعوة موجّهة إلى "ثقيلي الأحمال". فالإشارة هي إلى العبارة الحاخامية عن "نير الشريعة". وثمّة صدى واضح للدعوة من شخصية تمثّل الحكمة الإلهية - ومن الواضح أنها لفظة تشير إلى صفة من صفات االله - تلك التي ترد في سفر الأمثال بين كتب الأنبياء الأولين، وفي سفر "حكمة سليمان": "ألا اسمعوا إنّ الحكمة تنادي". أمّا الحديث عن النير ووصف النير بأنه ثقيل فمردهما الشعور بأن إرشادات رجال الدين وتعاليمهم

بخصوص متطلبات الشريعة كانت قاسية وكثيرة التطلّب ومُرهقا حملها، لأنها كانت صارمة جدا ولا تعطي البتة أية مهلة، وغير متقبّلة لأي حسّ إنصاف يمكن أن يُعيد النظر في مطالبها الباهظة. وبالمفارقة، نعت السيد المسيح نيره بأنه "هيّن وخفيف".

وهو لم يعنِ أنه هيّن بمعنى كونه بسيطا أو يسيرا، بل بمعنى اتّصافه بما يجعل "حمله" مريحا، كسرج معتدل جيّدا. فحين يكون كلا العنصرين - الكتفان والشكل - متناسبين تماما، حينئذ فقط يستطيع كلاهما أن يؤدي غرضه جيّدا. وفي هذا تصوير للوداعة التي يجب أن تكون الشريعة نفسها مستعدة لها بحيث إنّ العدل الذي تخدمه لا يتنكّر له الاستبداد الذي قد تفرضه. هكذا فقط يمكن أن تكون مطالبها أيضا "بشارة" يتلقاها "المساكين" (انظر كتاب النبي أشعيا 61: 1)، وإلاّ ضعُف المساكين وعانوا أشدّ معاناة بكونهم ضحايا نظام عديم المحبّة. ذلك أنّ الشريعة تحتاج إلى "الروح" كما إلى "حرف"، والى مقاصد أرحب وأوسع من مجرّد أحكام وحدود. فكما جاء في سورة الأنعام 54- (كَتَبَ رَبُّكُم عَلى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ)، أي التزمها نهجا له في معاملاته.

وفي هذا السياق، ماذا نقول أيضا في إقصاء القرآن للإكراه عن مجال الدين وأموره (لا إكرَاهَ فِي الدِّينِ) (البقرة 255) لا ينبغي أن يكون في شؤون الدين، أو السلوك النابع من الإيمان، أيّ شيء يُروّع القلب البشري في ميله الفطريّ إلى الشفقة. وفي الواقع أنّ "لا" النافية للجنس (الآية 255من سورة البقرة) تؤكد وجوب انتفاء أيّ نوع من الإكراه في أمور الدين.

غير أنّ الإكراه كثيرا ما ظهر في تاريخ الأديان ظهورا مرّا ومستمرّا، بما صحبها من ضروب الطغيان الفكري واضطهادات النفس. وما أكثر ما جرت الأديان كليا بعكس المبدأ الذي فهم عبد الله، حسبما جاء في كتاب النبي أشعيا 50: 4، أنه يحكم خدمته. فالعبد تكلّم، كما تكلّم السيد المسيح في ما بعد في متّى 11: 29، عن "التعلّم" و"المنطق" اللذين تلازمهما "الحكمة" كمدرسة للتعليم "صباحا فصباحا". إنه مستعدٌ أن يكون مريدا (تلميذا) سامعا كي يصبح معلّما قديرا، وهو في كلتا الوظيفتين (التعلّم والتعليم) متقبّل "وديع ومتواضع" في ذلك الدور. وكما في الإنجيل، فإن الغاية هي إغاثة المتعب بواسطة الكلمة. وما من كلمة يمكن أن تغيث عند الحاجة إن لم تكن قد نهل صاحبها بصبر من ينبوعها وتعلّم في مدرستها، في حين

أن صاحب الكلمة المتغطرسة والمعاندة لن تكون كذلك أبدا. فإنّ إيمانا دينيا ما يثبت بطلانه بطريقة ما إن كان ينشئ "قساوة قلب" كتلك التي يكون كل تعليم خال من المحبة عرضة لأن ينشئها.

وواضحٌ أنه في هذا الكلام كله عن "الحكمة"، ووجود "مدرسة" لها و"رسالة" تصحبها، وعن "أنيار" تُوضع وتُنزع، نخوضُ غمار استعارة لاهوتية عميقة، قوامُها متشابهات لا يمكننا تفاديها إذا كان لنا أن نفكّر ونصلّي ونعلّم أصلا. وبيت القصيد هنا أنّ الله يوصف، في ألفاظ إلهية مناسبة، بصفات ينبغي لنا نحن أيضا أن نتّصف بها. فكونه "خالقا" قد لقي التعبير في كون الجنس البشري من "مخلوقاته". وهكذا يكون خلقنا انعكاسا لربوبيته أو سيادته. هذا الوضع ظاهرٌ في منح الله الخلافة للإنسان، حيث جعلنا نحن البشر خلفاءه تعالى في موقع سيادة ثانوية ضمن إطار نظام الطبيعة وعليه، إنما دائما تحت سيادته المطلقة. ويتبيّن أنّ ذلك النظام مطواعٌ جدّا لدراستنا، ومن ثم لإدارتنا وسيطرتنا ومراقبتنا نسبيا في المجال التكنولوجي. فهذه عُهدة ممنوحة ينبغي أن تؤدى بخضوع في إطار استخدام ما يُعتبر حقّا "إمبراطورية". إذ إننا مقيمون حيث جعلنا الله مستعمرين (وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا) (سورة هود 61) وولاة إلى حد ما، إنما دائما في مقام وكلاء وسكّان ومنتدبين، وليس أرباب لكوننا مجرّد بشر فانين.

هذه الحقيقة المتعلّقة بخلافتنا العامّة (فلا تكون الخلافة في القرآن أبدا منصبا سياسيا يخصّ سلطة الدولة) تبرز في التوراة (بوصفها سلطانا أو سيادة) وفي القرآن بوصفها خلافة. وهي تدلّ دلالة فائقة على سماحة الله في مقصده الجدّيّ الهادف من جهة البشر (انظر سورة البقرة 30). فإنّ الله لم يخلق السماوات والأرض كما قد يبتكر مُهرّج لعبة يتلهّى بها (سورة الأنبياء 66والدّخان 38).

في وظيفة "التوكيل المؤتمن" هذه ينبغي لكل منّا أن يكون *tapeinos*، "متواضع القلب"، "ولا تَتَسلّطوا على الّذينَ جَعَلَهُمُ اللهُ أمانةً بَينَ أيديكُم" (رسالة بطرس الأولى 5: 3). فإنّ القرآن والتوراة كليهما يَرد فيهما أنّ البشر في اشتهائهم أن يكونوا من صنف المتسلّطين يُضللون للوقوع في ما يفهم بعضهم أنه "الخطيئة الأصلية" (أي الأوليّة جذريا) المتمثّلة في اغتصاب حقوق الله، كما لو كان مِلك أنفسهم، وفي العيش والتصرّف - على حد العبارة المتكرّرة في القرآن - من دون الله، أي بمعزلٍ

عنه تعالى وبغير حساب له. ولنا هنا أن نُقارن المثل الذي ضربه السيد المسيح ﷺ عن وكلاء حقل الكروم الذين تآمروا للاستيلاء عليه بقتل الوارث الشرعي.

إنّ اغتصابا كهذا هو الجريمة العصريّة التي يرتكبها الكائن البشري الذي يدّعي مطلق السيادة حيثُما لا يكون خاضعا للغايات الإلهية. أولا نرى في استجابة الطبيعة لعلومنا، بإجابتها عن الدراسات التي نعقدها عليها لخدمة الحضارة التي نستنبطها منها، أننا نرى بوضوح المنزلة التي ننعم بها وأيضا (بالعودة إلى التشبيه الأسبق) "ترويض" حوافزنا على ما هي عليه من اتّصاف بالأنانية والنزعة الاستهلاكية؟ فإنما في *praotes*، أي "وداعة الذهن"، نتولّى استخدام التقنيات التي نستغلها استخداما سليما قويما!

يترتّب على نظرة "التواضع" هذه في تعهّد أمانة الطبيعة أننا نتعلّم ما يُعرف في الدين المسيحي بأنه "مبدأ التخصيص والتكريس". وهو يعني أنّ جميع الأشياء يمكن أن تصير مقدّسة ومنذورة لله: الأمكنة والأزمنة والوسائل. حتى شخصية الإنسان نفسُها يمكن أن تصير "متأنسة". أمّا المثال العظيم على هذا الأمر في الإنجيل فهو نشيد العذراء مريم (قارن سورتي آل عمران ومريم طلبا لأحداث واكبت مولد سيدنا عيسى المسيح). فذاك النشيد ينطوي على ما يبدو متناقضا، وهو الذي يجب أن نتطرّق إليه بين "المتكبّر" و"المتواضع" إذ نسمع فيه اعتراف مريم بأنّها متواضعة. ومع ذلك قالت أنه تعالى "صنع بي عظائم". والنشيد حافل بشعور قوي بالهُوية الشخصية - "نفسي"، "روحي" "مخلّصي" - على أنّ ذلك كلّه ينمّ عن هيبة وواجب العبادة لله من خلال الألفاظ "الرفيعة" التي تشير إلى هذا الامتياز العجيب. وهكذا، فإن مريم (عليها السلام) أصبحت بمثابة رمز إلى جوارح كلّ إنسان على الاستعداد البهيج لأن يهتف: "يا ربَّ لْيكُنْ لي كَما تَقولُ!" إنّما دائما في موقع الخدمة وموقفها. فأن يكون الإنسان praos (وديع) و*tapeinos* (متواضع) على هذا النحو يعني أن يجوز الحق في الاحتفاء بكلّ ما يبدو متناقضا في الإيمان الذي يتكشّف عنه نشيد العذراء (انظر الإنجيل، لوقا 1: 46- 54).

كم تبدو تلك العبارات في نشيد مريم عليها السلام مبالغ فيها: "أنزلَ الجبابِرَةَ عَنْ عُروشِهِم ورفَعَ الْمُتَواضِعِينَ" ولا سيما في عالم القيصر أوغسطس والملك وهيرودس الكبير، والي القيصر على مدينة القدس. أيُعقل أن يكون هذا أكثر من غلوّ باطل، مثل

قول السيد المسيح : "هَنِيئًا لِلْوُدَعَاءِ لأَنَّهُمْ يَرِثونَ الأَرْضَ" وكيف يُعقل أن يقول الزبور 22 : 25 إن الودعاء سوف يشبعون في حين أننّا نرى في السياق عينه في الزبور تلميحا إلى آلام السيد المسيح، لعلّ ناظم الزبور نفسه كان يملك المفتاح لمّا قال عن الله إنه "يعلّم الودعاء ويرشدهم إلى الصراط المستقيم" (كتاب الزبور، مزمور 25: 9). فها نحن قد عدنا إلى موضوع "المدرسة" ذاك، إلى انضباط "التعلّم".

إنّ سيرة السيد المسيح وآلامه تُعلّمنا هذا الدرس على نحو سام، ألا وهو - في مقابل ظلم العالم - تُبطل الاستعداد على تقبّل الألم والسعي إلى المصالحة مع الآخرين الإساءة عند توبة الآثم. فإن العفو في هذه الحالة يتفوّق على الشريعة. إذ إنّ الشريعة تستطيع فقط أن تتّهم ثمّ تُعاقب، بحيث إنّ الإساءة التي تشهد عليها تبقى محدّدة بل من غير إصلاح ضررها. ويوافق القصاص الإساءة بوصفها مستحقة للعقاب: لكنّه لا يقهرها بما أنّه لا يجعلها قابلة للصفح، فهذا الصفح لا يمكن الحصول عليه إلاّ من خلال المكابدة.

ذلك هو ما وصفه الحواري بولس لاحقا بأنه "سَماحَةِ السَّيِّدِ المَسيحِ ولُطفِهِ" (في رسالته الثانية إلى أحباب الله في كورنتوس 10: 1) والذي يتّخذه أساساً لمناشدته الخاصّة للمؤمنين بأن يقتدوا به. فإنّ أسفار الإنجيل تأتي بوصف سيدنا عيسى سَلَامُهُ عَلَيْنَا يقتدي في دعوته ويهتدي كالمسيح المنتظر بنور نبوءة "العبد المتألم" في ثنايا كتاب النبي أشعيا، وهذه النبوءة بدورها كانت مبنية على أساس تجارب أصحاب نبوّة شأن إرميا عليه السلام ، حيث لقي الافتراء، والعداء من أُناس ضالين.

ومن المهمّ أن ندرك أنّ هذه الدعوة إلى المعاناة ليست ضعفا ولا إذعانا للظلم، بل هي بالأحرى النموذج الوحيد الذي به يُردُّ الظلم. لسنا نعني بهذا أنّ لا مكان في الدين لمهام الحكومات البشرية ونظام الدولة وأجهزة السلطة، مهما كان شكلها السياسي. فهذه كلّها لها دورٌ ضروري في تعهّد العدالة القانونية وتنظيم مجتمع قابل للحياة والنمو في ظل سلام وإنصاف نسبيين. ولا نعني أيضا أنّ جذور الشر يمكن فقط الرد عليها بقوة الصفح والحب غير المسلّحة. فإنّ المواطنية الحريصة يجب أن تتولّى الحفاظ على المهامّ الدنيا المتعلّقة بالعدالة والمصلحة العامّة - كما لا بدّ أن نرجو - مشدودة بأوتار القناعة الدينيّة الراسخة والحفز الأخلاقي اللذين يمكن أن يؤججها الإيمان. ولكن إذا كان الإيمان مقترنا حصريا ببنية الدولة أو عامل السُلطة، فإنّه سيُفسد من جراء هذا الاقتران ولن يُدرك أو يتولّى أبدا الخدمة الأكثر جذريّة والتي تنتمي إلى المحبّة

وحدها. فإنّما إلى "الوداعة"، واللطف ينتمي إلى الإصلاح، ويؤدي مهمّته في "غلبة الشر بالخير"، في حين أنّ ما هو سياسيّ، على أقصى احتمال، يضمن "ألاّ يغلب الخير". فالدعوة الإيجابية أعظم من الدعوة السلبية، وبفضل ذلك الفارق عينه تتعلّم كلفة المعاناة. إنّ البشر لا يمكن إجبارهم على فعل الخير، بل قد "يَكُفّون" عنه بتأثير من السلطات.

هذه كانت وتبقى "الوداعة" التي أتت بالسيد المسيح إلى بستان جسيماني حيث بدأت مكابدته للآلام، وعنها يتحدّث من سجّل وحي الإنجيل في سجلاّته الأربع. ولئن غابت القصة بكامل تفاصيلها عن النص القرآني، فمن الجدير ذكره أنّ القرآن أيضا على علم بها، وبالمائدة التي أنزلها السيد المسيح على حوارييه، أو أنصاره، امتثالا لطلبهم، والتي بها يتذكّرون آلامه إذ تكون "عيدا" و"آية" على مدى الأجيال (سورة المائدة 112 - 114): صورة تستمرّ في العشاء الرّبانيّ عند المسيحيين. فصلب السيد المسيح موجودٌ أيضا في القرآن، في سورة النساء 157وما يليها، في ذات الاقتناع بأنّ الصليب إنّما كان في عامل الظاهر فقط (شُبِّهَ لَهُم). فحتى يكون ذلك كذلك، لا بدّ من وجود نية لإتمام الصلب وأيضا نية لقبوله: الأولى من جانب خصومه، والأخرى من جانبه هو.

وهذا يعني أن المسيح في الإنجيل كمن قصدوا أن يميتوه، وكمن هو أيضا "وديعٌ" داخل المشهد. أمّا "رفع" سيدنا عيسى عَلَيْنَا سَلَامُهُ إلى السماء فقد فُهم على أنه "إزاحة له من طريق الأذى" ونُصرة له. وما كان ممكنا أن يحدث مثل هذا الرفع لو لم يكن أي أذى أو أية نصرة على المحكّ. ولا كان من مكان لكليهما لو أن المسيح تفادى من كل خطر بإعمال قوّته الخاصّة، أو إطلاق ثورة، أو إبطال رسالته، أو التملّص بحكمة قبل بلوغ الأزمة الأخيرة ذروتها. فإنّ ما كان لديه من praotes (وداعة) نحّى جانبا جميع هذه الحلول "المتكبّرة والمتجبّرة" باعتبارها لا محلّ لها في تدبير الله بفضله تعالى، فهو الغفور الرحيم.

يبقى بعدُ معنى أخير ينبغي النظر فيه. وهو يُعيدنا إلى ضرورة ما يبدو متناقضا في مقاصد الله. ولا بد من شرحها كمصطلح بلاغي الذي يقابله بالإنكليزية paradox. فهو يتعدّى مجرّد التناقض أو اللغز أو "الأُحجية". ويُطلق على تلازم عنصرين ولو بدا ظاهريا أنهما متعارضان، فيكون التناقض ظاهريا أو مُوهِما. ففي وسعنا مثلا أن

نتحدّث عن "بلاغة السكوت" (قارن: "لم يُجب بشيء" إشارة إلى المسيح أو عن "دموع الفرح" ويكون لِما نقوله معنى هامّ.

إلاّ أنّ ما يبدو تناقضا هو أمر غير ملائم بالنسبة إلى أذهان بعض المسلمين. فالعالِم إسماعيل الفاروقي رأى فيها "ملاذ للمفكّر الكسول"، أي ما يلجأ إليه أشخاص تخلّوا عن واجب التفكير الجليّ. ويمكن أحيانا، دون ريب، أن يعلن الإنسان أن الأمر يبدو متناقضا ظاهريا لستر الجهل أو للامتناع عن خوض التفسير العسير، ولكن ليس كل حين.

فإنّ ثمّة تناقض في العبارة "الودعاء يرثون الأرض" أو في وجود الراحة في "حمل النير". إنما التناقض ظاهري فقط. وربّما كان الأمر الأصعب إدراكه علينا، هو كيف أنّ ما يبدو متناقضا يلائم سيادة الله المطلقة بذاتها: إنّ ذاك الذي هو على كل شيء قدير وفوق كل شيء جدير يشاء رغم ذلك أن يتكيّف بحسب المنصب الذي يرضى أن يهبه البشر بوصفهم خلفاءه إذ يُوكِل إليهم مهمّة إتمام ما يشاء، لكن بموافقتهم أو قبولهم. فلا قِبَل بنا بالإفلات من هذا التناقض إلا إذا تخلّينا عن كل إيمان بالخلق، وتاليا عن كل أهمية اختيار المرسلين الذين بُعثوا لتعليم الحق.

ربّما ينبغي أن يمضي هذا التناقض إلى حدّ أبعد حيث " "كان الكلمة قائما في ذاتِ الله" (يوحنّا 1: 1) ثم "استحالَ الكَلِمةُ إلى كائنٍ بَشَريٍّ" (يوحنّا 1: 14) و"الكلّي العظمة كان كلّي المحبّة أيضا"، أو "الأزلية المطلقة خضعت للسنين"، الأمر الذي حصل لمّا "وافى الله في المسيح" أرضنا.

وهكذاء، فإنّ "تحديد الذات" قد يكون جزءا من تعريف الذات بعينه لدى الله، لا بمثابة "تنازل" ساوم بالسيادة المطلقة بل تنازل أتاح لنا أن نفهم كم هو تعالى مطلق السيادة.

وفي الواقع أنّ شيئا على هذا المنوال موجودٌ فعلا عندما يؤمن الإنسان بالخلق والمخلوقات والنبوّة. أمّا وجوده الأمثل في حقيقة الرحمة فمن شأنه ألاّ يدع لنا أي مناسبة للشعور بالتفوّق في ذواتنا. فلا بدّ أن نحتاج لكل وداعة عندما نفهم أنّ "لهُم نَصيبًا في مَملكةَ اللهِ الأبَديةِ"!

حلول كلمة الله في جسد السيد المسيح

موضوع تسربُل كلمة الله، عزّ وجلّ، بالطبيعة البشرية لأجل تجديدها، موضوع يفوق طاقة البشر، فإذا عجزت عن الإقناع، فلا يعني هذا وجود عيب في صُلب القضية، بل يعني قصورا في فهم تفاصيلها.

واستجابة لحيرة الجادّين والمهتمّين بالأمر، سأحاول التعرّض إلى هذه المسألة باعتباري من الباحثين عن الحقّ، لا فارساً في هذا المضمار.

يتّهمنا المتشكّكون بأنّنا نهين الله ونحقّر من شأنه بقولنا إنّ كلمته أصبحت إنسانا في رحم عذراء، وشبّ على الحليب طفلاً وعلى الطّعام رجلاً؛ وأنّه تعب وجاع وعطش وجُلِد وصُلِب، ممّا لا يتوافق مع ألوهيته.

حاشا لله أن ننسب إليه سبحانه وتعالى ما يحقّر من شأنه! لا، بل إننّا نحمده ونسبّحه على رحمته الفائقة الوصف. فكما جاز الموت على الجنس البشريّ بعصيان إنسانٍ، كان من اللائق إحياء البشر بطاعة إنسانٍ أيضاً. ومثلما تولّدت الخطيئةُ التي هي سببُ شقائنا، من امرأةٍ، تعيَّنَ على مانح صلاحنا ونجاتنا أن يُولَدَ من امرأة. ولذلك، كان من اللاّئق أيضاً أنّ الشّيطان الّذي أغوى الإنسان وانتصر عليه بأكله من الشّجرة، أن ينهزم أمام الإنسان في آلام الشّجرة التي تحمّلها الإنسان .

ولكنْ لردّ مزاعم المتشكّكين، ينبغي إقامةُ الحُجّة العقليّة على صدق هذه الدّعوى أوّلاً. أعني بذلك بيان الضرورة التي تُحتّم نزول الذّات الإلهيّة أو إمكانية انحدارها إلى تلك الأمور التي نتحدّث عنها. ثم يجب علينا، بعد ذلك، أن نخوض في التّفاصيل .

ألم ترَوا إلى الجنس البشري الثمين، وكيف لحقه الخرابُ الكليّ، وهل يليق أن يؤول الغرض الذي دبّره الله للإنسان إلى البوار؟ لا، ولذلك فإن قلنا إنّ هذه النجاة قد تتمّ على يد إنسان يخلقه بلا خطيئة، أي من غير طينة الشرّ، ولا من سلالة أيّ بشر، بل يُنشِئه نشأة كما أنشأ آدم -عليه السّلام- حتى يتهيّأ لذلك الإنسانِ القيامُ بالعمل الّذي نتكلّم عنه، يُقال عندئذ إنّه إذا استطاع أيّ مخلوقٍ آخرَ إنقاذ إنسانٍ من الموت الأبديّ، فإنّ الإنسان سيكون عبداً لذلك المخلوق؟ ومن هنا سيصبح الإنسان الذي أمر أن يعبد الله عبادة خالصة عبداً لمخلوق غير الله .

فهل وقعنا في أسْر حتّى لا يستطيع الله تحريرَنا منه، دون أن يتكبّد لفدائنا من كلّ هذه الآلام ويبذل دم حبيبه؟ نعم، وقعنا في أسر ذنوبنا، وفي قبضة الشيطان، الذي جاء الله ليقهره من أجلنا، لعجزنا عن القيام بذلك بأنفسنا؛ وذلك لفائق محبّته لنا.

فهل الله تعالى غير قادر أن يصنع ذلك بمجرّد أمر؟ أَوَليس بمقدوره صنعُ ذلك بطريقة أخرى؟ ولو كان الأمر بمقدوره، فكيف نبرّر حكمته، عندما نقول إنّه شاء أن يكابد أموراً لا تليق بجلاله؟ وفي حال تمكُّنِهِ من إنقاذ الإنسان بوسيلة مختلفة، فلماذا إذن يفعل تلك الأمور المذكورة ويتكبّد كلَّ ذلك العناء، إظهاراً لمحبّته؟

أوّلاً، إن أراد الله ذلك فعلاً، فلا بدّ أن تكون إرادة الله سبباً كافياً لنا، حتّى وإن عجزنا عن فهمها، لأنّ إرادة الله لا تتنافى مع المنطق البتّة. فالألوهيّة غير متأثّرة بالألم. لكنّنا نقول بأنّ سيدنا عيسى المسيح هو إنسان حقّ، وفي الآن نفسه، هو كلمة الله الأبدية؛ شخصٌ واحدٌ في طبيعتين، وطبيعتان في شخص واحد. فعندما نتكلّم عن التألّم، فنحن لا نشير إلى جلال تلك الذات الإلهية غير المتأثّرة بالألم؛ لكن إلى ضعف الطّينة الإنسانيّة التي تَسَرْبَلَ بها. ليس في تأنّس كلمة الله من خِفض للألوهية بل فيه رفعةٌ للإنسانية.

فهل الله عاجز عن إنقاذ المذنبين بأيّ وسيلة غير إماتة سيدنا عيسى المسيح؟ ولكن إذا كان قادراً على ذلك، لكنه لم يرغب فيه، فكيف نؤمن بحكمته وعدله؟ إنّ الله لم يُمِت البريء عِوَضًا عن المذنبين. ذلك بأنّه لم يرغمه على تجرّع الموت، بل ولم يدعه يُذبَح ضدّ إرادته، إنما تحمّل عيسى سلامه علينا- الموتَ لإنقاذ البشر بمحض إرادته. ومن الواضح أنّ سيدنا آدم، لو لم يُخطِئ، لما كُتِب عليه الموت؛ وبسبب عصيانه كُتِبَ على الإنسانيّة الموتُ. إنّ الله لم يُرغم السيّد المسيحَ على الموت؛ لكنّه قاسى الموتَ طوعاً. فهو نفسُه يقول: "وأقولُ لكُم إنّ اللهَ الأبَ الرّحيمَ يُحِبُّني لأنّني أُضحّي بحَياتي حتّى أنالَها ثانيةً. وما مِن أحَدٍ يَنتَزِعُ حَياتي مِنّي، بل أنا أُضحِّي بها بِمِلْءِ إرادتي وساعةَ أشاءُ، ولقد أوصاني اللهُ أبي الصَّمَدُ بهذا، وأعطاني حَقَّ أن أُضحِّي بها وحقَّ أن أنالَها ثانيةً." (الإنجيل، يوحنّا 10: 17-18)

فهل من الصحيح إذن أنّ الله لا يقدر أن ينقذ الإنسان بطريقة أخرى، وإذا كان الأمر كذلك، فلماذا شاء أن يعمل ذلك بهذه الطريقة؟ لا شك نحن نتّفق على أنّ الإنسان خُلِق للسّعادة في الحياة الدنيا والآخرة، وما مِن مخلوق يمكن أن ينال هذه

السّعادة أبداً، إلاّ بالتّحرّر من الخطايا والذنوب. فلا مفرّ، لكي ينالَ الإنسانُ السّعادةَ، من أن تغفر ذنوبه.

فلنتحرَّ الوسيلة التي يكفِّر بها اللهُ عن ذنوب البشر، ولنتدارسْ أوّلاً ما هو الذّنب، وكيف يمكن التّكفير عنه.

أوّلاً، الذّنبُ الأكبر هو عدم إعطاء الله حقّه، وهو الخضوع لأوامر الله خضوعاً تاما. فمَن لم يؤدِّ هذا الدَّيْن لله فهو مذنب. علاوة على ذلك، فإنه يبقى مذنبا طالما أنه لم يَرُدَّ ما سلبه من حقّ الله. فلذلك، يجب على كلِّ مُذنب أن يردّ شرف الله الذي سلبه إيّاه .

نحن نعلم أنّه لا يليق بعدل الله الصّفحُ عن الذّنب دون قصاصٍ من المُذنب بدافع ردّ الشّرف المسلوب، أي استناداً إلى الرّحمة وحدها. فضلاً عن أنّ ذلك يكون، عند الله، بمثابة عدم التّفريق بين المذنب وغير المذنب. وحاشا لله أن يكون ظلاّما لعباده!

إذن، فالأمر مُنتهٍ: دون كفّارة، أي دون التّسديد الطوعي للدَّيْن، لا يمكن أن يتجاوز الله عن الذّنب دون قِصاص .وكذلك، يجب أن تتناسبَ الكفّارة مع الذّنب، فماذا نقدّم لله نظيرَ ذنبِنا؟ هل هي التّوبة النّصوحة، نُكرانُ الذّات، العفوُ والشّفقة عند المقدرة، أم الطّاعة لله عزّ وجلّ. غير أنّنا مدينون لله بكلّ تلك الأمور، وأداؤها لا يعوّض الله عن انتهاك شريعته. فكيف إذن ننال النجاة؟

إذا علمنا أنّنا نذنب عندما نعارض -عن قصدٍ- أوامر الله، حتى في أتفه الأمور، تبيّن لنا أنّنا لا يمكن أن نكفّر عن ذنبنا ما لم نُكفِّر عنه بشيءٍ أعظم قدراً من الوصية التي تأمرنا بعدم ارتكاب الذّنب.

وممّا لا شكّ فيه أنّ الله رحيم، لكنّنا نتكلّم عن تلك الرّحمة الفائقة التي يُجعَلُ بها الإنسان سعيداً في الحياة الآخرة. وقد علِمْنا أنّه لا يجب منحُ السّعادة والنّعيم لأيّ إنسانٍ لم تُغفر ذنوبُه بالتّمام؛ وأنّ هذه المغفرة لا يجب أنْ تحدُثَ إلاّ بدفع الدَّيْنِ الذي سبَّبه الذّنب، طبقا لجسامة الذّنب.

ولكن كيف يُنقَذ الإنسانُ إذن؟ وبأيِّ وجه نعلن أنّ الله، الغنيّ ذو الرحمة التي فوق مدارك البشر، ليس بإمكانه أن يرحم؟ وكيف يتمّ إنقاذ الإنسان على يد السيد المسيح سلامه علينا؟

من السّهولة إثباتُ أنّ الإنسان خُلِق ليكون غير خاضع للموت؛ لأنّ إرغام الإنسان على تجرّع الموت بدون ذنب اقترفه يتناقض مع حكمة الله وعدله. ونتيجة ذلك أنّ الإنسان إذا لم يخطئ أبدا، لن يُكتب عليه الموت .لذلك، فلولا اقترافُ الإنسان المعصيَةَ، لكان قد انتقل بجسده إلى الخلود. ومن ثمَّ، فعند بعثه من جديد، لابدّ أن يتمّ ذلك بجسمه الذي عاش به في الدنيا .ولمّا كان الإنسان أثمنَ مخلوقات الله، تعيّن على الله إتقانُ ما بدأه في الطبيعة البشرية. لكنّ ذلك لا يتأتّى إلاّ بالتّكفير عن الذّنب تماماً، وهو ما يعجز أيُّ مُذنِبٍ عن تحقيقه بذاته، كما يستحيل حدوث هذا إلاّ إذا كان الثمن المدفوع لله عن ذنب الإنسان أعظم من الكون كلّه .ولذلك، فما من أحد غير الله قادر على صنع هذه الكفّارة.

لكن، لا يجب لأحدٍ غير الإنسان أن يقوم بذلك، وإلاّ كان مقدّم الكفّارة غير الإنسان، لذلك وجب أن تصبح كلمة الله إنسانا ليقوم بذلك .وهنا، يجب أن نتحرّى كيف يمكن أن تصبح كلمة الله بشرًا .

لا يجوز أن تتساوى الذات الإلهية (اللاّهوت) مع الطّبيعة البشرية (النّاسوت)، لكي لا يصيرَ اللاّهوتُ ناسوتاً أو النّاسوتُ لاهوتاً؛ كما لا يجوز خلطُهما بحيث ينتج عنهما ثالثٌ، لا هو إلهٌ بالكامل ولا إنسانٌ بالكامل. لأنّه، إذا افترضنا إمكانية تحوّل الواحد منهما إلى الآخر، لنتج عن ذلك وجود إله فقط دون الإنسان، أو إنسانٍ فقط دون الله. فلكي يؤدّي الله الإنسان تلك المهمة، لا بدّ أن يكون نفسُ الكائن من ذات الله ومن ذات الإنسان بالكامل، لكي يصنع هذا التكفير. لأنه لا يستطيع أن يفعل ذلك، بل ولا يجب أن يفعل ذلك، ما لم يكُن قائما بذات الله حقّا وبذات الإنسان حقّا.

فإمّا أن يمنح الله ذلك الناسوت لكلمته من آدم، أو يصنع إنساناً جديداً. لكن لو صنع إنساناً جديداً، ليس من جنس آدم، لما انتمى هذا الإنسان إلى العائلة البشرية، ولما أمكنه أن يصنع تكفيراً نيابةً عنها.

إن الله قادر على خلق الإنسان بأربع طرق: إمّا من رجل وامرأة؛ أو بدون رجل وامرأة؛ أو من رجل بدون امرأة؛ أو من امرأة بدون رجل، وهو ما لم يكن قد فعله من قبل. ونكتفي بالقول إنَّ كلمة الله المتأنّسة يجب عليها أن تولد من عذراء. فما أنسب أن يوجد علاجُ الذّنب ومصدرُ إنقاذنا في امرأة، مثلما نشأ ذنبُ الإنسان وسببُ إدانته أيضاً من امرأة. فإذا كانت عذراءُ هي التي جلبت كلَّ الشرّ على الجنس البشري، فمن

الأنسب أن تتسبّب عذراء أخرى في كلّ الخير. ولمّا كان الله أنشأ المرأة من رجل وحده، فمِن الأنسب كذلك أنَّ ذلك الرجل (أي السيد المسيح)، الذي ينبغي أن يأتي من امرأة، يولد من امرأة بدون رجل.

ولا ينبغي أن يتجرّع هذا الإنسان الموت، ذلك بأنّه معصوم من الذنب، لأنّه كلمة الله . ولكن، هل يجوز لهذا الإنسان أن يموت عِلماً بأنّه قادر على كلّ شيء، بما أنّه كلمة الله؟ إنّه قادر، إذا أراد، أن يضحّي بحياته وأن يستردّها ثانيةً. ومن ثمّ، فهو قادرٌ أن يتفادى الموت إذا شاء، وأن يموت ويُبعَث ثانيةً. فإذا شاء السّماح بقتله، جاز أن يُقتَل؛ وإذا لم يشأ السّماح بذلك، امتنع قتله.

حان الوقتُ الآن لنتحرّى العطية التي يجب أن يهبها هذا الإنسان لله بتأنّسه. لأنّه لا يجوز له أن يعطي ذاته لله، أو أيّ شيء آخر، فالله مالكُ الكلَّ، وكلُّ مخلوق مُلكِهِ. لذا، يجب فهم هذه العطيّة على النحو التالي: أنّه يتخلّى عن ذاته، أو عن شيء له، إكراماً لله، لم يكن الله يمتلكه بصفته صاحب دَيْن. دعُونا نرى إذا كان ذلك يتمّ بالتخلّي عن حياته أو بالتّضحية بها، أو بتسليم نفسه للموت ردّاً لشرف الله. فالله عزّ وجلّ لا يطالبه بذلك بصفته ديناً؛ لأنه بسبب تنزُّهه عن الخطيئة، فهو غير مجبر أن يموت. يستطيع هذا الإنسان منح ذاته لله بتسليم نفسه للموت ردّاً لشرف الله. لذلك، فمَنْ أراد التّكفير عن ذنب الإنسان يجب أن يكون قادراً على الموت متى شاء ولا يستحقّ الموت بسبب ذنبه .

هناك أيضا العديد من الأسباب الأخرى المبرّرة لوجوب اختلاطه بمعشر البشر والتشبّه بهم، ولكن دون ارتكاب ذنب. فذاك الذي قُدِّر له أن يفدي البشرية، ويعيدها بتعليمه من طريق الموت والهلاك إلى طريق الحياة والسعادة الأبديّة، حافظ على القداسة حفاظاً شديداً؛ وبذلك ضرب للبشر مثلاً على عدم الانحراف أبداً عن القداسة الواجبة لله، وذلك بسبب التضحية الشخصية التي قدّمها.

وهكذا، نرى كيف تنسجم رحمة الله مع قداسته، فتظهر أشدّ علوّا وسموّا ممّا يمكن أن يخطر على بالٍ. فأيّةُ رحمةٍ تفوق قول الله للمذنب المقضِيّ عليه بالعقاب الأبديّ: "خُذ خليفتي الوحيد وقدّمه ضحيّة عن نفسك؛ " أو قول السيد المسيح: "خذوني وافتدوا نفوسكم. " فهذا هو لسان حالهما عندما يدعواننا ويقودانا إلى الإيمان بالإنجيل.

آمين.

بين الإنجيل والتوراة

لا يكفي الإنجيل وحده شاهدا لله. فمعناه لا يستقيم حقا إلا في ضوء الكتب السماوية التي كان السيد المسيح ﴿عليه السلام﴾ على معرفة بها، كما لم يكن لأتباعه الأوائل إنجيل لأنهم كانوا يستقون معرفتهم عن الله من التوراة والزبور وغيرهما من كتب الأنبياء في اللغة العبرية والترجمة السبعينية في اللغة اليونانية. وقد عُرف هؤلاء الأتباع الأوائل بالمسيحيين نظرا لإيمانهم بأن سيدنا عيسى هو المسيح المنتظر الذي حقق الوعود الربانية الموجودة في الكتب المقدسة. واكتشف هؤلاء عبر القرون أن بعض كتاباتهم عن سيدنا المسيح كانت هي أيضا وحيا من الله، فكان ذلك بمثابة ولادة الكتاب المقدس المتداول عند المسيحيين ويضم بين دفتيه الإنجيل الشريف والكتب السماوية السابقة.

ينبغي أن نضع نصب أعيننا دائما أن ضم الإنجيل وكتب الأنبياء الأولين في كتاب واحد كان من عمل المسيحيين لا اليهود. وبهذا منح الكتاب المقدس المتداول عند اليهود الحياة ليس فقط للإنجيل بل أيضا للتلمود الذي يعتبر أيضا تفسيرا جديدا للكتاب المقدس العبري. لكن لا الإنجيل ولا التلمود يتّفقان تمام الاتّفاق مع الكتاب المقدس العبري، إذ يتضمَّنُ كلاهما رؤيتيْن مختلفتين لعمل الله في خلقه. كما أن معايير تطبيق الكتاب المقدس العبري يحدّدها من نواح عديدة التراث الديني الذي أتى لاحقا، فلا يمكن اعتبار الكتاب المقدس العبري مستقلا عن التطورات التي طالت التراث الديني على مستوى اليهودية والمسيحية والإسلام. ومع ذلك، فمن المهمّ التركيز على فهم النصوص العبرية في حد ذاتها، وتمييز ذلك الفهم عن فهم المفسّرين اللاحقين، لأن الكتاب المقدس العبري يشبه جوهرة ذات أوجه متعددة تنعكس عليها أضواء مختلفة.

واصطلح المسيحيون على تسمية الكتاب المقدس العبري فالعهد القديم. ولا وجود لذكر سيدنا عيسى بشكل مباشر في العهد القديم، بل يذكر سِيَر بني إسرائيل وآمالهم. إلا أن المسيحيين قرؤوه قراءة جديدة في ضوء التعاليم المدهشة لسيدنا المسيح الذي لم يحقق فقط نبوءات الكتاب كما كانت متوقَّعَة، بل كشف من خلال تعاليمه، وتضحيته بحياته وانبعاثه من الموت عن عمق روحاني لم يكن لأحد أن ينفذ إليه لولاه.

فنحن نعلم على سبيل المثال أن والدة سيدنا عيسى وزوجها أخذاه إلى مصر، وهذا الحدث تم تأويله على أنّهُ تحقيق لنبوءة هوشع (متّى 13 : 2-15 انظر أسفله). ولكن تلك الآية من النبي هوشع لا تتضمَّن أيّةَ نبوءة للمستقبل، بل هي إشارة فقط إلى ما وقع لبني يعقوب عند خروجهم من مصر. فما فعله الحواري الذي سجّل وحي الإنجيل هو الإشارة بفطنة إلى تماثل تجربة بني يعقوب مع سيرة السيد المسيح. وبهذه التماثلات كشف وحي الله من خلال السيد المسيح عن المغزى الحقيقي للتاريخ البشري.

هوشع ١ : ١١

لَمَّا كَانَ شعبُ بني يعقوب صغيرًا أَحْبَبْتُهُ، ودَعوتُ الابنَ الرُّوحيَّ لي ليَخرُجَ مِن مِصرَ.

متى ١٣ : ٢-١٥

وبَعدَ مُغادَرةِ المَجوسِ البِلادَ، ظَهَرَ ليوسفَ مَلاكٌ في نومِهِ وقالَ لهُ: "خُذ الطِّفلَ وأمَّهُ والجأْ بِهما إلى مِصرَ، وامكُثْ هُناكَ حتّى يأتيَكَ خَبَرٌ مِنّي، لأنّ المَلِكَ هيرودُسَ عَزَمَ على قَتلِ الطِّفلِ." فقامَ يُوسفُ على الفَورِ وتَهَيّأ للهُروبِ مَعَ الطِّفلِ وأُمِّهِ مَريمَ إلى مِصرَ لَيلا. وأقاموا هُناكَ إلى حينِ وَفاةِ هيرودُسَ، فنُفِّذَ بذلِكَ كَلامُ اللهِ الّذي جاءَ على لِسانِ النَّبيِّ هوشع: "دَعوتُ الابنَ الرُّوحيَّ لي ليَخرُجَ مِن مِصرَ".

هذه الإشارة إلى بني يعقوب في مصر تستدعي إلى الذهن تحرير الله لبني يعقوب من نير فرعون، وهو ما أصبح نموذجا لما كان تعالى على وشك القيام به في حياة سيدنا عيسى، مع إحساسه تعالى بمعاناة عباده في مصر، ممّا ينم عن إحدى صفات الله الحميدة.

إحساس الله بمعاناتنا

بدأت الفكرة الكتابية العميقة المتعلقة بإحساس الله تعالى بمعاناة عباده مع سفر الخروج في التوراة:

"وبعد زمن طويل، توفّي فرعون، وظلّ بنو يعقوب يئِنّون مِن العبوديّة، وبسببها تضرّعوا ورفعوا صراخهم إلى الله. فسمع الله أنينهم، وحفظ عهده تعالى مع إبراهيم

وإسحق ويعقوب عليهم السلام وكان الله بمعاناة بني يعقوب عليما بصيرا" (سفر الخروج 23 : 2-25)

فأوحى الله إليه: إنّي بمعاناة قوم ميثاقي في مصر بصير، ولدعواتهم وصراخهم بسبب ظُلم مسؤوليهم سميع خبير. أجل، إنّي بمعاناتهم عليم، وتجلّيتُ لأُنقذهم من قبضة المصريّين. وأُخرجهم من هناك إلى أرض واسعة تفيض لبنًا وعسلاً" (سفر الخروج 7 : 3-8)

لقد أنقذ الله بني يعقوب من العبودية في مصر، وأعطاهم شرائع جديدة ليحيوا بها. ولكنهم ما إن تخلصوا من العبودية، وتبوّؤوا مستَقَرّا طيبا في الأرض حتى نسوا ذكر رحمته تعالى، وألقوا فرائضه وراء ظهورهم. فكانوا يذكرون الله عموما في الضيق وعند الشدائد فقط، مُعوِّلين في كل مرّة على سعة صبره كما يخبرنا بذلك سفر القضاة:

"فَصَرَخَ بَنُو يعقوب إِلَى اللهِ وَقَالُوا: "أَخْطَأْنَا فِي حقِّكَ، لأَنَّنَا تَرَكْنَاكَ يَا ربّنا وَعَبَدْنَا الْبَعْلَ. فأرسل اللهُ هذا الوحي إلى بَنِي يعقوب: "إِنَّ الْمِصْرِيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ وَبَنِي عَمُّونَ وأهل فلسطيا وَالصَّيْدُونِيِّينَ وَالْعَمَالِقَةَ وَالْمَعُونِيِّينَ، ضَايَقُوكُمْ فَصَرَخْتُمْ إِلَيَّ. فَمَاذَا حَدَثَ؟ أَنَا أَنْقَذْتُكُمْ مِنْ قبضتهم. وَلَكِنَّكُمْ تَرَكْتُمُونِي وَعَبَدْتُمْ آلِهَةً أُخْرَى. لِذَلِكَ لا أَعُودُ أُنْقِذُكُمْ. رُوحُوا اُصْرُخُوا إِلَى الآلِهَةِ الَّتِي اخْتَرْتُمُوهَا، لَعَلَّهَا تُنْقِذُكُمْ مِنْ ضِيقِكُمْ!" فدعا بَنو يعقوب متضرّعين: "اللهّم، أَخْطَأْنَا، فَافْعَلْ بِنَا مَا تَشَاءُ، إِنَّمَا أَنْقِذْنَا هَذَا الْيَوْمَ. "ثُمَّ أَزَالُوا الآلِهَةَ الْغَرِيبَةَ مِنْ بَيْنِهِمْ، وَعَبَدُوا اللهَ، فاستجاب سريعا لدعائهم بسبب بؤْسِهِمْ". (سفر القضاة 10 : 10-16)

هذا العجز المتكرر عن حفظ وصايا الله أصبح لازمة معروفة في بني يعقوب حتى لم يعد أنبياؤهم يرون من خيار آخر لهم سوى عقاب الله لهم بنفيهم (انظر كتاب النبي هوشع، الفصل 5 على سبيل المثال). كما لمس الأنبياء اللاحقون الحاجة إلى عهد جديد مع الله نظرا إلى فشل بني يعقوب المتواصل في حفظ وصايا العهد القديم، لكن النبي إرميا ذكر أن هذا العهد الجديد لن يكون عهدا خارجيا مكتوبا في كتاب، بل هو كما قال تعالى: "في سريرتهم تكون شريعتي، وفي عقولهم أنقشُها، وأكون لهم ربّا، ويكونونَ أُمّتي". (كتاب النبي إرميا 31: 33)

لم يكن نفي بني يعقوب نهاية فضل الله عليهم، بل أصبح على العكس من ذلك فاتحة فضل جديد كما هو واضح ليس فقط في العهد الجديد المكتوب على القلوب،

بل أيضا في إعلانات الله الصريحة عن رحمته الأبدية. يقول النبي أشعيا على سبيل المثال: "بعد أن هجرتُكم لحظةً، وها أنّي أضُمُّكم إليّ الآن برحمة فائقَة. لقد رفضناكم حينًا من شدّة غضبنا عليكم، وبرأفة أبديّة أرحمُكم الآن، هكذا أمرتُ أنا ربُّكم منجّيكم. كما أقسمتُ في زمن عبدي نوح أن لا أجعل مياه الطوفان تغطّي الأرضِ مرّة أخرى، ها أني أقسم الآن من جديد أنَّ لا أغضب عليكم وأعاقبكم. قد تزول الجبال وتتزعزع التلال وأمّا وفائي لكم فلا يزول ولا يتزعزع أبدًا، ولا ألغي ميثاق السلام الّذي أقمتُه معكم". هكذا قال ربّكم الرحيم" (كتاب النبي أشعيا 54: 7-10)

معاناة عبد الله

جاء في سفر النبي أشعيا عليه السلام وحي عن عبد الله الذي يُجسِّدُ مراحم الله، ويمثل قوم بني يعقوب (8: 41-13). كما نقرأ في أماكن عديدة أنّه يبسط العدل في الأرض (42: 1، 4) ويحمل النور للأمم (42: 6، 49: 6). إلا أن الآية الأخيرة تثير إشكالات هامّة بخصوص هوية ذلك العبد. فهو يُدعى بني إسرائيل في آيات عديدة، لكن الآية 49: 6 تذكر أنه الشخص المختار "لإِقَامَةِ أَسْبَاطِ بني يَعْقُوبَ، لِرَدِّ الَّذِينَ حَفِظْتُهُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ".

هذا التناقض الظاهري ينتفي إذا نظرنا إلى العبد المتألم كرمز لأفراد قوم ميثاق الله المسبيين إلى بابل، حيث جعلهم الله أداة لإعادة الوئام والانسجام داخل مجتمع قوم ميثاق الله الذين لم يبرحوا أرضهم، وتشتت بهم السبل شمالا وجنوبا، شرقا وغربا. ومن ثم تماهت مهمة العبد المتألم مع عمل الله: "أَقُولُ لِلشَّمَالِ "أَطْلِقْهُمْ" وَلِلْجَنُوبِ "لا تَمْنَعْهُمْ. أَحْضِرْ عيالي مِنْ بَعِيدٍ، مِنْ آخِرِ الأَرْضِ" (كتاب النبي أشعيا 43: 6)

ومن خصائص هذا العبد أيضا أنه يعاني نيابة عن الآخرين، ويحقق العدل في الأرض من خلال تلك المعاناة، وذلك تصديقا لقول أشعيا: "إِنِّي نَقَّيْتُكَ وَلَكِنْ لَيْسَ كَمَا تُنَقَّى الْفِضَّةُ، إِنَّمَا فِي بُوتَقَةِ الأَلَمِ اخْتَبَرْتُكُمْ" (48: 10). وتبيّن الآية 53: 11 بُعد التضحية في تلك المعاناة: "وبَعد أن يعاني كلّ هذه الابتلاءات، يرضى عما اكتسبه من عذابه في الحياة. وسيجعل الله من عبده المرتضى، سببًا لقبول كثير مِن العالمين، لأنه سيطهّرهم من جميع الخطايا" كما أنّ هذا العبد يحمل للناس السلام والشفاء: "لكنّه في الحقيقة أصيب لأنّنا خاطئين، سُحق لأنّنا مذنبون. سلمت حياتُنا حين تقبّل عنّا الضربات وحمل عنّا الجِراحات" (53: 5).

تتسم هذه الإشارات إلى العبد المتألم في سفر أشعيا بنوع من الالتباس، إذ يمكن أن تحيل جميعا إلى أقلية قليلة، مخلصة الإيمان، من بني يعقوب عانت السبي والنفي مثل الآخرين. إذ تشير الآية 3: 10 من كتاب أشعيا إلى وجود صِدِّيقين ضمن الشعب. ومع ذلك عانى هؤلاء الصديقون السبي والنفي مثل باقي الشعب، وكانت معاناتهم شديدة لأنهم لم يقترفوا ما يُبَرِّرُ ذلك العقاب. ولكن النبي أشعيا عليه السلام رأى في معاناة هؤلاء علامة نجاة للآخرين، لأن الله كان يدبّر من وراء ذلك أمرا أعظم. فقد كانت عودة المنفيين من بابل إلى أرضهم بمثابة "خروج" ثان، بعد الخروج الأول لبني يعقوب من مصر، إلا أن هذا الخروج الثاني كان خروجا سلميا لا عنف فيه.

يخبرنا النبي أشعيا أيضا أن هذا العبد سوف يتميز بالرفق والوداعة: "ضربه الناس وأذلّوه، فلم ينبُس ببنت شفةٍ، لم يفتح فمه حين أخذوه، كان كالشاةِ تُساقُ إلى الذّبْحِ ولا أحد يبكيه، أو مثل حملٍ صامتٍ ذليل بين يدَيْ مَن يجُزّ صوفه ويعرّيه" (53: 7).

ولا يتجبّرَ فيسْحقَ المُستضعَفين في الأرض كشُعلةِ فتيلة، بل سيرحمهم (42: 3).

صورة العبد المتألّم في الإنجيل الشريف

تُعتبر الآيات 8: 32-35 من سيرة الحواريين (أي أعمال الرسل) من بين آيات الإنجيل التي تفسّر رؤيا النبي أشعيا للعبد المتألم على أنّها إشارة إلى سيدنا المسيح سلامه علينا. وفي الوحي الذي سجّله الحواري متّى لا تشير شواهد العبد المتألم إلى آلام السيد المسيح فقط، بل إلى شفائه الأمراض والعاهات أيضا (انظر أشعيا 53: 4 وهي آية أشار إليها متّى 8: 16-17). كما يركّز متّى على سمة الهدوء في العبد المتألم (انظر أشعيا 42: 1-4، الآيات التي اقتبس منها متّى 12: 15-21) وهي سمة تتردّد باستمرار في كتاب النبي أشعيا، وتمثل النقيض لصخب الحرب (انظر أشعيا 30: 15).

هناك مقطع واحد فقط في سيرة الحواريين تكف فيه صورة العبد "كنور للأمم" عن ارتباطها المعهود بشخص السيد المسيح، حيث ترتبط بدل ذلك بالحواريين الذين سيحملون رسالته إلى الأمم (في إشارة خاصّة إلى بولس وبرنابا، انظر سيرة الحواريين 13: 46-47)، والتركيز هنا على حمل العبد لنور الهداية إلى غير اليهود، الذين يدركون بعد سماع رسالة الله لهم أنه تعالى أراد لهم أن يصيروا من الناجين.

لكن في رسالة الحواري بطرس الأولى 2: 21-23 يصبح العبد حسب صورته في أشعيا 53: 9 نموذجا يحتذى بالنسبة إلى جميع المؤمنين، فليس لهؤلاء أن يرتكبوا

المعصية، وأن يردوا الشتيمة بالشتيمة، بل عليهم أن يضعوا ثقتهم الكاملة في الله. وباختصار يمكن القول إنّ نموذج الاتّباع في رسالة بطرس الأولى هو امتداد لتحديات الإيمان الواردة في سفر النبي أشعيا: إقامة العدل، والاعتماد على الله وحده، وعدم الخوف من أية قوة بشرية حتى لو أدى ذلك بالمؤمنين إلى معاناة الظلم. "إنّ الّذينَ يَحتَمِلونَ الألمَ وقَسوةَ الظُّلم في سَبيلِ اللهِ، يَنالونَ مَرضاتَهُ تَعالى" (رسالة بطرس الأولى 2: 19). "ولئِن ظُلِمتُم في سَبيلِ إرضاءِ اللهِ، فهَنيئًا لكُم! فقد وَرَدَ قَولُهُ تَعالى على لِسانِ نَبيِّهِ أشعيا ﷺ: "لا تَخافوا مِن تَهديدِهِم ولا تَضطَرِبوا" (رسالة بطرس الأولى 3: 14).

الإيمان والسلوك

تتّفق سجلات الإنجيل جميعا على أن أتباع السيد المسيح مدعوون إلى التحلي بالعدل، والاهتمام بالمساكين، تماما كما أوصى الله أنبياء بني إسرائيل من قبل. إلا أن الحواري بولس يؤكد أن تقاليد أهل التوراة لا تُلزِم الأمم الأخرى، والقبول عند الله لا يكون على أساس الانتماء إلى أهل التوراة، بل بسبب أمانة سيدنا عيسى المسيح. ثم يقترح على غير اليهود إن هم طلبوا نموذجا للصلاح أن يركزوا نظرهم على النبي إبراهيم لا على موسى، وتذكر الآية 15: 6 من سفر التكوين أنّ الله تقبّل إبراهيم على أساس إيمانه قبل أن تُعطى الشريعة لبني يعقوب، تلك الشريعة التي ميّزتهم عن بقية الأمم. هكذا يخبر الحواري بولس أهل غلاطية: "إنّ اللهَ أوحى في الكِتابِ أنَّهُ يَجعَلُ مِن غَيرِ اليَهودِ عِبادًا صالِحينَ لأنّهُم يَتوَكّلونَ على وَعدِهِ، ولقد كَشَفَ تَعالى هذِهِ البُشرى لإبراهيمَ مُنذُ زَمانٍ بَعيدٍ حينَ قالَ: بِكَ سَتَنعَمُ شُعوبُ الأَرضِ كُلِّها ببَرَكاتي. (رسالة غلاطية 3: 8)

إلا أنه ينبهنا إلى أن التحرّر من التقاليد اليهودية لا يعني الانغماس في المعاصي، بل إن هذا التحرّر يرتكز على مبدإ أساسي في التوراة هو المحبّة: "أَحبِب جارَكَ كَما تُحِبُّ نَفسَكَ" وعلى ثمر الحياة الذي تنتجه روح الله: "المَحبّةُ والفَرَحُ والسَّلامُ والصَّبرُ واللُّطفُ والصَّلاحُ والأمانةُ والوداعةُ والعَفافُ" (رسالة الحواري بولس إلى أحباب الله في غلاطية 5: 22-23).

أمّا الحواري يعقوب في رسالته فيؤكد أكثر من بولس على الجانب الأخلاقي. فهو يستشهد أيضا بنموذج إيمان النبي إبراهيم، إلا أنّ المغزى من الآية 15: 6 من سفر

التكوين يصبح مختلفا. فإبراهيم عليه السلام آمن بالله قبل أن تنزل التوراة على النبي موسى، لكن الآيات 2: 20-24 من رسالة يعقوب تؤكد أن الله اختبر طاعة النبي إبراهيم إلى أقصى الحدود عندما طلب منه أن يقدم ابنه ذبيحة. وبهذا أمكن القول إن إيمان المؤمن لا ينفصل عن سلوكه.

وهنالك ثلاثة سجلات لسيرة السيد المسيح في الإنجيل تشترك في اختزال شريعة التوراة إلى وصيتين أساسيتين موجودتين فيها. ففي سجل لوقا يسأل أحد الفقهاء سيدنا عيسى عن السبيل إلى دار الخلد، ولكنه عليه السلام عوض أن يجيبه مباشرة يطلب منه أن يلخّص التوراة، فيذكر الفقيه الوصيتين: تحب الله بكل كيانك (سفر الثنية 6: 5)، وتحب الجار مثل نفسك (سفر اللاويين 19: 18). عندئذ يخاطبه السيد المسيح قائلا: "إن عملتَ بذلك، فُزتَ وكنتَ مع الخالدين. (لوقا 10: 28). ممّا يدل على أن الإيمان لا ينفصل عن السلوك. ولكن الفقيه يعود ليسأل سؤالا آخر ذا أهمية "ومَن المقصودُ بالجارِ؟!".

غير أن سيدنا عيسى عليه السلام لا يرد على هذا السّؤال بتعريف فقهي، بل بحكاية عن السامري الطيب. حكاية يبدو فيها أحد أحبار اليهود أقل رحمة من الرجل السامري، وهو أمر صدم اليهود الذين تعودوا النظر إلى السامريين باعتبارهم قوما ضالين. هذه الحكاية تخلخل الأفكار المسبقة لدى المتأمل فيها. وسيدنا عيسى عندما يتحدى بها الطهرانية الزائفة لأحبار اليهود إنما يفعل ذلك أسوة بأنبياء بني إسرائيل الذين سبقوه (انظر مثلا كتاب النبي أشعيا 1: 11-17، وكتاب النبي عاموس 5: 21-24). والحكاية تتضمّن نقطتين أساسيتين على الأقل: أولا انعدام التعارض بين محبة الله ومحبة الغرباء، وثانيا احتمال تعلّم محبة الغرباء ممّن لم نتوقّع منهم أبدا أن يعلمونا تلك المحبة.

وإذا نحن أردنا أن نحكي قصصا عن جيراننا على منوال حكاية السامري الطيب، فإننا سنجد أنفسنا أمام قصص تتضمن علاقات ود ورحمة بين أناس مختلفين عن بعضهم بعض، وغرباء عن بعضهم بعض. ذلك أن الغريب هو الشخص الذي نجهل هويته، ولا نعرف شيئا عن تجربته في الحياة، أو عن معتقده، أو فضائله، أو معاصيه. كما يمكن القول إن حكاية سيدنا المسيح تصف وضعا تنتفي فيه الشكوك العميقة، والأفكار المسبقة، والذكريات الأليمة.

لقد كانت هناك اختلافات عميقة بين السامريين واليهود في القرن الأول للميلاد، كما هو الحال اليوم ما بين إثنيات مختلفة في العالم. لكننا نقرأ في الإنجيل، في الرسالة إلى العبرانيين: "ولا تَغفَلوا عن ضِيافةِ الغُرَباءِ (philoxenia في النص اليوناني الأصلي- "حب الآخر")، فقد استَضافَ بَعضُ الأنبياءِ مَلائكةً وهُم لا يَدرونَ. (الرسالة إلى العبرانيين 13: 2). فالقارئ مدعو هنا إلى استحضار قصة ضيوف النبي إبراهيم في التوراة، في الفصل 18 من سفر التكوين. وهي القصة التي تعلّمنا حبّ الله، وحب الآخر بطرق خارجة عن مألوف ثقافتنا أو شريعتنا. فلقد أدرك النبي إبراهيم في تلك القصة، كما أدركنا نحن أيضا، أن ملائكة الرحمن قد يوجدون خارج دائرة كل توقع.

أهمية الأنساب في الإنجيل الشّريف

في المجتمعات التي تهتمّ بشجرة النّسب، يتمّ الاعتمادُ على الأنساب لبيان الوضع الاجتماعي والشّرف والحظوة. فسجلّ الأنساب يُتيح للشّخص حقَّ ميراث النّسب الشّريف، وشرعيّة وجودٍ أكبرَ داخل النّسيج الاجتماعي. وتتّسم هذه الشّجرة إمّا بتسلسلها صعودا من الخَلَف إلى السّلف (فلان بن فلان بن فلان إلخ. .) أو نزولا من السّلف إلى الخَلَف (فلان أنجب فلانا الذي أنجب فلانا إلخ. .).

ولقد كانت الأنساب ذاتَ أهمية بالغة بالنسبة إلى بني إسرائيل (بني يعقوب)، وذلك لدورها في تنظيم علاقات الزواج والإرث. فقد كانوا حريصين جدّا على نقائهم العرقي "كشعب الله المختار"، حذرين من الاختلاط بالأجانب الذين كانوا يعتبرونهم أنجاسا. وهكذا، كانت شجرات النّسب ضروريّة لإثبات النقاء العرقي، ولاختيار الأحبار والملوك. فالسلطة الدينيّة التي تتمثّل في الأحبار تنحصر في نسل هارون عليه السلام، وتنحصر السّلطة السياسيّة في نسل النبي داود عليه السلام، وتحديدا الملك باعتباره قمّة هرمها. فالله وعَدَ أن يظلّ عرش الملك في نسل النبي داود إلى الأبد.

كانت شجرات النّسب في عهد السيّد المسيح سلامه علينا محفوظة في سجلٍّ عامّ في حرم بيت الله، كما كانت بعض العائلات تحتفظ بسجلاّت نسبها لديها. وقد كانوا أحيانا يلجأون إلى حذف بعض الأسماء بهدف الإيجاز، وهو ما نلاحظه كثيرا عند مقارنتنا للتوراة وغيرها من كتب الأنبياء والإنجيل. كما أنّ كلمة "الابن" في العبرية كانت تعني أحيانا "الحفيد" أو "السّليل"، وبالمقابل كانت كلمة "الأب" تعني أحيانا "الجدّ" أو "السّلف".

الأنساب في الإنجيل

كان نظام النّسب لدى اليهود ذكوريّا، لذلك اهتمّوا فقط بسلالات الذّكور، ولم يعيروا أيَّ انتباه للإناث. ولكنّ نسب السيّد المسيح سلامه علينا كان فريدا لأنّه ولد من عذراء، ولم يكن له أب بيولوجي، سوى وليِّ أمرٍ كان يعتبر بمثابة أبٍ له. ولهذا السّبب، نجد في الإنجيل سلسلتي نسب مختلفتين، واحدة تثبت نسبه من خلال يوسف وليّ أمره، والأخرى تثبت نسبه من خلال عالي، والد أمّه. وفيما يلي تفاصيل أكثر عن ذلك:

شجرة النّسب عند الحواريّ متّى هي شجرة يوسف وليّ أمر السيّد المسيح. وبما أنّ الأنساب كانت تُثبَت في ذلك الزمن حسب الذّكور لا الإناث، وبما أنّ السيّد المسيح لم يكن له أب بيولوجي، فقد كان على سيّدنا عيسى أن يأخذ هويّته الشرعية من خلال يوسف وليّ أمره. لم تكن تلك القائمة المذكورة عند متّى شجرةَ نَسَبٍ فقط. بل كانت أيضا قائمة بأسماء الأشخاص الّذين كان لهم حقُّ الجلوس على عرش النبيّ داود عليه السلام، ملك بني يعقوب. وتجدر الإشارة إلى أنّ هذه القائمة تتكوّن من ثلاث سلاسل من الأسماء، كلُّ سلسلة تضمّ أربعة عشر اسما. كما أنّ اسم "داود" في العبرية يساوي أربعة عشر، فكل عدد يقابله حرف. إلاّ أنّه من الواضح أنّ بعض الأجيال قد تمّ حذفها عمْدًا حتّى يستقيم العدد أربعة عشر. وفي ذلك إشارة إلى أنّ القائمة تضمّ شفرة خفيّة تؤكّد أنّ سيّدنا عيسى المسيح عليه السلام هو الوريث الشّرعي لعرش النبي داود عليه السلام.

والعدد 14 أيضا يتّفق مع عدد رؤساء الأحبار من عهد هارون عليه السلام إلى زمن بناء النبيّ سليمان بيت الله، ومع عدد رؤساء الأحبار من زمن بناء بيت الله حتّى آخرِ كبيرِ أحبارٍ مذكور في كتب الأنبياء الأوّلين. وهكذا نرى أنّ العدد 14 يتضمّن معنى رمزيّا آخر يتجلّى في كون الله قد جعل السيّد المسيح كبير الأحبار إلى الأبد على أهل بيت الله، عوض سلالة الأحبار المُنحدرين من سيّدنا هارون عليه السلام.

ومن المفارقاتِ المُهمّة أنّ تلك القائمة تتضمّن أسماء بعض النساء أمثال تامار ورحاب وراعوث وبثشبع. ثلاث من هؤلاء النّساء ارتكبن المعصية وتُبْنَ، كما أنّ اثنتين منهن غريبات عن بني يعقوب. وفي ذلك إشارة واضحة إلى أنّ رسالة النجاة لم تأت إلى بني يعقوب فقط، بل إلى كلِّ من آمن من الناس، كما يمكن اعتبارها دعوة إلى الضّالين كي يلتحقوا بجماعة المؤمنين وينالوا نصيبهم في المملكة الربّانية. وبالإضافة إلى ذلك، يمكن القول أيضا، أنّ تلك القائمة دليل على أنّ الله لم يعط الملك لسيّدنا عيسى المسيح على أساس السلالة أو نقاء العرق فقط.

تنتهي سلالة الورثة في الوحي الذي سجّله متّى بالنبي إبراهيم عليه السلام خلافا لشجرة النّسب في الوحي الذي سجّله لوقا وتصل إلى سيّدنا آدم عليه السلام. وربّما يكون المغزى من ذلك هو التذكير بأنّ كلّ شعوب الأرض ستتبارك من خلال نسل النبيّ إبراهيم

(التوراة، سفر التكوين 18 : 22)، وبيانِ أنّ الوعد قد تحقّق في سيّدنا عيسى المسيح (سيرة الحواريين 25 : 3-26).

نسب السيّد المسيح في الوحي الذي سجّله لوقا

هذه الشّجرة هي شجرة نسب عالي والدِ مريم أمِّ سيّدنا عيسى المسيح سَلَامُهُ عَلَيْنَا. وخلافا لشجرة النّسب المذكورة في متّى والّتي تثبت نسب السيّد المسيح من النّاحية الشّرعيّة، فإنّ هذه الشجرة تثبت نسبه من النّاحية البشريّة الجسديّة. فالسيّد المسيح لم يكن له أب بيولوجي، ولذلك تمّ إثبات سلسلة نسبه البشريّ من خلال أمّه مريم. ولأنّ أمر إثبات النّسب من خلال الأمّ لم يكن مألوفا آنذاك، فقد تمّ حذف اسم الأمّ من القائمة، والقفزُ رأسا من سيّدنا عيسى إلى عالي والد أمّه. وبهذه الطريقة، استقام نسبه إلى النبيّ داود عليه السلام، واستحقّ بذلك أن يكون وريثا للعرش من النّاحية الشرعيّة، ومن النّاحية البشريّة الجسديّة أيضا.

وترتفع هذه الشّجرة، كما أشرنا إلى ذلك، إلى سيّدنا آدم عليه السلام، خلافا لشجرة النّسب في متّى التي تتوقّف عند النبي إبراهيم. والسّبب ربّما هو أنّ لوقا كان يخاطب جمهورا واسعا من النّاس يتكوّن في غالبيّته من غير اليهود، إذ رغم أنّ هؤلاء كانوا يولون أهميّة للنّسب الشّريف، إلاّ أنّهم كانوا يرَوْن أنفسَهم مَعْنيّين أكثر بالانتساب لآدم أبِ البشر أكثرَ من الانتساب لسيّدنا إبراهيم. ولأن الانتساب إلى النبي إبراهيم انتساب إلى الرسالة والأمر الإلهي، فأهميّة النبي إبراهيم تكمن في أنّه مصدر النور الذي أنزله الله على الأرض، فمن سلالته انحدر كل الأنبياء والرسل تقريبا ولذلك توقّف الحواري متّى عنده لأنّه اهتمّ بالنّسب الديني السياسي. أمّا لوقا فقد صعد إلى آدم من وراء إبراهيم لأن آدم هو أصلنا الجسدي البشري، فهو أوّل الخلق من البشر والخلق المقصود هو الخلق الجسدي للإنسان من التراب. وبالعودة إلى آدم هناك اعتناء بالنسب البشري للسيّد المسيح سَلَامُهُ عَلَيْنَا.

إعادة تحديد مفهوم شعب الله

كان اليهود - كما سبق أن أشرنا - حريصين على نقائهم العرقي لاعتقادهم أنّهم شعب الله المختار. وكانوا حذرين من الاختلاط بالشّعوب الأخرى حتّى لا يتنجّس دمهم النقي. ولكنّ السيّد المسيحَ وأتباعه علّموا النّاس أنّ جماعة الله لا تتكوّن على

أساس نسب بيولوجي، بل على أساس الإيمان. فكلُّ مَنْ آمن بما آمن به النبيُّ إبراهيم عليه السلام أُعتُبِر ابنا لإبراهيم، واستحقّ الانتماء إلى شعب الله. ولم يعُدْ ضروريّا، عندئذ، الرّجوعُ إلى أيّة شجرةِ نسبٍ لتأكيد ذلك الانتماء. فبمُجرّد إثبات أنّ سيّدنا عيسى عليه السلام هو المسيح الموعود، لم تعُدْ من حاجةٍ إلى سجلٍّ يثبت ورثة النبيّ داود، أو خطّ تسلسل الأحبار. بل إنّ كلّ سجلاّت النّسب المحفوظة في حرم بيت الله قد احترقت جميعا عندما دمَّر الرّومان مدينة القدس سنة 70 م، وأصبح تعريفُ شعب الله يتمّ على أساس جديد هو أساس الإيمان والتقوى.

تكامل سِيَر السيد المسيح في الإنجيل الشريف

يحتوي كتاب الإنجيل الشريف على أربع سِيَر. وكلمة "إنجيل" هي كلمة يونانية تعني "الأخبار السّارّة" "evangelion" ، إذ كلُّ سيرة من هذه السّير الأربع تحكي الأخبار السّارّة المتعلّقة بالسيد المسيح وتضحيته بحياته وقيامتِه. وقد سجّل الوحي أربعة من أتباع السيد المسيح: متّى ومرقس ولوقا ويوحنّا. وسجّل كلُّ واحد منهم أخبار سيدنا عيسى ﷺ من زاوية خاصّة. ولكن من المعلوم أنّ الرّواة كانوا قبل سنة 70 للميلاد، أي تاريخ تدمير مدينة القدس، يتداولون بشكل شفاهي قصّة سيّدنا عيسى المسيح، إذ كانوا خلال المناسبات التي تجمع الناس داخل البيوت أو في أماكن المسامرات العامّة يحدّثونهم عن شخص السيد المسيح وموطنه وحكمته وآياته المتعدّدة مثل شفائه للمَرْضَى وإخراجه الشّياطين وإحيائه الموتى وغير ذلك. وبعد تدمير مدينة القدس انفضّ شمل هذه التجمّعات العائليّة والاجتماعيّة، وتفرّق العديد من سكان القدس في أنحاء فلسطين وبلدان المتوسّط حاملين معهم تلك الأخبار والحكايات العجيبة. وهناك في أماكن نزوحهم بدؤوا يحاولون فهم ما جرى، وينظرون إلى قصّة سيّدنا عيسى كمفتاح لذلك، بما تحمله تلك القصة من استعادةٍ للأمل، ووعدٍ ببداية جديدة.

يعتقد الباحثون أنّ سيرة السيد المسيح حسب مرقس هي أوّل ما سُجِّل من وحي الإنجيل. فبعد تجربة الهجرة والشّتات والتّشرّد، أراد المؤمنون الأوائل التّأكّد من بلوغ قصّة السيد المسيح ﷺ إلى أسماع الأجيال المقبلة، ومن استيعابهم استيعابا صحيحا دقيقا لأحداثها العظيمة. فقد تمثّلت الأخبارُ السّارّة في مصارعة سيّدنا عيسى لقوى الشرّ، ومكابدته الخيانة والعزلة، وموته بذلك الشّكل الرّهيب، وانتصاره رغم كلّ ذلك على الجميع لأنّ الله كان معه خلال كلّ مرحلة من تلك المراحل. وكان أولئك المؤمنون الأوائل يتذكّرون كيف وعدَ السيد المسيح أتباعه المخلصين بعد انبعاثه من القبر بلقائهم في الجليل من جديد (مرقس 7:16). كما أنّ استرجاعهم وتأمُّلهم المُستمرّ للأخبار السّارّة جعلهم رغم حيرة الحواريّين في البداية يتذكّرون أنّ هناك أناسا خبروا فضل الله وفهموه بعمق مثل الرّجل الأبرص من الجليل (مرقس

40 : 1-45)، والرّجل المُصاب بمَسِّ الجنِّ من منطقة الجراسيّين (مرقس 1 : 5-20)، والمرأة السّوريّة الفينيقيّة (مرقس 24 : 7-30).

هكذا، ارتبطت جماعة المؤمنين الأولى بالوحي الذي سجّله مرقس، لكن بعد ذلك بخمس عشرة أو عشرين سنة بدأت تتكوّن جماعات أخرى جديدة، مُتزامنة مع ظهور سجلّ متّى وسجلّ لوقا للوحي. وتميّز هذين السجلّين بالمعلومات التي أُضيفت منهما لسجلّ مرقس. فقد كانت جماعة متّى موجودة في فلسطين وأنطاكية، بينما كانت جماعة لوقا موجودة في مقاطعة آسيا التي تقع في تركيا اليوم. واهتمّت كلتا الجماعتيْن بالطّريقة الخارقة التي ولد بها السيد المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وظهورِه لمريم المجدليّة والآخرين بعد أن انبعث حيا من الموت. وذكرت الجماعتين مزيدا من تعاليم السيّد المسيح، وتداولت قصصا وأمثالا اختلفت من جماعة إلى أخرى، وكانت ذات مغزى بالنسبة إلى كلّ جماعة على حدة. من ذلك مثلا قصّة المجُوس القادمين من الشّرق لرؤية السيّد المسيح وليدا، ولم ترد هذه القصّة إلاّ في سجلّ متّى. وجاء في سجلّ متّى أيضا معلوماتٍ إضافية عن المرأة السّورية الفينيقيّة التي ذُكرت في الوحي الذي سجّله مرقس، إذ أخبرَنا أنّها كنعانيّة، وأنّها تعرف عن رحمة الله أكثر ممّا كان يعرفه الحواريّون أنفسهم آنذاك.

أمّا لوقا فقد سجّل، بالإضافة إلى سيرة السيد المسيح، سيرة أخرى هي سيرة الحواريّين أو أعمال الرُّسل .ويمكن اعتبارُ سيرة الحواريين تَتِمَّةً أو جزء مُكمّلا لسيرة المسيح. وفيها لم يهتمَّ لوقا بقصّة سيّدنا عيسى المسيح فقط، بل اهتمّ أيضا ببداياتِ تكوُّن جماعة المؤمنين بالمسيح. كما أبدا لوقا اهتماما خاصّا بأهميّة مدينة القدس باعتبارها مكانا مُتميِّزا، إذ يذكّرنا أنّ حياة سيدنا عيسى كانت جزء لا يتجزّأ من هذه المدينة منذ ولادته وطفولته حتّى قيامته ورفعه الذي حدث في مدينة القدس لا في الجليل. ويذكر لوقا أيضا اهتمام السيد المسيح الخاصّ بأهل السّامرة الّذين لم يكونوا يهودا، وبانفتاحهم على الرّسالة ومشاركتهم بشارتها مع قوم هم بالنسبة إليهم أعداء وأغراب.

لقد تضمّنت سيرة المسيح حسب متّى ولوقا، في مقابل السّيرة المَرْوِيّة عن مرقس، عرضا مفصّلا لتعاليم السيّد المسيح وهي تعاليم لم يلقيها بشكل رسميّ في أماكن دينيّة وأمام جمهور منتقى، بل كانت تعاليم ألقاها أمام حشود من الحاضرين

على السّفوح، وفي السّهول، بل ومن على ظهر القارب في البحيرة. لقد كانت هذه التّعاليم تفسّر كلمة الله كما جاءت في التوراة، إذ تناولتها من زاوية المحبّة والرحمة والاحترام المتبادل أكثر من كونها فرائض وقوانين. وهو ما شجّع الكثيرين على الإيمان بالله واهب الحياة والرحمة التي تجلّت في سيّدنا عيسى المسيح، بدل عبوديّة القوانين والأنظمة والشعائر الدّينيّة.

تختلف السّيرة حسب يوحنّا عن السّيَر سالفة الذّكر اختلافا لافتا للانتباه. فمن المُحتمَل أنّها سُجّلت في مقاطعة آسيا، في مدينة أفاسوس على الأرجح. وقد استخدم فيها يوحنّا لغة الرّموز لوصف نور الله ومحبّته الّتي حالت دون رؤيتها التّرسانة الثقيلة من القوانين والفرائض والشعائر الدّينية التي كانت تثقل كاهل النّاس. فالنّور الّذي فجّرته كلمة سيدنا عيسى ﷺ قد طرد أخيرا الظلمة التي طالما خيّمت على العالم، وآذن بولادة عالم جديد كلُّهُ رحمةٌ ونعمةٌ وفضلٌ وحريّةٌ. وعندما حوّل السيد المسيح الماءَ إلى شراب في عرس في بلدة قانا، اكتشف النّاس أنّ هذا الشّراب الجديد هو ألذُّ وأغنى وأروع من الشّراب القديم (يوحنّا 2:1-10). ولكن لم يكن سهلا على مَنْ ترعرع وسط العادات وطرق العبادة القديمة أنْ يتّبع تعاليمَ السيِّدِ المسيح. فنيقوديموس، أحد رجال الدّين اليهود الّذين تربَّوْا على أنّ انتماءهم للنبيّ إبراهيم عليه السلام سيُنجيهم، جاء إلى السيد المسيح يسأله، فأخبره ﷺ أنّ عليه أن يُولَدَ من جديد (يوحنّا 3:3). كما أخبر المرأة السّامريّة الّتي جاءت تستسقي من البئر ماء عذبا، أنّ: "مَن يَشرَبُ مِن الماءِ الّذي أمنَحُهُ، فلا يَعطَشُ أبدًا، بل يَظَلُّ هذا الماءُ مُتَدفِّقًا في داخلِهِ يَبعَثُ فيهِ الخُلودَ" (يوحنّا 4:14). إضافة إلى ذلك، يتضمّن الوحي الذي سجّله يوحنّا صيغةً أكثرَ تفصيلا لخطاب السيّدِ المسيح إلى حواريّيه خلال العشاء الأخير الّذي بدأ بالوصيّة الصّريحة: "أحِبُّوا بعضَكم بعضًا. أحبُّوا بعضَكُم كما أحببتُكُم أنا" (يوحنّا 13:34). وفي سجلّ يوحنّا تتمّ الإشارةُ مِرارا إلى الجماعة من التّلاميذ أو الحواريّين الّذين كان سيدنا المسيح يحبّهم، ولكنّه ﷺ كان أيضا يحذّر بشدّة من حرمان أيِّ شخص من خارج الجماعة من صُحبتِهِ. إنّهم رعيته الّذين يعرفهم (يوحنّا 10:14)، والأغصانُ المُثمرة في الكرمة التي ليست سوى السيّدِ المسيح نفسِه (يوحنّا 15:5). إنّهم جميعُ الّذين يلتفُّون حول مائدته طلبا للطّعام فيُطعِمُهم حتّى الشّبع (يوحنّا 6:35، 50).

هكذا يمكن القولُ إنّ السجلاّت الأربع لسيرة المسيح تختلف من نواحٍ شتّى عن بعضها بعض، ولكنّها تكمِّل بعضَها بعض. فجميعُها يذكُرُ الوقائعَ والحكاياتِ والأمثال والتّعاليم الّتي شكّلت إيمانَ تلك الجماعات الأولى في أمكنة وأزمنة وسياقات مُختلفة. فجماعة مرقس الّتي كانت مكوَّنة في أغلبها من اللاّجئين، ركّزت على آلام سيدنا عيسى كإنسان خلال مسار دعوته، وبذلك وجدوا في آلامه شد عزائمهم والرّجاءَ الذي يطلبونه، لأنّهم كانوا يلمسون شعور السيّد المسيح بعمق معاناتهم. أمّا متّى ولوقا، فمع أنّهما تحدّثا أيضا عن الآلام، إلاّ أنّهما بعد عشرين سنة أضافا معلوماتٍ أخرى تتماشى مع جوِّ الاستقرار الذي بدأت تعرفه جماعة المؤمنين. ونعلم أنّ متّى كان يوجّه سيرته إلى المُؤمنين الّذين أتَوْا من خلفيّة يهوديّة، ولذلك تميّز سجلّه بالاقتباسات العديدة من التوراة وغيرها من كتب الأنبياء الأوّلين. بينما كان لوقا يوجّه سيرته إلى غير اليهود، معرّفا بالسيد المسيح وبتضحيته بنفسه في سبيل الضّالّين. ولكنّ يوحنّا اختار التّركيز أكثر على الجانب الصّوفي من مسألة الإيمان بالمسيح، ولذلك غلب استعمالُهُ للغة رمزيّة قصد إبراز غنى تعاليم السيّد المسيح التي تتجاوز في عمقها اللّغة اليوميّة. إنّ اللغة اليوميّة مهما حاولنا تبقى عاجزة، عن استيعاب كُنْهِ المَملكة الّتي أعلن سيدنا عيسى قرب قيامها على الأرض.

بعض الأنبياء حتى ميلاد السيد المسيح

الأنبياء الأوائل

آدم (ع)
إدريس (ع)
نوح (ع)

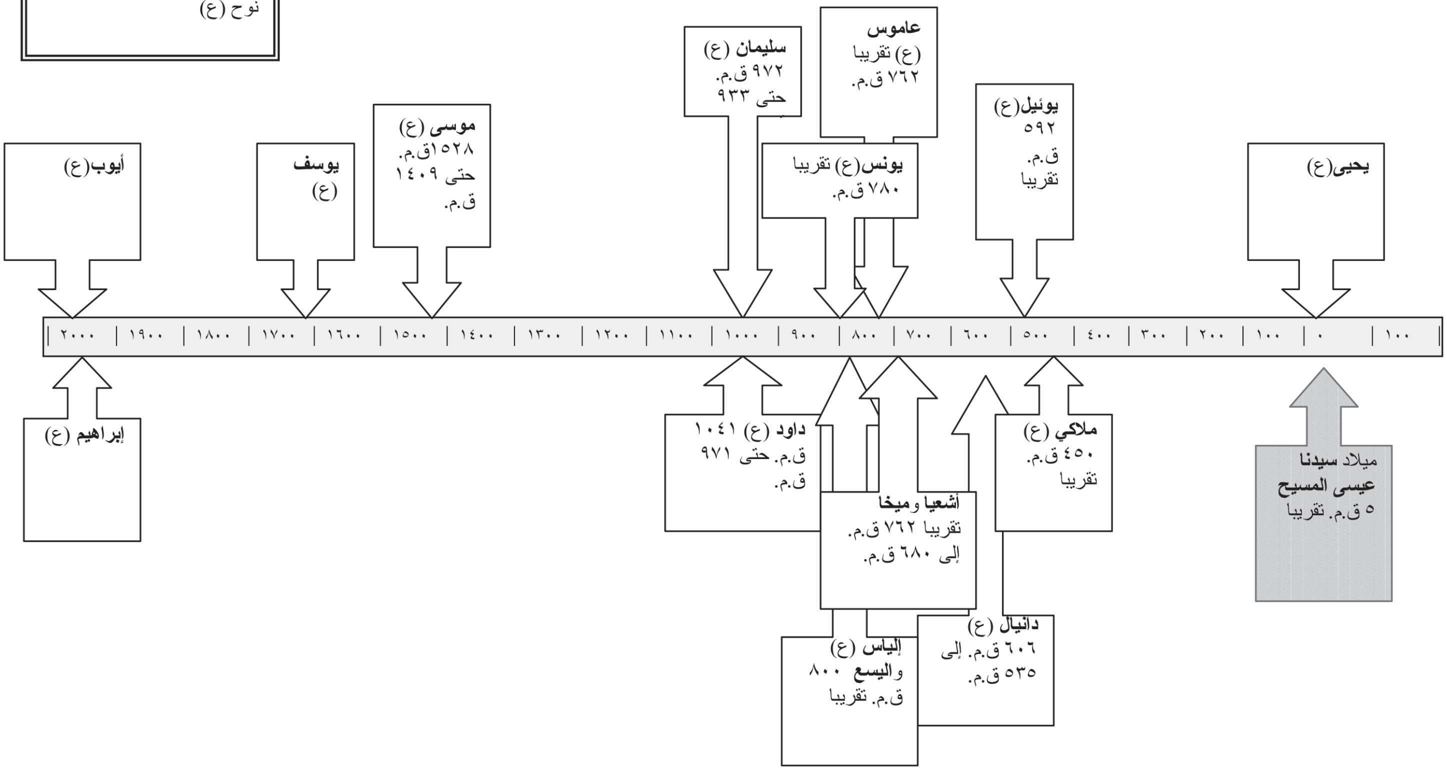

مدخل إلى إنجيل متّى

كان متّى، الذي يُعرف باسم لاوي أيضا، جابي ضرائب لصالح الحكومة الرومانية قبل أن يصبح تابعا لسيدنا عيسى المسيح. وقد منّ الله عليه فصار واحدا من حواريي سيدنا عيسى الإثني عشر. ثم اختاره الله ليسجّل الوحي بعد أن رفع سيدنا عيسى إليه. ورغم أنّ ما سجّله من الوحي يأتي الأوّل من حيث الترتيب في الإنجيل، إلاّ أنّه من المحتمل أن يكون متأخّرا من الناحية الزمنية عن سجلّ مرقس للوحي نفسه. ويحتوي سجلّ متّى للوحي على معظم الأمور التي ذكرها مرقس في سجلّه، لذلك من المستحسن قراءة المعلومات الواردة في المدخل إلى مرقس، لأنّها تنطبق على متّى أيضا.

على أنّ سجلّ متّى يحتوى في كلّ الأحوال على أمور عديدة لم يذكرها مرقس في سجلّه. وهي أمور، وإن كانت تهمّ جميع الناس، إلا أنّها تكتسي أهميّة خاصّة بالنسبة إلى بني إسرائيل (بني يعقوب) الذين يُعتبرون أهل الكتاب، والذين نزلت فيهم التوراة والزبور وغيرها من كتب الأنبياء. كما يتفوّق سجلّ متّى بشكل كبير على مرقس ويوحنّا ولوقا من حيث اقتباسه للآيات من الكتب السماوية التي تسبقه، بالإضافة إلى التلميح إليها. كما أُرفقت هذه الاقتباسات ببيان وتفسير ما تضمّنته من إشارات إلى مجيء المسيح، والتي تحقّقت في حياته وخلال نشره رسالته، وخاصّة تلك النبوءات المتعلّقة بمجيء المسيح المنتظر الذي سينشئ المملكة الرّبّانيّة على الأرض.

ويتضمّن سجلّ متّى أيضًا بعض المواد المميّزة ومنها الخطب الخمس الكبرى للسيد المسيح (الفصول 5 و6 و7 و8؛ والفصل 10؛ والفصل 13؛ والفصل 18؛ والفصلين 24 و25) التي تساوي أسفار النبي موسى الخمسة، وبتقديم هذه الخطب الخمسة يلمّح متّى إلى أنّ السيد المسيح يكون الرسول المنتظر الذي أشار إليه النبي موسى عندما قال إنّه سيأتي رسول مثله من شعبه (انظر سفر التثنية 18: 15)، كما أراد متّى أن يوضّح من خلال قصة تطهّر المسيح بالماء وانتصاره على إغواءات الشيطان أنّ السيد المسيح هو العبد المطيع لله بدل بني يعقوب الذين أخفقوا في طاعتهم له تعالى. وتتحدّث هذه الخطب أيضا عن جوانب مختلفة من المملكة الربانية الموعودة. وهذه التعاليم تصحّح الكثير من المفاهيم الخاطئة حول المملكة الربّانيّة، وتبيّن ما يطلبه الله

من المنتمين إلى هذه المملكة وخاصّة ما يتعلّق بصلتهم به، وبسيدنا عيسى المسيح مختاره، وبغيرهم من البشر. كما تخبرنا عن تغيير قادم بخصوص قيام المملكة الربّانيّة على الأرض. فقد منح الله سيدنا عيسى المسيح كامل السلطة في السماء والارض، وسيعود في يوم من الأيّام ليطهّر الأرض من كلّ الشرور حتّى يعمّ العدل كافة أرجائها، بدل الظلم والقهر اللذين يملآنها الآن.

التسلسل الملكي للسيد المسيح في سجل متى

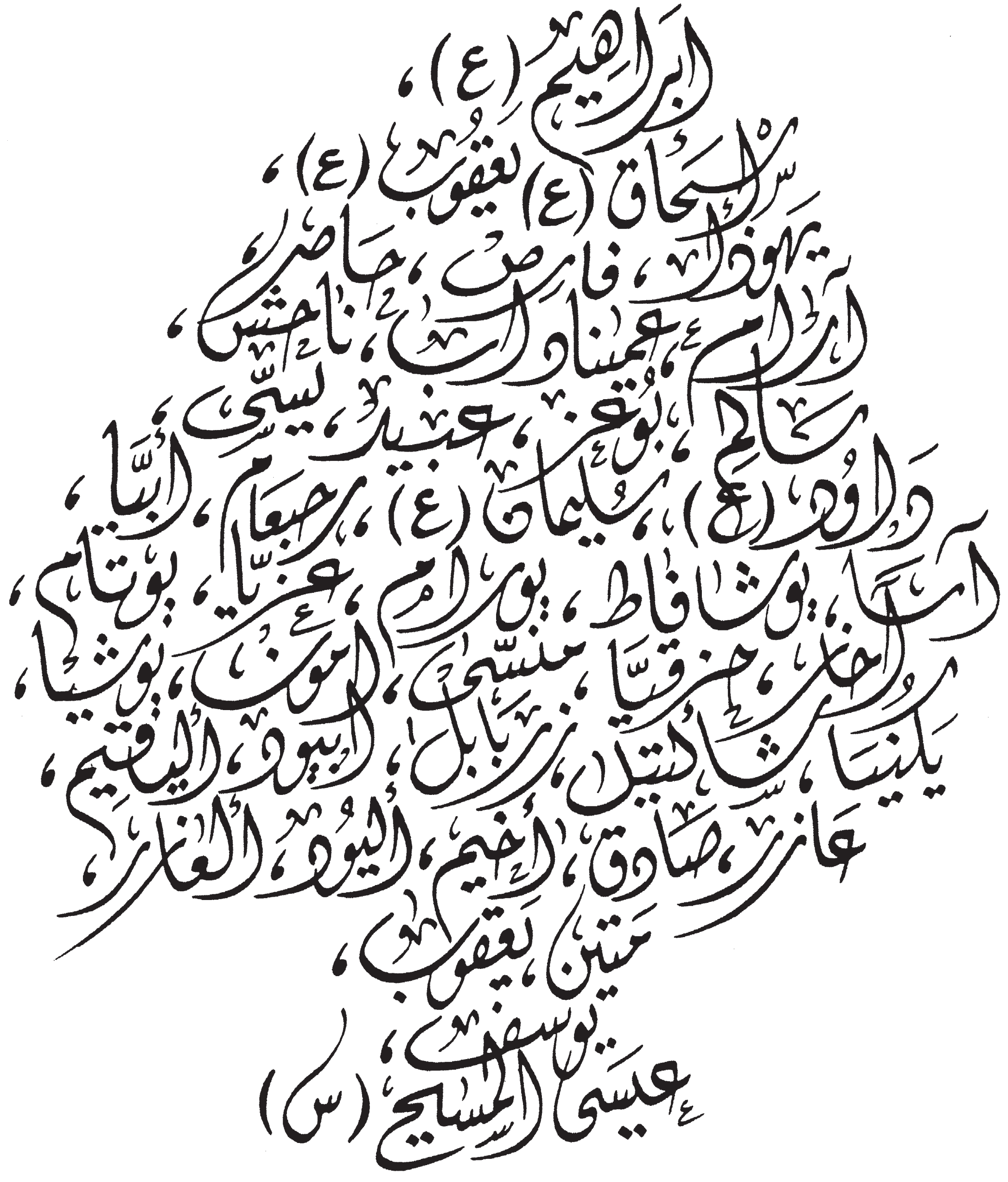

بسم الله تبارك وتعالى

الإنجيل الشّريف

الوحيُ الّذي سجّله الحَواريُّ متّى

١
الفصل الأوّل

التّسلسل الملكيّ

1 فيما يَلي استِعراضٌ يُثبِتُ كَيفيّةَ استِلام سَيِّدِنا عيسى المَسيح عَرشَ المَملكةِ الرَّبّانيّةِ(1) وقد قَضى اللهُ أن يَؤولَ العَرشُ في النّهايةِ إليهِ ﷵ، باعتِبارِهِ سَليلَ النّبيِّ داودَ الّذي يَنحدِرُ مِن سُلالةِ النّبيِّ إبراهيمَ.

2 وقد تَعاقَبَ على هذِهِ السُّلالةِ: النّبيُّ إبراهيمُ أنجبَ النّبيَّ إسحقَ، والنّبيُّ إسحقُ أنجبَ النّبيَّ يَعقوبَ، والنّبيُّ يَعقوبُ أنجبَ يَهوذا وإخوتَهُ، 3 ويَهوذا أنجبَ فارِصَ وزارَحَ مِن تامارَ، وفارِصُ أنجبَ حاصِرَ. ثُمَّ جاءَ آرامُ، 4 وبَعدَهُ عَميناداب، ثُمّ

---

(1) يؤخذ هذا السجلّ غالبًا كسلسلة نسب، لكنّه لا يمكن أن يُختَصَر في ذلك فقط، لأنّ سيّدنا عيسى ﷵ لا يمتّ بصلة قرابة بيولوجية من حيث النسب ليوسف. وبما أنّ الأنساب كانت تثبت في ذلك الزمن حسب الذكور لا الإناث، ولأنّ السّيّد المسيح لم يكن له من أب بشريّ، فقد كان على سيّدنا عيسى أن يأخذ هويته الشرعية من خلال يوسف وليّ أمره. وقد اتفّق الكثير من المفسّرين أنّه من الأفضل تفسير هذا السجلّ كسجلّ لورثة عرش المملكة الأبديّة التي وعد الله بها. لقد قال الأنبياء السابقون إنّ المسيح المنتظر الملك سيكون من سلالة النبي داود ﵇، ومع أنّ مريم أمّ سيّدنا عيسى كانت أيضًا من أسرة النبي داود، إلاّ أن النسب من جهة الأمّ لم يكن يؤخذ بعين الاعتبار في زمن السيد المسيح. لذلك فهذا السجلّ هو ليوسف، وليّ أمر سيّدنا عيسى، حيث أنّ السيد المسيح كان له الحقّ الشرعي بعرش المملكة الإلهية الموعودة من جهة يوسف الذي اقترن بأمّه مريم. انظر الملحق "أهميّة الأنساب في الإنجيل الشريف" للمزيد من المعلومات.

ناحِشُ، ومِن وَراءِ ناحِشَ سالِمُ 5 الّذي أنجَبَ أبا العِزِّ مِن رِحابَ، وأبو العِزِّ أنجَبَ عُبَيدَ مِن راعُوثَ، وعُبيدُ أنجَبَ يَسَّى 6 أبا النّبيِّ داوُدَ الّذي أصبَحَ المَلِكَ.

7 وتَواصَلَت خِلافَةُ المُختارينَ، فجاءَ بَعدَ النّبيِّ داوُدَ ابنُهُ النّبيُّ سُلَيمانُ مِن أَرمَلةِ أُوريّا، فأنجَبَ رَحبْعامَ الّذي أنجَبَ بدَورِهِ أَبيّا. وتَواصَلَت سِلسلةُ المُلوكِ بطَريقةٍ مُترابِطةٍ: بَعدَ أبيّا جاءَ آسا، 8 ثُمّ يُوشافاطُ، ويُورامُ، وعُزّيّا، 9 ويُوتامُ، وآحازُ، وحِزْقيّا، 10 ثُمّ مَنَسّى، وأَمونُ، ويُوشيّا، 11 وبَعدَ ذلِكَ يَكُنْيا وإخوتِهِ الّذينَ أَسَرَهُم مَلِكُ بابل مَعَ غيرِهِم مِن بَني يَعقوبَ وحَمَلَهم إلى بِلادِهِ.(1)

12 وبَعدَ الأَسرِ في بابِلَ كانَ الخُلَفاءُ على عَرشِ المَملكةِ هُم أبناءُ يَكُنيا وهُم شَأَلتيلُ، ومِن وَرائِهِ زَرْبابِلُ، 13 ثُمّ أَبيودُ، ثُمّ سَليلُهُ أَلياقيمُ، ثُمّ عازِرُ، 14 وصادِقُ، وأَخيمُ، وأَليودُ، 15 وأَلِعازَرُ، ومَتينُ، ثُمّ جاءَ يَعقوبُ 16 الّذي أنجَبَ يُوسُفَ زَوجَ مَريَمِ أُمِّ عِيسَى وقد أورَثَ اللهُ المُلكَ لسَيِّدِنا عيسى رَغمَ أنّهُ لَيسَ ابنًا ليوسفَ، فكانَ عيسَى هو المَسيحُ المَلِكُ المُنتَظَرُ. وكانَ الوَريثُ الأخير للمَملَكةِ الرَّبّانيّةِ.

17 وهكذا كانَ وَرَثةُ العَرشِ مِنَ النّبيِّ إبراهيمَ إلى النّبيِّ داوُدَ أَربعَةَ عَشَرَ جيلاً، ومِن النّبيِّ داوُدَ إلى الأَسرِ البابِليِّ أَربَعَةَ عَشَرَ جيلاً، وَمِنَ الأَسرِ البابِليِّ إلى السَّيِّدِ المَسيحِ أَربعَةَ عَشَرَ جيلاً.

ميلاد عيسى سَلَامُهُ عَلَيْنَا

18 أمّا قِصّةُ الميلادِ الشَّريفِ لسَيِّدِنا عيسى المَسيحِ سَلَامُهُ عَلَيْنَا فهي كَما يَلي: كانَت هُناكَ فَتاةٌ صالِحَةٌ تُدعى مَريم، عُقِدَ قِرانُها على رَجُلٍ اسمُه يُوسُفُ(2). وقَبلَ اقتِرانِهِما

(1) أذن الله تعالى للبابليين بدحر مملكة يهوذا سنة 586 قبل الميلاد، وذلك بسبب عصيان شعب بني يعقوب، وهذه المملكة هي التي أسّسها النبي داود عليه السلام. ولكنّ الله وعد النبي داود ببقاء سلالته على العرش إلى الأبد، لذا كان الناس ينتظرون إعادة تأسيس تلك المملكة، وظهور المسيح الملك الذي سينقذ أمّته وسيكون خليفة الله على الأرض. وحتّى بعد عودة بني يعقوب من الأسر البابلي، لم تتمّ إعادة تأسيس المملكة، لأنّ هذا سيحدث فقط عند مجيء السّيّد المسيح. وعلى كلّ حال، كانت المملكة التي أسّسها السّيّد المسيح سَلَامُهُ عَلَيْنَا مختلفة عن المملكة الدنيويّة كتلك التي كان اليهود يتوقّعونها.

(2) تمّ عقد القران في الخطوبة حسب التقليد اليهوديّ آنذاك، وتمّ الاقتران الفعليّ بعد سنة تقريبًا من هذا العقد. وخلال تلك السنة، تظلّ البنت في دار أبيها وتحت سلطته، ولكن من الممكن أن تصبح أرملة، وأن تطلّق، أو تعاقب بسبب الزنى.

الفِعليّ تَبيَّنَ لها أنّها تَحمِلُ في أحشائِها جَنينًا مِن رُوحِ اللهِ. [19] وكانَ يوسفُ رَجُلاً صالحًا، لكنّهُ فَضَّلَ ألاّ يُفشي الأمرَ فعَزَمَ في نَفسِهِ أن يَفسَخَ عَقدَ زواجِهما سِرًّا.

[20] وبَينَما هو يُفكّر في الأمرِ، أَخَذَتْهُ سِنةٌ مِن النّوم بَدا لهُ فيها مَلاكٌ يُخبِرُهُ قائلاً: "يُوسفُ يا سَليلَ النَّبيِّ داود، لا تَترَدَّدْ في ضَمِّ مَريمَ إليكَ زَوجةً صالِحةً في دارِكَ، لأنّ حَمْلَها كانَ بقوّةٍ مِن رُوحِ اللهِ، [21] وسيَكونُ مَولودُها ذكرًا وعليكَ أن تُسَمِّيَهُ عيسى، لأنّهُ سيُنقِذُ قومَهُ مِن آثامِهِم"(1). [22] وكانَ كُلُّ هذا تَحقيقًا لنبوءةِ النّبيِّ أشعيا عِندَما أوحى اللهُ إليهِ أن: [23] "ستَحمِلُ العَذراءُ بوَلَدٍ ذَكَرٍ وتَلِدُهُ ويَدعونَهُ عَمّانوئيل" الّذي يَعني: اللهُ مَعَنا(2). [24] وعِندَما صَحا يوسفُ مِن نومِهِ، نَفَّذَ ما طَلَبَهُ المَلاكُ، وأسكَنَ زَوجَتَهُ مَريمَ في دارِهِ. [25] ولكن لم يَدخُل بها إلى أن وَلَدَتْ وَليدَها الّذي سَمّاهُ عيسى.

٢
الفصل الثّاني

زيارة المجوس

[1] وبَعدَ أن مَضَت فَترةٌ على وِلادةِ عِيسَى ﷺ في بَيت لحم في مِنطَقَةِ يَهوذا، وكانَ ذلِكَ في عَهدِ المَلِكِ هيرودُسَ الكَبيرِ، جاءَ إلى القُدسِ جَماعَةٌ مِن المَجوسِ قادمينَ مِن الشَّرقِ(3) [2] يَسأَلونَ: "أينَ المَولودُ الّذي سيَكونُ مَلِكَ اليَهودِ؟ لَقد رَأينا

---

(1) اسم سيّدنا عيسى يقابل بالعبرية، اسم "يشوع" ويعني "إنقاذ" أو "نجاة". وفي اللغة العربية اسم عيسى هو تعريب للاسم اليونانيّ إيسو. بينما اسم يسوع عند بعض العرب هو تعريب للاسم العبريّ يشوع.

(2) لم يكن اسم السّيّد المسيح "عمّانوئيل" بل تحقّق معنى هذا الاسم عند ولادته.

(3) كان هيرودس ملكًا على منطقة يهوذا، إلاّ أنّه كان من أصل أدوميّ غير يهوديّ. وكان محطّ كره الشعب إذ تمّ تنصيبه على العرش من قبل الرومان المحتلّين، ولم يكن ملكا شرعيًا طالما ذكر الأنبياء السابقون أنّ الملك يجب أن يكون من سلالة النبي داود. وهذا هو السبب الذي جعل هيرودس وداعميه من قادة رجال الدين متضايقين جدًّا من أخبار ظهور الملك الشرعي. وربّما كان مردّ خوفهم هو توجّسهم من قدوم جيوش من الشرق، من أرض المجوس لتدعم الثورة التي يتمّ خلالها تعيين هذا الملك الشرعي على العرش. وكان المجوس علماء وثنيين يتعاطون لعلم التنجيم والعرافة وتفاسير الأحلام، وكانوا على الأغلب من بلاد الفرس أو من جنوب شبه الجزيرة العربية، وعلى الرغم من كونهم وثنيّين، فقد اختارهم الله للكشف عن مجيء المسيح المنتظر.

نَجمًا طالِعًا مِن جِهةِ الشَّرقِ، وتِلكَ إشارَةٌ إلى مَولِدِهِ، فجِئنا لتَحيَّتِهِ والانحِناءِ بَين يَدَيهِ". [3]وقَد أثارَ ذلِكَ الخَبَرُ ضِيقَ المَلِكِ هيرودُسَ، كَما تَضايَقَ مِنهُ كَثيرٌ مِن أهلِ القُدسِ. [4] فاستَدعى المَلِكُ هيرودُسُ رُؤساءَ الأحبارِ وفُقهاءَ التَّوراةِ مُستَفسِرًا: "أينَ يُولَدُ المَسيحُ المُنتَظَرُ؟" [5] فأجابوهُ: "يُولَدُ في بَيتَ لَحمَ في مِنطَقةِ يَهوذا، فَقَد جاءَ في الكِتابِ على لِسانِ النّبيِّ ميخا: [6]"يا بَيتَ لَحمَ بأرضِ يَهوذا، ما أعظَمَ شَأنَكِ بَين مُدُنِ يَهوذا وقُراها، فَمِنكِ يَطلُعُ الحاكِمُ الّذي يَرعى عِبادي بَني يَعقوبَ". [7]ثُمّ دَعا هيرودُسُ سِرًّا جَماعةَ المَجوسِ، وسَألَهُم أن يُحَدِّدوا بِدِقّةٍ زَمَنَ ظُهورِ النَّجمِ، [8]ثُمّ أرسَلَهُم بَعدَ ذلِكَ إلى بَيت لَحَمَ قائلاً: "انطَلِقوا للبَحثِ عن الطِّفل بصَبرٍ وعِنايةٍ، وعِندَما تَعثُرونَ عليهِ، عُودوا وبَلِّغوني لأذهَبَ وأنحَني أنا أيضًا أمامَهُ مُبايِعًا". [9–10]
وغادَرَ المَجوسُ القُدسَ مُتَّجهينَ إلى بَيتَ لَحم، وبَينَما هم في الطَّريقِ إذا بالنَّجمِ الّذي ظَهَرَ في بِلادِهِم يَبدو أمامَهُم، ففَرِحوا بِهِ فَرَحًا بالِغًا. وتابَعَ النَّجمُ تَقَدُّمَهُ حتّى تَوَقَّفَ فَوقَ مَكانِ وجودِ الطِّفلِ(1). [11]ووَصَلَ المَجوسُ إلى الدّارِ الّتي تَوَقَّفَ عِندَها النَّجمُ فرأوا الطِّفلَ مَعَ أمِّهِ مَريمَ، فانحَنوا أمامَهُ احترامًا، ثُمّ فَتَحوا صَناديقَ كُنوزِهِم ليُقَدِّموا لهُ هَدايا مؤلَّفةً مِن الذّهبِ والبَخورِ والصَّمغ الباهِظِ الثَّمنِ مِن شَجَرِ المُرِّ(2).
[12]وأثناءَ نومِهِم رأوا رؤيا تُحَذِّرُهُم مِن العودةِ إلى هيرودُسَ، فانصَرَفوا سالِكينَ طَريقًا أُخرى إلى بِلادِهِم.

الهروب إلى مصر

[13] وبَعدَ مُغادَرةِ المَجوسِ البِلادَ، ظَهَرَ ليوسفَ مَلاكٌ في نومِهِ وقالَ لهُ: "خُذ الطِّفلَ وأمَّهُ والجأْ بِهِما إلى مِصرَ، وامكُثْ هُناكَ حتّى يأتيَكَ خَبَرٌ مِنّي، لأنّ المَلِكَ هيرودُسَ عَزَمَ على قَتلِ الطِّفلِ". [14] فقامَ يُوسفُ على الفَورِ وتَهَيّأ للهُروبِ مَعَ الطِّفلِ وأُمِّهِ مَريمَ إلى مِصرَ لَيلاً. [15] وأقاموا هُناكَ إلى حينِ وَفاةِ هيرودُسَ، فنُفِّذَ بذلِكَ كَلامُ

(1) من الواضح أنّ هذا النجم لم يكن نجمًا عاديًا، وتتعدّد الآراء حول طبيعته. وقد كان القدماء يعتقدون أنّ سقوط المذنّب أو النجم نذير بسقوط الحكام عن عروشهم، وأن الحكام الجدد يتمّ الكشف عنهم من خلال إشارات وعجائب تظهر في السماء.
(2) هذا الصمغ من شجر المرّ هو عنصر معطّر يستخرج من النبات. وكان يُستعمل كهدية رفيعة أو دواء لتخفيف الألم. وكان يُستعمل أيضا لتحنيط الموتى عند دفنهم.

اللهِ الّذي جاءَ على لِسانِ النَّبيِّ هوشع: "دَعوتُ الابنَ الرُّوحيَّ لي ليَخرُجَ مِن مِصرَ"(1).

16 أمّا هيرودُسُ فعِندَما عَلِمَ بخِداعِ المَجوسِ لهُ وبمُغادَرتِهم البِلادَ خِفيةً دونَ مُقابلتِهِ، استَبَدَّ بِهِ غَضَبٌ شَديدٌ وأمَرَ بقَتلِ الأطفالِ الذُّكورِ الّذينَ بَلَغوا مِنَ العُمرِ سَنتَين أو دونَهُما في بَيتَ لَحم وما حَولَها، حَسَبَ زَمَنِ ظُهورِ النَّجم الّذي عَيَّنَهُ لهُ المَجوسُ.(2) 17 ولقد تَمَّ بذلِكَ كَلامُ اللهِ على لِسانِ النّبيِّ إرميا: 18 "صَوتٌ يُسمَعُ في الرّامة، صُراخٌ وبُكاءٌ ونَحيبٌ شَديدٌ، راحيل تَبكي أولادَها الّذينَ رَحَلوا بِلا عَودة، رافِضةً تَقَبُّل التَّعازي".(3)

العودة إلى النّاصرة

19 وفي مِصرَ، وبَعدَ وَفاةِ المَلِكِ هيرودُسَ، جاءَ مَلاكٌ إلى يُوسفَ في المَنامِ 20 آمِرًا: "انهَضْ الآنَ وارحَلْ بالطِّفلِ وأمِّهِ إلى فِلَسطين، فالّذينَ يَسعونَ إلى قَتلِ الطِّفلِ قَضَوْا".(4) 21 وأطاعَ يوسفُ أمرَ ربِّهِ، 22 لكنّهُ قَبلَ وُصولِهِ، عَلِمَ أنّ أرخلاوسَ حَلَّ مَحلَ أبيهِ المَلِكِ هيرودُسَ وأصبَحَ حاكِمًا على مِنطقةِ يَهوذا. حينَها تَوَجَّسَ مِنَ الرُّجوعِ خَوفًا، وجاءَهُ في الرّؤيا مَلاكٌ يُنذِرُهُ بعَدمِ العَودةِ، 23 فتَوَجَّهَ على الفَورِ إلى بَلدةٍ اسمُها النّاصِرةُ في مِنطقةِ الجَليل وأقامَ فيها. وكانَ ذلِكَ تَحقيقًا لقولِ الأنبياءِ: "سيُدعى ناصِريًّا".

---

(1) هذه النبوءة من النبي هوشع تشير إلى خروج بني يعقوب من مصر هربًا من الاضطهاد، وعلى رأسهم النبي موسى عليه السلام، ولكنّ هذا النص هنا على سيّدنا عيسى لأنّه هو الذي يحقّق نداء بني يعقوب ودعوتهم، بما أنّهم أخفقوا في تحقيقها. انظر أيضا الملاحظة في متّى 3: 17.

(2) يمكن القول إنّ النجم ظهر على ما يبدو قبل سنتين تقريبًا من قدوم العلماء المجوس، لذلك فإنّ سيّدنا عيسى كان له من العمر حوالي سنتين أو أقلّ عند قدومهم.

(3) كانت راحيل هي الزوجة المفضّلة لدى النبي يعقوب عليه السلام، الجدّ الأوّل لشعب بني يعقوب. وقد دفنت راحيل في بيت لحم. وبعد مئات السنين صوّرها النبي إرميا عليه السلام كأنّها تبكي في قبرها بسبب معاناة سلالتها الذين تمّ نفيهم إلى بابل. إلاّ أنّ الوحي الذي سجّله متى يشير هنا إلى تحقيق هذه الصورة في معاناة أهل بيت لحم بسبب وحشية الملك هيرودس.

(4) هناك إشارة في هذه الآية إلى ما حدث مع النبي موسى عليه السلام عندما أوحى الله إليه أن يرجع من بلاد مدين إلى مصر بقوله: "الذين يسعون إلى قتلك قضوا" (انظر التوراة، سفر الخروج 4: 19). وهو ما يشير ضمنيًا هنا إلى أنّ السّيّد المسيح هو مثيل للنبي موسى الذي أنقذ قومه.

٣
الفصل الثّالث

دعوة النّبيّ يحيى عليه السلام

1 وبَعدَ فَترةٍ، بَدَأت بِشارة يَحيى بِن زَكَريّا عليه السلام في بَراري مِنطَقةِ يَهوذا(1) 2 فقالَ
مُبَشِّرًا: "يا أيُّها النّاسُ تُوبوا إلى اللهِ، فقد آنَ أوانُ قيام مَملَكةِ الله المَوعودةِ على
الأرضِ!" 3 والنَّبيُّ يَحيى هو الّذي تَحدَّثَ عَنهُ النَّبيُّ أشعيا في قَولِهِ: "صَوتُ مُنادٍ في
البَراري يَقولُ: عليكُم أن تُهَيِّئوا نُفوسَكُم لمَولاكُم، مِثلَما تُمَهَّدُ السُّبُلُ لمَقدَم مَلِكٍ
عَظيم". 4 وكان يَحيى عليه السلام يَعيشُ حَياةَ زُهدٍ وتَقَشُّفٍ إذ كانَ يَرتَدي ثَوبًا مِن وَبرِ الجِمالِ
ويُحيطُ وَسَطَهُ بحِزام جِلديّ. ولم يَكُن قُوتُهُ إلاّ الجَراد والعَسَل البرّي. 5 وكانَ النّاسُ
يأتونَهُ مِن القُدسِ ومِن كُلِّ أنحاءِ مِنطَقةِ يَهوذا وأرجاءِ وادي نَهرِ الأُردُنّ للإصغاءِ إليهِ،
6 وبَعدَ اعترافِهِم بآثامِهِم يَقومُ بتَغطيسِهِم في مياهِ الأُردُنّ دَليلاً على تَوبتِهِم(2). 7 وقد رأى
النَّبيُّ يَحيى عليه السلام أنّ كَثيرينَ مِن طائفةِ المُتَشَدِّدينَ ومِن الصَّدّوقيّينَ قد وَفَدوا عليهِ لغايةِ
التَّطَهُّر، فالتَفَتَ إليهِم قائلاً: "أيُّها الماكِرونَ الخُبَثاءُ كالأفاعي، أتَظُنّونَ أنّكُم بمُجَرَّدِ
تَطَهُّرِكُم بالماءِ تَفِرّونَ مِن غَضَبِ اللهِ؟ 8 اعلَموا أنّكُم إن أرَدتُم ذلِكَ فلا بُدَّ أن تَدُلَّ
أعمالُكُم الصّالِحةُ على تَوبتِكُم عن آثامِكُم تَوبةً نَصوحًا، 9 وإيّاكُم أن تَركَنوا إلى القَولِ:
"نَحنُ شَعبُ اللهِ المُختارُ وأحِبّاؤهُ، وإنّنا نَنحَدِرُ مِن سُلالةِ النَّبيِّ إبراهيمَ". فإنّ هذا لن
يُفيدَكُم بشَيءٍ، لأنّ اللهَ قادِرٌ أن يَجعَلَ مِن هذِهِ الحِجارةِ ذُرِّيّةً لإبراهيمَ بَدَلاً مِنكُم!
10 واحذَروا غَضَبَ اللهِ فإنّهُ كالفأسِ الّتي تُوشِكُ أن تَهوي على جُذوعِ الأشجارِ الّتي لا
تُؤتي أُكلاً طَيِّبًا لتُحيلَها حَطَبًا يُلقَى في النّارِ. إنّكُم وهذِهِ الأشجارَ سَواء! 11 ولَئِن
طَهَّرتُكُم بالماءِ دَلالةً على تَوبتِكُم، فإنّ القادِمَ مِن بَعدي أرفَعُ مِنّي مَقامًا، حتّى أنّي

(1) كان النبي يحيى بن زكريا عليه السلام يسير على خطى النبي إلياس عليه السلام وغيره من الأنبياء الذين توجّهوا إلى البريّة للانعزال بعيدًا بسبب جحود شعبهم الشديد. وتقع تلك البراري بين القدس والبحر الميت. وكان النبي يحيى ينشر دعوته ويطهّر الناس بالماء على الضفّة الشرقية من نهر الأردن.

(2) عندما اعتنق الوثنيّون الديانة اليهوديّة، كان عليهم التوبة والتطهّر بالماء، وكان على الذكور منهم الختان. وهنا يقول النبي يحيى عليه السلام بأنّ هؤلاء اليهود أصبحوا كأنهم وثنيّون، وأنهم بحاجة إلى التوبة إلى الله والرجوع إليه بصورة شاملة مرّة ثانية. وبيّن النبي يحيى بأنّ الله لا ينحاز إلى اليهود بسبب انحدارهم من سلالة النبي إبراهيم عليه السلام.

لَستُ أهلاً لأن أكونَ عَبدَهُ وأَحُلَّ رِباطَ نَعلَيْه. فهو الّذي سيُطَهِّرُ برُوحِ اللهِ التّائبينَ، بَينَما يُلقي الآثِمينَ في النّارِ! [12]وهو الّذي سيَفصِلُ بَينَ النّاسِ كَما يُنَقّي الفَلاّحُ بُذورَهُ إذ يَحتَفِظُ بالصّالِحةِ مِنها في دارِ البَقاءِ ويَطرَحُ القُشورَ في نارٍ لا يَنطَفِئُ أُوارُها".

عيسى سَلامُهُ عَلَينا يتطهّر بالماء

[13]ثُمّ قَدِمَ سَيِّدُنا عيسى سَلامُهُ عَلَينا مِنَ الجَليلِ إلى ضِفافِ نَهرِ الأُردُنّ بُغيةَ التَّطَهُّرِ بمياهِهِ على يَدِ النَّبيِّ يَحيى عليه السلام. [14]ولكنّ النَّبيَّ يَحيى أحجَمَ عن ذلِكَ والتفَتَ إلى عيسى سَلامُهُ عَلَينا قائلاً: "بل أنا الّذي يَحتاجُ إليكَ لأتَطَهَّرَ، فكَيفَ تَطلُبُ مِنّي أن أُطَهِّرَكَ؟!" [15]فأجابَهُ مؤكِّدًا: "بَلى افعَلْ ما جِئتُكَ مِن أجلِهِ تَحقيقًا لمَرضاةِ اللهِ". فأذعَنَ يَحيى عليه السلام لأمرِ سَيِّدِنا عيسى(1). [16]وما إن خَرَجَ عيسى سَلامُهُ عَلَينا مِنَ الماءِ حتّى انشَقّت السَّماءُ، فرأى هُبوطَ رُوحِ اللهِ مِثلَ حَمامةٍ واستَقَرَّت عليهِ، [17]وأقبَلَ مِنَ السَّماءِ صَوتٌ يَقولُ: "هوذا الحَبيبُ، الابنُ الرُّوحيُّ لي، وقد رَضيتُ عَنهُ كُلَّ الرِّضى".(2)

(1) تقبّلُ الناس التطهّرَ بالماء على يد النبي يحيى دليلٌ على أنّهم مستعدّون للإيمان بالمسيح المنتظر قدومُه من بعده. وكان يجب عليهم أن يتوبوا عن خطاياهم وذنوبهم كشرط لتطهّرهم بالماء. ورغم أنّ سيّدنا عيسى سَلامُهُ عَلَينا لم يكن له ذنوب وخطايا يتوب عنها، لكنّه تطهّر بالماء ليعلن استعداده لتولّي منصب المسيح الملك من الله تعالى.

(2) ستكرّر عبارة "الابن الرّوحيّ لله" كثيرًا في هذا الكتاب. وهي في الترجمات العربية التاريخية "ابن الله". ولا تشير مطلقًا إلى البنوّة ذات الطبيعة البشريّة. حاشا لله! إنّما كان هذا لقبا يشير إلى الملك المختار الذي يجب أن يكون من سلالة النبي داود عليه السلام. وفي هبوط روح الله على سيّدنا عيسى، بيّن الله أنه قد اختاره ليكون المسيح الملك على المملكة الرّبّانيّة. أمّا جلوس السّيّد المسيح على العرش فسيحدث بعد ثلاث سنوات ونصف السنة، عند قيامته من بين الأموات. ويشير الصوت القادم من السماء إلى كلمات الله الموجّهة إلى الملك المختار والتي جاء ذكرها في المزمور الثاني من الزبور، كما يشير في الوقت ذاته إلى نبوءة أشعيا عن المسيح المنتظر (كتاب النبي أشعيا، الفصل 42). وهذا اللقب يشير إلى الصلة الحميمة بين الله والسّيّد المسيح، وعلى هذا الأساس يمنح المسيح أتباعه الحقّ ليكونوا أهل بيت الله. وإنّه كلمة الله التي ألقاها إلى مريم العذراء فأصبحت إنسانًا بقوّة روح الله. وحسب الإنجيل، فإنّ كلمة الله هي صفة قائمة في ذاته تعالى. ومن هذا المنطلق نتمكّن من فهم كيف يتمتّع السّيّد المسيح سَلامُهُ عَلَينا بسلطة على بيت الله كسلطة الابن البكر عند الناس.

٤
الفصل الرّابع

إغواءات إبليس لعيسى عليه السلام

[1]وتوَجَّهَ سَيِّدُنا عيسى عليه السلام إلى البَراري مُنقادًا برُوح اللهِ ليَتعَرَّضَ لإغواءاتِ إبليسَ. [2]وبعدَ أربَعينَ يومًا بلياليها قَضاها صائمًا أخَذَ الجُوعُ مِنهُ كُلَّ مأخذٍ(1)، [3]فأتاهُ إبليسُ مُوَسوِسًا: "أنتَ الابنُ الرُّوحيُّ للهِ، قُل لهذِهِ الحِجارةَ فتَصيرَ خُبزًا تَرُدَّ بِهِ الجوعَ عنكَ". [4]فأجابَهُ عليه السلام قائلاً: "جاءَ في التَّوراةِ: "لَيسَ بالخُبزِ وَحدَهُ يَحيا الإنسانُ، بل بطاعتِهِ لكُلِّ أمرٍ جاءَ مِن عِندِهِ تَعالى". [5]إلاّ أنّ إبليسَ لم يَيأس، فقادَهُ إلى المَدينةِ المُقَدَّسةِ، حَيثُ وَقفَ بِهِ على أعلى مَكانٍ في الحَرَمِ الشَّريفِ [6]وقالَ لهُ: "ألَستَ الابنَ الرُّوحيَّ للهِ، فألقِ بنَفسِكَ مِن هذا العُلوِّ، ولا تَخَفْ، فقد جاءَ في كِتابِ الزَّبورِ أنّ اللهَ يوصِي ملائكتَهُ بكَ فيُسرِعونَ لِحَملِكَ بَينَ أيديهِم، كَي لا تَصطَدِمَ قَدَمُكَ بحَجَرٍ"(2). 7فأجابَهُ عيسى عليه السلام بالقَول: "لقد أمَرَنا اللهُ أيضًا في التّوراةِ قائلاً: لا تَمتَحِنْ وَفاءَ اللهِ لوعودِهِ". [8]ثُمّ اقتادَ إبليسُ عيسى عليه السلام إلى قِمّةِ جَبَلٍ عالٍ وأراهُ كُلَّ مَمالكِ الدُّنيا وبَهاءَها، [9]وقالَ لهُ: "سيَكونُ ذلكَ رَهنَ يَديكَ شَرطَ أنْ تَركَعَ وتَسجُدَ لي"(3). 10فقالَ لهُ سَيِّدُنا عيسى عليه السلام: "إليكَ عنّي أيُّها الشَّيطانُ، لقد جاءَ في التّوراةِ: "اُسجُد للهِ رَبِّكَ، وكُن لهُ وَحدَهُ مِنَ العابِدينَ". [11]وعِندئذٍ ابتَعَدَ عَنهُ إبليسُ وحَلَّت الملائكةُ مَحلَّهُ وقامَت على خِدمتِهِ.

---

(1) لقد صام النبي موسى عليه السلام أيضًا أربعين يومًا بلياليها قبل تلقّيه التوراة. وكذلك بقي شعب بني يعقوب في التيه في الصحراء أربعين سنة قبل دخولهم الأرض المقدّسة. ومن المواضيع الأساسيّة عند متّى أنّه يعتبر السّيّد المسيح رمزا لشعب بني يعقوب ولكنّه مطيع وأنّه الرسول الذي وعد به النبي موسى.

(2) اقتبس الشيطان من الزبور اقتباس العارف، ولكنّ الله، كما يبدو بوضوح من سياق الآية في الزبور، يرعى المؤمنين به عند وقوعهم في المتاعب، وليس الأمر كما بدا للبعض بأنّه يرعاهم بغضّ النظر عن أفعالهم.

(3) لم يكن لإبليس الحقّ على ممالك الدنيا، إلاّ أنّه كان يسيطر على البشر كمغتصب لهذا الحقّ. وكان باستطاعته فقط مَنْح سيّدنا المسيح مركزًا رئاسيًا هو بمثابة منصب يمارس من خلاله الاضطهاد العنيف والسيطرة الحربيّة.

عيسى ﷺ يبدأ بنشر دعوته

[12]ووَصَلَ إلى سَمعِهِ ﷺ أنّ الأميرَ أنتيباسَ بن هيرودُسَ رَمى يَحيى عليه السلام في السِّجنِ، فقَفَلَ عائدًا إلى الجَليلِ، [13]في اتّجاهِ بَلدةِ النّاصرة، ثُمّ تَرَكَها وأستَقَرَّ في بَلدةِ كَفْرَناحومَ عِندَ شاطِئِ البُحيرةِ في مِنطقةٍ تُدعى دِيرة العَشيرَتين زَبولونَ ونَفْتالي، [14]ليَتَحَقَّقَ بذلِكَ ما جاءَ على لِسانِ النّبيِّ أشعيا: [15]"إنّ أهلَ أرضِ زَبولونَ ونفتالي، دِيرةِ العَشيرتين التّي يَسكُنُها الأجانِبُ(1)، [16]والواقعةِ غَربَ نَهر الأُردُنّ قُربَ البُحيرةِ في مِنطقةِ الجَليلِ، هؤلاءِ النّاسُ الّذينَ يَعيشونَ في الظُّلُمات، أبصَروا إشراقَ نورٍ عَظيمٍ. ومَعَ أنّهُم يوشِكونَ على المَوتِ بسَبَبِ ذُنوبِهِم، فإنّ اللهَ أغدَقَ عليهِم نورَ النَّجاةِ"(2).
17ومُنذُ ذلِكَ الحينِ بَدَأ عيسى ﷺ يَنشُرُ رِسالتَهُ ويُرَدِّدُ بِشارتَهُ: "أيّها النّاسُ تُوبوا إلى اللهِ فإنّ مَملكتَهُ الّتي وَعَدَ بها تُوشِكُ أن تَقومَ على الأرضِ!"

أتباع عيسى ﷺ الأوائل

[18]وبَينَما كانَ ﷺ يَمشي يَومًا على شاطِئِ بُحيرةِ طَبَريّا شاهَدَ صَيادَيْنِ شَقيقَينِ يُلقِيانِ شِباكَهُما في الماءِ وهُما أَندَراوسُ وسَمْعانُ الّذي لَقّبَهُ السَّيِّدُ المَسيح لاحِقًا بِبُطرسَ، أي صَخر. [19]فخاطَبَهُما قائلاً: "هيّا اتبَعاني، وسأجعَلُكُما تَجمَعانِ النّاسَ مِن حَولِكُما كَما تَجمَعانِ الأسماكَ في تِلكَ الشِّباكِ"(3). [20]فاستَجابَ الشّقيقانِ وتَرَكا شِباكَهُما وتَبِعاهُ. [21]ثُمّ واصلَ ﷺ سَيرَهُ والتَقى شَقيقَينِ آخَرينِ هُما يَعقوبُ ويوحَنّا، وكانا في قاربٍ مَعَ أبيهِما زَبدي، يُجَهِّزانِ شِباكَهُما. فدَعاهُما سَيِّدُنا عيسى ﷺ إلى اتّباعِهِ [22]فاستَجابا على الفَورِ تارِكَيْنِ أباهُما في القارِبِ.(4)

---

(1) كانت ديرة العشيرة نفتالي حيث كفرناحوم مأهولة بوثنيّين وبأناس من أعراق مختلفة منحدرين من سلالات يهوديّة ووثنيّة، بالإضافة إلى يهود منحدرين من سلالة يهوديّة نقيّة قدموا إلى تلك المنقطة من بيت لحم في يهوذا. وقد كان هؤلاء اليهود من منطقة يهوذا يحتقرون يهود الجليل ويهزؤون من لهجتهم.

(2) تشير هذه النبوءة من أشعيا عليه السلام الفصل 9 إلى نور المسيح المنتظر.

(3) كان الأتباع عادة يختارون أن يصبحوا أتباع معلّم معيّن، لكن السيد المسيح كان فريدا في اختياره لأتباعه.

(4) إنّ سبب اتّباع هذين الصيادين للسّيّد المسيح دون تفكير يعود إلى الخلفية التي كانت لديهما عند شيوع خبر ظهور المسيح الذي بشّر به النبي يحيى، والذي جاء في الكتب السماويّة، بالإضافة إلى شيوع تعاليم سيّدنا عيسى التي كان قد باشر نشرها بين الناس.

مضمون رسالة سيّدنا عيسى ﷺ

[23]ثُمّ أخَذَ سَيِّدُنا عيسى ﷺ يطوفُ في كُلِّ أنحاءِ الجَليلِ، يُعَلِّمُ في بُيوتِ العِبادةِ، ويُبَشِّرُ بقيامِ المَملَكةِ الرَّبّانيّةِ، ويَشفي النّاسَ مِن كُلِّ مَرَضٍ وداءٍ. [24]فذاعَ صِيتُهُ خارجَ الجَليلِ حتّى بَلَغَ جَميعَ مَناطِقِ سُوريا. وبَدَأ النّاسُ يَأْتُونَ إليهِ مِن أقاصي الأرضِ بمَرضاهُم المُصابينَ بأمراضٍ شَتّى، ومَن بِهِم مَسٌّ شَيطانيٌّ أو صَرعٌ أو شَلَلٌ. وكانَ الجَميعُ يُشفَونَ على يديهِ، [25]ويَتبعونَهُ أينما حَلَّ. وقد لَحِقَ بِهِ النّاسُ أفواجًا مِن مَناطقَ مُختَلفة: مِنَ الجَليلِ والمُدُنِ العَشَرِ والقُدسِ ومَناطِقِ يَهوذا وشَرقِ نَهرِ الأُردُنِّ.(1)

٥
الفصل الخامس

أخلاق أهل المملكة الرّبّانيّة

[1]وذاتَ يوم أبصَرَ ﷺ حُشودًا مِن النّاسِ تَتبَعُهُ فصَعِدَ جَبَلاً وجَلَسَ هُناكَ، فاقتَرَبَ مِنهُ أتباعُهُ وأحاطُوا بِهِ، [2]فبَدَأ يُعَلِّمُهم:(2)

[3]"هَنيئًا للفُقراءِ إلى اللهِ،

فإنّ لهُم نَصيبًا في مَملكةَ اللهِ الأبَديةِ.

[4]هَنيئًا للحَزانى مِن قَهرٍ أو ظُلم،

لأن اللهَ يُواسيهِم على ذلِكَ.

(1) المدن العشر كانت مجموعة مدن إغريقيّة تتّبع الديانة الوثنيّة (ومن بينها دمشق وعمّان) وتقع بمنطقة الضفة الشرقيّة من الأردن وإجمالا في ناحية بلاد الشام.

(2) هذه الكلمات هي ما يُدعى عادة "الموعظة على الجبل"، وهذا مشابه لتعليم السيد المسيح كما ورد في الوحي الذي سجّله لوقا، الفصل 6 ويدعى "الموعظة على السهل". وهناك اختلاف بين علماء الإنجيل فيما إذا كانتا روايتين مختلفتين، أو رواية واحدة اختُلِف في تسجيل تفاصيلها.

5هَنيئًا للوُدَعاء مِن النَّاسِ،

لأنّهُم وَرَثةُ الأرضِ.

6هَنيئًا للجياعِ المُتَعَطّشينَ إلى الحقِّ،

فسيُرضيهُم اللهُ ويُنصِفُهُم.

7هَنيئًا للرُّحَماءِ مَعَ النّاسِ،

فإنّهُم عِندَ ربِّهِم مَرحومونَ.

8هَنيئًا لأنقياءِ القَلبِ،

فإنّهُم برؤيةِ اللهِ يَنعمونَ.

9هَنيئًا لصانعي السّلامِ بَينَ النّاسِ،

فإنّهُم عِيالَ الله يُدعَونَ.

10هَنيئًا للمُستَضعَفينَ في سَبيلِ اللهِ،

فإنّهُم في مَملكةِ الله يُقيمونَ(1).

11هنيئًا لكُم عِندَما تُشتَمُونَ وَتُضطَهَدُونَ، ويُفترَى عليكُم بتُهَمِ الزُّور لأنّكُم

---

(1) إنّ العديد من اليهود كانوا يعتقدون بأنّ المملكة الرّبّانيّة سوف تُعلَن من خلال حرب عظيمة وبقوّة السلاح. وقد وعد بها سيّدنا المسيح الفقراء إلى الله، الودعاء، صانعي السلام، والمستضعفين في سبيله تعالى.

أنصاري! [12]افرَحوا وابتَهِجوا، ولا تَتَعجّبوا مِن طَلَبي هذا، فإنّ اللهَ سيُجازيكُم جَزاءً كَبيرًا، لأنّ هذا الشَّعبَ سيَضطهِدُكُم كَما اضطَهَدَ الأنبياءَ مِن قَبلِكُم(1).

يا أتباعي أنتم الملح والنّور

[13]وتابَعَ ﷺ حَديثَهُ لأتباعِهِ قائلاً: "أنتُم مِلحُ هذهِ الأرضِ! لكنْ إذا فَقَدَ المِلحُ مُلوحَتَهُ، فمَن يُعيدُها إليهِ؟ فيُصبحُ عِندئذٍ لا نَفعَ فيهِ فيُرمى ويُداس. [14]أنتُم نورُ هذا العالَمِ! أنتُم مِثلَ مَدينةٍ مَبنيّةٍ على قِمّةِ جَبَلٍ، ظاهِرةٌ للعيانِ على الدّوام. [15]وأقولُ لكُم: هل يُوجدُ إنسانٌ عاقِلٌ يوقدُ مِصباحَهُ فيَحجُبَ نورَهُ بوِعاءٍ يَضعَهُ فوقَهُ؟ كَلاّ! إنّهُ يَختارُ لهُ مَكانًا عاليًا ليُضيءَ نورُ هذا المِصباحِ دُروبَ القابِعينَ في الظُّلُمات. [16]وكذلِكَ أنتُم، نورُ اللهِ في الأرضِ، تُضيئونَ سُبُلَ النّاسِ بنورِكُم، مِن خِلالِ أعمالِكُم الخَيِّرةِ فتَجعَلونَ النّاسَ يَتَوجَّهونَ إلى اللهِ أبيكُم الرَّحمنِ في عُلاه بالشُّكرِ والتَّسبيحِ".

عيسى ﷺ والكتب السّماويّة

[17]ثُمّ خاطَبَهُم ﷺ قائلاً: "لا يَظُنَنَّ أحَدٌ مِنكُم أنّي جِئتُ لنَسخِ التَّوراةِ أو مَحوِ ما في كُتُبِ الأنبياءِ. إنّما بُعِثتُ لأُتمِّمَها! [18]والحقَّ أقولُ لكُم، لن يَتَغَيَّرَ مِنَ الكِتابِ حَرفٌ ولن تُحذَفَ مِنهُ نُقطةٌ، ما دامَت السَّماواتُ والأرضُ، حتّى يَتِمَّ كُلُّ ما جاءَ فيها. [19]فكُلُّ مَن خالَفَ أبسَطَ وَصيّةٍ مِن وَصاياهُ، ودَفَعَ النّاسَ إلى ذلكَ، فستَكونُ لهُ أدنى مَكانةٍ في المَملكةِ الّتي وَعَدَ اللهُ بِها. أمّا مَن عَمِلَ بهذِهِ الوَصايا وعَلَّمَها، فلهُ المَقامُ الرَّفيعُ في تِلكَ المَملكةِ. [20]وأقولُ لكُم: إن لم يَتَفوَّق سَعْيُكم لمَرضاةِ اللهِ على سَعيِ الفُقهاءِ وأعضاءِ طائفةِ المُتَشَدِّدينَ فلن تَنعَموا بالانضِمامِ إلى أهلِ مَملكةِ اللهِ(2).

---

(1) كان يعتقد الكثير من اليهود بأنّه لم يبق هناك أنبياء كما في العهود السابقة. لذا فإنّ مقارنة سيّدنا عيسى لأتباعه بالأنبياء يشير إلى أن لديهم مهمّة شاقّة غير عاديّة.

(2) لقد كان المتشدّدون من رجال الدين ذوي شأن عظيم في ذلك الوقت، وكان الفقهاء من أعظم الخبراء في التوراة. وبينما كان يقول المتشدّدون إنّ المهمّ هو النيّة، فإنّهم لم يكونوا يعملون بما يجاهرون به.

مبتغى وصايا التّوراة

21ثُمّ تابعَ ﷺ قائلاً: "إنّكُم تَعلَمونَ الوَصيّةَ الّتي جاءَت لآبائِكُم الأوّلينَ في التَّوراةِ، تِلكَ الّتي تَقولُ: "لا تَقتُلْ، ومَن فَعَلَ ذلِكَ يَمثُلُ أمامَ القَضاء". 22ها أنا أُوَضِّحُ لكُم مَضمونَ هذِهِ الوَصيّة: مَن سَلَّمَ نَفسَهُ إلى الغَضَبِ مِن أخيهِ المؤمنِ، فعليهِ أن يُواجهَ القَضاءَ. ومَن قالَ مِنكُم لأخيهِ: "يا أحمَقُ" فعليهِ أن يَقِفَ صاغِرًا أمامَ حُكمِ المَجلِسِ الأعلى، وإن دَعا أحدُكُم أخاهُ قائلا: "يا كافِرُ" فسيُواجِهُ العَذابَ في النّار. 23وإن جاءَ أحَدُكُم بأضحيتِهِ ليُقدِّمَها للهِ في الحَرَم القُدسيّ، ثُمّ تَذَكَّرَ أنّ لأخيهِ المؤمنِ عليهِ شَيئًا، 24فلْيَترُكْ أضحيتَهُ عِندَ المَذبَحِ، ولْيُبادِرْ إلى مُصالَحةِ أخيهِ، ثُمّ يَعودُ بَعدَئذٍ إلى تَقديم الأُضحيةِ.[1] 25دَعُوني أضرِب لكُم مَثَلاً آخر: إن قامَ خَصمٌ يَشكوكُم، فحاوِلوا إرضاءَهُ وأنتُم مُتَوجِّهونَ وإيّاهُ إلى القَضاءِ، وحاوِلوا ألاّ تَمثُلوا أمامَ القاضي الّذي سيَحكُمُ عليكُم بالسَّجنِ، ويُسلِّمُكُم إلى الحارسِ الّذي يُلقيكُم فيهِ. 26الحَقَّ أقولُ لكم، إنْ حَدَثَ ذلِكَ فلن تَخرُجوا مِن السِّجنِ حتّى تؤدّوا حقَّ خَصمِكُم الّذي عليكُم إلى آخِر فِلسٍ!

الزّنى

27وتابعَ ﷺ قائلا: "تَعلَمونَ أيضًا أنّ وَصيّةً جاءَت في التَّوراةِ تَقولُ: "لا تزنِ". 28وها أنا أكشِفُ لكُم عن مَقصدِها. إنّ مَن نَظَرَ مِنكُم إلى امرأةٍ بشَهوةٍ فقد زَنى في سَريرتِهِ. 29-30?وإنّ الآثامَ لتُدمِّرُ الإنسانَ تدميرًا، فأغلِقْ الأبوابَ دونَها، ولئن راوَدَتْكَ عَينُكَ اليُمنى لتَنظُرَ إلى مُحرَّم فاقلَعْها، أو كانَت يَدُكَ سَبَبًا في ارتِكابِ إثم فاقطَعْها حتّى وإن كانَت اليُمنى! فخَيرٌ لكُم أن تَدخُلوا دارَ النَّعيم بِيدٍ واحدةٍ أو بِعَينٍ واحدةٍ، مِن أن تكونَ لكُم يَدانِ وعَينانِ، ثُمّ تُحشَرونَ بواسَطَتِها في جَهَنَّم[2].

الطّلاق

31ثُمّ قالَ: "وجاءَ في التَّوراةِ أيضًا وَصيّةٌ تَقولُ: "مَن طَلَّقَ امرأتَهُ فعليهِ إعطاؤها

(1) حتّى في عهود الأنبياء القديمة، كان الله تعالى يتقبّل فقط القرابين التي كان الشخص الذي يقدّمها على علاقة جيّدة بربّه وبجيرانه.

(2) لم يحثّ السيد المسيح ﷺ الناس على بتر أعضاء أجسادهم، بل استخدم المبالغة لكي يشير إلى أهميّة اتّخاذ الناس إجراءات شديدة للغاية حتّى يبتعدوا عن الشهوات وارتكاب الزنى.

وَثيقةَ الطّلاقِ". [32]وإليكُم مَقصِدَها: مَن طَلَّقَ امرأتَهُ دونَ ارتِكابِها الزِّنى فهو يَقودُها بذلِكَ لتَكونَ ضَحيّةَ الخيانةِ. ومَن تَزَوَّجَ مِنكُم بمُطَلَّقةٍ فقد تَعَدّى على العَهدِ الّذي كانَ لها مَعَ زَوجِها الأوّل.(1)

القسم

[33]وتابَعَ عليه السلام قائلاً: "ولقد سَمِعتُم كذلِكَ ما جاءَ في التَّوراةِ: "إنْ أقسَمتَ لأحَدٍ باسمِ اللهِ، فلا تَتَوانَ عَنِ البِرِّ بقَسَمِكَ". [34-35]أمّا أنا فأقولُ لكُم: لا يَكونَنّ قَسَمُكُم بالسَّماءِ ولا بالأرضِ اللّتينِ يَسعَهُما عَرشُ اللهِ، ولا بمَدينةِ القُدسِ الّتي خَصَّها اللهُ المَلِكُ العَظيمُ بالقُدسيّة، [36]ولا يَحلِفُ أحَدُكُم برأسِهِ، لأنّهُ لا يَملِكُ القُدرةَ على تَغييرِ لونِ شَعرةٍ واحدةٍ فيهِ. [37]ولكن إذا وَدَّ أحَدُكُم أن يُؤكّدَ شَيئًا فحَسْبُهُ أن يَقولَ نَعم، وإن أرادَ نَفيَ شَيءٍ فحَسبُهُ أن يَقولَ لا، وما زادَ على ذلِكَ فهو مِن عَمَلِ الشَّيطانِ".(2)

العين بالعين

[38]"وتَعلَمونَ أيضًا أنّهُ جاءَ في التَّوراةِ: "العَينُ بالعَينِ والسِّنُّ بالسِّن".(3) [39]أمّا أنتُم فلا تُحاوِلوا الانتِقامَ مِمَّن أساءَ إليكُم، بل إنّي أقولُ لكُم: مَن ضَرَبَكَ على خَدِّكَ الأيمَنِ، فأدِرْ لهُ الأيسَرَ، [40]ومَن ذَهَبَ إلى القاضي يَشكوكَ ليأخُذَ قَميصَكَ سَدادًا

(1) كان عقاب من ارتكب الزنى الموت الحتمي حسب التوراة. ولكن في زمن الاحتلال الرومانيّ، أخذ اليهود يتصرّفون حسب القانون الرومانيّ، الذي كان يلزم بالطلاق في حالة ما إذا كانت الزوجة زانية. إلاّ أنّ سيّدنا عيسى قضى بأنّ الطلاق باطل في جميع الحالات الأخرى. لذلك فالشخص الذي يطلّق زوجته إنّما يعاملها كأنّها زانية، وإن قام أحد الزوجين بنقض الزواج اعتُبِر مثل الزاني، لأنّ عقدهما ما زال قائمًا عند الله.

(2) كان الناس يقسمون بكلّ الأشياء ما عدا الله للتأكيد على أنّ كلامهم صادق، وقد كانوا يفعلون ذلك لعدم مواجهة عقاب الله في حال عدم برّهم بقسمهم. كما كانوا يفعلون ذلك خشية زجّ اسم الله تعالى في موضع سيء. ولأنّ الناس أساءوا استعمال القسم آنذاك، فقد أكّد السّيّد المسيح ضرورة تجنّب القسم.

(3) كانت الغاية الأساسيّة من هذه الوصايا في التوراة إقامة حدود شرعية لمنع عملية الأخذ بالثأر المفرطة. وقد كانت تستعمل تلك الوصايا في زمن سيّدنا عيسى بعكس غايتها الأساسيّة، بقصد كسب ما يريد الناس الحصول عليه من خصومهم. لذا فإنّ سيّدنا عيسى يلحّ على مستمعيه بعدم البحث عن الثأر ضدّ من آذوهم.

لدَيْنِ لهُ عليكَ، فتَخلَّ لهُ طَوعًا عن ثَوبِكَ أيضًا. [41]وإن سَخَّرَكَ جُنديٌّ لتحمِلَ حَوائجَهُ مَسافةَ مِيلٍ، فسِرْ مَعَهُ بمِلءِ إرادتِكَ مَسافةَ مِيلَين. [42]ولئن سَألَكَ سائلٌ فأعطِهِ، واقرِضْ مَن استَقرَضَكَ".

لا تبغضوا أعداءكم

[43]وتابعَ ﷺ موضِحًا: "إنّكُم تعلَمونَ أيضًا أنّهُ جاءَ في التَّوراةِ: "أحِبَّ جارَكَ". وقد فَهِمَ آباؤكُم الأوّلونَ مِن هذا القَولِ: "ابغِضُوا أعداءَكُم". [44]أمّا أنا فأقولُ لكُم: أحِبّوا أعداءَكُم، وادعُوا بالخيرِ لمُضطَهِديكُم، [45]فتُصبِحونَ بذلِكَ مِن أهلِ بَيتِ اللهِ أبيكم الرَّحمَن في عُلاه الّذي تُشرِقُ شَمسُهُ على عِبادِهِ الصّالحينَ والأشرارِ على حَدٍّ سَواء، الّذي يَجودُ بغَيثِهِ على خَلقِهِ أجمَعينَ ذَوي العَدلِ مِنهُم والظّالمينَ. [46]فإن كُنتُم لا تُحِبّونَ إلاّ مَن أحبَّكُم فأيُّ فَضلٍ لكُم في ذلِكَ، حتّى جُباةُ الضَّرائبِ الفاسِدونَ يَفعَلونَ ذلك![(1)] 47وإن كُنتُم لا تُلقُونَ السّلامَ إلاّ على إخوانِكُم في الإيمانِ، فكَيفَ ستَتَميَّزونَ عن الآخرين؟ فهذا ما يَفعَلُهُ الوَثَنيّونَ أيضًا! [48]إنّما عليكُم أنتُم يا أتباعي أن تَشمَلَ مَحبّتُكُم جميعَ النّاسِ كما تَشمَلُ مَحبّةُ اللهِ أبيكُم الرَّحيم جَميعَ عِبادِهِ".

٦
الفصل السّادس

[1]ثُمّ حدَّثَ ﷺ أتباعَهُ قائلاً: "إيّاكُم والنِّفاقَ في عِباداتِكُم واحذَروا أن تَعبدوا اللهَ مُراءاةً للنّاسِ ليَمتدحوكُم، إذ بهَذا لن يَكونَ لكُم ثَوابٌ عِندَ اللهِ أبيكُم الرَّحمنِ في عُلاه.

الصّدقة

[2]فاجتَنِبوا أن تَمنَحوا صَدقاتِكُم جَهرًا، بل امنَحوها المُحتاجينَ سِرًّا ولا تَكونوا

(1) كان الرومان يعيّنون جباة الضرائب من عامّة الشعب اليهوديّ. وكان هؤلاء يحصّلون الجمارك والضرائب الأخرى لمصلحة الرومان الذين كانوا يسيطرون على المنطقة التي احتلوها، على أنّ هؤلاء الجباة اعتادوا تحصيل مبالغ إضافية زيادة عمّا فرضه الرومان لمصالحهم الخاصّة. وكانوا في نظر أكثر الشعب أشخاصا ضالّين.

كالمُنافقينَ الّذينَ يُشهِرونَ صَدَقاتِهِم في بُيوتِ العِبادةِ وفي الشّارعِ رياءَ النّاسِ فيَكيلونَ لهُم المَديحَ. الحَقَّ أقولُ لكُم، ما لهؤلاء مِن جَزاءٍ إلاّ ما قد وَصَلَهُم مِن النّاسِ. [3]امنَحوا صَدَقاتِكُم سِرًّا فلا تَعرِفُ شِمالُكُم ما قَدَّمَت يَمينُكُم، [4]واللهُ أبوكُم الرَّحمنُ يَعلَمُ ما أسرَرتُم ويَمنَحُكُم الجَزاءَ الأوفى".

الصّلاة

[5]وأخبَرَهُم عَلَيْنَا سَلاَمُهُ عن الصَّلاةِ فقالَ: "ولا تُصَلّوا صَلاةَ المُنافِقينَ الّذينَ يُقيمونَ صَلاتَهُم في دُورِ العِبادةِ وبينَ العامّةِ في الطُّرُقاتِ حتّى يَراهُم الجَميعُ. والحَقَّ أقولُ لكُم: لقد نالَ هَؤلاءِ أجرَهُم مِن النّاسِ ولَيسَ لهُم عِندَ اللهِ ذَرّةُ جَزاءٍ أو إحسان. [6]أمّا أنتُم يا أحبابي فأقيموا صَلاتَكُم في خُشوعٍ للهِ أبيكُم الرَّحمنِ في غُرَفِكُم مُغلِقينَ الأبوابَ لتَكونوا في مَنأى عن أَعيُنِ النّاسِ وعن أَلسِنَتِهِم، فتَنالونَ ثَوابَ أبيكُم الرَّحمنِ عالمِ السِّرِّ والنَّجوى. [7]وعِندَ صَلاتِكُم، لا تَتوجَّهوا إليهِ بعَقيمِ الكَلامِ المُكَرَّرِ كَما يَفعَلُ الوَثَنيّونَ الّذينَ يَحسَبونَ أنّهُ بكَثرةِ كَلامِهِم تُستَجابُ دَعواتُهُم. [8]نعم، لا تَكونُنَّ مِثلَهُم، واعلموا أنّ اللهَ أباكُم الرَّحمنَ مُطّلِعٌ على حالِكُم قَبلَ أن تَسألوا.

[9]وإذا صَلّيتُم فصَلّوا على الوَجهِ التّالي قائلينَ:

"اللهُمَّ يا أبانا الرَّحمن في عُلاك،

تَبارَكَ اسمُكَ وتَقَدَّسَ،

[10]لتَقُم مَملكتُكَ المَوعودةُ في الأرضِ،

ليَسعَ مَن في الأرضِ لمَرضاتِكَ كسَعْيِ مَن في السَّماءِ.

[11]وارزُقنا قُوتَ يومِنا، [12]واغفِر لنا سَيّئاتِنا

كَما نُسامِحُ مَن أخطأ في حَقِّنا،

[13]وجَنّبنا المِحنَ والبَلاء، ونَجِّنا مِن كَيدِ الشَّيطانِ الأثيمِ،

فلَكَ وَحدَكَ المُلكُ والقُوّةُ والجَلالُ إلى الأبَدِ آمين".

[14]وتابَعَ عَلَيْنَا سَلاَمُهُ قائلاً: "إن أنتُم صَفَحتُم عَمّا ارتَكَبَهُ النّاسُ في حَقِّكُم، فإنّ اللهَ أباكُم الرَّحمنَ يَغفِرُ لكُم آثامَكُم أيضًا، [15]وإلاّ فلن يَغفِرَ أبوكُم الرَّحمنُ خَطاياكُم".

الصّوم

16ثُمّ أضافَ ﷺ يُرشِدُهُم عن الصّوم قائلا: "واحذَروا أحبابي عِندَ صَومِكُم أن تَكونوا عابِسي الوُجوهِ كَما يَفعَلُ المُنافِقونَ الّذينَ يَصطَنِعونَ التَّعبَ ليَمتَدِحَهُم النّاسُ. والحَقَّ أقولُ لكُم، لقد نالَ هؤلاءِ النّاسُ أجرَهُم(1). 17أمّا أنتُم فعِندَ صَومِكُم اغسِلوا وجوهَكُم وتَعَطَّروا، 18كي لا يَبدوَ أثَرُ الصّيامِ على وُجوهِكُم، فلا يَعلَمَ بذلكَ غَيرُ اللهِ أبيكُم الرَّحمنِ الّذي يَعلَمُ ما تُخفي الصُّدورُ فيَمنَحُكُم على إخلاصِكُم الأجرَ والثَّوابَ".

الكنوز في السّماء

19وتابَعَ ﷺ يُذَكِّرُهُم قائلا: "احذَروا كُنوزَ الدُّنيا فهي آيِلةٌ للتَّلَفِ، مَوعودةٌ بالفَسادِ، مُعَرَّضةٌ لسَرِقةِ اللُّصوص، 20ولكن ادَّخِروا لأنفُسِكُم كَنزًا عِندَ رَبِّكُم لا يَفنى، بَعيدًا عن التَّلَفِ، آمنًا مِن الفَسادِ، لا تَطالُهُ يَدُ اللُّصوصِ! 21لأنّ رَغبةَ قُلوبِكُم مُوَجّهةٌ حَيثُما تَدَّخِرونَ كُنوزَكُم".

القناعة والحسد

22"وانتَبِهوا لعُيونِكُم فمِن خِلالِها يَنفُذُ شُعاعُ النُّورِ إلى باطِنِكُم، فإذا نَظَرتُم إلى الآخَرينَ وقد قنَعتْ نُفوسُكم بما لَدَيكُم، أضاءَ حياتَكُم نورُ الرِّضا. 23وإذا نَظَرتُم إليهِم نِظرةَ حَسَدٍ، سَكَنَت الظُّلمةُ باطِنَكُم! وعِندئذٍ فأيُّ ظَلام شَديدٍ على قُلوبِكُم تَتَخَبّطونَ فيهِ! 24واعلَموا ألاّ أحَدَ يَقدِرُ أن يَخدُمَ سَيّدَين، وإلاّ كانَ في قَلبِهِ لأحَدِهِما حُبٌّ وللآخَرِ كُرهٌ، وسيَكونُ مُخلِصًا لهذا، مُهمِلاً لذاك. واعلَموا أن حُبَّ اللهِ لا يَكونُ في قَلبٍ يَسكُنُهُ حُبُّ المالِ".

(1) يوم الكفّارة هو اليوم المعيّن في التوراة للصيام من كلّ سنة، ولكن رغم ذلك فإنّ العديد من اليهود المتديّنين كانوا يصومون يومين في الأسبوع، كما يصومون في المناسبات الخاصّة للتعبير عن ندمهم وتوبتهم وخشوعهم وطاعتهم لله. وفي صيامهم يمتنعون عن الطعام والمتع الأخرى مثل دهن رؤوسهم وأجسامهم بالزيت لإبراز جفاف بشرتهم حتّى يكون صيامهم باديًا للعيان.

الاتّكال على الله

[25] "فلا تَشغَلوا أنفُسَكُم بالخَوفِ على قُوتِ يَومِكُم، ولا على ما يَستُرُ أجسادَكُم، إنّ الحَياةَ أعظَمُ شأنًا مِن طَعامٍ تأكلونَهُ، والجَسَدَ أهمُّ مِن مُجَرَّدِ كِساءٍ تَلبِسونَهُ. [26]أفلا تَرونَ الطُّيورَ في السَّماءِ تَغدو جياعًا وتَعودُ شِباعًا وما زَرَعَت ولا حَصَدَت ولا خَزَنَت، وما ذلكَ إلاّ لأنّ اللهَ أباكُم الرَّحمنَ رازِقُها! وأنتُم عِندَ اللهِ أهمُّ مِنها وأكرمُ. [27]وأقولُ لكُم هل لأحَدِكُم، مَهما استَبَدَّ بِهِ القَلَقُ، قُدرةٌ على أن يَمُدَّ في عُمرِهِ ساعةً؟ [28]فكَيفَ تَقلَقونَ على لِباسِكُم؟ ألا فانظُروا إلى الزَّنابقِ بكِسائِها الّذي لم تَتعَب في حِياكتِهِ، [29]وتأمّلوا هذا الكِساءَ الّذي لم يَلبَسهُ أحَدٌ ولا حتّى النَّبيُّ سُليمانُ رَغمَ مَقامِهِ الجَليلِ. [30]فإن كانَ اللهُ يَكسو العُشبَ هذا الكِساءَ، ولَيسَ مَصيرُ العُشبِ الّذي يَنمو في الحَقلِ اليَومَ ويَنتَشِرُ بَهيًّا إلاّ أن يَكونَ غدًا وَقودًا، فكَيفَ بكُم؟ ألَيسَ اللهُ بقادرٍ على أن يَكسوَكُم يا ضُعفاءَ الإيمانِ؟! [31]فلا يَنشَغِلَنّ بالُ أحَدِكُم بأمرِ طَعامِهِ أو شَرابِهِ أو كِسائِهِ، [32]إنّ جَميعَ هذِهِ الأُمورِ مِن مَشاغِلِ الوَثَنيّينَ. إنّ اللهَ أباكُم الرَّحمنُ يَرعاكُم كَما يَرعَى الأبُ الحَنونُ أبناءَهُ، فهو أدرى بحاجاتِكُم. [33]فلْيَكُنْ سَعيُكُم في سَبيلِ مَملكتِهِ الّتي وَعَدَ بها ورِضوانِهِ، وسَيُعطيكُم اللهُ ما طَلَبتُم ويَجودُ عليكُم أيضًا برِزقٍ. [34]فانظُروا في أُمورِ يَومِكُم واترُكوا الغَدَ إلى مَن لهُ الأمرُ، فلِكُلِّ يومٍ ما يَكفيهِ مِن المَتاعِبِ".

٧
الفصل السّابع

لا تحكموا على أحد

[1] "لا تُحاسِبوا النّاسَ لِكَي لا يُحاسِبُكُم اللهُ، [2]فكَما تَكيلونَ للنّاسِ يُكالُ لكُم. [3]ولِماذا تَنظُرونَ إلى القَذى في عَينِ أخيكُم وتَتَعامَوْنَ عن خَشَبةٍ كَبيرةٍ في عُيونِكُم، [4]وكَيفَ تَتجرّؤونَ على القَولِ: "دَعني يا أخي أُخرِج مِن عَينِكَ القَذى" وعُيونُكم تُعميها خَطاياكُم! [5]أيُّها المُنافقونَ! تَخلَّصوا أوّلاً مِمّا في عُيونِكُم لتَرَوْا بوضوحٍ فتُساعِدوا أخاكُم على التَّخلُّصِ مِمّا في عَينِهِ. [6]وإنّي لمُحذِّرُكُم: لا تَطرَحوا ما هو مُقَدَّسٌ أمامَ مَن لا يَستَحِقُّ ذلكَ، كي لا يُدَنِّسَهُ كَما تَفعَلُ الخَنازيرُ الّتي تَدوسُ بأقدامِها الجَواهرَ الّتي تُلقى إليها، أو يَفعَلَ ما تَفعَلُهُ لِئامُ الكِلابِ إذ تَنقَلِبُ على راعيها فتُمزِّقُهُ".

اسألوا الله يعطيكم

[7] "ألِحّوا في دُعائِكُم إلى اللهِ بحاجاتِكُم فيُعطيكُم، وأطيلوا البَحثَ عن ضالّتِكُم فتَجِدوها، واطرُقوا بابَ الرَّحمنِ يَفتَحْهُ لكُم. [8]فلا بُدَّ أن يُجابَ السّائلُ، وأن يَجِدَ الباحِثُ ضالتَهُ، وأن يُفتحَ بابُ الرَّحمنِ لطارِقِهِ. [9]فهل بَينَكُم مِن أبٍ يَصُدّ عَنهُ عِيالَهُ، أو يُعطيهِم حِجارةً إن هُم سألوهُ خُبزًا، [10]أو ثُعبانًا وسُمًّا إن هُم سألوهُ سَمَكةً؟! [11]فأنتُم تَترَفّقونَ بعِيالِكُم رَغمَ أنّكُم ظالِمونَ، فكَيفَ باللهِ أبيكُم الرَّحيم بعِيالِهِ في عُلاه؟ ألَيسَ هو الأقرَبَ مِنكُم إليكُم؟! [12]وافعَلوا أنتُم أيضًا بالنّاسِ كَما تُريدونَ أن يَفعَلوا بِكُم، لأنّ هذِهِ خُلاصةُ التَّوراةِ وكُتُبِ الأنبياءِ.

السّبيل الصّعب

[13]اختاروا السَّبيلَ الضَّيّقَ الّذي يُوصِلُكُم إلى حَضرةِ اللهِ، ولا تَختاروا السَّبيلَ الواسِعَ فيوصِلُكُم إلى الهَلاكِ، فما أكثَرَ الّذينَ اختاروا الدُّخولَ مِن أوسَعِ الأبوابِ، فأدّت بِهِم بسُهولةٍ إلى الهَلاك! [14]وما أضيقَ البابَ الموصِلَ إلى الجِنانِ وما أعسَرَ سَبيلَ النَّجاةِ، وما أقلَّ الّذينَ يَهتَدونَ إلَيهِ.(1)

حذار من مدّعيي النّبوّة

[15]كونوا على حَذَرٍ مِن مُدّعيي النّبوّة الّذينَ يأتونَ إليكُم مُتَسَربِلينَ بثِيابِ حَمَلٍ وَديعٍ، وهُم في الحَقيقةِ ذِئابٌ مُفتَرِسة! [16]وعَمَلُ أيديهِم يَكشِفُهُم، فهل يَطرَحُ الشَّوكُ عِنَبًا أو العُلّيقُ تِينًا؟ [17]إنّ الشَّجَرَ الطَّيّبَ يَطرَحُ ثَمَرًا طيّبًا، والخَبيثُ مِنهُ يَطرَحُ خَبيثًا. [18]فلا تَطرَحُ شَجَرةٌ طَيّبةٌ ثَمَرًا خَبيثًا ولا تَطرَحُ شَجَرةٌ خَبيثةٌ ثَمَرًا طَيّبًا. [19]لذا فمَصيرُ كُلِّ شَجَرةٍ لا تؤتي ثَمَرًا جيّدًا أن تُقطَعَ وتَكونَ وقودًا للنّار. [20]وكذلِكَ البَشَرُ، فمِن أعمالِهِم تَعرِفونَهُم.

[21]وأقولُ: لَيسَ كُلُّ مَن يُظهِرُ لي التَّبجيلَ بالقولِ: "يا سَيِّدَنا، يا سَيِّدَنا" يَنضَمُّ إلى أهلِ المَملكةِ الرَّبّانيّةِ، إنّما مَن يَعمَلُ على طاعةِ اللهِ أبي الصَّمَدِ في عُلاه يَحظى بِرضاهُ. [22]وكَثيرونَ سيَدَّعونَ يومَ الدِّينِ أنّهم مِن أتباعي صائحينَ: "سَيِّدَنا! يا سَيِّدَنا! ألَيسَ

(1) كانت تعاليم السيد المسيح مفاجئة لليهود لأنّ الشعب اليهودي كان يعتقد أنّ بني إسرائيل سينجون جميعًا، وأنّ القلّة الهالكة ستكون مستثناة من القاعدة العامة.

بسُلطانٍ مِنكَ تَنبّأنا وبسُلطانٍ مِنكَ حَرّرنا النّاسَ مِن الشَّياطينِ، وبسُلطانٍ مِنكَ جَرَت على أيدينا مُعجِزاتٌ كَثيرةٌ؟!" [23]يومَئذٍ سأقولُ أمامَ المَلأ: أنتُم لم تكونوا أبدًا أتباعي، فابتَعِدوا عنّي يا عُصاةَ وَصايا اللهِ!"

اجعلوا تعاليمي أساسًا لحياتكم

[24]وتابَعَ ﷺ قائلاً: "لِذا، فكُلُّ مَن يَعمَلْ بتَعاليمي هذِهِ هو الحَكيمُ الّذي يُقيمُ حَياتَهُ على أُسُسٍ مَتينةٍ، وسيَكونُ عِندئذٍ كمَن بَنى بَيتَهُ على صَخرٍ، [25]ولن يَكونَ هذا البيتُ عُرضةً للانهيارِ ولو عَدَتْ عليهِ الرِّياحُ العاتيةُ والأمطارُ الغَزيرةُ. [26-27]أمّا مَن جَعَلَ أساسَ بَيتِهِ فوقَ الرَّملِ، فسيَنهارُ بِهِ عِندَ هُبوبِ الرِّياحِ وتَهاطُلِ الأمطارِ فتُدَمِّرُهُ السُّيولُ وتَجرِفُهُ. وهو مَصيرُ الإنسانِ الجاهِلِ الّذي يَسمَعُ تَعاليمي ولا يَعمَلُ بها".

[28]ولمّا انتَهى سَيِّدُنا عيسى ﷺ مِن إلقاءِ تَعاليمِهِ، تَعَجَّبَ الحاضِرونَ مِمّا سَمِعوا، [29]إذ كانَ يُلقي عليهِم الوَصايا مؤيَّدًا بسُلطانٍ مِن اللهِ، ويُقَدِّمُ لهُم الحُجَجَ والشَّواهِدَ دونَ الاستِنادِ إلى أيّ مَرجِعٍ بَشَريٍّ، خِلافَ ما دَرَجَ عليهِ فُقهاؤُهُم وعُلماؤُهُم.

٨
الفصل الثّامن

عيسى ﷺ وشفاؤه للأبرص

[1]وبَعدَ نُزولِهِ ﷺ مِن الجَبلِ، سارَت وَراءَهُ حُشودٌ غَفيرةٌ، [2]فأقبَلَ عليهِ رَجُلٌ مُصابٌ بِداءِ البَرَصِ وانحَنى أمامَهُ قائلاً: "سَيِّدي، أرجو مِنكَ أن تَشفِيَني، لأنّكَ قَديرٌ أن تُطَهِّرَني مِن رِجسِ مَرَضي، إن أرَدتَ ذلكَ". [3]فاستَجابَ ﷺ للرّجُلِ ولَمَسَهُ بيدِهِ قائلاً: "هذِهِ رَغبَتي، فابرأ". وفي الحالِ بَرِئَ الرَّجُلُ مِن بَرَصِهِ. [4]ثُمّ أردَفَ ﷺ يُخاطِبُ الرّجُلَ قائلا: "إيّاكَ أن تُخبِرَ أحَدًا بهذا الآنَ، ولكن تَوَجَّهْ إلى أحَدِ الأحبارِ، وأرِهِ نَفسَكَ، ثُمّ قُم بتَقديمِ ذَبيحةٍ لِقاءَ شِفائِكَ كما جاءَ في التَّوراةِ، وسيَشهَدُ قُربانُكَ على أنّكَ شُفيتَ".

عيسى ﷺ وإبراؤه لعبد الضّابط

[5]وعِندَ دُخولِهِ ﷺ بَلدةَ كَفرَناحومَ، تَقدَّمَ إليهِ ضابِطٌ في جَيشِ الاحتِلالِ الرّومانيّ

وقالَ مُتَوَسِّلاً: [6]"سَيِّدي، إنّ لي عَبدًا مُقعَدًا طَريحَ الفِراشِ، يُعاني آلامًا شَديدةً".
[7]فأجابَهُ سلامُهُ علينا قائلاً: "هل أذهَبُ إليهِ لأشفيَهُ؟" [8]فقالَ لهُ الضّابطُ: "لا يا سَيِّدي، فأنا لا أستَحِقُّ أن أنالَ شَرفَ دُخولِكَ بَيتي،[(1)] ويَكفي أن تَتفوَّهَ بكَلمةٍ فيُشفى عَبدي. [9]إنّني أعلَمُ أنّكَ تَستطيعُ أن تَفعَلَ ذلكَ. فأنا يا سَيّدي مَرؤوسٌ ورَئيسٌ في آنٍ واحِدٍ، فإذا أمَرَني رؤسائي نَفَّذتُ أمرَهُم، وإذا أمَرتُ جُنودي أطاعوني دونَ تَرَدُّدٍ، ولم أحتَجْ أبدًا إلى السَّهرِ على تَنفيذِهِم أوامِري". [10]وعِندَما سَمِعَ سَيّدُنا عيسى سلامُهُ علينا كَلامَ الضّابطِ تَعَجَّبَ وقالَ للحاضِرينَ: "لم أجِد في بَني يَعقوبَ مَن يؤمِنُ بي كهذا الرَّجُلِ! [11]وإنّني لأُؤكِّدُ لكُم أنّ كَثيرًا مِثلَهُ مِن غَيرِ اليَهودِ سيأتونَ مِن جَميعِ أنحاءِ العالَمِ، ويَلتَفّونَ حَولَ مائدةِ مَملَكةِ اللهِ الأبَديّةِ مُتّكئينَ على الأرائكِ مَعَ إبراهيمَ وإسحَقَ ويَعقوبَ. [12]أمّا بالنِّسبةِ إلى بَني إسرائيلَ الّذينَ كانَ اللهُ قد مَنَّ عليهِم أن يَكونوا مِن أوائلِ أهلِ مَملكتِهِ المَوعودةِ، فقد حُرِمَ أكثَرُهُم ذلكَ الشَّرَفَ، وسيُطرَدونَ خارجًا إلى الظُّلُماتِ حَيثُ يَبكونَ ويَصِرّونَ بأسنانِهِم حَسرةً وغَيظًا".[(2)] [13]ثُمّ التَفتَ سلامُهُ علينا إلى الضّابطِ قائلاً: "لأنّكَ آمَنتَ بي، امضِ وليَكُنْ لكَ ما سألتَ". وفي تِلكَ اللَّحظةِ شُفيَ مَريضُهُ.

عيسى سلامُهُ علينا وابراؤه للعديد من النّاس

[14]ثُمّ قَصَدَ سلامُهُ علينا دارَ بُطرُسَ فوَجَدَ حَماتَهُ راقِدةً في الفِراشِ مَحمومةً، [15]فتَقَدَّمَ ولَمَسَ يَدَها، فزالَتِ الحُمّى عَنها ونَهَضتْ تَخدُمُهُ. [16]وعِندَ حُلولِ المَساءِ جاءَهُ سلامُهُ علينا أُناسٌ يَصحَبونَ الكَثيرينَ ممَّن بِهِم مَسٌّ، فحَرَّرَهم بكَلمةٍ مِنهُ مِنَ الشّياطينِ وسَطوةِ الجانِ، وشَفى مَرضاهُم أيضًا. [17]وبذلِكَ تَحقَقَّ قَولُ النَّبيِّ أشعيا عليه السلام: "لقد حَمَلَ أمراضَنا وتَحَمَّلَ أسقامَنا".

الولاء لعيسى سلامُهُ علينا

[18]وعِندَما رأى سلامُهُ علينا تَزايُدَ الحُشودِ حَولَهُ، أمَرَ أتباعَهُ بالانتِقالِ إلى الشّاطئِ المُقابلِ

---

(1) لقد عرف الضابط أنّ الدخول في بيت أجنبي عمل نجس بالنسبة لليهود.

(2) تحدّث النبي أشعيا عليه السلام عن وليمة الله العظيمة في الجنة التي تضمّ جميع البشر (انظر كتاب النبي أشعيا 25: 6). لكن رغم ذلك، فإنّ اليهود في زمن السيد المسيح كانوا يعتقدون أنّ تلك الوليمة هي من أجل اليهود فقط، بعد إحرازهم الانتصار على أعدائهم. وقد اعتبروا أنّ شرف الجلوس إلى جانب الأنبياء إبراهيم وإسحق ويعقوب هو امتياز لهم دون الشعوب الأخرى من غير اليهود، الذين لم يأكلوا معهم.

لبُحيرةِ طَبَريّا. [19]وقَبلَ مُغادَرتِهِم، أتاهُ أحَدُ الفُقَهاءِ قائلا: "أيُّها المُعلِّمُ، سأتبَعُكَ حَيثُ اتّجَهتَ". [20]فأجابَهُ ﷺ: "للثَّعالِبِ أوجارُها وللطُّيورِ أعشاشُها، أمّا سَيِّدُ البَشَرِ فلَيسَ لديهِ مَكانٌ يُسنِدُ عليهِ رأسَهُ". [21]وانبَرى آخَرُ مِن أتباعِهِ فقالَ: "يا سَيِّدي، إنّي على استِعدادٍ لاتّباعِكَ، على أن أنتَهيَ مِن مَراسِمِ دَفنِ والِدي". (1) [22]فأجابَهُ ﷺ قائلاً: "عليكَ أن تَتبَعَني الآن! ودَعِ المَوتى يَدفِنونَ مَوتاهم". (2)

عيسى ﷺ يُهدّئ العاصفة

[23]ثُمّ صَعِدَ ﷺ إلى القارِبِ مَعَ حَوارِيّيهِ [24]وأثناءَ اجتِيازِهِم بُحيرةَ طَبَريّا، هَبَّت فَجأةً عاصِفةٌ قويّة فغَمَرَت الأمواجُ القارِبَ. وفي الأثناءِ كانَ عيسى ﷺ نائِمًا، [25]فهُرِعوا إليهِ يُوقِظونَهُ صارِخينَ: "يا سَيِّدَنا، أنقِذنا فنَحنُ على وَشَكِ الغَرقِ!" [26]فأجابَهُم قائلاً: "يا ضَعيفي الإيمان، لِمَ استَولى عليكُم الخَوفُ؟!" ثُمّ نَهَضَ ونَهَرَ الرِّياحَ والأمواجَ فحَلَّ الهُدوءُ التّامُ، [27]فاندَهَشَ أتباعُهُ مُتَعَجّبينَ: "أيُّ رَجُلٍ هذا!؟ يأمرُ الرِّياحَ فتَطيعُهُ، والأمواجَ فتَنصاعُ إليهِ!"

عيسى ﷺ يخلّص رجلين من شياطين تلبّستهما

[28]ولمّا بَلَغَ ﷺ الضِّفّةَ الأُخرى مِن البُحَيرةِ حَيثُ بِلادُ الجَدريّينَ، (3) أقبَلَ عليهِ رَجُلانِ بِهِما مَسٌّ مِن الجِنّ، وقد غادَرا لتَوِّهِما المَقابِرَ حَيثُ كانا يُقيمانِ. وكانا شَرسَيْنِ إلى دَرجةٍ لم يَقدِر فيها أحَدٌ على السَّيرِ في الطَّريقِ الّتي يوجدانِ فيها. [29]وحينَ لَمَحا عيسى ﷺ أخَذا يَصرُخانِ في وَجهِهِ قائلَينَ: "ما شأنُكَ بنا أيُّها الابنُ الرُّوحيُّ للهِ؟ لا يَحِقُّ لكَ تَعذيبنا قَبلَ الأوانِ الّذي حَدَّدَهُ اللهُ!" [30-31]ثُمّ تابَعا مُتوَسِّلَينَ: "إنْ كُنتَ تَنوي إخراجَنا، فأرسِلنا إلى ذلِكَ القَطيعِ مِن الخَنازيرِ لنَحُلَّ فيهِ". وقد كانَ هُناكَ قَطيعٌ كَبيرٌ مِن الخَنازيرِ يَرعى على مَسافةٍ مِن ذلِكَ المَكانِ.

---

(1) كانت مراسم الدفن لدى اليهود في ذلك الوقت تمتدّ على مدى سنة كاملة، يوضع الميت خلالها بعد وفاته مباشرة في قبر حجري، وبعد انقضاء السنة، تُجمّع عظامه لتدفن نهائيا. لذا فمن المرجّح أنّ هذا الشاب الْتَمَس من سيدنا عيسى أن يبقى إلى حين انتهاء تلك المدّة قبل أن يلحق به. وقد أراد سيدنا عيسى أن يبيّن لهذا الشاب أن اتّباعه أهمّ حتّى من هذا الواجب العائلي.

(2) قصد السيد المسيح ﷺ بالموتى أولئك الذين لا يتّبعونه في رسالته فاعتبرهم "موتى" روحيّا.

(3) تُعرف منطقة الجدريّين أيضًا ببلاد الجراسيين، وهي منطقة مدينة أمّ قيس في شمال الأردن. وكان يقطنها وثنيون في زمن السيد المسيح، وما اشتغال أهلها بتربية الخنازير إلا دليل على ذلك.

[32]فأمَرَ ﷺ الجِنَّ بالخُروجِ مِن الرَّجُلَين والدُّخولِ في أجسادِ الخَنازيرِ الّتي ما لَبِثَت أن تَدافَعَتْ بعُنفٍ مِن المُنحدِرِ وسَقَطَت في البُحَيرةِ فغَرِقَت وماتَت. [33]فما كانَ مِن الرُّعاةِ في تِلكَ المِنطقةِ، وقد رأوا ما رأوا، إلاّ أن فَرُّوا هاربينَ صَوبَ البَلدةِ، وأخبَروا الجَميعَ بما شاهَدوا وما حَدَثَ للرَّجُلينِ، [34]فأقبَلَ أهلُ البَلدةِ على سَيِّدِنا عيسى ﷺ وطَلَبوا مِنهُ أن يَرحَلَ عن ديارِهِم ويَترُكَهُم وشأنَهُم.(1)

٩

الفصل التّاسع

عيسى ﷺ يشفي مُقعدًا

[1]ثُمّ صَعِدَ سَيِّدُنا عيسى ﷺ القارِبَ ليَمضيَ عَبرَ البُحَيرةِ إلى بَلدةِ كَفْرَناحومَ الّتي كانَ يُقيمُ فيها. [2]وهُناكَ قَدِمَ إليهِ أُناسٌ يَحمِلونَ مُقعَدًا على فِراشِهِ. وعِندَما رآهُم ﷺ أحَسَّ بعُمقِ إيمانِهِم بِهِ، فاتّجَهَ إلى المُقعَدِ قائلاً: "أبشِر يا بُنيّ! مَغفورةٌ لكَ ذُنوبُكَ وخَطاياكَ". [3]غَيرَ أنّ بَعضَ فُقَهاءِ بَني يَعقوبَ أسَرّوا في أنفُسِهِم قائلينَ: "هُوَذا يَنطِقُ كُفرًا". [4]وعَلِمَ سَيِّدُنا عيسى ﷺ سَرائرَهُم، فالتَفَتَ إليهِم قائلاً: "لِمَ تَظُنّونَ بي السُّوءَ في نُفوسِكُم؟ [5]أنتُم تَظُنّونَ أنّهُ مِن المُستَحيلِ عليَّ مَغفِرةُ الذُّنوبِ، كَما تَظُنّونَ أنّ شِفاءَ المُقعَدِ مُستَحيلٌ. [6]لكنّي سأريكُم الآنَ أنّ اللهَ قد مَنَحَ سَيِّدَ البَشَرِ سُلطانًا على الأرضِ لمَغفِرةِ الذُّنوبِ". ثُمّ تَوَجَّهَ إلى المُقعدِ قائلاً: "انهَضْ وامضِ إلى دارِكَ حامِلاً فِراشَكَ". [7]فنَهَضَ المُقعَدُ وتَوَجَّهَ إلى دارِهِ ماشيًا على قَدَميهِ. [8]وعِندَما شاهَدَ النّاسُ هذا المَشهَدَ، رانَ الخُشوعُ عليهِم فتَوَجَّهوا إلى اللهِ يُسَبّحونَهُ لأنّهُ مَنَحَ هذِهِ المَقدِرةَ لواحِدٍ مِن البَشَرِ.

عيسى ﷺ يدعو متّى

[9]وبَعدَ انصِرافِهِ ﷺ مِن ذلِكَ المَكانِ، صادَفَ في طَريقِهِ رَجُلاً اسمُهُ مَتّى، كانَ جالِسًا إلى مَكتبِ الجَمارِكِ.(2) فقالَ لهُ ﷺ: "تَعالَ وكُنْ مِن أتباعي". فقامَ الرَّجُلُ

---

(1) ربّما سأل وثنيو تلك المنطقة السيد المسيح أن يتركهم وشأنهم لأنّهم اعتقدوا أنّه قادر على طرد الجان من الرجل بواسطة السحر. وأصبحوا يخافونه بعد أن رأوا الأذى الذي سببه للخنازير.

(2) كان متّى يُسمّى أيضًا باسم لاوي، وغالبًا ما كان الشخص اليهودي يحمل اسمين في ذلك الحين.

وسارَ مَعَهُ. 10ثُمّ دَعا مَتّى عيسى عَلَيْنَا سَلَامُهُ وأتباعَهُ إلى دارِهِ لتناولِ طَعامِ العَشاء، ومَعَهُم عَدَدٌ كَبيرٌ مِن الجُباةِ مِمّن يَتعامَلونَ مَعَ الرّومانِ وآخَرونَ مِن غَيرِ المُلتَزمينَ بالشَّعائرِ الدّينيّةِ. 11وعِندَما رأى بَعضُ المُتَشَدّدينَ ذلِكَ غَضِبوا وأخَذوا يَقولونَ لأتباعِهِ عَلَيْنَا سَلَامُهُ: "لِمَ يُشارِكُ مُعَلِّمُكُم هؤلاءِ الجُباةَ الخَونَةَ وهؤلاءِ الضّالّينَ الطَّعامَ؟!"(1)
12-13وسَمِعَ عَلَيْنَا سَلَامُهُ كَلامَهُم فقالَ في هُدوء: "لا يَحتاجُ الأصحّاءُ إلى طَبيبٍ، بل المَرضى. وهلْ أنا إلاّ طَبيبٌ، وما بُعِثتُ لهِدايةِ مَن ظَنَّ في نَفسِهِ صَلاحًا، بل للأخذِ بأيدي الضّالّينَ. وإن رَغِبتُم في فَهمِ ما قُمتُ بِهِ، فعليكُم أن تُدرِكوا ما قالَهُ تَعالى على لِسانِ النَّبيِّ هوشع: "إنّ التَّراحُمَ بَينَ النّاسِ أفضَلُ عِندي مِن تَقديمِ الأضاحي وأداءِ الفَرائضِ".

عيسى عَلَيْنَا سَلَامُهُ يبيّن معنى الصّيام

14وأقبَلَ على سَيِّدِنا عيسى عَلَيْنَا سَلَامُهُ جَماعةٌ مِن أتباع يَحيى بن زَكَريّا عليه السلام سائلين: "لِمَ لا يَصومُ أتباعُكَ النَّوافِلَ بَينَما نَصومُها نَحنُ والمُتَشَدِّدونَ؟!"(2) 15فأجابَهُم عَلَيْنَا سَلَامُهُ بقَولِهِ: "لا يَليقُ بضُيوفِ العُرسِ الامتِناعُ عن المُشارَكةِ في الأكلِ والشُّربِ بوجودِ العَريسِ. وأقولُ، ما دُمتُ حاضِرًا مَعَ أتباعي فلَهُم أن يأكُلوا ويَشرَبوا ما شاؤوا. ولكن سيأتي يَومٌ لا بُدَّ لي أن أرحَلَ فيهِ عَنهُم، حِينئذٍ يَصومونَ. 16أنتُم تُريدونَ لأتباعي أن يَتمَسَّكوا بعاداتِكُم القَديمةِ، فمَثَلُكُم كمَثَلِ مَن يُرَقِّعُ ثَوبًا قديمًا بقُماشٍ جَديدٍ. ولا أحَدَ يَفعَلُ ذلِكَ، لأنّ الرُّقعةَ الجَديدةَ تَنكَمِشُ بَعدَ الغَسيلِ، فتُمَزِّقُ الثَّوبَ العَتيقَ، ويَزدادُ ظُهورُ العَيبِ. 17إنّكُم كمَثَلِ مَن يَملأ قِربَتَهُ القَديمةَ ذاتَ الجِلدِ الجافِّ بعَصيرِ العِنبِ الطازَجِ، فبَعدَ قليلٍ يَتخَمّرُ العَصيرُ فتَنتَفِخُ القِربةُ فتَحدُثَ فيها شُروخٌ تَتمَزّقُ ويَسيلُ العَصيرُ أرضًا. إنّ كُلَّ جَديدٍ مِن العَصير يَحتاجُ إلى الجَديدِ مِن القِرَب فيُحفَظَ داخلَها دائمًا دونَ خَوفٍ مِن تَمزُّقِها".

---

(1) ظنّ المتشدّدون وآخرون من اليهود المتديّنين أنّ الأكل مع أناس لا يتبعون تقاليدهم أو مع الغرباء خطأ كبير. لذلك أصيبوا بصدمة عندما رأوا سيدنا عيسى يخرق تعاليمهم التي كانوا يشعرون أنها مطابقة للتوراة.

(2) أضاف اليهود المتديّنون مثل طائفة المتشدّدين كثيرًا من الصلوات النوافل وأيّام الصيام إلى تلك الفرائض في التوراة.

عيسى عليه السلام وشفاؤه للمريضة وإحياؤه للميتة

18وبينما كانَ عليه السلام يَتحَدَّثُ إلي أتباع النَّبيِّ يَحيى، أتاهُ أحَدُ المَسؤولينَ في بَيتِ
العِبادةِ، وانحَنى أمامَهُ قائلاً: "مَولاي، لَقد فارَقَت ابنتي الحَياةَ تَوًّا، وإنّي لَعلى يَقينٍ
أنّكَ إن وَضَعتَ يَدَكَ عليها أحيَيتَها". 19فاستَجابَ سَيِّدُنا عيسى عليه السلام لطَلَبِ الرَّجُلِ،
وسارَ ومَعَهُ أتباعُهُ باتّجاهِ بيتِهِ. 20وقَبلَ وُصولِهِ، اقتَرَبَت مِنهُ امرأةٌ مُصابةٌ بنَزيفٍ مُنذُ اثنَتَي
عَشرَة سَنةً، ولَمَسَت طَرَفَ ثَوبِهِ مِن الخَلفِ،(1) 21وهي على يَقينٍ بشِفائِها إن فَعَلَتْ
ذلِكَ. 22فالتَفَتَ إليها عليه السلام قائلاً: "بُشراكِ يا بُنيّتي، إيمانُكِ بي شَفاكِ". وهكذا شُفيَت
المَرأةُ على الفَورِ. 23وواصَلَ عليه السلام طَريقَهُ إلى دارِ ذلِكَ المَسؤولِ. وعِندَ وصولِهِ سَمِعَ
ضَجّةً وصَوتَ نُواحٍ جَنائزيٍّ.(2) 24فقالَ للحاضِرينَ: "ابتَعِدوا فإنّ الصَّبيّةَ لم تَمُت، بل
هي نائمةٌ". فسَخِروا مِن كَلامِهِ. 25وبَعدَما أخرَجوهُم، دَخَلَ عيسى عليه السلام وأمسَكَ بيَدِ
الفَتاةِ فقامَت وقد عادَت إليها الحَياةُ على الفَورِ.(3) 26وهكذا انتَشَرَ أمرُ هذِهِ الفَتاةِ في
جَميعِ أنحاءِ تِلكَ المِنطقةِ.

عيسى عليه السلام وشفاؤه لكفيفين

27ثُمّ مَضى عليه السلام في طَريقِهِ، فتَبِعَهُ كَفيفانِ ونادَياهُ: "ارحَمنا يا وَريثَ عَرشِ النّبيِّ
داودَ!"(4) 28ودَخَلَ دارًا فتَبِعَاهُ، فالتَفَتَ إليهِما قائلاً: "هل تؤمنانِ بقُدرتي على إعادةِ
البَصَرِ لكُما؟" فقالا لهُ: "نعم يا سَيِّدَنا". 29فلَمَسَ أعينَهُما قائلاً: "لكُما ما تُريدانِ
حَسَبَ إيمانِكُما". 30فأبصَرا في الحينِ. إلاّ أنّهُ عليه السلام حَذَّرَهُما بشِدّةٍ قائلاً: "إيّاكُما أن
تُخبِرا أحَدًا بما حَصَلَ لكُما". 31ولكنّهُما خالفا أمرَهُ وأخَذا يَنشُرانِ أخبارَهُ في جَميعِ
أنحاءِ المِنطقةِ.

---

(1) إنّ النزيف الذي أصيبت به هذه المرأة جعلها غير طاهرة تبعًا لِما جاء في التوراة، لذا فهي غير قادرة على المشاركة في النشاطات الاجتماعية والدينية وكلّ شخص تمسّه يصبح غير طاهر لمدّة يوم كامل.

(2) غالبًا ما تستأجر عائلة الشخص المتوفّى نائحين ليعزفوا موسيقى جنائزية مرفوقة بعويل في المأتم.

(3) جاء في التوراة أنّ أسوأ أنواع النجاسة هو لمس الجثّة، لذا فإنّ سيدنا عيسى أعاد الحياة للفتاة، محوّلاً النجاسة إلى طهر.

(4) "وريث عرش النبي داود" (حرفيًا ابن داود): كان أحد الألقاب التي تشير إلى المسيح المنتظر.

عيسى ﷺ يشفي أبكم

[32]وبعدَ خُروجِ الرَّجُلَيْنِ، قَدِمَ إلى سَيِّدِنا عيسى ﷺ جَماعةٌ يَحمِلونَ رَجُلاً بِهِ مَسٌّ شَيطانيٌّ جَعَلَهُ أخرَسَ. [33]فطَرَدَ عيسى ﷺ الشَّيطانَ، فنَطَقَ الرَّجُلُ وأصبَحَ يَتَكَلَّمُ. فتَعَجَّبَتِ الجُموعُ وقالوا: "ما حَدَثَ مِثلُ هذا قَطُّ في بَني يَعقوبَ!"(1) 34بينَما قالَ المُتَشَدِّدونَ: "إنّهُ يَطرُدُ الشَّياطينَ بواسِطةِ الشَّيطانِ الأكبَرِ".

عطف عيسى ﷺ على النّاس

[35]وأخَذَ سَيِّدُنا عيسى ﷺ يَطوفُ في جَميعِ المُدُنِ والقُرى، مُعَلِّمًا النّاسَ في بُيوتِ العِبادةِ، مُبَشِّرًا بقيامِ مَملَكةِ اللهِ الأبَديّةِ على الأرضِ، شافيًا النّاسَ مِن كُلِّ مَرَضٍ وداءٍ. [36]ورأى الحُشودَ تُقبِلُ عليهِ فأشفَقَ عليهِم لأنّهُ ألفاهُم غارِقينَ في حَيرةٍ ويأسٍ وما مَن أحَدٍ يَمُدُّ إليهِم يَدَ المُساعَدةِ، وكأنّهُم غَنَمٌ بلا راعٍ. [37]فحَدَّثَ أتباعَهُ قائلاً: "ما أكثَرَ الضّالّينَ مِنَ النّاسِ، إنّهُم مِثلُ الحَصادِ الوافِرِ! ومَن يُبَلِّغونَ دَعوتي يَكونونَ كالحَصّادينَ القَلائلِ أمامَ هذِهِ الوَفرةِ. [38]فاسألوا رَبَّكُم أن يُرسِلَ دُعاةً لِرِسالتي، كَما يُرسِلُ صاحِبُ الحَصادِ حَصّادينَ كَثيرينَ إلى حُقولِهِ".

١٠

الفصل العاشر

عيسى ﷺ والحواريّون

[1]واستَدعى ﷺ تَلاميذَهُ الاثنى عَشَر،(2) ومَنَحَهُم سُلطانًا لِطَردِ الجانِ والشَّياطينِ، وإبراءِ النّاسِ مِن كُلِّ مَرَضٍ وداءٍ. [2]وأسماءُ هؤلاءِ الحَوارِيّينَ الاثني عَشَر هي: سَمعانُ الّذي يُدعى بُطرُس (أي الصخر)، وأندَراوس أخوهُ، والشَّقيقانِ يَعقوبُ بن زَبدي ويوحَنّا، [3]وفيليبُ، وابنُ تَلماي، وتوما، ومَتّى جابي الضَّرائبِ، ويَعقوبُ بن حَلفي، وتَدّاوسُ، [4]وسَمعانُ المَوصوفُ بالوَطَنيّ المُتَحَمِّسِ، وأخيرًا يَهوذا الإسخَريوطيُّ الّذي خانَ عيسى ﷺ في النِّهايةِ.

---

(1) كان من عادة اليهود عند طرد الشياطين التأكيد على معرفة اسم ذاك الشيطان حتّى يتمّ طرده. وبما أنّ هذا الذي تلبّسه الشيطان كان أبكَم، فقد كان من شبه المستحيل بالنسبة إليهم طرد شيطانه.

(2) قام السّيّد المسيح ﷺ باختيار اثني عشر تابعًا، وهو الرقم الذي يمثّل عشائر بني يعقوب الاثني عشر، ليبيّن أنّ جماعته هم من ظلّوا مخلصين لله، بينما كان بقيّة الشعب في ضلال.

إرسال الحواريين للدّعوة

[5]وبَعدَ استِدعائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ الحَواريّينَ أرسَلَهُم لنَشرِ الدَّعوةِ مُوصيًا إيّاهُم بقَولِهِ: "لا تَتَوَجَّهوا بدَعوتِكُم في هذِهِ المَرحَلةِ إلى غَيرِ اليَهود، ولا تَدخُلوا بَلداتِ السّامرة.(1) [6]عليكُم الآن بخِرافِ بَني يَعقوبَ الضّالّةِ [7]فاهدُوهُم، وبَشِّروهُم، وقولوا لهُم: "ها قد آنَ أوانُ ظُهورِ المَملَكةِ الرَّبّانيّةِ المَوعودةِ". [8]اشفُوا المَرضَى، وأحيُوا المَوتى، وأبرئوا البُرصَ، واطرُدوا الشَّياطينَ. وبما أنّكُم أخَذتُم نِعَمَ اللهِ دونَ مُقابلٍ، فأعطوها أيضًا دونَ مُقابِلٍ. [9]لا تَحمِلوا نُقودًا ولا ذَهَبًا، ولا فِضّةً ولا نُحاسًا، [10]ولا تأخُذوا زادًا لطَريقِكُم، ولا تَحمِلوا ثَوبًا ولا حِذَاءً إضافيًا، ولا حتّى عَصًا، فالعامِلُ يَستَحِقّ أجرَهُ. [11]وعِندَما تَدخُلونَ أيَّ بَلدة، فاسألوا عَمّن يَستَحِقُّ استِضافتَكم، وأقيموا في دارِهِ إلى حينِ مُغادَرتِكُم تِلكَ البَلدةَ. [12]وعِندَما تَدخُلونَ دارًا فقولوا: "السّلامُ على أهلِ هذِهِ الدّار". [13]فإن كانَ أهلُها مِمَّن يَستَحِقّونَ سَلامَكُم فسيَحُلُّ سَلامُ اللهِ عليهِم وإلاّ رَجَعَ السّلامُ إليكُم. [14]وإن رَفَضَ أحَدٌ دَعوتَكُم ولم يُصغِ إليكُم فاخرُجوا نافِضينَ الغُبارَ عن أرجُلِكُم مُنذِريه بغَضَبٍ مِن اللهِ.(2) 15الحقَّ أقولُ لكُم، سيَكونُ قَومُ لوطٍ، أهلُ مَدينتَيْ سَدوم وعَمورة، أحسَنَ حالاً في يومِ الدِّينِ مِن أهلِ تِلكَ البَلدةِ".(3)

اضطهاد آتٍ

[16]ثُمّ خاطَبَهُم قائلاً: "إنّكُم وأنتُم تَنشُرونَ دَعوتي بَينَ النّاس، ستَكونونَ كالخِرافِ بَينَ الذِّئاب. فكونوا مُتَنَبِّهينَ كالأفاعي، مُسالِمينَ كالحَمام. [17]واحذَروا بَعضَ النّاسِ الذّينَ سيُقَدِّمونَكُم إلى المَحاكِمِ في بُيوتِ العِبادةِ ويَجلِدونَكُم، [18]ويَجعَلونَكُم تَمثُلونَ

---

(1) كان السامريون سلالة مؤلّفة من مزيج من أعراق مختلفة تنحدر من اليهود الذين تزاوجوا مع الأغراب الذين قدموا إلى فلسطين بعد سبي أغلبية اليهود من مملكة بني يعقوب الشمالية (المعروفة بالسامرة أو أفرايم). وفي زمن السيد المسيح كان هناك عدوان شديد بين اليهود وأهل السامرة.

(2) درج اليهود على نفض الغبار عند خروجهم من إحدى البلدات التي تعتنق الوثنية وذلك للتخلّص حسب زعمهم من نجاسة الوثنيين وعدم حملها إلى بلادهم. ولقد طلب السيد المسيح نفض الغبار عند الخروج من القرية اليهودية التي رفضهم أهلها، وهذا يعني أنه شبّه أهل تلك القرية بالوثنيين الذين لا يستحقّون أن يكونوا في المملكة الربانية.

(3) كان الشائع لدى أهل فلسطين في ذلك الوقت أنّ على الشخص إبداء الترحيب وحسن الضيافة، وكان ذلك من أرقى المزايا. من هنا فإنّ الإثم العظيم الذي ارتكبه قوم لوط في مدينة سدوم حسب النبيين أشعيا وحزقيال هو عدم حسن الضيافة وعدم اهتمامهم بالفقراء.

أمامَ الحُكّامِ والمُلوكِ بسَبَبِ اتّباعي. عِندئذٍ تكونُ فُرصتُكُم لإعلانِ شَهادتِكُم أمامَ اليَهودِ وغَيرِ اليَهودِ.[1] 19-20ولا يُصيبنَّكُم عِندئذٍ قَلَقٌ في كَيفيّةِ الدِّفاعِ عن أنفُسِكُم، لأنّ اللهَ أباكُم الرَّحمنَ سيَمُدُّكم بقوّةِ الحُجّةِ في الوَقتِ المُناسِبِ مِن خِلالِ الكَلامِ الّذي سيَبُثُّهُ فيكُم برُوحِهِ.[2] 21وعِندئذٍ سيَخونُ الأخُ أخاهُ والأبُ ابنَهُ ويُسَلِّمُهُ للموتِ، ويَعصي الأولادُ والديهِم ويَسوقونَهُم حتّى المَوتِ. 22وبسَبَبِ إخلاصِكُم لي سيَكرَهُكُم جَميعُ النّاسِ، إلاّ أنّ مَن يَصمُدُ مِنكُم إلى النِّهايةِ يَنجو. 23وإذا كُنتُم في بَلدةٍ وقامَ أهلُها باضطِهادِكُم ففِرّوا إلى غَيرِها. والحَقَّ أقولُ لَكُم، قَبلَ أن تَشمَلَ دَعوتُكم مَناطِقَ بَني يَعقوبَ بأجمَعِها يأتي سَيِّدُ البَشَرِ مَلِكًا.

المُعلّم قدوةٌ لتابعِهِ

24واذكُروا أنّهُ ما مِن تِلميذٍ أفضَلُ مِن مُعَلِّمِهِ، ولا عَبدٍ أرفَعُ مِن سَيّدِهِ، 25وحَسبُ التِّلميذِ أن يَصيرَ كمُعَلِّمِهِ والعَبدِ كسَيِّدِهِ. وإن كانوا أهانوني ولقَّبوني بالشّيطانِ الأكبَرِ وأنا كَبيرُ أهلِ البَيتِ، فسيَفتَرونَ عليكُم أنتُم يا جَماعتي بأسوَأَ مِن ذلِكَ ولا رَيبَ. 26فلا تَخافوهُم! وأقولُ لكُم ما مِن مَستورٍ إلاّ وسيَكشِفُهُ اللهُ، وما مِن سِرٍّ إلاّ ويُذيعُهُ. 27وما أُبَلِّغُكُم بِهِ في العَتمةِ، بَلِّغوهُ في وَضَحِ النَّهارِ، وما أهمِسُ بِهِ في آذانِكُم، أذيعوهُ أنتُم على السُّطوحِ!

الاعتراف بالمسيح أو إنكاره

28ولا تَخافوا مَن يَقتُلُ الجَسَدَ ولَيسَت لَدَيهِ قُدرةٌ على قَتلِ الرُّوحِ، بل هابوا اللهَ القادِرَ على أن يُهلِكَ الرُّوحَ والجَسَدَ مَعًا في الجَحيمِ. 29واعلَموا أنّهُ لا يَحدُثُ شَيءٌ إلاّ بمَشيئةِ رَبِّكُم. فحتّى العَصافيرُ رَغمَ ثَمَنِها الزَّهيدِ، لا يَموتُ أحَدُها إلاّ بِعِلمِ اللهِ أبيكُم الرَّحمنِ. 30ولا تَسقُطُ شَعرةٌ مِن رُؤوسِكُم إلاّ بإذنِهِ. 31فلا تَخشَوا الاضطِهادَ لأنّ قيمتَكُم تَفوقُ قيمةَ العَصافيرِ عِندَ اللهِ! 32فأقولُ لكُم، إنّ كُلَّ مَن يُبايِعُني أمامَ النّاسِ أُبايِعُهُ أنا أمامَ اللهِ أبي الصَّمَدِ في عُلاه، 33وأمّا مَن يُنكِرُني أمامَ النّاسِ، فإنّي أُنكِرُهُ أمامَ اللهِ أبي الصَّمَدِ في عُلاه.

---

(1) كان اليهود تحت الاحتلال الروماني، ولم يسمح لهم أن يُجرُوا عقوبة الإعدام. وكانوا يعتبرون خيانة أحد أبناء شعبهم لدى المحتلّين من أكبر الجرائم.

(2) آمن الناس بأنّ الأنبياء كانوا مؤيَّدين بوحي من خلال روح الله.

لا سلام بل خصام

[34]لا تَظُنّوا أنّي جِئتُ لأُقيمَ السَّلامَ بَينَ المؤمنينَ وغَيرِ المؤمنينَ في الأرضِ على حِسابِ الحقّ. بل جِئتُ بِرِسالةِ الحَقِّ الّتي هي كحَدِّ السَّيفِ لأفصِلَ بَينَهُم! [35]وهكذا ستُثيرُ دَعوتي الخِلافَ بَينَ الابنِ وأبيهِ، والبِنتِ وأُمِّها، وزَوجةِ الابنِ وحَماتِها، [36]ويُصبحُ أعداءُ الإنسانِ مِن أهلِ بَيتِهِ. [37]وأقولُ لكُم: مَن أحَبَّ أبوَيهِ أو أبناءَهُ أكثَرَ مِنّي، فلا يَستحِقُّني. [38]ومَن لم يَكُن مُستَعِدًا للمَوتِ على صَليبِهِ مُخلِصًا لي، فلا يَستَحِقُّني أيضًا. [39]ومَن يُرِد الحِفاظَ على حياتِهِ في الدُّنيا فهو مِن الخاسِرينَ، وأمّا مَن يُضحّي بِها مِن أجلي فسيَكونُ مِن الفائزينَ.

معنى قبول الحواريّين

[40]مَن قَبِلَكُم قَبِلَني، ومَن قَبِلَني قَبِلَ اللهَ الّذي أرسَلَني. [41]ومَن قَبِلَ نَبيًّا لكَونِهِ نَبيًّا، فلَهُ مِن اللهِ جَزاءُ نَبيّ، وكذا مَن قَبِلَ صالِحًا تَقديرًا لصَلاحِهِ، فلَهُ مِن اللهِ جَزاءُ الرَّجُلِ الصّالح. [42]الحقَّ أقولُ لكُم: مَن سَقَى أصغَرَ أتباعي ولو بشُربةِ ماءٍ لكَونِهِ مِن أتباعي، فلن يَضيعَ أجرُهُ عِندَ اللهِ أبَدًا".

١١
الفصل الحادي عشر

النّبيّ يحيى يرسل مَن يسأل عيسى سلامُهُ علينا

[1]وعِندَما أنهى سلامُهُ علينا إلقاءَ وَصاياهُ على حَوارِيّيهِ الاثنَي عَشَر، مَضَى مُواصِلاً نَشرَ رِسالتِهِ في بَلداتِ تِلكَ المِنطقةِ. [2]وبَلَغَ يَحيى عليه السلام وهو في السِّجنِ خَبَرُ أعمالِ عيسى سلامُهُ علينا، فبَعَثَ ببَعضِ أتباعِهِ [3]يَستَفسِرونَهُ: "أأنتَ المُنقِذُ المُنتَظَرُ الّذي وَعَدَنا اللهُ بِهِ؟ أم علينا أن نَنتَظِرَ غَيرَكَ؟!" [4]فرَدَّ عليهِم عيسى سلامُهُ علينا قائلاً: "امضُوا في حالِ سَبيلِكُم، وأخبِروا يَحيى بما تَسمَعونَ وما تُبصِرونَ، [5]فكَما جاءَ في كِتابِ النّبيِّ أشعيا: "إنّ العُميَ يُبصِرونَ، والعُرجَ يَمشونَ، والبُرصَ يَبرَؤُونَ، والصُّمَّ يَسمَعونَ، والمَوتى يَحيَونَ، والمَساكينَ يُبَشَّرونَ." [6]فهَنيئًا لمَن لا يَفقِدُ إيمانَهُ بي".

عظمة النّبيّ يحيى عليه السلام

[7]وعِندَما انصَرَفَ رُسُلُ يَحيى، التَفَتَ سَيِّدُنا عيسى سلامُهُ علينا إلى الحاضِرينَ الّذينَ

احتَشَدوا حَولَهُ يُحَدِّثُهُم عن النَّبيِّ يَحيى قائلاً: "ماذا تَوَقّعتُم أن تَجِدوا عِندَما خَرَجتُم إلى البَراري؟ هل عَثَرتُم على رَجُلٍ هَزيلٍ كعُودٍ تَعبَثُ بِهِ الرِّياحُ؟! [8]أم على رَجُلٍ فاخِرِ الثِّيابِ؟! إنّ ذَوي الثِّيابِ الفاخِرَةِ لا يُقيمونَ إلاّ في القُصورِ المُترَفَةِ. [9]فإذا كانَ خُروجُكُم لا يَتَعَلّقُ بهذا أو ذاكَ، فلِمَ خَرَجتُم، إذن؟ فهَل كُنتُم تبحَثونَ عن نَبيّ؟ إنّ يَحيى حقًّا لَنبيّ، بل هو أعظَمُ مِن نَبيّ! [10]لقد جاءَ ذِكرُهُ في كِتابِ النَّبيِّ مَلاكي إذ قالَ تَعالى عَنهُ: "هَا أنا أبعَثُ أمامَ مُختاري رَسولاً يُمَهِّدُ لهُ الطَّريقَ". [11]والحقَّ أقولُ لكُم: لم يُولَد إنسانٌ أعظَمُ مِن النَّبيِّ يَحيى. ولكنّ أصغَرَ واحدٍ في أهلِ المَملكةِ الرَّبّانيّةِ سيَحظى بمَقامٍ أعظَمَ مِن مَقامِهِ، ولقد بَدأت المَملكةُ الآنَ! [12]وجاءَ يَحيى ليُمَهِّدَ الدَّربَ لهذِهِ المَملكةِ، وأعداؤُها حتّى الآن يُعارِضونَ تأسيسَها، ويُقاوِمونَ بعُنفٍ الّذينَ يُريدونَ الانتِماءَ إليها. [13]ألا تَعلَمونَ أنّ جَميعَ الأنبياءِ قد بَشّروا بهذِهِ المَملكةِ في كُتُبِهِم قبلَ زَمَنِ النَّبيِّ يَحيى، وقد جاءَ ذِكرُها في التَّوراةِ أيضًا. [14]وإنْ صَدَّقتُم قَولي فإنّ النَّبيَّ يَحيى هو مَن أنبأَ عَنهُ النَّبيُّ مَلاكي قائلاً: "إن النَّبيَّ إلياسَ سيَرجُعُ مِن غَيبتِهِ!" [15]فاسمَعوا أيُّها العاقِلونَ". [(1)]

غباء الرّافضين

[16]"أمّا أولئكَ الّذينَ يَرفُضونَ دَعوتي ودَعوةَ النَّبيِّ يَحيى، فبِمَن أُشبِّهُهُم؟ إنّهُم يُشبِهونَ أولادًا يَلهونَ في ساحةِ البَلدةِ، يَقولُ بَعضُهُم لبَعضٍ: [17]"ما بِكُم تَرفُضونَ كُلَّ شَيءٍ؟ نَدعوكُم إلى لُعبةِ العُرسِ فلا تَرقُصونَ مَعَنا، ونَدعوكُم إلى لُعبةِ الجَنازةِ، فلا تَبكونَ!" [18]فأنتُم أيُّها الرّافِضونَ كُنتُم كهَؤلاءِ الأطفالِ يومَ رَفَضتُم النَّبيَّ يَحيى بن زَكَريّا، وأنكرتُم عليهِ زُهدَهُ في الخُبزِ والخَمرِ وادّعيتُم قائلينَ: "قد أصابَهُ مَسٌّ". [19]لكن عِندَما جاءَكُم سَيّدُ البَشَرِ يأكُلُ ويَشرَبُ مِثلَكُم أنكَرتُموهُ أيضًا قائلينَ: "هو رَجُلٌ يأكلُ ويَشرَبُ بِشَرَهٍ، ويُصادِقُ جُباةَ الضَّرائبِ وغَيرَهُم مِن الضّالّينَ!" فانتَبِهوا يا أُولي الألبابِ، إنّ الحُكَماءَ هُم الّذينَ يُدرِكونَ حِكمةَ اللهِ عِندَما تُعرَضُ عليهِم".

الويل لغير التّائبين

[20]ثُمّ أخَذَ سَيِّدُنا عيسى عليه السلام يُعاتِبُ اليَهودَ في القُرى الّتي وَقَعَت فيها أكثَرُ مُعجِزاتِهِ، ولكنّ أهلَها كانوا قد رَفَضوا التَّوبةَ، فأخَذَ يُؤنِّبُهُم قائلاً: [21]"الويلُ لكُم يا أهلَ

---

(1) أراد السيد المسيح من كلامه هذا أنّ النبي يحيى حقّق بظهوره الوعود التي جاءت عن النبي إلياس.

بَلدةِ كورزينَ، والويلُ لَكُم يا أهلَ بَلدةِ بيتَ صَيدا! لو شَهِدَ الوَثَنيُّونَ في صورَ وصَيدا ما جَرَى بَينَكُم على يَديَّ مِن مُعجِزاتٍ، لرَجَعوا عن غَيِّهِم وتابوا إلى اللهِ تَوبةً نَصوحًا مُنذُ أمَدٍ بَعيدٍ، ولَجَعَلوا مِن الخَيشِ رِداءً لهُم غَمًّا وكَمَدًا، وذَرّوا الرَّمادَ على رُؤوسِهِم نَدَمًا وحَسرةً. [22]وإنّي لمُخبِرُكُم يا أهلَ بَلدتي كورزينَ وبَيتَ صَيدا أنّ مَصيرَ كُفّارِ أهلِ صورَ وصَيدا سيَكونُ أخفَّ مِن مَصيرِكُم يومَ الحِسابِ! [23]أمّا أنتُم يا أهلَ كَفْرَناحومَ! أفتَظُنّونَ أنّكُم ستَكونونَ أعلى مَقامًا مِن غَيرِ اليَهودِ يومَ الدِّينِ؟! لا، بل ستَكونونَ أسفلَ سافِلينَ! ولو شاهَدَ قومُ لوطٍ في مَدينةِ سَدوم المُعجِزاتِ الّتي جرَت عِندَكُم لظَلّتْ سَدوم قائمةً إلى الآنَ! [24]ألا إنّ أهلَ سَدومَ سيَكونونَ أحسَنَ حالاً مِنكُم يومَ الدِّين". [(1)]

السّيّد المسيح يناجي الله

[25]ثُمّ تَوَجّهَ سَيِّدُنا عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى اللهِ داعيًا: "اللهُمّ أيُّها الأبُ الصَّمَدُ، أحمَدُكَ يا رَبَّ السَّماواتِ والأرضِ، فقد أخفَيتَ سِرَّ رِسالتي عنِ الّذينَ يَحسَبونَ أنّهم حُكَماءُ وأصحابُ عِلمٍ، وكَشَفتَها لهؤلاءِ البُسَطاءِ المُتَواضِعينَ مِن عِبادِكَ! [26]نَعم أيُّها الأبُ الرَّحيمُ، هذا ما ارتَضيتَهُ".

[27]وتابَعَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قائلاً: "قد أوكَلَ إليّ اللهُ أبي الصَّمَدُ أمرَ كُلِّ شَيء، ولا أحَدَ يَعرِفُ حَقيقتي إلاّ هو، ولا أحَدَ يَعرِفُ حَقيقةَ اللهِ الأبِ الصَّمَدِ إلاّ أنا الابنُ الرُّوحيُّ لهُ تَعالى، والنّاسُ الّذينَ أرَدتُ أن أكشِفَ لهُم عَنها".

عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ والمتعَبون في الأرض

[28]"إليَّ إليَّ أيُّها المُتعَبونَ والمَساكينُ الّذينَ يَنوؤونَ بأحمالٍ بسَبَبِ التَّقاليدِ الثَّقيلةِ الّتي وَضَعَها الفُقَهاءُ على كاهِلِهِم! وأنا أُريحكُم عِندَما تُصبِحونَ مِن أتباعي. [29]تَعالَوا واستَبدِلوا أثقالَكُم بخُضوعِكُم لتَعاليمي وهي خَفيفةٌ عليكُم. نعم، تَعَلّموا مِنّي لأنّي لَطيفٌ بِكُم مُتَواضِعُ القَلبِ بَينَكُم، وستَجِدونَ الرّاحةَ لنُفوسِكُم، [30]لأنّ تَعاليمي يَسيرةٌ وأوامري بَسيطةٌ".

(1) كان اليهود في تلك القرى يشعرون أنّهم أفضل من الوثنيين، إلاّ أنّ سيِّدنا عيسى أخبرهم أنّهم سيلقون عقابًا أشدّ من عقاب الوثنيين لعدم إيمانهم به.

١٢
الفصل الثّاني عشر

مسألة يوم السّبت

[1]وحدَثَ في تِلكَ الفَترةِ أن مَرَّ سَيِّدُنا عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وأتباعُهُ وَسطَ حُقولِ القَمحِ وصادَفَ ذلِكَ يومَ سَبتٍ، وقد أخَذَ الجوعُ مِنهُم مأخَذَهُ، فبَدأ أتباعُهُ يُقَلِّعونَ سَنابِلَ القَمحِ ويأكلونَها. [2]ورآهُم المُتَشَدِّدونَ فقالوا لعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: "ألا ترى أتباعَكَ يَحصُدونَ يومَ السَّبتِ، وهذا في شَريعتِنا حَرامٌ!"(1) [3]فرَدَّ عليهِم قائلاً: "ألم تَقرؤوا ما فَعَلَ النَّبيُّ داودُ هو وأصحابُهُ عِندَما استبَدَّ بِهِم الجوعُ؟ [4]لقد دَخَلَ المَكانَ المُقدَّسَ في بَيتِ اللهِ، وأخَذَ الخُبزَ الّذي قُدِّمَ لوَجهِ اللهِ، ذلِكَ الخُبزَ الّذي لا يَحِلّ أكلُهُ إلاّ للأحبارِ مِن رِجالِ الدِّينِ، أكَلَهُ هو وأصحابُهُ ليَسُدّوا رَمَقَهُم. [5]أما قَرأتُم في التَّوراةِ أيضًا أنّ الأحبارَ يَنتهِكونَ حُرمةَ السَّبتِ عِندَما يَعمَلونَ في حَرَم بَيتِ اللهِ، ولا يُعتَبَرونَ مَعَ ذلكَ مِن الآثمينَ؟ [6]أقولُ لكُم: لقد حانَ الوقتُ لحُلولِ ما هو أعظَمُ شأنًا مِن هَيكلِ بَيتِ اللهِ! [7]لقد قالَ اللهُ على لِسانِ النّبيِّ هوشع: "إنّ التَّراحُمَ بَينَ النّاسِ أفضَلُ عِندي مِن تَقديمِ الأضاحي وأداءِ الفَرائضِ". ولو أنّكُم أدركتُم مَعنى هذِهِ الآيةِ، ما حَكَمتُم باطِلاً على أتباعي الّذينَ لم يَرتَكِبوا ذَنبًا. [8]فلتَعلَموا أنّ لسَيّدِ البَشَرِ سُلطانًا حتّى على قَوانينِ يومِ السَّبتِ!"

عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يشفي المرضى يوم السّبت

[9]ومَضى عَلَيْهِ السَّلَامُ نَحوَ بَيتِ العِبادةِ [10]حيثُ وَجَدَ رَجُلاً يَشكو شَلَلاً في يدِهِ. وسَعى بَعضُ المُتَشَدِّدينَ إلى إيقاعِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ في تُهمةِ الخُروجِ عن تَعاليمِهِم بشأنِ ذلِكَ اليومِ المُقَدَّسِ فسألوهُ: "هل يَكونُ العَمَلُ مِن أجلِ شِفاءِ المَرضى يومَ السَّبتِ حَلالاً؟" [11]لكنّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ سألَهُ بدورِهِ: "لنَفتَرِضْ أنّ لأحَدِكُم خَروفًا، سَقَطَ يومَ سَبتٍ في حُفرةٍ، ألا يُخرِجُهُ مِنها؟ [12]ألَيسَ الإنسانُ أفضَلَ مِن خَروفٍ؟! لهذا فإنّ عِلاجَ المَرضى يومَ السَّبتِ حَلالٌ". [13]ثُمّ التَفَتَ إلى الرَّجُلِ المَشلولِ اليَدِ قائلاً: "مُدَّ يَدَكَ!" فاستَجابَ الرَّجُلُ فمَدَّ يَدَهُ فصارَت سَليمةً مُعافاةً كاليَدِ الأُخرى. [14]وهُنا غادَرَ المُتَشَدِّدونَ وتآمَروا على قَتلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

---

(1) انظر الهامش في مرقس 2: 24.

عيسى ﷺ صَفيُّ الله

[15]وعَلِمَ ﷺ بخَبَرِ تِلكَ المؤامَرةِ، فانصَرَفَ عن ذلِكَ المَكانِ. فتَبِعَهُ عَدَدٌ كَبيرٌ مِنَ النّاسِ الّذينَ شَفَى جَميعَ مَرضاهُم، [16]لكنّهُ حَذَّرَهُم مِن إذاعةِ أمرِهِ. [17]وتَمَّ ذلِكَ كُلُّهُ ليَتَحقّق قولَهُ تَعالى على لِسانِ النَّبيِّ أشعيا: [18]"هوذا عَبدي الّذي اختَرتُهُ، حَبيبي المُرتَضَى، سأُفيضُ عليهِ رُوحي، فيُعلِنُ العَدلَ بَينَ أُمَمِ العالَمِ مُعيدًا الحقَّ لصاحِبِهِ، [19]لن يُخاصِمَ ولن يَصيحَ ولن يَعلوَ بصوتِهِ في السُّوقِ [20]ولن يَتَجبّرَ فيَسحَقَ المُستَضعَفينَ في الأرضِ كشُعلةٍ فَتيلةٍ، بل سيَتَلَطّفُ بِهِم، ولن تُحبَطَ عَزيمتُهُ حتّى يُقيمَ العَدلَ. [21]وستَضَعُ شُعوبُ الأرضِ رَجاءَها فيهِ". (1)

قوّة الله لا قوّة إبليس

[22]ثُمّ جاؤوهُ برَجُلٍ كَفيفٍ أبكَمَ بِهِ مَسٌّ شَيطانيٌّ، فشَفاهُ في الحالِ فعادَ إليهِ بَصَرُهُ ونُطقُهُ. [23]فأخَذَت الدَّهشةُ الحاضِرينَ الّذينَ قالوا: "أهو المَسيحُ المُنتَظَرُ، وَريثُ عَرشِ النَّبيِّ داودَ!؟" (2) [24]وعِندَما سَمِعَ المُتَشَدِّدونَ كَلامَ النّاسِ هذا، انبَرَوا قائلينَ: "إنّما يَطرُدُ هذا الرَّجُلُ الشَّياطينَ بقوّةِ إبليسَ الشَّيطانِ الأكبَر". [25]وعَرَفَ ﷺ ما يَدورُ في سَرائِرِهِم فالتَفَتَ إليهِم قائلاً: "إذا وَقَعَ الشِّقاقُ في مَملَكةٍ خُرِبَت، وكُلُّ بَيتٍ انقَسَمَ أهلُهُ بَعضُهُم على بَعضٍ انهارَ وزالَ. [26]وأنتُم تَزعُمونَ أنّي بعَونِ إبليسَ أُحَرِّرُ النّاسَ مِنَ الشَّياطينِ. فكَيفَ للشَّيطانِ أن يَدومَ طُغيانُهُ وشَرُّهُ إذا وَقَعَ في مَملَكتِهِ الشِّقاقُ؟! [27]ولنَفتَرِضْ أنّي أطرُدُ الشَّياطينَ بواسِطةِ إبليسَ، فهَلاّ أخبَرتُموني بقوّةِ مَن يَستَعينُ أتباعُكُم في طَردِهِم الشَّياطينَ؟! إنّ أتباعَكُم سيَرُدّونَ عليكُم مَزاعِمَكُم. [28]أمّا أنا فأطرُدُ الشَّياطينَ بقوّةِ رُوحِ اللهِ، وهذا دَليلٌ على أنّ قيامَ المَملَكةِ الرَّبّانيّةِ قد حَلَّ حقًّا! (3) [29]ثُمّ دَعُوني أُعطيكُم مِثالاً: كَما أنّهُ لا يَستَطيعُ أحَدٌ نَهبَ دارِ رَجُلٍ قَويٍّ إلاّ إذا قَيَّدَهُ أوّلاً، بالطَّريقةِ نَفسِها لو لم أكُن قد تَغَلَّبتُ على الشَّيطانِ، لم يَكُنْ بوُسعي

---

(1) تشير هذه النبوءة من أشعيا إلى أن السيد المسيح رجل سلام، إلا أن العديد من اليهود كانوا يعتقدون أن المسيح المنتظر سيكون قائدا عسكريًا يهزم أعداء بني يعقوب. لهذا السبب، أخفى سيّدنا عيسى حقيقة كونه المسيح، وأخذ يعلّم بواسطة الأمثال والحكايات الرمزية عن صفات مملكة الله الحقيقية.

(2) انظر الحاشية في متى 9: 33.

(3) ساد اعتقادٌ بعدم فعليّة روح الله بعد وفاة آخر نبي من الأنبياء السابقين، إلاّ أنّ العديد كانوا يعتقدون أنّ الله سيمنح الروح ثانيةً للمؤمنين مع مجيء السيد المسيح.

طَردُ أعوانِهِ مِن أجسادِ مَن أنعَمَ اللهُ عليهِم بذلِكَ! [30]فمَن لَيسَ مَعي فسيَكونُ حتمًا ضِدّي، ومَن لا يَهدي النّاسَ ويَجمَعُهُم على نَهجٍ قَويمٍ فهو يَعمَلُ على تَضليلِهِم.
[31-32?]أمّا بشأنِ ما اتّهمتُموني بِهِ أيُّها المُتشَدِّدونَ، فأقولُ لَكُم: عِندَما يَتَولّى إنسانٌ إيذاءَ آخَرَ أو الافتِراءَ عليهِ باطِلاً، فإنّهُ يُغفَرُ لهُ إن تابَ، حتّى ولو كانَ المُفتَرَى عليهِ سَيِّدَ البَشَرِ. أمّا مَن يُصِرُّ على الكُفرِ مِنكُم ناسِبًا السّوءَ إلى رُوحِ اللهِ، فلن يُغفَرَ لهُ ذَنبُهُ، لا في الدُّنيا ولا في الآخِرَةِ!"

الشّجرة تُعرف من ثمارها

[33]"إنّ الشَّجَرَ الطَّيِّبَ يُعطي ثِمارًا طَيّبَةً، والخَبيثَ مِنهُ يُعطي ثِمارًا خَبيثَةً، فكُلُّ شَجَرةٍ تُعرَفُ مِن ثِمارِها. [34]ومِن أينَ لكُم أيُّها الماكِرونَ كالأفاعي أنْ تُحَدِّثوا بالطَّيِّبِ مِنَ الكَلامِ وأنتُم الأشرارُ؟ إذ لا يَبوحُ اللِسانُ إلاّ بما وَقَرَ في القَلبِ. [35]والصّالِحُ مِنَ النّاسِ يَفيضُ بما في داخِلِهِ مِن صلاحٍ، وكذا الشِّرير يَنضَحُ مِنَ الشَّرِ الّذي في داخلِهِ. [36]وإنّي لمُخبِرُكُم بأنّ كُلَّ إنسانٍ يُحاسَبُ يومَ الدِّينِ على كَلامِهِ الباطِلِ. [37]فكَلامُكَ إمّا يُنَجّيكَ وإمّا يَقودُكَ إلى الهَلاكِ".

آية النّبيّ يونس

[38]وتَوجَّهَ إلى سَيِّدِنا عيسى عَلَيْنَا سَلَامُهُ بَعضُ الفُقَهاءِ والمُتَشَدِّدينَ قائلينَ: "أيُّها المُعَلِّمُ، نُريدُ أن نَرى مُعجِزةً مِنكَ تُقنِعُنا بأنّكَ رَسولُ اللهِ". [39]فأجابَهُم عَلَيْنَا سَلَامُهُ: "يا مَعشَرَ الأشرارِ الفاسِقينَ! أنتُم تُطالِبونَ بآيةٍ، ولن تَكونَ لكُم سِوى الآيَةِ الّتي كانَت للنَّبيِّ يُونسَ. [40]فكما مَكَثَ النّبيُّ يونسُ في بَطنِ الحُوتِ ثَلاثةَ أيّامٍ بلياليها، فكذلِكَ يَكونُ حالُ سَيّدِ البَشَرِ الّذي سيَمكُثُ في بَطنِ الأرضِ ثلاثةَ أيّامٍ بلَياليها. [41]وسيُبعَثُ أهلُ نينَوى عِندَ قيامِ السّاعةِ مَعَ هذا الشَّعبِ شاهِدينَ عليهِ، لأنّهُم تابوا عِندَ سَماعِهِم إنذارَ النَّبيِّ يونسَ، أمّا أنتُم فتَرفُضونَ التَّوبةَ على يدِ مَن هو أعظَمُ مِنَ النَّبيِّ يونسَ! [42]وستُبعَثُ مَلِكَةُ سبأ مَعَ هذا الشَّعبِ شاهِدةً عليهِ، لأنها أتَتْ مِن أقاصي الأرضِ لتَسمَعَ حِكمَةَ النَّبيِّ سُليمانَ، في حينِ أنّكُم تَصُمّونَ آذانَكُم عن سَماعِ مَن هو أعظَمُ مِنَ النَّبيِّ سُليمانَ!"(1)

(1) كان العديد من اليهود يشعرون أنّهم فقط على استقامة دون سائر الشعوب، إلاّ أن سيِّدنا عيسى أعطاهم الأمثلة حول استقامة الأجانب الذين تابوا إلى الله، كمثل أهل مدينة نينوى ومثل ملكة سبأ، بينما كانت تلك الجماعة من اليهود ترفض التوبة.

خطورة عدم الإيمان

[43]ثُمّ قالَ ﷺ: "عِندَما يَخرُجُ الشَّيطانُ مِن إنسانٍ، يَتوَجَّهُ إلى أماكِنَ خاليةٍ باحِثًا عن الرّاحةِ، وعِندَما لا يَعثُرُ عليها، [44]يَقولُ: "لأعودَنَّ إلى ذلِكَ الجَسَدِ الّذي كُنتُ فيهِ". ولكنّهُ عِندَما يَعودُ ويَراهُ بيتًا نَظيفًا مُرَتَّبًا، [45]يَرتَدُّ عنهُ ثُمّ يَعودُ إليهِ وقد صَحِبَهُ مِن الشّياطينِ سَبعةٌ أشَدُّ مِنهُ وَطأةً وأعنَفُ، ثُمّ يَدخُلونَ ذلِكَ الإنسانَ ويَسكُنونَهُ، فتُصبِحَ حالُهُ أشَدَّ سُوءًا مِمّا كانَت عليهِ في السّابقِ. وهذا نَفسُهُ ما سيُصيبُ هذا الشَّعبَ الشِّريرَ". (1)

أمّ سيّدنا عيسى وإخوته

[46]وبَينَما كانَ سَيِّدُنا عيسى ﷺ يُحدِّثُ النّاسَ، وَصلَت أُمُّهُ وإخوتُهُ، فوَقَفوا خارِجًا يَنتَظِرونَهُ بَعدَ أن طَلَبوا الحَديثَ مَعَهُ. [47]فتَوَجَّهَ أحَدُ الحاضِرينَ إليهِ يُخبِرُهُ بذلِكَ قائلاً: "والدتُكَ وإخوتُكَ يَنتَظِرونَكَ في الخارجِ ويُريدونَ التَّحَدُّثَ إليكَ". [48]فأجابَهُ قائلاً: "هل تَدرونَ مَن هُم أُمّي وإخوتي فِعلاً؟" [49]ثُمّ أشارَ بيدِهِ إلى أتباعِهِ: "هؤلاءِ الآنَ هُم أهلي، [50]وكُلُّ مَن يَسعى إلى مَرضاةِ اللهِ أبي الصَّمَدِ في عُلاه، فهو فَردٌ مِن أفرادِ عائلتي".

١٣
الفصل الثّالث عشر

مَثَل الزّارع

[1]وخَرَجَ سَيِّدُنا عيسى ﷺ ذاتَ يوم مِن الدّارِ مُتَوَجِّهًا إلى شاطئِ بُحيرةِ طَبَريّا ليُعَلِّمَ النّاسَ هُناكَ، [2]فتَجَمَّعَ حولَهُ عَدَدٌ كَبيرٌ مِن النّاسِ، حتّى اضطُرَّ إلى صُعودِ قاربٍ مِن أجلِ مُخاطَبَتِهِم. [3]وكانَ يَضرِبُ لهُم الأمثالَ قائلاً: "خَرَجَ زارعٌ لبَذرِ الحَبِّ في أرضِهِ، [4]فانتَثَرَ بَعضُ البُذورِ على طَرَفِ الطّريقِ، فحطَّت الطُّيورُ والتَقَطَتْهُ، [5]وانتَثَرَ بَعضُها على أرضٍ صَخريّةٍ قَليلةِ التُّرابِ، فطَلَعَتِ البُذورُ بسُرعةٍ لأنّ تُربتَها لم تَكُن عَميقةً، [6]ولكنّها

(1) يشير سيدنا عيسى هنا إلى أنّه على رغم من طرده الشياطين، فإنّ الناس الأشرار في زمنه كانوا كأنّهم يدعُون الشياطين إلى العودة من جديد. وهذا شبيه بما سيصيب هذا الشعب.

سُرعانَ ما ذَبُلَت واحترَقَت عِندَ طُلوعِ الشَّمسِ لأنّهُ لا جُذورَ لها. [7]ووَقَعَ قِسمٌ ثالثٌ مِنَ البُذورِ بَينَ الشَّوكِ فنَبَتَ ولكنّ الشَّوكَ أطبَقَ عليهِ فأهلَكَهُ. [8]أمّا بَقيّةُ البُذورِ فسَقَطَت في تُربةٍ صالحةٍ فاستَقَرَّت فيها ونَمَت وأثمَرَت وأنتَجَت بَينَ الثّلاثينَ والسِّتينَ والمِئة ضِعفٍ. [9]فاسمَعوا يا مَن تَملِكونَ السَّمعَ لعَلَّكُم تفقَهونَ".

الحكمة في ضربه ﷺ للأمثال

[10]فتَقَدَّمَ مِنهُ بَعضٌ مِن أتباعِهِ وسألوهُ قائلين: "أيا سَيِّدَنا لِمَ تَتَحدَّثُ إلى الجُموعِ بالأمثالِ؟" [11]فأجابَهُم قائلاً: "قد كَشَفَ اللهُ لكُم بفَضلي أسرارَ مَملَكتِهِ المَوعودةِ، في حينِ غابَتْ عن غَيرِكُم تِلكَ الأسرارُ الإلهيّةُ. [12]فاستَمِرّوا في إصغائِكُم إلى رِسالةِ اللهِ. فمَن تَقَبَّلَها زادَ اللهُ لهُ في إدراكِها، ومَن لم يُعِرها أُذنًا صاغيةً جَرَّدَهُ اللهُ حتّى مِمّا يَملِكُ مِن إدراكٍ لها. [13]وإنّي أُحَدِّثُ هؤلاء مِن خِلالِ الأمثالِ لأنّهُم يَنظُرونَ ولا يُبصِرونَ، ويَسمَعونَ ولا يُدرِكونَ. [14]وهكذا يَتَحقّقَ قولُهُ تعالى على لِسانِ النَّبيِّ أشعيا: "مَهما سَمِعتُم لا تُدرِكونَ، وكَيفَما نَظَرتُم لا تُبصِرونَ! [15]لقد تَكَلَّسَت عُقولُ أبناءِ هذا الشَّعبِ وقد صَمّوا آذانَهُم وأعمَوْا بَصائرَهُم، حتّى لا يَسمَعوا رِسالتي ويَفهَموها فيَرجِعوا إليّ، فأَشفيهِم. [16]أمّا أنتُم يا خُلاّني فهَنيئًا لكُم بعُيونِكُم التّي تُبصِرُ وآذانِكُم الّتي تَسمَعُ. [17]والحقَّ أقولُ لكُم: لقد تَمَنّى كَثيرٌ مِن الأنبياءِ والصّالحينَ أن يَرَوا ما تَرونَ وأن يَسمَعوا ما تَسمَعونَ ولكن لم يَكُن لهُم نَصيبٌ في ذلِكَ".

معنى المثل الذي ضُرب في الزّارع

[18]"فاسمَعوا أنتُم يا أحبابي مَعنى مَثَلِ الزّارع: [19]تُشيرُ البُذورُ إلى رِسالةِ اللهِ، وتُشيرُ التُّربةُ على أنواعِها إلى البَشَرِ. فالتُّربةُ على طَرَفِ الطَّريقِ تَرمُزُ إلى الّذينَ يَسمَعونَ رِسالتَهُ ولا يَفقَهونَ مَعانيَها، ولذلِكَ سُرعانَ ما يَنزِعُ الشّيطانُ تأثيرَها مِن أنفُسِهِم. [20]وأمّا الأرضُ الصَّخريّةُ الّتي سَقَطَت عليها البُذورُ، فتَرمُزُ إلى مَن يَتَلَقّى الرِّسالةَ السّماويّة بفَرَحٍ [21]ولكنْ دونَ أن تلِجَ أعماقَ قلبِهِ فيَذهَبُ تأثيرُها سَريعًا فيَضَلُّ سَبيلَهُ تَحتَ تأثيرِ أيِّ ضَغطٍ أو ظَرفٍ صَعبٍ أو اضطِهادٍ مِن أجلِها. [22]وأمّا البُذورُ النّابتةُ بَينَ الشَّوكِ فتَرمُزُ إلى وَقعِ الرِّسالةِ في قَلبِ الغارقِ في أُمورِ دُنياهُ والمأخوذِ بمالِها، فسُرعانَ ما تَخنُقُ هُمومُ الدُّنيا الرِّسالةَ وتُبطِلُ تأثيرَها في نَفسِهِ فتُصبِحَ بلا جَدوى. [23]أمّا بالنّسبةِ إلى البُذورِ النّابتةِ في الأرضِ الخَصبةِ فتَرمُزُ إلى عَمَلِ الرِّسالةِ

في قَلبِ المؤمنِ الصّالح، فتؤتي الرِّسالةُ أُكُلَها أضعافًا مُضاعَفة تَفوقُ التَّصوُّرَ، كتِلكَ التُّربةُ الطَّيِّبةُ الّتي تُنتِجُ ثلاثينَ ضِعفًا أو سِتّينَ أو مِئة".

مَثَل الزّؤان

[24]ثُمّ تابَعَ سَيِّدُنا عيسى عليه السلام ضَربَهُ للأمثالِ فقالَ: "ومَثَلُ أمرِ المَملَكةِ المَوعودةِ كمَثَلِ ما جرَى مَعَ صاحبِ حَقلٍ زرَعَهُ بالبُذورِ الطَّيّبة. [25]فأقبلَ غريمٌ لهُ في اللّيلِ والنّاسُ نِيامٌ، ودَسَّ لهُ في الأرضِ بُذورَ الزُّؤانِ الضّارّةَ للزرعِ بَينَ بُذورِ القَمحِ ومَضَى. [26]وعِندَما نَبتَ القَمحُ وبرَعمتْ سَنابِلُهُ، ظَهرَ نَبتُ الزَّؤان أيضًا. [27]فجاءَ العامِلونَ إلى صاحِبِ الحَقلِ وأخبَروهُ قائلينَ: "بَذَرتَ أيُّها السّيِّدُ بُذورًا جيّدةً لكنْ نَبتَ بَينَها الزَّؤانُ فمِن أينَ جاءَ؟" [28]فأجابَهُم: "إنّما هي فِعلةٌ مِن غَريمي". فسألَهُ العامِلونَ: "وهل تَرغَبُ في أن نَجمَعَهُ لكَ الآنَ؟" [29-30]فأجابَهُم: "لا، لئلاّ تَقلَعوا القَمحَ وأنتُم تَجمَعونَ الزّؤانَ. تَمَهّلوا، ودَعُوا جَميعَ البُذورِ تَنمو إلى حِينِ مَوعدِ الحَصادِ، حينَئذٍ سأطلُبُ مِن الحَصّادينَ أن يَجمَعوا الزُّؤانَ أوّلاً ويُحزَمَ ليُحرَقَ، أمّا القَمحُ فسيُجمَعُ في المَخازنِ".

مَثل حبّة الخردل

[31]وساقَ لَهُم عليه السلام مَثلاً آخر قائلا: "إنّ المَملَكةَ الرّبّانيّة كحَبّةِ الخَردَلِ في نُموِّها، زَرعَها رَجُلٌ في حَقلِهِ. [32]فعَلى الرَّغمِ مِن كَونِها أصغَرَ البُذورِ، فإنّها إذا نَمَت أصبحَت أكبَرَ البُقولِ كُلِّها، بل صارَت كشَجَرةٍ تَقصِدُها الطُّيورُ لتَبنيَ أعشاشَها في فُروعِها". (1)

مَثل الخميرة

[33]ثُمّ ضَرَبَ لهُم عليه السلام مَثَلَ الخَميرةِ فقالَ: "ومَثَلُ فِعلِ المَملكةِ الرّبّانيّةِ كمَثَلِ فِعلِ خَميرةٍ ألقَتها امرأةٌ في مِقدارٍ كَبيرٍ مِن العَجينِ يُعادِلُ ثَلاثةَ أكياسٍ مِن الطَّحينِ، لتَجعلَها خُبزًا، ورَغمَ قِلّةِ الخَميرةِ، فقد اختَمَرَ كُلُّ ذلِكَ المِقدارِ الكَبيرِ مِن العَجينِ".

[34]هكذا كانَ سَيِّدُنا عيسى عليه السلام يَتَحَدَّثُ إلى الجُموعِ مِن حَولِهِ بالأمثالِ فقط.

(1) يشير السيد المسيح إلى أن المملكة الربانية ليست حكرا على اليهود فقط، وإنّما تجمع جميع الأمم. وقد ورد أيضا في كتاب النبي دانيال (أن الملك العظيم نبوخذنصر إنما يشبه شجرة تلتجئ إليها جميع الشعوب في العالم (دانيال 4: 12) واستُعملت هذه الاستعارة أيضا في مزمور 104 : 12.

[35]وبذلكَ تَحقَّقَ كلامُ اللهِ الّذي جاءَ في الزَّبورِ: "سأتَكَلَّمُ بالأمثالِ، وأُفصِحُ عن أشياءٍ مُبهَمةٍ مُنذُ خَلقَ العالَمينَ".

معنى مَثل الزّؤان

[36]ثُمّ غادَرَ سلامُهُ علينا الجُموعَ عائِدًا إلى الدّارِ الّتي كانَ يُقيمُ فيها، فلَحِقَ بِهِ أتباعُهُ مُستَفسِرينَ: "وَضِّحْ لنا يا سَيِّدَنا ما قَصَدتَ بالزَّؤانِ في الحَقلِ". [37]فأجابَهُم بقَولِهِ: "إنّ صاحِبَ البُذورِ الجَيِّدةِ هو سَيِّدُ البَشَرِ، [38]والحَقلُ هو العالَم، والبِذارُ هم البَشَرُ مِن أهلِ المَملكةِ الرَّبّانيّةِ، أمّا الزَّؤانُ فيَرمُزُ إلى أولياءِ الشَّيطان. [39]وأمّا الغَريمُ الّذي دَسَّ الزَّؤانَ فهو إبليسُ، وأوانُ الحَصادِ هو قيامُ السّاعةِ. والحَصّادونَ هُم المَلائكةُ. [40]وكما يَجمَعُ الزَّرّاعُ الزَّؤانَ ليُحرِقَهُ في أوانِ الحَصادِ، فكذلِكَ يَحدُثُ عِندَ قيامِ السّاعةِ، [41]يُرسِلُ سَيِّدُ البَشَرِ الملائكةَ لِيَنزِعوا مِن مَملَكةِ اللهِ كُلَّ المُفسِدينَ والأشرار، [42]ويُلقُونَهُم في النّارِ حَيثُ النَّحيبُ وصَريرُ الأسنانِ ألَمًا وحَسرةً. [43]وأمّا الصّالحونَ فيُضيئونَ كالشَّمسِ في مَملَكةِ اللهِ أبيهِم الرَّحمنِ. فتَنَبَّهوا أيُّها السّامِعونَ لَعَلَّكُم تَعقِلونَ".

مَثل الكنز، مَثل الجوهرة، مَثل الشّبكة

[44]وتابَعَ سلامُهُ علينا قائلاً: "ومَثَلُ المَملَكةِ المَوعودةِ كمَثَلِ كَنزٍ مَدفونٍ في حَقلٍ عَثَرَ عليهِ رَجُلٌ. ومِن شِدّةِ فَرَحِهِ أخفاهُ، وذَهَبَ ليَبيعَ كُلَّ ما يَملِكُ ويَشتَري الحَقلَ بما فيهِ مِن كَنزٍ".

[45]وقالَ سلامُهُ علينا: "ومَثَلُ الانضِمامِ إلى المَملَكةِ كمَثَلِ جَوهرةٍ ثَمينةٍ عَثَرَ عليها تاجِرٌ يَبحَثُ عن الجَواهِرِ الكَريمةِ، [46]فقامَ بِبَيعِ كُلِّ ما يَملِكُهُ لاقتِنائِها".

[47]ثُمّ قالَ: "ومَثَلُ المَملَكةِ المَوعودةِ ووجودِها بَينَ أهلِ الدُّنيا كمَثَلِ شَبَكةٍ ألقَى بها الصَّيّادونَ في البَحرِ، فتَجَمَّعَ فيها السَّمَكُ مِن كُلِّ نوعٍ. [48]وعِندَ امتِلائِها سَحَبوها إلى الشّاطِئِ وتَحَلَّقوا حَولَها، فوَضَعوا أفضَلَ السَّمَكِ في السِّلالِ، وتَخَلَّصوا مِن رَديئِهِ وطَرَحوهُ بَعيدًا. [49]هكذا يَجري في آخِرِ الزَّمانِ حَيثُ تَقومُ الملائكةُ بفَصلِ الصّالحينَ عن الطّالحينَ، [50]ويَكونُ مَصيرُ الطّالِحينَ النّارَ حَيثُ يَبكونَ ويَصِرّونَ بأسنانِهِم ألَمًا وحَسرةً".

الجديد والقديم

[51]وتَوَجَّهَ سَيِّدُنا عيسى ﷺ إلى أتباعِهِ بالسُّؤالِ: "هل أدركتُم ما في كَلامي مِن مَعانٍ؟" فرَدّوا عليهِ بالإيجابِ. [52]فتابَعَ قائلاً: "إنّ مَثَلَ فَقيهِ التَّوراةِ الّذي يُصبِحُ مِن تَلاميذي ويَجهَدُ لإدراكِ أُمورِ المَملَكةِ الرَّبّانيّةِ كمَثَلِ صاحِبِ دارٍ يُخرِجُ مِن مَخزَنِهِ مُمتَلَكاتٍ ثَمينةٍ لِيَستَعمِلَها جَميعًا، قَديمِها وحَديثِها".

النّاصرة ترفض عيسى ﷺ

[53]ثُمّ غادَرَ تِلكَ المِنطقةَ إلى بَلدتِهِ النّاصرة بَعدَ انتِهائِهِ مِن ضَربِ الأمثالِ. [54]وهُناكَ بادَرَ بتَعليمِ النّاسِ في بَيتِ العِبادةِ. وعِندَ سَماعِهِم إيّاهُ أخَذَتهُم الدَّهشةُ فانبَرَوا يَتَساءَلونَ: "أنّى لهذا الرَّجُلِ مِثلُ هذِهِ الحِكمةِ، وهذِهِ القُدرةِ على فِعلِ تِلكَ المُعجِزاتِ؟ [55]أليسَ هو ابن النَّجّار، وأُمُّهُ مَريمُ؟ وإخوتُهُ هُم يَعقوبُ ويوسفُ وسَمعانُ ويَهوذا؟ [56]أوَ لَسنا نَرى أخَواتَهُ جَميعًا بَينَنا؟(1) فمِن أينَ جاءَتهُ كُلُّ تِلكَ القُدرةِ؟" [57]وبَعدَ إصرارِهِم على رَفضِهِ ﷺ، تَوَجَّهَ إليهِم قائلاً: "حَقًّا لا كَرامةَ لنَبيٍّ في وَطَنِهِ!" [58]لذلِكَ، لم يَعمَل هُناكَ مُعجِزاتٍ كَثيرةً بسَبَبِ عَدمِ تَصديقِ أهلِ بَلدتِهِ بِهِ ﷺ.

١٤
الفصل الرّابع عشر

ابن هيرودس يقتل النّبيّ يحيى ﵇

[1]في تِلكَ الأثناءِ وَصَلَ إلى سَمعِ الحاكِمِ أنتيباسَ بن هيرودُسَ(2) كُلُّ ما يَتَعَلَّقُ بعيسى ﷺ مِن أخبار، [2]فخاطَبَ حاشيَتَهُ قائلاً: "هوذا يَحيى بن زَكَريّا قد بُعِثَ حَيًا، ولهذا السَّبَبِ فهو يُجري تِلكَ المُعجِزات". [3]وكانَ ابنُ هيرودُسُ قد قَتَلَ النَّبيَّ يَحيى ﵇ بَعدَ أن قَبَضَ عليهِ وألقاهُ في السِّجنِ مُقَيَّدًا تَحتَ تَحريضِ هيروديّة امرأةِ أخيهِ

(1) من المفسرين مَن يقول إنّ للسيد المسيح إخوة من أمه، ومنهم من يعتبر أنّ لفظ الإخوة يعود على أقربائه حسب المفهوم اليهودي في ذلك الوقت.

(2) كان أنتيباس بن هيرودس أحد أبناء هيرودس الكبير. وعند وفاة هذا الأخير، تمّ تقسيم مملكته بين ثلاثة من أبنائه.

فيليبَ، [4]إذ كانَ النَّبيُّ يَحيى عليه السلام يُعارِضُ زَواجَ الحاكِمِ مِنها، ويَقولُ لهُ: "لا يَحِلُّ لكَ الزَّواجُ مِنها!" [5]وكانَ الحاكِمُ قد نَزَلَ عِندَ رَغبةِ هيروديّة في قَتلِهِ عليه السلام رَغمَ خَوفِهِ مِنَ النّاسِ الّذينَ اعتَبَروا يَحيى نَبيًّا. [6]فقد أقسَمَ الحاكِمُ لابنتِها بَعدَ أن رَقَصَتْ لهُ في عِيدِ ميلادِهِ [7]أن يُنَفِّذَ لها كُلَّ طَلَباتِها لأنّها أعجَبَتْهُ. [8]فطَلَبَت بتَحريضٍ مِن أُمِّها قائلةً: "أُريدُ رأسَ يَحيى بنِ زَكَريّا على طَبَقٍ هَديّةً مِنكَ". [9]فاستَبَدَّ الحُزنُ بالحاكِمِ لهذا الطَّلَبِ، ولكنّهُ بَرًّا بقَسَمِهِ الّذي أقسَمَ بِهِ أمامَ الحاضِرينَ، نَزَلَ عِندَ طَلَبِها، [10-11]وأمَرَ برأسِ النَّبيِّ يَحيى فأُحضِرَ أمامَهُ على طَبَقٍ، بَعدَ أن قَطَعوهُ في السِّجنِ. فقَدَّمَهُ الحاكِمُ للفَتاةِ، فأعطَتْهُ بدَورِها لأُمِّها. [12]فما كانَ مِن أتباعِ يَحيى عليه السلام بَعدَ تِلكَ الجَريمةِ إلاّ أن أخَذوا جُثّتَهُ الشَّريفةَ لِدَفنِها، ثُمّ تَوَجَّهوا إلى عيسى سلامه علينا لإخبارِهِ بما حَدَثَ.

عيسى سلامه علينا يقوم بمعجزة إطعام 5000 رجل

[13]وعِندَما سَمِعَ سَيِّدُنا عيسى سلامه علينا بهذا الخَبَرِ، غادَرَ مَكانَهُ وصَعِدَ قارِبًا وتَوَجَّهَ إلى مَكانٍ مُنعزِلٍ واختَلى بنَفسِهِ. إلاّ أنّ جُموعًا مِنَ النّاسِ سارَت على إثرِهِ مَشيًا على الأقدامِ فسَبَقوهُ بَعدَ أن عَلِموا بوِجهتِهِ. [14]وعِندَ وُصولِهِ سلامه علينا إلى المَكانِ الّذي كانَ يَقصِدُهُ، نَزَلَ مِنَ القارِبِ فرأى الحُشودَ، فأخَذَ يَطوفُ عليهِم مُشفِقًا شافيًا مَرضاهُم. [15]وعِندَ حُلولِ المَساءِ أتى إليهِ أتباعُهُ قائلينَ: "قدِ انقَضى النَّهارُ ونَحنُ في هذا المَكانِ المُنعَزِلِ، فهلاّ تَصرِفُ هذِهِ الجُموعَ ليَذهَبوا إلى القُرى المُجاورةِ لشِراءِ ما يَحتاجونَ مِن طَعامٍ؟" [16]فأجابَهُم بقَولِهِ: "لَيسوا في حاجةٍ إلى مُغادَرةِ المَكانِ، ولكنْ عليكُم أنتُم تَقديمُ الطَّعامِ لهُم". [17]فأخبَروهُ قائلينَ: "لَيسَ لَدَينا مِن طَعامٍ سِوى خَمسةِ أرغِفةٍ وسَمَكَتَينِ". [18]فقالَ: "ايتوني بها". [19]وعِندَما أتَوهُ بها تَوَجَّهَ سلامه علينا إلى الجُموعِ وأمَرَهُم بالجُلوسِ على العُشبِ ثُمّ تَناوَلَ أرغِفةَ الخُبزِ الخَمسةَ والسَّمَكتَينِ ورَفَعَ بَصَرَهُ إلى السَّماءِ، حامِدًا اللهَ على فَضلِهِ وكَرَمِهِ، ثُمّ قَسَّمَ الخُبزَ وأعطاهُ لأتباعِهِ الّذينَ وَزَّعوهُ على النّاسِ، [20]فأكَلَ الجَميعُ وشَبِعوا. ثُمّ رَفَعَ أتباعُهُ ما تَبَقّى مِن كِسَرِ الخُبزِ الّتي مَلأتِ اثنَتَي عَشَرَةَ قُفّةً. [21]وكانَ عَدَدُ الآكِلينَ حَوالَي خَمسةِ آلافِ رَجُلٍ، إضافةً إلى عَدَدٍ مِنَ النِّساءِ والأطفالِ.

معجزة سيره سلامه علينا على وجه الماء

[22]وأمَرَ سَيِّدُنا عيسى سلامه علينا بَعدَ ذلِكَ أتباعَهُ برُكوبِ القارِبِ نَحوَ الضِّفّةِ الأُخرى مِن

البُحَيرةِ حتّى يَصِلوا قَبلَهُ. ثُمّ عَمَدَ إلى صَرفِ الجُموعِ، 23وصَعِدَ إلى الجَبلِ ليُصَلّي
مُنفَرِدًا. وعِندَ هُبوطِ اللّيلِ، 24كانَ القارِبُ الّذي رَكِبَهُ أتباعُهُ قد بَلَغَ وَسَطَ البُحَيرةِ،
وكانَت الرِّيحُ مُعاكِسةً جَعلَت الأمواجَ تَتَلاطَمُ وتَضرِبُ القارِبَ، 25وقُبيلَ الفَجرِ أخَذَ
عيسى (سلامه علينا) يَمشي على وَجهِ الماءِ نَحوَهُم. 26وعِندَما رأوهُ سائرًا فَوقَ الماءِ استَولى
عليهِم الرُّعبُ وأخَذوا يَصرُخونَ خائفينَ قائلينَ: "هذا شَبَحٌ!" 27ولكنّهُ (سلامه علينا) خاطَبَهُم
في الحالِ قائلاً: "هدّئوا مِن رَوْعِكُم! أنا عيسى فلا تَخافوا". 28فقالَ لهُ بُطرُسُ
الصَّخرُ: "إن كُنتَ حقًّا عيسى، فمُرني أن آتيَ إليكَ ماشيًا على وَجهِ الماءِ".
29فأجابَهُ (سلامه علينا): "تعالَ إليّ". فغادَرَ صَخرُ القارِبَ مُتوجِّهًا إلى سَيِّدِنا عيسى (سلامه علينا)
سَيرًا على وَجهِ الماءِ، 30ولكنّهُ ما إن تَنبَّهَ إلى شِدّةِ الرِّيحِ حتّى استَبَدَّ بهِ الخَوفُ،
وبَدأ يَغوصُ في الماءِ فأخَذَ يَصرُخُ قائلاً: "أنقِذني يا مَولايَ!" 31فمَدَّ إليهِ (سلامه علينا)
يَدَهُ وانتَشَلَهُ قائلاً: "يا ضَعيفَ الإيمانِ، لِمَ شَكَكتَ بي؟!" 32وبَعدَ صُعودِهِما إلى
القارِبِ سَكَنَت الرِّيحُ، 33فانحَنى لهُ أتباعُهُ قائلينَ: "إنّكَ حقًّا الابنُ الرُّوحيّ للهِ!"

عيسى (سلامه علينا) وشفاؤه للكثيرين من المرضى

34ومَضى بِهِم القارِبُ عَبرَ مِياهِ بُحيرةِ طَبَريّا وُصولاً إلى جَنَسْرَتَ على شاطِئِ
الشّمالِ الغَربي للبُحيرةِ، 35عِندئذٍ عَلِمَ أهلُ تِلكَ المِنطَقةِ بخَبَرِ وصولِهِ (سلامه علينا)، فأخَذوا
يَنشُرونَ الخَبَرَ في جَميعِ الأنحاءِ، ووَفَدَ الجَميعُ حامِلينَ مَرضاهُم إليهِ، 36مُتَوَسِّلينَ
عَلّهُ يَجودُ عليهِم حتّى بلَمسِ طَرَفِ ثَوبِهِ، فكانَ كُلُّ مَن يَلمَسُهُ يُشفى.

١٥

الفصل الخامس عشر

تقاليد النّاس أَم كلام الله؟

1وقَدِمَ على سَيِّدِنا عيسى (سلامه علينا) مِن القُدسِ جَماعةٌ مِن طائفةِ المُتَشَدِّدينَ وفُقَهاءِ
التَّوراةِ وسألوهُ قائلينَ: 2"لِماذا لا يَتَمسَّكُ أتباعُكَ بالمَوروثِ عن آبائنا الأوّلينَ مِنَ
العاداتِ والتَّقاليدِ، إنّهُم لا يَغسلونَ أيديَهُم قَبلَ الأكلِ؟!" 3فأجابَهُم (سلامه علينا) قائلاً: "ولِمَ
تُخالِفونَ أنتُم أحكامَ اللهِ وتُحافِظونَ في المُقابلِ على عاداتِكُم وتَقاليدِكُم؟ 4إنّكُم
تُخالِفونَ قَولَهُ تَعالى في التَّوراةِ: "أكرِمْ أباكَ وأُمَّكَ، ومَن أهانَ أباهُ أو أُمَّهُ فعِقابُهُ

المَوتُ لا رَيبَ". [5]أمّا أنتُم فتَقولونَ: "لَيسَ فَرضٌ على أحَدِكُم إكرامُ والدَيهِ بأموالِهِ إذا قالَ لهُما: "قد جَعَلتُ ما كُنتُ أنفِقُهُ عليكُما وَقفًا لوَجهِ اللهِ"(1). [6]ألَستُم تُبطِلونَ بذلِكَ وَصيّةَ اللهِ مِن أجلِ تَقاليدِكُم؟ [7]أيُّها المُنافِقونَ! لقد صَدَقَت نُبوءةُ النَّبيِّ أشعيا فيكُم، حينَ قالَ تَعالى على لِسانِهِ: [8]"يُكرِمُني هذا الشَّعبُ بلِسانِهِ، أمّا قَلبُهُ فبَعيدٌ عنّي، [9]فباطِلةٌ عِبادتُهُم إذ يَتبَعونَ أهواءَهُم وتَقاليدَهُم الّتي صاغوها بأيديهِم".

[10]ثُمّ جَمَعَ سَيِّدُنا عيسى عَلَيْنَا سَلَامُهُ حولَهُ النّاسَ وقالَ لهُم: "أصغُوا وَعُوا ما أقولُ، [11]لَيسَ ما يَدخُلُ فَمَ الإنسانِ يُنَجِّسُهُ، وإنّما ما يَخرُجُ مِنهُ مِن أقوالٍ". [12]وأقبَلَ عليهِ أتباعُهُ قائلينَ: "أتَعلَمُ أنّ المُتَشَدِّدينَ صُدِموا عِندَ سَماعِهِم لكَلامِكَ هذا؟" [13]فرَدَّ عليهِم قائلاً: "إنّ كُلَّ زَرعٍ لم يَكُن مِن لَدُنِ اللهِ أبي الصَّمَدِ يَجِبُ اجتِثاثُهُ مِن جُذورِهِ. [14]دَعُوهُم وشأنَهُم فهُم عُميانٌ يَقودونَ عُميانًا، وسيَسقُطونَ جَميعًا في حُفرةٍ". [15]فبادَرَهُ بُطرُسُ الصَّخرُ قائلاً: "بيِّنْ لنا، يا مَولاي، قَصدَكَ عِندَما ذَكَرتَ أنّ الطَّعامَ لا يُنَجِّسُ الإنسانَ". [16]فأجابَ عَلَيْنَا سَلَامُهُ: "أحتّى الآنَ لا تَفهَمونَ؟! [17]ألا تَعلَمونَ أنَّ كُلَّ ما يَدخُلُ الفَمَ يَصِلُ إلى البَطنِ ومَصيرُهُ خارجَ الجِسمِ؟! [18]أمّا ما يَخرُجُ مِن الفَمِ فهو بَوحُ القَلبِ، وبسَبَبِهِ يَطهُرُ الإنسانُ أو يَنجُسُ. [19]ومَكمَنُ الشَّرِّ في البَواطِنِ: كالقَتلِ والزِّنى والفِسقِ والسَّرقةِ وشَهادةِ الزُّورِ والنَّميمةِ. [20]إنّ كُلَّ هذِهِ الأُمورِ تُنَجِّسُ الإنسانَ، أمّا ما يَأكُلُهُ الإنسانُ مِن طَعامٍ بيَدِهِ الّتي لم يَغسِلها فهذا لن يُنَجِّسهُ".

عيسى عَلَيْنَا سَلَامُهُ يخلّص فتاة من مسّ شيطانيّ

[21]وغادَرَ عَلَيْنَا سَلَامُهُ ذاكَ المَكانَ مُتَوَجِّهًا إلى عِدّةِ نَواحٍ مِن مَدينتَي صورَ وصَيدا. [22]وعِندَ وُصولِهِ أقبَلَت عليهِ امرأةٌ كَنعانيّةٌ مِن أهلِ تِلكَ البِلادِ مُستَغيثةً مُستَجيرةً تَقولُ: "يا سَيِّدي، يا وَريثَ عَرشِ النَّبيِّ داوُدَ، أشفِقْ عليّ! إنّ شَيطانًا قد حَلَّ في جَسَدِ ابنَتي وهو يُذيقُها شَديدَ العَذابِ!"(2) [23]إلاّ أنّهُ عَلَيْنَا سَلَامُهُ لم يَرُدَّ عليها بكَلمةٍ. فأتى إليهِ أتباعُهُ قائلينَ: "يا سَيِّدَنا أجِبْ طَلَبَها لَعَلَّها تَمضي عنّا، إنّها تُؤذينا بصُراخِها!"

---

(1) كان تعليم الفقهاء يوفر ذريعة تمكّن الإنسان من تجنُّب طاعة وصية الله بخصوص إكرام الوالدين، كما تجعله يستفيد شخصياً من المال الذي جعله وقفًا لله.

(2) هذه المرأة الكنعانية هي من شعب كان عدو لبني يعقوب في الماضي، فأسلافها كانوا مطرودين من فلسطين من طرف الأسباط تحت قيادة يشوع بن نون بعد وفاة النبي موسى عليه السلام. وعندما تعترف أن سيّدنا عيسى وريث عرش النبي داود، فهي تخضع لسلطانه وتنال رضاه.

[24]فأجابَهُم قائلاً: "لم أُبعَثْ إلاّ لهِدايةِ خِرافِ بَني يَعقوبَ الضّالّة". (1) [25]فركَعَت تِلكَ المَرأةُ أمامَهُ قائلةً: "ساعِدني يا مَولاي!" [26]فأجابَها: "لا يَجوزُ أن أُنقِصَ مِن حقِّ بَني يَعقوبَ في كَراماتي مِن أجلِ الأغرابِ، إنّ مَثَلَ ذلِكَ كمَن يُطعِمُ الكِلابَ الأليفَةَ دونَ أولادِهِ!" [27]فأجابَتهُ المَرأةُ: "أجل يا مَولاي، إلاّ أنّ الكِلابَ تأكُلُ مِن الفُتاتِ المُتَساقِطِ مِن مائدةِ الأسيادِ". [28]فقالَ لها عليه السلام: "أيّتُها المَرأةُ، إنّ إيمانَكَ راسِخٌ بي، فليَكُن لكِ ما طَلَبتِ". وهكذا شُفيتِ ابنتُها في تِلكَ اللَّحظةِ.

عيسى عليه السلام وابراؤه للكثير من المرضى

[29]ثُمّ تَوجَّهَ عليه السلام إلى بُحيرةِ طَبريّا وصَعِدَ الجَبلَ بجانِبِها واتّخَذَ فيهِ مَكانًا لهُ. [30]فقَدِمَ إليهِ جَمعٌ غَفيرٌ حامِلينَ مَرضاهُم مِن عُرجٍ وعُميٍ وبُكمٍ ومَشلولينَ ومَن بِهِم أمراضٌ أُخرى مُختَلِفةٌ، ووَضَعوهُم عِندَ قدمَيْهِ فشفاهُم. [31]وسادَ النّاسَ العَجَبُ وهم يَرونَ البُكمَ يَتَكلّمونَ والمَشلولينَ يَقِفونَ والعُرجَ يَمشونَ والعُميَ يُبصِرونَ، فتَوجّهوا إلى اللهِ رَبِّ بَني يَعقوبَ مُسبِّحينَ إيّاهُ حامِدينَ على ما أجراهُ مُختارُهُ مِن كَراماتٍ ومُعجِزاتٍ.

معجزته عليه السلام في إطعام 4000 شخص

[32]ودَعا سَيِّدُنا عيسى عليه السلام أتباعَهُ قائلاً: "إنّي مُشفِقٌ على هذِهِ الجُموعِ الشّاخِصةِ إليّ مُنذُ ثَلاثةِ أيّامٍ دونَ طَعامٍ. وأخشى إن طَلَبتُ مِنهُم العَودةَ إلى بُيوتِهِم، أن تَخورَ قِواهُم في الطَّريقِ!" [33]فتَعَجَّبَ أتباعُهُ قائلينَ: "كَيفَ لنا أن نُشبِعَ هذا الجُمهورَ الغَفيرَ؟ أينَ نَجِدُ في هذا القَفرِ ما يَكفيهِم مِن طَعامٍ؟!" [34]وسألَهُم عيسى عليه السلام عن كَميّةِ الخُبزِ الّتي لَدَيهِم فعَرَفَ أنّهُم لا يَملِكونَ سِوى سَبعةِ أرغِفة وبِضعِ سَمَكاتٍ صِغارٍ. [35]فأمَرَ النّاسَ بالجُلوسِ على الأرضِ، [36]وأخَذَ الأرغِفةَ السَّبعةَ والسَّمَكَ، وحَمِدَ اللهَ وشَكَرَهُ على نِعَمِهِ، وقَسَّمَها وأعطاها لأتباعِهِ الّذينَ وَزَّعوها بِدَورِهِم على النّاسِ. [37]فأكَلَ الجَميعُ حتّى شَبِعوا. وبَقِيَتْ سَبعةُ سِلالٍ مَملوءةٍ [38]رَغمَ أنّ عَدَدَ الآكِلينَ قارَبَ الأربَعةَ آلافِ شَخصٍ، دون احتساب النِّساءَ والأطفالَ. [39]وصَرَفَ عيسى عليه السلام الجُموعَ ورَكِبَ مَعَ أتباعِهِ القارِبَ قاصِدينَ مِنطقةَ مَجدان.

---

(1) يعلن السيد المسيح عليه السلام هنا أن الأولوية في نشر رسالة الله هي للضالين من بني يعقوب، ولكن هذه كانت مجرّد المرحلة الأولى في مهمته التي تهدف في النهاية إلى كسب كل الأمم وجعلهم من التائبين.

١٦
الفصل السّادس عشر

الإصرار على آية من السّماء

[1]وأقبَلَ على سَيِّدِنا عيسى عليه السلام جماعةٌ مِن المُتَشَدِّدينَ والصَّدّوقيّينَ طالبين مِنهُ مُعجزةً مِن السَّماءِ تكونُ لهُم بُرهانًا يُقنِعُهُم أنّهُ مُرسَلٌ مِن عِندِ اللهِ(1). [2]ولكنّهُ رَدَّ عليهِم قائلاً: "ألا تُفسِّرونَ ظَواهِرَ الطَّبيعةِ؟ فعِندَما ترونَ السَّماءَ وقد اصطَبَغَت بلَونٍ أحمَرَ عِندَ الغُروبِ تُوقِنونَ بأنّ الجَوَّ سيكونُ صافيًا في الغَدِ. [3]وإن رأيتُموها حَمراءَ مُلَبَّدةً بالغُيومِ في الصَّباحِ، أيقَنتُم بقُربِ هُبوب عاصِفةٍ لا مَحالةَ. يا لَلعَجَب! كَيفَ تَستَطيعونَ رَصدَ العَلاماتِ الطَّبيعيّةِ الّتي تَظهَرُ في السَّماءِ، وتَعجِزونَ عن رَصدِ عَلامات اللهِ الّتي تَظهَرُ في زَمانِكُم هذا؟! [4]وإنّ مِنكُم لفِئةً شِرّيرةً فاسِقة تُلِحّ دائمًا في طَلَبِ مُعجِزةٍ للتَّصديقِ بي، ولكنّ اللهَ لن يُعطيهِم مُعجزةً إلاّ تِلكَ الّتي كانَت للنَّبيِّ يونسَ". ثُمّ تَرَكَهُم ومَضى.

مَثَل الخمير كرمز للفساد

[5]وبَعدَ عُبورِ سَيِّدِنا عيسى عليه السلام وأتباعِهِ البُحَيرةِ، [6]تَوَجَّهَ إليهِم قائلاً: "احذَروا خَميرَ المُتَشَدِّدينَ والصَّدّوقيّينَ". [7]فأخَذوا يَتهامَسونَ فيما بَينَهُم قائلينَ: "أيَقولُ لنا سَيِّدُنا ذلكَ، لأنّنا نَسينا أن نَحمِلَ خُبزًا مَعَنا؟" [8]فأدرَكَ عيسى عليه السلام ما يَدورُ في خاطِرِهِم فقالَ لهُم: "يا لَضُعفِ إيمانِكُم بي! لِمَ أنتُم مُنشَغِلونَ بطَعامِكُم؟ [9]ألَم تُدرِكوا أنّ رِزقَ اللهِ لا يَنفَدُ؟ ألا تَذكُرونَ ما فَعَلَ اللهُ بالأرغِفةِ الخَمسةِ الّتي أشبَعَت خَمسةَ آلاف شَخصٍ وفَضَلَ مِنها سِلالٌ أخَذتُموها؟ [10]ثُمّ أنسيتُم أنّ اللهَ بارَكَ رِزقَكُم فأشبَعَ أربعةَ آلاف شَخصٍ بسَبعةِ أرغِفةٍ، فَضُلَ مِنها مِنَ الكِسَرِ ما وَضَعتُموهُ في سِلالٍ؟ [11]ما بالُكُم لم تَفهَموا أنّي لم أكُن أعني الخُبزَ حَرفيًا بكَلامي؟ وأقولُ لكُم مَرّةً

(1) كان المتشددون والصدوقيون في الغالب أعداء بعضهم بعض، ولكن كلتا الطائفتين اعتبرتا أن سيّدنا عيسى يتحدّى مناصبهم ونفوذهم.

أُخرى: اِحذَروا خَميرَ المُتَشَدِّدينَ والصَّدّوقيّينَ!" [12]عِندَ ذلِكَ أدرَكَ الأتباعُ أنّهُ قَصَدَ بذلكَ أن يَتَجَنَّبوا تَعاليمَ المُتَشَدِّدينَ والصَّدّوقيّينَ، وما ساقَ خَميرَ الخُبزِ إلاّ رَمزًا.(1)

أنت المسيح الابن الروحيّ لله

[13]وعِندَما وَصَلَ سَيِّدُنا عيسى عَلَيْنَا سَلاَمُهُ مِنطقةَ بَلدةِ قيصريّةِ فيليبَ الواقِعةِ على سَفحِ جَبَلِ الشَّيخ، أخَذَ يَسألُ أتباعَهُ: "أخبِروني: في رأيِ النّاسِ، مَن أكونُ أنا سَيِّدَ البَشَرِ؟!" [14]فأجابوهُ قائلينَ: "يَرى بَعضٌ أنّكَ النَّبيُّ يَحيى بنِ زَكَريّا وقد بُعِثَ حَيًّا. ويَقولُ آخَرونَ إنّكَ النَّبيُّ إلياسُ وقد عادَ مِن غَيبتِهِ، وفِئةٌ ثالثةٌ تَقولُ إنّكَ النَّبيُّ إرميا أو أحَدُ الأنبياءِ الأوّلينَ وقد عادَ إلى الحَياةِ". [15]فبادَرَهُم قائلاً: "وأنتُم، ماذا تَقولونَ؟!" [16]فأجابَهُ بُطرُسُ الصَّخرُ بقَولِهِ: "إنّكَ أنتَ المَسيحُ الابنُ الرُّوحيُّ للهِ الحَيّ!" [17]فقالَ لهُ عَلَيْنَا سَلاَمُهُ: "هَنيئًا لكَ يا بُطرُسُ بهذا! وإنّ مَن كَشَفَ لكَ عن هذا السِّرِّ لَيسَ بَشَرًا بل هو اللهُ أبي الصَّمَدُ في عُلاه، [18]وإنّي أُطلِقُ عليكَ لَقَبَ الصَّخرِ. وعلى أساسِ تِلكَ الصَّخرةِ سأُقيمُ أُمّتي، فيَكونُ إيمانُها راسخًا وأبوابُ المَوتِ لن تَصمُدَ أمامَها!(2) [19]وإنّي مُعطيكَ مَفاتيحَ مَملكةِ اللهِ على الأرضِ لتَفتحَ أبوابَها أمامَ مَن تَقَبَّلَ تَعاليمي، واعلَمْ أنّ اللهَ مَنَحكَ المَقدِرةَ على تَبليغِ رِسالتي وتَفسيرِ تَعاليمي وخُصوصًا مِنها تِلكَ الّتي تَتَعلَّقُ بالحَلِّ والرَّبطِ"(3). [20]ثُمّ طَلَبَ عَلَيْنَا سَلاَمُهُ مِن أتباعِهِ ألاّ يُخبِروا أحَدًا مِن عامّةِ النّاسِ إنّهُ المَسيحُ المُنقِذُ المُنتَظَرُ.

عيسى عَلَيْنَا سَلاَمُهُ ونبوءته عن موته

[21]ثُمّ أخَذَ عَلَيْنَا سَلاَمُهُ يُعلِنُ لأتباعِهِ أنّ عليهِ الذَّهابَ إلى القُدسِ، حَيثُ تَشتَدُّ عليهِ

---

(1) يعني سيِّدنا عيسى أن تعاليم المتشددين والصدوقيين الفاسدة أثرت على كلّ الشعب، كما يؤثر قليل من الخميرة على كمية كبيرة من العجين.

(2) كان عالم الأموات يُصوَّر أحيانا كأنه مدينة تحت الأرض اسمها "هاديس" محاطة بالعديد من الأسوار والأبواب لكي تمنع من يدخلها من الرجوع إلى عالم الأحياء. ويقول السيد المسيح إن تلك الأبواب لن تصمد أمام أتباعه. وقد وضّح المسيح لأتباعه بعد بعثه حيا أنه حصل على مفاتيح تلك الأبواب مما يعني أنه انتصر على قوة الموت (انظر كتاب الرؤيا 1: 18).

(3) استعمل الحواري بطرس الصخر هذه المفاتيح (كما نرى في سيرة الحواريين) للسماح بالدخول رسميا إلى المملكة الربانية، أولا لليهود (انظر سيرة الحواريين 2: 1-41)، ثمّ للسامريين (سيرة الحواريين 8: 14-17) وأخيرا لغير اليهود (سيرة الحواريين 10: 1-48).

الأحزانُ والآلامُ مِن قِبَلِ قادةِ الشَّعبِ والفُقَهاءِ ورُؤساءِ الأحبارِ، ويُقاسي آلامَ المَوتِ ثُمّ يُبعَثُ حيًّا في اليومِ الثّالث. [22]وبعدَ قَولِهِ هذا، انتَحى بِهِ بُطرُسُ الصَّخرُ جانبًا مُعاتِبًا: "لا قَدَّرَ اللهُ يا سَيِّدي، كلاّ! لن يَحدُثَ ذلكَ!" [23]فالتَفَت سَيِّدُنا عيسى عليه السلام إلى بُطرُسَ الصَّخرِ قائلاً: "ابتَعِدْ عنّي، إنّكَ تُحاوِلُ إعاقةَ مَسيرَتي فتُعانِدُ مَشيئةَ اللهِ كَما عانَدَها الشَّيطانُ! إنّكَ لم تَفهَم مَقاصِدَ اللهِ بل إنّ أفكارَكَ ما زالَت دُنيويّةً".(1)

[24]ثُمّ خاطَبَ أتباعَهُ قائلاً: "مَن أرادَ مِنكُم أن يَنتَمي إليّ فيَجِبُ عليهِ أن يُنكِرَ ذاتَهُ، ويَستَعِدَّ للتَّعذيبِ صَلبًا والمَوتِ في سَبيلي، ثُمّ يَتبَعُني. [25]فكُلُّ الّذينَ أرادوا الحِفاظَ على حَياتِهِم الدُّنيا، أولئكَ هُم الخاسِرونَ، ومَن يُضَحّونَ بها في سَبيلي، أولئكَ هُم الفائزونَ. [26]فماذا يَنفَعُ الإنسانَ لو رَبِحَ العالَمَ كُلَّهُ، وخَسِرَ نَفسَهُ؟ ما مِن شَيءٍ في هذِهِ الدُّنيا يُمكِنُهُ أن يَفدي الإنسانَ ويُنَجّيهِ يومَ الحِسابِ! [27]وإنّ سَيِّدَ البَشَرِ سيَأتي إلى العالَمِ مُحاطًا بِجَلالِ اللهِ أبيهِ الصَّمَدِ مَرفوقًا بالمَلائكةِ الأطهارِ، وحِينَئذٍ سيُحاسِبُ كُلَّ إنسانٍ على أعمالِهِ. [28]والحَقَّ أقولُ لكُم: إنّ بَعضًا مِن الحاضِرينَ مِنكُم هُنا لن يَموتوا حتّى يَرَوا سَيِّدَ البَشَرِ مَلِكًا على المَملكةِ الرَّبّانيّةِ".(2)

١٧
الفصل السّابع عشر

تجلّي السّيّد المسيح

[1]وبعدَ سِتّةِ أيّامٍ اصطَحَبَ سَيِّدُنا عيسى عليه السلام بُطرُسَ الصَّخرَ ويَعقوبَ وأخاهُ يوحَنّا، وصَعِدوا جَبَلاً عاليًا ليَكونوا على انفِرادٍ. [2]وهُناكَ تَجَلّى عيسى عليه السلام لهُم في مَشهَدٍ عَظيمٍ، إذ شَعَّ وَجهُهُ كالشَّمسِ، وأصبَحَت ثيابُهُ ناصِعةَ البَياضِ والنّورُ يَشِعُّ مِنها. [3]ثُمّ ظَهَرَ فَجأةً أمامَ الجَميعِ النَّبيّانِ موسى وإلياسُ وشَرَعا في الحَديثِ مَعَ

(1) بينما كان سيِّدنا عيسى يمدح بطرس على اعترافه بأنه المسيح المنتظر، لم يفهم بطرس أنّ الله قدّر على المسيح أن يتألم كثيرا ويموت ثم يبعث حيا. فيؤنبه بذلك بصرامة بسبب اعتراضه على مقصد الله.

(2) كان سيِّدنا عيسى يشير بهذا الكلام على ما يبدو إلى بعثه حيا بعد موته، وجلوسه في السماء على يمين عرش الله كالملك المسيح المختار، وهو ما كان سيحدث في المستقبل القريب، بعد سنة من تنبؤه هذا. كما أنّ حادثة التجلّي في الفصل 17 تُظهر المسيح في سموِّ عظمة مُلكِه.

سَيّدِنا عيسى ﷺ (1). 4فالتَفَتَ بُطرُسُ إلى عيسى ﷺ قائلاً: "يا سَيِّدي ما أروَعَ هذه الصُّحبةَ! إن أردتَ، أقمتُ هُنا ثلاثةَ مَقامات، مَقامٌ لكَ، ومَقامٌ للنَّبيِّ موسى، ومَقامٌ للنَّبيِّ إلياسَ". (2) 5وفَجأةً غَمرَتْهُم سَحابةٌ مُضيئةٌ قَطَعَت حَديثَهُ وإذا بِصَوتٍ يَرتَفِعُ مِنها قائلاً: "هوذا الحَبيبُ، الابنُ الرُّوحيُّ لي، وقد رَضيتُ عَنهُ كُلَّ الرِّضى، فأطيعوهُ!" 6ولمّا سَمِعَ أتباعُهُ ﷺ ذاكَ الصَّوتَ خَرّوا أرضًا خِشيةً ورَهبةً 7فاقتَرَبَ مِنهُم عيسى ﷺ ولَمَسَهُم قائلاً: "انهَضوا ولا تَخافوا". 8فنَظَروا حَولَهُم فلم يَروا إلاّ عيسى ﷺ وَحدَهُ.

9وعِندَما غادَروا المَكانَ ونَزَلوا مِن الجَبَلِ، أوصاهُم سَيِّدُنا عيسى ﷺ قائلاً: "لا تُخبِروا أحَدًا بما رَأيتُم حتّى اليَومِ الّذي يُبعَثُ فيهِ سَيِّدُ البَشَرِ حيًّا". 10وهُنا تَوَجَّهوا إليهِ بالسُّؤالِ مُستَفسِرينَ: "لِماذا يَقولُ عُلَماءُ التَّوراةِ إنّ عَودةَ النَّبيِّ إلياسَ مِن غَيبتِهِ ستَكونُ قَبلَ مَجيءِ المَسيحِ المُنتَظَرِ؟!" (3) 11فأجابَهُم: "صَدَقَ عُلَماءُ التَّوراةِ في هذا، إنّ إلياسَ قد عادَ فِعلاً للمُصالَحةِ بَينَ النّاسِ في كُلِّ شؤونِهِم، 12لكنّهُم لم يُدرِكوا هويَّتَهُ، وأساؤوا مُعامَلتَهُ، فكذلِكَ حالُ سَيّدِ البَشَرِ الّذي سيَكونُ عَذابُهُ على أيدي هؤلاءِ". 13عِندئذٍ فَهِمَ الأتباعُ بأنّ ذلِكَ النَّبيَّ العائدَ إنّما هو يَحيى بن زَكَريّا عليه السلام. (4)

---

(1) كان النبي موسى والنبي إلياس قائدين بارزين لبني يعقوب. وذكرهما هنا بمثابة استحضار للتوراة وكتب الأنبياء.

(2) كان بطرس يعتقد أنه من الضرورة أن يسكن النبي إلياس على الأرض مدّة من الزمن بعد رجوعه من الغيبة، ويكون هذا قبل يوم الدين. وكان اعتقاده يتّفق مع مفهوم عامة الناس لنبوءات الأنبياء، لذا استحسن بناء مقام له ولمرافقيه.

(3) طرح الحواريون هذا السؤال لاعتقادهم أن النبي إلياس سيبقى في الأرض مدة من الزمن قبل بعث الأموات ويوم الدين. لكن عندما ظهر النبي إلياس أمامهم، ولم يبق فترة طويلة، احتاروا في كلام سيّدنا عيسى عن قيامته في المستقبل القريب. وكانوا يشيرون هنا إلى نبوءة النبي ملاكي، الذي أنبأ بعودة النبي إلياس قبل يوم الدين ومجيء المسيح المنتظر قائلاً: "ها أنا أرسل إليكم النبي إلياس قبل أن يأتي يومُ قضاء الله العظيم الرهيب".

(4) كان السيد المسيح يقصد بهذا الكلام أن النبي يحيى حقق بظهوره الوعود التي جاءت عن النبي إلياس.

عيسى ﷺ يحرّر ولدًا من مسّ شيطانيّ

[14]وعِندَ وُصولِهِم إلى سَفحِ الجَبَلِ وعَودتِهِم إلى الجُموعِ، أقبَلَ على سَيِّدِنا عيسى ﷺ رَجُلٌ ورَكَعَ أمامَهُ [15]قائلاً: "يا سَيِّدي، ارحَم ابنِي مِن داءِ الصَّرعِ الّذي يُعَذِّبُهُ كَثيرًا، فيَجعَلُهُ عُرضةً للخَطَرِ، إذ كَثيرًا ما يَسقُطُ في النّارِ أو يَغرَقُ في الماءِ. [16]وقد أحضَرتُهُ لأتباعِكَ لِيَشفُوهُ إلاّ أنّهُم فَشِلوا في ذلِكَ".

[17]فالتَفَتَ ﷺ إلى الحاضِرينَ قائلاً: "أيُّها الشَّعبُ الضّالُّ، أتَظُنّونَ أنّي باقٍ بَينَكُم إلى الأبَدِ؟ إلى مَتى أصبِرُ على ضَلالِكُم؟! هاتوا الصَّبيَّ". [18]فحَمَلوهُ إليهِ فعَرَفَ سَيِّدُنا عيسى بأنّ هُنالِكَ شَيطانًا يَصرَعُهُ، فنَهَرَ الشّيطانَ ووَبَّخَهُ، فانسَلَّ مِنهُ سَريعًا وأصبَحَ الصَّبيُّ سالِمًا مُعافًى. [19]ثُمّ جاءَهُ أتباعُهُ وسَألوهُ على انفِرادٍ: "لِمَ عَجَزنا نَحنُ عن فِعلِ ذلكَ؟!" [20]فأجابَهُم قائلاً: "لِضآلَةِ ثِقَتِكُم باللهِ. والحَقَّ أقولُ لكُم: لو كُنتُم تَملِكونَ مِنَ الثِّقَةِ بِهِ تَعالى مِقدارَ حَبّةِ خَردلٍ، فحتّى الجَبَلُ يَنصاعُ لأوامِرِكُم بمُجَرَّدِ أن تأمُروهُ، فيَنتَقِلَ مِن مَكانِهِ إلى مَكانٍ آخَر! وما استَحالَ عليكُم شَيءٌ! [21]أمّا هذا النَّوعُ مِنَ الشَّياطينِ فلا تَستَطيعونَ قَهرَهُ مِن تِلقاءِ أنفُسِكُم، إلاّ بطَلَبِ عَونِ اللهِ بالصَّومِ والصَّلاةِ".

نبوءة السّيّد المسيح مرّة ثانية بموته

[22]وذاتَ مَرّةٍ عِندَما كانَ ﷺ وأتباعُهُ في الجَليلِ، أخبَرَهُم قائلاً: "ستَتِمُّ خِيانةُ سَيِّدِ البَشَرِ بتَسليمِهِ إلى جَماعةٍ مِنَ النّاسِ [23]لِقَتلِهِ، ولكِنّهُ سيُبعَثُ في اليومِ الثّالثِ حيًّا". وعِندئذٍ حَزِنَ أتباعُهُ ﷺ حُزنًا شَديدًا.(1)

عيسى ﷺ والضّريبة الّتي تقدّم لبيت الله

[24]وعِندَ وُصولِهِ ﷺ وأتباعِهِ بَلدةِ كَفْرَناحومَ، أقبَلَ جامِعو ضَريبةِ الدِّرهَمَين على بُطرُسَ الصَّخرِ سائلينَ: "مُعَلِّمُكُم يؤدّي ما يَجِبُ عليهِ مِن ضَريبةٍ لِبَيتِ اللهِ المُقَدَّسِ، ألَيسَ كذلِكَ؟"(2) [25]فأخبَرَهُم بالإيجابِ. وعِندَ دُخولِ بُطرُسَ الدّارِ بادرَهُ ﷺ بقولِهِ:

---

(1) فهم الحواريون من كلام سيِّدنا عيسى أنه كان يشير إلى موته ثم بعثه مع جميع الموتى يوم القيامة، لذلك لم يفهموا المقصود من كلامه. فقد كان يتنبأ بأنه سيبعث من الموت في زمنهم، قبل يوم القيامة، ولن يموت بعد ذلك أبدًا.

(2) أظهر اليهود انتماءهم إلى شعبهم في فلسطين ودعمهم لبيت الله المقدّس من خلال دفع هذه الضريبة. لكن بما أن السيد المسيح انتقد فساد نظام بيت الله، فكر جُباة الضرائب أنّه ربما سيرفض دفع الضريبة.

"أخبِرني يا بُطرُسُ، مِمَّن يأخُذُ مُلوكُ الأرضِ الضَّريبةَ أو الجِزية؟ هل يَجْبونَها مِن أهلِ بيتِهِم أم مِن الآخَرينَ؟!" [26]فأجابَهُ: "إنّهُم يَجمَعونَها مِن الآخَرينَ". فقالَ ﷺ: "فالضَّريبةُ إذن غَيرُ مَفروضةٍ على بُيوتِ المُلوكِ. [27]وهكذا يَجبُ أن يَكونَ حالي وحالُ أتباعي، أهل بَيتِ اللهِ، لَيسَ علينا أداءُ تِلكَ الضَّريبةِ، ولكن حتّى لا نُثيرَ حَولَنا الشُّبُهاتِ، اذهَبْ إلى البُحيرةِ وألقِ الصِّنّارةَ والتَقِطْ أوّلَ سَمَكةٍ، فستَجِدُ في فَمِها قِطعةَ نَقدٍ قيمتُها أربعَة دَراهِم. فخُذها وادفعها عنّا نَحنُ الاثنَين".

١٨
الفصل الثّامن عشر

قيم أهل المملكة الرّبّانيّة: التّواضع

[1]وبَعدَ حَديثِهِ ﷺ مَعَ بُطرُسَ الصَّخر بقَليلٍ، أقبَلَ عليهِ أتباعُهُ وسألوهُ: "مَن أعظَمُ شأنًا في أهلِ المَملَكةِ الرَّبّانيّةِ؟" [2]فاستَدعى ﷺ طِفلاً وطَلَبَ مِنهُ الوقوفَ في وَسَطِهِم [3]قائلاً: "الحقَّ أقولُ لَكُم، إن لم تَتَغيّروا وتُصبِحوا مِثلَ الأطفالِ بغَيرِ مَراكِز، فلَن يَكونَ بمَقدورِكُم الانضِمامُ إلى مَملكةِ اللهِ المَوعودةِ.(1) [4]مَن استَطاعَ مِنكُم التَّواضُعَ كالأطفالِ، كانَ الأرفَعَ شأنًا في مَملكةِ اللهِ. [5]ومَن قَبِلَ مَبعوثي ولو كانَ طِفلاً، فقد قَبِلَني".

[6]"وأقولُ لكُم: مَن ضَلَّلَ أحَدَ المؤمنينَ بي، وإن كانَ صَغيرَ الشّأنِ، فسَوفَ يَنوءُ بذَنبِهِ. عِندئذٍ خَيرٌ لهُ أن يَحمِلَ حَجَرَ الرَّحى على كاهِلِهِ، ويَغوصَ في البَحرِ بَعيدًا مِن أن يواجِهَ خالقَهُ بهذا الذَّنبِ. [7]والوَيلُ ثُمّ الوَيلُ لمَن يَحمِلُ النّاسَ على الضّلالِ. إنّ الضَّلالَ مَوجودٌ في الدُّنيا لا مَحالة، ولكنِ الوَيلُ والثُّبورُ لمَن يُضَّلِّلُ النّاسَ!

[8]وأقولُ: إن كانَت يَدُكَ أو رِجلُكَ سَببًا لضَلالِكَ، فاقطَعْها وارمِها بَعيدًا، فالأفضَلُ أن تَدخُلَ دارَ الخُلدِ بيَدٍ واحدةٍ أو برِجْلٍ واحدةٍ مِن أن يَكونَ لكَ يَدانِ ورِجلانِ وتُرمى في النّارِ الأبديّة. [9]وإن كانَ لِعَينِكَ دورٌ في ضَلالِكَ فاقلَعْها وارمِ بها

(1) في عصر السيد المسيح لم تكن للأطفال أية مرتبة أو سلطة أو اعتبار في حد ذاتهم، بل كانوا معتمدين بشكل تام على والديهم. والسيد المسيح يحثّ أتباعه هنا على التواضع أمام الله، والخضوع له والاعتماد عليه تعالى كأنهم أطفال.

بَعيدًا، فخَيرٌ لكَ أن تَدخُلَ دارَ الخُلدِ بِعَينٍ واحدةٍ مِن أن يَكونَ لكَ عينانِ وتُلقى في نارِ جَهَنَّم.

[10]إيّاكُم أن تَحتَقِروا أحدَ أتباعي حتّى لو كانَ ضَعيفًا، فإنّهُم يَحظَونَ بحِراسةِ مَلائكتِهِم الأعلى دَرَجةً في السَّماءِ إذ يَنظُرونَ في كُلِّ حينٍ إلى وَجهِ اللهِ أبي الصَّمَدِ في عُلاه."

الخروف الضّائع

[11]"لقد جاءَ سَيِّدُ البَشَرِ مِن أجلِ هؤلاءِ الضّالّينَ ليُنقِذَهُم إلى الأبَدِ. [12]وما رأيُكُم، إن كانَ لرَجُلٍ مِئةُ خَروفٍ، وضَلَّ واحدٌ مِنها، ألا يَترُكُ القَطيعَ كُلَّهُ بعُهدةِ آخَرَ ويَذهَبُ للبَحثِ عَنهُ في التِّلالِ؟ [13]وحينَ يَجِدُهُ ألا يَفرَحُ بِهِ كَثيرًا؟! الحقَّ أقولُ لكُم: ستَكونُ فَرحَتُهُ بالعُثورِ عليهِ أكثَرَ مِن فَرحَتِهِ بالخِرافِ التِّسعةِ والتِّسعينَ الّتي لم تَضِلّ. [14]كذلكَ هو فَرَحُ اللهِ أبيكُم الرَّحيمِ في عُلاه، لأنّهُ لا يُريدُ ضَلالَ أيِّ واحدٍ مِنكُم يا أتباعي".

الأخ الّذي يخطئ

[15]"وأقولُ لكُم، إنْ أخطَأَ أخوكَ المؤمنُ في حَقِّكَ، فاذهَب إليهِ، وأفصِحْ لهُ عَمّا في قَلبِكَ وعاتِبْهُ على انفِرادٍ. فإن أصغى إليكَ فُزتَ بأخيكَ، [16]وإن لم يَسمَع فعُدْ إليهِ مَرّةً أُخرى بصُحبةِ واحدٍ أو اثنينِ مِن إخوانِكَ، لأنّ الحُكمَ في القَضايا لا يَكونُ إلاّ بناءً على شَهادةِ شاهدَينِ أو ثلاثةٍ، كما جاءَ في التَّوراةِ. [17]فإن رَفَضَ ذلِكَ، فأخبِرْ جَماعةَ المؤمنينَ، فإن أقرّوا أنّكَ على صَوابٍ، ورَفَضَ الاستِماعَ إليهِم جَميعًا، فاعتَبِرْهُ كالوَثَنيِّ أو جابي ضَرائبِ الرُّومان. [18]والحقَّ أقولُ لكُم: إنّ اللهَ مَنَحَكُم القُدرةَ على تَفسيرِ تَعاليمي وخُصوصًا مِنها تِلكَ الّتي تَتَعَلَّقُ بالحَلِّ والرَّبطِ. [19]فإنِ اتَّفَقَ اثنانِ مِنكُم على أمرٍ يَطلُبانِهِ في دُعائِهِما، فإنّ اللهَ أبي الصَّمَدَ في عُلاه يَستَجيبُ لهُما، [20]لأنّهُ حَيثُ يَجتَمِعُ اثنانِ أو ثلاثةٌ مِن أتباعي باسمي، فأنا مَعَهُم".

ضرورة المسامحة

[21]ثُمّ أقبَلَ بُطرُسُ الصَّخرُ على سَيِّدِنا عيسى عَلَيۡهِ سَلَامُهُ قائلاً: "يا سَيِّدي، كَم مَرّةً أُسامِحُ أخي المؤمنَ إن اخطَأَ بحَقّي؟ أسبعَ مَرّاتٍ أُسامِحُهُ؟" [22]فأجابَهُ عَلَيۡهِ سَلَامُهُ: "لَيسَ سَبعًا بل سَبعًا وسَبعينَ مَرّة!(1)

(1) كان فقهاء اليهود في ذلك الوقت يعلّمون الناس أن مسامحة أخطاء شخص ما ثلاث مرات كان أمرا =

[23]فإنّ مَثَلَ التَّسامُحِ في مَملكةِ اللهِ كمَثَلِ مَلِكٍ أرادَ أن يُحاسِبَ رِجالَ حاشيتِهِ الّذينَ اقتَرَضوا مِنهُ مالاً. [24]فجيءَ إليهِ بواحدٍ مَدين لهُ بمِليون قِطعةٍ مِن الفِضّة، [25]ولم يَكُن يَملِكُ ما يُسَدِّدُ بِهِ الدَّينَ، فأمَرَ المَلِكُ ببَيعِ الرَّجُلِ وامرأتِهِ وأولادِهِ عَبيدًا، وكُلِّ ما يَملِكُ لسَدادِ الدَّين. [26]إلاّ أنّ الرَّجُلَ ألقى بنَفسِهِ أمامَ المَلِكِ مُتَضَرِّعًا قائلاً: "أمهِلني عَلَّني أُسَدِّدُ ما عليّ مِن دَينٍ!" [27]فأشفَقَ عليهِ المَلِكُ وسامَحَهُ بما لهُ عليهِ مِن دَينٍ، وأطلَقَ سَراحَهُ. [28]وعِندَما غادَرَ ذلكَ الرَّجُلُ المَكانَ، لقي زَميلاً لهُ مِن رِجالِ الحاشيةِ كانَ لهُ عليهِ دَينٌ بَسيطٌ بقيمةِ مِئة دِرهَم، فأمسَكَ بِهِ وأخَذَ بخِناقِهِ قائلاً: "ادفَع ما لي عليكَ مِن دَينٍ!" [29]فرَمى زَميلُهُ بنَفسِهِ عِندَ قدميهِ مُتَوَسِّلاً قائلاً: "أمهِلني عَلَّني أُسَدِّدُ ما عليّ مِن دَين!" [30]إلاّ أنّ صاحِبَ الدَّينِ رَفَضَ تَوَسُّلَ الرَّجُلِ وألقاهُ في السِّجنِ لِسَدادِ الدَّينِ.(1) [31]ورأى الآخَرونَ مِن رِجالِ الحاشيةِ ما حَصَلَ فاستاؤوا كَثيرًا، وأخبَروا سَيِّدَهُم المَلِكَ بكُلِّ ما جرى. [32]فنادى المَلِكُ على الرَّجُلِ قائلاً: "أيُّها الفاسِدُ، تَوَسَّلتَ إليّ فأسقَطتُ عَنكَ دُيونَكَ، [33]ألم يَكُن الأجدَرُ بكَ أن تَرحَمَ زَميلَكَ كَما رَحِمتُكَ أنا؟!" [34]وغَضِبَ المَلِكُ وسَلَّمَهُ إلى الجَلاّدينَ في السِّجنِ حتّى يَدفَعَ كُلَّ ما عليهِ مِن دَينٍ. [35]وأقولُ لكُم هكذا يُعامِلُكُم اللهُ أبي الصَّمَدُ إن لم يَصفَح أحَدُكُم عن أخيهِ المؤمنِ مِن كُلِّ قَلبِهِ".

١٩
الفصل التّاسع عشر

عيسى سَلامُهُ عَلَينا وحديثه عن الطّلاق

[1]بهذِهِ الكَلِماتِ أنهى سَيِّدُنا عيسى سَلامُهُ عَلَينا كَلامَهُ ثُمّ غادَرَ الجَليلَ إلى مِنطَقةِ يَهوذا عن طَريقِ الضِّفةِ الشَّرقيّةِ مِن نَهرِ الأُردُنّ، [2]وتَبِعَهُ جَمعٌ غَفيرٌ مِن النّاسِ بقَصدِ الاستِشفاءِ

= محمودا، لذلك ظن بطرس الصخر أن مسامحة الأخطاء سبع مرات عمل كريم جدا. لكن سيِّدنا عيسى يدعو هنا إلى ضرورة الاستعداد لمسامحة الأخطاء دون حدود. واختياره العدد الرمزي 77 كان إشارة إلى أحد المقاطع في التوراة (سفر التكوين 4: 23-24) عن شخص من نسل قابيل بن آدم، أول المجرمين القَتلة، وهذا الشخص يدعى لامِك. وقد أعلن في ذلك المقطع بشكل وحشي أنه ينتقم لنفسه سبعة وسبعين مرة. وهو الموقف الذي يتنافض تماما مع تعاليم السيد المسيح.

(1) يُلقى هذا الشخص في السجن بسبب ديونه التي لا يستطيع تسديدها وذلك طمعا في أن يسددها له أهله وأصدقاؤه.

فشَفاهُم هُناكَ. 3وأقبَلَ عليهِ بَعضٌ مِن المُتَشَدِّدينَ يُريدونَ إحراجَهُ بقَولِهِم: "هل يَجوزُ
أن يُطَلِّقَ الرَّجُلُ امرأتَهُ لأيِّ سَبَبٍ كانَ؟!" 4فأجابَهُم سلامه علينا: "ألم تَقرأُوا في التَّوراةِ أنّهُ
تَعالى خَلَقَهُما مُنذُ البَدءِ ذَكَرًا وأُنثى؟ 5ثُمّ قالَ تَعالى: "لذلِكَ يَترُكُ الرَّجُلُ أُمَّهُ وأباهُ
ليَقتَرِنَ بزَوجِهِ فيؤلِفانِ عائلةً جَديدةً". 6وباقتِرانِهِما يُصبِحانِ واحِدًا، فما جَمَعَهُ اللهُ لا
يُفَرِّقُهُ إنسانٌ". 7فأضافوا قائلينَ: "إذن لِماذا أباحَ النَّبيُّ موسى تَطليقَها وإعطاءَها وَرَقةٍ
بذلك؟" 8فأجابَ سلامه علينا قائلاً: "إنّما أباحَ موسى طَلاقَ النِّساءِ لِما في قُلوبِكُم مِن
تَعنُّتٍ. والأمرُ لم يَكُن كذلِكَ في البَدءِ. 9وها أنا أُخبِرُكُم أنّ مَن عَمَدَ إلى طَلاقِ
زَوجَتِهِ، إلاّ إذا ارتَكَبَت الزِّنى، ثُمّ اقتَرَنَ بأُخرى، فإنّهُ يرتَكِبُ خِيانةً بحَقِّها". (1) 10هُنا
التَفَتَ إليهِ أتباعُهُ قائلينَ: "إذا كانَ عَقدُ الزَّواجِ غَيرَ قابلٍ للفَسخِ، فالأفضَلُ عَدَمُ
الزَّواجِ!" 11فأجابَهُم بقَولِهِ: "لا يَمتَنِعُ عن الزَّواجِ إلاّ القَليلُ، وهؤلاءِ اختاروا ذلكَ
بعَونٍ مِن اللهِ. 12إلاّ أنّ هُناكَ أسبابًا تَمنَعُ مِن الزَّواجِ، كالعَجزِ الخِلقي، أو بسَبَبِ
الخَصي، إلا أنّ هُناكَ فِئةً تَرفُضُ الزَّواجَ في سَبيلِ المَملكةِ الرَّبّانيّةِ، فمَن أرادَ أن يَقبَلَ
فليَقبَل".

عيسى سلامه علينا يبارك الأطفال

13وجاءَ بَعدَ ذلِكَ بَعضُ النّاسِ بأطفالِهِم إليهِ سلامه علينا ليَدعُوَ لهُم ويَطلُبَ لهُم البَرَكةَ مِن
اللهِ بَعدَ أن يَضَعَ يدَهُ عليهِم، فزَجَرَهُم أتباعُهُ. 14ولكنّ سَيِّدَنا عيسى سلامه علينا قالَ لهُم:
"دَعوا الأطفالَ يأتونَ إليّ ولا تَمنَعوهُم، فالمَملكةُ الرَّبّانيّةُ لأمثالِهِم". 15ووَضَعَ يَديهِ
على رُؤوسِ الأطفالِ وبارَكَهُم وانصَرَفَ.

عيسى سلامه علينا والشّابُ الغني

16وأقبَلَ عليهِ شابٌّ مُستَفسِرًا: "أيُّها المُعَلِّمُ، ما هي الصّالحاتُ الّتي أعمَلُها
للفَوزِ بدارِ الخُلودِ؟" 17فأجابَهُ قائلاً: "لِمَ تَسألُني عن الصَّلاحِ؟! إنّما الصَّلاحُ المُطلَقُ

(1) أباح بعض علماء اليهود الطلاق لأسباب واهية، بينما فعل آخرون ذلك فقط في حالة الزنى. وعقوبة الزنى هي الموت حتما حسب التوراة. لكن تحت الاحتلال الروماني صار اليهود يعملون حسب القانون الروماني، وفرضوا الطلاق في حالة زنى الزوجة. وقد أقرّ السيد المسيح بأن الطلاق غير شرعي لأي سبب باستثناء الزنى، فمن يحاول أن يطلّق زوجته يعتبرها كأنما قد خانته، وعند زواجه امرأة أخرى يكون قد خان عهد زواجه بزوجته الأولى، حيث العقد الأول لم يزل قائما عند الله.

للهِ وَحدَهُ! فإذا أَردتَ الخُلودَ عِندَ اللهِ فعليكَ العَمَلُ بوَصاياهُ". [18]فتَساءَلَ الشّابُّ: "وما هي الوَصايا الّتي أعمَلُ بها؟" فأردَفَ ﷺ قائلاً: "لا تَقتُلْ، لا تَزنِ، لا تَسرِقْ، لا تَشهَدْ شَهادةَ الزُّورِ، [19]أكرِمْ أباكَ وأُمَّكَ، وأحِبَّ جارَكَ كَما تُحِبُّ نَفسَكَ" [20]فقالَ الشّابُّ: "إنّي أتبَعُ هذِهِ الوَصايا كُلّها. أهُناكَ شَيءٌ غَيرها؟!" [21]فقالَ ﷺ: "إن أَرَدتَ الإخلاصَ التّامَ للهِ، فامضِ وبِع كُلَّ ما تَملِكُ وجُد بثَمَنِهِ على الفُقَراءِ، فيَكونَ لكَ بذلِكَ كَنزٌ عَظيمٌ عِندَ اللهِ، ثُمّ تَعالَ وكُن مِن أتباعي". [22]وعِندَما سَمِعَ الشّابُّ ذلِكَ، مَضى وقد انتابَهُ غَمٌّ شَديدٌ لأنّهُ كانَ عَظيمَ الثّراء.

[23]وهُنا التَفَتَ سَيِّدُنا عيسى ﷺ مُخاطِبًا أتباعَهُ قائلاً: "الحقَّ أقولُ لكُم: ما أصعَبَ دُخولَ ثَريٍّ إلى المَملكةِ الرَّبّانيّةِ! [24]إنّ دُخولَ الجَمَلِ في سَمِّ خياطٍ (ثقب الإبرة) أسهَلُ وأهوَنُ مِن دُخولِ غَنيٍّ إلى مَملكةِ اللهِ". [25]فارتَسَمَت الدَّهشَةُ على وجوهِ الأتباعِ عِندَ سَماعِهِم ذلِكَ وقالوا: "إذا كانَ الأمرُ هكذا، فمَن يَستَطيعُ أن يَفوزَ بالنَّجاةِ إذن؟!"(1) [26]فحَدَّقَ إليهِم ﷺ وقالَ: "إنّ ما تَعجِزونَ عَنهُ لَهُوَ بيَدِ اللهِ القادرِ على كُلِّ شَيء". [27]فالتَفَتَ إليهِ بُطرُسُ الصَّخرُ قائلاً: "ها قد تَرَكنا كُلَّ شَيءٍ وَراءَنا وتَبِعناكَ! فما أجرُنا لِقاءَ ذلِكَ؟!" [28]فأجابَهُم ﷺ: "الحقَّ أقولُ لكُم: عِندَ تَجديدِ الأرضِ وما عليها، سأجلِسُ أنا سَيِّدُ البَشَرِ على عَرشي المَجيدِ، وسَيَكونُ لكُم يا أتباعي شَرَفُ الجُلوسِ مَعي، وتَحكُمونَ على عَشائرِ بَني يَعقوبَ الاثنَتَي عَشرَة. [29]وأقولُ لكُم إنّ كُلَّ مَن تَرَكَ ديارَهُ وإخوتَهُ وأخواتِهِ، ووالديهِ وأولادَهُ وأراضيهِ في سَبيلي، سَوفَ يُعَوِّضُهُ اللهُ عن كُلِّ ذلِكَ بمِئةِ ضِعفٍ، ويَكونُ مَعَ الخالِدينَ. [30]فكَثيرٌ مِمَّن كانوا مُحتَقَرينَ في الحياةِ الدُّنيا سَيَكونونَ في الآخِرةِ مِن الأوّلينَ، وكَثيرٌ مِنَ الّذينَ كانوا في الحَياةِ الدُّنيا مِن الأوّلينَ سَيَصيرونَ في الآخِرةِ مِن المُحتَقَرينَ".(2)

---

(1) تعجّب الحواريون من قول السّيّد المسيح لأنّهم كانوا يتصوّرون أنّ الرجل الغني قد نال رضى الله بما أنعم عليه من مال.

(2) كان أغلب اليهود يؤمنون بأنّ الله سيحكم بعدل يوم الحساب، ويرفع شأن اليهود بينما يقهر غيرهم من الشعوب. ولكن سيدنا عيسى هنا يقول بعكس توقّعاتهم ويؤكد أن اليهود غير المؤمنين سيطردون خارج المملكة الربانية بينما الأغراب يحصلون على نصيب في تلك المملكة.

٢٠
الفصل العشرون

مَثل العمّال

[1]ثُمّ أردَفَ قائلاً: "مَثَلُ المَملَكةِ الرَّبّانيّةِ كمَثَلِ قِطعةِ أرضٍ فيها كُرومٌ خَرَجَ صاحِبُها فَجرًا ليَستأجرَ عُمّالاً ليَعمَلوا فيها، [2]فالتَقى مَجموعةً مِنَ العُمّالِ واتَّفَقَ مَعَهُم على الأجرِ، وذلِكَ أن يُعطيَ دينارًا لكُلِّ واحدٍ مِنهُم مُقابِلَ عَمَلِهِم في كُرومِهِ. ثُمّ أرسَلَهُم إليها. (1) [3]وبَعدَ ذلِكَ مَرَّ في السُّوقِ وكانَت السّاعة التّاسِعةَ صَباحًا فوَجَدَ في السّاحةِ مَجموعةً مِن العُمّال بلا عَمَلٍ، [4]فأرسَلَهُم إلى كُرومِهِ ليَعمَلوا فيها على أن يُعطيَهُم حقَّهُم مِن الأُجرةِ في نهايةِ النّهارِ. [5]ثُمّ خَرَجَ والوَقتُ ظُهرًا، وعاوَدَ الخُروجَ في العَصرِ، وفي كُلِّ مَرّة يُصادِفُ عُمّالاً فيُرسِلُهُم للعَمَلِ في كُرومِهِ. [6]وفي السّاعةِ الخامِسةِ مَساءً خَرَجَ إلى السُّوقِ فوَجَدَ آخَرينَ واقِفينَ. فقالَ لهُم: "ما لكُم تَقِفونَ هُنا كُلَّ النّهارِ عاطِلينَ عن العَمَلِ؟" [7]فأجابوهُ: "لم يَستأجِرنا أحَدٌ!" فأرسَلَهُم أيضًا إلى العَمَلِ في كُرومِهِ. [8]وعِندَ حُلولِ المَساءِ أيضًا طَلَبَ صاحِبُ الكُروم مِن وَكيلِهِ أن يَدفَعَ للعُمّالِ أُجورَهُم مُبتَدِئًا بمَن جاؤوا مُتأخّرينَ مُنتَهيًا بمَن جاؤوا باكِرًا. [9]فتَقَدَّمَ الّذينَ بَدأُوا عَمَلَهُم في المَساءِ فأعطاهُم دينارًا. [10]ثُمّ جاءَ في النّهايةِ الّذينَ بَدأُوا عَمَلَهُم باكِرًا وهم يَظُنّونَ أنّ أجرَهُم سيَكونُ أعلى، ولكنّ أجرَهُم كان كأجرِ غَيرِهِم مِن العُمّالِ، دينارًا واحِدًا لكُلِّ واحدٍ مِنهُم. [11]فأخَذوا في الاحتِجاجِ على صاحِبِ الأرضِ [12]قائلين: "أيُّ عَدلٍ هذا وقد ساوَيتَ بَينَنا كُلّنا، ونَحنُ تَحمَّلنا حَرَّ الشَّمسِ والتَّعبِ مِن أوَّلِ النّهارِ في حينِ أنّ أولئكَ الّذينَ أتوا للعَمَلِ في آخِرِ النّهارِ لم يَتعَبوا مِثلنا؟!" [13]فخاطَبَ أحدَهُم قائلاً: "يا صاحِبي، وهل بَخستُ لكَ حقًّا؟ ألم أتّفِق مَعَكَ على دينارٍ مُقابِلَ عَمَلِكَ؟! [14]فخُذ حَقَّكَ وانصَرِفْ. أنا صاحِبُ الشأنِ أُريدُ أن أُعطيَ الّذي أتى مُتأخِّرًا مِثلَما أُعطيكَ أنت، [15]أليسَ لي الحَقُّ أن أتَصرَّفَ بمالي كما أُريدُ؟! لِمَ تَحسُدُ غيرَك بسَبَبِ كَرَمي؟" [16]وأضافَ ﷺ قائلاً: "إنّ العِبرةَ في ذلِكَ أنّ اللهَ سيَرفَعُ مَن اعتَبَروا أنفُسَهُم مِن المُهَمَّشينَ إلى الصَّدارةِ، أمّا أولئكَ الّذينَ اعتَبَروا أنفُسَهُم في الصَّدارةِ فيُنزِلُهُم إلى مَرتَبةِ المُهَمَّشينَ". (2)

---

(1) كانت قيمة الدينار آنذاك تعادل أجر عامل ليوم واحد.

(2) يعطي صاحب الأرض في هذه القصة أجر يوم كامل للعمال الذين عملوا بضع ساعات فقط، وهذا =

عيسى ﷺ ينبئ بموته مرّةً ثالثة

[17]وعِندَما كانَ ﷺ في طَريقِهِ إلى مَدينةِ القُدسِ، انفَرَدَ بحَوارِيّيهِ الاثني عَشَر جانبًا ليُخبِرَهُم قائلاً: [18]"تَنَبَّهوا! إنّنا في طَريقِنا إلى القُدسِ، وهُناكَ يَتِمُّ خيانةُ سَيِّدِ البَشَرِ بتَسليمِهِ إلى رُؤساءِ الأحبارِ والفُقَهاءِ الّذينَ سيُصدِرونَ حُكمَهُم عليهِ بالمَوتِ، [19]ثُمّ يُسَلِّمونَهُ إلى الأعرابِ الّذينَ سيَسخَرونَ مِنهُ، ويَجلِدونَهُ ويَصلِبونَهُ. ولكنّهُ سيُبعَثُ حيًّا في اليَومِ الثّالثِ".

كبيرُ القومِ خادمهم

[20]ثُمّ اقتَرَبَت مِنهُ ﷺ زَوجةُ زَبَدي مَعَ ابنَيها الحَوارِيّيْنِ يَعقوبَ ويوحنّا، وانحَنَت أمامَهُ وطَلَبَت مِنهُ مَعروفًا. [21]فقالَ لها: "ما غايَتُكِ؟" فأجابَتهُ: "إنّما أطلُبُ مِنكَ أن تَمنَحَ ولَدَيَّ شَرفَ الجُلوسِ في مَملكتِكَ أحَدُهُما عن يَمينِكَ والآخَرُ عن يَسارِكَ".
[22]فالتَفَتَ ﷺ إلى يَعقوبَ ويوحنّا قائلاً: "أنتُما لا تَدرِيانِ، ولا رَيبَ، مَعنى هذا الطَّلَبِ! هل تَكونانِ قادرَينِ على تَجَرُّعِ كأسِ الآلامِ الّتي سأتَجَرَّعُها أنا؟!" فأجاباهُ: "أجل، إنّنا نَقدِرُ على ذلِكَ". [23]فرَدَّ علَيهِما قائلاً: "حقًّا إنّكُما ستَتَجَرَّعانِ مِثلي كأسَ الآلامِ، أمّا بالنِّسبةِ إلى مَوقعِكُما عن يَميني وشِمالي فهذا ما لا يَحِقُّ لي أن أمنَحَهُ لأحَدٍ، فتِلكَ المَكانةُ هي لمَن اختارَهُ اللهُ أبي الصَّمَدُ". [24]وعِندَما سَمِعَ بَقيّةُ الحَوارِيّينَ ذلِكَ، استاؤوا مِمّا فَعَلَ الأخَوان، [25]فاستَدعاهُم ﷺ وقالَ لهُم: "أنتُم تَعلَمونَ كَيفَ يَتَسلّطُ مُلوكُ الأجانِبِ على شُعوبِهِم، وكَيفَ يُهَيمِنُ عُظَماؤهُم عليهِم، [26]فلا تَكونوا مِثلَهُم. مَن أرادَ أن يَكونَ عَظيمًا بَينَ المؤمنينَ فليَكُنْ خادِمَهُم، [27]ومَن أرادَ أن يَكونَ سَيِّدَ المؤمنينَ فليَكُن عَبدَهُم. [28]فسَيِّدُ البَشَرِ نَفسُهُ، جاءَ لا ليَخدِمَهُ النّاسُ، بل ليَقومَ هو على خِدمَتِهِم ويُضَحّي بحَياتِهِ ليَفدي الكَثيرينَ مِنهُم".

= من رأفته واهتمامه لحالة عائلاتهم الجائعة. أما من عملوا من أول النهار، فقد اتفقوا على مبلغ دينار مقابل عملهم فليس من حقهم أن يتوقّعوا مبلغا أكبر من ذلك. فهذه الجماعة تمثل اليهود، أهل ميثاق الله في طور سيناء، بينما الجماعة الثانية تمثل غيرهم من الشعوب. لقد توقّع اليهود أنّ الله سيعاملهم يوم الدين معاملة أحسن من معاملة الأعراب، ولكن السيد المسيح يعلّم من خلال هذه القصة أن الله لا يحابي الناس على أساس عرقهم. كما نرى، في الوقت نفسه، من خلال هذه القصة كيف أن الله يرأف بالضالين والمحتاجين.

عيسى عليه السلام يبرئ كفيفين

29ثُمّ سَعى عليه السلام مِن مَدينة أريحا، ومَضَى على إثرِهِ جَمعٌ غَفيرٌ مِن النّاسِ،
30وصادَفَ وُجودُ كَفيفَيْنِ جالِسَينِ على جانِبِ الطَّريقِ، وعِندَما وَصَلَ إلى أسماعِهِما بأنّ
عيسى عليه السلام يَمُرُّ مِن أمامِهِما، استَنجَدا بِهِ صارِخَينِ: "يا سَيِّدَنا، يا وَريثَ مَملكةِ النَّبيِّ
داودَ ارحَمنا!" 31فوبَّخَهُما مَن كانَ حَولَهُما قائلينَ: "أُسكُتا!" ولكنّ صُراخُهُما أخَذَ
يَتَعالى وهُما يُرَدِّدانِ: "أيُّها السّيِّدُ يا صاحِبَ عَرشِ داودَ ارحَمنا!" 32فتَوقَّفَ سَيِّدُنا
عيسى عليه السلام وطَلَبَهُما قائلاً: "ماذا تُريدانِ مِنّي؟!" 33فأجابا: "مَولانا، رُدّ إلينا بَصرَنا!"
34فلَمَسَ أعيُنَهُما مُشفِقًا، فعادَ إليهِما بَصَرُهُما على الفَورِ وقاما وتَبِعاهُ.

٢١
الفصل الحادي والعشرون

القدس تستقبل عيسى عليه السلام

1وعِندَما اقتَرَبَ سَيِّدُنا عيسى عليه السلام وأتباعُهُ مِن مَدينةِ القُدس، ووَصَلوا قَريةَ بَيتِ فِجّ
عِندَ جَبَلِ الزَّيتونِ استَدعى عليه السلام اثنَينِ مِنهُم 2وقالَ لهُما: "امضِيا في دُروبِ هذهِ القَريةِ،
وستَجِدانِ أتانًا مَربوطةً وبِقُربِها جَحشُها، فحُلاّ رِباطَهُما وائتياني بِهِما، 3وإن اعتَرَضَكُما
أحَدٌ فقُولا: "إنّ مَولانا بحاجةٍ إليهِما" وسيَسمَحُ لكُما في الحالِ بأخذِهِما". 4وهكذا
تَمَّ ذلِكَ تَحقيقًا لِمَا قالَ تَعالى على لِسانِ الأنبياء:(1) 5"قولوا لأهلِ القُدسِ: هذا مَلِكُكُم
يأتي إليكُم وَديعًا مُسالِمًا على ظَهرِ جَحشٍ". 6وذَهَبَ الحَوارِيّانِ يُنَفِّذانِ أمرَهُ عليه السلام،
7وأحضَرا الأتانَ والجَحشَ، ووَضَعا على الجَحشِ ثيابَهُما حتّى يَركَبَ عيسى. 8وفَرَشَ
النّاسُ الطَّريقَ الّتي سَلَكَها عليه السلام بثيابِهِم، وقامَ آخَرونَ بوَضعِ أغصانٍ اقتَطَعوها مِن
الأشجارِ خِصيصًا لذلِكَ،(2) 9وأخَذَ مَن كانَ أمامَهُ ووَراءَهُ في المَوكِبِ يَهتِفونَ: "اللهُمّ
النَّصرَ لوَريثِ مَملكةِ النَّبيِّ داودَ! مُبارَكٌ المَلِكُ القادِمُ باسمِ اللهِ! اللهُمّ مُدّهُ بالنَّصرِ مِن
عِندِكَ!" 10وعِندَ دُخولِهِ عليه السلام مَدينةَ القُدسِ سَرَى فيها اضطِرابٌ شَديدٌ، 11وتصاعَدَت
تَساؤلاتٌ تَقولُ: "مَن هذا القادِمُ؟" وأجابَت الجُموعُ بقَولٍ واحِدٍ: "هوذا عيسى،
النَّبيُّ مِن بَلدةِ النّاصرةِ في الجَليلِ!"

---

(1) هذه الحادثة تحقق ما جاء في نبوّات النبي أشعيا عليه السلام (62: 11) وزكريّا عليه السلام (9: 9).

(2) يبين سيدنا عيسى أنه المسيح المنتظر عند دخوله القدس، لكنه لم يدخلها كملك عنيف قاهر يركب جواد حرب، بل دخلها كرجل سلام يركب دابة، تحقيقا لما جاء على لسان النبي زكريّا بن بركيّا.

عيسى عليه السلام يطرد التّجار من حرم بيت الله

[12]وسارَ سَيِّدُنا عيسى عليه السلام إلى حَرَم بَيتِ اللهِ فطَرَدَ كُلَّ الّذينَ يَبيعونَ ويَشتَرونَ
حَيواناتٍ للأضاحي هُناكَ، وقَلَبَ مَناضِدَ الصَّيارِفة، ومَقاعِدَ تُجّارِ الحَمامِ المُعَدِّ للذَّبح،
[13]قائلاً لهُم: "لقد أنزَلَ اللهُ في كِتابِ النَّبيِّ أشعيا قَولَهُ تَعالى: "إنّي أقَمتُ بَيتي ليُصَلّي
فيهِ النّاسُ" ولكنّكُم جَعَلتُموهُ مَغارةَ لُصوص!"(1) [14]ثُمّ جاءَ إليهِ عليه السلام بَعضُ العُمي
والعُرج وهو في الحَرَمِ الشَّريفِ فشَفاهُم. [15]فغَضِبَ رُؤساءُ الأحبارِ والفُقَهاءُ بَعدَ أن رأوا
ما أتى بِهِ مِن مُعجِزاتٍ، والأطفالُ يَهتِفونَ في الحَرَم: "اللهُمَّ النَّصرَ لوَريثِ عَرشِ النَّبيِّ
داود!" [16]فسألوهُ حِينئذٍ قائلينَ: "أتَسمَعُ بِمَ يَهتِفونَ؟!" فأجابَهُم عليه السلام: "أجل، ولكن
أما قَرأتُم قَطُّ ما جاءَ في الزَّبورِ: "يا إلهي، جَعَلتَ الأطفالَ والرُّضَّعَ يُسَبِّحونَ لكَ".
[17]ثُمّ فارَقَهُم عيسى عليه السلام مُغادِرًا المَدينةَ إلى بَلدةِ بَيتِ عَنيا حَيثُ قَضى اللّيلَ.(2)

شجرة تين بلا ثمر

[18]وفي الصَّباحِ الباكِرِ، أحَسَّ عليه السلام بالجوع وهو في طَريقِ عَودتِهِ إلى المَدينةِ،
[19]فلَمَحَ على الطَّريقِ شَجَرةَ تينٍ فاقتَرَبَ مِنها إلا أنّهُ لم يَجِد فيها سِوى وَرَقٍ، فأمَرَ
قائلاً: "كُوني عَقيمًا إلى الأبدِ". فأصابَ الشَّجَرةَ الذُّبولُ في الحالِ.(3) [20]وعِندَما رأى
أتباعُهُ ذُبولَها أصابَهُم العَجَبُ وقالوا: "كَيفَ ذَبُلَت شَجَرةُ التِّينِ في الحالِ؟!"
[21]فأجابَهُم عليه السلام: "الحقَّ أقولُ لكُم، إن كانَ إيمانُكُم قَويًّا راسِخًا دونَ أن يُخامِرَكُم أدنى
شَكٍّ، فسَيكونُ بإمكانِكُم فِعلُ ما فَعَلتُهُ بشَجَرةِ التِّينِ، بل أكثَرُ مِن ذلِكَ، فلو قُلتُم لهذا
الجَبَلِ: "انتَقِلْ مِن مَكانِكَ وانطَرِحْ في البَحرِ"، لإنْتَقَلَ وانطَرَح. [22]فمَهما كانَ الأمرُ
الّذي تَسألونَهُ في دُعائكُم، فستَحصُلونَ عليهِ إن كُنتُم تَملِكونَ ثِقةً باللهِ."

(1) من فرائض العبادة تقدمة أضاح من الحمام أو الخراف ودفع ضريبة بيت الله بعملة تسمّى "الشاقل". ولم يكن رجال الدينَ يقبلون العملات الأجنبية، لذلك كان يجب على العابدين تحويل النقود التي تكون عليها النقوش الوثنية إلى نقود غيرها.

(2) تزامن وصول السيد المسيح إلى القدس مع حلول زمن الحج لعيد الفصح، فكانت القدس مزدحمة بالحجاج والزوار وهو ما اضطرّ الكثيرين ومنهم سيدنا عيسى أن يبيتوا خارج القدس.

(3) رأى السيد المسيح أن شجرة التين التي لم تحمل ثمرًا في أوان إثمارها لا أمل يرجى منها، فقد جاء في كتب الأنبياء الأولين، أنّ شجرة التين ترمز إلى بني إسرائيل.

عيسى سلامه علينا يتحدّى رؤساء الأحبار

23 وذَهَبَ سلامه علينا إلى الحَرَمِ الشَّريفِ، وأخَذَ يُعَلِّمُ النّاسَ، فأتى إليهِ رُؤساءُ الأحبارِ
ومَشايخُ الشَّعبِ قائلينَ: "مِن أينَ لكَ سُلطةٌ تُخَوِّلُ لكَ القيامَ بكُلِّ هذِهِ الأُمورِ؟! "
24 فأجابَهُم سلامه علينا: "لكُم مِنّي سؤالٌ، إن أجَبتُموني عَنهُ أخبَرتُكُم مَن مَنَحَني هذِهِ
السُّلطةَ: 25 مَن الّذي مَنَحَ يَحيى بن زَكَريّا الحقَّ في تَطهيرِ النّاسِ بالماءِ؟ اللهُ أم النّاسُ؟ "
فأخَذوا يَتَشاورونَ فيما بَينَهُم مُتَهامِسينَ: "إذا كانَ جوابُنا: "الله، " فسيَقولُ لنا: فلِمَ لم
تؤمِنوا بِهِ؟! 26 وإذا أجبناهُ "النّاس، " فسيَثورُ علينا الحاضِرونَ جميعًا، لأنّهُم يَعتَبِرونَ
يَحيى نَبيًّا" . 27 ثُمّ التَفتوا إلى سَيِّدِنا عيسى سلامه علينا قائلينَ: "لا نَدري" . فأجابَهُم قائلاً:
"وأنا أيضًا لن أُجيبَ عن سؤالِكُم! "

مَثل الولدين والتّوبة

28 ثُمّ تابَعَ سلامه علينا قائلاً: "ما رأيُكُم في رَجُلٍ كانَ لهُ وَلَدان، فجاءَ إلى أحَدِهِما قائلاً:
"يا بُنَيّ، قُم واعمَل في الحَقلِ" . 29 فرَفَضَ الوَلَدُ، ولكنّهُ نَدِمَ بَعدَ ذلِكَ ومَضى ليَعمَلَ
في الحَقلِ. 30 وجاءَ الوالِدُ إلى ابنِهِ الثّاني طالِبًا مِنهُ الطَّلَبَ نَفسَهُ فأجابَ قائلاً: "سأذهبُ
يا أبي" . ولكنّهُ لم يَذهَبْ! 31 أخبِروني أيُّها الحاضِرونَ: أيُّ الوَلَدَين أطاعَ أباهُ؟ "
فأجابوا: "الأوّلُ" . فقالَ سلامه علينا: "الحقَّ أقولُ لكُم، سَوفَ يَدخُلُ جُباةُ ضَرائبِ الرّومان
والعاهِرات إلى المَملكةِ الرَّبّانيّةِ قَبلَكُم! 32 فقد أتاكُم يَحيى بن زَكَريّا ليُبَيِّنَ لكُم الصِّراطَ
المُستقيمَ، فلم تؤمنوا بِهِ. أمّا جُباةُ الضَّرائبِ والعاهِرات فقد آمَنوا بِهِ، وها إنّكُم حتّى
بَعدَ أن رأيتُم كُلَّ ذلِكَ لم تَتوبوا ولم تؤمِنوا بِهِ" .

مَثل الفلاّحين الأشرار

33 وتابَعَ سلامه علينا قائلاً لِمَن حَولَهُ: "أيُّها النّاسُ اسمَعوا قَولي وافقَهوه. كانَ لرَجُلٍ
قِطعةُ أرضٍ أقامَ فيها بُستانَ كُروم ثُمّ أحاطَهُ بسُورٍ بَعدَ أن أنشأ فيهِ مَعصرةً وبُرجًا
للحِراسةِ، ثُمّ سَلَّمَهُ إلى جَماعةٍ مِن الفَلاّحينَ وسافَرَ إلى بَلَدٍ بَعيدٍ. 34 وعِندَما اقتَرَبَ
مَوسمُ القِطافِ، أرسَلَ صاحِبُ الأرضِ بَعضًا مِن مَواليهِ إلى المُستأجِرين ليَنالَ نَصيبَهُ مِن
الثِّمار، 35 إلاّ أنّ الفَلاّحينَ القيِّمينَ قَبَضوا على مَواليهِ، فضَرَبوا الأوّلَ، وقَتَلوا الثّاني
ورَجَموا الثّالثَ. 36 فأرسَلَ الرَّجُلُ للمَرّةِ الثّانيةِ آخَرينَ أكثَرَ عَدَدًا مِن الأوّلينَ، فكانَ
مَصيرُهُم مَصيرَ الأوّلينَ، 37 فقَرَّرَ الرَّجُلُ أخيرًا أن يُرسِلَ ابنَهُ قائلاً في نَفسِهِ: "إنّهُم
سيَهابونَهُ فهو ابني" . 38 لكنّ الفَلاّحينَ عِندَما رأوا ابنَ صاحِبِ البُستانِ قادِمًا، أخَذوا

يَتَشاورونَ فيما بَينَهُم قائلينَ: "هوذا الوَريثُ! فلنَقتُلهُ ونَستَولِ على البُستانِ!" [39]وأمسَكوا بالابنِ ورَمَوا بِهِ خارجَ البُستانِ وقَتَلوهُ.

[40]أخبِروني أيُّها النّاسُ ما سيَكونُ رَدُّ فِعلِ الرَّجُلِ صاحِبِ البُستانِ، وماذا يَفعَلُ بالفلاّحينَ؟" [41]فأجابوهُ: "لا بُدَّ أنّهُ قاتِلُهُم شَرَّ قتلة، فهم الأشرارُ البُغاةُ الظالِمونَ. ثُمّ يَستَعيدُ أرضَهُ فيُسَلِّمَها إلى مُزارعينَ يَحفَظونَ لهُ حَقَّهُ في مَوسمِ القِطافِ!" [42-43]فرَدَّ عليهِم عليه السلام قائلاً: "لِذا فإنّي أقولُ لكُم إنّ اللهَ سيُجَرِّدُكُم مِن حقِّكُم في الانضِمامِ إلى أهلِ المَملكةِ الرَّبّانيّةِ ويَمنَحُهُ للّذينَ يَسعَونَ إلى مَرضاتِهِ تَعالى! ألم تَقرأُوا ما جاءَ في الزَّبورِ: "الحَجَرُ الّذي رَفَضَهُ البُناةُ صارَ حَجَرَ الأساسِ في بَيتِ اللهِ! هذا ما صَنَعَهُ اللهُ، وإنّهُ لشَيءٌ عَجيبٌ في نَظَرِنا". [44]وأقولُ لكُم مَهما حاولتُم دَفعَ هذا الحَجَرِ ورَدَّهُ فلن يَكونَ لمُحاوَلتِكُم أيُّ جَدوى: فإن أنتُم حاولتُم رَدَّهُ حَطَّمَكُم، وإنّ هو وَقَعَ عليكُم هَشَّمَكُم!"(1) [45]وعِندَما سَمِعَ رُؤساءُ الأحبارِ والمُتَشَدِّدونَ حَديثَ سَيِّدِنا عيسى عليه السلام والمَثَلَ الّذي ساقَهُ لهُم عن الفَلاّحينَ الأشرارِ، أدركوا أنّهُم المَقصودونَ بِهِ.(2) [46]فأرادوا القَبضَ عليهِ، ولكنّهُم أجّلوا ذلِكَ مَخافةَ غَضَبِ المُحتَشِدينَ حَولَهُ لأنّهُم كانوا يؤمنونَ بأنّهُ نَبيٌّ مُرسَلٌ.

٢٢
الفصل الثّاني والعشرون

مَثل وليمة الملك

[1]ثُمّ عادَ سَيِّدُنا عيسى عليه السلام يَضرِبُ لهُم الأمثالَ ثانيةً [2]فقالَ: "إنّ مَثَلَ الدَّعوةِ إلى المَملكةِ الرَّبّانيّةِ، كمَثَلِ مَلِكٍ أقامَ وَليمةً في عُرسِ ابنِهِ ودَعا إليها جَمعًا مِن النّاسِ، فاستَجابوا لهُ. [3]وعِندَما أصبَحَت الوليمةُ جاهِزةً أرسَلَ عَبيدَهُ لاستِدعاءِ المَدعوّينَ ولكنّهُم رَفَضوا القُدومَ، [4]فأرسَلَ إليهِم عَبيدًا آخَرينَ قائلاً: "أخبِروا المَدعوّينَ بأنّني قد

(1) يشير سيدنا عيسى عليه السلام إلى نفسه من خلال حديثه عن أهمية هذا الحجر.

(2) روى النبي أشعيا عليه السلام حكاية بستان كروم كرمز إلى أرض فلسطين، وهنا يضرب سيدنا عيسى المثل نفسه ليبين كيف أن الله يرفض القادة والناس الذين لا يتقبّلون رسالته، في حين يبارك الناس الذين يطيعونه.

جهَّزتُ كُلَّ شَيء، فقد ذَبَحتُ ثيراني وعُجولي السَّمينةَ، وأصبَحَ كُلُّ شَيءٍ في انتِظارِكُم فأقبِلوا!" [5]ولكنّهُم لم يَكترِثوا إذ ذَهَبَ أحَدُهُم إلى حَقلِهِ، وانشَغلَ آخرُ بتِجارتِهِ، [6]وقَبَضَ بَعضُهُم على عَبيدِهِ وأساؤوا مُعامَلَتَهُم وقَتَلوهُم. [7]فاستَبَدَّ الغَضَبُ بالمَلِكِ، وأرسَلَ جُندَهُ فأهلَكوهُم وأحرَقوا مَدينَتَهُم. [8]ثُمّ قالَ لِمَواليهِ: "الوَليمةُ جاهِزةٌ، إلاّ أنّ مَن دَعوتُهُم لا يَستَحِقّونَها، [9]فاذهَبوا وطُوفوا في الطُّرُقات داعينَ كُلَّ مَن تُصادِفونَهُ إليها". [10]وهكذا مَضى العَبيدُ يَبحَثونَ في الشَّوارِعِ والطُّرُقات لإحضارِ كُلِّ مارٍّ وعابِرٍ، صالِحًا كانَ أم طالِحًا، فامتَلأت قاعةُ العُرسِ بالضُّيوفِ. [11]ثُمّ دَخَلَ المَلِكُ وطافَ بَينَ المَدعوّينَ فرأى رَجُلاً لا يَرتَدي ثيابًا تَليقُ بهذِهِ المُناسَبةِ، [12]فقالَ لهُ: "أيُّها الضَّيفُ، ما غرَّكَ بي فلم تُكَرِّمني بارتِداءِ ثيابٍ تَليقُ بالعُرسِ؟" [13]لكنّ لِسانَ الرَّجُلِ انعَقَدَ ولم يَتَفوَّه بكَلِمةٍ، فأمَرَ المَلِكُ عِندئذٍ عَبيدَهُ قائلاً: "قَيِّدوهُ وارمُوا بِهِ خارجًا في الظُّلُمات حَيثُ يَبكي ويَصِرُّ أسنانَهُ نَدَمًا وحَسرةً!" [14]والعِبرةُ مِن هذا المَثَلِ أيُّها الحاضِرونَ كَثرةُ المَدعوّينَ أمامَ قِلّةِ مَن اصطَفاهُم اللهُ".

دفع الجزية إلى القيصر

[15]ومَضى بَعضُ المُتَشَدِّدينَ في التّآمرِ على سَيِّدِنا عيسى عَلَيۡنَا سَلَامُهُ مِن أجلِ الإيقاعِ بِهِ. فأرادوا أن يُوقِعوهُ في كَلامٍ يُدينُهُ، [16]فأرسَلوا مُناصريهِم مَعَ بَعضٍ مِن مُؤيّدي عائلةِ الأميرِ أنْتيباسَ بنِ هيرودُسَ وسألوا عيسى عَلَيۡنَا سَلَامُهُ قائلينَ: "أيّها المُعَلِّمُ، نَعرِفُ أنّكَ صادِقٌ في كَلامِكَ وتَعليمِكَ، لا تَخافُ في الحقِّ لومةَ لائم، ونَعلَمُ أنّكَ تَهدي النّاسَ بالحقِّ إلى الصِّراطِ المُستَقيم، ولا تُحابي أحَدًا لأنّكَ لا تُعيرُ المَناصِبَ اهتِمامًا. [17]فأخبِرنا برأيِكَ في الجِزيةِ الّتي تُدفَعُ إلى القَيصرِ، أحَلالٌ دَفعُها أم حَرامٌ؟" [18]فأدرَكَ عيسى عَلَيۡنَا سَلَامُهُ ما يَرمُونَ إليهِ، والتَفتَ إليهِم وأجابَهُم: "أيُّها المُنافِقونَ، لِمَ تُحاولونَ الإيقاعَ بي؟[(1)] [19]ائتُوني بالعُملةِ الّتي تَدفعونَها جِزيةً إلى الرّومان!" فجيءَ إليهِ بدينارٍ. [20]فقالَ لهُم: "أيُّ صورةٍ تَرونَها على هذا الدِّينار، واسمَ مَن تَقرؤونَ عليهِ؟!" [21]فأجابوهُ: "إنّها صُورةُ القَيصرِ". فقالَ: "إذن أعطُوا ما لقَيصرَ لقَيصرَ، وما للهِ للهِ". [22]وعِندَما سَمِعوا إجابَتَهُ هذِهِ أصابَهُم الذُّهولُ، فتَرَكوهُ وانصَرَفوا.

---

(1) كان سيدنا عيسى عَلَيۡنَا سَلَامُهُ على علم بمكرهم، فإذا وافقهم على دفع الجزية للرومان المحتلين، صار في مواجهة مع المتشددين ومع شعبه، وإذا أجابهم بعدم جواز دفع الجزية، صار في مواجهة مع القيصر ومؤيديه ومناصريه.

لا زواج في الآخرة

[23]ثُمّ جاءَهُ في اليَوم نَفسِهِ، جَماعةٌ مِن الصَّدّوقيّينَ، وهُم قَومٌ يُنكِرونَ القيامةَ والحَياة بَعدَ المَوتِ، فسألوهُ: [24]"أيُّها المُعَلِّمُ، أوصانا سَيِّدُنا موسى في التَّوراةِ بما يَلي: "إذا ماتَ رَجُلٌ عن امرأةٍ دونَ أن يُخَلِّفَ ولدًا يَرِثُهُ، فعلى أخيهِ الاقتِرانُ بأرمَلتِهِ لإنجابِ أولادٍ فيَنحَصِرَ إرثُ أخيهِ فيهِم". [25]وإنّا لَسائلوكَ عن سَبعةِ إخوةٍ، تُوفّيَ أحَدُهُم عن امرأةٍ ولم يَكُن لهُ وَريثٌ مِنها، فتَرَكَ زَوجَتَهُ لأخيهِ، [26]وكذلِكَ الأخُ الثّاني ثُمّ الثّالثُ، وهكذا دَوالَيكَ حتّى تَزَوَّجَها السّابعُ، [27]ثُمّ تُوُفِيَت تِلكَ الأرمَلةُ. [28]فإنْ كانَت هُناكَ قيامةٌ، ثُمّ أتوا وإيّاها في ذلِكَ اليوم، فلأيّهِم تكون زَوجةً وقد عَقَدَ عليها القِرانَ الإخوةُ السَّبعةُ في الدُّنيا الواحِدُ تلوَ الآخَر؟!"(1) [29]فأجابَهُم عليه السلام: "ألا إنّكُم على ضَلالٍ مُبينٍ، فأنتُم لا تُدرِكونَ ما جاءَ في الكُتُبِ السَّماويّةِ المُقَدَّسة، كما لا تُدرِكونَ قُدرةَ اللهِ! [30]فلا زَواجَ يَومَ القيامة، بل سيَكونُ النّاسُ مِن هذهِ النّاحيةِ مِثلَ المَلائكةِ في السَّماء. [31]أمّا عن حَقيقةِ قيامةِ المَوتى، أفلم تقرأُوا ما قالَهُ اللهُ في التَّوراةِ: [32]"يا موسى، إنّي أنا اللهُ، رَبُّ إبراهيمَ ورَبُّ إسحقَ ورَبُّ يَعقوبَ"؟ وهذا يَعني أنّ عِبادَ اللهِ أحياءٌ عِندَ رَبِّهِم، ولَيسوا بأمواتٍ". [33]فتَعَجَّبَ النّاسُ مِن كَلامِهِ وقوّةِ حُجّتِهِ.

الوصية الأهمّ

[34]وعِندَما عَلِمَ المُتَشَدِّدونَ بخَبَرِ إبطالِ سَيِّدِنا عيسى عليه السلام دَعوى الصَّدّوقيّينَ، اجتَمَعوا مَعًا [35]يُريدونَ أن يُحرِجوهُ عليه السلام بسؤالٍ، فقالَ أحَدُهُم وهو فَقيهٌ بالتَّوراةِ: [36]"أيُّها المُعَلِّمُ، ما هي أهمُّ وَصيّةٍ جاءَت في التَّوراة؟" [37]فأجابَهُم قائلاً: "أحِبَّ اللهَ رَبَّكَ بكُلِّ قَلبِكَ وبكُلِّ نَفسِكَ وبكُلّ عَقلِكَ"، [38]فتِلكَ هي الوَصيّةُ الأعظَمُ والأهَمّ، [39]والوَصيّةُ الثّانية مِثلُها وهي: "أحِبَّ جارَكَ كَما تُحِبُّ نَفسَكَ". [40]وعلى هاتينِ الوَصيّتينِ يَقومُ كُلُّ ما في التَّوراةِ وكُتُبِ الأنبياءِ مِن وَصايا".

من هو الملك المنتظر؟

[41]وعِندَما كانَ المُتَشَدِّدونَ مُجتَمِعينَ عِندَهُ، سألَهُم سَيِّدُنا عيسى عليه السلام قائلاً: [42]"ماذا تَقولونَ في نَسَبِ المَسيحِ المُنتَظَرِ؟" فأجابوهُ: "إنّهُ مِن سُلالةِ النَّبيِّ داودَ وسيَرِثُ

(1) أراد الصدّوقيون أن يبينوا من خلال هذا السؤال أن الإيمان بقيامة الموتى ليس من المنطق (كما زعموا)، وأرادوا أيضا إحراج السيد المسيح.

عَرشَهُ" . [43]فسألَهُم ثانيةً : "فكَيفَ دَعاهُ النَّبيُّ داوُدُ بِوحيِ رُوحِ اللهِ مَولاهُ؟ [44]فقد جاءَ على لِسانِ النَّبيِّ داودَ في الزَّبورِ : "قالَ اللهُ تَعالى لِمَولايَ : اجلِس عن يَميني، حتّى أقهَرَ أعداءَكَ وأجعَلَهُم تَحتَ قَدمَيْكَ صاغِرينَ" . [45]فما دامَ النَّبيُّ داوُدُ نَفسُهُ يَدعو المَسيحَ مَولاهُ، أفلَيسَ هذا دَليلاً على أنّ المَسيحَ المُنتَظَرَ أعظَمُ مِن النَّبيِّ داودَ؟" [46]فسَكَتوا جَميعًا، ولم يَجرؤْ أحَدٌ مُنذُ ذلِكَ اليومِ على إحراجِهِ بسؤالٍ.

٢٣

الفصل الثّالث والعشرون

عيسى عليه السلام وتحذيره لرؤساء رجال الدّين

[1]ثُمّ التَفتَ سَيِّدُنا عيسى عليه السلام إلى المُحتَشِدينَ وأتباعِهِ قائلاً : [2]"إنّ الفُقَهاءَ والمُتَشَدِّدينَ أعطَوا لأنفُسِهِم دونَ غيرِهِم الحقَّ في تَفسيرِ ما جاءَ في التَّوراةِ، [3]وعليكُم طاعتُهُم. لكنْ احذَروا مُجاراتَهُم في أعمالِهِم، فهُم يَعمَلونَ بخِلافِ ما يُعَلِّمونَ، [4]وهُم يَبتَدِعونَ تَعاليمَ مِن تِلقاءِ أنفُسِهِم، ويَجعَلونَها كالأحمالِ الثّقيلةِ على كاهِلِ النّاسِ عِندَما يُلزِمونَهُم تَطبيقَها، دونَ أن يَبذُلوا أدنى جهدٍ لمُساعدتِهِم. [5]وما غايةُ أفعالِهِم إلاّ التَّعالي ولَفتُ أنظارِ النّاسِ بما يَضعَونَهُ مِن عَصائبَ عَريضةٍ على جِباهِهِم وسَواعدِهِم، (1) ومِن ثيابٍ ذاتِ أطرافٍ يُطيلونَها استِعلاءً، [6]وبمَجالِسِ الشَّرفِ الّتي يَختارونَ الجُلوسَ فيها أثناءَ الوَلائم، وباحتِلالِهِم الصُّفوفَ الأولى في بُيوتِ العِبادةِ، [7]وبإرضاءِ غُرورِهِم عِندَما يُناديهِم النّاسُ بلَقَبِ "المُعَلِّم" أو بتَحيّتِهِم أثناءَ مُرورِهِم في السّاحاتِ. [8]أمّا أنتُم فلا تَسمَحوا لأحَدٍ بإطلاقِ لَقَبِ المُعَلِّم عليكُم، فلَيسَ لديكُم سِوى مُعَلِّمٍ واحدٍ، لأنّكُم إخوةٌ في اللهِ سَواسيّةٌ. [9]ولا تُطلِقوا لَقَبَ وَليٍّ على أحَدٍ، فلا وَليَّ لكُم سِوى اللهِ في عُلاه. (2) [10]ولا يُدعى أحَدُكم سَيِّدًا، فلا سَيِّدَ لكُم سِوى المَسيحِ. [11]وعلى مَن كانَ بَينَكُم أرفَعَ شأنًا أن يَخدِمَكُم، [12]فمَن يَتَعالى على النّاسِ يُذِلّهُ اللهُ، ومَن يَخفِض جَناحَهُ للنّاسِ يَرفَعْهُ اللهُ.

---

(1) من عادة اليهود أن يربطوا صناديق صغيرة فيها آيات من التوراة على سواعدهم أو جباههم عند أدائهم لصلواتهم في الصباح والعصر. وهذه العادة مفروضة في التوراة، لكن الناس غالبا ما يجعلون هذه الصناديق كبيرة الحجم ليلفتوا الإنتباه إليهم.

(2) كان من عادة أتباع حاخامي اليهود أن يطلقوا عليهم اللقب "بابا"، والحخامون بدورهم كانوا يدعونهم "أبنائهم". أمّا السيد المسيح فقد علّم أتباعه أنهم جميعًا سواسية.

[13]أمّا أنتُم أيُّها الفُقهاءُ والمُتَشَدِّدونَ فالوَيلُ لكُم أيُّها المُنافِقونَ! إنّكُم تُغلِقونَ بابَ المَملكةِ الرَّبّانيّةِ في وُجوهِ النّاسِ، فلا أنتُم تَدخُلونَ، ولا أنتُم تُفسِحونَ الطَّريقَ لِمَن يُريدُ الدُّخولَ. [14]الوَيلُ لكُم أيُّها الفُقهاءُ والمُتَشَدِّدونَ، إنّكُم تنهَبونَ مالَ الأرامِلِ وفي الوَقتِ نَفسِهِ تُقيمونَ صَلَواتِكُم مُراءاةً للنّاسِ، لذلِكَ ستَذوقونَ أشَدَّ العَذابِ! [15]الوَيلُ ثُمّ الوَيلُ لكُم أيُّها المُنافِقونَ، أيّها الفُقهاءُ والمُتَشَدِّدونَ، تَجتازونَ الأرضَ بَرًّا وبَحرًا لتَضُمّوا نَفرًا واحِدًا إلى دينِكُم، وعِندَ انضِمامِهِ، تَجعَلونَهُ يَستَحِقُّ جَهنَّمَ ضِعفَ استِحقاقِكُم لها! [16]الوَيلُ لكُم يا مَن تُرشِدونَ النّاسَ وأنتُم العُميان! إنّكُم تَدَّعونَ أنّ مَن أقسَمَ ببَيتِ اللهِ لَيسَ عليهِ أن يَبرَّ بقَسَمِهِ، بخِلافِ مَن أقسَمَ بذَهَبِ بَيتِ اللهِ فإنّ عليهِ أن يَبرَّ بقَسَمِهِ. [17]فيا أيُّها الجاهِلونَ العُميان! أيُّهُما الأعظَمُ دَرَجةً عِندَ اللهِ، الذَّهَبُ أم بَيتُ اللهِ الّذي يَمنَحُ الذّهَبَ القَداسةَ؟ [18]وإنّكُم لتَدَّعونَ أيضًا بأنّ مَن أقسَمَ بالمَذبَحِ لم يأثَمْ إن لم يَبرَّ بقَسَمِهِ، بخِلافِ مَن أقسَمَ بالقَرابينِ الّتي عليهِ. [19]أيُّها العُميانُ، ماذا تَرونَ: أهي القَرابينُ أهَمُّ، أم المَذبَحُ الّذي يَمنَحُ القَداسةَ للقَرابينِ؟ [20]فمَن أقسَمَ بالمَذبَحِ فقد أقسَمَ بكُلِّ ما فيهِ، [21]ومَن حَلَفَ ببَيتِ اللهِ، فقد حَلَفَ باللهِ لأنّ البَيتَ بَيتُهُ، [22]ومَن حَلَفَ بالسَّماءِ فقد حَلَفَ بعَرشِ اللهِ وباللهِ صاحِبِ العَرشِ العَظيمِ. [23]ثُمّ الوَيلُ الوَيلُ لكُم أيُّها الفُقَهاءُ والمُتَشَدِّدونَ المُنافِقونَ! أنتُم تُقيمونَ شَرعَ اللهِ في الصَّغائرِ مِن الأُمورِ كتَقديمِكُم زَكاةَ العُشرِ للهِ عن مَحاصيلِكُم حتّى مَحصولِ النَّعناعِ والصَّعترِ والكَمّونِ، في حينِ تُهمِلونَ أهَمَّ ما جاءَ في التَّوراةِ بشأنِ العَدلِ والرَّحمةِ والإخلاصِ. فقد كانَ لِزامًا عليكُم أن تَلتَزِموا ذلِكَ دونَ أن تُهمِلوا دَفعَ العُشرِ. [24]وإنّما مَثَلُكُم في ذلِكَ كمَثَلِ مَن يَستَصعِبُ سُقوطَ البَعوضةِ في الماءِ خَوفًا مِن بَلعِها، ويَستَسهِلُ بَلعَ الجَمَلِ![(1)]

[25]والوَيلُ ثُمّ الوَيلُ لكُم أيُّها الفُقَهاءُ والمُتَشَدِّدونَ المُنافِقونَ! تَحرِصونَ شَديدَ الحِرصِ على نَظافةِ الإناءِ مِن الخارِجِ وهو مُمتَلئٌ بقَذارةِ ما وَضَعتُم بداخِلِهِ مِمّا حَصَلتُم عليهِ زُورًا وطَمَعًا. [26]إنّما عليكُم أيُّها المُتَشَدِّدونَ العُميانُ تَنظيفُ داخِلِ أوانيكُم ليَكونَ خارِجُها نَظيفًا أيضًا. فالإناءُ يَنضَحُ بما فيهِ.

[27]الوَيلُ لكُم أيُّها الفُقَهاءُ والمُتَشَدِّدونَ المُنافِقونَ! أنتُم كالقُبورِ المَطليّةِ بالبَياضِ، ظاهِرُها جَميلٌ وباطِنُها مَملوءٌ بما بَقيَ مِن عِظامِ المَوتى والنَّجاساتِ. [28]فأنتُم تَبدونَ في ظاهِرِكُم صالِحينَ، بَينَما باطِنُكُم مَليءٌ بالنِّفاقِ والضَّلالِ.

(1) اعتبر اليهود أنّ كل من البعوض والجِمال نجسا.

29والوَيلُ لكُم أيُّها الفُقَهاءُ والمُتَشَدِّدونَ المُنافِقونَ، أنتُم تُشَيِّدونَ مَدافِنَ الأنبياءِ،
وتُعنَونَ بتَزيينِ أجداثِ الصّالِحينَ، 30وتَتَحَدَّثونَ قائلينَ: "لو كُنّا على زَمانِ آبائِنا
الأوّلينَ، ما كُنّا شارَكناهُم في قَتلِ الأنبياء"، 31وأنتُم بذلِكَ تُقِرّونَ بأنّكُم أبناءُ قاتلي
الأنبياء، 32وإنّكُم بأعمالِكُم لن تَتَورَّعوا عن إتمامِ مَسيرةِ آبائِكُم! 33أيُّها الماكِرونَ
كالأفاعي، أنّى لكُم الهُروبُ مِن عَذابِ الجَحيم؟ 34لذا فإنّ اللهَ أرسَلَ إليكُم الأنبياءَ
والحُكَماءَ والمُعَلِّمينَ، ففَريقًا تَقتُلونَ وتَصلِبونَ، وآخرونَ تَجلِدونَهُم في بُيوتِ العِبادةِ،
وتُطارِدُونَهُم مِن مَدينةٍ إلى أُخرى، 35فحَريٌّ أن يُنزِلَ اللهُ بكُم العِقابَ على ما سَفَكتُم
مِن دِماءِ الصّالِحينَ على هذِهِ الأرضِ، بِدايةً مِن دَم هابيلَ الصِّدّيقِ إلى دَم زَكَرِيّا بن بَرَكيّا
الّذي قَتَلتُموهُ في الحَرَمِ الشَّريفِ بَينَ المِحرابِ والمَذبَح.(1) 36والحَقَّ أقولُ لكُم:
سيَحُلُّ عِقابُ قَتلِ كُلِّ هؤلاءِ الصّالحينَ على هذا المَعشَرِ الشِّرير".

37يا أهلَ القُدسِ! يا أهلَ القُدسِ! يا قاتِلي الأنبياءِ وراجِمي الّذينَ كانوا إليكُم
مُرسَلينَ! كَم مِن مَرّةٍ رَغِبتُ يا قُدسُ أن أضَمَّ جَميعَ بَنيكِ كَما تَجمَعُ الدَّجاجةُ فِراخَها
تَحتَ جَناحَيها فأبَيتُم! 38أصغُوا إليّ الآنَ! هُوَذا اللهُ سيَرفَعُ حِمايَتَهُ عن بَيتِكُم فيُترَكُ لكُم
قَفرًا!(2) 39ولن تَحظَوا برؤيَتي بَعدَ الآنَ حتّى تَقولوا: "بُورِكَ المَلِكُ الآتي باسمِ رَبِّ
العالَمينَ!"

٢٤
الفصل الرّابع والعشرون

عيسى عَلَيْنَا سَلَامُهُ يتنبأ بخراب القدس

1وبَينَما كانَ سَيِّدُنا عيسى عَلَيْنَا سَلَامُهُ يُغادِرُ الحَرَمَ الشَّريفَ، سائرًا في طَريقِهِ، انضَمَّ إليهِ
أتباعُهُ ليُحَدِّثوهُ عن رَوعةِ المَباني في ذلِكَ الحَرَمِ، 2فأجابَهُم قائلاً: "هل تَرونَ كُلَّ هذا؟
الحَقَّ أقولُ لكُم، سيأتي عليهِ يَومٌ يُهدَمُ فيهِ كُلُّهُ ولن يَبقى فيهِ حَجَرٌ على حَجَرٍ". 3وبَينَما

(1) كان القتل جريمة كبيرة حسب التوراة، وإن لم يتم القصاص بالشكل الصحيح، فإن كل المجتمع يُعتبر مذنبا، وليس مَن سفك الدم فقط.

(2) يعني سيدنا عيسى بكلمة "بيتكم" بيت الله المقدّس، وربما أراد أن يقول أنه لم يعد بيت الله كما كان، وأن الله رفع حمايته وبركته عن هذا البيت.

كانَ ﷺ جالِسًا على جَبَلِ الزّيتونِ، أقبَلَ عليهِ أتباعُهُ وانفَرَدوا بِهِ قائلينَ: "أخبِرنا مَتى يَكونُ زَمَنُ ذلِكَ الخَرابِ، وما العَلامةُ الّتي تَسبِقُ مَجيئَكَ مَلِكًا وقيامَ السّاعةِ؟" (1) 4فرَدَّ قائلاً: "اِحذَروا أن يُضِلَّكُم أحَدٌ عن السَّبيلِ! 5فسيأتي الكَثيرونَ ومُنتَحِلينَ لَقَبي، فيَدّعِي أحَدُهُم قائلاً: "أنا المَسيحُ المُنتَظَرُ"، فيُضِلُّ بذلِكَ كَثيرًا مِن النّاسِ. 6وستَسمَعونَ أنباءَ حُروبٍ تُشَنُّ وفِتَنٍ تَسودُ الأرضَ، فلا تَضطَرِبوا، لأنّهُ لا بُدَّ مِن حُدوثِ كُلِّ ذلِكَ ولكِنْ لَيسَ هذا زَمَنَ قيامِ السّاعةِ. 7وستَقومُ حُروبٌ بَينَ الدُّوَلِ والمَمالِكِ وتَعُمُّ الأرضَ المَجاعاتُ والزَلازِلُ، 8ولكِن ذلِكَ كُلُّهُ سيَكونُ مُجرَّدَ بِدايةِ المَصاعِبِ كالمَخاضِ الّذي يُبَشِّرُ بالوِلادةِ.

9وستَتَعَرَّضونَ أنتُم يا أتباعي للعَذابِ والقَتلِ وستَكونونَ مَحطَّ كُرهِ كُلِّ الشُّعوبِ بسَبَبِ إخلاصِكُم لي، 10فيَرتَدُّ الكَثيرونَ مِنكم، ويَخونُ بَعضُكُم بَعضًا، 11وسيَظهَرُ الكَثيرُ مِن مُدَّعي النّبوّةِ الّذينَ يُضِلّونَ الكَثيرينَ. 12وسيَعُمُّ الشَّرُّ فتَتَلاشى المَحبّةُ بَينَ النّاسِ. 13حينئذٍ لن يَنجوَ إلاّ مَن كانَ ثابتًا على إيمانِهِ إلى النِّهايةِ. 14وسيَقومُ أتباعي بِنَشرِ البَيانِ بقيامِ المَملكةِ الرَّبّانيّةِ في جَميعِ أنحاءِ العالَمِ وتَصِلُ الرِّسالةُ إلى كُلِّ الشُّعوبِ، ثُمّ تَقومُ السّاعَةُ.

15فحين تَرونَ أنّ "رِجسَ الخَرابِ" قد حَلَّ داخِلَ بَيتِ اللهِ، (وعليك أن تفهم أيّها القارئ المَقصود برِجسِ الخَرابِ)، (2) 16فليَهرُب سُكّانُ مِنطقة يَهوذا إلى الجِبالِ دونَ تَرَدُّدٍ، (3) 17فالوَقتُ عِندئذٍ سيَكونُ ضَيّقًا ضَيِّقًا حتّى إنّ مَن كانَ على السَّطحِ لن يَجِدَ

(1) يرد السيد المسيح على سؤال الحواريين وينصحهم عند مشاهدتهم خراب القدس أن يفهموا أن قيام الساعة لا يزال بعيدا. وكما تنبأ سيدنا المسيح، فقد خرب الرومان القدس وبيت الله المقدّس سنة 70 م، وتزامن هذا الخراب مع كل الدلائل التي تنبأ بها السيد المسيح. وقد وظّف السيد المسيح الصور التي تتضمن تضخيما لبعض القصص مقتديا بما فعله غيره من الأنبياء.

(2) تشير الملحوظة هنا إلى ما تنبأ به النبي دانيال عليه السلام في كتابه (دانيال 9: 27). وكان هذا بمثابة تحذير للقراء في زمن الحواري متّى حتّى يفهموا حقيقة الرجس الذي يسبق تدمير القدس وبيت الله ليهربوا من المدينة قبل حدوث الدمار.

(3) أطاع أتباع السيد المسيح ما جاء في وصيته ﷺ عندما أمرهم بالهروب إلى الجبال، فهروبوا إلى الجبال الواقعة في الضفة الشرقية من نهر الأردن، واستقرّوا في مدينة بيلا (طبقة فحل) الواقعة في الغور (وادي الأردن). وحدث هذا قبل خراب القدس في سنة 70 للميلاد. وقد دوّن بعض رجال الدين المعاصرين هذه المعلومات.

الوَقتَ لِجَمْعِ حاجياتِهِ التّي في الدّارِ، [18]ولا يَكونُ لعامِلِ الحَقلِ وقتٌ لأخذِ ثَوبِهِ.
[19]وحِينَئذٍ يا وَيلٍ للحَوامِلِ والمُرضِعاتِ! [20]فاسألوا اللهَ أن لا يَكونَ فِرارُكُم في يوم سَبتٍ
أو في فَصلِ الشِّتاءِ لِصُعوبةِ الهُروبِ في ذلِكَ الوَقتِ.(1) [21]وسيُصيبُ النّاسَ في ذلِكَ
الوَقتِ ضِيقٌ شَديدٌ لم يَمُرَّ على العالَمِ مِثلُهُ مُنذُ بدايةِ الخَلق، ولن يَمُرَّ ذاكَ عليهِم ثانيةً،
[22]وسيَكونُ أمَدُ تلِكَ الأيّامِ قَصيرًا وإلاّ ما استطاعَ واحدٌ مِن هذا الشَّعبِ النّجاةَ. وقِصَرُ
الأيّام هِبةٌ مِن اللهِ على النّاسِ كَرامةً لِعبادِهِ الصّالِحينَ المُختارينَ.

[23]وأقولُ لكُم: حَذارِ أن تَصدِّقوا مَن يَدَّعونَ أنّ المَسيحَ المُنتَظَرَ هو هُنا أو هُناكَ،
[24]فسيَقومُ مَن يَدَّعونَ أنّهُم المَسيحُ أو أنّهُم أنبياءُ بإظهارِ عَجائبِ عَظيمةٍ تَسحَرُ عُيونَ
النّاسِ لِيُضِلّوهُم ويُضِلّوا حتّى أولياءِ اللهِ إن أمكَنَ ذلِكَ. [25]وها أنا أُنذِرُكُم مُسبَقًا!
[26]إن قالوا لكُم إن المَسيحَ المُنتَظَرَ مَوجودٌ هُنا أو هُناكَ، أو في البَراري أو في غُرَفِ
البُيوتِ، فلا تَستجيبوا لهُم ولا تَذهَبوا إلى حَيثُ أشاروا، [27]لأنّ سَيِّدَ البَشَرِ سيأتي
كالبَرقِ الّذي يُضيءُ الأرضَ شَرقًا وغَربًا ليَستَقبِلَهُ النّاسُ وليَحتَفِلوا بِهِ مَلِكًا، وسيَعرِفُ
الجَميعُ بذلِكَ [28]كَما يُعرَفُ مَكانُ الفَريسةِ بكَثرةِ الجَوارحِ.(2)

مجيء عيسى عليه السلام مَلِكًا

[29]وتابَعَ عيسى عليه السلام قائلاً: "وحالُ اشتِدادِ الأمرِ على النّاسِ في تِلكَ الأيّامِ، يَخبو
شُعاعُ الشَّمسِ، ويَختَفِي نورُ القَمَرِ، وتَتَهاوى النُّجومُ مِن السَّماءِ، وتَفقِدُ الأجرامُ
السَّماويّةُ توازُنَها،(3) [30]ويُرافِقُ ذلِكَ ظُهورُ عَلامةٍ في السَّماءِ تُنبئُ بقُدومِ سَيِّدِ البَشَرِ،
قادِمًا في ظُلَلٍ مِنَ الغَمامِ بكُلِّ عِزّةٍ وهَيبةٍ، وتَنتَحِبُ شُعوبُ الأرضِ رَهبَةً، [31]ويُرسِلُ
سَيِّدُ البَشَرِ المَلائكةَ نافِخةً في الصُّورِ، لِجَمعِ أتباعِهِ المُختارينَ مِن جَميعِ أقاصِي
الأرضِ.(4)

---

(1) إنّ السفر في فصل الشتاء شاق بسبب فيضانات الأودية، كما أنّه حُدّد لمسافات قصيرة بالنسبة لليهود يوم السبت.

(2) سيكون قدوم سيّد البشر واضحا للعيان كوضوح مكان الفريسة لكثرة الجوارح.

(3) كان الأنبياء القدامى غالبا ما يتحدثون عن ظهور آيات في السماء عند ذكرهم لقيام الساعة. لكنهم كانوا يتحدثون أيضا بنفس الطريقة عند إشارتهم إلى العقاب الذي ينزله الله على الشعوب. وقد حدثت بعض هذه الآيات المذكورة عند دمار مدينة القدس سنة 70 للميلاد.

(4) كان البوق يستخدم للإعلان عن تتويج الملوك وللإعلان أيضا عن أحداث أخرى عظيمة كاقتراب المعارك ودمار المدن.

[32]وليَكُنْ لكُم في شَجرةِ التِّينِ عِبرةٌ، فكَما يُنبئُكم لينُ أغصانِها وظُهورُ أوراقِها الخَضراءِ بقُربِ حُلولِ الصَّيفِ،(1) [33]تنبئُكم تِلكَ الظَّواهِرُ الكونيّةُ بأنّ مَجيءَ سَيِّدِ البَشَرِ باتَ قَريبًا. [34]الحقَّ أقولُ لكُم: لا تَزولُ هذِهِ الجَماعةَ أبَدًا حتّى تَتِمَّ الأحداثُ الّتي تُرافِقُ خَرابَ القُدس.(2) [35]إنّ السَّماواتِ والأرضَ زائلةٌ، أمّا كَلامي فباقٍ لن يَزول!

[36]وأمّا مَوعدُ مَجيءِ سَيِّدِ البَشَرِ مَلِكًا، فلا أحَدَ يَعرِفُ مَتى يَحينُ ذلِكَ اليومُ أو تِلكَ السّاعةُ، ولا حتّى سَيِّدُ البَشَرِ والمَلائكة. فاللهُ الأبُ الرَّحمنُ الرَّحيمُ وَحدَهُ يَملِكُ عِلمَ السّاعةِ!" [37]وكَما كانَ حالُ النّاسِ في عَهدِ النَّبيِّ نوح، يَكونُ حالُهُم في هذِهِ الدُّنيا عِندَما يأتي سَيِّدُ البَشَرِ مَلِكًا. [38]لقد كانَ أولئكَ قَبلَ الطُّوفانِ غارِقينَ في شُؤونِ حياتِهِم الدُّنيويّةِ يأكُلونَ ويَشرَبونَ ويَتزاوجونَ إلى أنْ رَكِبَ النَّبيُّ نوحٌ سَفينتَهُ، [39]وحَلَّ بَعدَهُ الطُّوفانُ، فأُخِذَ قَومُهُ على حينِ غِرّةٍ! وكذلِكَ الأمرُ مَعَ سَيِّدِ البَشَرِ، فسيأتي والنّاسُ مُستَغرِقونَ في حياتِهِم. [40]في ذلِكَ الوَقتِ يَكونُ رَجُلانِ يَعمَلانِ في حَقلِهِما، فيأخذُ اللهُ أحَدَهُما للعِقابِ دونَ الآخَرِ، [41]وتَكونُ إمرأتانِ تَعمَلانِ في طاحونةٍ، فيأخُذُ اللهُ واحِدةً دونَ الأُخرى.

[42]وإنّي لمُوصيكُم أن تَكونوا حَذِرينَ يَقِظينَ لأنّكُم لا تَدرُونَ زَمَنَ حُضورِ مَولاكُم. [43]واعلَموا أنّهُ لو كانَ صاحِبُ الدّارِ على عِلمٍ بمَوعِدِ مَجيءِ اللِّصّ لظَلَّ ساهِرًا حِفاظًا على دارِهِ. [44]فكونوا أنتُم أيضًا على استِعدادٍ دائمٍ لمَجيءِ سَيِّدِ البَشَرِ لأنّكُم تَجهَلونَ مَوعِدَ قُدومِهِ.

الوكيل الأمين

[45]إنّ مَثَلَ أتباعي المُخلِصينَ كمَثَلِ العَبدِ الأمينِ الّذي يَقومُ على أُمورِ سَيِّدِهِ فيُديرُ البيتَ ويُطعِمُ غيرَهُ مِن العَبيدِ في الوَقتِ المُناسِب. [46]فإذا كانَ مُخلِصًا لعَمَلِهِ حتّى في غِيابِ سَيّدِهِ، نالَ خَيرَ الجَزاءِ. وعِندَ عَودةِ سَيِّدِهِ [47]يُقيمُهُ على جَميعِ مُمتلكاتِهِ! [48]أمّا إذا حَدَّثَ العَبدُ نَفسَهُ قائلاً: "لن يَعود سَيِّدي إلا بَعدَ أمَدٍ." [49]ثُمّ يَترُكُ أُمورَ سَيِّدِهِ ويَنصَرِفُ إلى قَضاءِ وَقتِهِ مَعَ قُرَناءِ السُّوءِ شارِبي الخَمرِ، بَعدَ اعتدائِهِ على غَيرِهِ مِن العَبيدِ

(1) توظيف شجرة التين لا يحمل دلالة رمزية كما هو الشأن في متّى 21: 19.

(2) حلّ الدمار على بيت الله المقدّس بعد أربعين سنة من نطق سيدنا عيسى بهذه الكلمات. لكنه لم يحدد أبدا موعد عودته.

بالضَّربِ والإهانةِ. [50]عِندئذٍ يُفاجِئُهُ سَيِّدُهُ في وَقتٍ لم يَتوَقَّعْ مَجيئَهُ فيهِ، [51]ويَغضَبُ عليهِ غَضَبًا حتّى يَكادَ يُمَزِّقُهُ إرَبًا إرَبًا، ويَجعَلُ مَصيرَهُ كمَصيرِ المُنافِقينَ حَيثُ البُكاءُ وصَريرُ الأسنانِ مِن الحَسرةِ والنَّدَمِ".

٢٥
الفصل الخامس والعشرون

مَثَل الفتيات الحصيفات والفتيات اللاهيات

[1]وتابَعَ سَيِّدُنا عيسى عَلَيْهِ السَّلامُ حَديثَهُ قائلاً: "إنّ مَثَلَ الاستِعدادِ لمَجيءِ المَسيحِ لاستِقبالِهِ والاحتِفالِ بِهِ مَلِكًا كمَثَلِ عَشرِ فَتياتٍ عَذارَى، ذَهَبنَ إلى حُضورِ حَفلةِ عُرسٍ، فخَرَجنَ وهُنّ يَحمِلنَ مَصابيحَهُنّ ليُرافِقنَ العَريسَ في الزَّفّة. [2-4]وكانَت خَمسٌ مِنهُنّ حَكيماتٍ، فجَهَّزنَ مَصابيحَهُنّ وأتينَ بالمَزيدِ مِن الزَّيتِ، أمّا الأُخرياتُ فكُن لامُبالياتٍ، فلم يُعِرنَ اهتِمامًا لجَلبِ المَزيدِ مِن الزَّيتِ لمَصابيحِهِنّ. [5]وحَلَّ اللّيلُ وأبطَأَ العَريسُ فنَعِسَت الفَتياتُ العَشرُ ورُحنَ في نوم عَميقٍ. [6]وعِندَ مُنتَصَفِ اللّيلِ، تَعالى الهُتافُ: "جاءَ العَريسُ! تَعالوا لنَزُفَّهُ!" [7]فاستَيقَظَت عِندئذٍ الفَتياتُ العَشرُ، وجَهَّزَت كُلُّ واحدةٍ مِصباحَها. [8]لكنّ الفَتايات اللامُباليات عَجَزنَ عن إضاءةِ مَصابيحِهِنّ بسَبَبِ نَفادِ الزَّيتِ. فسألنَ الخَمسَ الأُخرَيات أن تُعطينَهُنّ مِن زَيتِهِنّ، [9]فرَفَضنَ قائلات: "رُبَّما لا يَكفي ما جَلبناهُ مِن زَيتٍ لنا جَميعًا، فاذهَبنَ وابتَعنَ مِن الزَّيتِ ما أنتُنّ بحاجةٍ إليهِ"، [10]ففَعَلنَ ذلِكَ، وأثناءَ غَيبَتِهِنّ، جاءَ العَريسُ وشارَكَت الفَتياتُ الحَكيماتُ في الزَّفّةِ، ثُمّ دَخَلنَ مَعَهُ حَفلَ العُرسِ وأُغلِقَ وَراءهُنّ البابَ. [11]وبَعدَ فَترةٍ مِن الزَّمَنِ، جاءَت الفَتياتُ اللامُباليات اللواتي أضَعنَ وَقتَهُنّ في البَحثِ عن زَيتٍ لمَصابيحِهِنّ، وأرَدنَ دُخولَ الحَفلةِ، فتَوَسَّلنَ إلى العَريسِ لكي يَفتَحَ البابَ قائلاتٍ: "يا سَيِّدُنا، يا سَيِّدَنا، افتَح لنا!" [12]إلاّ أنّهُ رَفَضَ استِقبالَهُنّ قائلاً: "أنتُنّ غَيرُ جَديراتٍ بحُضورِ الحَفلِ!"(1) [13]والعِبرةُ في ذلِكَ يا أتباعي وُجوبُ اليَقَظةِ والاستِعدادِ الدّائِمِ لأنّكُم لا تَعرِفونَ مَوعدَ مَجيءِ سَيِّدِ البَشَرِ".

(1) بما أنّ الفتيات قد استخففن بأهمية هذه المناسبة وبمكانة العريس، فلم يحضرن الزفة كاملة، من غناء ورقص، لذلك منعن من دخول دار العرس على مدى أيام الاحتفال.

مثل أكياس الذّهب

[14]وساقَ عليه السلام مَثَلاً آخَرَ فقالَ: "أرادَ رَجُلٌ السَّفَرَ بَعيدًا، فنادى عُمّالَهُ وأوكَلَ إليهِم شأنَ أموالِهِ، ووزَّعَ عليهِم أكياسًا مِن الذَّهَبِ. [15]فأعطى الأوّلَ خَمسةَ أكياسٍ والثّاني كيسَينِ، والثّالثَ كِيسًا، كُلاً حَسَبَ مَقدرتِهِ ثُمّ سافَرَ. [16]فما كانَ مِن الأوّلِ صاحِبِ الأكياسِ الخَمسةِ إلاّ أن باشَرَ استِثمارَها في عَمَلٍ تِجاريّ ورَبِحَ ضِعفَها. [17]وكذا فَعَلَ الثّاني فرَجَعَ المالُ عليهِ بالضِّعفِ أيضًا. [18]أمّا الرَّجُلُ الثّالِثُ فقد آثَرَ أن يُخبّئَ كِيسَ المالِ في حُفرةٍ في الأرضِ دونَ أن يَستَثمِرَهُ في عَمَلٍ ما. [19]وبَعدَ مُدَّةٍ طَويلةٍ عادَ صاحِبُ المالِ وأرادَ أن يُحاسِبَهُم، [20]فجاءَ الّذي أخَذَ الأكياسَ الخَمسةَ وأعادَها مَعَ ضِعفِها قائلاً: "يا سَيِّدي، أعطيتَني خَمسةَ أكياسٍ ذَهَبًا، فخُذ الّذي أعطيتَني ومَعَهُ ما كَسَبتُهُ لكَ مِن رِبحٍ!" [21]فأجابَهُ سَيّدُهُ: "نِعْمَ الخادمُ الأمينُ أنتَ! كُنتَ أمينًا على القَليلِ، ولأَعهَدَنَّ إلَيكَ بالكَثيرِ. فَلنَحتَفِلْ مَعًا!" [22]وجاءَ الّذي أخَذَ كيسَينِ، فقالَ: "يا سَيِّدي، أعطَيتَني كيسَينِ ذَهَبًا، فخُذهُما مَعَ ما كَسَبتُ لكَ مِن رِبحٍ!" [23]فأجابَهُ سَيِّدُهُ: "نِعمَ الخادِمُ الأمينُ! كُنتَ أمينًا على القليلِ، ولأَعهدَنَّ إليكَ بالكَثيرِ. لنَحتَفِلْ مَعًا!" [24]ثُمّ جاءَ الرَّجُلُ الّذي أخَذَ الكيسَ الواحدَ، فقالَ: "يا سَيِّدي، أنا سَمِعتُ أنّكَ رَجُلٌ قاسٍ، تَكسِبُ مِن تَعبِ غَيرِكَ، وتَحصِدُ ما لم تَزرَع. [25]فخِفتُ فذَهَبتُ وخَبّأتُ ما أعطَيتَني مِن مالٍ في التُّرابِ، وها هو المالُ الّذي أعطَيتَني". [(1)] [26]فأجابَهُ سَيِّدُهُ غاضِبًا: "أيُّها الخادِمُ الحَقيرُ! لقد ظَنّنتَ أنّي شَديدُ القَسوةِ، وأنّي أستَفيدُ مِن تَعبِ غَيري، وأحصُدُ مِن حَيثُ لم أزرَع. [27]إن كانَ الأمرُ كذلِكَ، فلِمَ لم تَضعْ مالي عِندَ الصَّيارفةِ لأستَرِدَّهُ حين عَودتي مُضاعَفًا مَعَ مالِ الرِّبا؟" [(2)] [28]وتَوَجَّهَ إلى الحاضِرينَ آمِرًا: "خُذوا مِنهُ الكيسَ، وأعطُوهُ لمَن تَعِبَ وجاءَ بضِعفِ الأكياسِ الخَمسة، [29]لأنّ مَن يَعمَلُ بأمانةٍ وإخلاصٍ تَتَضاعفُ وَديعتُهُ وتَزيدُ، وأمّا مَن لا يَعمَلُ بأمانةٍ وإخلاصٍ فلا حَظَّ لهُ في مالي، وإن أعطَيناهُ القليلَ، استرجَعناهُ مِنهُ. [(3)] [30]ولَيسَ لنا في هذا العامِلِ مِن رَجاءٍ، فأبعِدوهُ خارجًا في الظُّلُماتِ مَعَ الذّينَ يَكونَ نَدَمًا وحَسرةً على سُوءِ أعمالِهِم".

---

(1) لم يكترث الخادم الثالث بمصير الأمانة التي تركها له سيده. فلو كان حريصا على قيمة هذا المال، لوضعه في أمان عند الصيارفة، ولكن يبدو أنه لم يحسن تدبير الأمانة مثل الآخرين.

(2) كان اليهود يعتبرون أن التعامل بالربا فيما بينهم ممنوع، لكنه يجوز مع غيرهم.

(3) يشير هذا المثل إلى ضرورة حسن التصرف في ممتلكاتنا بما يرضي الله، لأنّ الله سيحاسبنا على ذلك.

يوم الدّين

[31]وتابعَ سَيِّدُنا عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حديثَهُ قائلاً: "وعِندَ مَجيءِ سَيِّدِ البَشَرِ في هَيبَتِهِ تُرافِقُهُ كُلُّ المَلائكةِ، سيَجلِسُ على عَرشِهِ المَجيدِ [32]حَيثُ تَجتَمِعُ أمامَهُ جَميعُ الأُمَمِ، ويَبدأُ في الفَصلِ بَينَ العُصاةِ والمُطيعينَ كَما يَفصِلُ الرّاعي خِرافَهُ عن جِدائِهِ، [33]فيَجعَلُ الخِرافَ عن يَمينِهِ والجِداءَ عن شِمالِهِ، [34]ثُمّ يَلتَفِتُ إلى المُطيعينَ الواقِفينَ عن يَمينِهِ ويُقولُ لهُم: "إليّ يا مَن أنعَمَ عليهِم اللهُ أبي الصَّمَدُ، خُذوا نَصيبَكُم في المَملكةِ الرَّبّانيّةِ المُعَدّةِ لكُم مُنذُ خَلَقَ اللهُ العالَمينَ، [35]وذلِكَ لأنّني كُنتُ جائعًا فأطعَمتُموني، وعَطِشًا فسَقَيتُموني، وغَريبًا فآويتُموني، [36]وعارِيًا فكَسَوتُموني، ومَريضًا فعُدتُموني، وسَجينًا فزُرتُموني". [37]ويُسَلِّمُ عليهِ الأتقياءُ قائلينَ: "يا سَيِّدَنا، كَيفَ ذلِكَ؟! مَتى رأيناكَ جائعًا فأطعَمناكَ، وعَطِشًا فسَقيناكَ، [38]وغَريبًا فآويناكَ، وعاريًا فكَسوناكَ، [39]ومَريضًا فعُدناكَ، وسَجينًا فزُرناكَ؟" [40]فيُجيبُهُم المَسيحُ المَلِكُ قائلاً: "الحَقَّ أقولُ لكُم، عِندَما فَعَلتُم ذلِكَ كُلِّهِ مَعَ أتباعي، حتّى مَن كانَ مِنهُم مُحتَقَرًا، فكأنّكُم فَعَلتُم ذلِكَ كُلِّهِ مَعي". [41]ثُمّ يَلتَفِتُ المَسيحُ المَلِكُ إلى العُصاةِ عن شِمالِهِ ويَقولُ: "ابتَعِدوا عنّي يا مَلاعينُ، إنّ مَصيرَكُم النّارُ الأبَديّةُ المُعَدّةُ لإبليسَ وأعوانِهِ مِن الشَّياطينِ،(1) [42]فقد كُنتُ جائعًا فلم تُطعِموني وعَطِشًا فلم تَسقُوني، [43]وغَريبًا فلم تُؤوُوني، وعارِيًا فلم تَكسُوني، ومَريضًا وسَجينًا فلم تَزوروني". [44]فيَرُدُّ هؤلاء قائلينَ: "وكَيفَ ذاكَ يا مَولانا؟ مَتى رأيناكَ جائعًا، عَطِشًا، غَريبًا، عاريًا، مَريضًا، سَجينًا ولم نُسعِفكَ؟" [45]فيُجيبُهُم قائلاً: "الحَقَّ أقولُ لكُم: بما أنّكُم لم تَفعَلوا ذلِكَ مَعَ أتباعي، حتّى مَن كانَ مِنهُم مُحتَقَرًا، فكأنّما لم تَفعَلوهُ مَعي!"

[46]وأضافَ السَّيِّدُ المَسيحُ قائلاً: "وسيَكونُ مَصيرُ هؤلاءِ العُصاةِ العِقابُ الأبَديّ، أمّا التُّقاةُ فسيَنعَمونَ في دارِ الخُلدِ".

(1) تقول بعض تعاليم اليهود أن الله خلق الشيطان ليُطرح في جهنم، لكنه لم يخلق البشر ليدخلوا جهنم. كما أن كثيرا من اليهود كانوا يعتقدون أن الشياطين هم في الأصل ملائكة عصوا الله.

٢٦
الفصل السّادس والعشرون

التّآمر على قتل عيسى عَلَيۡنَا سَلَامُهُ

[1]ثُمّ قالَ عَلَيۡنَا سَلَامُهُ لأتباعِهِ بَعدَ أن أنهى حَديثَهُ: [2]"أنتُم تَعلَمونَ أنّهُ قَرُبَ وَقتُ حُلولِ عِيدِ الفِصحِ الّذي سيَكونُ بَعدَ يَومين، ولا بُدَّ حِينئذٍ مِن تَسليمِ سَيِّدِ البَشَرِ وصَلبِهِ". [3]وفي ذلِكَ الوَقتِ، كانَ رُؤساءُ الأحبارِ والشُّيوخُ مُجتَمِعينَ في قَصرِ قَيافا كَبيرِ الأحبارِ، [4]يَتآمَرونَ للقَبضِ على سَيِّدِنا عيسى بحِيلةٍ لِقَتلِهِ، [5]فاتّفَقوا فيما بَينَهُم قائلينَ: "لن نَقومَ بتَنفيذِ ذلِكَ الأمرِ في فَترةِ العِيدِ لئلاّ تَسودَ الاضطِراباتُ".

قارورة العطر

[6]وكانَ سَيِّدُنا عيسى عَلَيۡنَا سَلَامُهُ في قَريةِ بَيتَ عَنْيا عِندَ سَمعانَ الأبرص، [7]فأقبَلَت عليهِ امرأةٌ تَحمِلُ قارورةً مِنَ المَرمَرِ وفيها عِطرٌ غالي الثَّمَن سَكبَتْهُ على رأسِهِ وهو جالِسٌ إلى المائدةِ. [8]وعِندَما رأى أتباعُهُ ذلِكَ، استاؤوا وقالوا: "لِمَ يُهدَرُ هذا العِطرُ؟! [9]ألم يَكُن مُمكِنًا بَيعُهُ واستِغلالُ ثَمنِهِ الكَبيرِ لصالِحِ الفُقَراءِ؟!" [10]وعَلِمَ عيسى عَلَيۡنَا سَلَامُهُ بذلِكَ فالتَفَتَ إليهِم قائلاً: "لِمَ تَلومونَ هذه المَرأةَ؟ اترُكوها! لقد أقدَمَت على هذا العَمَلِ الصّالِحِ مِن أجلي! [11]إنّ الإحسانَ إلى الفُقَراءِ بإمكانِكُم في كُلِّ حينٍ، أمّا أنا فلن يَدومَ مُكوثي بَينَكم. [12]وإنّ ما فَعَلَتْهُ هذه المَرأةُ إذ سَكَبَت العِطرَ عليّ لَيسَ إلاّ تَحضيرًا لدَفني.(1) [13]والحقَّ أقولُ لكُم: إنّ النّاسَ سيَتَذَكّرونَ دائمًا ما عَمِلَتْهُ هذِهِ المَرأةُ تَخليدًا لها، وذلِكَ حَيثُما انتَشَرَت رِسالتي في كُلِّ العالَمِ".

يهوذا يخطّط لخيانة سَيِّده عيسى

[14]بَعدَ ذلِكَ تَوَجّهَ يَهوذا الإسْخَريوطيُّ أحَدُ الحَواريّينَ الاثني عَشَر إلى رُؤساءِ الأحبارِ [15]قائلاً: "كم تُعطُونَني مُقابِلَ تَسليمِكُم عيسى؟" فدَفعوا لهُ ثَلاثينَ قِطعةً فِضيّةً مِنَ العُملةِ. [16]ومُنذُ ذلِكَ الحينِ أخَذَ يَهوذا يَتَحَيّنُ الفُرصةَ المُناسِبةَ للإيقاعِ بسَيِّدِهِ.

(1) كانت العادة عند اليهود أن تدهن جثث الموتى بالطيب أو العطر قبل دفنها. وقد دهنت هذه المرأة سيدنا عيسى عَلَيۡنَا سَلَامُهُ بالطيب تعبيرا منها عن تفانيها في الولاء له، لكنه فسر ذلك كعلامة على موته القريب ودفنه.

العيد

[17]وفي أوّلِ يوم مِن عِيدِ الفِصح، أي اليوم المُمَهِّدِ لِعيدِ الفَطير، أقبَلَ على سَيّدِنا عيسى ﷺ أتباعُهُ مُتسائلينَ: "أينَ تُريدُ أن يكونَ عَشاءُ العِيدِ فنُجَهِّزَهُ لكَ؟" [18]فرَدَّ عليهِم بقَولِهِ: "اذهبوا إلى المَدينةِ المُقَدَّسةِ حَيثُ فُلانٌ وقولوا لهُ: "يُخبِرُكَ المُعَلِّمُ قائلاً: "إنّ وَقتي قد حانَ، وسأقومُ بالاحتِفالِ مَعَ أتباعي بعِيدِ الفِصحِ في دارِكَ". [19]فذَهَبَ أتباعُهُ ﷺ، وقاموا بتَجهيزِ العَشاءِ حَيثُ أشارَ. [20]وعِندَ حُلولِ المَساءِ، جَلَسَ ﷺ مَعَ حَوارِيِّيهِ الاثني عَشَر، [21]وبَينَما هُم يأكُلونَ، التَفَتَ إليهِم قائلاً: "الحقَّ أقولُ لكُم، سيَغدُرُ أحَدُكم بي". [22]فأصابَهُم حُزنٌ شَديدٌ، وأخَذَ كُلُّ واحدٍ مِنهُم يَتَساءل: "أكيد لَستُ أنا يا سَيِّدي؟" [23]إلاّ أنّهُ أجابَهُم: "خائني هو واحِدٌ مِنكُم، أنتُم الّذينَ غَمَستُم يَدَكُم مَعَ يدي في هذا الطَّبَقِ. [24]وسَيَموتُ سَيِّدُ البَشَرِ كَما جاءَ في الكُتُبِ السَّماويّةِ، ولكنّ الوَيلَ لذاكَ الرَّجُلِ الّذي يُسَلِّمُهُ! فخَيرٌ لهُ لو لم يُولَد". [25]وانبَرَى يَهوذا الخائنُ قائلاً: "هل هو أنا أيُّها المُعَلِّم؟" فأجابَهُ ﷺ: "هو ما تَقولُ".

العشاء التّذكاريُّ للسّيّد المسيح ﷺ

[26]وأثناءَ تَناوُلِهِم للعَشاءِ، أخَذَ سَيِّدُنا عيسى ﷺ خُبزًا وحَمِدَ اللهَ على النِّعمةِ وقَسَّمَهُ وأعطى أتباعَهُ قائلاً: "خُذوا مِنهُ، فهذا الخُبزُ بمَثابةِ جَسَدي". [27]ثُمّ تناوَلَ الكأسَ وحَمِدَ اللهَ على نَعمائِهِ وناوَلَها لأتباعِهِ قائلاً: "اشرَبوا مِنها كُلُّكُم، [28]فما في هذِهِ الكأسِ رَمزٌ إلى دَمي الّذي سيُراقُ لأجلِ غُفرانِ ذُنوبِ كُلِّ النّاسِ، تَثبيتًا لميثاقِ اللهِ الجَديدِ، [29]وإنّي لمُنذِرُكُم أنّي لن أتَذَوَّقَ بَعدَ الآنَ عَصيرَ العِنَبِ، إلى ذاكَ اليوم الّذي أشرَبُ فيهِ شَرابًا طَهورًا في المَملكةِ الرَّبّانيّةِ". [30]ثُمّ أخَذَ الجَميعُ يُرَتِّلونَ آياتٍ مِنَ الزَّبور. وغادَروا بَعدَ ذلِكَ مُتَوجّهينَ إلى جَبَلِ الزَّيتونِ.

[31]ثُمّ قالَ سَيِّدُنا عيسى ﷺ لأتباعِهِ: "ستَتَخَلَّونَ عنّي جَميعُكُم هذِهِ اللّيلةَ، فقد جاءَ في كِتابِ النَّبيّ زَكَريّا: "سيَضرِبُ اللهُ الرّاعيَ فتَتَبَدَّدُ الخِرافُ"، [32]ولكن بَعدَ قيامي حيًّا مِنَ المَوتِ، سأَسبِقُكُم إلى الجَليل". [33]فقالَ لهُ بُطرُسُ الصَّخرُ: "إنّني لن أتَخَلّى عَنكَ حتّى لو تَخلّى عَنكَ الجَميعُ!" [34]فأجابَهُ ﷺ: "الحقَّ أقولُ لكَ: في هذِهِ اللّيلة، وقَبلَ صِياحِ الدّيكِ، ستُنكِرُني ثلاثًا". [35]فرَدَّ بُطرُسُ عليهِ بقَولِهِ: "سأموتُ مَعَكَ لو لَزِمَ الأمرُ، ولن أتَخَلّى عَنكَ!" ورَدَّدَ الحَواريّونَ جَميعًا كَلامًا كهذا.

ما حدث في حقل جسيماني

[36]وغادرَ ﷺ بعدَ ذلكَ وتوَجَّهَ مَعَ أتباعِهِ إلى مَكانٍ يُدعى جَسيماني. حَيثُ قالَ لأتباعِهِ: "انتَظِروني هُنا رَيثَما أقضي الصَّلاةَ هُناكَ". [37]ومَضى ﷺ مُصطَحِبًا بُطرُسَ الصَّخر وابنَيْ زَبَدي، وبَدأتْ الكآبَةُ والحُزنُ يَتَسَلّلانِ إلى نَفسِهِ، [38]فقالَ: "نفسي مُكتَئِبَةٌ حتّى المَوتِ، انتَظِروني هُنا وكونوا يَقِظينَ". [39]ثُمّ ابتَعَدَ عَنهُم وخَرَّ على الأرضِ ساجِدًا مُصَلّيًا مُناجيًا رَبَّهُ: "اللهُمّ يا أبي الصَّمَدُ، ألا أبعَدتَ عنّي كأسَ الآلامِ، ولكنْ لِيَكُن ما تُريدُ لا ما أُريدُ". [40]ثُمّ عادَ إلى أتباعِهِ فوَجَدَهُم يَغُطّونَ في نومِهِم. فأيقَظَ بُطرُسَ الصَّخر وقالَ لهُ: "ألَمْ يَكُن بوُسعِكُم أن تبقَوا يَقِظينَ لتُؤنِسوني في وَحشَتي ولو ساعةً واحدةً؟! [41]كونوا يَقِظينَ وتَوَجَّهوا إلى اللهِ بصَلَواتِكُم، واسألوهُ ألاّ تَغلِبَكُم المِحنَةُ الّتي ستَتَعَرَّضونَ لها. وأُنَبِّهُكم أنّ لَدَيكُم رَغبَةً لمُغالبَةِ المِحنَةِ، ولكنّ الإنسانَ فيكُم ضَعيفٌ ما لم يَستَعِن باللهِ". [42]وذَهَبَ ﷺ للصَّلاةِ مَرّةً ثانيةً وقالَ مُناجيًا: "اللهُمّ يا أبي الصَّمَدُ، إن كانت مَشيئَتُكَ أن أتَجرَّعَ كأسَ الآلامِ، فلا رادَّ لمَشيئَتِكَ". [43]وعادَ ثانيةً إلى أتباعِهِ فوَجَدَهُم نيامًا، لأنّ النُّعاسَ أثقَلَ أجفانَهُم. [44]فترَكَهُم ثالثةً ومَضى إلى صَلاتِهِ مُرَدِّدًا المُناجاةَ نَفسَها. [45]ثُمّ عادَ إلى أتباعِهِ وقالَ لهُم: "أما زِلتُم نائمينَ مُستَريحينَ؟! أُنظُروا! فقد حانَ وَقتُ خيانَتي بتَسليمي لأيدي الأشرار. [46]هيّا بنا نَذهَب! ها قد جاءَ مَن سيُسَلِّمُني!"

القبض على عيسى ﷺ

[47]وأقبَلَ عليهِ يَهوذا، أحَدُ حَوارِيّيهِ الاثني عَشَر، تُرافِقُهُ جَماعةٌ مِن النّاسِ بَعَثَ بِهِم رُؤساءُ الأحبارِ ومَشايخُ الشَّعبِ وقد حَمَلوا السُّيوفَ والعِصِيَّ. [48]ونَظرًا إلى عَدَمِ مَعرِفَتِهِم بشَخصِ عيسى ﷺ، اتَّفَقَ يَهوذا الخائنُ مَعَهُم قائلاً: "إنّ مَن سأُقَبِّلُهُ هو عيسى فاقبِضُوا عليهِ". [49]وتَوَجَّهَ يَهوذا مُباشرةً إلى سَيِّدِنا عيسى ﷺ قائلاً: "السّلامُ عليكَ أيُّها المُعَلِّمُ!" ثُمّ قَبَّلَهُ. [50]فرَدَّ عليهِ ﷺ قائلاً: "افعَلْ ما جِئتَ لأجلِهِ أيُّها الصَّديقُ". وسُرعانَ ما أطبَقَ عليهِ أفرادُ العِصابَةِ قابِضينَ عليهِ. [51]فجَرَّدَ أحَدُ حَوارِيّيهِ سَيفَهُ وهَوَى بِهِ على عَبدٍ لكَبيرِ الأحبارِ فقَطَعَ أُذُنَهُ. [52]فأمَرَهُ ﷺ بقَولِهِ: "أعِدْ سَيفَكَ إلى غِمدِهِ، فكُلُّ مَن حارَبَ بالسَّيفِ، ماتَ بحَدِّهِ! [53]ألا تَدري أنّهُ بمَقدوري أن أسألَ اللهَ أبي الصَّمَدَ فيُمِدَّني في الحالِ باثني عَشَر جَيشًا أو يَزيدُ مِن المَلائكةِ!؟ [54]ولكنْ إنْ طَلَبتُ عَونَ اللهِ، فكَيفَ يَتَحَقَّقُ ما جاءَ على لِسانِ الأنبياءِ في كِتابِ اللهِ؟"

[55]ثُمّ التَفتَ ﷺ إلى أفرادِ العِصابةِ وقالَ لهم: "هل أنا مُتَمَرِّدٌ أقودُ ثَورةً حتّى خَرَجتُم بسُيوفِكُم وعِصيِّكم لتَقبِضوا عليَّ؟ لِمَ لم تَقبِضوا عليّ عِندَما كُنتُ أُعَلِّمُ أمامَكم كُلَّ يوم في الحَرَمِ الشَّريفِ؟ [56]ولكن لا بُدَّ مِن وقوعِ ما تَرونَ فيَتَحقَّقَ ما جاءَ في الكُتُبِ المُقَدَّسةِ عن مُعاناتي". عِندئذٍ تَرَكَهُ أتباعُهُ وهَرَبوا كُلٌ في طَريقٍ.

عيسى ﷺ والمحكمة الدّينيّة

[57]وهكذا ساقَهُ الّذينَ قَبَضوا عليهِ إلى قَيافا كَبيرِ الأحبارِ، حَيثُ كانَ الفُقَهاءُ والشُّيوخُ مُجتَمِعينَ. [58]أمّا بُطرُسُ الصَّخرُ فظَلَّ يَقتفي أثَرَ عيسى ﷺ عن مَسافةٍ غيرِ قَريبةٍ إلى أن وَصَلَ إلى ساحةِ دارِ كَبيرِ الأحبار، حَيثُ تَقَدَّمَ ليَجلِسَ مَعَ الخَدَمِ حتّى يُراقِبَ كَيفَ سيَنتَهي الأمرُ. [59]ونُزولاً عِندَ طَلَبِ رُؤساءِ الأحبارِ وأعضاءِ المَجلِسِ الأعلى قَدَّمَ كَثيرونَ شَهاداتِ زُورٍ ضِدَّهُ ﷺ حتّى يُحكَمَ عليهِ بالإعدامِ، [60]ولكن لم يَكُن فيهِم مَن أقنَعَ السّامِعينَ بشَهادتِهِ. وأخيرًا تَقَدَّمَ اثنانِ بالتُّهمةِ التّالية: [61]"لقد صَرَّحَ هذا الرَّجُلُ أنّهُ يَستَطيعُ هَدمَ بيتِ اللهِ وبِناءَهُ في ثلاثةِ أيّام". [62]فالتَفتَ كَبيرُ الأحبارِ إلى عيسى ﷺ قائلاً: "هل لَديكَ رَدٌّ تَدفَعُ بِهِ تُهمةَ هذَينِ الشّاهدين عَنكَ؟!" [63]فبَقِيَ عيسى صامِتًا. ولكنّ كَبيرَ الأحبارِ تَوَجَّهَ إليهِ مُلِحّا: "إنّي أُحلِّفُكَ باللهِ الحَيِّ أن تُخبِرَنا: هل أنتَ هو المَسيحُ المُنتَظَرُ الابنُ الرُّوحيُّ للهِ؟!" [64]فأجابَهُ ﷺ: "هو ما تَقولُ. وإنّي لَمُؤكِّدٌ لكُم جَميعًا أنّكُم بَعدَ اليوم سترَونَ سَيِّدَ البَشَرِ جالِسًا على يَمينِ عَرشِ الله القَديرِ، وستَرَونَهُ قادِمًا في ظُلَلٍ مِنَ غَمامِ السّماءِ". [65]فقامَ كَبيرُ الأحبارِ بتَمزيقِ ثِيابِهِ صائحًا: "إنّهُ الكُفرُ بعَينِهِ، ولَسنا بحاجةٍ إلى شَهادةٍ ضِدَّهُ بَعدَ الآنَ! ها أنتُم كُلُّكُم سَمِعتُم كُفرًا،(1) [66]فصَرِّحوا بالحُكمِ الّذي تَرونَهُ في حَقِّهِ". فرَدُّوا عليهِ قائلينَ: "المَوتُ هو أدنى ما يَستَحِقُّهُ هذا الرَّجُلُ!" [67]ثُمّ عَصَبوا عَينيهِ وأخَذوا يَبصُقونَ في وَجهِهِ، ويَضرِبونَهُ ويَلطِمونَ وَجهَهُ مُستَهزِئينَ بِهِ [68]قائلينَ: "تَنبّأْ أيُّها المَسيحُ، مَن ضَرَبَكَ!؟"

إنكار صخر لعلاقته بالمسيح ﷺ

[69]وأثناءَ جُلوسِ بُطرُسَ الصَّخرِ في باحةِ الدّارِ، أقبَلَت عليهِ جاريةٌ وقالَت لهُ: "أنتَ

(1) كان تمزيق الثياب تقليدا يهوديا للتعبير عن الحزن الكبير أو الصدمة.

أيضًا كُنتَ برِفقةِ عيسى الجَليليّ!" [70]ولكنّ بُطرُسَ أخَذَ يُرَدِّدُ أمامَ الجَميع مُنكِرًا قائلاً: "لا أدري ما تَقولينَ". [71]ثُمّ غادرَ المَكانَ إلى المدخَلِ حَيثُ شاهَدَتْهُ جاريةٌ أُخرى فقالَت للحاضِرينَ: "لقد كانَ هذا الرَّجُلُ بِصُحبةِ عيسى النّاصريّ". [72]فأنكرَ بُطرُسُ ذلِكَ مرّةً أُخرى، وأخَذَ يُقسِمُ قائلاً: "إنّني لا أعرِفُ هذا الرَّجُلَ". [73]ثُمّ تقدَّمَ مِنهُ بَعضُ الحاضِرينَ هُناكَ وقالوا لهُ: "لَيسَ هُناكَ مِن شَكٍّ بأنّكَ أحَدُهُم، فلَهجَتُكَ الجَليليّةُ تَفضَحُكَ!" [74]وأصَرَّ بُطرُسُ الصَّخرُ على إنكارِهِ وهو يُرَدِّدُ: "اللّعنةُ عليّ إن كُنتُ كاذِبًا، إنّي لا أعرِفُ هذا الرَّجُلَ". وما أن سَكَتَ بُطرُسُ حتّى صاحَ ديكُ الصّباحِ. [75]فتَفَطّنَ عِندئذٍ بُطرُسُ إلى كَلامِ عيسى ﷺ: "ستُنكِرُني ثَلاثَ مَرّاتٍ قَبلَ أن يَصيحَ الدّيكُ". فغادرَ المَكانَ وأخَذَ يَبكي بحُرقةٍ ومَرارةٍ.

٢٧
الفصل السّابع والعشرون

انتحار يهوذا

[1]وعِندَ طُلوعِ الفَجرِ، تَشاوَرَ جَميعُ رُؤساءِ الأحبارِ وشُيوخُ الشَّعبِ على عيسى ﷺ ليُعدِمَهُ الرّومانُ. [2]فقَيَّدوهُ وساقوهُ مِن أجلِ تَسليمِهِ إلى بيلاطُسَ الحاكمِ الرُّومانيّ.(1) [3]وبَعدَ أن تمّت إدانةُ سَيِّدنا عيسى ﷺ، رأى يَهوذا الخائنُ ذلِكَ فندِمَ ندمًا شَديدًا، وأعادَ ثَمَنَ خيانتِهِ (الثلاثين قِطعةً من الفضّة) إلى رُؤساءِ الأحبارِ والشُّيوخ [4]قائلاً: "لقد أخطَأتُ إذ خُنتُ إنسانًا بريئًا!" ولكنّهُم لم يأبهوا لقَولِهِ وأجابوهُ قائلينَ: "لا يَهُمُّنا الأمرُ، فالشَّأنُ شَأنُكَ". ورَفَضوا أخذَ المالِ. [5]وانصرَفَ عَنهُم يَهوذا بَعدَ أن رَمى ذلِكَ المالَ في الحَرَمِ الشَّريفِ، ثُمّ تَوَجَّهَ إلى مَكانٍ يَشنُقُ فيهِ نَفسَهُ. [6]والتَقَطَ رُؤساءُ الأحبارِ ما رَمى بِهِ مِن قِطَعِ الفِضّةِ قائلينَ: "هذا المالُ حَرامٌ لأنّهُ ثَمَنُ دَمِ إنسانٍ، ولا يَجوزُ وَضعُهُ مَعَ مالِ بَيتِ اللهِ". [7]وأخَذوا يَتَشاوَرونَ فيما بينَهُم حَولَ كَيفيّةِ التَّصرُّفِ فيهِ، فقَرّروا شِراءَ حَقلٍ يُدعَى حَقلَ الفَخّاريّ، ليَكونَ مَدفَنًا للأغرابِ.(2) [8]وسُمِّيَ هذا الحَقلُ مُنذُ ذلِكَ الحينِ إلى اليَومِ حَقلَ الدَّمِ. [9]وبهذا تَمَّ قولُ النَّبيِّ إرميا: "وأخَذوا الثّلاثينَ

---

(1) لم يكن لليهود تحت الاحتلال الحق في الحكم بالإعدام على المساجين. فقد كان ذلك امتيازا للحاكم الروماني. لذلك أخذ المجلس الأعلى سيدنا عيسى إلى بيلاطس للحكم عليه بالإعدام.

(2) كان يعتبر دفن الغرباء الذين لا أهل لهم عمل خيْر.

قِطعةً مِن الفِضّةِ، المَبلَغَ الّذي اتَّفَقَ عليهِ بَنو اسرائيلَ ليَكونَ ثَمَنَهُ، 10واشتَروا بها حَقلَ
الفَخّاريّ. هكذا قَضى اللهُ".

بيلاطس يصدر حكم الإعدام على عيسى عليه السلام

11وأُحضِرَ سَيِّدُنا عيسى عليه السلام إلى الحاكِمِ الرّومانيِّ بيلاطُسَ فسألَهُ: "هل أنتَ
مَلِكُ اليَهودِ؟" فأجابَهُ عليه السلام: "هو ما تَقولُ". 12وكانَ رُؤساءُ الأحبارِ والشُّيوخُ يَكيلونَ
التُّهَمَ لهُ، وهو عليه السلام صامِتٌ. 13فالتَفَتَ إليهِ بيلاطُسُ قائلاً: "ألَم تَسمَعْ ما يُوَجِّهونَ
إليكَ مِن تُهَمٍ؟ ألا تُجيبُهُم، ألا تَرُدُّ عليهِم؟!" 14وظَلَّ عيسى عليه السلام على صَمتِهِ، مِمّا
أثارَ دَهشَةَ الحاكِمِ.

15وكانَ مِن عادةِ الحاكِمِ بمُناسَبةِ العِيدِ، أن يُطلِقَ سَراحَ أحَدِ المَساجينِ مِمّن
يَطلُبُ النّاسُ إطلاقَ سَراحِهِ. 16وكانَ هُناكَ سَجينٌ ذو سَوابِقَ خَطيرةٍ اسمُهُ باراباسُ.
17-18فلمّا اجتَمَعَ النّاسُ ليَختاروا مَن سيُطلِقُ الحاكِمُ سَراحَهُ، كانَ بيلاطُس على يَقينٍ
بأنّ رُؤساءَ الأحبارِ إنّما سَلَّموا عيسى عليه السلام حَسَدًا للشَّعبيّةِ الّتي حَظِيَ بها بَينَ النّاسِ،
فخاطَبَ الجُمهورَ قائلاً: "مَن مِنَ الاثنينِ تُريدونَ إطلاقَ سَراحِهِ؟ أباراباسُ أم عيسى
الّذي يُدعَى المَسيحَ؟" 19وعِندَما كانَ بيلاطسُ جالِسًا على مَنصَّةِ القَضاءِ يَنتَظِرُ قَرارَ
النّاسِ، أرسَلَت إليهِ زَوجَتُهُ تُحذِّرُهُ قائلة: "إيّاكَ أن تُؤذيَ هذا الرَّجُلَ الصّالحَ، فقد
أفَقتُ مِن نومي مُتَألِّمةً مِن أجلِهِ بَعدَ رؤيا جاءَتني لَيلةَ أمسِ". 20إلاّ أنّ رُؤساءَ الأحبارِ
والشُّيوخَ حَرَّضوا النّاسَ حتّى يُطالِبوا بإطلاقِ سَراحِ باراباسَ وإعدامِ عيسى عليه السلام.
21فسألَهُم الحاكِمُ ثانيةً: "أيُّهُما تُريدونَ أن أُطلِقَ سَراحَهُ؟" فأجابوهُ: "باراباسُ!"
22فقالَ لهُم بيلاطسُ: "وماذا بشأنِ عيسى المَدعوِّ المَسيحَ المُنتَظرِ؟!" فأجابوهُ بصَوتٍ
واحدٍ: "أُصلُبْهُ! أُصلُبْهُ!" 23فرَدَّ عليهِم قائلاً: "وما هو الذَّنبُ الّذي ارتَكَبَهُ؟!" فقالوا
صارِخينَ: "أُصلُبْهُ! أُصلُبْهُ!" 24وعِندَما رأى بيلاطسُ أنّهُ لا فائدةَ مِن إلحاحِهِ، وأنّ
اضطِرابَ الجُموعِ يَشتَدُّ، وأنّهُم مُصَمِّمونَ على صَلبِ سَيِّدِنا عيسى، غَسَلَ يدَيهِ
أمامَهُم قائلاً: "إنّي بَريءٌ مِن دَمِ هذا الرَّجُلِ، وإنّكُم تَتَحَمَّلونَ وِزرَ قَرارِكُم!"
25فأجابوا جَميعًا: "نحنُ وأولادُنا نَتَحَمَّلُ وِزرَ دَمِهِ!" 26فما كانَ مِن بيلاطسَ إلاّ أن
أصدَرَ أمرًا بإطلاقِ سَراحِ باراباسَ، وأمَرَ بجَلدِ سَيِّدِنا عيسى وصَلبِهِ.

الجند يستهزئون بعيسى ﷺ

[27]فأخَذَ جُندُ الحاكِم عيسى ﷺ إلى قَصرِ الوِلايةِ، واجتَمعَت عليهِ الكَتيبةُ كُلُّها، [28]ثُمّ نَزعوا عَنهُ ثِيابَهُ وألبَسوهُ رِداءً قِرمِزيّ اللّونِ استِهزاءً، (1) [29]وضَفروا لهُ تاجًا مِن الشَّوكِ ووَضَعوهُ على رأسِهِ، ووَضَعوا عَصًا في يَدِهِ اليُمنى، ورَكَعوا على رُكَبِهم أمامَهُ وهم يَقولونَ ساخِرينَ: "عاشَ مَلِكُ اليَهودِ!" [30]ثُمّ بَصَقوا عليهِ وأخَذوا مِنهُ العَصا، وانهالوا بها ضَربًا على رأسِهِ. [31]ثُمّ نَزَعوا الرِّداءَ عَنهُ، وألبَسوهُ ثِيابَهُ، واقتادوهُ للصَّلبِ.

الصّليب

[32]وعِندَ خُروجِهِم مِن المَدينةِ، قابَلوا رَجُلاً اسمُهُ سِمْعانُ مِن مَدينةِ قورينا في ليبيا، فأجبَروهُ على حَملِ صَليبِ سَيِّدِنا عيسى ﷺ. [33]وعِندَما وَصَلوا إلى مَكانٍ يُدعَى الجُلْجُثَةَ، أي مَكانُ الجُمجُمةِ، [34]قَدَّموا لعيسى خَمرةً مَمزوجةً بمادّةٍ مُرّةِ المَذاقِ، فلمّا تَذَوَّقَها ﷺ، لَفَظَها. (2) [35]ثُمّ صَلَبوهُ واقتَرَعوا على ثِيابِهِ فيما بَينَهُم، واقتَسموها. [36]وجَلَسوا حَولَهُ لِحِراسَتِهِ، [37]ووَضَعوا فَوقَ رأسِهِ لَوحةً تَحمِلُ التُّهمةَ الّتي وُجِّهَت إليهِ وكانَ مَكتوبًا فيها: "هذا عيسى مَلِكُ اليَهودِ". [38]وقد صُلِبَ مَعَهُ رَجُلانِ مُتَمَرِّدانِ أحَدُهُما عن يَمينِهِ، والآخرُ عن شِمالِهِ. (3) [39]وكانَ المارّةُ يَكيلونَ لهُ ﷺ الشَّتائمَ مُحرِّكينَ رُؤوسَهُم تَندُّرًا بِهِ [40]قائلينَ: "يا هادِمَ بيتِ اللهِ وبانيهِ في ثَلاثةِ أيّام! هَيّا أنقِذْ نَفسَكَ وتَخلَّصْ مِن الصَّلبِ إن كُنتَ حقًّا الابنَ لِلَّهِ!" [41]وكانَ رُؤساءُ الأحبارِ والفُقَهاءُ والشُّيوخُ يَهزأُونَ مِنهُ أيضًا بالطّريقةِ نَفسِها ويَقولونَ: [42]"أنقَذَ غَيرَهُ ولَيسَ بقادرٍ على إنقاذِ نَفسِهِ، يَدّعِي أنّهُ مَلِكُ بَني يَعقوبَ! فليُخَلِّصْ نَفسَهُ مِن الصَّلبِ وعِندئذٍ نؤمنُ بِهِ. [43]لقد كانَ يَتوكّلُ على اللهِ ويَقولُ: "أنا الابنُ الرُّوحيُّ لهُ تَعالى". فإن كانَ اللهُ راضيًا عَنهُ حقًّا فليُنقِذْهُ". [44]إضافةً إلى ذلِكَ كُلِّهِ، لم يَنجُ مِن إهانةِ المُتَمَرِّديْنِ اللّذَينِ كانا على جانبَيهِ إذ كانا يَكيلانِ لهُ الشّتائمَ بالأسلوبِ نَفسِهِ.

---

(1) كان الرداء القرمزي لأحد الجنود الرومان على الأرجح، وهو يختلف عن الرداء الأرجواني الذي ألبسه هيرودس لسيدنا عيسى استهزاء به.

(2) قدّم الجنود هذا الشراب المُرّ لكي يضاعفوا تعذيبه إذ كان يعطش كثيرًا.

(3) أطلق الرومان على الثوار اسم قطاع الطرق لنزع الشرعية عن تحرّكاتهم الثورية. فقطاع الطرق في اليونانية تُرجمت بـ"اللص"، إلا أن الدارسين يجمعون اليوم على أن أولئك المشار إليهم في الحقيقة كانوا ثوارا.

موت المسيح سَلَامُهُ عَلَيْنَا

[45]وفَجأةً خَيَّمَ على الأرضِ، عِندَ الظَّهيرةِ، ظَلامٌ امتدَّ حتّى العَصرِ. [46]فنَدَّتْ عن عيسى سَلَامُهُ عَلَيْنَا صَرخةُ ألَم شَديدٍ فصاحَ: "إيلي، إيلي، لِما شَبَقتَني؟" أي: "إلهي، إلهي، لِمَ تَركتَني؟!" [47]وعِندَما سَمِعَ ذلِكَ بَعضٌ مِمّن كانوا واقِفينَ بِقُربِهِ، لم يَفهَموا مَعنى ما نَطَقَ بِهِ، فقالوا: "إنّهُ يُنادي النَّبيَّ إلياسَ!" [48]وتَحَنَّنَ أحَدُهُم عليهِ فأخَذَ قِطعةَ إسفِنج ووَضَعَها في إناءِ خَمرٍ رَخيصةٍ، ثُمّ رَفَعَها على طَرَفِ قَصبةٍ لِيُبَلِّلَ بِها سَيِّدَنا عيسى شَفتَيهِ. [49]ولكنّ الذّينَ حَولَهُ مَنعوهُ قائلينَ: "دَعْهُ، لَعَلَّ إلياس يأتي لإنقاذِهِ". [50]وما لَبِثَ سَلَامُهُ عَلَيْنَا أن فارَقَ الحياةَ، مُسَلِّمًا الرُّوحَ بَعدَ أن صَرَخَ صَرخةً مُدَوِّيةً، [51]انشَطَرَ على إثرِها حِجابُ بَيتِ اللهِ الصَّفيقُ إلى شَطرَينِ مِن الأعلى إلى الأسفَلِ، وتَزَلزَلَتِ الأرضُ، وتَشقَّقَت الصُّخورُ، [52]وانفَتَحَت بَعضُ القُبورِ. [53]وبَعدَ قيامِ سَيِّدِنا عيسى سَلَامُهُ عَلَيْنَا مِن المَوتِ، رَجَعَ إلى الحياةِ كَثيرٌ مِن المَوتى الصّالحينَ، ودَخَلوا المَدينةَ المُقَدَّسةَ حَيثُ رآهُم الكَثيرونَ. [54]أمّا الضابِطُ الرُّومانيُّ المَسؤولُ عن تَنفيذِ حُكمِ الإعدامِ، فأصابَهُ ومَن مَعَهُ مِن الحَرَسِ هَلَعٌ شَديدٌ لمّا رأوا الزِّلزالَ وما انجرَّ عَنهُ، وقالوا: "لَقَد كانَ حقًّا ابنًا رُوحيًّا للهِ!" [55-56]وكانَت مَجموعةٌ مِن النِّساءِ يُراقِبنَ ذلِكَ عن بُعدٍ، ومِنهُنّ مَريمُ المَجدليّةُ ومَريمُ أُمّ يَعقوبَ ويوسفَ، وأُمّ الحَوارِيّيْنِ يوحنّا ويَعقوبَ مِمَّن كُنَّ قد سِرنَ في إثرِهِ سَلَامُهُ عَلَيْنَا مِن الجَليلِ، وكنّ يَقُمنَ على خِدمتِهِ.

دفن عيسى سَلَامُهُ عَلَيْنَا

[57]وعِندَ المَساءِ، قَدِمَ يوسفُ الرّاميُّ وهو رَجُلٌ ثَريٌّ مِن أتباعِ سَيِّدِنا عيسى سَلَامُهُ عَلَيْنَا، [58]ودَخَلَ على الحاكِمِ بيلاطُسَ طالِبًا جُثمانَ عيسى سَلَامُهُ عَلَيْنَا. فاستُجيبَ لِطلبِهِ. [59]فأنزَلَ جُثمانَ سَيِّدِنا عيسى سَلَامُهُ عَلَيْنَا مِن فَوقِ الصَّليبِ، ولَفَّهُ بِقُماشِ كَتّانٍ جَديدٍ، [60]ودَفَنَهُ في قَبرٍ جَديدٍ كانَ قد حَفَرَهُ لنَفسِهِ في الصَّخرِ، ثُمّ أغلَقَ فُتحتَهُ بِصَخرةٍ دَحرَجَها ومَضى. [61]وكانَت مَريمُ المَجدليّةُ، ومَريمُ أُمّ يَعقوبَ ويوسفَ جالِستَينِ هُناكَ مُقابِلَ القَبرِ تُراقِبانِ ما يَحدُثُ.

حراسة القبر

[62]وفي اليَومِ التّالي، وهو أوّلُ أيّامِ عِيدِ الفِصحِ، تَوَجَّهَ رُؤساءُ الأحبارِ والمُتَشَدِّدونَ مَعًا إلى بيلاطسَ [63]وقالوا لهُ: "أيُّها الحاكِمُ المُبَجَّلُ، لقد تَذَكَّرنا أنّ ذلِكَ المُضَلِّلَ قالَ في إحدى المَرّاتِ إنّهُ سيُبعَثُ بَعدَ ثلاثةِ أيّامٍ حيًّا، [64]فعَساكَ تُصدِرُ أمرًا بِحراسةِ القَبرِ

خِلالَ الأيّام الثّلاثةِ كَيلاَ يأتيَ إليهِ أتباعُهُ فيَسرِقوا جُثّتَهُ مُدَّعِينَ أنّهُ قامَ مِن المَوتِ، فتَشيعَ ضَلالةٌ تكونُ أعظَمَ شَرًّا مِن سابِقتِها". [65]فقالَ لهُم بيلاطُسُ: "ها هُم الحَرَسُ فخُذُوهُم مَعَكم، واحتاطُوا ما شِئتمُ مِن الاحتياطِ". [66]فذَهبوا ووَضَعوا خَتمًا على مَدخَلِ القَبرِ وأحكَموا حِراستَهُ.

٢٨
الفصل الثّامن والعشرون

قيامه ﷺ من الموت

[1]وبَعدَ انقِضاءِ يَوم السَّبتِ، ومَعَ بُزوغِ فَجرِ يوم الأحَدِ، ذَهَبَت مَريمُ المَجدليّةُ ومَريمُ أُمّ يَعقوبَ ويوسفَ للاطمِئنانِ على وَضع القَبرِ. [2-3]وإذا بزِلزالٍ عَظيمٍ قد وَقَعَ لأنّ مَلاكًا نَزَلَ مِن السَّماءِ ذا وَجهٍ مُضيءٍ كالبَرقِ يَرتَدي ثِيابًا ناصِعةَ البَياضِ مِثلَ الثَّلجِ واتَّجَهَ إلى الحَجَرِ فدَحْرَجَهُ عن فُوهةِ القَبرِ، ثُمّ جَلَسَ عليهِ، [4]فثارَ هَلَعُ الحُرّاسِ وارتَعَدَت فَرائِصُهُم وانطَرَحوا أرضًا كالمَوتى. [5]إلاّ أنّ المَلاكَ حَدَّثَ المَرأتَينِ قائلاً: "لا تَفزَعا! أنا على عِلمٍ بأنّكما تَبحَثانِ في القَبرِ عن عيسى النّاصريّ الّذي صَلَبوهُ. [6]إنّهُ لَيسَ في القَبرِ، لقد بُعِثَ حيًّا كما ذَكَرَ لأحبابِهِ قَبلَ صَلبِهِ. وإن شِئتُما فتَعالَيا وانظُرا مَرقَدَهُ الّذي كانَ فيهِ، [7]ثُمّ امضِيا سَريعًا وأخبِرا أتباعَهُ بأنّهُ بُعِثَ حيّا! وسيَسبِقُكُم إلى الجَليلِ، حَيثُ ستَتَمَكّنونَ مِن رؤيتِهِ". ثُمّ أضافَ المَلاكُ: "قد بَلَّغتُكُما الرِّسالةَ".

[8]فقامَت المَرأتانِ مُسرِعَتينِ، يَغمُرُهُما فَرَحٌ عَظيمٌ وخَوفٌ شَديدٌ، لتَزُفّا البُشرى لأتباعِهِ ﷺ، [9]وبَينما كانَتا مُنطَلِقتَينِ ظَهَرَ أمامَهُما، فَجأةً، سَيِّدُنا عيسى ﷺ وخاطَبَهُما قائلاً: "السّلامُ علَيكُما!" فأقبَلَتا عليهِ وأمسَكَتا بقدمَيهِ راكِعتَينِ. [10]فقالَ لهُما ﷺ: "لا تَخافا، اِذهَبا وأخبِرا أتباعي بأنّ عليهِم المُضيَّ إلى الجَليلِ حَيثُ يَرونَني" .(1)

افتراء قادة اليهود

[11]وأثناءَ ذلِكَ، مَضَى بَعضُ الحُرّاسِ الّذينَ كانوا على حِراسةِ القَبرِ إلى المَدينةِ

---

(1) كانت شهادة النساء في ذلك الوقت لا تتمتع بنفس مصداقية شهادة الرجال، لكن السيد المسيح أحب أن يكرّم النساء فخصّهن بخبر قيامته.

لإخبارِ رُؤساءِ الأحبارِ بما حَدَثَ. [12]فاجتَمَعَ هؤلاءِ مَعَ الشُّيوخِ يَتشاوَرونَ حَولَ هذا الأمرِ، وعَزَموا على الافتِراءِ والكَذِبِ. فأعطَوا الحُرّاسَ مَبلَغًا كَبيرًا مِن المالِ رَشوَةً. [13]وقالوا لهُم: "قولوا: "جاءَ أتباعُهُ لَيلاً وسَرَقوا جُثمانَهُ بَينَما كُنّا نائمينَ". [14]وإذا أرادَ الحاكمُ بيلاطسُ مُعاقبَتَكُم على تَخاذُلِكُم في الحِراسةِ، فسنُدافِعُ عَنكُم حتّى لا يَفعَلَ". [15]وهكذا تَمَّ الأمرُ، فانتَشَرَت تِلكَ الرِّوايةُ المُلَفَّقةُ بَينَ اليَهودِ حتّى اليوم.

طوفوا في جميع أنحاء العالم

[16]وهكذا تَوَجَّهَ الحَواريّونَ الأحَدَ عَشَر إلى الجَليلِ ووَصَلوا إلى الجَبَلِ الّذي أشارَ إليهِ سَيِّدُنا عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ. [17]وعِندَما رأوهُ رَكَعَ بَعضُهُم أمامَهُ، بَينَما شَكَّ الآخَرونَ، [18]فاقتَرَبَ مِنهُم وقالَ لهُم: "لقد مَنَحَني اللهُ كُلَّ سُلطانٍ في السَّماءِ والأرضِ، [19]فانطَلِقوا إذن وطُوفوا في الأرضِ على جَميعِ الشُّعوبِ وحَدِّثوهُم عن رِسالتي حتّى يُؤمِنُوا بِها ويَصيروا مِن أتباعي، وكدَليلٍ على إيمانِهِم، طَهِّرُوهُم بالماءِ باسمِ اللهِ الأبِ الصَّمَدِ والابنِ الرُّوحيِّ لهُ ورُوحِهِ تَقدَّسَ وتَعالى، [20]وعَلِّمُوهُم أن يَعمَلوا بكُلِّ ما أوصَيتُكُم بِهِ، وتَيَقَّنوا بأنّي سأكونُ مَعَكُم على الدَّوامِ إلى آخِرِ الزّمانِ".

مدخل إلى إنجيل مرقس

كان الهدف من الوحي الذي سجَّله مرقس هو تعريف الناس بكون سيدنا عيسى هو المسيح الملك؛ وهو لقب لا يحقّ لأحد سواه. والكثير من الأمور التي سجّلها مرقس مذكورة في سِجِلَيْ كلٍّ من متّى ولوقا (وبقدر أقلَّ في سجلّ يوحنّا)، ولكن قصب السبق في تسجيل الوحي يعود إلى مرقس. كان مرقس يُدعى أيضا يوحنّا، وكان مؤمنا وثيق الصلة بحواريي سيدنا عيسى المسيح، لاسيما بطرس الصخر. فقد رافق الحواري بطرس في أسفاره حسب ما هو معروف، واشتغل ترجمانا له. لذلك تسنّى له أن يعرف بطرس وتعاليمه عن قرب. كما يخبرنا الكتاب أنّه رافق خاله يوسف برنابا في رحلة الدعوة، وبخاصّة إلى جزيرة قبرص. بعد ذلك نجده في روما صحبة الحواري بولس، ويبدو أنّ الله اختاره هناك ليسجّل وحي سيدنا عيسى. ذلك أنّ روما كانت عاصمة الإمبراطوريه الرومانية، وكان انتشار سجلّ الوحي من هناك إلى كلّ أطراف الإمبراطورية سريعا وسهلا.

يعتبر سجلّ مرقس لِوَحي وسيرة سيدنا عيسى المسيح هو الأقصر بين السجلات الأربعة المثبتة في الإنجيل. كما تتّسم سيرة السيد المسيح في سجلّ مرقس بحركية أكبر لتركيزها على معجزاته وأعماله المدهشة. ويبدو أنّ هذا السجلّ موجّه لغير اليهود نظرا لاهتمام الكاتب بتفسير الكلمات الآرامية والعادات اليهودية الواردة فيه.

لقد أَجرَى سيدنا عيسى العديد من المعجزات منذ بداية رسالته، كاشفا من خلال ذلك سلطته على الأمراض، والعاهات، والجن، وقوى الطبيعة، وحتّى الموت. وهذه المعجزات العظيمة أظهرت صدق رسالته كنبي مرسل من الله. كما تشهد تعاليمه وأعماله أنّه المسيح المنتظر الذي اختاره الله ليكون المنقذ لشعبه والحاكم عليه إلى الأبد. وقد اعتقد العديد من القادة الدينيين أنّ المسيح المنتظر سوف يأتي لتخليص اليهود من اضطهاد الرومان، وإعادة عظمة مملكة إسرائيل التي كانت لها على عهد النبي داود عليه السلام. ولأنّ سيدنا عيسى لم يظهر كقائد سياسي عظيم كما كانوا يتوقّعون، فقد رفضوا أن يعتبروه المسيح المنتظر.

لكنّ الكثير من النّاس آمنوا بسيدنا عيسى المسيح واتّبعوا تعاليمه. فكان أن اعتبره القادة الدينيون خطرا على امتيازاتهم السياسية في ظلّ الاحتلال الروماني، نظرا لاحتمال قيام الاضطرابات بسبب تلك التعاليم. فدبّروا خطة لقتله على يد السلطات الرومانية، لكنّهم لم يكونوا يعلمون أنّ ذلك كان جزءا من الخطة التي أعدّها الله مسبّقا لموت سيدنا عيسى ككبش أضحية (سيرة الحواريين 4: 28) كي يفتح طريق النجاة من نار الجحيم أمام البشر من جميع الأعراق، ويمنحهم الخلود في نعيمه (مرقس 10: 45).

بسم الله تبارك وتعالى

الإنجيل الشّريف
الوحيُ الذّي سجّله مَرقُس الرّفيق

١
الفصل الأوّل

ظهور النّبيّ يحيى بن زكريا

1هُنا تَبدَأُ سِيرةُ الابنِ الرُّوحيِّ للهِ،(1) البِشارةُ بسَيّدِنا عِيسى المَسيح.(2) 2كَتَبَ النَّبيُّ مَلاكي عن قُدومِ المَسيحِ سَلَامُهُ عَلَيْنَا: "قالَ اللهُ تَعالى: ها أنا أبعَثُ أمامَكَ رَسولي يُمَهِّدُ لكَ الطَّريقَ".(3) 3وأبانَ كِتابُ أشعيا النَّبيِّ(4) ذلِكَ بقَولِهِ: "وسيُنادي هذا الرَّسولُ في

---

(1) إن مصطلح "الابن الروحي لله" هنا تعريب للمصطلح الذي يُترجم عادة بـ"ابن الله". ولكن لا علاقة لمعناه مطلقا في لغة الوحي اليونانية بعملية الإنجاب المألوفة؛ معاذ الله! بل هو لقب للملك المختار الذي يجب أن يكون من سلالة النبي داود، فهذا اللقب يشير إلى الصلة الحميمة بين الله والسيد المسيح، وعلى هذا الأساس يمنح المسيح أتباعه الحقَّ ليكونوا أهل بيت الله. وهذا اللقب يعني أيضا أنّه المسيح المنتظر الذي يحكم المملكة الأبدية التي وعد الله بها عباده الصالحين. وإنّه كلمة الله التي ألقاها إلى مريم العذراء وأصبحت إنسانًا بقوّة روح الله. وحسب الإنجيل، كلمة الله هي صفة قائمة في ذاته تعالى. ومن هذا المنطلق نستطيع أن نرى كيف يكون لدى المسيح سَلَامُهُ عَلَيْنَا سلطة على بيت الله كسلطة الابن البكر عند الناس.

(2) "المسيح" وهو لقب يعني (الممسوح بالزيت) ويعني أيضًا (الذي اختاره الله). وكان المقصود من هذه العبارة أنّ الله أيّد بروحه الشخص الذي اختاره ليكون المسيح الملك وأعانه على تتميم مسؤولياته. وورد في التوراة كما في كتب الأنبياء أن من يُدعى المسيح سيكون هو المنقذ الموعود الذي سوف يقيم مملكة النبي داود عليه السلام من جديد ويبسط عدالة الله وسلامه على الأرض.

(3) لقد أعلن الله للنبيّ ملاكي عليه السلام عن قدوم المسيح المنتظر، وقدوم النبي يحيى عليه السلام الذي سبق مقدم السيد المسيح، مع أنّ النبي ملاكي عاش تقريبًا في سنة 450 قبل الميلاد. والله سبحانه وتعالى خاطب السيد المسيح سَلَامُهُ عَلَيْنَا قبل ولادته في علمه وكلامه الأزليين.

(4) عاش النبي أشعيا عليه السلام في مملكة يهوذا من العام 740 إلى 701 ق.م.

البَراري أنّ على النّاسِ أن يُهيِّئوا نُفوسَهُم لِمَولاهُم كَما تُمَهِّدُ السُّبُلُ لِمَقدَمِ مَلِكٍ عَظيمٍ" . وظَهَرَ هذا الرَّسولُ.

[4]وهو النَّبيُّ يَحيى بن زَكَريّا ﷺ يُنادي في الأَودِيَةِ والقِفارِ،(1) أن تَطَهَّروا أيّها النّاسُ بالماءِ وتُوبوا إلى اللهِ واستغفِروهُ. [5] وأقبَلَ عليهِ النّاسُ مِن جَميعِ أنحاءِ يَهوذا ومِن القُدسِ، فطَهَّرَهُم بماءِ نَهرِ الأُردُنّ بَعدَ أن اعتَرَفوا بخَطاياهُم.

[6]وكانَ النَّبيُّ يَحيى ﷺ رَجُلاً زاهِدًا، يَستَتِرُ بثَوبٍ مِن وَبَرِ الجِمالِ، ويَضَعُ نِطاقًا مِن الجِلدِ على وَسَطِهِ، ويأكُلُ جَرادًا وعَسَلاً بَرّيًّا. [7]كانَ يُبَشِّرُ بقُربِ قُدومِ سَيِّدِنا عيسى المَسيحِ ﷺ ويَقولُ: "لَيأتيَنَّ مِن بَعدي مَن هو أشَدُّ مِنّي قوّةً وأسمى مَنزِلةً، حتّى إنّي لَستُ أهلاً لِحَلِّ رِباطِ نَعليهِ. [8]ولئن طَهَّرتُ أجسادَكُم بالماءِ، فسَيُطَهِّرُ هو أرواحَكُم بحُلولِ رُوحِ اللهِ فيكُم" .

النّبيّ يحيى يطهّر المسيح بالماء

[9]وقَدِمَ سَيِّدُنا عِيسَى ﷺ، في تِلكَ الأيّامِ، مِن بَلدةِ النّاصِرةِ في الجَليلِ، وتَطَهَّرَ على يَدِ النَّبيِّ يَحيى في ماءِ نَهرِ الأُردُنّ. [10]وعِندَ خُروجِهِ مِن الماءِ، رأى السَّماواتِ وقد انشَقَّتْ، ورُوحُ اللهِ كحَمامةٍ عليهِ نَزَلَت، [11]وسُمِعَ صَوتٌ مِن السّماءِ يَقولُ: "أنتَ الحَبيبُ، الابنُ الرُّوحيُّ لي، وقد رَضِيتُ بكَ كُلَّ الرِّضى" .

الشّيطان يحاول إغواء سيّدنا عيسى

[12]وفي الحالِ تَوَجَّهَ مُنقادًا برُوحِ اللهِ إلى البَوادي، [13]فأقامَ فيها بَينَ الوُحوشِ أربعينَ يومًا، تَخدِمُهُ المَلائكَةُ، والشَّيطانُ يُحاوِلُ إغواءَهُ اِمتِحانًا لهُ.

سيّدنا عيسى وأوائل أتباعه

[14]وبَعدَ أن اُعتُقِلَ النَّبيُّ يَحيى بن زَكَريّا، خَرَجَ سَيِّدُنا عيسى ﷺ إلى الجَليلِ ببِشارَتِهِ قائلاً: [15] "ها قد حانَ الوَعدُ الحَقُّ، واقتَرَبَت مَملَكَةُ اللهِ المَوعودَةُ! فتوبوا أيُّها العِبادُ، وآمِنوا بهذِهِ البِشارةِ" . [16]وفيما كانَ سَيِّدُنا عيسى ﷺ يُبَشِّرُ بالدَّعوةِ، مَرَّ، على شاطئِ بُحَيرةِ طَبَريّا (بُحيرة الجَليل) بصَيّادَينِ هُما سَمعانُ وأخوهُ أنْدَراوسُ يُلقيانِ

(1) كان النبي يحيى ﷺ يقيم على الأرجح في منطقة في صحراء يهوذا التي تقع بين القدس والبحر الميت.

الشّباكَ، [17]فدَعاهُما لاتّباعِهِ وقالَ: "اتبَعاني، فكَما تَجمَعانِ السَّمَكَ بمَهارةٍ، ستجمَعانِ حَولَكُما البَشَرَ بالمَهارةِ نَفسِها. [18]فبادَرا بتَركِ شِباكِهِما واتّبَعاهُ على الفَورِ. [19]وواصَلَ سَيِّدُنا عيسى ﷺ المَسيرَ فالتَقى يَعقوبَ بنَ زَبَدي وأخاهُ يُوحَنّا وكانا في القارِبِ يُصلِحانِ شِباكَهُما، [20]وما إن دَعاهُما تِلكَ الدَّعوةَ حتّى تَرَكا أباهُما زَبَدي ومُعاوِنَيْهِ في القارِبِ وتَبِعاهُ.(1)

المسيح عيسى ومعجزته في طرد شيطان

[21]وقَصَدَ سَيِّدُنا عيسى ﷺ وأتباعُهُ مَعَهُ قَريَةَ كَفرناحومَ، ودَخَلَ يومَ السَّبتِ بَيتًا للعِبادةِ حَيثُ كانَ النّاسُ يَجتمِعونَ كعادتِهِم، وبَدأ يُعَلِّمُهُم [22]فذُهِلَ مَن حَولَهُ، لأنّهُ كانَ يُعَلِّمُهُم بحُجّةٍ وسُلطانٍ، مُميَّزًا في تَعليمِهِ عن عُلماءِ التّوراةِ. [23]وفَجأةً دَخَلَ ذلِكَ البَيتَ رَجُلٌ بِهِ مَسٌّ مِن الشّيطانِ فصَرَخَ قائلاً: [24]"دَعنا وشأنَنا يا عِيسى النّاصِريّ،(2) أجِئتَ لِتُهلِكَنا نحنُ الشّياطينَ؟ فأنا أعلَمُ أنّ لكَ سُلطانًا علينا، فأنتَ رَسولُ اللهِ المُقَدَّسُ!" [25]فأمَرَ سَيِّدُنا عِيسى ﷺ الشّيطانَ قائلاً: "اِخرَسْ وأُخرُجْ مِن الرَّجُلِ!" [26]مِمّا جَعَلَ الرَّجُلَ يَتَخَبَّطُ صارِخًا صَرخَةً انسَلَّ إثرَها الشّيطانُ مِن جَسَدِهِ.

[27]ووَقَفَ النّاسُ أمامَ هذا المَشهَدِ، مَشدوهينَ مُتَسائلينَ: "أهي رِسالةٌ جَديدةٌ مِن حَكيمٍ خَبيرٍ، يَمتدُّ سُلطانُها إلى الشّياطينِ، يأمُرُهُم فيَخِرّونَ مُطيعينَ؟!" [28]وكذا شاعَ في أنحاءِ الجَليلِ خَبَرُ مُعجِزتِهِ ﷺ في طَردِ الشّياطينِ وسُلطانِهِ عليهِم.

معجزة المسيح في إبراء أمّ زوجة بطرس

[29]وخَرَجَ سَيِّدُنا عِيسى ﷺ مِن بَيتِ العِبادةِ، ومَعَهُ تابِعاهُ يَعقوبُ ويُوحَنّا إلى بَيتِ سَمعانَ (الّذي سَمّاهُ المَسيحُ، فيما بَعدُ، بُطرُس) وأنْدَراوسَ. [30]وكانَت حَماةُ بُطرُسَ تَرقُدُ طَريحَةَ الفِراشِ لِحُمّى أصابَتها. فحَدَّثوا سَيّدَنا عِيسى عن مَرَضِها، [31]فاقتَرَبَ مِنها وأمسَكَ بيَدِها وأنهَضَها وقد زالَت عَنها الحُمّى، فقامَت تَخدِمُهُم.

[32]وبَعدَ المَغيبِ، جاءَ النّاسُ إلى عيسى ﷺ ومَعَهُم مَرضاهُم، ومَن بِهِم مَسٌّ مِن

---

(1) سبب اتّباع هذين الصيادين للمسيح ﷺ دون تفكير هو الخلفية التي كانت لديهما عند شيوع خبر ظهور المسيح الذي بشّر به النبي يحيى عليه السلام والذي جاء في الكتب السماوية بالإضافة إلى شيوع تعاليمه التي كان قد باشر نشرها بين الناس.

(2) أي عيسى من بلدة الناصرة.

الشَّياطينِ،(1) 33ووَقَفَ كُلُّ أهلِ البَلدةِ على البابِ في انتِظارِ مُعجِزَتِهِ في شِفاءِ المَرضى، وطَردِ الشّياطينِ مِن أجسامِ الكَثيرينَ. 34فاستَجابَ لهُم سَيِّدُنا عيسى عليه السلام، وشَفى كثيرًا مِن المَرضى وطَرَدَ الشّياطينَ مِن النّاسِ، وأمَرَ عليه السلام الشَّياطينَ بعَدَمِ الحَديثِ عَنهُ، لأنّهُم كانوا على عِلمٍ بحَقيقَتِهِ.(2)

نشر الرّسالة في الجليل

35وفي اليوم التّالي، تَرَكَ سَيِّدُنا عِيسَى عليه السلام بَلدةَ كَفْرَناحومَ في كَبِدِ اللّيلِ، وقَصَدَ مَكانًا قَفرًا اختَلى فيهِ بنَفسِهِ، خاشِعًا مُصلِّيًا مُناجيًا اللهَ، 36وخَرَجَ بُطرُسُ وبَقيّةُ أتباعِهِ يَبحَثونَ عَنهُ، وعِندَما وَجدوهُ، سَألوهُ مُلاقاةَ النّاسِ وقالوا: 37"جَميعُ النّاسِ في البَلدةِ يَطلُبونَكَ". 38لكنّهُ قالَ لهم: "لا بُدَّ مِن نَشرِ رِسالةِ اللهِ في القُرى المُجاوِرةِ أيضًا، لأنّي مِن أجلِ ذلِكَ بُعِثتُ". 39وسارَ سَيِّدُنا عيسى عليه السلام يَطوفُ في أنحاءِ الجَليلِ ومَعَهُ أتباعُهُ، مُبَشِّرًا بالرّسالةِ في بُيوتِ العِبادةِ، مُستَمِرًّا في طَردِ الشّياطينِ مِن النّاس.

شفاء الأبرص

40وأقبَلَ رَجُلٌ مُصابٌ بالبَرَصِ على سَيِّدِنا عِيسَى، مُتَوَسّلاً إليهِ، جاثيًا على رُكبَتَيهِ قائلاً: "إن شِئتَ، فأنتَ قادِرٌ على تَطهيرِ مَرضي الرِّجسِ". 41فلم يَشمَئِزَّ سَيِّدُنا عِيسَى عليه السلام مِن الرَّجُلِ لِكَونِهِ نَجِسًا،(3) بَل دَنا مِنهُ مُشفِقًا، لامِسًا جَسَدَهُ بيَدِهِ قائلاً: "بل مَشيئَتي أن تَطهُرَ، فَليُرفَعْ عَنكَ الرِّجسُ". 42فبَرِئَ الرَّجُلُ في الحالِ وذَهَبَ عَنهُ البَرَصُ، 43وصرَفَهُ سَيِّدُنا عِيسَى عليه السلام مُحَذِّرًا إيّاهُ بشِدّةٍ قائلاً: 44"إيّاكَ أن تُخبِرَ أحَدًا بشَيءٍ الآن، ولكِنِ اذهَبْ إلى أحَدِ الأحبارِ فيَراكَ، ويُعطيكَ الشَّهادةَ بأنّكَ بَرِئتَ، ثُمّ قَدِّمِ الذّبائحَ المَفروضَةَ حَمدًا للهِ على سَلامتِكَ وتَحقيقًا لِما جاءَ في تَوراةِ النَّبيِّ

(1) سبب مجيء الناس بعد الغروب أنّهم انتظروا نهاية يوم السبت تحاشيًا لوقوعهم في حُرمة يوم السبت.

(2) سبب ذلك يعود إلى أنّ السيد المسيح عليه السلام خاف أن يرتبط في أذهان الناس بصلة مع الشياطين لكونهم أوّل من أخبر عن حقيقته. وهناك ربّما سبب آخر، وهو أنّه عليه السلام أراد أن تكون هدايته للناس أولاً، بعدها سيعرف الناس من خلال تعليمه أنّه المسيح المنتظر لكن ليس كما كان مصوّرًا في الأذهان بأنّه ذاك البطل الوطني الذي يحارب أعداء بني إسرائيل بالسيف.

(3) أمر الله في التوراة باعتزال الأبرص بسبب نجاسته، والحكمة في ذلك عدم انتقال العدوى إشفاقًا على الناس.

موسى، ويكونُ ذلِكَ بُرهانًا بأنّكَ بَرِئتَ". [45]إلاّ أنّ الرَّجُلَ بَعدَ انصِرافِهِ أشاعَ خَبَرَ شِفائِهِ في كُلِّ مَكانٍ، حتّى صَعُبَ على سَيِّدِنا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ الدُّخولُ إلى أيّةِ بَلدةٍ عَلانيةً، فأصبحَ يَنزِلُ في القِفارِ والبَراري، ولكِنّ ذلِكَ لم يَمنَعِ النّاسَ مِن الإقبالِ عليهِ مِن كُلِّ حَدبٍ وَصَوبٍ.

٢
الفصل الثّاني

إبراء الكسيح في بلدة كفرناحوم

[1]بَعدَ أيّام، عادَ سَيِّدُنا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى بَلدةِ كَفرَناحوم، فأخَذَ النّاسُ يَفِدونَ عليهِ بَعدَ أن عرَفوا أنّهُ مُقيمٌ في تِلكَ البَلدةِ. [2]واكتظَّ المَكانُ بالنّاسِ حتّى سُدَّ بابُ البيتِ. ووَقَفَ سَيِّدُنا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بَينَهُم واعِظًا مُنَبِّئًا بِرِسالَةِ اللهِ. [3]وأقبَلَ عليهِ أربَعةُ أشخاصٍ يَحمِلونَ كَسيحًا على فِراشِهِ، [4]فلمّا رَأوا أنّ الوُصولَ إليهِ عَسيرٌ لِكَثرةِ الزِّحام، فَتَحوا في سَقفِ البيتِ الّذي كانَ فيهِ سَيِّدُنا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ثُغرةً، وأدلَوا مِنها الكَسيحَ وهو على فِراشِهِ. [5]وهُنا عَلِمَ سَيِّدُنا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قُوّةَ إيمانِهِم بِهِ، فتَوَجَّهَ إلى الكَسيحِ قائلاً: "يا بُنيّ، مَغفُورةٌ خَطاياكَ". [6]وأسَرَّ بَعضُ عُلماءِ التّوراةِ مِن بَينِ جُموعِ النّاسِ، قائلينَ في أنفُسِهِم: [7]"إنّ ما تَفوَّهَ بِهِ هذا الرَّجُلُ كُفرٌ، فَلِلّهِ وَحدَهُ القُدرةُ على مَغفِرةِ الذُّنوبِ!" [8]وعَلِمَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ في الحالِ ما في قُلوبِهِم، فتَوَجَّهَ إليهِم قائلاً: "لِماذا تُسِرّونَ في صُدورِكُم أنّ كَلامِيَ هذا كُفرٌ؟ [9]أيُّ الأمرَينِ أيسَرُ: أن أقولَ لِلكَسيحِ مَغفورةٌ خَطاياكَ أو أن أقولَ لهُ ألا انهَضْ وقُم على قَدَمَيكَ مُعافىً واحمِلْ فِراشَكَ وامضِ؟ [10]ستَرَونَ بأعيُنِكُم وستَعلَمونَ أنّ لِسَيِّدِ البَشَرِ سُلطانًا مِنَ اللهِ يَغفِرُ بِهِ الذُّنوبَ على الأرضِ". ثُمّ تَوَجَّهَ لِلكَسيحِ قائلاً: [11]"قُم وامضِ إلى بَيتِكَ حامِلاً فِراشَكَ!" [12]فقامَ الرَّجُلُ في الحالِ مُعافىً، حامِلاً فِراشَهُ، ماشِيًا على قَدَمَيهِ أمامَ النّاسِ. فذُهِلَ الحاضِرونَ ولَهِجَت ألسِنَتُهُم بتَسبيحِ اللهِ وتَمجيدِهِ قائلينَ: "ما رَأينا لِهذِهِ المُعجِزةِ مَثيلاً قَطُّ!"

دعوة لاوي

[13]وعادَ سَيِّدُنا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى شاطِئِ بُحَيرةِ طَبَريّا، وقَدِمَت إليهِ جَماعةٌ كَبيرةٌ مِنَ النّاسِ، فجَلَسَ بَينَهُم، يَهديهِم ويُعَلِّمُهُم. [14]وفيما هو يَمشي، التَقى رَجُلاً اسمُهُ لاوي

بن حَلفي جالِسًا في المَوضِعِ المُخَصَّصِ لِجَمعِ الضَّرائِبِ لِحِسابِ الرُّومانِ المُحتلِّين. فتَوَجَّهَ إليهِ سَيِّدُنا عِيسَى عليه السلام قائلاً: "اِتبَعني!" فقامَ وتَبِعَهُ على الفَورِ. [15]وبَعدَ ذلِكَ، كانَ سَيِّدُنا عِيسَى مَعَ أتباعِهِ في جَمعٍ مِنَ النّاسِ يَتَناوَلونَ الطَّعامَ في بَيتِ لاوي، وكانَ مِنهُم مَن يَعمَلونَ مَعَ لاوي في جَمعِ الضَّرائِبِ، وآخَرونَ لَم يَكونوا مُلتَزِمينَ بالشَّعائِرِ الدِّينيّةِ مِثلَهُم، وقَد أصبَحَ الكَثيرُ مِن هؤلاءِ مِن أتباعِ سَيِّدِنا عِيسَى عليه السلام. [16]وأثارَ تَناوُلُ عِيسَى عليه السلام الطَّعامَ مَعَ هؤلاءِ حَفيظَةَ جَماعةٍ مِنَ المُتَشَدِّدينَ مِن عُلَماءِ التّوراةِ فحَدَّثوا مُريديهِ قائلينَ: "ما بِهِ يُجالِسُ الضّالّينَ وجامِعي الضَّرائِبِ لِلرُّومانِ ويأكُلُ مَعَهُم؟" [17]فسَمِعَ سَيِّدُنا عِيسَى عليه السلام قَولَهُم هذا، فالتَفَتَ إليهِم قائلاً: "لا يَحتاجُ الأصِحّاءُ إلى طَبيبٍ، بَل المَرضى. وأنا طَبيبٌ، بُعِثتُ لا لِهِدايةِ مَن يَظُنّونَ أنفُسَهُم صالِحينَ، بل لِلأخذِ بأيدي الضّالّينَ".

الصّوم

[18]وكانَ الوَقتُ وَقتَ صَومٍ لأتباعِ النَّبيِّ يَحيى والمُتَشَدِّدينَ. فجاءَت جَماعةٌ مِنَ النّاسِ إلى سَيِّدِنا عِيسَى عليه السلام قائلينَ: "ألا يَصومُ أتباعُكَ النَّوافِلَ كَما تَصومُ جَماعتا يَحيى والمُتَشَدِّدينَ؟" [19]فنَظَرَ إليهِم سَيِّدُنا عِيسَى عليه السلام وقالَ: "لَيسَ مِنَ اللائِقِ لِضُيوفِ العُرسِ أن يَمتَنِعوا عَنِ الأكلِ والعَريسُ بَينَهُم،⁽¹⁾ [20]ولكِن سيأتي يَومٌ يُؤخَذُ فيهِ العَريسُ مِن بَينِهِم غَصبًا عَنهُم، فَحينَئذٍ يَصومونَ". [21]ثُمَّ تَوَجَّهَ إلى المُتَشَدِّدينَ مُؤَكِّدًا ذلِكَ بقَولِهِ: "أنتُم تُريدونَ لأتباعي أن يَستَمسِكوا بِعاداتِكُم القَديمةِ، فمَثَلُكُم كمَثَلِ مَن يُرَقِّعُ ثَوبًا قَديمًا بِرُقعةٍ مِن قُماشٍ جَديدٍ، فَيُفسِدُهُما كِلَيهِما، [22]أو مَثَلُكُم كمَثَلِ مَن يَملأُ قِربةً قَديمةً جافّةً بعَصيرِ عِنَبٍ طازَجٍ، فيَتَخَمَّرُ العَصيرُ وتَنتَفِخُ القِربةُ وتَتَمَزَّقُ ويَنسَكِبُ العَصيرُ. فَالعَصيرُ الطّازَجُ يَجِبُ أن تَحتَويَهُ قِربةٌ جَديدةٌ لَيِّنةٌ طَرِيّةٌ لِتَستَوعِبَهُ".⁽²⁾

الجدال حول قوانين السّبت

[23]وأثناءَ طَوافِ سَيِّدِنا عِيسَى عليه السلام وأتباعِهِ بَينَ حُقولِ القَمحِ يَومَ سَبتٍ، شَرَعَ

---

(1) كان سيدنا عيسى عليه السلام يشير إلى نفسه مَجازا بلقب "العريس".

(2) يرمز السيد المسيح عليه السلام هنا إلى تعاليمه بالثوب الجديد، ويرمز إلى تقاليد اليهود بالثوب البالي القديم، مُحذّرا مِن أنّ الخلط بين الاثنين يُفسدهما معًا. ويرمز كذلك إلى رِسالته بعصير عنب طازجٍ، مقابِل تعاليم اليهود التي يرمز إليها بالقربة القديمة.

أتباعُهُ يَقطِفونَ السَّنابِلَ ويأكُلونَ. 24فاستنكرَ المُتَشدِّدونَ هذا العَمَلَ يومَ السَّبتِ
وقالوا لعِيسَى عليه السلام: "كَيفَ يُخالِفُ أتباعُكَ الشَّريعةَ ويعمَلونَ ما لا يَحِلُّ عَمَلُهُ
يومَ السَّبتِ؟!"(1) 25فأجابَهُم قائلاً: "أما قَرَأتُم خَبَرَ النَّبيِّ داود وما فَعَلَهُ ورِجالُهُ
عِندَما نالَ الجُوعُ مِنهُم، 26فقد دَخَلَ إلى المَكانِ المُقَدَّسِ في بَيتِ اللهِ، وذلِكَ
في زَمَنِ أبي أَثير رَئيسِ الأحبارِ، وأخَذَ الخُبزَ الّذي كانَ مُقَدَّمًا إلى اللهِ تَعالى
كَقُربانٍ، ووزَّعَهُ على رِجالِهِ، في حِينِ لم يَكُن ذلِكَ جائزًا إلاّ لِلأحبارِ؟" 27ثُمَّ
عَلَّقَ سَيِّدُنا عِيسَى عليه السلام على هذا الحَدَثِ التّاريخيّ قائلاً: "لَقَد جعَلَ اللهُ السَّبتَ
لِخِدمةِ الإنسانِ، ولم يَجعَلِ الإنسانَ لِخِدمةِ السّبتِ. 28ولِتَعلَموا أنّ لِسَيِّدِ البَشَرِ
سُلطانًا على قَوانينِ يومِ السَّبتِ".

٣

الفصل الثّالث

الشّفاء في السّبت

1ورجَعَ سَيِّدُنا عِيسَى عليه السلام، بعدَ ذلِكَ، إلى بيتِ العِبادةِ حيثُ كانَ النّاسُ مُجتمِعينَ
يومَ السَّبتِ، وكانَ مِن بَينِهم رَجُلٌ يَشكو شَللاً في يَدِهِ أدّى بها إلى الضُّمورِ. 2وتَرَبَّصَ
بعِيسَى عليه السلام جماعةٌ مِنَ النّاسِ يُراقِبونَهُ هَل يَشفيهِ في يومِ السّبتِ، فيكونُ ذلِكَ سَبَبًا
لاتِّهامِهِ بالخُروجِ عن تَفسيرِهِم لِلتّوراةِ. 3فتوجَّهَ إلى الرَّجُلِ المَريضِ قائلاً: "قِفْ وَسَطَ
الجَميعِ!" 4ثُمَّ التَفَتَ إلى الحاضِرينَ وقالَ: "ماذا أُحِلَّ لكُم في السَّبتِ؟! هل أُحِلَّ لكُم
القِيامُ بِعَمَلِ الخيرِ، أم بعَمَلِ الشَّرِّ؟! إحياءُ النُّفوسِ أم إزهاقُها؟!" فرفَضَ الجميعُ
التَّجاوبَ. 5وهُنا أجالَ سَيِّدُنا عِيسَى عليه السلام النَّظَرَ فيهِم والغَضَبُ والحُزنُ يملآنِهِ لِشِدَّةِ
تَعنُّتِهِم. ثُمَّ التَفَتَ إلى الرَّجُلِ قائلاً: "مُدَّ يَدَكَ!" فمَدَّها لِتَعودَ صَحيحةً كالأُخرى.
6وعِندَها تَرَكَ المُتَشدِّدونَ المَكانَ، وذَهَبوا لِلتَّشاوُرِ على قَتلِهِ مَعَ مُؤَيِّدي المَلِكِ أَنْتيباس
بن هيرُودُس. 7أمّا سَيِّدُنا عِيسَى، فتَوَجَّهَ وأتباعُهُ إلى بُحيرةِ طَبَريّا، حيثُ لَحِقَ بِهِ جَمعٌ
كبيرٌ مِن كُلِّ أنحاءِ فِلسطينَ: مِنَ الجَليلِ، ويَهوذا، 8والقُدسِ، ومِن مَناطِقِ الأدوميّةِ،

(1) اعتبر المتشدّدون عمليةَ القطف هذه نوعًا من أعمال الحصاد، أي العمل المُحرّم عليهم في التوراة القيامُ به في السّبت.

وَشَرقِ نَهرِ الأُردُنّ، حَتّى مِن أنحاءِ صُورَ وَصَيدا.(1) فَقد ذاعَ خَبَرُ مُعجِزاتِ سَيِّدِنا عِيسَى عَلَيْنَا سَلامُهُ في جَميعِ الأنحاءِ. 9فأمَرَ أتباعَهُ فهَيَّؤوا لهُ قارِبًا قُربَ الشّاطِئِ حَتّى يَجلِسَ فيهِ بَعيدًا عن ذلِكَ الجَمعِ مِنَ النّاسِ، 10إذ قامَ بِشِفاءِ كَثيرينَ، فأخَذَ النّاسُ يَتَزاحَمونَ حَولَهُ يُريدونَ لَمسَهُ والحُصولَ على الشِّفاءِ مِثلَهُم. 11أمّا الّذينَ كانَ بِهِم مَسٌّ شَيطانيٌّ فَقَد أخَذَت شَياطينُهُم تَخِرُّ لِسَيِّدِنا عِيسَى عَلَيْنَا سَلامُهُ ساجِدَةً وتَصرُخُ: "أنتَ الابنُ الرُّوحيُّ للهِ!" 12وكانَ سَيِّدُنا عِيسَى يُلِحُّ عَليها بِشِدّةٍ ألاّ تَبوحَ بِسِرِّهِ.

تسمية سيدنا عيسى للحواريّين الاثني عشر

13وَصَعِدَ سَيِّدُنا عِيسَى عَلَيْنَا سَلامُهُ، بَعدَ ذلِكَ، جَبَلاً في تِلكَ المِنطَقةِ، بَعدَ أن دَعا 14اثنَي عَشَرَ شَخصًا بأسمائِهِم، وهُمُ الّذينَ أصبَحوا حَوارِيِّيهِ المُرافِقينَ لهُ الّذينَ سَيَنشُرونَ رِسالَتَهُ للنّاسِ، 15مُؤَيَّدينَ بالقُدرةِ على الشِّفاءِ وبالسُّلطانِ على طَردِ الشّياطينِ. 16وهؤلاءِ الحَوارِيّونَ هُم: سَمعانُ الّذي سَمّاهُ بُطرُسَ،(2) 17ويَعقوبُ ويُوحَنّا ولَدا زَبَدي، (وقد سَمّاهُما سَيِّدُنا عِيسَى -سلامُهُ علينا- ابنَي الرَّعدِ)،(3) 18وأندَراوُسُ وفيليبُ وَابنُ تَلماي ومَتّى وتُوما، ويَعقوبُ بنُ حَلفي، وتَدّاوُسُ وسَمعانُ الوَطَنيُّ المُتَحَمِّسُ، 19ويَهوذا الإسخَريوطيُّ الّذي خانَ سَيِّدَنا عِيسَى عَلَيْنَا سَلامُهُ في النِّهايَةِ.

المسيح عيسى في ردّه على علماء التوراة

20وعادَ سَيِّدُنا عِيسَى عَلَيْنَا سَلامُهُ إلى مَكانِ إقامَتِهِ، وأخَذَ النّاسُ يَجتَمِعونَ حَولَهُ مِن جَديدٍ، حَتّى تَعَذّرَ عَليهِ وعلى أتباعِهِ تَناوُلُ طَعامِهِم مِن شِدّةِ الازدِحامِ. 21وازدَرى بَعضُ النّاسِ عِيسَى عَلَيْنَا سَلامُهُ قائِلينَ إنّ بِهِ مَسًّا عَقليًّا. وعِندَما سَمِعَ أقرِباؤُهُ بأخبارِ احتِقارِهِ وازدِراءِ النّاسِ لَهُ، جاؤوا لِيأخُذوهُ، 22في الوَقتِ الّذي ادّعى عَليهِ عُلَماءُ التّوراةِ الّذينَ جاءُوا مِنَ القُدسِ بِقَولِهِم: "لَقد سَكَنَهُ بَعلَزَبولُ كَبيرُ الشَّياطينِ!(4) وما سُلطانُهُ على الشَّياطينِ إلاّ سُلطانُ إبليسَ عَليهِم". 23-25ولكِنّ سَيِّدَنا عِيسَى عَلَيْنَا سَلامُهُ دَعاهُم إليهِ وضَرَبَ لَهُم مَثَلاً

---

(1) أكثر سكان فلسطين كانوا من اليهود، أمّا أكثر سكانِ صور وصيدا فكانوا من الوثنيين.

(2) كلمة "بطرس" باللّغة اليونانية تعني الصخر.

(3) ابنا الرعد أي سريعي الغضب.

(4) كان اليهود يُلقون نعوتًا مشينةً على إبليس كبير الشياطين مثل لقب "بعلزبول" ويعني "كبير القذارات".

فقالَ: "لِكُلِّ مَملكةٍ مَلِكٌ واحدٌ، فإن تَنازَعَ اثنانِ على المُلكِ، انهارَتِ المَملكةُ. وكَذا إذا تَنازَعَ حَولَ رِئاسةِ البَيتِ فَردان، انقسَمَتِ العَائلةُ وانهارَ البَيتُ. وهَذا هو الحالُ مع مَملكةِ الشَّيطانِ أيضًا، فلا يُعقَلُ أن يَطرُدَ شَيطانٌ شَيطانًا، وإلاّ دَبَّ بَينَهُما النِّزاعُ والتَّقاتُلُ، [26]فإذا ثارَ شَيطانٌ مِنَ الشَّياطينِ على سُلطةِ إبليس، انهارَتْ حينَئذٍ مَملكتُهُم. [27]فإبليسُ هو كَالرَّجُلِ القَويِّ المُهيمِنِ على بيتِهِ. لا يُمكنُ اِقتِحامُ بَيتِهِ وانتِزاعُ ما عِندَهُ إلاّ إذا قُيِّدَ أوّلاً، وهَذا ما حَصَلَ فِعلاً".

[28]ثُمَّ أضافَ مُحَذِّرًا عُلماءَ التّوراةِ مِن عاقبَةِ اتِّهامِهِ قائِلاً: "الحَقَّ الحَقَّ أقولُ لكُم يا عُلماءَ التّوراةِ، عِندَما يُؤذي إنسانٌ إنسانًا آخَرَ أو يَفتري عَليهِ الباطلَ، فَذَنبُهُ مَغفورٌ لهُ إن تابَ، [29]أمّا مَن يَكفُرْ ويَنسِبْ إلى رُوحِ اللهِ السُّوءَ، فما لِذَنبِهِ مِن مَغفِرةٍ أبدًا، بَل مَأواهُ العِقابُ الأبَديُّ!"

[30]وهَكذا فَنَّدَ مَزاعِمَ مَنِ اتَّهموهُ بِالمَسِّ.

أمُّ سيدنا عيسى وإخوته

[31]وجاءَت أُمُّهُ مَريمُ (عَلَيهَا السَّلَامُ) وإخوَتُهُ(1) وأرسَلوا يَطلبونَهُ، [32]وكانَ يَجلِسُ وَحولَهُ جَمعٌ غَفيرٌ، فقيلَ لهُ: "أُمُّكَ وإخوَتُكَ خارجَ الدّارِ يَطلُبونَكَ" [33-34]ولَكنّهُ أجالَ في الحاضِرينَ بَصَرَهُ وقالَ: "سَأُخبِرُكُم مَن هُم أُمّي وإخواني. اُنظُروا حَولكُم إلَى أُمّي وإخواني! [35]إنّ الّذينَ يُطيعونَ اللهَ هُم أهلي حَقّا وإخواني".

٤
الفصل الرّابع

متابعة المسيح لإبلاغ رسالته

[1]وتابَعَ سَيِّدُنا عِيسَى عَلَيهِ السَّلَامُ هِدايَتَهُ لِلنّاسِ عِندَ شاطِئِ بُحَيرةِ طَبَريّا. واجتَمَعَ حَولَهُ حَشدٌ كَبيرٌ مِنَ النّاسِ، فَصَعِدَ إلى قارِبٍ كانَ فَوقَ الماءِ وجَلَسَ فيهِ وخاطَبَ المُحتَشِدينَ على الشّاطِئِ، [2]مُبلِغًا كَثيرًا مِن تَعاليمِ رِسالَتِهِ ضارِبًا لهُمُ الأمثالَ:

---

(1) من المفسّرين مَن يقول إنّ للسيد المسيح إخوة من أمّه، ومنهم من يعتبر أنّ لفظ الإخوة يعود على أقربائه حسب المفهوم اليهودي في ذلك الوقت.

[3]"أَيُّها النّاسُ، عِندي لَكُم مَثَلٌ فاستَمِعوا إليهِ: خَرَجَ أحَدُ الزّارِعينَ إلى حَقلِهِ لِيَبذُرَ فيهِ البُذورَ. [4]وبَينَما كانَ يَنثُرُها سَقَطَ بَعضُها خارِجَ التُّربةِ المَحروثةِ، فالتَقَطَتها الطُّيورُ، [5]وسَقَطَ بَعضُها على تُربةٍ صَخريّةٍ، فنَبَتَت بِسُرعةٍ. [6]ولكِنّ الشَّمسَ أحرَقَتْها فماتَت في الحالِ، لأنّها لم تَكُن ذاتَ جُذورٍ. [7]وسَقَطَ بَعضٌ بينَ الشَّوكِ، فخُنِقَ ولم يُثمِرْ. [8]أمّا الباقي مِن تِلكَ البُذورِ فسَقَطَ في التُّربةِ الخِصبةِ في الحَقلِ، فنَما وأثمَرَ، وأعطى بَعضُهُ ثلاثينَ ضِعفًا، وبَعضُهُ سِتّينَ، وبَعضُهُ مِئَةً". [9]ثُمَّ أنعَمَ فيهِم النَّظَرَ وقالَ: "مَن لهُ أُذُنانِ لِلسَّمعِ فلْيَسمَعْ!"

العبرة في ضرب المسيح الأمثال

[10]وسَأَلَ الأتباعُ والحَواريّونَ الاثنا عَشَرَ سَيِّدَنا عِيسَى ﷺ في خَلوةٍ، عَن مَعنى ما ضَرَبَ مِن الأمثالِ [11]فقالَ: "لَقد أُنعِمَ عَليكُم أن تَعرِفوا سِرَّ المَملكةِ الرَّبّانيّةِ. أمّا الآخَرونَ خارِجَ دائرَتِنا فلَيسَ لهم إلاّ ظاهِرُ الخَبَرِ بالأمثالِ دونَ تَفسيرٍ، [12]فهُم يُشبِهونَ أُولئكَ الّذينَ أخبَرَ عنهُم النّبيُّ أشعيا قائِلاً:

لهُم عُيونٌ يَشهَدونَ بها أعمالي، ولَكِن لا يَفهَمونَها،

ولَهُم آذانٌ يَسمَعونَ بها أقوالي، ولَكِن لا يَفقَهونَها.

إنّهُم عَنِ الهِدايةِ مُدبِرونَ، ولِلتَّوبةِ تارِكونَ، وعَن مَغفِرةِ اللهِ مُعرِضونَ".

[13]ثُمَّ أنعَمَ النَّظَرَ في الجَميعِ قائِلاً: "أما وَعَيتُم مَغزى مَثَلِ الزّارِعِ؟ فكَيفَ لَكُم إن لم تَعوهُ أن تَعُوا غَيرَهُ مِنَ الأمثالِ؟ [14]إنّما مَثَلُ البُذورِ كَمَثَلِ كَلِماتِ اللهِ يُلقيها الدّاعي إلى اللهِ في نُفوسِ البَشَرِ، [15]فَمِنَ البُذورِ ما يَقَعُ في الأُذُنِ وُقوعَ البَذرةِ على الطّريقِ، فيأتي الشَّيطانُ فيَنزِعُها في الحالِ. [16]ومِنها ما يَقَعُ في النّفسِ فيَفرَحُ صاحِبُها بها، [17]ولكِنّهُ ذو قَلبٍ قاسٍ فلا يَكونُ لِتِلكَ الكَلِماتِ تأثيرٌ فيهِ فإن تَعَرَّضَ لامتِحانٍ بِسَبَبِ الرِّسالةِ ارتَدَّ على عَقِبَيهِ وانقَلَبَ. [18-19]ومِنها ما يَقَعُ في نَفسٍ ذاتِ أهواءٍ، صاحِبُها عَبدٌ لِشَهَواتِهِ تَخدَعُهُ الدُّنيا ويُغويهِ المالُ، فيَكونُ ذلِكَ بِمَثابةِ الأشواكِ الّتي تَخنُقُ رِسالةَ اللهِ في نَفسِهِ فتَموتُ، فلا أثَرَ لها ولا ثَمَرَ. [20]ومِنها ما يَقَعُ في قَلبٍ حَيٍّ فيُثمِرَ أعمالاً صالِحةً كما تُثمِرُ البُذورُ في الأرضِ الصّالِحةِ ثلاثينَ مِنَ الأضعافِ أو سِتّينَ أو مِئة. كذا العَبدُ الصّالِحُ تَظَلُّ نَفسُهُ في رِحابِ كَلِماتِ اللهِ، وقَلبُهُ في خُشوعٍ لا يَنقَطِعُ".

ضربه السراج مثلا لأتباعه

[21]ثُمَّ أَضافَ قائِلاً:

"أيَجوزُ أن يُوضَعُ المِصباحُ تَحتَ مِكيالِ الحُبوبِ أو تَحتَ السَّريرِ؟! أَلَيسَ مَوضِعُهُ في الواقِعِ في مَكانٍ عالٍ؟ [22]هكذا رِسالَةُ اللهِ كَالنُّورِ تكشِفُ الأسرارَ وتُظهِرُ الخَفايا، وتُعلِنُ ما كانَ مُضمَرًا في النُّفوسِ". [23]ثُمّ عَقَّبَ قائِلاً: "مَن لَهُ أُذُنانِ لِلسَّمعِ فَليَسمَعْ!"

الأخذ الصادق بالتعاليم

[24]وتَوَجَّهَ سَيِّدُنا عِيسَى إلى أتباعِهِ قائِلاً: "خُذوا ما أُلقيَ عَليكُم مِن تَعاليمِ اللهِ. واغترِفوا بِقَدرِ ما تَستَطيعونَ مِنها واجتَهِدوا في تَطبيقِها، فَبِقَدرِ قُبولِكُم لها يَفتَحُ اللهُ عَليكُم ويَزيدُ. [25]أمّا مَن أخَذَ مِنّي ولم يُقبِلْ قَلبُهُ وعَقلُهُ على الرِّسالَةِ، فحَتّى ما عِندَهُ مِن مَعرِفَةٍ سَيأخُذُها اللهُ مِنهُ ولن يَفتَحَ اللهُ عَليهِ".

مَثَل الأرض الخصبة والزرع النامي

[26]وتابَعَ سَيِّدُنا عِيسَى ضَربَ الأمثالِ قائِلاً: "ومَثَلُ المَملكةِ الرَّبّانيّةِ كَمَثَلِ الأرضِ الطَّيِّبةِ الّتي يَبذُرُ فيها الزّارِعُ بُذورَهُ [27]ثُمّ يَترُكُها مَساءً وفي الصَّباحِ يَجِدُ أنّها نَبَتَت وأثمَرَتْ وهو لا يَدري. [28]فالبَذرةُ الّتي احتَضَنَتها الأرضُ الطَّيِّبةُ تَنبُتُ وتُبرعِمُ فتَنحَني مِن ثِقَلِ سَنابِلِها [29]وتَنضُجُ فيَحصِدُها الزّارِعُ. كذا أنتُم المُؤمِنونَ بِرِسالةِ اللهِ". (1)

مثل حبة الخردل

[30]وتابَعَ حَديثَهُ لأتباعِهِ قائِلاً: "كَيفَ أوضِّحُ لكُم سِرَّ المَملكةِ الرَّبّانيّةِ، وبِماذا أُشَبِّهُها؟ [31]إنّها تُشبِهُ حَبّةَ الخَردلِ الّتي هي أصغَرُ البُذورِ، [32]أخَذَها إنسانٌ وبَذَرَها في الأرضِ فانشَقَّتْ عَن نَبتَةٍ سامِقةٍ ربَت في طولِها على كُلِّ الأشجارِ، وأصبَحَت عَظيمةً في كَثافةِ أغصانِها، يَرتادُها الطَّيرُ لِيَسكُنَ فيها ويُعَشِّشَ بَينَ أغصانِها".

[33]وكانَ سَيِّدُنا عِيسَى عليه السلام لا يُعَلِّمُ النّاسَ رِسالةَ اللهِ إلاّ بالأمثالِ، وذلِكَ على قَدرِ استيعابِهِم. [34]إلاّ أنّهُ كانَ إذا خَلا إلى حَوارِيِّيهِ اِستفاضَ في الشَّرحِ والتِّبيانِ.

---

(1) المقصود أنّ البذرة الصالحة التي هي تعاليم السماء التي زرعها عيسى عليه السلام في نفوس أتباعه لِتنبتَ وتُثمرَ، وعندما تحين ساعة حصادها تتجلّى في الأعمال والأخلاق الصالحة لأتباعه التي ستنتشر وسيلمس الناس آثارها.

معجزة المسيح في الطبيعة

[35]وعِندَ المَساءِ، طَلَبَ سَيِّدُنا عِيسَى مِن حَوارِيِّيهِ العُبورَ إلى الضِّفةِ الأُخرى مِن
بُحيرةِ طَبَريّا، [36]وجَلَسَ هُناكَ في القارِبِ بَعدَ أن تَرَكَ الحُشودَ على الشّاطِئِ، وسارَ بِهِ
القارِبُ وتَبِعَتْهُ قَوارِبُ أُخرى. [37]وفَجأةً هَبَّت عاصِفةٌ شَديدةٌ وأخَذَتِ الأمواجُ تَضرِبُ
القارِبَ حَتّى كادَ يَمتَلِئُ ماءً. [38]إلاّ أنّ عِيسَى عليه السلام استَمَرَّ في نَومِهِ ورَأسُهُ على وِسادةٍ
حَتّى أيقَظَهُ حَوارِيّوهُ بِفَزَعٍ قائِلينَ: "يا فَضيلَةَ المُعَلِّم، أما يَهُمُّكَ أنّنا نَكادُ نَهلِكُ؟!"
[39]فما كانَ مِنهُ إلاّ أن نَهَضَ، وأَمَرَ الرِّياحَ والأمواجَ قائِلاً: "اِهدَئي أيَّتُها الرِّياحُ واُسكُني
أيَّتُها الأمواجُ!" فَكَفَّت الرِّياحُ وسَكَنَتِ الأمواجُ وهَدأتِ العاصِفةُ وسادَ الجَوَّ سُكونٌ
عَميقٌ. [40]ثُمّ تَوَجَّهَ إلى أتباعِهِ قائِلاً: "ما لكُم خائفينَ؟ ألَم تُؤمِنوا بي بَعدُ؟"

[41]ولكِنّهُم كانوا ذاهِلينَ، وأسَرَّ بَعضُهُم إلى بَعضٍ قائِلينَ: "ما سِرُّ هذا الإنسانِ
الّذي يَأمُرُ الرِّياحَ فتُطيعُهُ، ومِياهَ البُحَيرةِ فَتُجيبُهُ؟!"

٥

الفصل الخامس

طرد الجنّ وغرق الخنازير

[1]ولَمّا وَصَلَ سَيِّدُنا عِيسى وأتباعُهُ إلى الشّاطِئِ المُقابِلِ لِبُحيرةِ طَبَريّا، نَزَلوا في
مِنطَقةٍ يَسكُنُها الوَثَنيّونَ تُسمّى الجَراسيّينَ. [2]وعِندَ نُزولِهِ عليه السلام مِنَ القارِبِ فَجأةً دَنا مِنهُ
رَجُلٌ خارِجٌ مِن مِنطقةِ المَقابِرِ، غَريبُ الأطوارِ تَسكُنُهُ الجانُ، [3]خَطيرةٌ أعمالُهُ، يُقيِّدُهُ
النّاسُ، فَيَكسِرُ أعتى القُيودِ والسَّلاسِلِ، [4]ولا أحَدَ يَقوى على لَجمِهِ، كانَتِ القُبورُ لهُ
مَسكنًا [5]يَتَردَّدُ بَينَها وبَينَ الجِبالِ لَيلَ نَهارَ، ويَهيمُ صائِحًا مُدَوِّيًا، مُجَرِّحًا جَسدَهُ
بِالحِجارةِ. [6-8]فلَمّا شاهَدَ سَيِّدَنا عِيسى عليه السلام عَن بُعدٍ، أسرَعَ إليهِ، غَيرَ أنّ السَّيِّدَ المَسيحَ
تَوَجَّهَ إليهِ وخاطَبَ الجِنَّ الّذي يَسكُنُهُ قائلاً: "أُترُكْ أيُّها الجِنيُّ جَسَدَ هذا الرَّجُلِ!" فما
كانَ مِنَ الجِنيِّ السّاكِنِ الرَّجُلَ إلاّ أنِ انحَنى بَينَ يَدَيهِ صائِحًا بأعلى صَوتِهِ، على لِسانِ
الرَّجُلِ، قائلاً: "يا عِيسَى، أيُّها الابنُ الرُّوحيُّ للهِ العَليّ، دَعني وشأني! أستَحلِفُكَ
باللهِ ألاّ تُعذّبَني!" [9]فسألَهُ سَيِّدُنا عِيسَى: "ما اسمُكَ؟" فأجابَ: "اسمي كَتيبةٌ، لأنّنا
كَثيرونَ. [10]فأرادَ سَيِّدُنا عِيسَى أن يأمُرَهُ والباقينَ بِمُغادَرةِ الرَّجُلِ. إلاّ أنّ الجِنَّ تَوسَّلوا
إليهِ أن يَترُكَهُم في تِلكَ المِنطَقةِ وألاّ يَطرُدَهُم مِنها، [11-13]مُفَضِّلينَ الحُلولَ في الخَنازيرِ

الّتي تَرعى على مُنحدَرِ الجَبَلِ هُناكَ، فأذِنَ سَيّدُنا عِيسَى لهُم بذلِكَ. وهكذا حَلَّتِ الجِنُّ في الخَنازيرِ الّتي ناهَزَتْ الألفَينِ عَدَدًا. بَيدَ أنّ تِلكَ الخَنازيرَ تَدافَعَت تَدافُعًا أسقَطَها مِن أعلى المُنحدَرِ إلى وَسَطِ البُحيرةِ حيثُ غَرِقَتْ. [14]وشَهِدَ الرُّعاةُ الّذينَ كانوا هُناكَ الحادِثةَ، فنَشَروا الخَبَرَ بَينَ النّاسِ في القَريةِ والأريافِ المُجاوِرةِ فأقبَلَ النّاسُ مِن أنحاءِ تِلكَ المِنطَقةِ ليَرَوا بأعيُنِهِم ما جَرى ويتحَقَّقوا مِنَ الحادِثِ، [15]فرأوا الرَّجُلَ الّذي كانَتِ الجِنُّ تَسكُنُهُ، جالِسًا بِهُدوءٍ مُعافىً لابِسًا ثِيابَهُ سَليمَ العَقلِ. فاستَبَدَّ بهِمُ الخَوفُ، [16]بَعدَ أن عَرَفوا مِن شُهودِ عيانٍ ما قامَ بِهِ سَيِّدُنا عِيسَى ﷺ بِخُصوصِ الرَّجُلِ والخَنازيرِ.

[17]فأخَذَ الجُمهورُ يَتوسَّلُ إليهِ لِيَرحَلَ عَن ديارِهِم، [18]فاستَجابَ لهُم،(1) وبَينَما هو في قاربِهِ لَحِقَ بِهِ الرَّجُلُ الّذي كانَت تَسكُنُهُ الجانُّ وطَلَبَ مِنهُ الرَّحيلَ مَعَهُ، [19]ولكِنّ سَيِّدَنا عِيسى أمَرَهُ بالبَقاءِ قائلاً: "اِذهَبْ إلى بَيتِكَ وأهلِكَ وابقَ مَعَهُم، وأخبِرْهُم بكُلِّ ما عَمِلَهُ اللهُ لكَ وبرَحمتِهِ عليكَ". [20]فانطَلَقَ الرَّجلُ، يَطوفُ بَينَ أنحاءِ المُدُنِ العَشرِ(2) مُعلِنًا ما صَنَعَهُ لَهُ سَيِّدُنا عِيسَى ﷺ، فكانَ ذلِكَ مَثارَ تَعَجُّبِ النّاسِ ودَهشَتِهِم.

الصّبيّة ابنة منير والمرأة الّتي لمست ثوب المسيح

[21]وانتَقَلَ سَيِّدُنا عِيسَى ﷺ في القارِبِ مَرّةً أُخرى إلى الشّاطِئِ الآخَرِ مِنَ البُحيرةِ، فاجتَمَعَ حَولَهُ حَشدٌ كَبيرٌ مِنَ النّاسِ على الشّاطِئِ، [22]وتَقَدَّمَ مِنهُ رَجُلٌ مِمّن يَقومونَ على بَيتِ العِبادةِ اسمُهُ مُنيرٌ، ووَقَعَ عِندَ قدَمَيهِ [23]مُتَوسِّلاً إليهِ قائلاً: "ابنتي الصَّغيرةُ مَريضةٌ على وَشَكِ المَوتِ! تَعالَ والمِسْها بيَدِكَ كي تُشفى!" [24]فاستَجابَ عِيسَى ﷺ لِطَلَبِ الرَّجُلِ وذَهَبَ مَعَهُ، ولَحِقَ بِهِ جَمعٌ كَبيرٌ مِنَ النّاسِ يَزحَمونَهُ حَتّى تَعَسَّرَ عليهِ السَّيرُ.

[25]وكانَ بَينَ الجَمعِ امرأةٌ أصابَها نَزيفٌ مُنذُ اثنَتَي عَشَرةَ سَنةً، [26]وقد عالَجَها كَثيرٌ مِنَ الأطبّاءِ دونَ فائِدةٍ، وأنفَقَت في عِلاجِها كُلَّ ما تَملِكُ، ولكِنّ حالَتَها كانَت تَزدادُ سُوءًا. [27]فما كانَ مِنها، وقد سَمِعَت بِمُعجِزاتِ سَيِّدِنا عِيسَى في شِفاءِ المَرضى إلاّ أن تَسَلَّلَت بينَ الجَمعِ، مُقتَرِبةً مِن خَلفِ سَيِّدِنا عِيسَى لامِسَةً طَرَفَ ثَوبِهِ بيَدِها [28]مُؤمِنةً أنّ

(1) وذلك لِما جال في خاطر هؤلاء الوثنيين بأنّه إنّما استطاع طرد الجان بقوّة السحر.

(2) كانت المدن العشر مجموعة مدن إغريقية تدين بالديانة الوثنية (ومن بينها دمشق وعمّان) وتقع بمنطقة الضفة الشرقية من الأردن وإجمالا في ناحية بلاد الشام.

ذلِكَ كافٍ لِشِفائِها. [29]وهكذا كانَ، إذ أَحَسَّت أنّ النَّزيفَ قد تَوَقَّفَ في الحالِ، وأدركَت أنّها شُفيَت مِن ذلِكَ الدّاءِ. [30]وأَحسَّ سَيِّدُنا عِيسَى في تِلكَ اللَّحظَةِ بِقُوّةٍ خَرَجَت مِنهُ، فالتفتَ إلى الجُموعِ قائِلاً: "مَن لَمَسَ ثوبي؟" [31]فأجابَهُ أَتباعُهُ: "إنّ النّاسَ يَتدافَعونَ حَولَكَ ويَتزاحَمونَ عليكَ! فكَيفَ تَسألُ عَمَّن لَمسَكَ؟!" [32]لكِنّهُ أجالَ بَصرَهُ بَينَ النّاسِ، ليَرى الّتي لَمَستهُ. [33]وشَعُرَت تِلكَ المَرأةُ بِرَهبةٍ، فتَقَدّمَت مِنهُ ترتَجِفُ، وارتَمَت أمامَهُ، مُعلِنةً أنّها هي الّتي لَمَسَت ثَوبَهُ مُخبِرةً إيّاهُ بتَفاصيلِ قِصَّتِها. [34]فتَوَجَّهَ إليها قائِلاً: "يا عَزيزَتي، إنّما إيمانُكِ بي هو الّذي شَفاكِ، فامضي في طَريقِكِ بأمانِ اللهِ مُعافاةً مِن دائِكِ". [35]وبَينَما كانَ سَيِّدُنا عِيسَى عليه السلام يُحدِّثُ تِلكَ المَرأةَ، أقبَلَ على مُنيرٍ جَمعٌ مِنَ النّاسِ كانوا في دارِهِ، يُخبِرونَهُ قائلينَ: "لم تَعُدْ حاجَةٌ إلى إزعاجِ فَضيلَةِ المُعلِّمِ، فصَغيرَتُكَ قد ماتَت!" [36]بَيدَ أنّ سَيِّدَنا عِيسَى عليه السلام لم يأبَهْ لِكلامِهِم، وتَوَجَّهَ إلى والِدِ البِنتِ قائلاً: "لا تَخَفْ! ما عَليكَ إلاّ أن تُؤمِنَ بي". [37]ثُمّ تَوَجَّهَ مَعَ بَعضِ حَوارِيّيهِ، بُطرُسَ ويَعقوبَ ويُوحَنّا شَقيقِ يَعقوبَ، [38]إلى دارِ القائِمِ على بَيتِ العِبادةِ، وعِندَ وُصولِهِم سَمِعوا العَويلَ والصُّراخَ. [39]فدَخَلَ سَيِّدُنا عِيسَى الدّارَ مُتَسائِلاً: "لِماذا هذا الضَّجيجُ والبُكاءُ، والصَّبيّةُ لم تَمُتْ، لكِنّها نائِمةٌ؟" [40]وسَخِرَ الحُضورُ مِنهُ، فأخرَجَهُم مِنَ الدّارِ، ثُمّ أَخَذَ والِدَ الصَّبيّةِ ووالِدَتَها والّذينَ كانوا مَعَهُ، وتَوَجَّهَ إلى حَيثُ تَرقدُ الصَّبيّةُ. [41]وقامَ مُخاطِبًا الفَتاةَ مُمسِكًا بيَدِها: "قُومي يا صَبيّةُ!" [42]فنَهضَت في الحالِ، وقامَت تَمشي، وكانَتِ ابنةَ اثنتَي عَشرَةَ سَنة. فأخَذَتِ الدَّهشةُ مأخذَها مِنَ المُشاهِدينَ. [43]ولكِنّ عِيسَى عليه السلام أَمَرَهُم بِعَدَمِ إفشاءِ الخَبَرِ، وبأن يَهتَمّوا بالفَتاةِ ويُطعِموها.

٦
الفصل السّادس

النّاصرة تُخرِج المسيح

[1]وغادَرَ سَيِّدُنا عِيسَى المَكانَ الّذي كانَ فيهِ مَعَ أتباعِهِ وحَوارِيّيهِ إلى بَلدَتِهِ النّاصِرة. [2]وتابَعَ نَشرَ تَعاليمِ رِسالتِهِ في بَيتِ العِبادةِ في يوم السَّبتِ. واستَنكَرَ كَثيرٌ مِنَ النّاسِ تَعاليمَهُ ومَآثِرَهُ مُتعَجِّبينَ قائلينَ: "كَيفَ يَقدِرُ هذا الرَّجُلُ أن يَعمَلَ كُلَّ ما يَعمَلُهُ؟ ومِن أينَ لهُ كُلَّ هذِهِ الحِكمةِ، ومَنِ الّذي أَمَدَّهُ بِذلكَ العِلمِ والسُّلطانِ لِيَتفوَّهَ بالحِكمةِ ويُجري

المُعجِزاتِ؟ [3]وهل هو إلاّ النَّجّارُ ابنُ مَريم، أخو يَعقوبَ ويوسي ويَهوذا وسَمْعان؟ ألَيسَت أخَواتُهُ ها هُنا؟!" ورَفَضوا الإيمانَ بِهِ مُستكبِرين. [4]ولكنّ سَيِّدَنا عِيسَى عَلَيْنَا سَلامُه تَوجَّهَ إليهِم قائلاً: "لا كَرامةَ لنَبيٍّ في وَطَنِه، وبَينَ أقارِبِهِ وأهلِهِ". [5]وتَعَذَّرَ على عِيسَى عَلَيْنَا سَلامُه إظهارُ مُعجِزاتِهِ في النّاصرةِ لقَسوةِ قُلوبِ قَوْمِهِ، إلاّ بَعضَ المَرضى الّذينَ وَضَعَ يدَهُ عليهِم وشَفاهُم. [6]وتَعَجَّبَ عَلَيْنَا سَلامُه مِن تَكذيبِ قومِهِ لهُ وعَدَمِ إيمانِهِم بِهِ. وخَرَجَ مِنَ النّاصِرة، وقَصَدَ القُرى المُجاوِرةَ لدَعوةِ النّاسِ وهِدايَتِهِم.

بعثة المسيح حَواريِّيه الاثني عشر

[7]ثُمَّ استَدعى سَيِّدُنا عِيسَى عَلَيْنَا سَلامُه حَوارِيِّيهِ الاثنَي عَشَرَ، وطَلَبَ مِنهُم أن يَطوفوا المُدُنَ والقُرى ويَنشُروا تَعاليمَهُ، وأرسَلَ كُلَّ اثنَينِ مِنهُم في اتِّجاهٍ، وأيَّدَهُم بسُلطانٍ مِنهُ على الجِنِّ والشَّياطينِ، [8]وأوصاهُم قائلاً: "لا تَأخُذوا في تِرحالِكُم هذا مِن رَفيقٍ إلاّ عَصًا، فلا خُبزَ، ولا زادَ، ولا مالَ. [9]ولْيَنتَعِلْ كُلُّ واحِدٍ مِنكُم نَعلاً ولْيَلبَسْ ثوبًا لا غَيرَ. هذا ما يَلزَمُكم لمُهِمّتِكُم". [10]وواصَلَ حَديثَهُ لهُم قائلاً: "عِندَما تَبلُغونَ قَريَة، أقيموا في أوّلِ بيتٍ يُرَحِّبُ أهلُهُ بِكُم.(1) [11]وإذا دَخَلتُم قَريَة وَصَدَّكُم أهلُها غيرَ قابِلينَ تَعاليمَكُم فارحَلوا عنها، وانفُضوا الغُبارَ عَن أقدامِكُم، مُنذِرينَ إيّاهُم بِغَضَبِ اللهِ عليهِم، مُخبرِيهِم بسُوءِ مُنقَلَبِهِم".

[12]فخَرَجَ الحَوارِيّونَ يَدعونَ النّاسَ إلى التَّوبةِ، [13]ويَطرُدونَ الكَثيرَ مِنَ الشَّياطينِ، ويَشفونَ النّاسَ بدَهنِ رُؤوسِهِم بالزَّيتِ.

النّبيّ يحيى بن زكريّا وموته

[14]وشاعَتِ أخبارُ عِيسَى عَلَيْنَا سَلامُه بَينَ النّاسِ وكَثُرَت أقاويلُهم فيهِ، فمِنهُم مَن قالَ: "هو النَّبيُّ يَحيى قامَ مِن بَينِ الأمواتِ ولهذا السَّبَبِ تَجري على يَدَيهِ المُعجِزاتُ". [15]وظَنَّ غَيرُهُم غَيرَ ذلِكَ فقالوا: "إنَّهُ النَّبيُّ إلياسُ رَجَعَ مِن غَيبتِهِ"(2) وقالَ بَعضُهُم:

---

(1) القصد هنا البقاء في ذاك البيت لإعلان البشارة، وليس اختيار البيت الأفضل لأصحابه من حيث الطعام والراحة.

(2) كان هناك اعتقاد سائدٌ بين اليهود بأنّ النبي إلياس الذي عاش منذ أكثر من 800 سنة قبل الميلاد. والذي لم يمت بل رفعته زوبعة إلى السماء، ليس إلاّ نبيا غائبا سيعود من غيبته قبل يوم الله العظيم المهيب. وذلك الاعتقاد كان مؤسّسا على النبوءات التي أنبأ بها النبي ملاكي عليه السلام.

"بل هو نَبيٌّ كأحَدِ الأنبياءِ الأوّلينَ" . [16]فلمّا سَمِعَ المَلِكُ أَنْتيباسُ ابنُ هيرودُس بأنباءِ سَيِّدِنا عِيسَى قالَ: "إنّهُ يَحيى الّذي قَطَعتُ رأسَهُ وقد بُعِثَ حَيًّا" . [17]وكانَ ابنُ هيرودُس قد قَبَضَ على النَّبيِّ يَحيى وقَيّدَهُ في السِّجنِ إرضاءً لهيروديّة الّتي تَزَوَّجَها وكانَت قَبلَ ذلِكَ امرأةَ أخيهِ فيليبَ، [18]وكانَ النَّبيُّ يَحيى يُعلِنُ لهيرودُسَ أنّ ذلِكَ الزَّواجَ حَرامٌ. [19-20]وكانَ ابنُ هيرودُس رَغمَ كُلِّ ذلِكَ يَهابُ النَّبيَّ يَحيى ويَرعاهُ لعِلمِهِ بصَلاحِهِ وقُدُسيّتِهِ، ويُحِبُّ الإصغاءَ إلى أحاديثِهِ وتَعاليمِهِ الّتي جَعَلَتهُ في حَيرةٍ مِن أمرِهِ، أمّا هيروديّة فقد كانَت تَترَبَّصُ بيَحيى عليه السلام وتُريدُ أن تَقتُلَهُ حتّى حانَت لها فُرصَةُ الانتقامِ مِنهُ. [21]وحِينَ كانَ المَلِكُ ابنُ هيرودُس يُقيمُ حَفلةً للنُّبلاءِ وكِبارِ الضُّبّاطِ وأعيانِ الجَليلِ في ذِكرى مَولِدِهِ، [22-23]دَخَلَت ابنةُ هيروديّة لتَرقُصَ بَينَ الجُموعِ، فأثارَت إعجابَ الحاضِرينَ وابنِ هيرودُس الّذي طارَ لبُّهُ بها، فأقسَمَ قائلاً: "لكِ ما تَشائينَ، حتّى لو طَلَبتِ نِصفَ مَملكتي!" [24]فذَهَبَتِ الفَتاةُ إلى أُمِّها، مُستَشيرةً في ما تَطلُبُهُ، فأشارَت عَليها أن تَطلُبَ رَأسَ النّبيِّ يَحيى.

[25]وهُرِعَتِ الفَتاةُ إلى المَلِكِ، وأخبَرَتهُ بطَلَبِها قائلةً: "أُريدُ أن تُحضِرَ لي رَأسَ يَحيى بنِ زَكَريّا على طَبَقٍ في الحالِ!" [26]فَحزِنَ المَلِكُ حُزنًا شَديدًا، ولكِنّهُ، وقد أقسَمَ لها أمامَ الجَميعِ، لَم يَشأ أن يَنكُثَ وَعدَهُ. [27]فأرسَلَ سَيّافًا على الفَورِ، وأمَرَهُ بأن يُحضِرَ رَأسَ يَحيى الّذي كانَ سَجينًا. فذَهَبَ وقَطَعَ رأسَهُ، [28]وأحضَرَهُ على طَبَقٍ،?ثُمّ سَلَّمَهُ إلى الفَتاةِ فقدَّمَتهُ لأُمِّها. [29]ولمّا بَلَغَ الخَبَرُ أتباعَ النَّبيِّ يَحيى، ذَهَبوا وأخَذوا جُثمانَهُ ووَضَعوهُ في قَبرٍ مَحفورٍ وَسَطَ الحَجَرِ.

المسيح يطعم خمسة آلاف شخص

[30]وعادَ الحَواريّونَ بَعدَ أن طافوا بَينَ النّاسِ بتَعاليمِ رِسالةِ عِيسَى عليه السلام إلى الاجتِماعِ بهِ وأخبَروهُ بتَفصيلِ ما عَمِلوهُ وما عَلّموهُ. [31]وكانَتِ الحُشودُ بَينَ ذاهِبٍ وآتٍ تَملأُ المَكانَ حتّى إنّ الحَواريّينَ لم يَجِدوا وقتًا لِتَناوِلِ طَعامِهِم. فطَلَبَ مِنهُم سَيِّدُنا عِيسَى عليه السلام الابتِعادَ عَنِ النّاسِ قائلاً: "فلنَذهَبْ بَعيدًا إلى مَكانٍ مُقفِرٍ، لِتأخُذوا قِسطَكُم مِنَ الرّاحةِ" . [32]فرَكِبوا القارِبَ وَحدَهُم، وقَصَدوا مَكانًا مُنعزِلاً. [33]ولكِنّ كَثيرينَ مِنهُم لاحَظوا ابتِعادَهُم، فتَبِعوهُم مِن كُلِّ حَدبٍ وصَوبٍ، وسَبَقوهُم سائرينَ على شاطِئِ البُحيرةِ، وقد رَصَدوا مَكانَ نُزولِ القارِبِ فوَصَلوا إليهِ واجتَمَعوا فيهِ. [34]وعِندَ نُزولِ سَيِّدِنا عِيسَى عليه السلام وحَوارِيِّيهِ إلى الشّاطِئِ تَقَدَّمَ إلى جُموعِ النّاسِ،

وأشفَقَ عليهِم إذ أحَسَّ أنّهُم كغَنَمٍ بلا راعٍ. فأخَذَ يَعِظُهُم، ويُعلّمُهُم أُمورًا كَثيرةً. [35]وبَقِيَ على تِلكَ الحالِ إلى وَقتٍ مُتأخِّرٍ، حتّى جاءَهُ حَواريّوهُ وأتباعُهُ طالبينَ مِنهُ [36]أن يَسألَ تِلكَ الحُشودَ الانصِرافَ إلى المَنازِلِ والمَزارعِ المُجاوِرةِ لشِراءِ ما يَقتاتونَ بِهِ، [37]إلاّ أنّ سَيّدَنا عِيسَى عَلَيْهِ سَلَامُهُ التَفَتَ إلى حَوارِيِّيهِ قائلاً: "أعطوهُم أنتُم لِيأكُلوا". فأخَذَهُم العَجَبُ وقالوا: "حتّى لو كانَ لدَينا مِئتا دِينارٍ فإنّنا لا نَقدِرُ أن نُطعِمَ هذا الحَشدَ!"(1) [38]ولكنّ عِيسَى عَلَيْهِ سَلَامُهُ طَلَبَ مِنهُم التَّحقُّقَ مِن عَدَدِ الأرغِفَةِ، فقالوا: "خَمسةُ أرغِفةٍ وسَمكتان" [39]فأمَرَهُم أن يُجلِسوا النّاسَ على العُشبِ الأخضَرِ حَلَقاتٍ [40]عَدَدُ أفرادِها مِئةُ فَردٍ أو خَمسونَ. [41]وأخَذَ سَيّدُنا عِيسَى عَلَيْهِ سَلَامُهُ الأرغِفة الخَمسة والسَّمكتَينِ مُتجّهًا بنَظَرِهِ إلى السَّماءِ حامِدًا الله شاكرًا إيّاه على نَعمائِهِ، ثُمّ قامَ بِتَقسيمِ الخُبزِ والسَّمَكِ، وقَدَّمَها إلى حَوارِيِّيهِ لِتَوزيعِها على جَميعِ النّاسِ. [42-44]فأكَلَتِ الجُموعُ الّتي بَلَغَ عَدَدُ الرِّجالِ فيها خَمسةَ آلافِ رَجُلٍ، وشَبِعوا، وتَبَقّى مِنَ الطَّعامِ اثنَتا عَشَرَة سَلّةً مَملوءَةً رَفَعَها الحَوارِيّونَ.

المسيح وسيره على الماء

[45]وطَلَبَ سَيِّدُنا عِيسَى عَلَيْهِ سَلَامُهُ مِن حَوارِيِّيهِ وأتباعِهِ أن يَسبِقوهُ إلى قَريةِ بَيتِ صَيدا عِندَ الشّاطِئِ المُقابِلِ فرَكِبوا القارِبَ إلى هُناكَ. وبَقِيَ عَلَيْهِ سَلَامُهُ يَصرِفُ الحُشودَ. [46]وبَعدَ انتِهائِهِ مِن ذلِكَ، صَعِدَ الجَبَلَ وَحدَهُ للصَّلاة. [47]وفي ظَلامِ اللّيلِ، عِندَ عَودتِهِ إلى الشّاطِئِ، [48]رأى أنّ القارِبَ الّذي رَكِبَهُ حَواريّوهُ ما زالَ في وَسَطِ البُحيرةِ، ورَآهُم يُلاقونَ العَناءَ في التَّجديفِ بِسَبَبِ الرِّياحِ الّتي هَبَّت بِعَكسِ اتّجاهِ قارِبِهِم. فقَصَدَهُم قُبَيلَ الفَجرِ ماشيًا فَوقَ مِياهِ البُحَيرةِ، وكانَ على وَشَكِ أن يَتَجاوزَهُم، [49]ففَزِعوا عِندَ رُؤيتِهِ يَسيرُ على الماءِ، وظَنّوهُ شَبَحًا مُقبلاً عليهِم، [50]فصَرَخوا مَذعورينَ. فالتَفَتَ إليهِم عِيسَى عَلَيْهِ سَلَامُهُ مُهدِّئًا مِن رَوعِهِم قائلاً: "اطمَئِنّوا! أنا عِيسَى فلا تَخافوا!"

[51]وصَعِدَ إلى جانِبِهِم. فسَكَنَتْ حِينئِذٍ الرِّيحُ وتَهادى القارِبُ على الماءِ، فكانَت دَهشَتُهُم عَظيمةً. [52]ولَو كانوا أدرَكوا مَغزَى مُعجِزةِ الأرغِفَةِ الخَمسةِ، لَما دُهِشوا مِن مُعجزةِ سَيرِهِ على الماءِ. ولئِن كانَ بَصَرُهُم سَليمًا، فقد كانَت قُلوبُهم عَمياءَ.

---

(1) قيمة مئتي دينار آنذاك تعادل أجر عامل لمدّة ثمانية أشهر.

المسيح ومعجزته في الإبراء من أمراض متعدّدة

53 وعَبرَ سَيِّدُنا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بُحيرةَ طَبريّا ونزَلَ بشاطِئِها، وربَطَ وحواريّوهُ القارِبَ هُناكَ. 54 وحالَما عَلِمَ النّاسُ بِقُدومِهِ، 55 أقبَلوا عليهِ مُسرِعينَ مِن كُلِّ الأنحاءِ، حامِلينَ مَرضاهُم على الفُرُشِ مُتّجِهينَ إليهِ. 56 وكانوا حَيثُما حَلَّ في المُدُنِ والقُرى والأماكِنِ النّائيَةِ يَضَعونَ مَرضاهُم في السّاحاتِ ويَطلُبونَ مِنهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يَلمِسوهُ ولو مِن طَرَفِ ثَوبِهِ فيُشفَوا. وهذا ما حَدَثَ.

٧
الفصل السّابع

التّعصّب الأعمى للتّقاليد وترك شرع الله

1 وسَعَت إلى سَيِّدِنا عِيسَى مِنَ القُدسِ جَماعةٌ مِن طائفةِ المُتَشَدِّدينَ ومِن عُلماءِ التّوراةِ. 2 وبَعدَ أن رَأوا عَدَمَ التِزامِ بَعضِ أتباعِهِ غَسلِ أيديهِم قَبلَ الطَّعامِ، 3 مُخالِفينَ عاداتِ اليَهودِ وتَقاليدِهِم، أنكَروا عليهِم ذلِكَ، إذ كانَت جَماعةُ المُتَشَدِّدينَ تَتَمسَّكُ بتَقاليدَ كَثيرةٍ وَرِثوها مِن آبائِهِم كَغَسلِ الأيادي بِعِنايةٍ، 4 والاغتِسالِ بَعدَ العَودةِ مِنَ السُّوقِ، وغَسلِ الأواني والأطباقِ. 5 وطالَبَ المُتَشَدِّدونَ والعُلماءُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قائلينَ: "لِماذا لا يَتَمسَّكُ أتباعُكَ بالمَوروثِ عن آبائِنا الأوّلينَ مِنَ العاداتِ والتَّقاليدِ، لِمَ لا يَغسِلونَ أيديهِم قَبلَ تَناوُلِ الطَّعامِ؟" 6 فنَهَرَهُم سَيِّدُنا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قائلاً: "أيُّها المُنافِقونَ! أتَأخُذونَ على أتباعي عَدَمَ التِزامِ تَقاليدِكُم، وأنتُمُ النّاسِخونَ شَرعَ اللهِ! لقد صَدَقَت نُبوءةُ النَّبيِّ أشعيا فيكُم، إذ قالَ في الكِتابِ: "هذا الشَّعبُ يُكرِمُني بِلسانِهِ، أمّا قَلبُهُ فبَعيدٌ عَنّي. 7 باطِلةٌ عِبادَتُهُم إذ يَتَّبِعونَ أهواءَهُم وتَقاليدَهُم الّتي صاغوها بأيديهِم"!
8-9 وتابَعَ سَيِّدُنا عِيسَى كَلامَهُ قائلاً: "أأحكامَ اللهِ تُهمِلونَ، وبِقَوانينِكُم البَشَريّةِ تَتَمَسَّكونَ، وعَن شَرعِ اللهِ تُعرِضونَ؟ وتَضرِبونَ بِهِ عُرضَ الحائطِ في سَبيلِ إنفاذِ شَرائِعِكُم المَكتوبةِ بأيديكُم؟ 10 فلقد أمَرَكُم النَّبيُّ موسى قائلاً: "أكرِمْ أباكَ وأُمَّكَ" وقالَ لكُم أيضًا: "مَن أهانَ أباهُ وأُمَّهُ فعِقابُهُ المَوتُ لا رَيبَ". 11 إلاّ أنّكُم تَحايَلتُم على ذلِكَ واستَبَحتُمُ الخُروجَ عَنهُ بِفَتوى وَضَعتُموها تَقولُ: "مَن نَذَرَ مالَهُ لعِبادَةِ اللهِ في الهَيكَلِ، 12 فقد صارَ في حِلٍّ مِنَ الإنفاقِ على الوالِدَينِ". 13 فهكذا أبطَلتُم بِفَتواكُم شَرعَ اللهِ، ومِثلُ ذلِكَ كَثيرٌ". ما يجعل الإنسان نجسًا

[14]ثُمَّ دَعا سَيِّدُنا عِيسَى ﷺ الجُموعَ قائلاً: "اسمَعوا وَعوا ما أقولُ لكُم. [15]ما مِن شَيءٍ يَدخُلُ فَمَ الإنسانِ فيُنَجِّسَهُ، إنّما النَّجاسةُ تَخرُجُ مِنهُ عَبرَ أقوالِهِ وأفعالِهِ. [16]مَن لهُ أذُنانِ للسَّمعِ فليَسمَعْ".

[17]وبَعدَ أن تَرَكَ سَيِّدُنا عِيسَى ﷺ حُشودَ النّاسِ، عادَ إلى البَيتِ، فاستفسَرَهُ أتباعُهُ عَن مَغزَى ما تلاهُ عَلى الجُموعِ في أمْرِ النَّجاسةِ. [18]فالتَفَتَ إليهِم قائلاً: "ما لي أراكُم كغَيرِكُم مِنَ النّاسِ لا تَفقهونَ! ألا تَعلَمونَ أنّ ما يَدخُلُ جَوفَ الإنسانِ مِن طَعامٍ وشَرابٍ لا يُنجِّسُهُ؟ [19]فما يَدخُلُ إلى جِسمِ الإنسانِ إنّما يَدخُلُ جَوفَهُ لا قَلبَهُ، ثُمَّ يَخرُجُ بَعدَ ذلِكَ مِنَ الجَسَدِ". وفي هذا حُكمٌ بِطَهارةِ كُلِّ الطَّعامِ، [20]ثُمّ أضافَ قائلاً: "إنّ ما يُنَجِّسُ الإنسانَ هو ما يَصدُرُ عَنهُ من أخلاقٍ وأفعالٍ، [21]فالقَلبُ مَوضِعُ طَهارةِ الإنسانِ ومَوضِعُ شَرِّهِ، ونَفسُهُ الّتي بَينَ جَنبَيهِ هي الّتي تُسَوِّلُ لهُ نِيّاتِ الشَّرِّ في ارتِكابِ الآثامِ، مِن فِسقٍ وسَرِقةٍ وقَتلٍ وزِنى [22]وطَمَعٍ وخُبثٍ وغِشٍّ وفُجورٍ وحَسَدٍ ونَميمةٍ وتكَبُّرٍ وطَيشٍ. [23]هذِهِ الآثامُ هي الّتي تُنَجِّسُ الإنسانَ حقًّا لأنّ مَصدَرَها باطِنُ نَفسِهِ".

إيمان المرأة الفينيقيّة

[24]وتَوَجَّهَ سَيِّدُنا عِيسَى ﷺ مِن ثَمّ إلى مِنطَقةِ صُور، ودَخَلَ بيتًا مِنَ البُيوتِ راجيًا ألاّ يَعلَمَ بِهِ أحَدٌ، ولكنّ إخفاءَ أمْرِ حُضورِهِ كانَ مُستَحيلاً. [25-26]فقد سَمِعَت بقُدومِهِ امرأةٌ لها صَبيّةٌ بِها مَسٌّ مِنَ الشَّيطان. فأسرَعَت إليهِ في الحالِ، مُلقيةً بنَفسِها عِندَ قدَمَيهِ، مُتوسّلةً إليهِ شِفاءَ ابنتِها وإخراجَ الشَّيطانِ المُتلبِّسِ بها، وكانَتِ المَرأةُ وَثَنيّةً أجنبيّةً مِن أصلٍ سُوريٍّ فينيقيّ، [27]فخاطَبَ المَرأةَ قائلاً: "يَجِبُ أن يَعُمَّ الخَيرُ على قومي أوّلاً، فالحَقُّ لبَني يَعقوبَ في كَراماتي ولا يَجوزُ لي أن أُعطِيَ الأغرابَ مِن حقِّهِم هذا، فمَثَلُ ذلِكَ كمَن يُطعِمُ الحيواناتِ الأليفةَ دُونَ أولادِهِ".

[28]فما كانَ مِنَ المَرأةِ إلاّ أن بادَرَتْهُ بقولِها: "صَحيحٌ يا سَيِّدي، ولكن حتّى للحَيواناتِ نَصيبٌ تَلتقِطُهُ مِنَ الفُتاتِ السّاقِطِ مِن مائدةِ أربابِها على الأرضِ". [29]فقالَ لها: "اِذهَبي، فلكِ ما سَألتِ مِن أجلِ قَولِكِ هذا، وسَتَجِدينَ ابنتَكِ وقد غادَرَها الشَّيطانُ". [30]فانصَرَفَت المَرأةُ إلى بَيتِها حَيثُ وجَدَت ابنتَها راقِدةً في الفِراشِ وقد تَرَكَها الشَّيطانُ.

معجزته في إبراء الأصمّ

[31]ثُمَّ غادَرَ سَيِّدُنا عِيسَى ﷺ منطقةَ صُور، مُعرِّجًا على صَيدا، مارًّا بالمُدُنِ العَشرِ في طَريقِ عَودتِهِ إلى المِنطقةِ الّتي حَولَ بُحيرةِ طَبَريّا. [32]وعِندَ وُصُولِهِ أتاهُ بَعضُهُم بشَخصٍ أصَمٍّ أبكَم، وتَوسّلوا إليهِ أن يَلمِسَهُ ويَشفِيَهُ. [33]فأخذَهُ سَيِّدُنا عِيسَى على انفِرادٍ، بَعيدًا عن الحَشدِ، ثُمَّ وَضعَ إصبَعَيهِ في أُذني الرَّجُلِ، وتَفَلَ على أصابعِهِ ولَمَسَ لِسانَ الرَّجُلِ [34]مُتوجِّهًا ببَصَرِهِ إلى السَّماء، مُتنفِّسًا الصُّعداءَ قائلاً باللُّغةِ الآراميّةِ "اِتفَتَحْ" أي "اِنفتِحْ". [35]وفي الحالِ عادَت إلى الرَّجُلِ حاسّةُ سَمعِهِ وانطَلَقَ لِسانُهُ وقامَ مُعافىً صَحيحَ السَّمعِ سَليمَ اللِّسانِ.

[36]وأوصى سَيِّدُنا عِيسَى الحاضِرينَ بكِتمانِ هذا الأمرِ، لكن كُلما شَدَّدَ عليهِم في الكِتمانِ، كانوا يُذيعُونَهُ أكثرَ، [37]مُتحدِّثينَ عَنهُ بدَهشةٍ شَديدةٍ قائلينَ: "يا لعَظمة ما يَفعَلُهُ هذا الرَّجُلُ! فهو يَجعَلُ الصُّمَّ يَسمَعونَ والبُكمَ يَنطِقونَ!"

٨
الفصل الثّامن

المسيح يُطعم أربعة آلاف شخص

[1]وفي تِلكَ الفَترةِ تَجمَّعَ مَرّةً أُخرى حَولَ سَيِّدِنا عِيسَى ﷺ حَشدٌ كَبيرٌ، وما مِن شَيءٍ لديهِ ليأكُلوهُ، فدَعا أتباعَهُ قائلاً: [2]إنّي مُشفِقٌ على هذِهِ الجُموعِ الّتي تُلازِمُني مُنذُ ثلاثةِ أيّامٍ دُونَ طَعام. [3]وأخشَى إن طَلَبتُ مِنهُمُ العَودةَ إلى بُيوتِهِم وهُم جائِعونَ، أن تَخورَ قُواهُم في الطَّريقِ، خاصّةً أنّ بَعضَهُم جاؤوا مِن بَعيد!" [4]فتَعجَّبَ أتباعُهُ قائلينَ: "كَيفَ لنا أن نُشبعَ هؤلاءِ ونحنُ لا نَملِكُ في هذا القَفرِ من الخُبزِ ما يَكفي؟!" [5]وسألَهُم عِيسَى ﷺ عن كِميّةِ الخُبزِ الّتي لدَيهِم وعَرَفَ أنّهُم لا يَملِكونَ سِوى سَبعةِ أرغِفةٍ. [6]فسَألَ النّاسَ الجُلوسَ، وأخَذَ الأرغِفةَ وحَمِدَ الله وشَكَرَهُ على نَعمائِهِ، وقَسَّمَها وأعطاها أتباعَهُ لتَوزيعِها. [7]وكانَ مَعَ أتباعِهِ شَيءٌ مِنَ السَّمَكِ الصَّغير، فشَكَرَ اللهَ على نَعمائِهِ الّتي مَنَّ بها عَليهِم، ثُمّ طَلَبَ مِن أتباعِهِ تَوزيعَهُ أيضًا. [8]فأكَلَ الجَميعُ حتّى شَبِعوا ثُمّ جَمَعَ أتباعُهُ سَبعةَ سِلالٍ مَملوءةٍ مِن كِسَرِ الخُبز، [9]رَغمَ أنّ عَدَدَ الحُشودِ كانَ يُقارِبُ الأربعَةَ آلافِ شَخصٍ. وهكذا بَعدَ أنِ اطمَأنّ عِيسَى ﷺ على حالِ النّاس صَرَفَهُم [10]ورَكِبَ مَعَ أتباعِهِ القارِبَ مُيمِّمينَ شَطرَ مِنطقةِ دَلْمانوثة.

المتشدّدون يطلبون آية من السيّد المسيح

[11]ووَفَدَت عليهِ طائفةٌ مِنَ المُتَشَدِّدينَ وقد سَمِعوا بِقدُومِهِ مَعَ أتباعِهِ، فأخَذوا يُجادلونَهُ طالِبينَ آيةً مِنَ السَّماءِ(1) تُقنِعُهم بأنّهُ المَسيحُ المُنتَظَرُ. [12]فزفَرَ سيّدُنا عِيسَى ﷺ مِن صَميمِهِ وقالَ: "ما لهذِهِ الطَّائفةِ تُصِرُّ على إظهارِ مُعجزةٍ؟ الحَقَّ أقولُ لكُم: إنّ اللهَ لن يُظهِر لكُم الآيةَ الّتي تُصِرّونَ عليها!" [13]وترَكَهُم وراءَهُ ورَكِبَ وأتباعَهُ القارِبَ إلى الطَّرَفِ الآخَرِ مِنَ البُحَيرةِ.

خمير المتشدّدين وخمير ابن هيرودس

[14]وأثناءَ عَودةِ سَيِّدِنا عِيسَى ﷺ وأتباعِهِ، وقَبلَ وُصولِهِم إلى الشّاطئِ تَذَكَّروا أنّهُم لا يَملِكونَ مِنَ الزّادِ سِوى رَغيفٍ واحِدٍ. [15]فالتَفَتَ إليهِم قائلاً: "إيّاكُم وخَميرَ المُتَشدِّدينَ وابنِ هيرودُس!" [16]ولكنّهُم لم يَتَبَيَّنوا مَغزَى قولِهِ فتَساءَلوا: "ألأنّنا لم نُحضِرْ مِنَ الزّادِ سِوى ذلِكَ الرَّغيفِ؟!" [17]فعَلِمَ عِيسَى ﷺ بما يَقولونَ فالتَفَتَ إليهِم قائلاً: "أما فَهِمتُم مَغزَى مَقالتي تِلكَ؟ كَيفَ تَظُنّونَ أنّي أُشيرُ إلى عَدَمِ وجُودِ الخُبزِ؟ [18]هل لكُم عُيونٌ لا تُبصِرونَ بها، وهل لدَيكُم آذانٌ لا تَسمَعونَ بها؟! فكَيفَ لا تَتذَكَّرونَ؟! [19]ألم يَكُنْ طَعامُ خَمسةِ آلافِ فَردٍ خَمسةَ أرغِفةٍ عِندَما قَسَّمتُها بينَكُم؟ وكَم تَبقّى مِن أرغفتِهِم تِلكَ؟" قالوا: "اثنتا عَشَرَةَ سَلَّةً". [20]قال: "ألم يَكُن طَعامُ أربعةِ آلافِ فَردٍ سَبعةَ أرغِفةٍ عِندَما قَسَّمتُها بينَكُم؟ فكَم رَفعتُم مِمّا تَبقّى مِنها؟" قالوا: "سَبعةَ سِلالٍ" [21]فقالَ: "أفلا تُبصِرونَ بَعدُ؟"

شفاء أعمى في قرية بيت صيدا

[22]وعِندَما وَصَلَ سَيِّدُنا عِيسَى ﷺ وأتباعُهُ إلى قَريةِ بَيتِ صَيدا، جاءَ بَعضُهُم إليهِ بأعمى وتَوَسَّلوا إليهِ أن يَلمِسَهُ، [23]فأخَذَ بيَدِ الأعمى واقتادَهُ خارِجَ القَريةِ، وهُناكَ تَفَلَ في عَينَيهِ ووَضَعَ عليهِما يدَيهِ ثُمّ استفسَرَهُ قائلاً: "هل تُبصِرُ شَيئًا؟" [24]فاتَّجَهَ بنَظَرِهِ إليهِ قائلاً: "أكادُ أرى خَيالاتٍ لأجسادٍ بَشَريّةٍ وكأنّها أشجارٌ تَمشي". [25]فوضَعَ سَيِّدُنا عِيسَى ﷺ يَدَيهِ على عَينَيْ الرَّجُلِ مَرّةً أُخرى، وكَشَفَ عَن بَصَرِ الرَّجُلِ فأصبَحَ يَرى

---

(1) رغم أنّ عيسى ﷺ أجرى أمامهم معجزات كثيرة، إلاّ أنّهم استمرّوا مُصرّين عليه في طلب آية من السّماء على غرار آية النبي موسى عليه السلام (المَنّ من السماء) والنبي إلياس (النار من السماء) لأنّ تلك بعض علامات المسيحِ المنتظر طِبقا لتقليد اليهود.

الأشياءَ بوُضوحٍ. [26]وطَلَبَ مِنهُ عِيسَى ﷺ التَّوَجُّهَ إلى بَيتِهِ قائلاً: "لا تَدخُلْ هذِهِ القَريَةَ، ولا تُخبِرْ أحَدًا مِن أهلِها بِما جَرَى لكَ". (1)

بطرس يقِرّ بحقيقة المسيح

[27]ثُمَّ تَوَجَّهَ سَيِّدُنا عِيسَى وأتباعُهُ إلى قُرى قَيصريّة فيليبَ،(2) وأثناءَ سَيرِهِم سألَ أتباعَهُ: "مَن أنا في رأيِ النّاسِ؟ وماذا يَقولونَ عنّي؟!" [28]فأجابوهُ: "يَقولُ بَعضُهُم أنتَ النّبيُّ يَحيى، ويَقولُ آخرونَ: أنتَ النَّبيُّ إلياسُ وقد رَجَعَ مِن غَيبَتِهِ. ويَقولُ غَيرُهُم إنّكَ أحَدُ الأنبياءِ". [29]ثُمَّ سألَهُم ثانيةً: "وأنتُم! مَن تَحسبُونَني؟!" فانبَرى بُطرُسُ الصَّخرُ قائلاً: "إنّكَ المَسيحُ صَفيُّ اللهِ المُنتَظَرُ". [30]عِندئذٍ أمَرَهُم بكِتمانِ الأمرِ.

المسيح ينبئ أوّل مرّة بخبر موته وقيامته

[31]وأخَذَ سَيِّدُنا عِيسَى يُخبِرُ أتباعَهُ بأنّهُ سيَتَعرَّضُ للآلامِ، وأنّ قادةَ الشَّعبِ وكِبارَ رِجالِ الدِّينِ وعُلماءَ التَّوراةِ سيَرفُضونَهُ، وأنّهُ سيُقتَلُ ولكنّهُ سيَقومُ بَعدَ ثلاثَة أيّامٍ حَيًّا. [32]وكانَ يُحدِّثُ أتباعَهُ بذلِكَ عَلانيَةً. إلاّ أنّ بُطرُسَ حَدَّثَهُ على انفِرادٍ وعاتَبَهُ مُستنكِرًا الإخبارَ بمَوتِهِ.(3) [33]فالتَفتَ سَيِّدُنا عِيسَى ﷺ ورأى أتباعَهُ مُلتَفِّينَ حَولَهُ، فوَبَّخَ بُطرُسَ ونَهرَهُ قائلاً: "إليكَ عنّي يا شَيطانُ،(4) إنّ في قَلبِكَ حِرصًا كحِرصِ النّاسِ وبُعدًا عَن فَهْمِ مَقاصِدِ اللهِ!" [34]ثُمّ دَعا إليهِ النّاسَ وأتباعَهُ وقالَ: "مَن أرادَ أن يَتبَعَني فعليهِ أوّلاً أن يُنكِرَ ذاتَهُ، ويُهيّئ نَفسَهُ للتَّعذيبِ صَلبًا والمَوتِ في سَبيلي، ثُمّ يَتبَعُني. [35]أمّا مَن يُريدونَ الحِفاظَ على حَياتِهِم الدُّنيا فأولئِكَ هُمُ الخاسِرونَ، ومَن يُضحّونَ بها في سَبيلي وفي سَبيلِ رِسالتي فأولئِكَ هُمُ الفائِزونَ. [36]فماذا يَنفَعُ الإنسانَ لو رَبِحَ

(1) قد يكون سببُ منعه ﷺ الرجلَ من العودة إلى القرية التي كان فيها، مخافته أن يعود الرجل إلى التسوّل كما كان شأنه قبل أن يبصر. لذلك جاء في بعض التفاسير أن الرجل كان متسوّلاً.

(2) هذه المنطقة هي منطقة بلدة بانياس اليوم (وهي غير بنياس الساحل)، وهي تقع في سفح جبل الشيخ قرب بحيرة طبريّا.

(3) كان بطرس يرى أن مكانة المسيح ﷺ أرفع من أن ينال منها مثل تلك الأخبار.

(4) كان بطرس، بعتابه رسول الله عيسى ﷺ، يعارض ما كتبه الله على نبيه، ولذلك كان تصرّفه تصرّفَ شيطان.

العالمَ كُلَّهُ، وخَسِرَ نَفسَهُ؟ [37]ما مِن شَيءٍ في هذهِ الدُّنيا يَستَطيعُ الإنسانُ أن يَفدِيَ بِهِ نَفسَهُ! [38]ومَن خَجِلَ بي وبِدَعوتي بَينَ أفرادِ هذا الشَّعبِ الضّالِّ، مُنكِرًا أنَّهُ مِن أتباعي، فإنّ سَيِّدَ البَشَرِ لن يَكونَ نَصيرًا لهُ عِندَما يأتي إلى العالَمِ في جَلالِ اللهِ أبيهِ الصَّمَدِ مَرفوقًا بالمَلائكَةِ الأطهارِ!"

٩
الفصل التّاسع

[1]وأضافَ: "الحقَّ أقولُ لكُم: إنّ فيكُم مَن سَيَشهَدونَ ظُهورَ المَملكةِ الرّبّانيّةِ بقوّةٍ قَبلَ أن يَموتوا!"(1)

تجلّي السيّد المسيح ومجيء إلياس وموسى

[2]وبَعدَ سِتّةِ أيّام، جَمَعَ سَيّدُنا عِيسَى عَلَيْنَا سَلاَمُهُ بُطرُسَ ويَعقوبَ ويوحَنّا، وصَعِدَ بِهِم فوقَ جَبَلٍ مُرتفِعٍ مُنفَرِدًا بِهِم، وهُناكَ تَجَلّى لهُم في مَشهدٍ عَظيمٍ، [3]بثيابٍ بَيضاءَ تَخطَفُ الأبصارَ لا قُدرةَ للبَشَرِ على نَصاعَتِها، [4]وظَهَرَ لهُمُ النّبيُّ إلياسُ والنّبيُّ موسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وأخَذا يُحادِثانِ عِيسَى عَلَيْنَا سَلاَمُهُ. [5-6]فهالَ الحَوارِيّينَ المَشهَدُ العَظيمُ وأخَذَ بِلُبِّهِم، ودَنا بُطرُسُ مِن سَيّدِنا عِيسَى عَلَيْنَا سَلاَمُهُ وقالَ: "يا سَيِّدي ومَولايَ، كَم هو عَظيمٌ أن نَبقَى ها هُنا! نُقيمُ ثلاثةَ مَقاماتٍ: لكَ مَقامٌ، وللنّبيِّ مُوسى مَقامٌ، وللنّبيِّ إلياسُ مَقامٌ".(2) [7]ثُمّ ظَلَّلَتْهُم سَحابةٌ وأتاهُم صَوتٌ مِنها قائلاً: "هوذا الحَبيبُ، الابنُ الرُّوحيُّ لي، هو الّذي يَجِبُ أن تَسمَعوا لهُ وتُطيعوهُ!" [8]وتَفاجؤوا عِندَما التَفتوا حَولَهُم، فلم يَجِدوا سِوى عِيسَى عَلَيْنَا سَلاَمُهُ.

[9]ثُمَّ تَوَجَّهوا صَوبَ سَفحِ الجَبَلِ نازِلينَ، وأثناءَ نُزولِهِم طَلَبَ سَيِّدُنا عِيسَى عَلَيْنَا سَلاَمُهُ مِنهُم كِتمانَ ما شاهَدُوهُ، إلى حينِ انبعاثِ سَيِّدِ البَشَرِ مِن بَينِ الأمواتِ، [10]فكَتَموا الأمرَ حافِظينَ وَصِيَّتَهُ، إلاّ أنّهُم كانوا في حَيرةٍ مِن أمرِهِم حَولَ مَعنى قِيامةِ سَيِّدِ البَشَرِ مِن بينِ

(1) كان السيد المسيح يشير بكلامه عن قيام المملكة الربّانية إلى بعثه من الموت وتتويجه بصفته المسيح الملك، وهو الحدث الذي سيتمّ بعد عام تقريبا.

(2) كان بطرس يعتقد أنّ على النبي إلياس أن يقيم على الأرض بعض الوقت بعد رجوعه من الغيب، وذلك كان الاعتقاد السائد بين الناس. لذا استحسن بناء مقام لإلياس ولموسى وعيسى أيضًا.

الأمواتِ، [11]فسَألوهُ عَن ذلِكَ قائلينَ: "لماذا يَقولُ عُلماءُ التّوراةِ إنّ مَجيءَ النّبيِّ إلياسَ سَيكونُ قَبلَ مَجيءِ المَسيحِ المُنتظَرِ؟"(1) [12]فأجابَهُم قائلاً: "نعم. يَجيءُ النّبيُّ إلياسُ أوّلاً ويُصلِحُ أُمورَ البَشَرِ.(2) ولكنّ كِتابَ اللهِ يَقولُ أيضًا إنّ سَيِّدَ البَشَرِ سيَلقَى الأذى مِنَ النّاسِ وسيَنبُذونَهُ. [13]وأقولُ لكُم إنّ إلياسَ قد جاءَ فِعلاً، وأساؤوا مُعاملتَهُ، كَما جاءَ عنهُ في كُتُبِ الأنبياءِ"(3).

السّيّد المسيح عَلَيْهِ سَلَامُهُ يشفي صبيًّا من مسّ شيطانيّ

[14]وعادَ سَيِّدُنا عِيسَى وحَوارِيّوهُ الثّلاثة إلى سَفحِ الجَبَلِ، فرَأى بَقيّةَ أتباعِهِ الّذينَ كانوا في انتِظارِهِ، وقد تَحلّقَ حَولَهُم جَمعٌ كَبيرٌ مِنَ النّاسِ، وكانوا يُجادِلونَ عُلماءَ التّوراةِ. [15]ولكِن ما إن رَآهُ الجَمعُ حتّى اندَهَشوا وأسرَعوا إليهِ مُحيِّينَ. [16]فسَألَهُم قائلاً: "فِيمَ تَتَجادَلونَ وأتباعي؟" [17]فانبَرَى مِن بَينِهِم رَجُلٌ وقالَ لهُ: "يا مُعَلِّمُ، جِئتُ إليكَ بابني وبهِ مَسٌّ مِنَ الشّيطانِ جَعلَهُ أبكَمَ، [18]وإنّهُ ليَزيدُ في أذاهُ حِينَ يَصرَعُهُ حتّى يُسمَعَ لأسنانِ الصّبيِّ صَريرٌ تَكادُ تَتَكسّرُ مِنهُ، ويَعلو الزّبَدُ شَفتَيهِ ويَتَصلّبُ. فلمّا عَلِمتُ بِقُدومِ أتباعِكَ، وهُم على ما سَمِعتُ عَنهُم مِن كَراماتٍ، سَألتُهُم شِفاءَ ابني وطَردَ الشّيطانِ الّذي حَلَّ فيهِ، فعَجزوا عَن ذلِكَ". [19]فاتّجَهَ عِيسَى عَلَيْهِ سَلَامُهُ إلى الحَشدِ مُؤنّبًا: "أيُّها الشّعبُ الضّالُّ! أتَظُنّونَ أنّي باقٍ مَعَكُم إلى الأبَدِ؟ إلى مَتى أتَحمّلُ عَدَمَ إيمانِكُم بي وبأتباعي؟ هاتوا الصّبيَّ لأراهُ". [20]فجِيءَ لهُ عَلَيْهِ سَلَامُهُ بالصّبيِّ، وما إن لَمَحَهُ الشّيطانُ المُتلبِّسُ بِهِ حتّى تَخبّطَ الصّبيّ ووَقَعَ إثرَ ذلِكَ مُرغيًا مُزبِدًا يَتلَوّى. [21]فتوجّهَ عَلَيْهِ سَلَامُهُ إلى والِدِ الصّبيِّ سائلاً: "مُنذُ مَتى ووَلَدُكَ يُعاني هذا البَلاءَ؟!" فأجابَهُ الأبُ قائلاً: "مُذ كانَ طِفلاً، [22]كانَ يَلقَى مِن أذى الشّيطانِ المُتلبِّسِ فيهِ ما يَلقاهُ، فكانَ يُلقيهِ في النّارِ تارةً، أو في الماءِ تارةً أُخرى مُحاوِلاً إهلاكَهُ! وإنّي أسألُكَ، إن كُنتَ قادِرًا على فِعلِ شَيءٍ، أن

---

(1) طرح الحواريون هذا السؤال لاعتقادهم أن النبي إلياس سيمكث في الأرض مدّة من الزمن قبل بعث الأموات ويوم الدين. لكن عندما ظهر إلياس أمامهم، ولم يمكث، احتاروا في كلام سيدنا عيسى عن قيامته في المستقبل القريب.

(2) يشير سيدنا عيسى هنا إلَى نبوّة النبي ملاكي، الذي أنبأ بعودة النبي إلياس قبل يوم الدين قائلاً: "ها أنا أرْسِلُ إليكُم النبيَّ إلياس قبل أنْ يأتِيَ يوْمُ قضاءِ اللهِ العَظيم الرّهيبِ".

(3) كان السيد المسيح يقصد بهذا الكلام أنّ النبي يحيى قد حقّق بظهوره الوعود التي جاءت عن النبي إلياس.

تُشفِقَ علينا وتُساعِدَنا!" 23فأجابَهُ سَيِّدُنا عِيسَى عليه السلام قائلاً: "لِمَ تَقولُ: "إن كُنتَ
قادرًا؟" ألا إنّ كُلَّ شَيءٍ مُمكِنٌ إن وَثِقتَ بي، فإنّ للمُؤمِنِ بي ما يَشاءُ!" 24فصاحَ
الأبُ باكيًا: "أنا مُؤمِنٌ بِكَ، فساعِدني حتّى يَزيدَ إيماني!" 25ولاحَظَ عِيسَى عليه السلام
إقبالَ النّاسِ عليهِ، فما كانَ مِنهُ إلاّ أنِ انتَهَرَ الشَّيطانَ المُتلبِّسَ ذلِكَ الصَّبيَّ قائلاً:
"أيّتُها الرُّوحُ البَكماءُ، آمُرُكِ بالخُروجِ مِن هذا الصَّبيِّ وعَدَمِ الرُّجوعِ إليهِ أبَدًا!"
26فاستَجابَ الشَّيطانُ مُكرَهًا لأوامِرِ عِيسَى عليه السلام، وانسَلَّ مِنهُ بِحَرَكةٍ جَعَلَتْهُ يَتَخَبَّطُ
حتّى أصبحَ صَريعًا مُلقىً على الأرضِ كالميِّتِ، وظَنَّ الجَمعُ أنّ الصَّبيَّ قد ماتَ
فِعلاً. 27ولكنّ سَيّدَنا عِيسَى عليه السلام قامَ إلى الصَّبيِّ وأنهَضَهُ فقامَ مُعافىً.

28وتَوَجَّهَ سَيِّدُنا عِيسَى عليه السلام إلى البَيتِ وعِندَما انفَرَدَ بِهِ أتباعُهُ سَألوهُ: "لماذا كُنّا
عاجِزينَ عَن شِفاءِ ذلِكَ الصَّبيِّ مِن تِلكَ الرُّوحِ الشَّيطانيّةِ؟!" 29فأجابَهُم سَيِّدُنا
عِيسَى عليه السلام وقالَ: "لا تَستطِيعونَ أن تَطرُدوا هذا النَّوعَ مِنَ الشَّياطينِ مِن تِلقاءِ
أنفُسِكُم، إنّما يَكونُ طَردُهُ بِطَلَبِ عَونِ الله باجتِهادٍ وتَواضُعٍ".

المسيح ينبئ بموته وقيامته مرّةً ثانية

30ثُمّ خَرَجَ سَيِّدُنا عِيسَى وأتباعُهُ ومَرّوا بالجَليلِ. ولم يَكُن راغِبًا في أن يَعلَمَ أحَدٌ
بوُجودِهِ، 31لأنّهُ أرادَ أن يُكثِرَ مِن تَعليمِ أتباعِهِ، فقالَ لهُم: "سَتَتِمُّ خيانةُ سَيِّدِ البَشَرِ
بِتَسليمِهِ إلى البُغاةِ الطُّغاةِ، فيَقتلونَهُ إلاّ أنّ اللهَ سيَبعَثُهُ حيًّا بَعدَ ثلاثةِ أيّامٍ". 32ولم
يَفهَمْ أتباعُهُ نُبوءَتَهُ تِلكَ، ولكِنّهُم لم يُحاوِلوا الاستِفسارَ لأنّهُم تهيّبوا ذلِكَ.

من هو الأعظم

33وتَوَجَّهَ سَيِّدُنا عِيسَى مَعَ أتباعِهِ بَعدَ ذلِكَ إلى بَلدةِ كَفرناحوم. وعِندَ وُصولِهِم
البَيتَ الّذي كانوا يُقيمونَ فيهِ، التَفَتَ إليهِم مُتسائلاً: "فيمَ كُنتُم تَتَجادَلونَ أثناءَ
الطَّريقِ؟" 34فصَمَتَ الجَميعُ، لأنّهُم كانوا يَتَجادَلونَ عَمّن هو الأعظَمُ فيهِم. 35حِينئذٍ
جَلَسَ عِيسَى عليه السلام، ودَعا إليهِ حوارِيِّيهِ الاثنَي عَشَرَ وقالَ لهُم: "مَن أرادَ أن يَكونَ
فيكُم عَظيمًا، فلْيَكُن خادمًا لكُم وآخِرَ الكُلِّ". 36وأخَذَ طِفلاً، وأوقفَهُ في وَسَطِهِم،
وبَعدَ ذلِكَ ضَمَّهُ إليهِ قائلاً: 37"مَن قَبِلَ مَبعوثي ولو كانَ طِفلاً، فقد قَبِلَني، ومَن
قَبِلَني فقد قَبِلَ اللهَ الّذي أرسَلَني".

مَن لا يواجهنا فهو منّا

[38]وسأَلَ يوحَنّا عِيسَى ﷺ فقالَ: "مُعلِّمي ومولايَ: رَأينا رَجُلاً يُخلِّصُ النّاسَ مِنَ الشَّياطينِ بِسُلطانِ اسمِكَ فمَنعناهُ لأنّهُ لَيسَ مِن جَماعتِنا!" [39]فالتَفَتَ إليهِ قائلاً: "لا تَمنَعوهُ عَن ذلِكَ! فمَن يَعمَلُ مُعجِزةً بِقُوّةِ اسمي فلن يُسيءَ إليَّ بَعدَها. [40]فمَن لَيسَ ضِدَّنا فهو مَعَنا". [41]وتابَعَ قائلاً: "الحَقَّ أقولُ لكُم، مَن أسدَى إليكُم مَعروفًا ولو بِشُربةِ ماءٍ بِسَبَبِ انتمائِكُم إليّ لأنّي المَسيحُ المُنتَظَرُ، فأجرُهُ لن يَضيعَ عِندَ اللهِ أبَدًا".

تحذير لمن يُوَسْوِسون بالإثم

[42]ثُمَّ تابَعَ قائلاً: "أمّا مَن ضَلَّلَ المُؤمِنَ بي، وإن كانَ مِنَ الصِّغارِ، فإنّهُ يَنوءُ بِذَنبِهِ. وخَيرٌ لهُ عِندئِذٍ أن يَحمِلَ حَجَرَ الرَّحَى على كاهِلِهِ، وأن يَغُوصَ في البَحرِ بَعيدًا مِن أن يُواجِهَ خالِقَهُ بِهذا الذَّنبِ. [43-48]إنّ الوِزرَ للإنسانِ دَمارٌ، فأغلِقْ مِن دُونِهِ الأبوابَ، واقطَعْ يَدَكَ إن كانَت سَبَبًا في الآثامِ. وابتُرْ رِجلَكَ إن سارَت بِكَ إلى مَهاوِي الخَطيئةِ. واقلَعْ عَينَكَ إن هي سَبَقَت بِكَ إلى الإثمِ، فالخَيرُ الخَيرُ أن تأتيَ يَومَ الحِسابِ بيَدٍ واحِدةٍ أو برِجلٍ واحِدةٍ أو بعَينٍ واحِدةٍ فتَذهَبَ إلى دارِ النَّعيمِ، مِن أن تأتيَ بِالاثنَتَينِ وتُلقَى في نارِ جَهَنَّمَ حَيثُ النّارُ لا تُطفأُ والدّودُ لا يَموتُ.

[49]إنّ اللهَ سيُهلِكُ كُلَّ هؤلاءِ الآثِمينَ بالنّارِ [50]فمَثَلُ أتباعي في الدُّنيا كمَثَلِ المِلحِ الصّالحِ. وهل يَفقِدُ المِلحُ مُلوحَتَهُ؟ لأنّهُ إذا فَقَدَ مُلوحَتَهُ، فمَن يُعيدُها إليهِ ثانيةً؟ فيا أتباعي احفَظوا عَهدَ الخُبزِ والمِلحِ الّذي تَناوَلناهُ مَعًا، وسالِموا بَعضَكُم بَعضًا".

١٠
الفصل العاشر

الزّواج والطّلاق

[1]وتَرَكَ سَيِّدُنا عِيسَى، مِن ثَمّ، بَلدةَ كَفرناحوم مُتّجهًا صَوبَ الجَنوبِ إلى مِنطقةِ يَهوذا ومِن ثَمّ إلى شَرقِ نَهرِ الأُردنّ. فأقبَلَت عليهِ الجُموعُ مِن جَديد، وجَلَسَ بَينَهُم يَعِظُهُم ويُعَلِّمُهُم كما دأبَ. [2]فأرادَ بَعضُ المُتشدِّدينَ إحراجَهُ، فجاؤوا إليهِ ليَختَبِروهُ قائِلينَ: "أيَحِلُّ للرَّجُلِ أن يُطَلِّقَ زَوجتَهُ؟" [3]فسَألَهُم قائِلاً: "ما هي وَصيّةُ النّبيِّ مُوسى لكُم في التَّوراةِ؟" [4]فأجابوهُ قائلينَ: "أحَلَّ لنا سَيِّدُنا موسى الطَّلاقَ على أن يَكتُبَ

الرَّجلُ لامرأتِهِ كِتابًا في ذلِكَ". [5]وهُنا التَفتَ إليهِم سَيِّدُنا عِيسَى عَلَيْنَا سَلامُهُ قائلاً: "أحلَّ لكُمُ النّبيُّ مُوسى ذلِكَ لِما في قُلوبِكُم مِن تعنُّت، [6]ولكنّكُم تَجِدونَ مَكتوبًا عِندَكُم في التّوراةِ أيضًا أنّ اللهَ تَعالى مُنذُ البَدءِ خَلقَ الذَّكَرَ والأُنثى يُكمِّلُ أحدُهُما الآخَرَ، [7]لِذا يَترُكُ الرَّجُلُ أباهُ وأُمَّهُ ليَقتَرِنَ بزَوجَتِهِ [8]فيؤلِّفانِ عائِلةً جَديدةً وباقتِرانِهِما يُصبِحانِ واحِدًا. [9]وما جَمَعَهُ اللهُ لا يَجوزُ أن يُفَرِّقَهُ إنسانٌ".

[10]ولمّا عادَ سَيِّدُنا عِيسَى إلى البَيتِ، استَفسَرَهُ أتباعُهُ عَن أمْرِ الطَّلاقِ، [11]فأجابَهُم قائلاً: "مَن طَلّقَ امرأتَهُ وتَزوَّجَ بأُخرى خانَ العَهدَ الّذي كانَ بَينَهُما. [12]وكذلِكَ المَرأةُ، إذا طَلّقَت زَوجَها وتَزوَّجَت غَيرَهُ خانَت ذلِكَ العَهدَ". (1)

السّيِّد المسيح يبارك الأطفال

[13]وجاءَ بَعضُ النّاسِ بأطفالِهِم إليهِ عَلَيْنَا سَلامُهُ طالِبينَ مِنهُ أن يَلمُسَهُم ليُبارِكَهُم. إلاّ أنّ أتباعَهُ مَنعوهُم. [14]ولمّا رَأى سَيِّدُنا عِيسَى عَلَيْنَا سَلامُهُ ذلِكَ غَضِبَ والتَفتَ إليهِم قائلاً: "اُترُكوا الأطفالَ يَأتونَ إليّ ولا تَمنَعوهُم، لأنّ المَملكةَ الرَّبّانيّةَ لأمثالِهِم! [15]الحَقَّ أقولُ لكُم: إنّ الدُّخولَ إلى مَملكةِ اللهِ لا يَكونُ إلاّ ببَساطةِ الأطفالِ الّذينَ لا يَنشغِلونَ بالمَراتِبِ الدُّنيويّةِ". [16]ثُمّ ضَمَّ سَيِّدُنا عِيسَى عَلَيْنَا سَلامُهُ الأطفالَ إليهِ ووَضَعَ يَدَيهِ عليهِم وبارَكَهُم.

الرّجل الغني

[17]وعِندَما خَرَجَ سَيِّدُنا عِيسَى عَلَيْنَا سَلامُهُ إلى الطَّريقِ، أسرَعَ إليهِ رَجُلٌ وجَثا عِندَ قَدَمَيهِ سائلاً: "أيُّها المُعَلِّمُ الصّالِحُ، ما السَّبيلُ إلى دارِ الخُلدِ؟!" [18]فأجابَهُ قائلاً: "لِماذا تَدعوني صالِحًا؟ إنّ الصّلاحَ المُطلَقَ للهِ وَحدَهُ! [19]وأنتَ تَعرِفُ وَصاياهُ: لا تَقتُلْ، لا تَزنِ، لا تَسرِقْ، ولا تَشهَدْ بالزُّورِ أو تَغِشَّ أحَدًا، أكرِمْ أباكَ وأُمَّكَ". [20]فأجابَهُ الرَّجُلُ قائلاً: "سَيِّدي، مُنذُ صِبايَ وأنا أُطبِّقُ جَميعَ هذِهِ الوَصايا". [21]فرَمَقَهُ سَيِّدُنا عِيسَى بنَظرةٍ مَحبّةٍ قائلاً: "إذا كُنتَ كذلِكَ، فما يَنقُصُكَ إلاّ أمرٌ واحِدٌ، عليكَ أن تَجودَ على الفُقَراءِ بكُلِّ ما تَملِكُ، وسَيكونُ أجرُكَ كَنزًا مَحفوظًا لكَ في السَّماءِ. ثُمّ تَعالَ اتبَعني". [22]وكانَ

---

(1) بينما أباح بعض علماء اليهود الطلاقَ لأسباب وإن تكن واهية، أقرّ سيدنا عيسى عَلَيْنَا سَلامُهُ أنّ عقد الزواج غير قابل للفسخ ويمتدّ طول العمر، ولذلك، فمن يحاول أن يطلّق زوجته ويتزوّج بامرأة أخرى يكون قد ارتكب معصية الزنى ضدّ زوجته الأولى.

ذلِكَ الخِيارُ صَعبًا على الرَّجُلِ، فأخَذَتْهُ مَوجَةُ حُزنٍ لِكَونِهِ يَملِكُ أموالاً طائلةً عليهِ التَّضحِيَةُ بها، فمَضى مَغمومًا. 23حِينَئذٍ أجالَ عِيسَى عليه السلام بنَظَرِهِ إلى أتباعِهِ وقالَ: "كَم هو عَسيرٌ أن يَترُكَ الأغنياءُ دُنياهُم ويَدخُلوا في مَملكةِ اللهِ". 24فدُهِشَ أتباعُهُ مِن ذلِكَ، فقالَ مُوَضِّحًا لهُم: "يا أبنائي: ما أصعَبَ أن يَترُكَ أصحابُ الأموالِ أموالَهُم الّتي يَتَّكِلونَ عليها ويَطلُبوا الانضِمامَ إلى أهلِ المَملَكةِ الرَّبّانيّةِ! 25وإنّ ذلِكَ لأعسَرُ مِن دُخولِ الجَمَلِ في ثَقبِ الإبرةِ". 26وزادَ ذلِكَ مِن تَعَجُّبِ أتباعِهِ عليه السلام فتَساءَلوا:(1) "إذا كانَ الأمرُ كَذلِكَ، فكَيفَ السَّبيلُ إلى النَّجاةِ؟!" 27فأجابَهُم بقَولِهِ: "ما تَعجِزونَ عنهُ هو بيدِ اللهِ الّذي هو على كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ".

28وانبَرَى بُطرُسُ الصَّخر قائلاً: "ها نحنُ تَركنا وَراءَنا كُلَّ شَيءٍ وتَبِعناكَ". 29فقالَ سَيِّدُنا عِيسَى عليه السلام: "الحقَّ أقولُ لكُم، ما يَترُكُ أحدٌ مِنكم مِن بَيتٍ وإخوانٍ وأبَوينِ وأموالٍ وبَنينَ وزرعٍ وحُقولٍ لأجلي ولأجلِ رِسالتي، 30إلاّ بَدّلَهُ اللهُ بذلِكَ مِئةَ ضِعفٍ. ألا وإنّهُ سَيلقى ظُلمًا في هَذه الدُّنيا، وسَيَكونُ لهُ الحَظُّ الأكبرُ في دارِ النَّعيمِ الأبَديِّ.

31لِهَذا أقولُ لكُم: إنّ مِنَ المَنبوذينَ في هذِهِ الدُّنيا مَن سَيُصبِحُ مِنَ السّابِقينَ الأوّلِينَ في مَملَكةِ اللهِ، ومِنَ المُقَدَّمينَ في هذِهِ الدُّنيا مَن سَيَصيرُ مِنَ المَنبوذينَ".

المسيح ينبئ مرّةً ثالثة بموته وقيامته

32وبَينَما كانَ سَيِّدُنا عِيسَى صاعِدًا يَتَقَدَّمُ أتباعَهُ إلى بَيتِ المَقدِسِ، كانَتِ الهَيبةُ تَلُفُّ حَوارِيِّيهِ وتابِعِيهِ، والخَوفُ يُراوِدُ مَن سارَ وَراءَهُم.(2) فما كانَ مِنهُ إلاّ أنِ انفَرَدَ بحَوارِيِّيهِ الاثني عَشَرَ مَرّةً أُخرَى، ليُحدِّثَهُم في ما سيَكونُ في مُستقبَلِ أيّامِهِ 33قائلاً: "نحنُ الآنَ في طَريقِنا إلى القُدسِ، وستَتِمُّ خِيانةُ سَيِّدِ البَشَرِ بتَسليمِهِ إلى قَبضةِ كِبارِ الأحبارِ وعُلماءِ التَّوراةِ الَّذينَ سَيَحكُمونَ بمَوتِهِ، وسَيُسَلِّمونَهُ إلى حُكّامٍ أغرابٍ يَستهزِئونَ بِهِ، 34ويُهينونَهُ، ويَبصُقونَ عليهِ، ويَجلِدونَهُ ويَقتُلونَهُ، إلاّ أنّهُ سيُبعَثُ حيًّا بَعدَ ثلاثةِ أيّامٍ".

---

(1) تعجّب الحواريون من قول المسيح عليه السلام لأنّهم كانوا يتصوّرون أنّ الرجل الغني قد نال رضى الله بما أنعم عليه من مال.

(2) وذلك لِمَا كان يُشاع من أقوال بأنّ حربًا لا محيد عنها ستندلع عند قيام المملكة الربانية.

يعقوب ويوحنّا وطلبهما

35وبَعدَ ذلِكَ تَقدَّمَ يَعقوبُ ويوحَنّا ابنَا زَبدي إلى سَيِّدِنا عِيسَى، وسَألاهُ قائِلَيْنَ: "أي سَيِّدَنا ومَولانا، نَسألُكَ أمرًا فلا تَرُدّنا خائِبَيْنِ". 36فقالَ: "ماذا تَطلبانِ أن أفعَلَ لكُما؟" 37فرَجواهُ قائلَيْنِ: "اِمنَحْنا شَرَفَ الجُلوسِ في حَضرتِكَ، أحَدُنا عن يَمينِكَ والآخَرُ عن شِمالِكَ يومَ إقامَتِكَ للمَملكةِ الرَّبّانيّةِ!"(1) 38فأجابَهُما قائلاً: "أنتُما تَجهلانِ طَلَبَكُما هذا. هل تَستطيعانِ أن تَتجَرَّعا كَأسَ الآلامِ مِثلي، وأن تَختَبِرا عُمقَ العَذابِ الّذي سَأختَبِرُهُ؟!" 39فأجاباهُ: "باستِطاعَتِنا ذلِكَ". ورَغمَ ذلِكَ تَوَجَّهَ إليهِما قائلاً: "مَعَ أنّكُما سَتتجرَّعانِ مِثلي كأسَ الآلامِ الّتي سَأتجَرَّعُها، وسَتَختَبِرانِ مِثلي العَذابَ الّذي سَأختَبِرُهُ. 40فإنّي لا أقدِرُ أن أعِدَكُما بالجُلوسِ عن يَميني وعن شِمالي، فتِلكَ المَكانةُ هي لِمَنِ اختارَهُمُ اللهُ".

41ولمّا سَمِعَ بَقيّةَ الحَوارِيِّينَ العَشَرة هذا الكَلامَ، غَضِبوا على يَعقوبَ ويوحَنّا، 42فدَعاهُم عِيسَى ﷺ لِيُخاطِبَهُم قائلاً: "أما تَعلَمونَ أنّ مَن يُهَيمِنُ على الأُمَمِ رُؤساؤُها، وأنّ مَن يَتَسلّطُ عليها عُظماؤُها؟! 43فلا يَكونُ هذا فيكُم، ألا إنّ العَظيمَ فيكُم مَن خَدَمَ قَومَهُ، 44ومَن أرادَ مِنكُم أن يَكونَ سَيِّدًا فلْيَكُن عَبدًا لِجَميعِ النّاسِ، 45لأنّهُ حَتّى سَيِّدُ البَشَرِ، إنّما جاءَ لا لِيَخدِمَهُ النّاسُ، بل لِيَقومَ هو بخِدمتِهِم ولِيُضَحِّيَ بحَياتِهِ لِيَفديَ الكَثيرينَ مِنهُم".

شفاء ابن تيماوي الأعمى

46ووَصَلَ سَيِّدُنا عِيسَى وأتباعُهُ إلى مَدينةِ أريحا، وبَينَما هو خارِجٌ مِنها برِفقَةِ جَمعٍ كَبيرٍ، كانَ شَحّاذٌ أعمًى يُدعَى ابنَ تيماوي، جالِسًا على جانِبِ الطّريقِ. 47فلمّا سَمِعَ أنّ المارَّ على الطّريقِ هو عِيسَى النّاصريّ صاحَ: "يا عِيسَى، يا وَريثَ مَملكةِ النَّبيِّ داود، ارحَمني!" 48فنَهَرَهُ النّاسُ لِيُسكِتُوهُ. ولكنّ صَوتَهُ أخَذَ يَعلو أكثَرَ وقالَ ثانيةً: "يا وَريثَ مَملكةِ داود ارحَمني!" 49فتوَقّفَ سَيِّدُنا عِيسَى ﷺ وطَلَبَ إحضارَهُ إليهِ فناداهُ مَن كانوا بِجانِبِهِ قائلينَ: "أبشِرْ! هيّا قُمْ، إنّ عِيسَى يُناديكَ!" 50فنَهَضَ الأعمَى

(1) وذلك تبعًا لِما شاع في التراث الديني اليهودي بأنّ مسيح الله المنتظر عندما يأتي إلى الدنيا، سيُنشئ مملكة الله على الأرض ويكون هو الحاكم ويكونُ قومُهُ إلى جانبه حكّاما.

وقد رَمى عنهُ عَباءَتَهُ، [51]فسَألَهُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قائلاً: "ماذا تُريدُ؟!" فقالَ الأعمى: "يا مَولاي، أُريدُ أن أُبصِرَ". [52]فأجابَهُ سَيِّدُنا عِيسَى: "اِذهَبْ، فقد شُفيتَ بِقوّةِ إيمانِكَ بي". وهكذا مَضى الأعمى وَراءَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعدَ أن عادَ إليهِ بَصَرُهُ.

١١
الفصل الحادي عشر

السيّد المسيح يدخل مدينة القدس

[1]ثُمّ تَوَجَّهَ سَيِّدُنا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وأتباعُهُ إلى مَدينةِ القُدس، ولمّا اقتَرَبوا مِنها وَصَلوا إلى قَريةِ بَيتَ فِجَّ وقَرية بَيتَ عَنْيا عِندَ جَبَلِ الزَّيتونِ. فأرسَلَ سَيِّدُنا عِيسَى اثنَينِ مِن أتباعِهِ [2]وأوصاهُما: "اُدخُلا تِلكَ القَرية، فسَتجِدانِ في الحالِ جَحشًا مَربوطًا لم يَمتَطِهِ أحَدٌ مِن قَبلُ، فحُلاّ رِباطَهُ، وجيئا بِهِ. [3]وإنِ اعترَضَكُما أحَدٌ فقُولا لهُ إنّ سَيِّدَنا بحاجةٍ إليهِ، وسَيُعيدُهُ إليكُم في الحالِ". [4]وهكَذا ذَهَبا، وفَعَلا كَما أوصاهُما سَيِّدُنا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فوَجَدا جَحشًا قد رُبِطَ إلى جانبِ بابٍ في بَيتٍ على الطَّريقِ، فحَلاّ رِباطَهُ، [5]فاعتَرَضَهُما بَعضُ النّاسِ قائِلينَ: "لماذا تَفعَلانِ ذلِكَ؟" [6]فأجابا بِما أوصاهُما عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ. [7]ومَضيا بالدّابّة إليهِ، مُلقيَيْنِ بثوبَيْهِما على ظَهرِها، فرَكِبَ عليها سَيِّدُنا عِيسَى [8]ومَضى في طَريقِهِ فأخَذَ عَدَدٌ كَبيرٌ مِنَ النّاسِ يَفرشونَ ثِيابَهم على تِلكَ الطَّريق،(1) وافترَشَ آخَرونَ أغصانًا قطعوها مِنَ الحُقولِ. [9]وأخَذَ مَن يَتقدّمونَ مَوكِبَهُ ومَن يَتبَعونَهُ يَهتِفونَ قائلينَ: "عاشَ المُنقِذُ المُحرِّرُ! تَبارَكَ المَلِكُ الآتي باسمِ اللهِ، [10]وبَرَكاتُهُ على مَملكتِهِ الّتي سَتَقومُ على الأرضِ، مَملَكةِ سَيِّدِنا داود المُنتَظَرَة! اللهُمّ مُدّهُ بالنَّصرِ مِن عِندِكَ!" [11]ثُمَّ دَخَلَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ القُدسَ مُتوجِّهًا إلى حَرَمِ بيتِ اللهِ مُمعِنًا النَّظَرَ في كُلِّ شيءٍ. ثُمّ خَرَجَ بَعدَ ذلِكَ، مُتوجِّهًا إلى بَلدةِ بَيتِ عَنيا مَعَ حَوارِيِّيهِ، وكانَ الوَقتُ قد تأخَّرَ.

---

(1) في التراث الديني اليهودي، أن المسيح المنتظر عندما يأتي، سيكون راكبًا حصانا أبيضَ ليعلن الحرب على أعداء قومه، من هنا كان لركوب السيد المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ الجحش دلالة خاصّة تتعلّق بما كان متعارفا عليه في التقاليد الشرقية من أنّ الملك الذي يريد السلام لا يمتطي حصانًا بل يركب جحشا، وكان ركوب السيد المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ الجحش تعبيرًا عن رغبته بدخول القدس الشريف بالسلام.

السيّد المسيح وشجرة التّين

[12]وبَعدَ خُروجِ سَيِّدِنا عِيسَى ﷺ وأتباعِهِ مِن بَلدةِ بَيتِ عَنْيا في اليَومِ التّالي، شَعُرَ
بالجُوعِ، [13]ولَمَحَ عن بُعدٍ شَجرةَ تِينٍ مُورِقَة، ولم يَكُنْ قد حانَ أوانُ نُضجِ ثَمرِها، فأرادَ
أن يأكُلَ شيئًا مِن تِلكَ الثّمارِ الفَجّةِ، فلمّا اقتَرَبَ مِنها، لم يَجِد ثَمَرًا، [14]فَخاطَبَها قائلاً:
"لن تَطرَحي بَعدَ الآنَ ثَمرًا إلى الأبدِ!" وسَمِعَهُ أتباعُهُ.(1)

السيّد المسيح يطرد الباعة من حرم بيت الله

[15]وعادَ سَيِّدُنا عِيسَى ﷺ وأتباعُهُ بَعدَ ذلِكَ إلى القُدسِ، ودَخَلَ الحَرَمَ الشَّريفَ
طارِدًا الباعةَ والزُّبُنَ، مُبعثِرًا مَناضِدَ الصَّيارِفة(2) ومَقاعِدَ باعةِ الحَمامِ المُعَدِّ للذَّبائِحِ،
[16]مانِعًا التُّجّارَ مِنَ المُرورِ بالحَرَمِ الشَّريفِ قَصدَ التّجارةِ، [17]مُخاطبًا إيّاهُم بقولِهِ: "أما
عَلِمتُم ما جاءَ في الكِتابِ؟ قالَ تَعالى: "إنّي أقَمتُ بَيتي لِيُصلّي فيهِ النّاسُ مِن جَميعِ
شُعوبِ الأرضِ"، إلاّ أنّكُم خالَفتُم ذلِكَ وجَعلتُم بَيتَ اللهِ وَكرًا لِلُّصوصِ".

[18]وسَمِعَ رُؤساءُ أحبارِ اليَهودِ وعُلماءُ التّوراةِ بذلِكَ، فأخَذوا يَتَشاوَرونَ حَولَ طَريقَةِ
التّخَلُّصِ مِنهُ بقَتلِهِ، وكانوا يَخشَوْنَ ذلِكَ لأنّ الجُمهورَ كُلَّهُ كانَ يُجِلّهُ مُعجبًا بِتعاليمِهِ إلى
دَرَجةٍ كَبيرةٍ. [19]وفي المَساءِ غادَرَ سَيِّدُنا عِيسَى وأتباعُهُ المَدينة.

العبرة من شجرة التّين

[20]وعادَ سَيِّدُنا عِيسَى وأتباعُهُ في الصَّباحِ التّالي إلى القُدسِ، ولَمَحوا شَجرةَ التِّينِ
وقد أصابَها اليُبْسُ مِن جُذورِها. [21]وتَذَكَّرَ بُطرُسُ الصَّخرِ حِينئذٍ أمْرَ عِيسَى ﷺ السّابِقَ
لِشَجَرةِ التِّين. فالتَفَتَ إليهِ قائلاً: "أنظُرْ يا سَيِّدي، إنّ التِّينةَ الّتي طَلَبتَ أن تَحِلَّ عليها
اللعنة قد يَبِسَتْ!" [22]فخاطَبَ سَيِّدُنا عِيسَى أتباعَهُ واعِظًا: "يَلزمُكُم الإيمانُ باللهِ.
[23]الحقَّ أقولُ لكُم، إذا آمَنَ أحدُكم باللهِ دُونَ شَكٍّ ولا رَيبٍ، وطَلَبَ مِنَ الجَبَلِ أن
يَنطَرِحَ في البَحرِ، انطَرَحَ فيهِ. [24]ولهذا فإنّي أُخبِرُكُم بأنّكُم إذا كُنتُم على يَقينٍ مِن أنّ اللهَ
سيُجيبُ طَلبَكُم، فسيَكونُ لكُم ذلِكَ. [25]وإذا قُمتُم إلى الصَّلاةِ فطَهِّروا قُلوبَكُم مِن

---

(1) رأى المسيح ﷺ أن شجرة التين التي لم تحمل ثمرًا في أوان إثمارها لا أمل يرجى منها، وشجرة التين ترمز إلى بني إسرائيل كما جاء عند الأنبياء الأقدمين.

(2) من فرائض العبادة دفع ضريبة بيت الله بالعملة التي تسمّى "الشاقل". ولم يكن رجال الدين يقبلون العملات الأجنبية. لذلك كان يجب على العابدين صرف النقود التي عليها نقوش ترمز إلى الوثنية.

ضَغِينةٍ تَحمِلونَها على مَن أخطَأ في حَقِّكُم، وسامِحُوهُ ليَغفِرَ لكُم اللهُ أبوكُم الرَّحمَنُ الرَّحيمُ في عُلاه، ولِيَعفُوَ عن زَلاَّتِكُم. [26]ولن يَعفوَ عنها ما دامَ في نُفُوسِكُم غِلٌّ للَّذينَ لم تَصفَحوا عَنهُم".

السلطة الّتي منحها الله تعالى للسيّد المسيح

[27]وقَفَلَ سَيِّدُنا عِيسَى عليه السلام وأتباعُهُ عائِدينَ إلى مَدينةِ القُدسِ مَرّةً أُخرَى، وبَينَما هو يَتَجوَّلُ في حَرَم بَيتِ اللهِ، جاءَ إليهِ رؤساءُ الأحبارِ وعُلماءُ التَّوراةِ وأعيانُ الشَّعبِ [28]قائِلينَ: "ما تِلكَ السُّلطةُ الّتي تُمَكِّنُكَ مِن طَردِ التُّجّارِ مِنَ الحَرَم، ومَن مَنَحَكَ إيّاها حتّى تَقومَ بهذا العَمَلِ؟"(1) [29]فأجابَهُم قائلاً: "سَأخبِرُكُم إذا أجَبتُموني عَن سُؤالي: [30]مَنِ الَّذي مَنَحَ الحقَّ للنَّبيِّ يَحيى ليُطَهِّرَ النّاسَ بالماءِ؟ النّاسُ أم اللهُ؟! أجيبُوني!" [31]فأخَذوا يَتَشاورونَ فيما بَينَهُم: "إن قُلنا إنّ اللهَ هو مَن مَنَحَهُ ذلِكَ فسيَقولُ: فلِمَ لم تُؤمِنوا بهِ؟ [32]وإن قُلنا إنّ النّاسَ هُمُ الَّذينَ مَنَحوهُ ذلكَ الحَقَّ، فسَوفَ يُهاجِمُنا المُؤمِنونَ بهِ لأنّهُم يَنسِبونَ إليهِ النُّبُوَّةَ!" [33]فأجابوهُ عليه السلام قائلينَ: "لا نَدري مَن مَنَحَهُ ذلكَ الحَقَّ". فقالَ لهُم: "إن كانَتْ تِلكَ إجابَتَكُم عن سُؤالي، فأنا أيضًا لن أخبِرَكُم عمَّن مَنَحني سُلطتي لأقومَ بتِلكَ الأعمالِ!"

١٢
الفصل الثاني عشر

مَثَل الكرّامين

[1]وتابَعَ سَيِّدُنا عِيسَى عليه السلام قَولَهُ مُخاطِبًا رِجالَ الدِّينِ وعُلماءَ التَّوراةِ ضارِبًا لهُمُ الأمثالَ: "قامَ رَجُلٌ بغَرسِ كَرم، ثُمّ سَيَّجَهُ وصَنَعَ مَعصَرَةً وبَنَى بُرجًا للحِراسَةِ، وأجَّرَهُ لبَعضِ الزّارعينَ ورَحَلَ، [2]ولمّا حانَ مَوسِمُ القِطافِ أرسَلَ خادِمَهُ إلى هؤلاء الزّارِعينَ ليَنالَ نَصيبَهُ مِمّا طَرَحَهُ الكَرمُ مِن ثَمرٍ، [3]فأمسَكوهُ وضَرَبوهُ وأعادوهُ إلى سَيِّدِهِ خالِيَ الوِفاضِ. [4]ولكنّ صاحِبَ الكَرمِ أرسَلَ خادِمًا آخَرَ فضَرَبوهُ على رأسِهِ وأهانوهُ. [5]فأرسَلَ

(1) رأى رجال الدين اليهود أنّ عمل السيد المسيح هذا داخلَ حرم بيت الله الواقع تحت سلطتهم هو تحدٍّ لهم.

خادِمًا آخَرَ، فقَتَلوهُ. ثُمّ أَرسَلَ كَثيرينَ غيرَهُم، فَضَرَبوا بَعضَهُم وقَتَلوا الآخَرينَ. [6]ولم يَبقَ مَن يَقومُ بتِلكَ المُهِمّةِ سِوى ابنِهِ الحَبيبِ، فأرسَلَهُ أخيرًا إليهِم قائلاً: "لَعَلَّهُم يَهابُونَ ابني". [7]إلاّ أنّ الزّارِعينَ تَهامَسوا قائلينَ: "هو الوارِثُ لا رَيبَ فلنَقتُلْهُ ليَبقَى المِيراثُ لنا". [8]ونَفَّذوا ما أزمَعُوا مِن أمْرٍ. فأمسَكوا بِالابنِ وقَتَلوهُ ورَمَوْهُ خارِجَ الكَرمِ. [9]فما عَسَى أن يَفعَلَ صاحِبُ الكَرمِ بالكَرّامينَ وبالكَرمِ بَعدَ ذلِكَ؟! سَيَتَخَلّصُ مِنهُم ويَقضِي عليهِم، ويُسَلِّمُ الكَرمَ إلى غَيرِهِم. [10]يا جَماعةَ رِجالِ الدِّين، أما قرَأتُم هذِهِ الآيةَ في الزَّبورِ: "الحَجَرُ الّذي رَفَضَهُ البُناةُ صارَ حَجَرَ الأساسِ في بَيتِ اللهِ! [11]هذا ما صَنَعَهُ اللهُ، وإنّهُ لشَيءٌ عَجيبٌ في نَظَرِنا".

[12]وأرادَ رِجالُ الدِّينِ أن يَقبِضوا عَليهِ لأَنّهُم عَرَفوا أَنّهُ كانَ يَعنيهِم بِهذا المَثَلِ، وَلَكِنّهُم خافوا مِنَ الجُموعِ، فَتَرَكوهُ وَانصَرَفوا.

دفع الجزية إلى القيصر

[13]ثُمّ عَمَدَ رِجالُ الدِّينِ بَعدَ ذلِكَ إلى إرسالِ جَماعةٍ مِنَ المُتَشَدِّدينَ ومِن مُؤَيِّدي المَلِكِ أَنْتيباس بن هِيرودُس في مُحاولةٍ للإيقاعِ بعِيسَى ﷺ بكَلِمةٍ يَقولُها، [14]فتَوَجَّهوا إليهِ وسَألوهُ: "أيُّها المُعلِّمُ، نَحنُ على يَقينٍ مِن صِدقِكَ وجُرأتِكَ إذ لا تَخافُ في الحَقِّ لومَةَ لائِمٍ، ولا تَخشَى فيهِ سَيّدًا ولا عَبدًا. كَيفَ لا وأنتَ تَهدِي النّاسَ بالحَقِّ إلى الصِّراطِ المُستقيمِ؟ فهَل تَحِلُّ الجِزيةُ الّتي نَدفَعُها إلى القَيصَرِ أم لا؟ وهل يَجِبُ أن نَتوقّفَ عَن دَفعِها؟!" [15]وتَنَبَّهَ سَيِّدُنا عِيسَى ﷺ لمَكيدَتِهِم تِلكَ ولِمَكرِهِم،(1) فتَوَجَّهَ إليهِم قائلاً: "لِماذا تُحاوِلونَ استِدراجي إلى مَوقفٍ حَرِجٍ؟ أَرُوني دينارًا رُومانيًّا لأجيبَكم". [16]فأتَوهُ بدينارٍ، فنَظَرَ إليهِ والتَفَتَ إليهِم قائلاً: "لِمَنِ الصُّورَةُ والاسمُ المَنقوشانِ على الدِّينار؟" فأجابوا: "للقَيصَرِ". [17]فقالَ: "أعطُوا لقَيصَرَ ما لقَيصر، وما للهِ للهِ". فأخَذَتهُمُ الدَّهشةُ مِن حُسنِ تَصَرُّفِ عِيسَى ﷺ.

قيامة الأموات

[18]وجاءَت إلى سَيِّدِنا عِيسَى ﷺ جَماعةٌ مِن الصَّدّوقيّينَ وهُمُ الّذينَ يُنكِرونَ القِيامةَ

(1) فإذا أقرّهم على دفع الجزية للرومان المحتلّين، كان في مواجهة أمام شعبه، وإذا أجابهم بعدم جواز دفع الجزية، كان في مواجهة مع القيصر ومؤيّديه ومناصريه.

والحَياةَ بَعدَ المَوتِ، سائلينَ: [19]"أيُّها المُعَلِّمُ، أوصانا سَيِّدُنا موسى في التَّوراةِ بما يَلي: "إذا ماتَ رَجُلٌ عَن امرأةٍ دونَ أن يُخلِّفَ وَلدًا يَرِثُهُ، فعلى أخيهِ الاقتِرانُ بأرملتِهِ لإنجابِ أولادٍ فيَنحَصِرَ إرثُ أخيهِ فيهِم" .(1) [20]وإنّا لسائلوكَ عن سَبعةِ إخوَةٍ، تُوفّيَ أحَدُهُم عَنِ امرَأةٍ ولم يكُن لهُ وَريثٌ مِنها، فتَزَوَّجَها أحَدُ إخوتِهِ فتُوُفّيَ عَنها دونَ أن يَكونَ لهُ مِنها وَلَدٌ يَرِثُهُ، [21]فتزوَّجَها آخَرُ مِنهُم، [22]حتّى انقَضَى سابِعُهُم دونَ أن تُنجِبَ لأحَدِهِم وَلَدًا، [23]فإن كانَت هُناكَ قيامةٌ، ثُمّ أتَوا وإيّاها في ذلِكَ اليَومِ، فلأيِّهِم تكونُ زَوجةً وقد تَزَوَّجَتْهُم في الدُّنيا جميعًا؟!"

[24]فأجابَهُم سَيِّدُنا عِيسَى عَلَيْنَا سَلَامُهُ قائلاً: "قد ضَلَلتُم بجَهلِكُم بما جاءَ في الكُتُبِ السَّماويّةِ المُقَدَّسةِ، وبِقُدرةِ اللهِ تَعالى. [25]ففي يَوم القيامةِ لن يَكونَ زَواجٌ ولا مَوتٌ، بل سيَكونُ النّاسُ مِثلَ المَلائكةِ في السَّماءِ. [26]أمّا عن عَدَمِ إيمانِكُم بقِيامةِ الأمواتِ يومَ القيامةِ، أفما قَرَأتُم ما أُخبِرَ بِهِ النّبيُّ موسى حِينَ ناداهُ اللهُ مِن الشَّجَرةِ المُشتعِلةِ في الوادي المُقَدَّس: "يا موسى إنّي أنا اللهُ، إلَهُ إبراهيمَ، وإله إسْحَقَ، وإلهُ يَعقوبَ". [27]وهذا يَعني أنّ عِبادَ اللهِ أحياءٌ عِندَ رَبِّهِم ولَيسوا بأمواتٍ. ألا ما أبعَدَكُم عنِ الحَقيقةِ أيُّها الضّالّونَ!"

أولى الوصايا

[28]وصادَفَ أن كانَ بَينَ الجُموعِ، آنَذاكَ، أحَدُ عُلماءِ التَّوراةِ، وقد سَمِعَ ما دارَ مِن جَدَلٍ بَينَ سَيِّدِنا عِيسَى عَلَيْنَا سَلَامُهُ وجَماعةِ الصَّدّوقيّينَ، ورَأى أنّ جَوابَهُ عَلَيْنَا سَلَامُهُ كانَ مُفحِمًا، فدَنا مِنهُ سائلاً: "أخبِرنا عَن أهَمِّ الوَصايا الّتي جاءَت في التَّوراةِ". [29]فأجابَهُ: "يا آلَ يَعقوبَ اسمَعوا وَعُوا، اللهُ هو الواحِدُ الأحَدُ، [30]فأَحِبَّ اللهَ رَبَّكَ بِكُلِّ قَلبِكَ ونَفسِكَ وفِكرِكَ وبِكُلِّ قُدرَتِكَ". [31]وأمّا الوَصيّةُ الثّانِيةُ فهي: "أحبِب جارَكَ كَما تُحِبُّ نَفسَكَ". وما مِن وَصِيّةٍ أهَمُّ مِن هاتَيْنِ الوَصيّتَينِ". [32]فأجابَهُ العالِمُ: "أصبتَ أيُّها المُعَلِّم! وقد قُلتَ قَولَ الحَقِّ فاللهُ واحِدٌ ولا إلهَ إلاّ هو. [33]وعلى الإنسانِ أن يُحِبَّهُ بِكُلِّ قَلبِهِ وعَقلِهِ وقُدرَتِهِ، وعلى الإنسانِ أيضًا مَحبّةُ الجارِ، وذلِكَ عِندَ اللهِ أسمَى مِن كُلِّ الأضاحي والقَرابينِ المُقَدَّمةِ إليهِ تَعالى". [34]وأيقَنَ سَيِّدُنا عِيسَى عَلَيْنَا سَلَامُهُ بأنّ ما قالَهُ هذا العالِمُ هو عَينُ الحِكمةِ، فخاطَبَهُ قائلاً: "قد دَنَوتَ كَثيرًا مِنَ المَملَكةِ الرَّبّانيّة".

---

(1) وقد قيل أيضًا إنّ لهذا الولد الحقّ في إرث الأخ المتوفّى كلّه، لكي يعتني بأمّه في شيخوختها.

وفَهِمَتِ الجَماعةُ المُناوِئَةُ مِن كَلامِهِ ﷺ ما جَعَلَها تَنسَحِبُ وتَتوقّفُ عَن تَحدِّيهِ ﷺ في أيِّ مَوضوعٍ كانَ.

المسيح ﷺ والنّبيّ داود

[35]وخاطَبَ سَيِّدُنا عِيسَى ﷺ الجمعَ المَوجودَ في حَرَمِ بيتِ اللهِ، قائلاً: "يَقولُ عُلماءُ التَّوراةِ إنّ المَسيحَ المُنتَظَرَ سيَكونُ مِن نَسلِ النَّبيِّ داوُد، إلاّ أنّهُم يَجهَلونَ مَرتبَتَهُ العاليَةَ عِندَ اللهِ، [36]أفَما جاءَ في الزَّبورِ على لِسانِ النّبيِّ داود بوَحيٍ مِن رُوحِ اللهِ: "قالَ اللهُ تَعالى لمَولايَ: اجلِسْ عَن يَميني، حتّى أقهَرَ أعداءَكَ وأجعَلَهُم تَحتَ قَدمَيكَ صاغِرينَ". [37]فما دامَ النّبيُّ داود نَفسُهُ يَدعُو المَسيحَ مَولاهُ، أفلَيسَ هذا دَليلاً على أنّ المَسيحَ المُنتَظَرَ أعظَمُ مِنَ النّبيِّ داود؟" وكانَ الجَمعُ يُصغونَ بسُرورٍ إلى سَيِّدِنا عِيسَى ﷺ.

المسيح ﷺ ينتقد علماء التوراة

[38]ثُمَّ تَوجَّهَ بتَعاليمِهِ إلى الجَميعِ قائلاً: "إيّاكُم وعُلماءَ التّوراةِ، فهُم يَتباهَونَ بالاختيالِ بثيابِهِم الفاخِرةِ الّتي تُجَرجِرُ أذيالَها على الأرضِ، ويَمشونَ في السّاحاتِ بكِبَرٍ وعَظَمَةٍ وهُم يَتلقَّونَ تَحِيّاتِ النّاس، [39]ويَملؤُهُم الإحساسُ بأنّهُم هم أهلُ الصَّدارةِ والرِّئاسَةِ في بُيُوتِ العِبادةِ، مُحتلِّينَ مَقاعِدَ الشَّرَفِ في الوَلائِم، [40]بَينَما هُم يَأكُلونَ أموالَ الأرامِلِ دونَ خَوفٍ ولا وَجَلٍ، ويَتَظاهَرونَ بالإيمانِ القَوِيِّ بإطالتِهِم الصَّلاةَ، ألا إنّ لِهؤلاءِ أشَدَّ العِقابِ!"

فِلْسَا الأرملة

[41]وجَلَسَ سَيِّدُنا عِيسَى ﷺ في الحَرَمِ الشَّريفِ، وأمامَهُ صُندوقُ التَّبَرُّعاتِ، يُراقِبُ ما يَجودُ بِهِ النّاسُ مِن مالٍ، فرَأى أنّ أغنياءَ كَثيرينَ جاءُوا بمالٍ وَفير، [42]ولاحَظَ أرمَلةً وضَعَت في الصُّندوقِ فِلسَينِ، [43]فدَعا أتباعَهُ يُحَدِّثُهُم بخُصُوصِ تِلكَ المَرأةِ قائلاً: "الحَقَّ أقولُ لكُم: إنّ ما وَضَعَتْهُ تِلكَ الأرمَلة في هذا الصُّندوقِ يَفوقُ عِندَ اللهِ ما دَفَعَهُ هؤلاءِ الأغنِياءُ جَميعًا، [44]فقَد جاؤوا بما فاضَ عَن حاجَتِهِم وأموالِهِم، أمّا هي فقَد أعطَت رَغمَ فَقرِها كُلَّ ما لَدَيها مِمّا يَجِبُ أن تُنفِقَهُ على نَفسِها لتَعِيشَ!"

١٣
الفصل الثّالث عشر

المسيح يُنبئ بخراب بيت الله في القدس وبالاضطهاد

[1]وغادَرَ سَيّدُنا عِيسَى سَلَامُهُ عَلَيْنَا حَرَمَ بَيتِ اللهِ، فبادَرَهُ أحَدُ أتباعِهِ قائِلاً: "سَيِّدي المُعَلِّمُ، اُنظُرْ إلى بَهاءِ تِلكَ المَباني ورَوعةِ حِجارَتِها!" [2]فقالَ لهُ: "أترَى تِلكَ الأبنِيَةَ بِعَظَمَتِها؟! إنّها سَتُهدَمُ فتَتَبَعثَرُ حِجارَتُها، ولن يَبقَى فيها حَجَرٌ على حَجَرٍ!"(1) [3]وبَينَما كانَ سَيِّدُنا عِيسَى سَلَامُهُ عَلَيْنَا جالِسًا على جَبَلِ الزَّيتونِ مُقابِلَ حَرَمِ بَيتِ اللهِ، سألَهُ بُطرُسُ ويَعقوبُ ويوحَنّا وأَنْدَراوسُ على انفرادٍ قائلينَ: [4]"أخبِرنا مَتَى يَحدُثُ هذا الخَرابُ، وما هي الدَّلائِلُ الّتي تُنبئُ بِقُربِ حُدوثِهِ؟" [5]فأجابَهُم سَلَامُهُ عَلَيْنَا: "إيّاكُم أن يَخدَعَكُم أحَدٌ، [6]فسَيَقومُ كَثيرٌ مِنَ النّاسِ بانتِحالِ اسمي زُورًا، وسيَقولُ كُلُّ واحِدٍ مِنهُم: "أنا المَسيحُ صَفيّ الله". وسيَنخَدِعُ بِهِم كَثيرٌ مِنَ النّاسِ. [7]فإذا سَمِعتُم بقيامِ حُروبٍ فلا تَفزَعوا، فذلِكَ أمْرٌ واقِعٌ ما لَهُ مِن دافِعٍ، إلاّ أنّ هذا لا يَعني قيامَ السّاعةِ. [8]لأنّهُ سيَقومُ بَينَ الأُمَمِ عِداءٌ وسَتَنقَلِبُ المَمالِكُ على المَمالِكِ، وستَقعُ الزّلازِلُ في أنحاءٍ مُتَفرِّقَةٍ وكَثيرةٍ مِنَ العالَمِ، وستَكونُ مَجاعاتٌ، ولَيسَ كُلُّ هذا إلاّ المَخاضُ الّذي يُبَشِّرُ بالوِلادة.(2) [9]وأمّا أنتُم،(3) فكونوا على حَذَرٍ مِمّا سَيَحُلُّ بِكُم، فبِسَبَبي سَتُؤخَذونَ إلى المَحاكِمِ الدِّينيّةِ وستُضرَبونَ في بُيوتِ العِبادةِ، وسَيُسَلِّمُكُم بَعضُهُم إلى الحُكّامِ والمُلوكِ بتُهمَةِ أنّكُم أنصاري، [10]حِينئِذٍ ستَكونُ فُرصَتُكُم لتُجاهِروا بإيمانِكُم بي أمامَ المَلإِ، فيَجِبُ أن تَعُمَّ رِسالتي وأن تَنتَشِرَ بَينَ كُلِّ الأُمَمِ قَبلَ قيامِ السّاعةِ. [11]وعِندَما تُساقونَ للمُحاكَمةِ، فلا يُساوِرَنَّكُم قَلَقٌ حَولَ كَيفيّةِ الدِّفاعِ عَن أنفُسِكُم، لأنّ اللهَ بِرُوحِهِ سيَدعَمُكُم فتَنطِقونَ بما يُوحِيهِ إليكُم مِن حُجَجٍ، [12-13]وسَيَكونُ المُؤمِنُ بي

(1) جاء في تاريخ "الحروب اليهودية" (تأليف المؤرّخ يوسيفوس) أنّه بعد كلام المسيح هذا بـ 40 سنة، عام 70 م، قامت جماعة من عسكر الرومان بحرق بيت الله المقدّس (الهيكل) أولا، ثم بعثروا أحجاره بعد أن شدّوا بحبال ما تبقّى منه وقذفوا به إلى الوادي المحاذي لمدينة القدس.

(2) في الكتابات اليهودية التي تعود إلى عصر سيدنا عيسى سَلَامُهُ عَلَيْنَا، يتمّ تشبيه الأحوال التي تسبق مجيء المسيح المنتظر بأوجاع المخاض.

(3) يتعدّى المخاطب هنا زمن المسيح والمقصود في هذا السياق كلّ أتباع السيد المسيح في كلّ محنة تواجههم.

حِينئذٍ مَوضوعَ غَدرٍ مِن طَرَفِ أخيهِ أوِ ابنِهِ أو أبيهِ إذ سَيُسلّمُهُ إلى المَوتِ بسَبَبِ إيمانِهِ بي. وأمّا أنتُم فستَكونونَ مَكروهينَ بَينَ كُلِّ النّاسِ لأنّكُم أتباعي المُخلِصونَ. ومَن يَثبُتُ مِنكُم على الإيمانِ بي إلى النِّهايةِ، فستُكتَبُ لهُ النَّجاةُ.

الخراب العظيم

[14]وتابَعَ سَيِّدُنا عِيسَى عليه السلام قائلاً: "وحِينَ تَرَونَ أنّ "رِجسَ الخَراب" قد حَلَّ داخِلَ بَيتِ الله حَيثُ يَجِبُ ألاّ يَكونَ، (اِفهمْ هذا أَيُّها القارِئ)(1) فليَهرُبْ يَومَئِذٍ مَن في مِنطقةِ يَهوذا إلى الجِبالِ، [15]وليُمسِكْ مَن كانَ على سَطحِ بيتِهِ عَنِ النُّزولِ لأخْذِ مَتاعِهِ، [16]ولا يَعودَنَّ مَن كانَ ساعَتئذٍ في حَقلِهِ ولو لأخْذِ ثَوبِهِ، [17]ويَومَئِذٍ وَيلٌ للحَوامِلِ والمُرضِعاتِ! [18]أمّا مَتى سيَكونُ ذلِكَ الخَرابُ؟ فاسألوا اللهَ ألاّ يَكونَ في فَصلِ الشِّتاءِ، [19]ففيهِ يَكونُ الهُروبُ صَعبًا. ألا إنّ هذا الشَّعبَ سيُطَوَّقُ بضِيقٍ ما بَعدَهُ ضِيقٌ، ضِيقٌ لم يَشهَدِ الكَونُ لهُ مَثيلاً مُنذُ خَلَقَهُ الله إلى ذلِكَ الحِينِ، ولن يَشهَدَ لهُ مثيلاً، [20]ولو لم يُقَصِّر الله مِن مَدى تِلكَ الأيّامِ القادِمةِ لَما كانَ باستطاعَةِ فَردٍ مِن أفرادِ هذا الشَّعبِ النَّجاةُ. ولكنّ اللهَ مَنَّ على النّاسِ بتِلكَ النِّعمةِ كَرامةً لِعِبادِهِ الصّالِحينَ المُختارينَ. [21]واحذَروا تَصديقَ مَن يُشيرُ في ذلِكَ الحِينِ بأنّ المَسيحَ المُنتظَرَ مَوجودٌ هُنا أو هُناكَ، [22]إذ سيَظهَرُ دَجّالونَ يَدَّعونَ بأنّهُم المَسيحُ، وسَيَظهَرُ مُدَّعو النُبوَّةِ، وستَقَعُ على أيديهِم مُعجِزاتٌ وعَجائِبُ، إلاّ أنّهُم مُدَّعونَ، يُريدونَ، لو أمكَنهُم الأمرُ، تَضليلَ عِبادِ الله المُصطَفينَ. [23]فكونوا أنتُم يا عِبادَ اللهِ على حَذَرٍ فلقد أنبأتُكُم بِكُلِّ ذلِكَ قَبلَ أوانِ وُقوعِهِ". (2)

مجيء سيّد البشر

[24]وتابَعَ سَيِّدُنا عِيسَى عليه السلام قائلاً: "ثُمّ سَتُظلِمُ الشَّمسُ وسَيَخبو نُورُ القَمَرِ بَعدَ تِلكَ

(1) تشير الملحوظة هنا إلى ما تنبأ به النبي دانيال عليه السلام في كتابه (دانيال 9: 27). وكان هذا تحذيرا للقراء في زمن مرقس حتّى يفهموا حقيقة الرّجس الذي يسبق تدمير القدس وبيت الله ويهربوا من المدينة قبل حدوث التدمير.

(2) قد حدث هذا الخراب في القدس ومنطقة يهوذا في زمن الرومان سنة 70 للميلاد، ولن يحدث مرّة ثانية كما أنبأ السيد المسيح. لكنّ حديثه لأتباعه حول الخراب، خاصّةً، وما سيسود العالم، عمومًا، قد يكون إشارة إلى علامات قيام الساعة. ومن هنا يمكن القول إنّ الخطاب موجّه إلى أتباعه الذين سيكونون موجودين في زمن خراب القدس. وفيما عدا ذلك، فالمخاطَب هم تابعو عيسى عليه السلام في سائر الأزمان إلى قيام الساعة.

الأحداثِ الفَظيعةِ، [25]وستتهاوى النُّجومُ مِنَ السَّماءِ ويَختَلُّ مِيزانُ القِوى السَّماويّةِ. [26]ثُمّ يَرى النّاسُ سَيِّدَ البَشَرِ قادِمًا في ظُلَلٍ مِنَ الغَمامِ بِكُلِّ عِزَّةٍ وهَيبةٍ، [27]مُرسِلاً مَلائِكَتَهُ إلى جَميعِ أنحاءِ العالَمِ، شَرقًا وغَربًا، وشِمالاً وجَنوبًا لِجَمعِ المُختارينَ مِن كُلِّ مَكانٍ تَحتَ قُبّةِ السَّماءِ".

عبرة شجرة التين

[28]ثُمَّ تابَعَ قائلاً: "خُذوا مِن شَجَرةِ التِّينِ عِبرةً،(1) فكَما تُنبِئُكُم لِيُونةُ أغصانِها وظُهورُ أوراقِها الخَضراءِ بِقُربِ حُلولِ الصَّيفِ، [29]تُنبِئُكُم كذلِكَ تِلكَ الظَّواهِرُ الكَونيّةُ بأنّ عَودَتي باتَت على الأبوابِ. [30]والحَقَّ أقولُ لكُم، لا تَزولُ هذِهِ الجَماعةُ أبَدًا حَتّى تَتِمَّ كُلُّ هذِهِ الأحداثِ. [31]وأقولُ لكُم أيضًا لَتَزولَنَّ السَّماواتُ والأرضُ، وما لِكَلامي مِن زَوالٍ بل لَيَدومَنَّ إلى الأبَدِ!"

اليقظة الدّائمة

[32]"وأمّا مَوعِدُ هذِهِ الأحداثِ، فلا أحَدَ يَعرِفُ مَتى يَحينُ ذلِكَ اليَومُ وتِلكَ السّاعةُ، ولا حتّى سَيِّدُ البَشَرِ والمَلائِكةِ. فاللهُ الأبُ الرَّحمَنُ الرَّحيمُ وَحدَهُ يَملِكُ عِلمَ السّاعةِ! [33]وأقولُ لكُم، خُذوا حَذَرَكُم وكونوا يَقِظينَ لأنّكُم لا تَدرونَ ساعةَ وُقوعِ تِلكَ الأحداثِ. [34]فمَثَلُكُم في ذلِكَ مَثَلُ السَّيِّدِ الّذي سافَرَ وتَرَكَ مَنزِلَهُ أمانةً بِيَدِ عَبيدِهِ، كُلٌّ يَقومُ بعَمَلِهِ الّذي وُكِّلَ بِهِ، بِمَن فيهِم الحارِسُ الّذي أوصاهُ سَيِّدُهُ بالسَّهَرِ على حِراسةِ البَيتِ. [35]ولِذلِكَ فإنّي أُحذِّرُكُم مِنَ الغَفلةِ، فأنتُم لا تَدرونَ مَتى يَأتي صاحِبُ الدّارِ، أفي المَساءِ، أم مُنتَصَفِ اللَّيلِ، أم الفَجرِ، أم الصَّباحِ. [36]فاحْذَروا أن يَأتيَ ويَجِدَكُم غافِلينَ. [37]وما أقولُ لكُم يَشمَلُ جَميعَ النّاسِ، فَكونوا يَقِظينَ".

١٤
الفصل الرّابع عشر

التآمر على قَتْلِ السّيّد المسيح

[1]واجتَمَعَ كِبارُ الأحبارِ وعُلماءُ التَّوراةِ، قَبلَ يَومَينِ مِن حُلولِ عِيدِ الفِصْحِ وعِيدِ

---

(1) ليست شجرة التين في هذا السياق رمزًا لبني إسرائيل كما ورد في سياقٍ سابق بل تعني مطلق الشجرة. وقد يعود اختيار السيد المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ لها إلى أنّها شجرة مألوفة عند أهل الجليل.

الفَطيرِ، يَتَشاوَرونَ في حِيلةٍ لِلقَبضِ على عِيسَى عليه السلام وقَتلِهِ. [2]إلاّ أنّهُم تَنبَّهوا لِخَطَرِ القِيامِ بِهذا العَمَلِ في ذلِكَ الوَقتِ قائِلينَ: "لن نَقومَ بفِعلِ هذا في العِيدِ، لِئَلاَّ يَضطَرِبَ النّاسُ".

المرأة والطّيب الّذي سكبته على السّيّد المسيح

[3]وفيما كانَ سَيّدُنا عِيسَى عليه السلام في قَريةِ بَيتِ عَنيا، يَتَناوَلُ طَعامَهُ عِندَ سَمعانَ الأبرَصِ، قَدِمَتِ امرَأَةٌ تَحمِلُ قارورَةً مِن المَرمَرِ بها الطِّيبُ العَزيزُ الغالي مِنَ النّاردينِ النَّقيِّ، ثُمّ كَسَرَت عُنُقَ القارورةِ، وسَكَبَت ما فيها مِن طِيبٍ على رَأسِهِ عليه السلام. [4]فاستاءَ بَعضُ الحُضورِ مِن فِعلِ تِلكَ المَرأةِ، وغمغَموا في ما بَينَهُم قائِلينَ: "إنّ هَذا لَإسرافٌ مُبينٌ، [5]كانَ يُمكِنُ بَيعُ ذاكَ الطِّيبِ بأكثَرَ مِن ثَلاثِ مِئةِ دينارٍ،(1) تُوزَّعُ على الفُقَراءِ والمَساكينِ!" وأخَذوا يَلومونَ المَرأَةَ بِغَضَبٍ ويُؤنِّبُونَها بِشِدَّةٍ. [6]فالتَفَتَ إليهِم سَيِّدُنا عِيسَى عليه السلام قائلاً: "دَعوا المَرأةَ وشَأنَها، لِمَ تُضايقونَها؟ إنّ ما فَعَلَتهُ بحَقّي عَمَلٌ كَريمٌ، [7]وأقولُ لكُم، الفُقَراءُ بَينَكُم لا يَنقَطِعونَ، وإحسانُكُم إليهِم مُمكِنٌ في كُلِّ حِينٍ، وما أنا بباقٍ بَينَكُم إلى الأبَدِ. [8]فلقد كَرَّمَتْني ما في وُسْعِها مِن كَرَمٍ، ولئِن طَيَّبَتني بالعِطرِ، فَإنّما طَيَّبَت جَسَدي مُسبقًا للدَّفنِ. [9]والحَقَّ أقولُ لكُم: حَيثُما تُعلَنُ رِسالتي في العالَمِ كُلِّهِ، تُذكَرُ هذِهِ المَرأةُ ويُخَلَّدُ عَمَلُها".

خيانة يهوذا

[10]وهُنا ذَهَبَ يَهوذا الإسخَريوطيّ، أَحَدُ الحَوارِيّينَ الاثنَيْ عَشَرَ، إلى الرُّؤساءِ مِن رِجالِ الدِّينِ الأحبارِ، لِيُسَلِّمَهُم عِيسَى عليه السلام، [11]فَفَرِحوا بذلِكَ ووَعدوهُ أن يَمنَحوهُ مالاً مُقابِلَ خِيانَتِهِ تِلكَ. فبَاتَ يَتَرَبَّصُ الوَقتَ المُناسِبَ لِتَسليمِهِم إيّاهُ.

عشاء الفصح مع الحواريّين

[12]وفي اليَومِ الأوّلِ مِن عِيدِ الفَطيرِ، يَومَ تُذبَحُ الخِرافُ لِعَشاءِ الفِصْحِ،(2) تَوَجَّهَ الحَوارِيّونَ إلى سَيِّدِنا عِيسَى عليه السلام قائِلينَ: "حَدِّدْ لنا المَكانَ الّذي تُريدُ فيهِ تَناوُلَ عَشاءِ

(1) وهو ما يعادل ما يكتسبه عامل في سنة كاملة في ذلك الزمن.

(2) الفصح هو عيد يحتفل فيه اليهود بنجاتهم من ملاك الموت، وذلك قبل هروبهم من بطش فرعون (بقيادة النبي موسى). ويحتفلون بعيد الفطير مباشرة بعد عيد الفصح حتّى يتذكروا مغادرتهم السريعة التي منعتهم من صنع الخبز بخميرة.

الفِصح فَنُهَيِّئَهُ؟" [13]فأرسَلَ في طَلَبِ اثنَينِ مِنهُم لِهَذا الغَرَضِ، وقالَ لهُما: "سِيرا إلى المَدينةِ المُقَدَّسةِ، وهُناكَ سَتَجِدانِ رَجُلاً يَحمِلُ جَرّةً(1) فاذهَبا في إثرِهِ. [14]وسَيَدخُلُ بَيتًا، فَادخُلا وَراءَهُ، واسألا عَن رَبِّ البَيتِ وقولا لهُ: "يَسألُكَ المُعَلِّمُ عَن مَكانِ تِلكَ الغُرفةِ الّتي سيَتَناوَلُ فيها عَشاءَ الفِصحِ مَعَ حَوارِيّيهِ؟!" [15]وسيَأخُذُكُما إلى الطّابِقِ العُلويِّ مِنَ البَيتِ، ويُريكُما غُرفةً واسِعةً مَفروشةً مُجَهَّزةً، وهُناكَ عَليكُما تَجهيزُ كُلِّ شَيءٍ للعَشاءِ". [16]فتَوَجَّهَ الحَوارِيّانِ إلى المَدينةِ وجَهَّزا عَشاءَ الفِصحِ في تِلكَ الغُرفةِ.

[17]وعِندَ المَساءِ اجتَمَعَ سَيِّدُنا عِيسَى عليه السلام وحَوارِيّوهُ الاثنا عَشَرَ حَولَ العَشاءِ. [18]وبَينَما هُم كَذلِكَ، التَفَتَ إليهِم قائلاً: "الحَقَّ أقولُ لكُم، سيَقومُ واحِدٌ مِنكُم يَأكُلُ مَعي الآنَ بِتَسليمي". [19]فأصابَ الحَوارِيّينَ الوُجومُ والحُزنُ، وأخَذَ كُلُّ واحِدٍ يَسألُ قائلاً: "هَل هو أنا؟!" [20]إلاّ أنّهُ عليه السلام قَطَعَ عَليهِم حيرَتَهُم بقَولِهِ: "هو واحِدٌ مِنَ الاثنَيْ عَشَرَ يَأكُلُ مَعي في طَبَقٍ واحِدٍ. [21]وسَيِّدُ البَشَرِ سَيُقاسي المَوتَ. كَذا أخبَرَتِ الكُتُبُ المُقَدَّسةُ، إلاّ أنّ عاقِبَةَ مَن يُسَلِّمُ سَيِّدَ البَشَرِ وَخيمةٌ جِدًّا، فخَيرٌ لهُ لو لم يُولَد".

العشاء التّذكاريُّ

[22]وبَينَما هُم يَأكُلونَ، تَناوَلَ سَيِّدُنا عِيسَى عليه السلام رَغيفًا وحَمِدَ اللهَ على هذِهِ النِّعمةِ وأعطاهُ إلى حَوارِيّيهِ بَعدَ أن كَسَرَهُ قائلاً: "هَذا الخُبزُ هو جَسَدي". [23]ثُمّ أخَذَ الكأسَ شاكِرًا اللهَ وأعطاهُم إيّاها، فشَرِبَ الحَوارِيّونَ كُلُّهُم مِن تِلكَ الكأسِ، [24]ثُمّ التَفَتَ إليهِم قائلاً: "ما في هذِهِ الكأسِ يُمَثِّلُ دَمي الّذي سيُراقُ لأجلِ الكَثيرينَ مِنَ البَشَرِ، تَثبيتًا لميثاقِ اللهِ الجَديدِ. [25]ألا وإنّي أُنذِرُ نَذرًا أنّي لن أشرَبَ بَعدَ الآنَ مِن عَصيرِ العِنَبِ، حتّى ذلِكَ اليَومِ الّذي أشرَبُ فيهِ شَرابًا طَهُورًا في المَملَكةِ الرَّبّانيّةِ". [26]ثُمّ أخَذَ الجَميعُ يُرَتّلونَ آياتٍ مِنَ الزَّبورِ، وخَرَجوا بَعدَ ذلِكَ مُتَوَجِّهينَ إلى جَبَلِ الزَّيتونِ.

السّيّد المسيح يُنبئ عن بطرس وإنكاره له

[27]ثُمّ قالَ لهُم: "سَتَأتي لَحظةٌ يَتَخلّى فيها جَميعُكُم عَنّي، كَما جاءَ في كِتابِ النّبيِّ زَكَريّا: "سَيَضرِبُ اللهُ الرّاعي، فتَتَبَدَّدُ الخِرافُ". [28]إلاّ أنّني بَعدَ قِيامي حَيًّا مِنَ المَوتِ، سَأسبِقُكُم إلى الجَليلِ وألقاكُم هُناكَ". [29]غَيرَ أنّ بُطرُس أجابَهُ قائلاً: "لَن

(1) بما أنّ الجرار تحملها النساء عادةً، فقد كان ذلك دليلا يلفت النظر.

أتَخلّى عَنكَ حَتّى ولو تَخلّى عَنكَ الجَميعُ" . [30]فأجابَهُ ﷺ قائلاً: "الحَقَّ أقولُ لكَ، اليَومَ، في هذِهِ اللّيلةِ، وقَبلَ أن يَصيحَ الدِّيكُ مَرّتَينِ، ستَتَخلّى عَنّي وتُنكِرُني ثَلاثَ مَرّاتٍ" . [31]وأصرَّ بُطرُسُ قائلاً: "لن أتَخلّى عَنكَ ولو كَلَّفَني ذلكَ حَياتي!" ورَدَّدَ جَميعُ حَوارِيّيهِ ما وَعَدَ بِهِ بُطرُسُ.

السّيّد المسيح يصلّي في مكان اسمه "جسيماني"

[32]وتَوَجَّهَ سَيِّدُنا عِيسَى ﷺ بَعدَ ذلِكَ، إلى مَوضِعٍ يُقالُ لهُ "جَسيماني"،(1) وطَلَبَ مِن بَعضِ حَوارِيّيهِ قائلاً: "أمكُثوا هُنا، رَيثَما أُصَلّي" . [33]ثُمّ اصطَحَبَ مَعَهُ مِن حَوارِيّيهِ بُطرُس ويَعقوبَ ويوحَنّا. وقد بَدَأ يَشعُرُ بالرَّهبةِ والكَآبةِ تَنتابانِهِ. [34]فأخبَرَهُم عَن حالتِهِ هذِهِ قائلاً: "نَفسي مُكتَئِبةٌ حَتّى المَوتِ. اِنتَظِروني هُنا وكونوا مُتيقّظينَ" . [35]وابتَعَدَ عَنهُم، وخَرَّ راكِعًا على الأرضِ مُتَوَجِّهًا إلى اللهِ بالصَّلاةِ عَلّهُ يَرفَعُ عَنهُ، إن شاءَ، ساعةَ الآلامِ، [36]ونادى: "يا اللهُ أنتَ أبي الصَّمَدُ، وأنتَ القادِرُ على كُلِّ شَيءٍ، فأبعِدْ عَنّي كأسَ الآلامِ هذِهِ، ولكن يا رَبُّ لِيَكُن ما تُريدُ لا ما أُريدُ" . [37]ورَجَعَ بَعدَها عِيسَى ﷺ إلى حَوارِيّيهِ الثّلاثةِ فوَجَدَهُم نِيامًا، فأيقظَ بُطرُسَ قائلاً: "يا سَمعانُ، أغلَبَكَ النَّومُ فلَم تَقدِر أن تَبقَى صاحِيًا مِن أجلي ولو ساعةً واحِدةً؟! [38]ألا فاسمَعوا كُلُّكُم: كونوا يَقِظينَ وتَوَجَّهوا إلى اللهِ بِصَلواتِكُم واسألوهُ ألاّ تَغلِبَكُمُ المِحنةُ الّتي سَتَتَعرَّضونَ لها. وأقولُ لكُم: إنّ فيكُم لَرَغبةً لِمُغالبةِ الفِتنةِ، ولكنّ الإنسانَ ضَعيفٌ تُجاهَها، إلاّ إذا طَلَبَ عَونَ اللهِ" . [39]ثُمّ تَرَكَهُم سَيِّدُنا عِيسَى ﷺ وعادَ إلى الصَّلاةِ، مُبتَهِلاً إلى اللهِ. [40]ورَجَعَ بَعدَئذٍ إلى حَوارِيّيهِ الّذينَ غَلَبَهُم النُّعاسُ ثانيةً، فأنّبَهُم، فما استَطاعوا جوابًا. ثُمّ تَرَكَهُم، [41]وعادَ إليهِم فوَجَدَهُم رُقودًا، فقالَ: "أما زِلتُم في أحضانِ النَّومِ؟ كَفاكُم! لقَد أزِفَتِ الآزِفةُ، سَيُسَلَّمُ سَيِّدُ البَشَرِ إلى أيدي الآثِمينَ! [42]قوموا لِنَذهَبْ، فقد جاءَ الّذي خانَني" .

القبض على السّيّد المسيح

[43]وأقبَلَ يَهوذا، أحَدُ حَوارِيّيهِ الاثنَي عَشَرَ، على رَأسِ عُصبةٍ مِنَ الرِّجالِ يَحمِلونَ سُيوفًا وعِصِيًّا، أرسَلَهُم رِجالُ الدِّينِ الأحبارِ والعُلَماءُ وقادةٌ آخَرونَ. [44-46]ولَمّا وَصَلوا إلى سَيِّدِنا عِيسَى ﷺ، دَنا يَهوذا مِنهُ قائلاً: "مُعَلِّمي، مُعَلِّمي!" وقَبَّلَهُ بِحَرارةٍ مُزَيَّفةٍ،

(1) "جسيماني" كلمة عبرية تعني المكان الذي يعصر فيه الزيت.

وكانَ التَّقبيلُ إشارةً حَدَّدَها يَهوذا لِيَعرِفَ بِها الجُنودُ سَيِّدَنا عِيسَى ﷺ فيَقبِضوا عليهِ ويَأخُذوهُ تَحتَ حِراسَةٍ مُشَدَّدَة. 47واستَلَّ أحَدُ الحاضِرينَ سَيفَهُ، وهَوَى بِهِ على خادِمِ رَئيسِ الأحبارِ فقَطَعَ أُذُنَهُ. 48فتَوَجَّهَ إليهِم عِيسَى ﷺ مُؤنِّبًا: "أأنا مُتَمَرِّدٌ حتّى خَرَجتُم بسُيوفِكُم وعِصِيِّكُم لِتَقبِضوا عليَّ؟ 49ألَم أكُن بَينَكُم أُعَلِّمُ النّاسَ في حَرَمِ بَيتِ الله جِهارًا كُلَّ يومٍ؟ فلِمَ لم تَقبِضوا عليَّ هُناكَ؟ ولكن أقولُ لكُم إنّما كانَ هذا تَصديقًا لِما جاءَ عَنّي في الكُتُبِ المُقَدَّسةِ" . 50ولاذَ الحَوارِيّونَ بالفِرارِ، 51-52وكانَ مِن بَينِهِم شابٌّ يُلازِمُ سَيِّدَنا عِيسَى ﷺ لم يَكُن عليهِ إلاّ عَباءَةٌ، فلمّا أمسَكَت بِهِ المَجموعةُ أفلَتَ مِنهُم وتَرَكَ العَباءَةَ بَينَ أيدِيهِم وفَرَّ عارِيًا.

السّيّد المسيح في مجلس اليهود

53وسِيقَ عِيسَى ﷺ إلى دارِ رَئيسِ الأحبارِ، هُناكَ كانَ الأحبارُ والشُّيوخُ والعُلماءُ مُجتَمِعينَ، 54وجاءَ بُطرُسُ الّذي كانَ يَتبَعُهُ عَن بُعدٍ، ودَخَلَ باحَةَ الدّارِ، وجَلَسَ مَعَ الحَرَسِ حَولَ النّارِ لِيَتَدَفَّأ. 55وكانَ جَميعُ الأحبارِ ورِجالُ الدِّينِ في المَجلِسِ الأعلى يَتَجادَلونَ حَولَ تُهمةٍ تُدينُ عِيسَى ﷺ فيَقتُلونَهُ بِسَبَبِها، فلم يَجِدوا شَيئًا يَقضي بِقَتلِهِ،(1) 56وقد جاءَهُم كَثيرٌ مِن أقوالِ البُهتانِ وشَهاداتِ الزُّورِ ضِدَّهُ ﷺ إلاّ أنّها مُتَناقِضةٌ فيما بَينَها، 57-59حتّى تَقَدَّمَ بَعضُهُم قائِلاً: "سَمِعناهُ يَقولُ: "سَأهدِمُ بَيتَ اللهِ الّذي بُنيَ بأيدي العُمّالِ، وسَأبني خِلالَ ثَلاثةِ أيّامٍ بَيتًا آخَرَ لَيسَ مِن صُنعِ البَشَرِ" .(2) إلاّ أنّ هَذا جاءَ مُناقِضًا لشَهاداتٍ أُخرَى. 60فما كانَ مِن رَئيسِ الأحبارِ حِينَئذٍ إلاّ أن وَقَفَ وَسَطَ المَجلِسِ وتَوَجَّهَ إلى سَيِّدِنا عِيسَى ﷺ قائلاً: "ما هي إجابَتُكَ الّتي تَدفَعُ بها تِلكَ التُّهَمَ عَنكَ؟" 61ولَكِنّ عِيسَى ﷺ حافَظَ على هُدوئِهِ وظَلَّ صامِتًا. فتَوَجَّهَ إليهِ رَئيسُ الأحبارِ ثانِيَةً بالسُّؤالِ قائلاً: "هل أنتَ المَسيحُ الابنُ الرُّوحيّ للهِ تَبارَكَ وتَعالى؟" 62فأجابَهُ سَيِّدُنا عِيسَى ﷺ: "أجَل، أنا هو، وسَوفَ تَرَونَ سَيِّدَ البَشَرِ جالِسًا عَن يَمينِ اللهِ القَديرِ، وسَتَرَونَهُ قادِمًا في ظُلَلٍ مِنَ الغَمامِ مِنَ السَّماءِ" . 63فاغتاظَ رَئيسُ الأحبارِ وشَقَّ

(1) المجلس المذكور هنا كان مؤلّفًا من ممثّلين عن مختلف جماعات اليهود، وقد سمح الرومان لهذا المجلس بسماع القضايا التي تخصّ جرائم مخالفة للدين اليهودي. ولأن الرومان لم يسمحوا لهم بإنزال حكم الإعدام، فقد حاولوا أن يتّهموه بمخالفة قانون روماني تستوجب مخالفته عقوبة الموت، حتّى يعدمه الرومان بدلا عن اليهود.

(2) يشوّه هنا بعض الشهود كلام سيدنا عيسى عندما أشار بشكل مجازي إلى هيكل جسمه وإلى أنّ الله قادر على بعثه من الموت.

ثيابَهُ مُحتجًّا على ذلِكَ بقولِهِ: "أَبَعدَ هَذا القَولِ مِن شُهودٍ؟ [64]أما سَمِعتُموهُ يَقولُ كُفرًا؟ ماذا تُرانا فاعِلينَ؟!" وأسرَعوا، بَعدَ تَشاوُرِهِم، وأصدَروا بِحقِّهِ ﷺ حُكمًا بالإعدام.(1) [65]وأخَذوا يَبصُقونَ عَليهِ، ويَلطِمونَهُ بَعدَ أن عَصَبوا عَينَيهِ، قائِلينَ: "قُل، أخبِرْ عَمَّن ضَرَبَكَ الآنَ إن كُنتَ نَبيًّا؟" وأوسَعَهُ الحَرَسُ ضَربًا وتَنكيلاً وهُم يَقودونَهُ خارِجًا.

إنكار بطرس لسيّدنا عِيسَى

[66]وَبَينَما كانَ بُطرسُ جالسًا في باحةِ الدّارِ، حَيثُ كانَ يَتَدفَّأُ حَولَ النّارِ، مَرَّت جارِيَةٌ مِن جَواري رَئيسِ الأحبارِ، [67]فلمّا لَمَحَت بُطرُسَ عَرَفَتهُ وقالَت لَهُ: "أنتَ أيضًا كُنتَ مَعَ عِيسَى النّاصِريّ!" [68]فقالَ: "لا أفهَمُ قَولَكِ ولاَ أعرِفُ مَن ذَكَرتِ". وتَوَجَّهَ خارِجًا إلى مَمَرِّ الدّارِ، وتَزامَنَ ذلِكَ مَعَ صِياحِ الدِّيكِ، [69]إلاّ أنّ الجارِيَةَ أصَرَّت قائلةً للحاضِرينَ مَرّةً ثانِية: "هَذا الرَّجُلُ مِن أتباعِ عِيسَى النّاصِريّ". [70]فأنكَرَ بُطرُسُ ثانيَةً. وبَعدَ ذلِكَ قالَ الحاضِرونَ لِبُطرُسَ: "أنتَ مِنَ الجَليلِ ولا شَكَّ أنّكَ مِن حَوارِيِّيهِ". [71]فأخَذَ يُقسِمُ قائلاً: "اللّعنةُ عليّ إن كُنتُ كاذِبًا، لا أعرِفُ هذا الرَّجُلَ الّذي تَتَحدَّثونَ عَنهُ". [72]وصاحَ الدِّيكُ ثانيَةً، فتأكَّدَت نُبُوءَةُ عِيسَى ﷺ وتَذَكَّرَ بُطرُسُ قولَهُ ﷺ: "سَتُنكِرُني ثَلاثَ مَرّاتٍ، وذلِكَ قبلَ صِياحِ الدِّيكِ مَرّتَينِ". ثُمّ أخَذَ بُطرُسُ يَبكي بِحُرقةٍ.

١٥
الفصل الخامس عشر

السّيّد المسيح عند بيلاطس

[1]ولمّا طَلَعَ الفَجرُ، اجتَمَعَ رُؤساءُ الأحبارِ والعُلَماءُ والشُّيوخُ -أي كُلُّ أعضاءِ المَجلِسِ الأعلى- لِيَتَشاوَروا في أمرِ سَيِّدِنا عِيسَى، ثُمّ قاموا بِتَسليمِهِ وَهوَ مُقَيَّدٌ إلى بيلاطُس، الحاكِمِ الرُّومانيّ على مِنطَقةِ يَهوذا. [2]عِندَئذٍ تَوَجَّهَ بيلاطُسُ إلى عِيسَى ﷺ مُتَسائلاً: "أأنتَ مَلِكُ اليَهودِ؟" فأجابَهُ سَيِّدُنا عِيسَى ﷺ: "قُلتَ الصَّوابَ". [3]ووَجَّهَ

---

(1) يشير سيدنا عيسى ﷺ هنا إلى نبوة دانيال 7: 13، حيث يجلس سيد البشر على العرش بصفته خليفة الله. وقد اعتبر اليهود بدورهم قول السيد المسيح كونه في ذاك المقام الرفيع من حيث القوة والقرب من محضر الله، كفرا يستحقُّ الموت.

إليهِ رُؤساءُ الأحبارِ تُهمًا عديدةً، [4]فنظَرَ إليهِ الحاكِمُ بيلاطُسُ ثانيةً قائلاً: "أما عِندَكَ رَدٌّ على ذلِكَ، ألَم تَسمَعْ ما يُوجِّهونَ إليكَ مِن تُهَمٍ؟" [5]إلاّ أنّ سَيِّدَنا عِيسَى لم يَنبُس بِبنتِ شَفَةٍ وظَلَّ على صَمتِهِ فأخَذَ العَجَبُ مِن بيلاطُسَ كُلَّ مأخَذٍ.

الحكم على المسيح بالموت

[6]وكانَت عادةُ الحاكِمِ بيلاطُس يَومَ العِيدِ، أن يُطلِقَ سَجينًا مِنَ السُّجَناءِ يَقَعُ اختيارُ الشَّعبِ عَليهِ، [7-11]واجتَمَعَ النّاسُ لِيُطلِقَ لهُمُ السَّجينَ الّذي يَختارونَهُ فقالَ لهُم بيلاطُسُ: "هل أُطلِقُ لكُم مَلِكَ اليَهودِ؟" وقد كانَ يَعلَمُ أنّ رُؤساءَ الأحبارِ إنّما سَلَّموا عِيسَى عليه السلام حَسَدًا، فحَرَّضَ الأحبارُ الجمعَ حَتّى يَختاروا باراباسَ أحَدَ السُّجَناءِ لإطلاقِهِ مِن سِجنِهِ، وقَد كانَ في جَماعةٍ مِنَ المُتَمَرِّدينَ ارتَكَبوا جَريمةَ قَتلٍ في إحدى الفِتَنِ. [12]فقالَ لهُم بيلاطُسُ ثانيةً: "وماذا أفعَلُ بالرَّجُلِ الّذي تَدعونَهُ مَلِكَ اليَهودِ إذا أطلَقتُ سَراحَ باراباسَ؟!" [13]فهاجوا ثانيةً وماجوا صائِحينَ: "أُصلُبْهُ!" [14]وسَألَهُم قائلاً: "لِماذا؟ ما الجَريمةُ الّتي ارتَكَبَها؟" فارتَفَعَ صِياحُ الجُمهورِ ثانيةً مُلِحّينَ عَليهِ قائِلينَ: "أُصلُبْهُ! أُصلُبْهُ!" [15]وأطلَقَ الحاكِمُ بيلاطُسُ السَّجينَ باراباسَ إرضاءً لهُم، وسَلَّمَ عِيسَى عليه السلام لِجُنودِهِ فجَلَدوهُ وقادوهُ لِيُصلَبَ.

الجنود يستهزئون بسيّدنا عيسى

[16]وقادَ جُنودُ بيلاطُسَ سَيِّدَنا عِيسَى عليه السلام إلى داخِلِ قَصرِ الحاكِمِ، وجَمَعوا أفرادَ الكَتيبةِ، [17]وألبَسوا سَيِّدَنا عِيسَى عليه السلام لِباسًا أُرجوانيَّ اللَّونِ(1) استهزاءً، ووَضَعوا على رأسِهِ إكليلاً مِن شَوكٍ كانوا قَد ضَفَروهُ لَهُ، [18]ثُمّ حَيُّوهُ ساخِرينَ وقالوا: "السَّلامُ عليكَ يا مَلِكَ اليَهودِ!" [19]وضَرَبوهُ على رَأسِهِ بِعَصًا وبَصَقوا عليهِ، ثُمّ انحَنوا أمامَهُ بِتَهَكُّمٍ، [20]وبَعدَما أوسَعوهُ سُخريةً وتَنكيلاً، نَزَعوا عَنهُ اللِّباسَ الأُرجوانيَّ وألبَسوهُ ثِيابَهُ وقادوهُ إلى الصَّلبِ.

عيسى عليه السلام على الصّليب

[21]وصادَفَ، وهُم يَقودونَهُ عليه السلام إلى الصَّلبِ حامِلاً صَليبَهُ، أن مَرَّ سَمعان مِن مَدينةِ

---

(1) كان اللون الأرجواني حكرًا على الملوك والعظماء، ومن المحتمل أنّ هذا الثوب كان في ملك أحد الجنود ولونه شبيه بالأرجواني. لذلك استعمله الجنود للسخرية من السيد المسيح.

قيرينَ في ليبيا، والدُ إسكندرَ وروفُسَ، وهوَ آتٍ مِنَ الرِّيفِ إلى المَدينةِ، فسَخَّرَهُ الجُنودُ لِحَملِ الصَّليبِ، [22]واقتادوا سَيِّدَنا عِيسَى عليه السلام إلى مَكانٍ يُدعى "جُلجُلثة"، (أي تَلّة الجُمجُمة)، [23]وهُناكَ قاموا بتَقديم خَمرةٍ مَمزوجَةٍ بمادّةٍ مُرَّةِ المَذاقِ لِعِيسَى عليه السلام إلاّ أنّ سَيِّدَنا عِيسَى رَفَضَ شُربَها، (1) [24-25]وفي السّاعةِ التّاسِعةِ صباحًا قامَ الجُنودُ بِصَلبِهِ عليه السلام بَعدَ أن خَلَعوا عَنهُ ثِيابَهُ، وقاموا بِتَوزيعِها فيما بَينَهُم بَعدَ إجراءِ قُرعَةٍ عَليها، [26]وكانوا قد كَتَبوا في لَوحِ الحُكمِ الّذي صَدَرَ بِحَقِّهِ والقاضي بِصَلبِهِ، والّذي تَمّ تَعليقُهُ فَوقَ رَأسِهِ: "مَلِكُ اليَهودِ". [27]وعِندَ صَلبِهِ عليه السلام كانَ هُناكَ اثنانِ مِنَ المُتَمَرِّدينَ، واحِدٌ عَن يَمينِهِ والآخَرُ عَن شِمالِهِ. [28]فتَحَقَّقَ بذلِكَ ما جاءَ في كِتابِ النّبِيِّ أشعيا، "أحصَوهُ مَعَ المُتَمَرِّدينَ". [29]وواجَهَ عِيسَى عليه السلام وَهوَ على الصَّليبِ استِهزاءَ المارّةِ الّذينَ كانوا يُومِئونَ بِرُؤوسِهِم تَعبيرًا عَنِ التّنَدُّرِ بِهِ مُوَجِّهينَ إليهِ شَتائمَ قائِلينَ: "هذا مَصيرُكَ يا مَن ادَّعَيتَ أنَّكَ هادِمُ بَيتِ اللهِ وبانيهِ في ثَلاثَةِ أيّامٍ! [30]وما دامَ أمرُكَ كذلِكَ، فانفَعْ نَفسَكَ بِقُدُراتِكَ تِلكَ وخَلِّصْ نَفسَكَ مِنَ الصَّلبِ!!" [31]ولَم يَقِف أمرُ الاستِهزاءِ بِعِيسَى عليه السلام عِندَ عامّةِ النّاسِ فَقَط، بَل شَمِلَ أيضًا رؤساءَ رِجالِ الدِّينِ وعُلَماءَ التَّوراةِ الّذينَ تَوَجَّهوا إليهِ مُزدَرينَ مُستَهزئينَ قائِلينَ: "أنقَذَ غَيرَهُ وعَجَزَ الآنَ عَن إنقاذِ نَفسِهِ! [32]فإذا كانَ هو المَسيحُ فِعلاً، أي مَلِكُ أُمَّتِنا المُنتَظَرُ، فَليَنهَضْ نازِلاً مِن على الصَّليبِ، وحِينئذٍ نَرى بأعيُنِنا فنُؤمِنَ بِهِ!!" ولَم يَنجُ سَيِّدُنا عِيسَى عليه السلام مِنِ استِهزاءِ أحَدٍ، حَتّى مِن ذَينِكَ المُتَمرّدَيْنِ اللّذَيْنِ كانا يُقاسِيانِ مِثلَ مَصيرِهِ.

موت المسيح عليه السلام

[33]وفَجأةً، مَعَ أنّ الشَّمسَ في كَبِدِ السَّماءِ، ألقى الظّلامُ بظِلالِهِ على الأرضِ إلى حِينِ وَقتِ العَصرِ، [34]عِندئذٍ أخَذَ سَيِّدُنا عِيسَى عليه السلام يَصيحُ بِصَوتٍ مُرتَفِعٍ مُتَوَجِّهًا إلى اللهِ: "ألوي، ألوي، لَما شَبَقْتَني؟" (2) ومَعناها: "إلَهي، إلَهي، لِمَ تَركتَني؟" (3) [35]وعِندَما سَمِعَ الحاضِرونَ ذلِكَ، بَدا لِبَعضِهِم أنّهُ يُنادي النّبِيَّ إلياسَ. [36]فما كانَ مِن أحَدِهِم إلاّ أن أسرَعَ وبَلَّلَ قِطعةً مِنَ الاسفَنجِ بخَمرٍ رَخيصةٍ ورَفَعَها إلى سَيِّدِنا عِيسَى على طَرَفِ قَصَبَةٍ لَعَلّهُ يَشرَبُها فيَنتَعِشَ، وقالَ لِمَن حَولَهُ: "انتَظِروا لِنَرى هَل يَجيءُ النَّبِيُّ

---

(1) قدّم له الجنود هذا الشراب المُرّ لكي يضاعفوا تعذيبه إذ كان يعطش كثيرًا.

(2) هذا الكلام هو باللغة الآرامية.

(3) هذا الكلام من المزمور 22 من مزامير النبي داود عليه السلام.

إلياس فيُنزِلَهُ عَنِ الصَّليبِ" . [37]إلاّ أنّهُ صَرَخَ ﷺ صرخةً مُدوِّيّةً مُسلِّمًا الرُّوحَ . [38]وعلى إثرِ ذلِكَ انشقَّ حِجابُ بَيتِ اللهِ(1) إلى شَطرَيْنِ بِشَقٍّ امتدَّ مِن أعلاهُ إلى أسفَلِهِ . [39]ولمّا رَأى الضّابِطُ الرُّومانيُّ الّذي كانَ واقِفًا قُبالَتَهُ كَيفَ تُوُفِّيَ ، قالَ : "نَعم لقد كانَ هذا الإنسانُ حقًّا الابنَ الرُّوحيَّ لله" . [40]وكان مِمَّنِ اجتَمَعَ حَولَهُ ﷺ مجموعةُ نِساءٍ يَنظُرْنَ إليهِ عَن بُعدٍ ، بينهُنَّ مَريمُ المَجدَليّةُ ، وسالِمةُ ، ومَريَمُ أُمُّ يَعقوبَ الصَّغير ويُوسي ، [41]وهَؤلاءِ هُنَّ اللَّواتي تَبِعنَ سَيِّدَنا عِيسَى ﷺ وقُمنَ بِخِدمَتِهِ عِندَما كانَ في الجَليلِ ، إضافةً إلى كَثيراتٍ مِمَّن كُنَّ قَد صَعَدْنَ مَعَهُ ﷺ إلى القُدسِ .

دفن المسيح ﷺ

[42]وعِندَ اقتِرابِ المَساءِ ، في يَومِ الإعدادِ للسَّبتِ ، [43]قَدِمَ يُوسفُ الرّامي العُضوُ المُحتَرَمُ في مَجلِسِ اليَهودِ ، وكانَ مِمَّن يَترقّبونَ ظُهورَ المَملكةِ الرَّبّانيّةِ ، ودَخَلَ بِجُرأةٍ وإقدامٍ على الحاكِمِ بيلاطُس طالِبًا جُثمانَ عِيسَى ﷺ . [44]فاستَغرَبَ بيلاطُسُ أن يَكونَ ﷺ قد أسلَمَ الرُّوحَ فسَألَ الضّابِطَ المُشرِفَ على عَمليّةِ الصَّلبِ عَن ذلِكَ قائلاً : "هَل مَضى على مَوتِهِ وَقتٌ؟!" [45]فأكَّدَ لهُ الضّابِطُ ذلِكَ ، فما كانَ مِنهُ إلاّ أنِ استَجابَ لِطَلَبِ يُوسفَ . [46]عِندَئذٍ أنزَلَ سَيِّدُنا عِيسَى ﷺ مِن فوقِ الصَّليبِ وأخَذَ يوسِفُ الرّامي يُهَيِّئُ جُثمانَهُ لِيَدفِنَهُ ، بَعدَ أن جَلَبَ الكَفَنَ الكِتّانيَّ وَلَفَّهُ بِهِ ، ووَضَعَ يوسِفُ عِيسَى ﷺ داخِلَ قَبرٍ كانَ قد حُفِرَ في الصَّخرِ ودَحرَجَ على فُتحةِ القَبرِ صَخرَةً سَدَّتهُ . [47]وقد حَضَرَتْ ذلِكَ المَشهَدَ مَريَمُ المَجدَليّةُ وأُمُّ يُوسي اللَّتانِ رَأتا مَدفَنَهُ ﷺ .

١٦
الفصل السّادس عشر

قيامة السّيّد المسيح

[1]وفي المَساءِ ، بَعدَ انقِضاءِ يَومِ السَّبتِ ، قامَت مَريَمُ المَجدَليّةُ ، وسالِمةُ ، ومَريَمُ أُمُّ يَعقوبَ بِشراءِ طِيبٍ لِيَسكُبنَهُ على جُثمانِهِ ﷺ . [2]وفي صَباحِ يَومِ الأحَدِ عِندَ طُلوعِ

---

(1) هذا الحجاب هو ستار صفيق كان يفصل بين المحراب المقدس داخل بيت الله والمحراب الأقدس (قدس الأقدس)، الذي كان يدخله كبير الأحبار مرّة في العام حيث يرشّ دم أُضحية تكفيرًا عن ذنوب شعبه بين يدي الله تعالى. وانشقاق الحجاب كناية عن زوال الحجاب بين الله وعبده.

الشَّمسِ، [3]قَدِمْنَ إلى حَيثُ القَبرُ مُتسائلاتٍ عَمَّن يُساعِدُهُنَّ في إزالةِ الحَجَرِ الكَبيرِ عَن مَدخَلِ القَبرِ، [4]ولكِنّهُنَّ دُهِشنَ عِندَما وَصَلنَ إذ رَأينَ الحَجَرَ قد دُحرِجَ عَن فُتحةِ القَبرِ رَغمَ حَجمِهِ الكَبيرِ. [5]فدَخَلْنَ القَبرَ، فرَأينَ إلى يَمينِهِنَّ مَلاكًا في هَيئةِ شابٍّ جالِسٍ لابِسٍ ثوبًا أبيَضَ، فارتَعَدْنَ لِمَرآهُ، [6]ولكنّهُ خاطَبَهُنَّ قائلاً: "لا تَخَفْنَ! أنتُنَّ تُرِدْنَ عِيسَى النّاصِريّ الّذي صُلِبَ، إلاّ أنّهُ لَيسَ هُنا، فقَد بَعَثَهُ اللهُ حيًّا! أنظُرْنَ! لقد أصبَحَ المَكانُ الّذي كانَ مَوضوعًا فيهِ خاليًا، [7]وما عَليكُنَّ إلاّ أن تَذهَبْنَ إلى أتباعِهِ وإلى بُطرُسَ بِوَجهٍ خاصٍّ، وتُخبِرْنَهُ بأنّ عِيسَى عليه السلام سَيَسبِقُكُم إلى الجَليلِ، وهُناكَ ستَرَوْنَهُ كما أخبَرَكُم قَبلَ صَلبِهِ" . [8]فخَرَجْنَ مِن عِندِ القَبرِ وهَرَبْنَ مِن شِدّةِ فَزَعِهِنَّ وارتباكِهِنَّ، وَلِشِدّةِ خَوفِهِنَّ لم يَتَحَدَّثْنَ مَعَ أيِّ إنسانٍ عَمّا حَصَلَ مَعَهُنَّ.

السّيّد المسيح يظهر لمريم المجدليّة

[9]وبَعدَ قِيامَتِهِ عليه السلام صَباحَ الأحَدِ، ظَهَرَ أوّلاً لمَريمَ المَجدَليّةِ الّتي سَبَقَ أن أخرَجَ مِن جَسدِها سَبعةَ شياطين، [10]فما كانَ مِنها إلاّ أن تَوَجَّهَت إلى أتباعِهِ الّذينَ كانوا يَنتَحِبونَ لتُخبِرَهُم بأنّهُ بُعِثَ حَيًّا [11]وأنّها شاهَدَتْهُ، ولكِنّهُم لم يُصَدِّقوها.

السّيّد المسيح يظهر لاثنين من أتباعه

[12]وبَعدَ ذلِكَ ظَهَرَ سَيِّدُنا عِيسَى عليه السلام لاثنَينِ مِن أتباعِهِ عِندَما كانا في طَريقِهِما مِنَ القُدسِ إلى الرِّيفِ، ولم يَعرِفاهُ في البِدايةِ لأنّ اللهَ حَجَبَ عنهُما مَعرِفَتَهُ. [13]وعِندَما عَرَفاهُ، انقَلَبا عائدَيْنِ وأخبَرا باقي الأتباعِ، فكَذَّبوهُما تكذيبًا.

السّيّد المسيح يظهر لحواريّيه الأحد عشر وهم يتناولون الطعام

[14]وأخيرًا، ظَهَرَ سَيِّدُنا عِيسَى عليه السلام لحوارِيِّيهِ الأحَدَ عَشَرَ عِندَما كانوا يَتناوَلونَ الطَّعامَ، فأنَّبَهُم على عِنادِهِم وقِلّةِ إيمانِهِم وعَدَمِ تَصديقِهِم لمَن شاهَدوهُ بَعدَ قِيامَتِهِ، [15]وأمَرَهُم قائلاً: "طوفوا على جَميعِ النّاسِ في العالَمِ، وزُفّوا البُشرى: [16]مَن يُؤمِنُ بي ويَتَطَهَّرُ بالماءِ فَهوَ مِنَ النّاجينَ، وأمّا مَن لا يُؤمِنُ بي، فسَوفَ يُدينُهُ اللهُ على ذلِكَ. [17]وسَتَكونُ للمُؤمنينَ بي كَراماتٌ وآياتٌ للنّاسِ: فسَيَطرُدونَ الشَّياطينَ بِاسمي، وسيتحَدَّثونَ بلُغاتٍ غَريبةٍ عَنهُم، [18]وسَتَكونُ لَهُمُ القُدرةُ على الإمساكِ بالحَيّاتِ دونَ أن تُؤذِيَهُم، ولئِن دَخَلَ جِسمَ أحَدِهِم سُمٌّ فَلَن يَضُرَّهُم، وسَتَكونُ لهُمُ القُدرةُ على شِفاءِ المَرضى بِلَمسِهِم" .

صعود السّيّد المسيح إلى السّماء

[19]ثُمّ رُفِعَ بَعدَ ذلِكَ سَيِّدُنا عِيسَى ﷺ إلى السَّماءِ، لِتَكونَ لهُ مَكانةٌ رَفيعةٌ عِندَ رَبِّهِ، بأن جَلَسَ عَن يَمينِهِ عَزَّ وَجَلَّ. [20]وأمّا أتباعُهُ، فقَدِ انتَشَروا في جَميعِ الأنحاءِ يُبَشِّرونَ بِرِسالتِهِ، وأيَّدَهُم سَيِّدُنا ﷺ بِمُعجِزاتٍ تُبرهِنُ على صِدقِ كَلامِهِم.

مدخل إلى إنجيل لوقا

كان لوقا طبيبا واسع الاطّلاع على الثقافة الإغريقية. وكان شديد الارتباط بحواريي السيد المسيح، ورفيقا حميما للحواري بولس، إذ عمل معه على نشر رسالة سيدنا المسيح، وبقي ملازما له في روما بعد أن هجره الآخرون. وقد يكون لوقا كتب سجلّه للوحي بعد انتشار سجلّ مرقس بين الناس. ويحتوي سجل لوقا للوحي على معظم الأمور التي ذكرها مرقس في سجلّه، لذلك تستحسن قراءة المعلومات الواردة في المدخل إلى مرقس، لأنّها تنطبق على لوقا أيضا.

بالرغم من ذلك، يتضمّن سجلّ لوقا أمورا غير مذكورة في مرقس. وهو موجّه إلى شخص اسمه ثيوفيلوس (حبيب الله)، كان على الأرجح ذا مكانة وثروة مميّزين، بحيث سيكون من السهل انتشار كلمة الله من خلاله بين أشخاص آخرين ذوي مكانة وثقافة عاليتين في المجتمع الروماني. فالتفاصيل والظروف التاريخية المؤطّرة لرسالة سيدنا عيسى، والتي لا توجد إلاّ في هذا السجلّ ساعدت على إقناع هذه الفئة المثقّفة بحقيقة الروايات التي كانت تتداول شفهيّا عن السيّد المسيح ﷺ. كما أنّ هناك أمورا أخرى اختصّ لوقا بذكرها لجعل الأغنياء يدركون رحمة الله بالفقراء، وكيف أنّه لا يمنح الثروة المادية لأجل مصلحة المرء الشخصية، بل من أجل استخدامها لمساعدة آخرين.

ويحتوي سجل لوقا عدّة مقاطع توضّح معنى أن يكون المرء بحقّ تابعا للسيد المسيح، مشيرا ليس فقط إلى الثمن الباهظ الذي يتطلّبه هذا الالتزام، بل أيضا إلى حياة البركة التي سوف ينعم بها المؤمن في الآخرة. كما يوضّح هذا السجلّ أنّ رحمة الله تشمل ليس فقط اليهود الذين يعتبرون أنفسهم شعب الله، بل أيضا جميع الناس على اختلاف أعراقهم ممّن يسعون إلى رضا الله وطاعته من خلال الإيمان بسيدنا عيسى المسيح مُنقذًا للبشر، وخليفةَ لله.

نسب السيد المسيح من أمه مريم كما ورد في سجل لوقا

عيسى (ع)،
عالي، متثات، لاوي،
ملكي، ينّا، يوسف،
متاتيا، عاموص، ناحوم، حسلي،
نجّاي، مآث، متاتيا، شمعي، يوسف،
يهوذا، يوحنّا، ريسا، زربابل، شألتئيل،
نيري، ملكي، أدّي، قوصام، ألمودام،
عار، يشوع، عزير، يوريم، متثات، لاوي،
شمعون، يهوذا، يوسف، يونس، ألياقيم، مليا، منّا،
متاثا، ناثان، داود (ع)، يسّي، عوبيد، بوعز،
سالم، ناحش، عميناداب، آرام، حاصر، فارص، يهوذا،
يعقوب (ع)، إسحاق (ع)، ابراهيم (ع)، تارح، ناحور،
سروج، راعو، فالج، عابر، شالح، قينان، أرفكشاد،
سام، نوح (ع)، لامك، متوشالح، ادريس (ع)،
يارد، مهلليل، قينان،
أنوش،
شيت، آدم (ع).

بسم الله تبارك وتعالى

الإنجيل الشّريف
الوحيُ الذّي سجّله لوقا الطبيبُ

١
الفصل الأوّل

مقدّمة

[1]حَبيبَ اللهِ،(1) أيُّها العَزيزُ: دَوَّنَ الكَثيرونَ سِيرةَ سَيِّدِنا عيسى بِن مَريمَ ﷺ، [2]الّتي تَمَّت كَما شاءَ لها اللهُ، وكَما تَحَدَّثَ عنها مَن عايَشوها، وكانوا على أحداثِها شُهودًا، ولرِسالَتِهِ ﷺ دُعاةً. [3]ولَقد رَأيتُ بَعدَ تَمحيصٍ صَحيحٍ لِما وَرَدَ فيها، وتَدقيقٍ في أُصولِها، أن أُعيدَ تَدوينَها كَما جَرَت، مُراعِيًا تَسلسُلَ أحداثِها، [4]كي تَزدادَ إيمانًا ويَقينًا يا حَبيبَ اللهِ، بَعدَ أن عَلِمتَ عِلمَ اليَقينِ كُلَّ ما أحاطَ بتِلكَ الرِّسالةِ وبِصاحِبِها مِن أُمور.

البشارة إلى زكريّا عليه السلام

[5]في زَمَنِ المَلِكِ هيرودُسَ الكَبيرِ(2) مَلِكِ مِنطقةِ يَهوذا، عاشَ زَكَريّا عليه السلام وهو رَجُلُ دينٍ مِن أحْبارِ جَماعةِ آبيّا بِنِ هارونَ وزَوجَتُهُ أَليصاباتُ المُنحَدِرةُ أيضًا مِن سُلالةِ النَّبيِّ

(1) إنّ كلمة "ثيوفيلوس" تعني باليونانية حبيب الله. وهي تشير عند بعض المفسّرين إلى كلّ مؤمن مخلص من أتباع السيّد المسيح. وتَعني عند غيرهم اسمًا لنبيل من نبلاء الرومان أنفق من ماله في سبيل تدوين هذه البشارة.

(2) تمّ تنصيب هيرودس الكبير ملكًا على اليهود عند احتلال الرومان لفلسطين. واستولى على مملكة يهوذا في العام 37 ق.م. وتوفّي بعد ظهور السيّد المسيح بقليل. وعلى رغم كونه أدوميًا وليس يهوديًا، فقد حاول التقرّب من الشعب اليهودي من خلال إعادة بناء بيت الله بالقدس (الهيكل). وتقع يهوذا وسط فلسطين وكانت تحيط بمدينة القدس.

هارونَ عليه السلام .(1) [6]وكانَ الزّوجانِ صالحَيْنِ يُقيمانِ شَرعَ اللهِ ويَتّبِعانِ تَعاليمَهُ، فَحازا رِضاهُ تَعالى. [7]إلاّ أنّ الزّوجةَ كانَت عاقِرًا، فَلم يُرزَقا وَلَدًا حتّى بَلَغا مِن الكِبَرِ عِتِيًّا.

[8]وجاءَ يومٌ كانَ فيهِ زَكَريّا عليه السلام يَقومُ بِشَعائرِ رِجالِ الدِّينِ على عادَتِهِ في بَيتِ اللهِ(2) مَعَ مَجموعَتِهِ مِنَ الأحبارِ [9]فَوَقَعَت عليهِ القُرعةُ في ذلِكَ اليوم لِلدُّخولِ إلى المِحرابِ المُقدَّسِ في بَيتِ اللهِ لِيُشعِلَ البَخورَ في الوَقتِ المُحدَّدِ.(3) [10]وعِندَ دُخولِهِ، وبَينَما كانَ المؤمنونَ يُصَلّونَ في الحَرَمِ، [11]تَجلّى لهُ مَلاكٌ على يَمينِ مَوقدِ البَخورِ، [12]فأثارَ ذلِكَ اضطِرابَهُ واستَولى عليهِ الخَوفُ. [13]ولَكنّ المَلاكَ خاطَبَهُ قائلاً: "لا تَخَفْ يا زَكَريّا! لقد استَجابَ اللهُ لِدُعائِكَ الّذي طَلَبتَ فيهِ الذُّرّيّةَ، وستَحمِلُ امرأتُكَ أَليصاباتُ صَبيًّا، وسَتَلِدُهُ لكَ، فسَمِّهِ يَحيى. [14]وسيَغمُرُكَ والكَثيرينَ الفَرَحُ والسُّرورُ، [15]وسيَكونُ لهذا الصَّبيِّ مَقامٌ رَفيعٌ عِندَ رَبِّهِ، إذ سيَحظى بفَيضٍ مِن رُوحِ اللهِ وهو في بَطنِ أُمِّهِ، ولَن يَشرَبَ الخَمرَ أو غَيرَها مِن المُسكِرات في حياتِهِ،(4) [16]وسَيَتَقدّمُ أمامَ مَولاهُ ويَكونُ هادِيًا مُرشِدًا لِمَن ضَلَّ مِن بَني يَعقوبَ، [17]ومُؤيِّدًا مِثلَ النَّبيِّ إلياسَ بِروحِ اللهِ وبِسُلطانٍ مُبينٍ يُعيدُ بِهِ الأُلفةَ والمَحبّةَ بَينَ الآباءِ والأبناءِ، رادًّا العاصينَ إلى الحِكمَةِ والصَّلاحِ، وبذلِكَ تَلينُ بِكلامِهِ قُلوبُهُم فَيَتوبونَ لِرَبِّهِم".

---

(1) وهما ينحدران من عائلات أحبار (رجال دين). وقد قام النبي داود بتنظيم أحفاد النبي هارون ضمن 24 جماعة. وكان لكلّ جماعة دورُها في خدمة بيت الله، وفرقة (آبيّا) كانت الثامنةَ في تلك المجموعات.

(2) بيت الله (ويُدعَى في بعض الأحيان الهيكل) هو الذي أمر الله النبي سليمان ببنائه في القدس حوالي العام 959 ق.م. وهو يستعمل عوضًا عن الخيمة المقدّسة التي أمر الله النبي موسى بنصبها لتكون مكانًا يتعبّد فيه بنو يعقوب ويقدّمون فيه الأضحيات والذبائح والقرابين لله. وقد هُدم البيت الذي بناه النبي سليمان من قبل البابليين، والبيت الذي كان موجودا في عصر السيد المسيح كان قد بناه الملك هيرودس الكبير.

(3) وهذا المكان هو موضع مقدّس داخلَ بيت الله، لا يجوز أن يدخله إلاّ رجال الدين (الأحبار) في أوقات معيّنة من النهار. وكان مِن واجبات الأحبار إشعالُ البخور يوميًا على مبخرة داخل المكان المقدس وذلك عند تقديم الذبائح صباحًا ومساءً.

(4) لم يكن الخمر محرّمًا تحريمًا كليًّا على اليهود، وإنما خصّص الله النبي يحيى للامتناع عن شرب الخمر زُهدًا في الدنيا. وفي بواكير أيّام بني يعقوب كان هناك جماعة تسمّى بالنُّذر (أي المنذورين) تعهّدت فيما تعهّدت به أن لا تشرب الخمر. وقد ظنّ البعض أنّ النبي يحيى واحد من تلك الجماعة، بناءً على قول الملاك هنا.

[18]وسأَلَ زَكَريّا عليه السلام المَلاكَ: "أنّى يَكونُ ذلِكَ وقد بَلَغني وامرَأتي الكِبَرُ؟" [19]فأجابَهُ المَلاكُ: "إنّي أنا جِبريلُ المَلاكُ المُقرَّبُ مِنَ اللهِ، أُرسِلتُ إليكَ بالبُشرى. [20]ولأنّكَ شَكَكتَ في صِدقِ البُشرى، فستَخضَعُ للصَّمتِ الإجباريّ إلى ما بَعدَ وِلادةِ ابنِكَ، فتَتَحقَّقُ البُشرى في أَوانِها".

[21]وكانَ جَميعُ مَن في الخارجِ في ساحةِ بَيتِ اللهِ في دَهشةٍ مِن تأخُّرِ زَكَريّا داخِلَ المَكانِ المُقدَّسِ، إذ طالَ مُكوثُهُ فيهِ، [22]ولمّا خَرَجَ عليهِم، لم يَستَطِعْ التَّحدُّثَ إليهِم لأنّهُ أُلجِمَ عنِ الكَلامِ، فأخَذَ يُخاطِبُهُم بالإشارةِ، فعَرَفَ الجَميعُ حينئذٍ أنّ زَكَريّا عليه السلام قد أتَتْهُ رُؤيا مِن اللهِ في المِحرابِ المُقدَّسِ. [23]وعِندَما انتَهَت فَترةُ خِدمةِ زَكَريّا عليه السلام في بَيتِ اللهِ باعتِبارِهِ أحَدَ الأحبارِ،(1) عادَ إلى مَنزِلِهِ. [24]وبَعدَ فَترةٍ نَفَذَ أمرُ اللهِ، وحَمَلَت أَليصاباتُ بيَحيى عليه السلام، فاعتَزَلَت النّاسَ خَمسَةَ أشهُرٍ، وحَدَّثَت نَفسَها قائلةً: [25]"هذا ما فَعَلَهُ اللهُ مِن أجلي، فقدْ مَنّ عليَّ مِن فَضلِهِ، فأزالَ عنّي إذلالَ النّاسِ لي بِسَبَبِ عُقمي".

البشرى لمريم عليها السلام

[26]ولمّا بَلَغَت أَليصاباتُ شَهرَها السّادِسَ مِنَ الحَملِ، أرسَلَ اللهُ المَلاكَ جبريلَ إلى بَلدةِ النّاصِرة في الجَليلِ، [27]إلى فَتاةٍ عَذراءَ اسمُها مَريمُ كانَ قِرانُها قد عُقِدَ لِرَجُلٍ مِن سُلالةِ النّبيِّ داوُدَ، اسمُهُ يوسفُ.(2) [28]فجاءَها قائلاً: "السَّلامُ عليكِ يا مَن أنعَمَ اللهُ عليها مِن بَينِ النِّساءِ، مُبارَكةٌ أنتِ بَينَهُنّ، مَولانا مَعكِ!"(3) [29]فاضطَرَبت مَريمُ مِن كَلامِهِ، وتَساءَلت في نَفسِها عن مَعنى هذهِ التَّحيّةِ، [30]فبَدّدَ المَلاكُ اضطِرابَها مُجيبًا: "لا تَخافي يا مَريمُ، فإنّ اللهَ تَعالى قد رَضِيَ عنكِ، [31]وستَحملينَ بِطِفلٍ تَلدينَهُ وتُسَمّينَهُ

---

(1) كان من واجب كلّ رجلٍ من رجال الدين (الأحبار) قضاء بعضِ الوقت من السنة مع جماعته في خدمة بيت الله في القدس.

(2) وهو ينحدر من سلالة النبي داود الذي كان يُعتبَر من أعظم ملوك بني يعقوب. وقد تنبّأ النبي أشعيا وآخرون من الأنبياء (وذلك بعد وفاة النبي داود عليه السلام) بأنّ المسيحَ سيكون من سلالة النبي داود.

(3) تشير جملة "مولانا معك" إلى نوع من التحيّة وهي الأولى من نوعها في ذلك الزمن، وتوحي بوجود السيد المسيح مع مريم العذراء (عليها السلام) لتأييدها ومساندتها، ممّا جعلَها تضطرب عند سماعها لهذه التحيّة. ولكنّ هذه التحيّة أصبحت فيما بعد متداولةً بين جميع المؤمنين مِن أتباع السيد المسيح.

عيسى[1] 32–33ويكونُ شأنُهُ عَظيمًا، وسيَحظى بلَقَبِ الابنِ الرُّوحيِّ للهِ العَليِّ،[2] ويُوَلّيهِ اللهُ عَرشَ سَلَفِهِ النَّبيِّ داودَ فيكونُ مَلِكًا على بَني يَعقوبَ وتَدومُ مَملَكَتُهُ إلى الأبَدِ".

34وسألَت مَريمُ (عَلَيهَا السَّلَامُ) المَلاكَ جِبريلَ قائلةً: "كَيفَ أَحمِلُ بِوَلَدٍ ولم يَمسَسْني بَشَرٌ؟ وأنا عَذراءُ بَتولٌ؟!" 35فأجابَها جِبريلُ: "سَتَنعَمينَ بحُلولِ رُوحِ اللهِ عليكِ، وستَكونينَ مَحميةً مُظَلّلةً بقوّةِ اللهِ ورِعايتِهِ. ولِهذا السَّبَبِ سيُدعَى مَولودُكِ المَنذورُ الابنَ الرُّوحيَّ للهِ، وما هذا على اللهِ بِعَسيرٍ، 36فها هي قَريبتُكِ أَليصاباتُ قد مَنّ اللهُ عليها بالذُّرّيّة وهي عَجوزٌ عاقِرٌ، وهي الآنَ في الشَّهرِ السّادسِ مِن حَملِها، 37فإنّ اللهَ على كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ". 38فقالَت مَريمُ (عَلَيهَا السَّلَامُ)، مُسَلِّمةً لله: "إنّي أَمَةُ اللهِ راضيةٌ بمَشيئتِهِ". وحينئذٍ تركَها جِبريلُ ومَضى.

مريم (عَلَيهَا السَّلَامُ) تزور أليصابات

39وسارَعَت مَريمُ بَعدَ ذلِكَ إلى بَلدةِ زَكَريّا (عَلَيهِ السَّلَامُ) في مِنطقةِ يَهوذا الجَبَليّةِ.[3] 40ولمّا دَخَلَت بَيتَهُ ألقَتْ السّلامَ على أليصاباتَ. 41وما إن سَمِعَت أليصاباتُ صَوتَها حتّى أحَسَّت بالجَنينِ يَتَحَرّكُ بشِدّةٍ في أحشائِها، وحَظِيَت بحُلولِ رُوحِ اللهِ عليها، 42–45فهَتَفَت عاليًا مُخاطِبةً مَريمَ (عَلَيهَا السَّلَامُ):

مُبارَكَةٌ أنتِ بَينَ النِّساءْ — وبُورِكَ مَن في غَدٍ تَلِدينْ
أَتَت أُمّ مَولاي يا لَلبَهاءْ — وقد حَمَلَتْ بالمَليكِ المَكينْ
فَمُذ سَمِعَتْ أُذنايَ النِّداءْ — هَفا فَرَحًا في حَشايَ الجَنينْ
هَنيئًا لِمَن حَمَلَت بالرَّجاءْ — وقد رَأَت الوَعدَ عَينَ اليَقينْ

(1) واسمه بالعبرية هو "يشوع" الذي معناه "إنقاذ" أو "نجاة".

(2) ستَرد هذه العبارةُ كثيرًا وهي تقابل "ابن الله" في الترجمات العربية التاريخية، ولكنّها لا تشير مطلقًا إلى التناسل. حاشا لله! إنّما هذا لقب مجازي يشير إلى الملك المختار الذي يجب أن يكون من سلالة النبي داود. هذا ما قصده لوقا الذي سجّل الوحيَ وهذا أيضًا ما كان يفهمه السامعون من اليهود آنذاك. لمزيد من المعلومات حول هذا اللّقب، يُمكن العودة إلى فهرس المصطلحات والأسماء.

(3) وهي منطقة في وسط فلسطين تحيط بالقدس. ومعظم مناطق يهوذا جبلية، لذا من الصعب تحديد المكان الذي عاش فيه زكريا (عَلَيهِ السَّلَامُ) وأليصابات بدقّة.

تسبيحة مريم عليها السلام

46وقالَت مَريمُ في خُشوعٍ:

لكَ الحَمدُ مِن مُهجَتي يا رَحيمْ
47ويا بِشْرَ رُوحي بِرَبِّ النَّجاةْ
48 لِذُلّي نَظَرتَ بِعَينِ الحَليمْ
فبارَكَني النّاسُ ماضٍ وَآتْ
49 نَذَرتَ حَياتي لِشأنٍ عَظيمْ
وعَمَّتْ قَداسَتُكَ الجَنَباتْ
50 وجيلاً فجيلاً رَحِمتَ القَويمْ
51 وأعلَيتَ صَرحَكَ فَوقَ البُناةْ،
كَسَرتَ تَكَبُّرَ كُلِّ لَئيمْ
وتَوَّهتَهُ في صَحارى الشّتاتْ
52 وطَوَّحتَ أرضًا بِعَرشِ الزَّعيمْ
وأكرَمتَ مَن لَفَظَتْهُ الحَياةْ
53 وأشبَعتَ بِالخَيرِ جوعَ السَّقيمْ
وأرجَعتَ أيدي الغِنَى فارِغاتْ
54 لأبناءِ يَعقوبَ عَهدٌ قَديمْ
حَفِظْتَهُ يا رَبَّ ذا المَكرُماتْ
55 وإبراهيمُ ذاكَ النَّبيّ الكَريمْ
أدَمتَ على نَسلِهِ الرَّحَماتْ(1)

56وأقامَت مَريمُ (عليها السلام) عِندَ أليصاباتَ نَحوَ ثَلاثةِ أشهُرٍ ثُمّ عادَت إلى بَيتِها.

ولادة النّبيّ يحيى

57وعِندَما حانَ مَوعِدُ وِلادةِ أليصاباتَ وجاءَها المَخاضُ، وضَعَت مَولودًا ذَكَرًا.
58وعَرَفَ مَن حَولَها مِن الأقرباءِ والجيرانِ أنّ اللهَ تَلَطَّفَ بها في ذلِكَ، ففَرِحوا لها.
59وبَعدَ أُسبوعٍ مِن الوِلادةِ، قامَت جَماعةٌ مِنهم بِخِتانِهِ.(2) ثُمّ اختاروا لهُ اسمًا هو اسمُ
أبيهِ زَكَريّا تَيَمُّنًا، 60ولكنّ أُمَّهُ أشارَت قائلةً: "بل نُسَمّيهِ يَحيى". 61فاعتَرَضوا على
ذلِكَ الاسم قائلينَ: "لَيسَ بَينَ أهلِكِ مَن لهُ هذا الاسمُ". 62والتَفَتوا إلى أبيهِ لِيَسألوهُ
بالإشارةِ -وكانَ ما يَزالُ مَعقودَ اللِّسانِ- عن اسمٍ للمَولودِ، 63فطَلَبَ زَكَريّا عليه السلام لوحًا
وكَتَبَ عليهِ "اسمُهُ يَحيى". فأصابَت الجَميعَ دَهشةٌ. 64وحَرَّكَ زَكَريّا شَفَتيهِ وانطَلَقَ

---

(1) رحمات لنسل إبراهيم: هذا إشارة إلى قوم بني يعقوب الذين يعودون بنسبهم لإبراهيم وسارة. وقد أعطى الله النبيَّ إبراهيم عهدًا وميثاقًا مئات السنين قبل مولد السيد المسيح، وأقرّ النبي إبراهيم بالإيمان بالله، ووعد اللهُ إبراهيمَ بأن يكون هو وسارة أبوَيْ شعب عظيم.

(2) جاء في التوراة وجوب ختانِ كلّ مولود ذكر بعد مضيّ أسبوع على مولده، وذلك طبقًا لما أمر الله به النبي موسى والنبي إبراهيم من قبله، ومن شذّ عن ذلك فلن يكونَ من ملّته.

لِسانُهُ بالتَّسبيحِ وبالحَمدِ للهِ. 65ورانَ الخُشوعُ على الجَميعِ، وتَناقَلَ، بَعدَ ذلِكَ، سُكّانُ مِنطقةِ جِبالِ يَهوذا هذِهِ الأخبارَ، 66وأخَذوا يَتساءَلونَ: "أيُّ شأنٍ سيَكونُ لهذا المَولودِ، وقد خَصَّهُ اللهُ بكُلِّ هذِهِ الرِّعايةِ؟"

زكريّا يسبّح ويحمد ربّه

67وحَظِيَ زَكَريّا عليه السلام بفَيضٍ مِن رُوحِ اللهِ، فأخَذَ يُخبِرُ بالنَّبإِ الجَليلِ مُنقادًا بالرّوحِ:(1)

٦٨ تَبارَكتَ يا رَبُّ أُمّتِنا — فِداءً وعَونًا مَنَحتَ العِبادْ
٦٩ أقَمتَ لنا مُنقِذًا قادِرًا — سَليلاً لداودَ إرثِ السَّدادْ
٧٠ وَفاءً لِوَعْدِكَ مُنذُ القَديم — كَما أخبَرَ الأنبياءُ العِبادْ
٧١ لتُنقِذَ شَعبي مِن الحاقِدينَ — ومِن قَبضةِ الظّالِمينَ الشِّدادْ
٧٢ وتُخْلِصَ وَعدَكَ آباءَنا — وتَحفَظَ كُلَّ عُهودِ الوِدادْ
٧٣ أبونا الخَليلُ حَلَفتَ لهُ — ٧٤ بأن تَفتَدينا لِكَي لا نُبادْ
فنأتي إليكَ بقَلبٍ سَليم — ٧٥ ونَبقى مَدى العُمرِ أهلَ رَشادْ
٧٦ وأنتَ، أيا وَلَدي، يا بُنَيَّ — ستُدعى نَبيًّا لرَبِّ العِبادْ
ستُدعى نَبيًّا لذاكَ العَليّ — وتَسلُكَ قَبلَهُ دَربَ المَهادْ
٧٧ وتُعلِنُ للشَّعبِ بُشرى النَّجاةِ — بمَغفِرةٍ مِنهُ أنّى أرادْ
٧٨ فرَبُّ الأنامِ اللّطيفُ الرَّحيمُ — سيَبعَثُ مُرسِلَهُ للبِلادْ
٧٩ بنورٍ يُضيءُ قَتامَ الظَّلامِ — ويُحيي قُلوبًا عَراها الفَسادْ
ويُرشِدُنا لسَبيلِ السَّلامِ — لكي لا نُضَيِّعَ دَربَ السَّدادْ.

80ولَمّا بَلَغَ يحيى عليه السلام أشُدَّهُ رُوحًا وجَسَدًا، آثَرَ الحَياةَ بَعيدًا في الخَلاءِ، مُنقَطِعًا في البَراري عن النّاسِ،(2) حتّى أظهَرَهُ اللهُ على قَومِهِ بَني يَعقوبَ بِبَلاغِهِ المُبينِ.

(1) انظر الملحوظة في لوقا 16: 9 عن الشعر.

(2) كان النبيّ يحيى يقيم على الأرجح في منطقة في صحراء يهوذا تقع بين القدس والبحر الميت.

٢
الفصل الثّاني

ولادة عيسى ﷺ

[1]وانقَضت بَعدَ هذِهِ الأحداثِ فَترةٌ مِن الزَّمَنِ، قامَ فيها القَيصرُ أغُسْطُس(1) بإصدارِ مَرسومٍ لإحصاءِ سُكّانِ إمبراطوريّتِهِ،(2) [2]وتَمَّ إجراؤهُ قَبلَ زَمَنِ وِلايةِ كيرينيُوسَ الرُّومانيِّ على بِلادِ الشّام. [3]ووُجِّهَ كُلُّ فَردٍ إلى بَلَدِ أسلافِهِ لأجلِ الإحصاءِ، [4–5]وتَرَكَ يُوسفُ وهو مِن آلِ داودَ، لهذا السَّبَبِ النّاصرةَ في الجَليلِ مُتَوَجِّهًا إلى بَيتَ لَحمَ في مِنطقةِ يَهوذا، بَلدةِ النّبيِّ داودَ ﷺ مَعَ خَطيبَتِهِ مَريمَ (عليها السلام)(3) وقد كانَت تَحمِلُ أمرَ اللهِ في أحشائِها. [6]وحانَ وَقتُ وَضعِها وهُما في بَيتَ لَحم. [7]فوَضَعَت بِكرَها ثُمّ لَفّتْهُ وأنامَتْهُ في مِعلَفٍ لأنّ غُرفةَ الضُّيوفِ ضاقَت بِهِم.(4)

إعلان ولادته ﷺ

[8]وكانَ في مِنطقةِ بَيتَ لَحمَ رُعاةٌ يَبيتونَ في المَراعي ليَحرِسوا قُطعانَهُم في اللّيلِ. [9]وفَجأةً ظَهَرَ لهُم مَلاكٌ وغَمَرَهُم نورٌ مِن اللهِ وجَلالٌ، فارتاعوا مِن ذلِكَ، [10]ولكنّ المَلاكَ طَمأنَهُم قائلاً: "لا تَفزَعوا فإنّما جِئتُ لأُبَشِّرَكُم بهذا النَّبأ العَظيمِ الّذي سيَفرَحُ بِهِ كُلُّ الشَّعبِ! [11]اليَومَ وُلِدَ مُنقِذُكُم في بَلدةِ النَّبيِّ داودَ! وُلِد المَسيحُ المُنتَظَرُ

(1) كان أغسطس امبراطور روما حين ولادة سيدنا عيسى ﷺ. وقد كان الرومان في زمنه يسيطرون على معظم مناطقِ حوضِ البحر المتوسط.

(2) وذلك لإجبار كل شخص ممّن شمله الإحصاء على دفع الجزية.

(3) كان من عادة اليهود في تلك الأيّام أن يُعقد قران الرجل على البنت قبل الزّفاف بوقت. وحسب الوحي الذي سجّله متّى، فإنّه عندما علم يوسف النجّار (وهو غير النبي يوسف ﷺ الذي عاش بين حوالي 1700 و1500 عام قبل الميلاد) بحمل خطيبته قبل أن يدخل بها، أراد أن يطلّقها سرًا لكي لا يفضحها. لكنّ الله أرسل إليه ملاكا يأمره بأن يُبقي على مريم كزوجة له ويضمّها إلى داره ولكن بدون أن يدخل بها كزوجة حتّى تلد ابنها البكر.

(4) الكلمة اليونانية التي تُترجم بـ"غرفة الضيوف" قد تترجم أيضا بكلمة "فندق" أو "نزَل" كما في بعض ترجمات الإنجيل. مع ذلك، يفضّل علماء الإنجيل أن يترجموا الكلمة اليونانية بـ"غرفة الضيوف" في هذا السياق، لأنّها تلائم العادات والتقاليد في تلك الأيّام.

مَولاكُم،(1) [12]وسأدُلُّكُم عليهِ، إنّهُ مَولودٌ مُقمَّطٌ مَوضوعٌ في المِعلَفِ". [13]ثُمّ بَدا فَجأةً مَعَ هذا المَلاكِ طائفةٌ مِن المَلائكةِ آخَرونَ يُسَبِّحونَ اللهَ رَبَّ العالَمينَ [14]قائلينَ: "سُبحانَ اللهِ في عُلاهُ، وسَلامُهُ على النّاسِ في الأرضين، ورِضاهُ على مَن نالَ مِنهُ الرِّضَى".

[15]وعادَ المَلائكةُ إلى السَّماءِ فأخَذَ الرُّعاةُ يَتَناجَونَ فيما بَينَهُم قائلينَ: "لِنَذهَبْ إلى بَيتَ لَحمَ ونَرَ هذا الحَدَثَ الّذي أنبأنا اللهُ بِهِ". [16]وأسرَعوا إلى بَيتَ لَحمَ، فوَجَدوا مَريمَ (عليها السلام) ويُوسفَ ومَعَهُما الطِّفلُ نائمًا في المَعلَفِ. [17]فتَوَجَّهوا إلى النّاسِ مُخبِرينَ بنَبأ هذا الطِّفلِ الّذي زَفَّهُ إليهِم المَلاكُ، [18]فأخَذَت الدَّهشةُ كُلَّ الحاضِرينَ. [19]إلاّ أنّ مَريمَ (عليها السلام) احتَفَظَت في نَفسِها بِكُلِّ ما مَرَّ بها وكانَت دائمًا تَستَرجِعُهُ مُتَأمّلةً، [20]وعادَ الرُّعاةُ أدراجَهُم مُرَدِّدينَ: "الحَمدُ للهِ على ما سَمِعنا ورَأينا، فقد كانَ ما أنبأنا بِهِ المَلاكُ حقًّا".

ختان عيسى

[21]ولَمّا كانَ اليومُ الثّامنُ مِن عُمرِ الوَليدِ، حانَ وَقتُ خِتانِهِ،(2) وأُطلِقَ عليهِ اسمُ عيسى كَما أخبَرَ المَلاكُ مَريمَ (عليها السلام) عِندَما بَشَّرَها بخَبرِ حَمْلِها. [22]وعِندَ تَمامِ فَترةِ نِفاسِها وطُهْرِها أخَذَ يوسفُ ومَريمُ الطِّفلَ إلى المَدينةِ المُقَدَّسةِ ليُقدِّماهُ للهِ، كَما وَرَدَ

(1) "المسيح" هو لقب يعني (الممسوح بالزيت) ويعني أيضًا (المختار). فقد كان الناس في زمن بني يعقوب يسكبون الزيت على رأس الرجل الذي كان مختارًا لخدمة الله وأمّة بني يعقوب. وعلى سبيل المثال فقد يُدهن كلّ من رجال الدين الأحبار والأنبياء والملوك بالزيت. وعملية سكب الزيت على رؤوسهم كانت ترمز إلى سكب أو حلول روح الله على هؤلاء الناس لتقويّتهم لخدمة الله. وورد في التوراة كما في كتب الأنبياء بأن مَن يُدعى المسيح سيكون في الغالب الملك المختار من سلالة النبي داود. وجاء واضحًا في عدد من الأناشيد في الزبور (المزامير) حول ملك بني يعقوب أنّ المسيح باعتباره مختارا من الله "الابن الرّوحي لله" سيكون مسؤولا عن إقامة عدالة الله وسلامه على الأرض. وهذا يعني إنصاف المقهورين والمظلومين، وخاصّة الفقراء منهم. وكان وعد الله للنبي داود الملك بأن يكون الملك في سلالته دائمًا. ولكن كانت نهاية مملكة النبي داود وسلالته بعد تدمير مدينة القدس في العام 586 ق.م. غير أنّ بني يعقوب توقّعوا أن يستمرّ الله في وعده لهم بحفظ المملكة لسلالة داود من خلال تكليف المسيح بإقامة العدالة على الأرض إلى الأبد.

(2) معنى الختان هو دخول العهد الذي أبرمه الله مع النبي موسى ونسله.

في التَّوراةِ(1) 23فقد جاءَ فيها: "إنّ كُلَّ مَولودٍ بِكرٍ مِن الذُّكورِ مَنذورٌ للهِ". 24وقد جاءَ أيضًا أنّهُ يَجبُ تَقديمُ ذَبيحةٍ للهِ عِندَ التَّطَهُّرِ مِن النِّفاسِ: "زَوجَينِ مِن طُيورِ اليَمامِ أو فَرخَيْ حَمام".

25وكانَ في المَدينةِ المُقدَّسةِ رَجُلٌ تَقِيٌّ صالحٌ مُنقادٌ بِرُوحِ اللهِ(2) اسمُهُ شِمعونُ، يَنتَظِرُ قُدومَ المَسيحِ الّذي سيُنقِذُ شَعبَهُ، 26وقد جاءَهُ وَحيٌ مِن رُوحِ اللهِ أنّهُ لن يُوافِيَهُ الأجَلُ حتّى يَرى المَسيحَ المُختارَ، 27ثُمّ ذَهَبَ مُنقادًا بالرُّوحِ إلى الحَرَمِ الشَّريفِ. وعِندَما رأى مَريمَ ويُوسفَ وهُما يَحمِلانِ الطِّفلَ عيسى ويُؤدِّيانِ الشَّعائرَ الموصَى بها في التَّوراةِ، 28بادَرَ إليهِما فأخَذَ الطِّفلَ بَينَ ذِراعَيهِ، وسَبَّحَ اللهَ قائلاً: 29–32"رَبِّي ها قد وَفَيتَ بما وَعَدتَني، فدَعني أنا عَبدَكَ أموتُ بسَلامٍ بَعدَما اطمَأنَّتْ نَفسي برُؤيةِ المُنقِذِ الّذي أرسَلتَهُ لِكُلِّ النّاسِ، يَكونُ لشُعوبِ الأرضِ هاديًا ونورًا، ويَكونُ فَخرًا لِعبادِكَ بَني يَعقوبَ".

33وتَعَجَّبَ يوسفُ ومَريمُ مِن كَلامِ شِمعونَ 34–35الّذي دَعا لهُم بالبَرَكاتِ، قائلاً لمَريمَ: "عِندَما يَكبُرُ طِفلُكِ هذا، يُقيمُهُ اللهُ لِيَكونَ آيةً مِن آياتِهِ أرسَلَها إلى النّاسِ، وسيُقِرُّ بذلكَ فِئةٌ مِن بَني يَعقوبَ، فَينالونَ رِضى اللهِ، وتُنكِرُ فِئةٌ أُخرى ويَجحَدونَ أنّهُ رَسولُ اللهِ، فَيَحِلُّ عليهِم غَضَبُ اللهِ ونِقمَتُهُ. فاللّهُ قد عَيَّنَهُ لذلِكَ الغَرَضِ حتّى يَكشِفَ بواسِطتِهِ سَرائرَ النّاسِ. أمّا أنتِ يا مَريمُ، فَسَوفَ يُغمِدُ الحُزنُ سَيفَهُ في قَلبِكِ".

36وكانَت في ذلِكَ المَكانِ أيضًا امرأةٌ عَجوزٌ خَصَّها اللهُ بوَحيٍ مِنهُ، واسمُها حَنانُ بِنتُ فَنوئيلَ، مِن عَشيرةِ أشيرَ بنِ يَعقوبَ عليه السلام، تَرَمَّلَت بَعدَ سَبعِ سَنواتٍ مِن زَواجِها، 37وقد امتَدَّ بها العُمرُ حتّى بَلَغَت الرّابعةَ والثّمانينَ، وكانَت دائمةَ الاعتِكافِ في الحَرَمِ مُتَعَبِّدةً صائمةً مُصَلِّيَةً لربِّها آناءَ اللّيلِ وأطرافَ النّهارِ، 38فتَقَدَّمَت مِن الجَمعِ مُسَبِّحةً بحَمدِ اللهِ شاكِرةً لهُ نِعَمَهُ مُنبِئةً عن شأنِ ذلِكَ الطِّفلِ العَظيمِ لكُلِّ مَن كانوا يَتَرَقَّبونَ ظُهورَ مُنقِذِ القُدسِ المُحتَلّةِ.

---

(1) وجاء في التوراة أنّ كلّ مولود بكر ذكر منذور لله، ولكن فقط الرجال من عشيرة لاوي كان لديهم الحقّ في خدمة الله داخل الحرم الشريف. وإن كان الولد من عشيرة غير عشيرة لاوي، كان ينبغي أن يقدّم أهله مبلغ 5 شواقل من المال عوضًا عن تخصيصه لخدمة الله. هكذا كان الحال مع سيدنا عيسى عليه السلام، الذي كان ينتمي إلى عشيرة يهوذا.

(2) يعني أنه ولي من أولياء الله.

[39]وبَعدَ أن أنهى يُوسفُ ومَريمُ أداءَ شَعائرِ التَّوراةِ المُتعَلِّقةِ بشؤونِ الوِلادةِ، عادا أدراجَهُما إلى النّاصرةِ بَلدَتِهما في الجَليلِ. [40]ومَضَت الأيّامُ ليَشِبَّ عيسى وقد ازدادَ قوةً وحِكمةً مُحاطًا بفَضلٍ مِن اللهِ كبيرٍ.

عيسى ﷺ وحجّه إلى القدس أوّل مرّة

[41]واعتادَ يُوسفُ ومَريمُ أن يَحُجّا إلى المَدينةِ المُقَدَّسةِ كُلَّ عام، في وَقتِ عِيدِ الفِصحِ، (وهو عيد الفداء). [(1)] [42]وعِندَ بُلوغِ عيسى الثّانيةَ عَشرَةَ مِن عُمرِهِ، [(2)] رافَقَ أُمَّهُ ويوسفَ في رِحلةِ حَجِّهِما إلى القُدسِ، [43]وبَعدَ انقِضاءِ العِيدِ، قَفَلَ يوسفُ ومَريمُ عائدَيْنِ إلى بَلدتِهِما النّاصرة، ولم يَتَفَطَّنا إلى عيسى [44]لأنّهُما ظَنَّا أنّهُ بَينَ المُسافِرينَ. ومَضَيا في طَريقِهِما مَسيرةَ يوم، وعِندَما افتَقَداهُ، بَحَثَا عنهُ بَينَ الأقارِبِ والمَعارِفِ [45]لكنّهُما لم يَجِداهُ، فعادَا إلى القُدسِ، وبَحَثَا عنهُ [46]إذ بَلَغَ زَمَنُ غِيابِهِ ثَلاثةَ أيّام، إلى أن وَجَداهُ في حَرَمِ بَيتِ اللهِ، جالِسًا بَينَ عُلَماءِ التَّوراةِ، مُصغيًا لِما يَتَحدَّثونَ فيهِ، طارِحًا عليهِم مَزيدًا مِنَ الأسئلةِ مُحاجًّا إيّاهُم بحِكمةٍ وفَهمٍ عَميقَيْنِ، [47]مِمّا أثارَ إعجابَ الحاضِرينَ وتَعَجُّبَهُم. [48]ولمّا وَقَعَ نَظَرُ يوسفَ ومَريمَ عليهِ أخَذَتْهُما الدَّهشةُ، وعاتَبَتْهُ أُمُّهُ قائلةً: "يا بُنَي لِمَ فَعَلتَ بنا ما فَعَلتَ؟! لقد أثَرتَ قَلَقَنا فبَحَثنا عَنكَ بلَهفةٍ للعُثورِ عليكَ". [49]فأجابَهُما بِرِقّةٍ وبِرّ: "لا عليكُما، ألا تَعلَمانِ أنّهُ يَجِبُ أن أهتَمَّ بشُؤونِ وليّ أمري؟!" [(3)] [50]ولم يَفقَها قَصدَهُ، [51]وعادا بِهِ إلى النّاصرةِ، وكانَت مَريمُ أُمُّهُ تَحفَظُ ما وَقَعَ ويَقَعُ لابنِها في قَلبِها. [52]ومَضى ﷺ في حَياتِهِ مَعَهُما بارًّا بِهِما مُطيعًا لَهُما، يَزدادُ، مَعَ الأيّامِ، حِكمةً، وتَزدادُ قامتُهُ طولاً، ويَزدادُ عِندَ اللهِ رِضى وعِندَ النّاسِ قَبولاً واحتِرامًا.

---

(1) الفصح هو عيد يحتفل فيه اليهود بنجاتهم من ملاك الموت، وذلك قبل هروبهم من بطش فرعون (بقيادة النبي موسى) وكانوا يذبحون الخراف كلّ سنة في ذكرى قيامهم بذلك أوّل مرّة في عهد النبي موسى كعلامة لملاك الموت كي يجتاز عن بيوتهم ولا يدخلَها ليقتل الأبناء الأبكار. أنظر سفر الخروج الفصل 12 من التوراة.

(2) كان من عادة اليهود تحضير الصبيان في الثانية عشرة من عمرهم ليحتلّوا مكانتهم الدينية في المجتمع عندما يصبحون في السنة الثالثة عشرة من عمرهم.

(3) هذه إشارة باللغة اليونانية الأصلية من السيّد المسيح وبكناية تحمل معنى أنّه المقرّب من الله والمختار لإنقاذ البشر. وتكلّم السيّد المسيح بتعبير يشير إلى حميمية علاقته بالله ويبيّن أنّه الملك المختار.

٣
الفصل الثّالث

دعوة يحيى عليه السلام النّاس إلى التّوبة

1وعندَما كانَت السَّنةُ الخامِسةَ عَشرَةَ مِن فَترةِ حُكمِ القَيصرِ طيباريوسَ(1) ووِلايةِ بيلاطُسَ البُنْطيِّ الرُّومانيِّ على مِنطقةِ يَهوذا، وحُكمِ أَنْتيباسَ بنِ هيرودُسَ على قِسمٍ مِن مَملكةِ أبيهِ في مِنطقةِ الجَليلِ، وفي فَترةِ حُكْمِ أخيهِ فيليبَ على قِسمٍ مِن المَملكةِ في حَورانَ والبِقاعِ الغَربيّ، وحُكمِ ليسانيوسَ على مِنطقةِ إبيلينة قُرب مَدينةِ دِمَشق، 2في ذلِكَ الوَقتِ الّذي كانَ فيهِ حَنّا وقَيافا رَئيسَيْنِ على رِجالِ الدِّينِ الأحبار،(2) أوحى اللهُ تَعالى إلى يَحيى بنِ زَكَريّا الّذي كانَ مُقيمًا في البَراري، 3أن يَمضيَ إلى مِنطقةِ نَهرِ الأُردُنّ داعيًا النّاسَ إلى الاغتِسالِ بمياهِهِ للتَّطَهُّرِ، دَليلاً على تَوبَتِهِم وطَلَبِ الغُفرانِ مِن اللهِ. 4–6وكانَ هذا تَصديقًا لِمَا جاءَ في الكِتابِ على لِسانِ النَّبيِّ أَشعيا:(3) "صَوتُ مُنادٍ في البَراري يَقولُ: "عليكُم أن تُهَيِّئوا نُفوسَكُم لمَولاكُم، كَما تُمَهَّدُ السُّبُلَ لِمَقدَمِ مَلِكٍ عَظيمٍ، فلأجلِهِ ارفَعوا كُلَّ وادٍ واخفِضُوا كُلَّ جَبَلٍ، وقَوِّموا كُلَّ مُعوَجٍّ ومَهِّدوا كُلَّ وَعْرٍ، فسيَرَى كُلُّ البَشَرِ كَيفَ يَتِمُّ إنقاذُ اللهِ للنّاس".

7وأَتَتْ إلى النَّبيِّ يَحيى عليه السلام جَماهيرُ مِن النّاسِ يَطلُبونَ مِنهُ التَّطَهُّرَ، والزَّيغُ يَملأُ قُلوبَهُم، فخاطَبَهُم قائلاً: "أيُّها الماكِرونَ كالأفاعي،(4) سَيَحُلُّ غَضَبُ اللهِ عليكُم، فإلى أينَ ستَهرَبونَ مِنهُ ولَمّا تَتوبُوا إليهِ مَتابا؟ 8توبوا إلى اللهِ، ولْتَكُن توبَتُكُم بَيِّنَةً في

(1) كان الإمبراطور طيباريوس حاكمًا على الامبراطورية الرومانية من سنة 14 إلى سنة 37 للميلاد، ولكنّه بدأ يشارك سَلَفَه أغسطس في الحكم في العام 11 أو 13 م. وفي السنة الخامسة عشرة من بداية حكمه (أي سنة 28 أو سنة 29 للميلاد) ظهرت دعوة النبي يحيى.

(2) كان القيصر طيباريوس قد عيّن بيلاطس حاكمًا على مقاطعة يهوذا في الفترة الواقعة ما بين 26 - 36 للميلاد. والهيرودس الذي حكم الجليل آنذاك هو انتيباس بن هيرودس الذي كان حاكمًا على الجليل وبيرية من 4 ق.م. إلى 39 م. وقام الرومان بتعيين فيليب الثاني أخي أنتيباس حاكمًا على منطقة حوران والبقاع الغربي. والمعلومات حول (ليسانيوس) قليلة. وقد كان حنّا رئيسًا على أحبار اليهود من 6 إلى 15 للميلاد. وكان صهره قيافا كذلك رئيسًا على الأحبار من سنة 18 إلى 37 للميلاد.

(3) عاش النبي أشعيا في مملكة يهوذا من العام 740 إلى 701 ق.م.

(4) كان الاعتقاد السائد في ذلك الوقت أنّ الحيّة رمز للمكر.

أعمالِكُم الصّالحةِ، ولا تُسِرّوا في أنفُسِكُم أنّكُم في مَأمَنٍ مِن غَضَبِ اللهِ، كَما في قولِكُم: "نَحنُ المُنحَدِرونَ مِن سُلالةِ النَّبيِّ إبراهيمَ، شَعبُ اللهِ المُختارِ". (1) إنّ هذا لن يُفيدَكُم في شَيءٍ، فاللهُ قادِرٌ على أن يَستَبدِلَ بكُم حِجارةً يَجعَلُها أبناءً لإبراهيمَ! [9]ألا فاعلَموا أنّ غَضَبَ اللهِ إنّما يَنزِلُ كالفأسِ تَقتَلِع الأشجارَ مِن جُذورِها، ألاَ وإنّكُم هذِهِ الأشجارُ غَيرُ المُثمِرةِ! وغَيرُكُم مِمّن كانوا أمثالَكُم كتِلكَ الأشجارِ الّتي سيَقتَلِعُها اللهُ ويُلقي بها في نارِ جَهَنَّمَ!"

[10]فأجابَهُ الجَميعُ: "وما عَسانا فاعِلينَ حتّى تُقبَل تَوبَتُنا؟!" [11]فرَدَّ عليهِم يَحيى ﷺ: "الصَّدَقةَ الصَّدَقةَ، فمَن كانَ يَملِكُ ثَوبَيْنِ فليَتَصَدّقْ بِواحِدٍ، ومَن كانَ عِندَهُ طَعامٌ، فلْيُطعِمْ مَعَهُ المُحتاجينَ". [12]وسألَهُ بَعضُ جُباةِ الضَّرائبِ للرّومانِ وقد أتَوا طالِبينَ التَّطَهُّرَ بالماءِ: (2) "أيُّها المُعَلِّمُ، ونَحنُ كَيفَ يُمكِنُنا أن نَتوبَ؟!" [13]فأجابَهُم يَحيى ﷺ قائلاً: "أمّا أنتُم فالتَزِموا ما فَرَضَهُ الرّومانُ ولا تَطلُبوا فَوقَ ذلِكَ". [14]وسألَهُ بَعضُ الجُنودِ الّذينَ كانوا بَينَ الجَمعِ قائلينَ: "ونَحنُ، ما تَرانا فاعِلينَ في سَبيلِ أن نَنالَ تَوبةً مِن اللهِ ورِضوانا؟" فأشارَ عليهِم بقَولِهِ: "لا تَظلِموا النّاسَ، ولا تَفتَروا عليهِم، وكُونوا بأُجورِكُم قانِعينَ".

[15]وكانَ النّاسُ في ذلِكَ الوَقتِ يَنتَظِرونَ المَسيحَ المُنقِذَ مُتلَهّفينَ، فأخَذوا يُسائلونَ أنفُسَهُم ألاَ يَكونُ يَحيى هو ذاكَ المُنتَظَرُ. [16]فأجابَهُم يَحيى ﷺ قائلاً: "إنّ واجِبي يَقِفُ عِندَ حُدودِ تَطهيرِكُم بالاغتِسالِ بالماءِ، إلاّ أنّ القادِمَ مِن بَعدي ذاكَ الّذي هو أشَدُّ بأسًا مِنّي، ذاكَ الّذي لا أرقى حتّى إلى حَلّ رِباطِ نَعلِهِ، (3) هو الّذي سيُطَهِّرُ الخاضِعينَ للهِ برُوحِ اللهِ ويُعَذِّبُ الرّافِضينَ بالنّارِ! [17]وهو الّذي سيُنَقّي النّاسَ، كالفَلاّحِ الّذي يَذري قَمحَهُ ليَجمَعَ الحُبوبَ الصّالحةَ في مَخزَنِهِ، ويَطرَحَ التّبنَ والقُشورَ في نارٍ لا تَنطَفِئ".
[18]بهذِهِ الكَلِماتِ وبكَثيرٍ غَيرِها كانَ يَحيى ﷺ يُبَلِّغُ النّاسَ رِسالةَ اللهِ مُبَشِّرًا مُنذِرًا.

---

(1) كان اليهود يعتقدون آنذاك أنّ أعمال إبراهيم ﷺ الصالحة ستشمل آثارُها كلَّ مَن كان مِن سلالته فيغفر الله لجميع أولئك آثامَهم وذنوبهم.

(2) كان الرومان يعيّنون جباة الضرائب من عامّة الشعب اليهودي. وكان هؤلاء يحصّلون الجمارك والضرائب الأخرى لمصلحة الرومان الذين كانوا يسيطرون على المنطقة التي كانت تحت احتلالهم، على أنّ هؤلاء الجباة اعتادوا تحصيل مبالغ إضافية زيادة عمّا فرضه الرومان لمصالحهم الخاصّة.

(3) كانت مهمّة ربط الحذاء وغسل القدمين من عمل العبيد.

[19]وفي تِلكَ الفَترةِ، كانَ أَنتيباسُ بن هيرودُسُ حاكمًا، وحَصَلَ أن تَزَوَّجَ بهيروديّة امرأةِ أخيهِ مُخالِفًا بذلِكَ الشَّرائعَ، فكانَ يَحيى ﷺ يُوَبِّخُهُ ويَزجُرُهُ، رافِضًا ما فَعَلَهُ، مُعارِضًا التّجاوزات والظُّلمَ الّذي كانَ يُلحِقُهُ بالنّاسِ، [20]فَزادَ ذلِكَ مِن عَنَتِ أنتيباسَ فلَجَّ في ظُلمِهِ وجَورِهِ حتّى وَصَلَ بِهِ الأمرُ إلى حَبسِ نَبيِّ اللهِ يَحيى ﷺ في السِّجنِ.

تغطيس سيّدنا عيسى ﷺ

[21]وعِندَما كانَ يَحيى ﷺ، قَبلَ حَبسِهِ، يُطَهِّرُ النّاسَ بالماءِ، أتى سَيِّدُنا عيسى وتَطَهَّرَ مِثلَهُم.[(1)] ثُمّ قامَ لِصَلاتِهِ، فانشَقَّت السَّماءُ أثناءَ ذلِكَ [22]وحَظيَ بنُزولِ رُوحِ اللهِ عليهِ على هَيئةِ حَمامةٍ، ونادى صَوتٌ مِن السَّماءِ: "أنتَ الحَبيبُ، الابنُ الرُّوحيُّ لي، وقد رَضيتُ عَنكَ كُلَّ الرِّضى".

نسب عيسى بن مريم ﷺ

[23]ولمّا بَلَغ سَيِّدُنا عيسى ﷺ مِن العُمرِ الثّلاثينَ، بَدأ بِنَشرِ دَعوتِهِ السَّماويّةِ، وكانَ النّاسُ يَحسَبونَهُ ابنَ يوسفَ، إلاّ أنّ سَيِّدَنا عيسى ﷺ[(2)] [24]كانَ يَعودُ بِنَسَبِهِ إلى عالي بن مَتّاتَ بن لاوي بن مَلْكي بن يَنّا بن يوسفَ [25]بن مَتاتيا بن عاموسَ بن ناحومَ بن حَسْلي بن نَجّاي [26]بن مَآتَ بن مَتاتيا بن شِمْعي بن يُوسفَ بن يَهوذا [27]بن يوحَنّا بن ريسا بن زَرْبابلَ بن شَأَلْتيلَ بن نيري [28]بن مَلْكي بن أَدّي بن قُوسامَ بن أَلْمُدامَ بن عايرَ [29]بن يَشوعَ بن عُزيرَ بن يُوريمَ بن مَتاتَ بن لاوي [30]بن شِمْعونَ بن يَهوذا بن يُوسفَ بن يُونسَ بن أَلِياقيمَ [31]بن مَلَيا بن مَنّا بن مَتاتا بن ناثانَ بن داودَ ﷺ [32]بن يَسّى بن عُبيدَ بن بُوعَزَ بن سالِمَ بن ناحِشَ [33]بن عَميناداب بن آرامَ بن حاصِرَ بن فارِصَ بن يَهوذا [34]بن يَعقوبَ ﷺ بن إسحاقَ ﷺ بن إبراهيمَ ﷺ بن تارَحَ بن ناحورَ [35]بن سَروجَ بن رَاعو بن فالَجَ بن

(1) تقبّلُ الناس التطهّرَ على يد النبي يحيى ﷺ دليلٌ على أنّهم كانوا مستعدّين للإيمان بالمسيح المنتظر الآتي من بعده. وكان لزاما أن يتوبوا عن خطاياهم وذنوبهم كشرط التطهّر بالماء. ورغم أنّ سيّدنا عيسى ﷺ كان بلا ذنوب أو خطايا يتوب عنها، فقد قام بالتطّهر بالماء أيضًا ليعلن استعداده كي ينال منصب المسيح الملك من الله تعالى.

(2) في القرن الأوّل للميلاد، كانت هويّة المولود الشرعيّة تعتمد على الأب وليس على الأم. ولأنّ سيّدنا عيسى لم يكن له أب بشري، فقد تمّ تحديد نسبه من أمّه مريم. ولكن بسبب عدم ذكر النساء في سجلاّت الأنساب في ذلك الوقت، كان اسم مريم محذوفا من النسب ويبتدئ جدول الأسماء بأبي مريم، الذي اسمه عالي.

عابرَ بن شالَحَ 36بن قِينانَ بن أَرْفَكْشادَ بن سام بِن نوح عليه السلام بِن لامِكَ 37بن مَتوشالِحَ بن إدريسَ عليه السلام بن يارِدَ بن مَهْلَلِيلَ بِن قِينانَ 38بنَ أَنوشَ بنِ شِيتَ بن سَيِّدِنا آدمَ الّذي خَلَقَهُ اللهُ.

٤
الفصل الرّابع

عيسى سلامه علينا وإغواءات إبليس له

1وبَعدَ أن تَطَهَّرَ سَيِّدُنا عيسى بماءِ الأُردُنّ، غادرَ سلامه علينا مُنقادًا بِرُوحِ اللهِ الّتي أَخَذَتْهُ إلى البَراري والقِفارِ 2حَيثُ أقامَ أربعينَ يومًا تَعرَّضَ خِلالِها لإغواءاتِ الشَّيطانِ.(1) وكانَ عيسى سلامه علينا يَصومُ لَيالي تِلكَ الأيّامِ ونَهارَها حتّى أَخَذَ مِنهُ الجوعُ في نِهايتِها كُلَّ مَأخذٍ، 3فحَدَّثَهُ إبليسُ قائلاً: " مُرْ هذهِ الأحجارَ فتَصيرَ خُبزًا، فأنتَ الابنُ الرُّوحيُّ للهِ". 4فرَفَضَ سَيِّدُنا عيسى قائلاً: "جاءَ في التَّوراةِ: "لَيسَ بالخُبزِ وَحدَهُ يَحيا الإنسانُ." " 5وصَعِدَ بِهِ الشَّيطانُ إلى مَكانٍ عالٍ وأراهُ بِلَمحِ البَصَرِ مَمالِكَ الدُّنيا كُلَّها، 6قائلاً: "أنا أُعطيكَ سُلطانَ تِلكَ المَمالِكِ، وكُلَّ ما فيها مِن عِزٍّ وسُؤدُد، فهي لي وبمَقدوري أن أمنَحَ كُلَّ ذلِكَ لِمَن أُريدُ، 7فلْتَكُن كُلُّها لكَ إذا سَجدتَ لي". 8فأبعَدَ سَيِّدُنا عيسى سلامه علينا ذلِكَ عن نَفسِهِ قائلاً: "وَرَدَ في التَّوراةِ: أُسجُدْ للهِ رَبِّكَ، وكُنْ لهُ وَحدَهُ مِن العابِدينَ". 9ثُمّ ساقَهُ إبليسُ إلى مَدينةِ القُدسِ، وأوقَفَهُ على المَكانِ الأعلى في حَرَمِ بَيتِ اللهِ، وقالَ لهُ: "إنّكَ الابنُ الرُّوحيُّ للهِ، فألْقِ بنَفسِكَ مِن عَلٍ 10فقد جاءَ في الزَّبورِ أنّ اللهَ قد أوصى بكَ مَلائكتَهُ 11فيُسرِعونَ لِحَملِكَ بَينَ أيديهِم كي لا تَصطَدِمَ قَدَمُكَ بحَجرٍ". 12إلاّ أنّ سَيِّدَنا عيسى أجابَهُ قائلاً: "جاءَ في التَّوراةِ: لا تَمتَحِنْ وَفاءَ اللهِ لوعودِهِ". 13وعَجَزَ الشَّيطانُ عن إغوائِهِ سلامه علينا بعدَ كُلِّ تِلكَ الحِيَلِ، وانصَرَفَ عَنهُ إلى حينٍ.

بداية نشر عيسى سلامه علينا رسالته في منطقة الجليل

14–15ورَجَعَ سَيِّدُنا عيسى إلى مِنطقةِ الجَليلِ بقوّةِ رُوحِ اللهِ، وأَخَذَ يُعَلِّمُ النّاسَ

(1) كان هذا بمثابة امتحان من ربّ العالمين إذ ترك للشيطان الفرصةَ لمحاولة إغوائه.

ويُرشِدُهُم بتَعاليمِ اللهِ في بُيوتِ العِبادةِ،(1) فنالَ الإعجابَ والثَّناءَ مِن جَميعِ مَن شاهَدوهُ وسَمِعوهُ، وأخَذوا يُكبِرونَهُ ويُعَظِّمونَ شأنَهُ في مُختَلِفِ أرجاءِ المِنطقةِ.

16 وعرَّجَ على بَلدتِهِ النّاصرةِ حَيثُ نَشأ، ودَخَلَ بيتَ العِبادةِ كعادَتِهِ يومَ السَّبتِ،(2) ووَقَفَ ليَقرَأَ أمامَ الحاضِرينَ مِن كِتابِ اللهِ، 17 فقدَّموا لهُ كِتابَ النَّبيِّ أشعيا. ففتَحَهُ فوَجَدَ آيةً عن المَسيحِ المَلِكِ المُنتَظَرِ: 18 "رُوحُ اللهِ عليّ، فقد اختارَني لأُبَشِّرَ المَساكينَ، وأُعلِنَ فكَّ أسرِ المُقيَّدينَ، وأجعَلَ العُميَ مُبصِرينَ، وأُنصِفَ جَميعَ المَظلومينَ، 19 وأُعلِنَ زَمَنَ حُلولِ الرِّضى مِن رَبِّ العالَمينَ". 20 ثُمّ طَوى لُفافةَ الكِتابِ وأعادَها إلى خادِمِ بَيتِ العِبادةِ وجَلَسَ مُستَعِدًا لمُخاطَبةِ الجَمعِ الّذينَ شَخَصَت إليهِ أبصارُهُم. 21 فتَوَجَّهَ إليهِم بالقَولِ: "اليومَ تَحقَّقَ لكُم الوَعدُ الّذي كُنتُم بِهِ تَسمَعونَ".
22 فأخَذَ الجَميعَ الإعجابُ بكَلامِهِ الطَّيِّبِ الّذي تَحدَّثَ بِهِ إليهِم. ولكنّ بَعضَهُم تَساءَلَ: "كَيفَ يَقولُ ذلِكَ عن نَفسِهِ، وما هو إلاّ ابنُ يوسف؟!" وأخَذوا يؤكِّدونَ بَعضُهُم لبَعضٍ أنّهُ لَيسَ إلاّ ابنُ يوسف. 23 وقالَ سَيِّدُنا عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: "لا شَكَّ أنّكُم تَضرِبونَ لي هذا المَثَلَ: "أيُّها الطَّبيبُ، داوِ نَفسَكَ أوّلاً!" وتَقصِدونَ بذلِكَ أنّهُ عليّ أن أُظهِرَ، هُنا، المُعجِزاتِ الّتي سَمِعتُم بأنّي قُمتُ بها في بَلدةِ كَفْرَناحومَ.(3)

24 ولكنْ دَعوني أُخبِرُكُم أنّهُ لا كَرامةَ لنَبيّ في وَطَنِهِ! 25 واعلَموا أنّ مُعجِزات اللهِ لا تَظهَرُ فيكُم فقَط، ولكُم على ذلِكَ دَليلٌ: فقد كانَ في بَني إسرائيلَ زَمَنَ النَّبيِّ إلياسَ أرامِلُ كَثيرات مُحتاجات، وكانَ أن حَبَسَ اللهُ المَطَرَ ثلاثَ سَنوات ونِصفًا إلى أن حَلَّت في تِلكَ المِنطقةِ بأسرِها مَجاعةٌ شَديدةٌ، 26 ولم تَكُن مُعجِزةُ إلياسَ في أنّهُ أطعَمَ أرامِلَ

---

(1) كان البابليون يأخذون اليهود سبايا عند احتلالهم لمملكة يهوذا سنة 586 ق.م.، حينئذ لم يكن باستطاعة اليهود دخول الحرم للعبادة. ومن الجائز أنه في ذلك الوقت أصبحوا يجتمعون مع بعضهم بعض لتأدية شعائر العبادة والتدارس بهدف حفظ هويّتهم. وقد ظلّ هؤلاء يستعملون تلك الأماكن الصغيرة الخاصّة بهم للاجتماع حتّى بعد عودتهم من السبي (هذا إضافة إلى تردّدهم على الحرم في القدس). وأمّا اليهود الذين كانوا يعيشون في مناطق أجنبية، فقد كانوا يلتقون في بيوت خاصّة بهم للعبادة.

(2) كان السبت يوم عطلة اليهود. والسبت هو يوم توقّف الله عن الخلق. وقد أُمِر اليهود في التوراة بالتوقف عن العمل في يوم السبت.

(3) كانت كفرناحوم من بلدات الصيد الهامّة على شمالي شاطئ بحيرة طبريا. وقد انتقل السيد المسيح إليها من بلدته الناصرة عند بلوغه.

قَومِهِ، بل لقد أرسَلَ بالطَّعامِ إلى أرمَلةٍ غَريبةٍ مِن بَلدةِ الصَّرَفَندَ في مِنطقةِ صَيدا. 27ولكُم
دَليلٌ آخَرُ، فقد كانَ في بَني إسرائيلَ في زَمَنِ النَّبيِّ اليَسع مُصابونَ بالبَرَصِ كُثُر، ولكنّ
اللهَ لم يَشفِ على يَديْ نَبيِّهِ واحدًا مِن بَني إسرائيلَ المُصابينَ بالبَرَصِ(1) بل شَفى نُعْمانَ
الغَريبَ السّوري".

28وَكَلْكَلَ الغَضَبُ على جَميعِ الحاضِرينَ بِسَبَبِ كَلامِهِ،(2) 29ودَفَعَهُم إلى أن ساقوا
سَيِّدَنا عيسى سلامه علينا خارجَ النّاصرةِ عِندَ حافةِ الجَبَلِ الّذي تَقَعُ عليهِ بَلدَتُهُم لِيُلقوهُ مِن فَوقِ
الجَبَلِ إلى الوادي، 30ولكنّ عيسى سلامه علينا استَطاعَ الإفلاتَ مِنهُم ومَضى وَسَطَ الزِّحام.

عيسى سلامه علينا يشفي رجلاً به مسّ شيطانيّ

31وتَوَجَّهَ سَيِّدُنا عيسى سلامه علينا، بَعدَ ذلِكَ، نازِلاً صَوبَ بَلدةِ كَفْرناحومَ في مِنطقةِ
الجَليلِ، وأخَذَ هُناكَ يُعَلِّمُ النّاسَ بتَعاليمِ رِسالتِهِ في أيّامِ السَّبت، 32فكانَ الجَميعُ يُصغونَ
إلى تِلكَ التَّعاليمِ والعَجَبُ يَأخذُهُم، إذ لم يَكُن يَستَنِدُ في كَلامِهِ وحُجَجِهِ إلى المَراجِعِ
الّتي يَعرِفونَها، بَل كانَ طَليقَ اللِّسانِ بَليغًا لا يَعتَمِدُ في ذلِكَ إلاّ على نَفسِهِ. 33وصادَفَ
أن وَجَدَ في بَيتِ العِبادةِ رَجُلاً بِهِ مَسٌّ شَيطانيّ نَجِسٌ، فتأوَّهَ الرَّجُلُ صارِخًا: 34"أتُركنا
وشأننا يا عيسى النّاصريُّ! أجِئتَ لإهلاكِنا؟ فقد عَرِفتُ مَن أنتَ، أنتَ رَسولُ اللهِ
المُقدَّس!"(3) 35إلاّ أنّ سَيِّدَنا عيسى سلامه علينا زَجَرَهُ قائلاً: "أُصمُتْ أيُّها الشَّيطانُ، واُخرُجْ
مِن هذا الرَّجُلِ!" فطَرَحَ الشَّيطانُ ذلِكَ الرَّجُلَ أرضًا وانْسَلَّ مِنهُ دونَ أن يُحدِثَ فيهِ
أذىً. 36وارتَسَمَت الدَّهشةُ على وجوهِ الجَميعِ، وأخَذوا يَتَكَلَّمونَ فيما بَينَهُم عن عَمَلِهِ
ذاكَ قائلينَ: "ما أقوى سُلطانَ كَلِماتِهِ! إنّه لَيَأمُرُ الشَّياطينَ فتَنصاعُ صاغِرةً لأمرِهِ وتَفِرُّ
هارِبةً!" 37وذاعَ صيتُ سَيِّدِنا عيسى سلامه علينا في جَميعِ أنحاءِ المِنطقةِ.

(1) كلمة "البرص" في اليونانية كانت تطلق على أنواع عديدة من الأمراض الجلدية. وقد جاء في التوراة (سفر اللاويين الفصل 13 و14) بأنّ هذه الأمراض تجعل الشخص مرفوضًا لمشاركة جماعته في شعائر عبادة الله. ويُعتبر هؤلاء الأشخاصُ نجسين، وعلى أفراد المجتمع اليهودي ممّن يلمسون الشخصَ النجس الدخول في شعائر خاصّة للتطهّر لكي يتمكّنوا من المشاركة في الحياة اليومية للمجتمع.

(2) استشاطوا غضبًا من كلام سيّدنا المسيح لأنّه قصد بكلامه أنّ الله يرحم الأجانب الكفّار الذين ليسوا من بني إسرائيل وكأنّه بذلك يريد أن يقول لهم أنّهم ليسوا وحدهم من يحيطهم الله برعايته، بل يحيط جميع خلقه بها.

(3) من المرجّح أنّ "رسول الله المقدّس" كان لقبًا للمسيح المنقذ المنتظر.

شفاء عيسى ﷺ للكثير من المرضى

38ثُمّ غادَرَ سَيِّدُنا عيسى بَيتَ العِبادةِ مُتَوَجِّهًا إلى بَيتِ رَجُلٍ يُدعَى سَمْعان (أو بُطرُس)(1) وكانَت أُمُّ زَوجَتِهِ تَشكو مِن حُمّى شَديدةٍ أَلَمَّت بها، فسألوهُ إبراءَها، 39فاقتَرَبَ ﷺ مِن المَرأةِ وأمَرَ الحُمّى بالزَّوالِ، فزالَت عَنها، ونَهَضَت المَرأةُ في الحالِ وعادَت إلى شُؤونِ بَيتِها، وإلى خِدمتِهِم.

40ومَعَ غُروبِ الشَّمسِ في ذلِكَ اليومِ انقَضى السَّبتُ،(2) وعادَ النّاسُ إلى مُزاوَلةِ أعمالِهِم، فأخَذوا يَحمِلونَ مَرضاهُم المُصابينَ بِعِلَلٍ مُختَلِفةٍ إلى عيسى ﷺ لَعَلَّهُ يَمُنّ عليهِم بالشِّفاءِ، فكانَ يَضَعُ يَدَيهِ على كُلِّ مَريضٍ فيَمضي بَعدَ ذلِكَ مُعافًى مِن كُلّ سُوءٍ، 41وأخَذَ أيضًا يُخرِجُ الجِنَّ والشَّياطينَ مِن أُناسٍ كَثيرينَ فصَرَخوا قائلينَ: "أنتَ الابنُ الرُّوحيُّ للهِ!" ولكنّ سَيِّدَنا عيسى أوقَفَهُم ومَنَعَهُم مِن التَّحدُّثِ عَنهُ لأنّهُم قد عَرَفوا أنّهُ المَسيحُ المُنتَظَرُ.

عيسى ﷺ ينشر تعاليم رسالته في منطقة يهوذا

42وعِندَ الفَجرِ مَضى سَيِّدُنا عيسى ﷺ إلى الخَلاءِ مُعتَزِلاً النّاسَ، إلاّ أنّ النّاسَ مَضَوا باحِثينَ عَنهُ حتّى وَجَدوهُ، فحالوا دونَ مُغادَرتِهِ إيّاهُم. 43فتَوَجَّهَ إليهِم قائلاً: "عليّ أن أُبَشِّرَ النّاسَ في قُرًى أُخرى بتأسيسِ المَملكةِ الرَّبّانيّةِ،(3) فلأجلِ ذلِكَ البَيانِ أرسَلَني اللهُ". 44وهكذا مَضى عيسى ﷺ في إبلاغِ رِسالةِ تِلكَ المَملكةِ في بُيوتِ العِبادةِ في جَميعِ أنحاءِ فِلَسطين.

---

(1) ويُعرف سمعان أيضًا بـ "بُطرس" وهو أحد أتباع السيد المسيح المختارين.

(2) لقد أمر الله قوم موسى في التوراة أن يخصّصوا السبت للعبادة ويمتنعوا فيه عن القيام بأيّ عمل. وكان انتهاء السبت عند الغروب.

(3) أثاب الله تعالى النبي داود على طاعته ووعده بأن يجعل حكّام بني يعقوب دائمًا من ذريّته. وقد كانت نهاية مملكة داود وعَقِبه عند خراب القدس في العام 586 ق.م. إلاّ أنّ بعض الناس كانوا يأملون أن تستعيد سلالة داود تلك المملكة. وقد بيّن الله عزّ وجلّ للنبي دانيال أنه سيأتي يومٌ تؤسَّس فيه تلك المملكة التي تسيطر على جميع البشر وتملأ الأرض. وكان لليهود فَهْمٌ قومي متعصّب لعبارة "مملكة الله"، وقد وضّح السيّد المسيح ضمن تعاليمه للناس عن هذه المملكة أنّ اهتمام الله يشمل جميع البشر على الأرض.

٥
الفصل الخامس

عيسى عليه السلام يدعو أوّل الحواريّين

[1]وعِندَما كانَ سَيِّدُنا عيسى عليه السلام واقِفًا على شاطئِ بُحَيرةِ طَبَريّا،(1) تَحلَّقَ حَولَهُ جَماعةٌ مِن النّاسِ لِسَماعِ كَلامِ الرَّحمَنِ. [2]ولمّا كانَت الجُموعُ حاشِدةً، بَحَثَ عيسى عليه السلام لنَفسِهِ عن مَكانٍ مُناسِبٍ يَستَطيعُ مِنهُ مُخاطَبةَ الجَميعِ، فوَجَدَ قارِبَيْنِ قد نَزَلَ مِنهُما الصَّيّادونَ لِغَسلِ شِباكِهِم، [3]وكانَ أحَدُهُما لبُطرُسَ، فصَعِدَ إليهِ سَيِّدُنا عيسى عليه السلام وطَلَبَ مِن صاحِبِهِ أن يَبتَعِدَ قَليلاً عن البَرِّ، ليَكونَ باستَطاعَتِهِ الجُلوسُ ومُخاطَبةُ المُحيطينَ بِهِ بتَعاليمِ اللهِ.

[4]وعِندَما أنهى حَديثَهُ طَلَبَ مِن بُطرُسَ أن يَمضي بالقارِبِ عن الشّاطئِ قائلاً: "امْضِ بالقارِبِ إلى مَكانٍ أعمَقَ في البُحَيرةِ وهُناكَ ألقِ الشِّباكَ للصَّيدِ". [5]فأجابَهُ بُطرُسُ بقَولِهِ: "يا سَيِّدي، لقد أنهَكنا الانتِظارُ طَوالَ اللّيلِ على أمَلِ أن نَجمَعَ في شِباكِنا شَيئًا مِن السَّمَكِ دونَ جَدوى. ولكنّنا الآنَ، نُزولاً عِندَ رَغبَتِكَ وأمرِكَ، سنُلقي شِباكَنا مِن جَديد". [6]فرَمَوا بشِباكِهِم، وحَدَثَ ما لم يَتوَقَّعوا، فقد تَجمَّعَ السَّمَكُ في شِباكِهِم حتّى ضاقَت وبَدأت تَتَمزَّقُ، [7]فسألوا شُرَكاءَهُم في القارِبِ الآخرِ مُساعدَتَهُم، فاستَجابوا لهُم، فامتَلأ القارِبانِ بالأسماكِ حتّى أوشَكا على الغَرَقِ لِثقلِ ما كانَ عليهِما مِن صَيدٍ. [8]عِندَ ذلِكَ تَقدَّمَ بُطرُسُ (الّذي لَقّبَهُ عيسى عليه السلام بالصَّخرِ(2) فيما بعد) مِن سَيِّدِنا عيسى عليه السلام وخَرَّ عِندَ قَدَمَيهِ قائلاً: "يا سَيِّدي، إنّني لا أستَحِقُّ أن أقِفَ بَينَ يَدَيكَ فأنا رَجُلٌ ضالٌّ بَعيدٌ عن ديني!" [9-10]لقد أذهَلَت تِلكَ المُعجِزةُ بُطرُسَ وبَقيّةَ الصَّيّادينَ كَما أذهَلَت شَريكَيهِ يَعقوبَ ويوحَنّا ابنَيْ زَبَدي. فخاطَبَ عِندئذٍ سَيِّدُنا عيسى عليه السلام بُطرُسَ قائلاً: "هَوِّن عليكَ، ستَكسِبُ النّاسَ مِن الآنِ فصاعِدًا لأجلي وستَجمَعُهُم حَولَكَ كَما تَجمَعُ الأسماكَ في تِلكَ الشِّباكِ". [11]فقامَ بُطرُسُ، ويَعقوبُ ويوحَنّا ابنا زَبَدي بِسَحبِ القارِبَينِ إلى الشّاطئِ، ثُمّ ألقَوا بكُلِّ شَيءٍ وراءَهُم ولَحِقوا بسَيِّدِنا عيسى عليه السلام وأصبَحوا مِن أتباعِهِ.

(1) أي بحيرة الجليل في شمال فلسطين.

(2) هذا اللقب هو باللغة اليونانية "بطرس" وباللغة الآرامية "صفا" ومعناه "صخر".

شفاء عيسى عليه السلام للأبرص

[12]وبَينَما كانَ سَيِّدُنا عيسى عليه السلام في إحدى القُرى، قَدِمَ إليهِ رَجُلٌ قد غَطّى جِسمَهُ البَرَصُ. فلمّا رأى الرَّجُلُ عيسى عليه السلام خَرَّ أمامَهُ مُتوَسِّلاً: "يا سَيِّدي، إن شِئتَ مَنَنتَ عليّ بالشِّفاءِ والطَّهارةِ".[(1)] [13]فما كانَ مِنهُ عليه السلام إلاّ أن أقبَلَ عليهِ ولَمَسَهُ وهو يَقولُ: "هذِهِ رَغبَتي، فَاطهَرْ" وهكذا زالَ عَنِ الرَّجُلِ البَرَصُ في الحالِ. [14]وأوصى سَيِّدُنا عيسى عليه السلام الرَّجُلَ ألاّ يُخبِرَ أحَدًا بما جرى لهُ، وقالَ لهُ: "اِذهَب إلى أحَدِ رِجالِ الدِّينِ الأحبارِ وأرِهِ نَفسَكَ، وقَدِّمْ ذَبيحةً لِقاءَ شِفائِكَ مِن هذا المَرضِ تَطبيقًا لِما جاءَ في التَّوراةِ المُنزَّلةِ على النَّبيِّ موسى، ودَليلاً لكَ عِندَهُم على شِفائِكَ".[(2)] [15]ولكن سُرعانَ ما انتَشَرَ خَبَرُ شِفائِهِ، فأخَذَ النّاسُ يُقبِلونَ عليهِ عليه السلام مُتلَهِّفينَ لسَماعِ تَعاليمِهِ، آمِلينَ أن يُشفَوا مِن أمراضِهِم. [16]أمّا عيسى عليه السلام فكانَ يُؤثِرُ الاختِلاءَ لِرَبِّهِ في البَراري للصَّلاةِ والدُّعاءِ.

عيسى عليه السلام والقعيد

[17]ومَضى سَيِّدُنا عيسى عليه السلام يُبَلِّغُ تَعاليمَهُ في بَيتٍ مِنَ البُيوتِ، بحُضورِ جَماعةٍ مِنَ المُتَشَدِّدينَ[(3)] ومِن عُلَماءِ التَّوراةِ الّذينَ قَدِموا مِن كُلِّ قُرى الجَليلِ ومِن مِنطَقةِ يَهوذا والقُدسِ الشَّريفِ، يَنظُرونَ في هذا الّذي لَدَيهِ قوةٌ مِنَ اللهِ لشِفاءِ المَرضى. [18]في تِلكَ الأثناءِ قَدِمَ إليهِ نَفَرٌ يَحمِلونَ فِراشًا عليهِ مَريضُهُم القَعيدُ، فحاوَلوا الاقتِرابَ مِن عيسى عليه السلام والدُّخولَ إلى البَيتِ الّذي هو فيهِ، [19]فتَعَذَّرَ عليهِم ذلِكَ بسَبَبِ الحُشودِ الغَفيرةِ المُجتَمِعةِ هُناكَ، فما كانَ مِنهُم إلاّ أن صَعِدوا إلى سَطحِ البَيتِ فأحدَثوا فيهِ ثُغرةً ودَلّوا مِن خِلالِها مَريضَهُم على فِراشِهِ لِيُصبِحَ أمامَ سَيِّدِنا عيسى عليه السلام. [20]فعِندَما

---

(1) أمر الله في التوراة باعتزال الأبرص بسبب نجاسته والحكمة في ذلك عدم انتقال العدوى إشفاقا على الناس.

(2) تبعًا لما جاء في التوراة، كان على الناس المصابين بالبرص الخضوع لفحص يقوم به رجال الدين للتأكّد من شفائهم وليكون بإمكانهم العودة للانضمام إلى المجتمع. وربّما قصد السيد المسيح أن يتبيّن رجالُ الدين من خلال ذلك أنّه المبعوث من الله.

(3) كان المتشدّدون جماعة من اليهود، ومعنى اسمهم بالعبرية "المنفصلون". وقد كانوا يريدون تجديد الدين اليهودي وحمايته من خلال جعل جميع أفراد الشعب اليهودي وعلى نحو صارم يتّبعون شرائع السبت، والصيام، والتطهّر من الطعام النجس. وكانوا يعلّمون أحكام التوراة كما يعلّمون العادات والتقاليد التي لم يرد ذكرها في التوراة.

رأى ﷺ قوّةَ إيمانِهِم بِهِ، خاطَبَ القَعيدَ قائلاً: "أيُّها الرَّجُلُ، مَغفورةٌ لكَ ذُنوبُكَ وخَطاياكَ!" [21]وأثارَ ذلِكَ استِنكارَ عُلَماءِ التَّوراةِ والمُتَشَدِّدينَ الحاضِرينَ، فأخَذوا يُسِرّونَ في أنفُسِهِم قائلينَ: "ها هوذا يَنطِقُ كُفرًا، فمَن غَيرَ اللهِ يَغفِرُ الذُّنوبَ والخَطايا؟" [22]وعَلِمَ سَيِّدُنا عيسى ﷺ سَرائرَهُم، فقالَ لهُم: "تُسِرّونَ في أنفُسِكُم ما لا تُعلِنونَ؟ [23-24]أنتُم تَظُنّونَ أنّهُ مِنَ المُستَحيلِ عليَّ مَغفِرةُ الذُّنوبِ، كما تَظُنّونَ أنّ شِفاءَ المُقعَدِ مُستَحيلٌ. ها أني سأُقَدِّمُ لكُم بُرهانًا يَجعَلُكُم تُوقِنونَ بأنّ سَيِّدَ البَشَر(1) هو الّذي وَكَّلَهُ اللهُ على الأرضِ ليَغفِرَ الذُّنوبَ". فما كانَ مِنهُ إلاّ أن تَوَجَّهَ إلى القَعيدِ بقَولِهِ: "أيُّها الرَّجُلُ، قُم واحمِل فِراشَكَ وامضِ إلى بَيتِكَ ماشيًا على قَدَميكَ". [25]فقامَ القَعيدُ بسُرعةٍ مِن بَينِ الجُموعِ، كَما أمَرَهُ ﷺ، حامِلاً فِراشَهُ ماضيًا على قَدَميهِ إلى بَيتِهِ ولِسانُهُ يَلهَجُ بالتَّسبيحِ للهِ وبحَمدِهِ، [26]مِمّا أثارَ ذُهولَ الحاضِرينَ الّذينَ امتَلأت نُفوسُهُم بالخُشوعِ للهِ فقالوا مُتَمتِمينَ: "إنّ ما رأيناهُ بأعيُنِنا اليومَ عَجيبٌ!!"

لاوي ودعوة عيسى ﷺ له

[27]ثُمّ مَضى سَيِّدُنا عيسى ﷺ في طَريقِهِ، فوَقَعَت عَينُهُ في مَكانٍ ما، على واحدٍ مِن جُباةِ الضَّرائبِ لِحِسابِ الرُّومانِ، وهو لاوي (أو مَتّى)، جالِسًا إلى مَكتبِهِ فبادَرَهُ ﷺ قائلاً: "تَعالَ، وكُنْ مِن أتباعي!" [28]فنَهَضَ وتَبعَ عيسى ﷺ تارِكًا كُلَّ شَيءٍ وَراءَهُ لِيُصبِحَ مِن أتباعِهِ ﷺ. [29]وأقامَ لاوي بَعدَ ذلِكَ وَليمةً في بَيتِهِ تَكريمًا لسَيِّدِنا عيسى ﷺ، ودَعا إليها كَثيرًا مِنَ النّاسِ مِن بَينِهِم مَن كانوا يَعمَلونَ مِثلَهُ في جِبايةِ الضَّرائبِ، [30]وعَلِمَ بذلِكَ المُتَشَدِّدونَ وعُلَماءُ التَّوراةِ الّذينَ كانوا يُصِرّونَ على عَقائدِهِم، فأثارَ انتِقاداتِهِم وتَوَجَّهوا إلى أتباعِهِ ﷺ قائلينَ: "ما لكُم تأكُلونَ وتَشرَبونَ مَعَ هؤلاءِ الضّالّينَ وجامِعي الضَّرائبِ للرّومانِ؟"(2)

(1) كان سيّدنا عيسى يفضّل إطلاق لقب "سيّد البشر" على نفسه، ومعناه الحرفي باليونانية "ابن الإنسان". وفي هذا إشارة إلى النبوءة التي أشار إليها النبي دانيال في قوله: "ونظرتُ في الرؤيا في الليل فرأيتُ شخصًا يُشبه ابن إنسان قادمًا في ظُلَلٍ مِنَ الغَمَام وأقبل إلى الله صاحب الأزل فأعطاه سلطة وجلالاً وقوّة ملكية، ليطيعه كلّ الناس من مختلف الشعوب والأمم واللغات. سلطانه سلطان أبديّ لا يزول، ومملكته لا تَفنَى" وهذه النبوءة عن "ابن الإنسان" إشارة إلى المنقذ الذي سوف يختاره الله ليحكم الناس في جميع أنحاء الأرض.

(2) كان الشائع بين المتشدّدين القول بنجاسة جباة الضرائب فنبذوهم وذلك بسبب تعاملهم مع الأجانب من خلال أعمالهم ولكونهم نقضوا شريعة يوم السبت وعملوا فيه.

31وسَمِعَ سَيِّدُنا عيسى ﷺ كَلامَهُم فأجابَهُم قائلاً: "ألا تَعلَمونَ أنّ المَرضى هم
الّذينَ يَحتاجونَ حقّا إلى الطَّبيبِ لا الأصِحّاء؟ 32وهل أنا إلاّ طَبيبٌ؟ وإنّي ما
بُعِثتُ لِهدايةِ مَن ظَنَّ في نَفسِهِ صَلاحًا، بل للأخذِ بِيَدِ الضّالّينَ".

الصيام

33فقالَ لهُ آخَرونَ: "وما لنا نَرى أتباعَكَ لا يَصومونَ النَّوافِلَ وقد كانَ أتباعُ يَحيى
والمُتَشَدِّدونَ، وما يَزالونَ، يَصومونَ ويُصَلّونَ تِلكَ النَّوافِلَ". 34فأجابَهُم سَيِّدُنا عيسى
بقَولِهِ: "لا يَليقُ بضُيوفِ عُرسٍ أن يَمتَنِعوا عن الطَّعامِ ما دامَ الحَفلُ قائمًا والعَريسُ
مَعَهُم، 35لذا أقولُ لكُم ما دُمتُ مَوجودًا بَينَ أتباعي فلَهُم أن يأكُلوا ويَشرَبوا ما شاؤوا،
ولكن سيَأتي الوَقتُ الّذي فيهِ يُؤخَذُ صاحِبُ العُرسِ مِن بَينِهِم عُنوَةً،(1) فوَقتئذٍ
يَصومونَ". 36وتابَعَ رَدَّهُ على انتِقاداتِهِم قائلاً: "أنتُم تُريدونَ لأتباعي أن يَتَمسّكوا
بعاداتِكُم القَديمةِ، فمَثَلُكُم كمَثَلِ مَن يَقتَطِعُ مِن ثَوبٍ جَديدٍ رُقَعًا ليُصلِحَ بها ثَوبًا باليًا،
فيَفسدُ الجَديدُ ويُرمى بهِ، ولا يَصلُحُ العَتيقُ لأنّ الرُّقعَةَ لا تُناسِبُهُ!(2) 37ولا أحَدَ يَملأ
قِربةً قَديمةً ذاتَ جِلدٍ جافٍ بعَصيرِ عِنَبٍ طازَجٍ، وإلاّ تَمزَّقَت القِربةُ مِن ضَغطِ التَّخميرِ
وسالَ العَصيرُ على الأرضِ، 38لذا فإنّ كُلَّ جَديدٍ مِن العَصيرِ بحاجةٍ إلى الجَديدِ مِن
القِرَبِ لِيَبقى في داخِلِها على الدَّوام، 39وكُلُّ مَن يَحبِسُ نَفسَهُ ضِمنَ أسوارِ عاداتٍ
قَديمةٍ، يَعسُرُ عليهِ أن يَتَقَبَّلَ أيَّ جَديدٍ لأنّهُ سيَظُنُّ أنّ القَديمَ الّذي يَتَمسَّكُ بِهِ هو
الأجدى والأفضَلُ".

٦

الفصل السّادس

عيسى ﷺ وتعاليم السّبت

1وفي يوم مِن أيّام السَّبتِ، بَينَما كانَ سَيِّدُنا عيسى ﷺ مارًّا مَعَ أتباعِهِ في
حُقولِ القَمحِ، نالَ مِن أتباعِهِ الجوعُ فأخَذوا يَقطِفونَ السَّنابِلَ ويَفرُكونَها بأيديهِم

(1) كان السيّد المسيح يشير إلى نفسه بشكل مجازي بلقب "العريس".

(2) يعني سيّدنا المسيح بذلك الردَّ على المتشدّدين من اليهود الذين كانوا يريدون إلزام أتباعه بعاداتهم التي جاءت نتيجة تأويلهم الخاطئ لبعض ما جاء في التوراة، وقد شبّه دعوته بالثوب الجديد، بينما شبّه عاداتهم بالثوب القديم.

ويأكُلونَ،(1) 2فزادَ ذلِكَ مِن إثارةِ حَفيظةِ بَعضِ المُتشَدِّدينَ، وجَعَلَهُم يَقولونَ: "أحَصادٌ في يومِ السَّبتِ؟! إنّ هذا في شَريعةِ اللهِ حَرامٌ!" 3فقالَ لهُم عيسى ﷺ: "ألم تقرَؤوا ما جاءَ في كِتابِ اللهِ عن النَّبيِّ داودَ وما فَعَلَهُ عِندَما استبَدَّ الجوعُ بهِ وبرِفاقِهِ؟! 4كَيفَ أقدَمَ على دُخولِ بَيتِ اللهِ ليأكُلَ مِن الخُبزِ المُقدَّمِ لوَجهِ اللهِ وليُوَزِّعَهُ على رِجالِهِ، ذلِكَ الخُبزُ الّذي لا يَحِلُّ أكلُهُ إلاّ لرِجالِ الدِّينِ الأحبارِ. 5فإذا جازَ للنَّبيِّ داودَ القيامُ بهذا، فهو جائزٌ لسَيِّدِ البَشَرِ الّذي أُعطِيَ سُلطانًا على قَوانينِ يومِ السَّبتِ".

6وفي يومِ سَبتٍ آخرَ، بَينَما كانَ سَيِّدُنا عيسى ﷺ يُعَلِّمُ الحاضِرينَ في أحَدِ بُيوتِ العِبادةِ، وكانَ مِن بَينِ الحاضِرينَ رَجُلٌ مُصابٌ بِعَجزٍ في يَدِهِ اليُمنى أدَّى إلى ضُمورِها، 7أخَذَ فُقَهاءُ التَّوراةِ والمُتشَدِّدونَ يُراقِبونَ عيسى ﷺ إن كانَ يَشفي في يومِ السَّبتِ الرَّجُلَ المَشلولَ، فتَكونَ لهُم بذلِكَ فُرصَتُهُم لاتّهامِهِ بالخُروجِ عن تَعاليمِهِم بشأنِ هذا اليَومِ المُقدَّسِ. 8ورأى سَيِّدُنا عيسى ﷺ سِرَّهُم ونَجواهُم، فأقبَلَ على الرَّجُلِ وقالَ لهُ: "تَقَدَّمْ أيُّها الرَّجُلُ وَقِفْ وَسَطَ الجَميعِ". فاستَجابَ الرَّجُلُ، 9بَينَما تَوَجَّهَ ﷺ إلى الجَميعِ مُخاطِبًا: "إنّي لأسألُكم: ماذا أُحِلَّ لكُم في السَّبتِ؟! هل أُحِلَّ لكُم القِيامُ بعَمَلِ الخَيرِ، أم الشَّرِّ؟! هل أُحِلَّ لكُم إحياءُ النُّفوسِ أم قَتلُها؟!" 10ثُمّ أجالَ نَظَرَهُ في الجَميعِ، وقالَ للرَّجُلِ المُصابِ: "مُدَّ يَدَكَ". فما كانَ مِنهُ إلاّ أن استَجابَ ومَدَّ يَدَهُ اليُمنى بَعدَ أن زالَ عَنها العَجزُ فأصبَحَت سَليمةً. 11وغَضِبَ الفُقَهاءُ والمُتَشَدِّدونَ وقاموا يَتَشاوَرونَ فيما بَينَهُم ماذا يَفعَلونَ بعيسى ﷺ.

عيسى ﷺ واصطفاؤه لحوارييه

12وفي أحَدِ الأيّامِ، وبَعدَ أن اختَلى ﷺ في الجَبَلِ اللّيلَ كُلَّهُ يُناجي رَبَّهُ راكِعًا ساجِدًا لهُ، 13استَدعَى في الصَّباحِ أتباعَهُ واصطَفَى مِن بَينِهِم اثنَيْ عَشَرَ رَجُلاً، أطلَقَ عليهِم لَقَبَ الحَوارِيِّينَ (أي مُرسَليهِ) وهم: 14سَمْعانُ الّذي سَمّاهُ بُطرُسَ (يعني صخرًا) وأخوهُ أنْدَراوسُ، ويَعقوبُ ويوحَنّا، وفيليبُ وابنُ تَلماي، 15ومَتّى وتوما، ويَعقوبُ بن حَلْفي وسَمْعانُ المُلَقَّبُ بالوَطَنيِّ المُتَحَمِّسِ،(2) 16ويَهوذا بِن يَعقوبَ ويَهوذا الإسخَريوطيّ الّذي سيَخونُهُ في النّهايةِ.

(1) وكما جاء في التوراة (سفر التثنية 23: 25) فإنّه يحقّ للمارّة الجياع جنيُ حفنة من حبوب الحنطة بأيديهم وأكلُها.

(2) كان المتحمّسون (أو الغيورون) جماعة من اليهود تحارب الرومان وتقاومهم.

عيسى ﷺ ينشر تعاليمه ويشفي المرضى

[17]ثُمّ نَزَلَ سَيِّدُنا عيسى وأتباعُهُ بَعدَ ذلِكَ مِنَ الجَبَلِ، ووَقَفَ في سَهلٍ مُنبَسِطٍ اجتَمَعَ
فيهِ حَشدٌ غفيرٌ مِن أتباعِهِ وغَيرِهِم مِنَ الّذينَ جاؤوا مِن بَيتِ المَقْدِس ومِن ساحِلِ صورَ
وصَيدا ومِن جَميعِ أرجاءِ فِلَسطين [18]للاستِماعِ إليهِ ولشِفائِهِم مِن جَميعِ الأمراضِ. وكانَ
بَينَ هؤلاءِ النّاسِ مَن بِهِم مَسٌّ شَيطانيّ سَبَّبَ شَقاءَهُم فخَلَّصَهُم مِن تِلكَ الشَّياطينِ.
[19]فازدادَ اقتِرابُ الحَشدِ مِنهُ ﷺ يلمَسونَهُ فيَحصُلونَ على القوّةِ الّتي تَنبَعِثُ مِنهُ
فيُشفَونَ.

كلامه ﷺ عن السعادة الحقيقية

[20]ووَقَفَ سَيِّدُنا عيسى ﷺ في هذِهِ الحُشودِ يَرمُقُ أتباعَهُ المؤمنينَ ويُحَدِّثُهُم قائلاً:

"هَنيئًا لكُم يا أحبابي، أيُّها المُستَضعَفونَ، فقد خَصَّكُم اللهُ بِمملكتِهِ الرَّبّانيّةِ!

[21]هَنيئًا لكُم، فلئن جُعتُم اليومَ، فغَدًا بإذنِ اللهِ تَشبَعونَ!

هَنيئًا لكُم يا مَن تُعانونَ الظُّلمةَ الآن وتَبكونَ، فقد خَصَّكُم اللهُ بزَمَنٍ فيهِ تَفرَحونَ وتَسعَدونَ.

[22]هَنيئًا لكُم جَميعًا عِندَما يأتيكُم النّاسُ فيُهينونَكُم ويَشتُمونَكُم لأنّكُم مِن أتباعِ سَيِّدِ البَشَرِ، يَحسَبونَ أنّ ذلِكَ مِنكُم كُفرٌ مُبينٌ.

[23]لا عليكُم، يا أحبابي ألا فافرَحوا في ذلِكَ الحينِ واستَبشِروا، فإنّ لَكُم عِندَ اللهِ الثّوابَ العَظيمَ، لأنّكُم كُنتُم على الأذِيّةِ صابِرينَ، فأولئكَ آذى آباؤهُم الأوّلونَ الأنبياءَ والصِّدّيقينَ.

[24]أمّا أنتُم يا عَبيدَ المالِ، فالوَيلُ الوَيلُ لكُم، إنّما نِلتُم في هذِهِ الدُّنيا حَظَّكُم، وما لكُم بَعدَها مِن نَصيبٍ!

[25]الوَيلُ لكُم، أيُّها المُتخمونَ في هذِهِ الدُّنيا، فسيأتي عليكُم زَمَنٌ فيهِ تَجوعونَ.

والوَيلُ لكُم أيُّها الضّاحِكونَ على النّاسِ، يا مَن لا تُبالونَ بمَن حَولَكُم، اذ سيأتي عليكُم زَمَنٌ فيهِ تَبكونَ في الجَحيمِ.

[26]والوَيلُ لكُم يا مَن تَسعَونَ إلى مَديحِ النّاسِ، فكذلِكَ فَعَلَ آباءُ مادِحيكُم قَديمًا بمُدّعيي النّبوّةِ الدّجّالينَ.

أحبّوا أعداءكم

[27] وتابَعَ يَقولُ: والآنَ أقولُ لكُم يا مَن أرَدتُم طاعةَ اللهِ، أحِبّوا أعداءَكُم، وأحسِنوا إلى مُبغِضيكُم! [28] اسألوا بَركاتِ اللهِ لكُلِّ مَن يَطلُبُ عليكُم اللّعنات، وادعُوا بالخَيرِ لمَن أساءَ إليكُم. [29] ومَن ضَربَكَ على خَدِّكَ الأيمَن، فأدِرْ لهُ الأيسَرَ أيضًا، ومَن اغتصَبَ مِنكَ عَباءَتَكَ، فأعطِهِ جِلبابَكَ أيضًا. [30] أعطِ مِمّا لكَ لكُلِّ مَن سألَكَ. ومَن أخَذَ ما هو لَكَ، فلا تُطالِبْهُ بِهِ. [31] عامِلوا النّاسَ كَما تُحِبّونَ أن تُعامَلوا. [32] إذ أيُّ فَضلٍ لكُم إن أنتُم أحبَبتُم مَن يُحِبّونَكُم ولَم تَتَجاوَزوهُم إلى غَيرِهِم؟ فالضّالّونَ يُحِبّونَ أيضًا مَن يُحِبّونَهُم! [33] وإن لَم تُحسِنوا إلاّ لِمَن أحسَنَ إليكُم، فأيُّ فَضلٍ لكُم في هذا؟! إذ كَذلِكَ يَفعَلُ الضّالونَ! [34] وإن أقرَضتُم فَقَط مَن يَقدِرونَ على سَدادِ كُلِّ الدّيْنِ، فأيُّ فَضلٍ لكُم في ذلِكَ؟! وبذلِكَ لن يَكونَ عَمَلُكُم ذاكَ أفضَلَ مِن عَمَلِ المُفسِدينَ الضّالينَ الّذينَ يُقرِضونَ أمثالَهُم مِن النّاسِ وَيَتَوَقَّعونَ السَّدادَ بالكامِلِ! [35] لِذا يا أحبابي أَحِبّوا أعداءَكُم وأحسِنوا إليهِم وأقرِضوهُم دونَ أن تَنتَظِروا سَدادًا، ولْيَكُنْ ذلِكَ كُلُّهُ لوَجهِ اللهِ الكَريم، فتَنالوا بذلِكَ مِن رَبِّكُم الثَّوابَ العَظيمَ وتَكونوا مِن أوليائِهِ تَعالى المُخلِصينَ. لأنّ اللهَ كذلِكَ يُنعِمُ على مُنكري فَضلِهِ وعلى الأشرارِ. [36] فارحَموا مَن في الأرضِ، مِثلَما يَرحَمُ اللهُ أبوكُم الرَّحمَنُ مَن فيها.

لا تكونوا أنتم من يدين الخلق

[37] وأردَفَ سَيِّدُنا عيسى عَلَيْنَا سَلَامُهُ قائلاً: "وإن أنتُم حاسَبتُم النّاسَ حاسَبَكُم رَبُّكُم، وإن أنتُم أدَنتُموهُم أدانَكُم اللهُ. سامِحوا النّاسَ كَي يُسامِحَكُم اللهُ. [38] وأعطوا بِسَخاءٍ، يَغمُرْكُم اللهُ بِنِعَمِهِ، ويُعَوِّضْ عليكُم بِكَيلٍ فائضٍ يَملأُ أحضانَكُم،(1) فكَما تَكيلونَ للنّاسِ، يَكيلُ اللهُ لكُم".

[39] وضَرَبَ سَيِّدُنا عيسى عَلَيْنَا سَلَامُهُ لهُم مَثَلاً قائلاً: "كَيفَ للأعمى أن يَقودَ أعمى مِثلَهُ؟! ألا يَسقُطُ كِلاهُما في الحُفَر؟ [40] لن يَكونَ التِّلميذُ أعلى مَرتَبةً مِن شَيخِهِ، بل يَكونُ التِّلميذُ قد أكمَلَ تَدريبَهُ عِندَ سُلوكِهِ مَسلَكَ شَيخِهِ".

[41] "لِماذا تُبصِرُ القَشّةَ في عَينِ أخيكَ، ولا تَرى الخَشَبةَ التّي في عَينِكَ؟! [42] وكَيفَ

(1) يقارن سيّدنا المسيح هنا ثواب الله للطائعين بطريقة تجّار القمح في ملء مكيال الباعة تمامًا إلى حدّ أن يصبح فائضًا.

تَتَجرّأُ على القَولِ: "يا أخي دَعني أُخرِج مِن عَينِكَ القَشّة، بَينَما لا تُلاحِظُ الخَشَبةَ الّتي في عَينِكَ؟ لا تَكُنْ مُنافِقًا. تَخلَّص مِن الخَشَبةَ الّتي في عَينِك أوّلاً لعَلَّك تُبصِرُ جَيّدًا فتُخرِجَ القَشّةَ مِن عَينِ أخيكَ!"

الشجرة الطيّبة وثمارها والشجرة الخبيثة وثمارها

[43]ثُمّ ضَرَبَ لهُم مَثَلاً آخَرَ فقالَ ﷺ: "الشَّجَرةُ الطَّيّبةُ لا تُثمِرُ إلاّ ثَمَرًا طَيّبًا، والخَبيثةُ لا تُثمِرُ إلاّ الخَبيثَ، [44]فكُلُّ شَجَرةٍ تَدُلُّ عليها ثِمارُها، فنَباتُ الشَّوكِ لا يَطرَحُ تينًا، والعُلّيقُ لا يُثمِرُ عِنَبًا! [45]والبَشَرُ كذلِكَ، فالطَّيّبُ مِن الأعمالِ والأقوالِ يَدُلُّ على طِيبةِ سَرائرِ أصحابِها، والخَبيثُ مِنها يَدُلُّ على خُبثِ سَرائرِ أصحابِها. إذ لا يَبوحُ اللِّسانُ إلاّ بما وَقَرَ في القَلبِ".

الأساس المتين

[46]ثُمّ قالَ مُتسائلاً: "كَيفَ تُنادونَني "سَيِّدَنا، سَيِّدَنا" ولا تَعملونَ بما أقولُ؟ [47]إنّ مَن يأتي إليّ مُصغيًا لأقوالي، عامِلاً بها، مَثَلُهُ كمَثَلِ [48]مَن أرادَ أن يَبني بَيتًا فعَمَّقَ في الأرضِ أساسَهُ ووَضَعَ على الصَّخرِ قواعِدَهُ، فإذا أتى السَّيلُ جارِفًا صَمَدَ البَيتُ لأنّ أساسَهُ راسِخٌ ولا يَتزَحزَحُ. [49]وأمّا مَن يُصغي لأقوالي دونَ أن يَعمَلَ بها فهو كَمَن يَبني بَيتَهُ على تُربةٍ رَمليّةٍ دونَ أساسٍ. فإذا أقبَلَ عليهِ السَّيلُ، اِنهارَ وتَحطَّمَ".

٧
الفصل السّابع

عيسى ﷺ يبرئ عبدَ ضابطٍ رومانيّ

[1]وبَعدَ أن أتَمَّ سَيِّدُنا عيسى ﷺ ما أرادَ قولَهُ لِمَن اجتَمعوا حَولَهُ، مَضى إلى قَريةِ كَفْرَناحومَ. [2]وكانَ فيها ضابِطٌ في جَيشِ الاحتِلالِ الرّومانيِّ، لهُ عَبدٌ ذو مَكانةٍ كَبيرةٍ في نَفسِهِ، وقد أصابَ العَبدَ مَرضٌ كادَ يَقضي عليهِ. [3]وعَلِمَ الضّابِطُ بخَبرِ عيسى ﷺ، فطَلَبَ مِن بَعضِ وُجهاءِ اليَهودِ التَّوسُّطَ لَدَيهِ ﷺ ليَشفي عَبدَهُ المَريضَ. [4]واستَجابَ الوُجهاءُ لطَلَبِ الضّابِطِ، فتَوجَّهوا إلى سَيِّدِنا عيسى ﷺ، وعِندَ وُصولِهِم ألَحّوا عليهِ قائلينَ: [5]"إنَّ هذا الضّابِطَ مُحِبٌّ لأُمّتِنا، حَقيقٌ بأن تُجيبَ دَعوتَهُ، فقد بَنى لنا بَيتًا للعِبادةِ". [6]فاستَجابَ لهُم سَيِّدُنا عيسى ﷺ وسارَ مَعَهُم، وعِندَ اقتِرابِهِ مِن بَيتِ

الضّابِطِ، بَعَثَ إليهِ بَعضَ الأصدِقاءِ ليَقولوا لهُ عن لِسانِهِ: "مَولاي، لا تُكَلِّفْ نَفسَكَ عَناءَ الدُّخولِ إلى بَيتي الوَضيع، لأنّني لَستُ أهلاً أن تَستَظِلَّ بِسَقفي،(1) 7بل إنّي لا أستَحِقُّ شَرفَ الذَّهابِ إليكَ ومُقابلَتِكَ، إذ يَكفي أن تأمرَ، وإن مِن بَعيدٍ، فيُشفَى عَبدي. 8إنّني أعلَمُ أنَّ باستَطاعتِكَ أن تَفعَلَ ذلِكَ، فأنا يا سَيِّدي مَرؤوسٌ ورَئيسٌ، يأمُرُني رُؤسائي فأُطيعُ، وآمُرُ جُنودي فيَطيعونَ دونَ تَرَدُّدٍ. وعِندَما آمُرُهُم لا أحتاجُ إلى أن أُتابعَ أوامري لأنّهُم يُنَفِذّونَها كُلِّها". 9وأُعجِبَ سَيِّدُنا عيسى عَلَيْنَا سَلَامُهُ بكَلامِ الضّابطِ والتَفتَ إلى الجُمهورِ الّذي كانَ يَتبَعُهُ قائلاً: "إنّي لم أجِدْ مَن يؤمِنُ بي كَما آمَنَ بي هذا الرَّجُلُ، ولا حتّى في بَني يَعقوبَ!" 10وعادَ أصدِقاءُ الضّابطِ إلى بَيتِ صَديقِهِم، فوَجَدوا العَبدَ قد زالَت عَنهُ عِلَّتُهُ وأصبَحَ مُعافىً.

عيسى عَلَيْنَا سَلَامُهُ وإحيائه الميت

11ثُم تَوَجَّهَ سَيِّدُنا عيسى عَلَيْنَا سَلَامُهُ مَعَ أتباعِهِ إلى بَلدةٍ اسمُها نَعيمُ، يُرافِقُهُ حَشدٌ غَفيرٌ مِنَ النّاسِ. 12وعِندَ اقتِرابِهِ مِن بَوّابةِ البَلدةِ اعتَرَضَتْهُم جَنازةُ شابٍّ وَحيد أُمِّهِ الأرمَلةِ الّتي كانَ يُحيطُ بها جَمعٌ كَبيرٌ مِن أهلِ البَلدةِ. 13وعِندَما رآها سَيِّدُنا عيسى اقترَبَ مِنها مُشفِقًا مواسيًا بقَولِهِ: "لا تَبكي!" 14ثُمَّ دَنا مِن النَّعشِ ولَمَسَهُ فوَقَفَ مَن كانوا يَحمِلونَهُ. وخاطَبَ المَيّتَ قائلاً: "قُم أيُّها الشّابُّ!" 15فبُعِثَ الشّابُّ مِن فَورِهِ حيًّا، وجَلَسَ بَينَ النّاسِ يَتَحَدَّثُ مَعَهُم. ثُمَّ سَلَّمَهُ عَلَيْنَا سَلَامُهُ لأُمِّهِ.

16ورانَ في تِلكَ اللَّحظةِ الخُشوعُ على قُلوبِ الجَميعِ، وأخَذوا يُسَبِّحونَ اللهَ قائلينَ: "لقد أرسَلَ اللهُ لنا نَبيًّا عَظيمًا، وأنعَمَ على شَعبِهِ وأعانَهُ". 17وهكذا انتَشَرَ خَبَرُ إحياءِ الشّابِّ المَيّتِ في مِنطقةِ يَهوذا وفي كُلِّ أنحاءِ فِلَسطين.

سؤال النبيّ يحيى

18وسَمِعَ النَّبيُّ يَحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو في السِّجنِ، مِن أتباعِهِ كُلَّ أخبارِ سَيِّدِنا عيسى عَلَيْنَا سَلَامُهُ. فاستَدعى اثنَينِ مِنهُم 19وأوفَدَهُما إليهِ لِيَسألاهُ عن حَقيقتِهِ قائلَينِ: "أأنتَ المُنقِذُ المُنتَظَرُ الّذي وَعَدَنا اللهُ بِهِ؟ أم علينا انتِظارُ ذلِكَ المُنقِذِ مِن بَعدِكَ؟!" 20–21ولَمّا وَصَلَ مُوفَدا يَحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ، كانَ سَيِّدُنا عيسى عَلَيْنَا سَلَامُهُ يَشفي جُموعًا مِمّن أصابَتهُم

(1) لقد عرف الضابط أنّ دخول بيت أجنبي عملٌ نجس بالنسبة إلى اليهود.

عِلَلٌ مُختَلِفةٌ ومِمّن سَكَنَتْهُم الشَّياطينُ ويَهِبُ البَصَرَ لِعُميانٍ كَثيرينَ. فسألاهُ كَما أوصاهُما يَحيى، [22]فرَدَّ عليهِما قائلاً: "عُودَا أدراجَكُما إلى يَحيى وأخبِرَاهُ بما شَهدتُما وسَمِعتُما: إنّ العُميَ يُبصِرونَ، والمُقعَدينَ يَمشونَ، والبُرْصَ يَبرَؤونَ، والصُمَّ يَسمَعونَ، والمَوتى يَحيَونَ، والمَساكينَ يُبَشَّرونَ، (1) [23]فهَنيئًا لمَن لا يَفقِدُ إيمانَهُ بي".

[24]واستَمَعَ المُوفَدانِ إلى كَلامِ عيسى سَلامُهُ علينا ثُمّ انصَرَفا، والتَفَتَ سَلامُهُ علينا إلى حَشدِ النّاسِ مِن حَولِهِ مُحَدِّثًا إيّاهُم عن يَحيى عليه السلام بقَولِهِ: "عِندَما خَرَجتُم إلى الباديةِ، ماذا رأيتُم؟ أرَجُلاً هَزيلاً كقَصَبةٍ تَدورُ حَيثُما تَوَجَّهَت بها الرِّيحُ؟ [25]أم عايَنتُم رَجُلاً يَلبَسُ ثَوبًا فاخِرًا؟ كَلاّ، إنّ الّذينَ يَرتَدونَ المَلابِسَ الفاخِرةَ في تَرَفٍ ونَعيمٍ وهم في قُصورِ المُلوكِ مُرَفَّهينَ. [26]فلِماذا خَرَجتُم، إذًا؟ هل قَصَدتُم رؤيةَ نَبيٍّ؟ أقولُ لَكُم: حقًّا إنّ يَحيى نَبيٌّ بل هو أعظَمُ مِن نَبيّ! [27]لقد جاءَ ذِكرُهُ في كِتابِ النَّبيِّ مَلاكي إذ قالَ تَعالى عَنهُ: "إنّي أبعَثُ أمامَ مُختاري رَسولاً ليُهَيّئَ لهُ سَبيلاً". (2) [28]وإنّي مُخبِرُكم بأنّهُ لم يُولَد إلى حينِ قيامِ مَملكةِ اللهِ على الأرضِ إنسانٌ أعظَمُ مِن يَحيى، والآنَ وقد حانَ وَقتُ هذِهِ المَملَكةِ، فإنّ أقَلَّ واحدٍ مَكانةً في المَملكةِ سيَكونُ أعلى شأنًا مِن النَّبيّ يَحيى! [29]والّذينَ سَمِعوا كَلامَ يَحيى مِن عامّةِ النّاسِ ومِن جُباةِ الضَّرائبِ المَكروهينَ، سَبَّحوا اللهَ لأنّهُ اللَّطيفُ الأمينُ على عَهدِهِ فهو الّذي أعطاهُم فُرصةً ليَتوبوا إلى اللهِ عِندَما طَهَّرَهُم. [30]أمّا الفُقَهاءُ والمُتَشَدِّدونَ فكانوا لِهدايةِ اللهِ رافِضينَ فلم يَقبَلوا أن يُطَهِّرَهُم بالماءِ".

[31]وتابَعَ سَيِّدُنا عيسى سَلامُهُ علينا حَديثَهُ قائلاً: "بمَن أُشَبِّهُ هؤلاءِ الرّافِضينَ؟ [32]إنّ مَثَلَهُم كمَثَلِ أولادٍ في السّاحةِ يَلعَبونَ يَقولُ بَعضُهُم لبَعضٍ: "ما بِكُم تَرفُضونَ كُلَّ شَيءٍ؟ إن لَعِبنا لُعبةَ العُرسِ، لا تَرقُصونَ، أو لَعِبنا لُعبةَ الجَنازةِ، لا تَبكونَ!" (3) [33]كَذا فَعَلتُم عِندَما رَفَضتُم يَحيى بنَ زَكَريّا وأنكَرتُم عليهِ زُهدَهُ في الخُبزِ والخَمرِ وادّعَيتُم عليهِ

---

(1) اقتبس السيّد المسيح سَلامُهُ علينا ذلك القول من نبوّات النبي أشعيا دلالةً على أنّه هو المنقذ المنتظر الذي بشّر به النبي أشعيا.

(2) وَعَدَ الله تعالى على لسان النبي ملاكي أنّه سيرسل النبي يحيى ليسهّل لسيّدنا المسيح السبُلَ لإبلاغ دعوته.

(3) كان السيّد المسيح يقول إنّ بعض الأشخاص من اليهود ورجال الدين كانوا يتنازعون كالأطفال، فبعضهم كانوا يرغبون في لعب الألعاب المرحة، بينما يريد آخرون لعب الألعاب الحزينة. ويقول السيد المسيح إنّ بعض رجال الدين لم يكونوا ليوافقوا على نموذج النبي يحيى لأنّه كان صارمًا، ولم يكونوا يحبّون طريقة السيّد المسيح، لأنّه، في رأيهم، لم يكن حازمًا بما فيه الكفاية.

بقَولِكُم: "مَسَّهُ شَيطانٌ" [34]وكذلِكَ فَعلتُم عِندَما أتاكُم سَيِّدُ البَشَرِ الّذي يأكُلُ ويَشرَبُ كبَقيَّةِ الخَلقِ وادّعَيتُم عليهِ بقَولِكُم: "إن هو إلاّ رَجُلٌ يأكُلُ ويَشرَبُ بِشَرَهٍ، ويُصادِقُ جُباةَ الضَّرائبِ والضَّالّينَ مِن النّاسِ!" [35]ولكن اعلَموا أنّ الحُكماءَ هُم الّذينَ يَستَجيبونَ لِحِكمةِ اللهِ عِندَما تَظهَرُ لهُم".

عيسى ﷺ والمرأة الخاطئة

[36]وكانَ أن دَعا أحَدُ المُتَشَدِّدينَ سَيِّدَنا عيسى ﷺ إلى بَيتِهِ، فأجابَ دَعوتَهُ. وبَينَما كانَ يَتَناوَلُ الطّعامَ مَعَ جَمعٍ مِن النّاسِ، [37]أتَتهُ امرأةٌ سَيِّئةُ السُّمعةِ قد عَلِمَت بوجودِهِ في بَيتِ ذلِكَ المُتَشَدِّدِ، وكانَت تَحمِلُ قارورةً مِن المَرمَرِ بها عِطرٌ ثَمينٌ، [38]فوَقَفَت وَراءَهُ باكيةً، ورَكَعَت غاسِلةً بِدُموعِها قدَمَيْهِ،(1) ثُمّ مَسَحَتْهُما بشَعرِها، وقَبَّلَتْهُما، وسَكَبَت عِطرَ القارورةِ عليهِما.

[39]وعِندَما رأى المُتَشَدِّدُ صاحِبُ البَيتِ ذلِكَ المَشهَدَ، أسَرَّ في نَفسِهِ قائلاً: "لو كانَ هذا الرَّجُلُ نَبيًّا حقّا، لعَلِمَ أيَّ امرأةٍ تَلمُسُهُ، ولعَلِمَ أنّها مِن الضّالّينَ".(2) [40]وأدرَكَ ﷺ ما يُسِرُّهُ الرَّجُلُ فخاطَبَهُ قائلاً: "يا شِمْعونُ، أُريدُ أن أُحدِّثَكَ بشَيء". فأجابَهُ الرَّجُلُ: "تفَضَّلْ يا مُعَلِّمُ". [41]فأردَفَ عيسى ﷺ قائلاً: "كانَ هُناكَ مُرابٍ ورَجُلانِ استَدانا مِنهُ مَبلَغَينِ مِن المالِ، أحَدُهُما قيمتُهُ خَمسُ مِئةِ قِطعةٍ مِن الفِضّةِ والآخَرُ خَمسونَ، [42]وكانَ أن استَعصَى على كِلَيهِما الوَفاءُ بالدَّينِ، فأسقَطَ المُرابي الدَّينَ عَنهُما! فقُلْ لي يا شِمعونُ، أيُّ المُستَدينَيْنِ يُحِبُّهُ أكثر؟!" [43]فأجابَهُ شِمعونُ: "أظُنُّ أنّ الّذي أعفاهُ مِن المَبلَغِ الأكبَرِ سيُحِبُّهُ أكثَرَ". فقالَ لهُ سَيِّدُنا عيسى: "أحسَنتَ".

[44]والتَفَتَ إلى المَرأةِ مُتَوَجِّهًا بكَلامِهِ إلى شِمعونَ قائلاً: "انظُرْ إلى تِلكَ المَرأةِ أمامَكَ، لقد دَخَلتُ بَيتَكَ ضَيفًا فلم تَقُم بواجِبِكَ في تَقديمِ الماءِ لغَسلِ قَدَميَّ،(3) بَينَما

---

(1) كانت غرفة العشاء مفتوحة على الشارع (حسب العادة آنذاك) وكان المدعوّون يجلسون إلى موائد حولها أرائك مصفوفة يتّكئون عليها. وكان عامّة الناس يحضرون تلك المجالس لمشاهدتها فقط.

(2) لم تكن خطيئة هذه المرأة واضحةً. وكان المتشدّدون يعتقدون أنّ الاتّصال بغير المتديّنين من الناس يجعلهم نجسين، وكانت هذه النجاسة تَفرِضُ عليهم الإقامة بعيدًا عن المجتمع اليهودي لأسبوع من الزمن يقومون في آخره بإجراء بعض الشعائر للتطهّر.

(3) درج الجميع في ذلك الزمن على تكريم الضيف بصبِّ الماء على قدميه عند وصوله إلى بيت مَن استضافه، وذلك لإزالة غبار الطريق عنهما. ويعتبر عدم القيام بذلك إخلالا بواجب الضيافة أو إهانة للضيف.

غَسلَتهُما هذِهِ المَرأةُ بدُموعِها ومَسَحتْهُما بشَعرِها إجلالاً وتكريمًا! [45]وأنتَ لم تُقَبِّلني حينَ دَخلتُ، ولكنّها لم تتَوَقَّفْ مُذْ دَخلتُ عن تَقبيلِ قَدَمَيّ إكرامًا. [46]وحينَ غَفلتَ أنتَ عن دَهنِ رأسي بالزَّيتِ،(1) غَمرَتْ هي قَدَمَيّ بعِطرِها، فأحسَنَتْ ضِيافتي بِكُلِّ ما فَعلَتْهُ مَعي أكثَرَ مِنكَ! [47]ولقد غَفرَ اللهُ لها ذُنوبَها الكَثيرةَ، فأحَبَّتْني كَثيرًا، ومَن لا يُغفَرُ لهُ مِن الذُّنوبِ إلاّ القَليلُ، فإنّهُ لا يُحِبُّ إلاّ قَليلاً".(2) [48]ثُمّ التَفتَ ﷺ إلى المَرأةِ قائلاً: "مَغفورةٌ لَكِ ذُنوبُكِ وآثامُكِ". [49]وأخَذَ كُلُّ مَن حَضَرَ تِلكَ الوَليمةَ يَتَساءَلُ في نَفسِهِ: "مَن يَظُنُّ نَفسَهُ، حتّى يَتَجرّأَ أن يَغفِرَ الذُّنوبَ؟!" [50]في حِينِ تابَعَ عيسى ﷺ كَلامَهُ مع المَرأةِ قائلاً: "إيمانُكِ بي قد نَجّاكِ، فامضِي في طَريقِكِ بأمانِ اللهِ".

٨
الفصل الثّامن

عيسى ﷺ والنّسوة اللواتي تبعنه

[1]وهكذا مَضى سَيِّدُنا عيسى ومَعَهُ حَوارِيّوهُ الاثنا عَشَرَ يَطوفونَ بالمُدُنِ والقُرى مُبَشِّرًا بقيامِ المَملَكةِ الرَّبّانيّةِ، [2]وكانَ بِرِفقتِهِم جَماعةٌ مِن النِّسوةِ اللّواتي شَفاهُنّ ﷺ مِن الأمراضِ، كَما كانَ بَينَهُنّ مَن خَلَّصَهُنّ مِن مَسِّ الجِنِّ والشّياطينِ. وهؤلاءِ هُنّ: مَريمُ المُلَقَّبةُ بالمَجدَليّةِ، وقد تَلَبَّسَها سَبعةٌ مِن الشّياطينِ فتَخَلَّصَت مِنهُم على يَدِ سَيِّدِنا عيسى ﷺ، [3]كَما كانَت مِنهُنّ حَنّةُ زَوجةُ خوزي وَكيلِ الأميرِ بن هيرودُسَ، وسَوْسَنُ وأُخرَياتٌ كَثيرات مِمَّن بَذَلنَ أموالَهُنّ في سَبيلِ عيسى ﷺ وحَوارِيِّيهِ.

مَثَل الزّارع

[4]وبَينَما كانَ النّاسُ مُحتَشِدينَ حَولَهُ ﷺ وقد وَفَدوا عليهِ مِن جَميعِ القُرى في المِنطقةِ لِيَستَمِعوا إلى كَلامِهِ، تَوَجَّهَ إليهِم سَيِّدُنا عيسى ضارِبًا لهُم مَثَلَ الزّارِعِ: [5]"مَضى زارِعٌ إلى أرضِهِ لِيَبذُرَ فيها الحَبَّ،(3) وبَينَما كانَ يَنثُرُهُ على الأرضِ سَقَطَ بَعضُهُ على

(1) درج جميع الناس في ذلك الزمن على تكريم الضيف بدهن رأسه بالزيت.

(2) ذلك لأنّ المحبّة تكون على قدر الذنوب المغتفرة.

(3) على الزارع قبلَ زرع بذاره حرثُ التربة بشكل طبيعي، ومن ثمّ القيام بنشر الحب بيده ضمن مساحة واسعة، وذلك قبل عودته لحراثة التربة مرّة ثانية، ورغم ذلك تبقى بعض هذه البذور على السطح.

جَنباتِ الطَّريقِ، فداسَتْهُ المارّةُ، وصارَ طَعامًا للطُّيورِ فلم تَبقَ مِنهُ حَبّةٌ، [6]وسَقَطَ بَعضُهُ على أرضٍ صَخريّةٍ لا يَنفُذُ إليها ماءٌ، فكانَ أن نَبتَ إلى حينٍ، ولكنّهُ ذَبُلَ وماتَ. [7]وسَقطَ بَعضٌ مِن هذا البِذارِ في تُربةٍ بَينَ الأشواكِ فنَبَتَ، ولكنّ الأشواكَ المُحيطةَ بِهِ خَنَقَتهُ فلم يُنتِجْ ثِمارًا، [8]وأمّا البِذارُ الّذي كانَ الزّارعُ قد نَثَرَهُ في تُربتِهِ الخَصبةِ فقد نَبَتَ وأينَعَ مُعطيًا ثَمَرًا بَلَغَ مِئةَ ضِعفٍ مِن البِذارِ". ثُمّ قالَ ﷺ بصَوتٍ مُرتَفعٍ: "فلْيَسمعِ السّامِعونَ ولْيَفقه المُتَبَصِّرونَ".

أسباب ضرب الأمثلة

[9]فسألَهُ أتباعُهُ: "يا سَيِّدَنا، أبِنْ لنا تَفسيرَ مَثَلِ الزّارعِ؟!" [10]فأجابَهُم قائلاً: "أنتُم، يا أحبّائي، قد كَشَفَ اللهُ لكُم بفَضلي أسرارَ المَملكةِ الرّبّانيةِ، وأمّا الآخَرونَ فأسوقُ لهُم الأمثالَ دونَ بَيانٍ، حتّى يَتِمَّ وَعدُ اللهِ للنّبيّ أَشعيا إذ قالَ لهُ: "حتّى لو شاهَدوا أعمالي، لا يَفهَمونَ، أو سَمِعوا أقوالي لا يَفقَهونَ".

تفسير مثل الزّارع

[11]"ها أنا أُبيّنُ لكُم مَعنى المَثَلِ: إنّما يَرمُزُ البِذارُ إلى رِسالةِ اللهِ، [12]والحَبُّ المُتَساقِطُ على جانِبِ الطَّريقِ إلى الّذينَ يَسمَعونَ رِسالتَهُ، ولكنّ الشَّيطانَ يُغويهِم فيَنزِعُ البَذرةَ مِن قُلوبِهِم كَي لا يُؤمِنوا فلا يَكونوا مِن النّاجينَ. [13]وأمّا التُّربةُ الصَّخريّةُ، فتُمَثِّلُ الّذينَ يَقبَلونَ رسالتَهُ بفَرَحٍ ولكن لا جُذورَ للرِّسالةِ في قُلوبِهِم، فيَظَلّونَ على الإيمانِ إلى أن يَنقلِبوا على أعقابِهِم عِندَ أوّلِ مِحنةٍ. [14]وأمّا الأرضُ ذاتُ الأشواكِ فتُمَثِّلُ الّذينَ يَسمَعونَ رِسالةَ اللهِ ويَقبَلونَها، ولكنّ مَتاعَ الحياةِ الدُّنيا وهُمومَها وكُنوزَها تَخنُقُ شَيئًا فشيئًا إيمانَهُم، فلا تَجعَلُهُ يُثمِرُ. [15]وأمّا التُّربةُ الخَصبةُ فتُمَثِّلُ أصحابَ القُلوبِ الصّادقةِ الطّاهِرةِ، هؤلاءِ يَسمَعونَ رِسالةَ اللهِ ويَحفَظونَها ويَتَمَسَّكونَ بِتَطبيقِها ويُثابِرونَ، حتّى تُثمِرَ أعمالُهُم ثِمارَ الإيمانِ مِن أخلاقٍ صالِحةٍ وأعمالٍ مَرضيّةٍ".

المصباح

[16]"لا يُنيرُ أحَدُكُم مِصباحًا ثُمّ يَضَعُ عليهِ وِعاءً، أو يَجعَلُهُ تحتَ سَريرٍ، بل عليهِ أن يَضَعَهُ في مَكانٍ عالٍ فيُضيءَ بنورِهِ دُروبَ القابِعينَ في الظُّلُماتِ ليَخرُجوا مِنها إلى النّورِ. [17]فما مِن شَيءٍ مَستورٍ إلاّ كَشَفَهُ اللهُ، حتّى يَجعَلَ كُلَّ خافٍ واضِحًا للعِيانِ. [18]فأَصغوا جيِّدًا إلى الرِّسالةِ الإلهيّةِ الّتي أُبَلِّغُكُم، فمَن تَقَبَّلَها زادَ اللهُ لهُ في إدراكِهِ، ومَن

لم يُعِرها أُذُنًا صاغيةً جرّدَهُ اللهُ حتّى مِمّا يَملِكُ مِن إدراكٍ " .[1]

مريم (عليها السلام) وإخوته

19 وقدِمَت ذاتَ مرّة أُمُّهُ مريمُ (عليها السلام) مَعَ إخوتِهِ لِرُؤيتِهِ والاجتماعِ بِهِ، ولكنّ الازدِحامَ الشَّديدَ حالَ بينَهُما. 20 وأخبرَ بعضُهُم سيِّدَنا عيسى عليه السلام بذلِكَ قائلينَ: "أُمُّكَ وإخوتُكَ واقِفونَ في الخارِجِ يُريدونَ أن يَرَوكَ" . 21 فالتَفتَ إليهِم قائلاً: "إنّ الّذينَ يَسمَعونَ رِسالةَ اللهِ ويعمَلونَ بها يُصبِحونَ بالنِّسبةِ إليّ أُمًّا وإخوانًا!"

عيسى عليه السلام يهدّئ العاصفة

22 وقالَ ذاتَ يوم لأتباعِهِ: "تعالَوا نَعبرُ البُحيرةَ إلى الشّاطئِ الآخَر" .[2] فصَعِدوا على مَتنِ القارِبِ مُيَمِّمينَ شَطرَ ذلِكَ الشّاطئِ، 23 فيما استَلقى سَيِّدُنا عيسى عليه السلام . وعِندَما أصبَحَ القارِبُ وَسَطَ البُحيرةِ هَبَّت ريحٌ عاصِفةٌ فأوشَكَ القارِبُ على الغَرَقِ وأصبَحوا في خَطَرٍ، 24 فأسرَعَ أتباعُهُ إليهِ وأيقَظوهُ قائلينَ: "يا مَولانا، يا مَولانا، إنّنا مُوشِكونَ على الغَرَقِ والمَوتِ!" فنَهَضَ عليه السلام وأمَرَ الرِّياحَ والأمواجَ المُتَلاطِمَةَ فسَكَنَت، وهَدأت العاصِفةُ وسادَت السَّكينةُ الجوَّ. 25 ثُمّ التَفتَ إليهِم قائلاً: "أينَ ذَهَبَ إيمانُكُم بي؟!" فأخَذوا يَتَساءَلونَ فيما بَينَهُم مُتَهيِّبينَ ذلِكَ المَوقِفَ، مُندَهِشينَ مِمّا حَدَثَ، قائلينَ: "أيُّ رَجُلٍ هذا، إنّهُ لَيأمُرُ الرِّيحَ العاصِفَةَ فتَهدأَ، والأمواجَ الهائجةَ فتَسكُنَ وتَستقِرَّ خاضِعةً طائعةً؟!"

عيسى عليه السلام يشفي ممسوسًا

26 ثُمّ تابَعَ القارِبُ إبحارَهُ حتّى وَصَلوا إلى شاطئِ بِلادِ الجَراسيّينَ الّتي تَقَعُ مُقابِلَ الجَليلِ شَرقًا.[3] 27 وكانَ على شاطئِ تِلكَ القَريةِ رَجُلٌ مِن أبنائِها قد تَلَبَّسَهُ الجِنُّ وأربَكَ حَياتَهُ لِفَترةٍ طَويلةٍ إذ كانَ يَهيمُ على وَجهِهِ عاريَ الجَسَدِ، ولم يَكُن لهُ مِن مأوى يَسكُنُ إليهِ سِوى المَقابِرِ. 28-29 وكانَت الجِنُّ الّتي حَلَّت في جَسَدِهِ تَصرَعُهُ بَينَ الحينِ والحينِ

(1) النور هنا يرمز إلى وحي الله. يقول السيّد المسيح إنّنا سنتمتّع بزيادة من العلم عن وحي الله إن عشنا بطاعة ما تعلّمناه في الماضي، وإلاّ، جرّدنا من العلم الذي حصلنا عليه.

(2) كانوا في طريقهم إلى الجزء الشرقي من شاطئ بحيرة طبريا، حيث كان معظم الناس وثنيين.

(3) هذه المنطقة هي منطقة مدينة أمّ قيس في شمال الأردن، وكان يقطنها وثنيون في زمن السيّد المسيح. والدليل على ذلك اشتغال أهلها بتربية الخنازير.

فتجعَلُهُ يَخرُجُ عن طَورِهِ حتّى إنّ مَن حَولَهُ يُقَيِّدونَهُ بالسّلاسِلِ ليَحبِسوهُ، فيُحطِّمُ تِلكَ الأغلالَ ويَهرُبُ صَوبَ البَراري. وعِندَما نَزَلَ سَيِّدُنا عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ على الشّاطِئِ ووَقَفَ أمامَهُ الرَّجُلُ الّذي تَلَبَّسَتْهُ الجِنُّ أمَرَ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ الجِنَّ النَّجِسَة بمُغادَرةِ جَسَدِهِ، فرَكَعَ الرَّجُلُ أمامَهُ وصاحَت الجِنُّ مِن خِلالِ الرَّجُلِ بصَوتٍ مُرتَفِع: "لِماذا تُضَيِّقُ علينا يا عيسى، أيُّها الابنُ الروحيُّ للهِ العَليّ؟ رَجاءً، لا تُعَذِّبنا!" 30فسألَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قائلاً: "ما اسمُكَ؟"(1) فأجابَت الجِنُّ: "اسمُنا كَتيبة" لأنّ كَتيبةً مِن الجِنِّ قد حَلَّت في جَسَدِ الرَّجُلِ. 31وأخَذَ هذا الجَيشُ مِن الجِنِّ يَتوَسَّلُ بإلحاحٍ إلى عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ألاّ يَحبِسَهُم في قاعِ الأرضِ.(2) 32وسألوهُ السَّماحَ لهُم بالحُلولِ في قَطيعٍ مِن الخَنازيرِ الّتي كانَت تَرعى علَى جانبِ الجَبَلِ، فسَمَحَ لهُم بذلِكَ، 33وكذا كانَ الأمرُ، ولكنّهُم بَعدَ حُلولِهِم في الخَنازيرِ أخَذَت الخَنازيرُ تَتدافَعُ حتّى هَوَتْ كُلُّها مِن حافةِ الجَبَلِ إلى البُحَيرةِ فغَرِقَت وماتَت.

34ورأى رُعاةُ الخَنازيرِ ذلِكَ ففَرُّوا هاربينَ، وأخبَروا كُلَّ النّاسِ الّذينَ كانوا يَقطُنونَ في القَريةِ والأريافِ الّتي حَولَها بما حَدَثَ، 35فخَرَجَ النّاسُ إثرَ ذلِكَ ليُشاهِدوا بأعيُنِهِم ما حَصَلَ، وعِندَ وُصولِهِم إلى حَيثُ كانَ سَيِّدُنا عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَجَدوا ذلِكَ الرَّجُلَ الّذي تَخَلَّصَ مِن الجِنِّ جالسًا عِندَ قدمَيهِ مُعافىً لابسًا ثيابَهُ وقد عادَ إليهِ رُشدُهُ، فراعَهُم ذلِكَ 36وعَرَفوا مِن شُهودِ عِيانٍ ما حَدَثَ، 37فتَوَسَّلَ أهلُ تِلكَ المِنطَقةِ مِن الجَراسيّينَ إلى عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يَترُكَهُم وشأنَهُم إذ أنَّهُم خافوا مِن كُلِّ ما حَدَثَ وارتاعُوا.(3) 38وعِندَ مُغادَرتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقَبلَ أن يَصعَدَ القارِبَ ويُبحِرَ بِهِ، سألَهُ الرَّجُلُ الّذي شَفاهُ أن يُرافِقَهُ، فصَرَفَهُ قائلاً: 39"عُد إلى أهلِكَ وأخبِرْهُم بكُلِّ ما مَنَّ اللهُ بِهِ عليكَ". فاستَجابَ الرَّجُلُ ومَضى إلى القَريةِ مُخبِرًا بما فَعَلَهُ سَيِّدُنا عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَهُ.(4)

---

(1) يعتقد اليهود أنّ معرفة اسم الشيطان أو الجنّ ييسّر طردهم من جسم الممسوس.

(2) وهو المكان الذي فيه يُحبَس بعض الجنّ والشياطين ويعاقبون حتّى يوم الدين، عندما يطرحون كلّهم في النار.

(3) لقد كان هؤلاء الوثنيّون خائفين من سيّدنا عيسى لاعتقادهم أنّه ساحر عليم.

(4) كان سيّدنا المسيح، في بداية دعوته، يطلب الكتمان ممّن شُفِي على يده، لأنّ اليهود كانوا في انتظار المسيح المنقذ لتنصيبه ملكا عليهم، حتّى ينقذهم من الاحتلال الروماني، ولذلك احتاج السيد المسيح إلى وقت ليعلِّمَ أتباعه طبيعة المملكة التي سيؤسّسها. وفي المقابل كان السيّد المسيح يسمح لمن شفاه بالحديث عنه بصراحة عندما كانت معجزاته تظهر في البلاد الأجنبيّة حيث لم يكن الناس ينتظرونه، ولم تكن لهم أفكار خاطئة عنه.

إحياء ميّتة وشفاء مريضة

40 وعِندَما رَجَعَ ﵇ إلى الشّاطئِ الآخَرِ مِن البُحَيرةِ، كانَ حَشدٌ كَبيرٌ مِن النّاسِ في انتِظارِهِ، فأخَذوا يُرَحِّبونَ بِهِ، 41 وجاءَ إليهِ مَسؤولٌ عن بَيتِ العِبادةِ اسمُهُ مُنيرٌ،(1) وعِندَما وَصَلَ إليهِ خَرَّ عِندَ قَدَمَيهِ مُتوَسِّلاً إليهِ الذَّهابَ إلى بَيتِهِ 42 لِرؤيةِ ابنَتِهِ الوَحيدةِ ذاتِ الاثني عَشَرَ عامًا وهي تُحتَضَرُ، فمَضى ﵇ مَعَهُ وقد أحاطَ بِهِ جَمعٌ كَبيرٌ مِن النّاسِ حتّى كادَ يَختَنِقُ.

43 واقتَرَبَت مِن خَلفِهِ في تِلكَ الأثناءِ امرأةٌ مُصابةٌ بِنَزفٍ مُنذُ اثني عَشَرَ عامًا ورَغمَ أنّها أنفَقَت كُلَّ ما تَملِكُهُ على الأطِبّاءِ، لم يَقدِر أحَدٌ أن يَشفيَها. 44 فجاءَت تِلكَ المَرأةُ ولَمَسَت طَرَفَ ثَوبِهِ ﵇ فتوَقَّفَ نَزفُها في الحالِ. 45 فالتَفَتَ سَيِّدُنا عيسى إلى مَن حَولَهُ مُتسائِلاً: "مَن لَمَسَني؟" فأنكَرَ ذلِكَ الجَميعُ ولم يُجِبهُ أحَدٌ، وقالَ لهُ بُطرُسُ الصَّخرُ: "يا سَيِّدي، كَيفَ تَسألُ عَمّن لَمَسَكَ والجُموعُ تَكادُ تَلتَصِقُ بِكَ؟!" 46 فأجابَهُ قائلاً: "هُناكَ شَخصٌ قَصَدَ ذلِكَ لأنّني أحسَستُ بقوّةٍ خَرَجَت مِنّي". 47 فأدرَكَت المَرأةُ انكِشافَ أمرِها، واقتَرَبَت وهي تَرتَعِدُ، ورَمَت بنَفسِها أمامَهُ ﵇ مُعتَرِفةً بأنّها لَمَسَتهُ لتُشفَى وبأنّها شُفِيَت في الحالِ. 48 فأشارَ إليها عيسى ﵇ قائلاً: "اعلَمي يا ابنَتي أنّ ثِقتَكِ بي كانَت السَّبَبَ في شِفائِكِ. فامضي بأمانِ اللهِ". 49 وبَينَما هم سائرونَ إلى بَيتِ مُنير أتاهُ شَخصٌ وقالَ لهُ: "لقد تُوفِّيَت ابنَتُكَ، فلا حاجةَ لإرهاقِ مَولانا". 50 فلمّا سَمِعَ سَيِّدُنا عيسى ﵇ ذلِكَ التَفَتَ إلى مُنير قائلاً: "هَوِّنْ عليكَ، يَكفيكَ أن تَثِقَ بي، فتَكونُ ابنَتُكَ بخَيرٍ". 51–53 ومَضَوا بَعدَ ذلِكَ إلى بَيتِ مُنير حَيثُ تَعالى الصِّياحُ والنّواحُ. فتَوَجَّهَ سَيِّدُنا عيسى إلى الحُضورِ قائلاً: "كُفّوا عن البُكاءِ، إنّ الصَّبيّةَ لم تَمُت، بل هي نائمةٌ". وسَخِروا مِنهُ لِيَقينِهِم أنّها ماتَت. ولكنّهُ ﵇ تَوَجَّهَ إلى الغُرفةِ الّتي فيها الصَّبيّةُ ودَخَلَها ولم يَسمَح بالدُّخولِ مَعَهُ إلاّ لبُطرُسَ الصَّخرِ ويوحَنّا ويَعقوبَ ولوالِدَيها، 54 ثُمّ أمسَكَ بيدِها،(2) وقالَ بصَوتٍ مُرتَفِعٍ: "قومي أيَّتُها الصَّبيّةُ!" 55 فارتَدَّت رُوحُها إلى جَسَدِها ونَهَضَت في الحالِ. ثُمّ طَلَبَ مِنهُم إطعامَها،(3) 56 فدُهِشَ أبواها ثُمّ أوصاهُما ﵇ بِكِتمانِ ما رَأياهُ.

---

(1) هذا هو المرادف للاسم العبري يائر، وباليونانية يايروس.

(2) جاء في التوراة أنّ مَن لمس جثة الميت أصبح نجسًا، وبرغم ذلك كان همّ سيّدنا المسيح إعادة الحياة لابنة منير.

(3) طلب منهم السيّد المسيح إطعام الفتاة ليريهم أنّها حيّة حقًّا وليست روحًا أو شبحًا.

٩
الفصل التّاسع

عيسى عليه السلام يرسل الحواريّين

[1]ثُمّ جمَعَ عليه السلام حواريّيهِ الاثني عَشَرَ(1) وأمَدَّهُم بقوّةٍ وسُلطانٍ يُمَكِّنُهُم مِن شِفاءِ المَرضى ومِن تَخليصِ النّاسِ مِن مَسّ الجِنّ والشَّياطينِ، [2]ثُمّ بَعَثَهُم ليُعلِنوا في أنحاءِ البِلادِ بَيانَ قيامِ المَملَكةِ الرَّبّانيّةِ وليَشفوا كُلَّ سَقيمٍ، [3]وقد أوصاهُم قائلاً: "لا تَأخُذوا مَعَكُم زادًا، ولا عَصًا ولا كيسًا ولا خُبزًا ولا نُقودًا ولا لِباسًا، فلا حاجةَ لكُم إلى كُلِّ ذلِكَ، [4]فإذا وَصَلتُم إلى قَريةٍ، فأوَّلُ بَيتٍ يُرَحِّبُ بِكُم أُمكُثوا فيهِ ضُيوفًا إلى يَومِ تَرحَلونَ،(2) [5]أمّا القَريةُ الّتي لا يُقبِلُ أهلُها عليكُم ويَرفُضونَ رِسالتَكُم، فاترُكوها وانفُضُوا الغُبارَ عن أرجُلِكُم إنذارًا لهُم".(3) [6]وهكذا انصَرَفَ الحَواريّونَ، وراحوا يَطوفونَ القُرى مُنتَقِلينَ مِن قَريةٍ إلى أُخرى، يُبرِئونَ المَرضى، ويَزِفّونَ إلى النّاسِ البُشرى في كُلِّ مَكانٍ.

تساؤل ابن هيرودس عن عيسى عليه السلام

[7]وسَمِعَ الحاكِمُ أَنْتيباسُ بن هيرودُس(4) بالأحداثِ الجِسامِ الّتي تَحدُثُ، وكانَ في حَيرةٍ مِن أمرِهِ لِمَا كانَ يَتَناقَلُهُ النّاسُ، إذ مِنهُم مَن كانَ يَقولُ: "إنّ يَحيى قد بُعِثَ

(1) كان عدد الحواريين الذين اختارهم سيدنا المسيح هو نفس عدد عشائر بني إسرائيل (أي بني يعقوب).

(2) القصد هنا البقاء في ذاك البيت لإعلان البشارة وليس القصد اختيار البيت الأنسب لطعام أتباعه أو الأفضل لراحتهم.

(3) درج اليهود على نفض الغبار عند خروجهم من إحدى البلدات التي تعتنق الوثنية وذلك للتخلّص حسب زعمهم من نجاسة الوثنيين وعدم حملها إلى بلادهم. وقد طلب السيّد المسيح نفض الغبار عند الخروج من القرية اليهودية التي رفضهم أهلها، وهذا يعني أنّه عليه السلام شبّه أهل تلك القرية بالوثنيين الذين لا يستحقون أن يكونوا في مملكة الله.

(4) أنتيباس هو ابن الملك هيرودس الكبير، وقد تمّ تعيينه حاكمًا على منطقة الجليل ومنطقة جِلعاد، اللتين كانتا تعتبران إحدى مناطق فلسطين الأربع.

حيًا" [8]وآخرونَ يَقولونَ: "قد عادَ النَّبيُّ إلياسُ مِن غَيبتِهِ!"(1) وأخبَرَ آخرونَ بأنّ: "نَبيًّا مِن الأنبياءِ الماضينَ قد عادَ إلى الحَياةِ مِن جَديدٍ". [9]واستبَدَّت الحَيرةُ بابنِ هيرودُسَ مِمّا جَعلَهُ يَقولُ: "على يَدَيّ قُطِعَ رأسُ يَحيى، فمَن هذا الّذي أسمَعُ عَنهُ مِثلَ هذِهِ الأخبارِ؟!" وجَعلَ يُفكِّرُ كَيفَ يَرى هذا الشَّخصَ الّذي يَتحَدَّثونَ عنهُ.

إطعام خمسة آلاف من الناس

[10]ورَجَعَ الحَواريّونَ إلى عيسى ﷺ وأخبَروهُ بما صَنَعوا، فاصطَحَبَهُم جَميعًا للذَّهابِ بِنيّةِ الاعتِكافِ بَعيدًا عَن النّاسِ في مِنطقةِ بَيتَ صَيدا. [11]إلاّ أن ذلِكَ لم يَحُل دونَ أن يَعرِفَ النّاسُ وِجهَتَهُ، فمَضَوا في إثرِهِ أفواجًا. فلم يَكُن مِن سَيِّدِنا عيسى ﷺ إلاّ أن رَحَّبَ بِهِم، وأخَذَ يُحدِّثُهُم عن المَملَكةِ الرَّبّانيّةِ الّتي وَعَدَ بها اللهُ، مُبرئًا مَن بهِ حاجةٌ إلى ذلِكَ. [12]وقَبلَ الغُروبِ، أقبلَ حَواريُّوهُ الاثنا عَشَرَ عليهِ وقالوا لهُ: "أيا سَيِّدَنا، اصرِفْ هذِهِ الجُموعَ حتّى يَمضوا إلى القُرى والمَزارِعِ المُجاورةِ، ويَنزِلوا فيها ليَجِدوا لأنفُسِهِم طَعامًا، فإنّنا في مَكانٍ مُنعَزِلٍ". [13]ولكنّهُ ﷺ أمَرَهُم قائلاً: "عليكُم بإطعامِهِم فهُم الضُّيوفُ". فأجابوهُ: "وكَيفَ لنا ذلِكَ، ولا نَملِكُ إلاّ خَمسةَ أرغِفةٍ وسَمَكتَيْنِ؟ إلاّ إن طَلَبتَ أن نَمضيَ لنَشتَريَ طَعامًا يَكفيهُم جَميعًا؟!" [14]وكانَ عَدَدُ تِلكَ الجُموعِ يُقارِبُ الخَمسةَ آلافِ رَجُلٍ دونَ النِّساءِ والأطفالِ. فقالَ عيسى لِحَوارِيّيهِ: "أجلِسوهُم في مَجموعاتٍ تَضُمُّ كُلٌّ مِنها خَمسينَ شَخصًا". [15]فكانَ الأمرُ كَما أرادَ ﷺ. [16]ثُمّ أخَذَ تِلكَ الأرغِفةَ الخَمسةَ والسَّمَكتَينِ، ورَفَعَ نَظَرَهُ إلى السَّماءِ يَحمَدُ اللهَ على فَضلِهِ ونِعَمِهِ ثُمّ أخَذَ يُقَسِّمُ بيَدَيهِ الخُبزَ، ويُسَلِّمُهُ إلى أتباعِهِ فيُقَدِّمونَهُ إلى النّاسِ. [17]فأكَلَ الجَميعُ، وفاضَ مِمّا أكَلَهُ النّاسُ ما مَلأَ بِهِ أتباعُهُ اثنَتَي عَشرَةَ قُفّةً مِن كِسَرِ الخُبزِ.

شهادة بطرس الصخر

[18]وذاتَ يوم، بَينَما كانَ سَيِّدُنا عيسى ﷺ في خَلوةٍ يُصَلّي، جاءَهُ أتباعُهُ فسألَهُم: "ماذا يَقولُ النّاسُ عنّي؟ وماذا يَرونَ؟!" [19]فأجابوهُ: "يَظُنُّ بعضُهُم أنّكَ يَحيى بنِ

(1) كان هناك اعتقاد يسود بين اليهود بأنّ النبي إلياس عليه السلام الذي عاش منذ أكثر من 800 سنة ق.م. والذي لم يمت بل رفعته زوبعة إلى السماء، ليس إلاّ نبيّا غائبا وسيعود من غيبته قبل يوم الله العظيم المهيب. وذلك الاعتقاد كان مؤسّسًا على النبوءات التي أنبأ بها النبي ملاكي عليه السلام.

زَكَريّا، ويَقولُ آخَرونَ إنّكَ إلياسُ أو نَبيٌّ مِن الأنبياءِ الأقدَمينَ وقد بُعِثَ مِن بَينِ الأمواتِ حيًّا" . [20]فالتَفَتَ إليهِم قائلاً: "وأنتُم ماذا تَقولونَ؟" فانبَرى بُطرُسُ الصَّخرُ قائلاً: "إنّما أنتَ المَسيحُ مُختارُ اللهِ" .

إعلان عيسى عن موته وبعثه

[21]ونَهى عَلَيْهِ السَّلَامُ حواريّيهِ أن يُشيعوا هذا السِرَّ في ذلِكَ الوَقتِ. [22]ثُمّ أخَذَ يُعلِنُ لهُم عَمّا سيُواجِهُهُ قائلاً: "إنّهُ لمَكتوبٌ على سَيِّدِ البَشَرِ أن يُقاسيَ آلامًا جَمّةً، ومُقَدَّرٌ عليهِ أن يَرفُضَهُ سادةُ القوم وكِبارُ الأحبارِ وفُقَهاءُ التَّوراةِ، وقدَرُهُ أن يُقتَلَ، ثُمّ يَبعَثُهُ اللهُ في اليومِ الثّالثِ حيًّا مِن بَينِ الأمواتِ" .

[23]ثُمّ خاطَبَهُم قائلاً: "مَن أرادَ أن يُصبِحَ مِن أتباعي، فعَلَيهِ أن يَتخَلّى عن رَغَباتِهِ، وأن يُضَحّيَ بنَفسِهِ كُلَّ يوم فيَكونَ مُستَعِدًّا للمَوتِ على الصَّليبِ، هكذا يَستَحِقُّ أن يكونَ مِن أتباعي. [24]إنّ مَن يُريدونَ الحِفاظَ على حَياتِهِم الدُّنيا فَأولئِكَ هُم الخاسِرونَ، ومَن يَخسَرونَها في سَبيلي فأولئكَ هُم الفائزونَ. [25]فأيَّ كَسب تَكسِبونَ لو رَبِحتُم الدُّنيا كُلَّها وخَسِرتُم أنفسَكُم في الآخِرةِ؟! [26]وأقولُ إنّ مَن يَخجَلُ بذِكري وبِكَلامي، أخجَلُ أنا سَيِّدَ البَشَرِ أن أذكُرَهُ عِندَما أعودُ مُمَجَّدًا مِن اللهِ الأبِ الصَّمَدِ مُحاطًا بهَيبَتِهِ وهَيبةِ المَلائكةِ الأطهارِ. [27]وإنّي لمُخبِرُكُم حقًّا أنّ مِنكُم مَن لن يَذوقوا المَوتَ حتّى يُشاهِدوا بأعيُنِهِم قيامَ المَملَكةِ الرَّبّانيّةِ" (1) .

تجلّي الابن الرّوحيّ لله

[28]ثُمّ صَعِدَ سَيِّدُنا عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، بَعدَ أُسبوعٍ تَقريبًا مِن تِلكَ الأحداثِ، إلى جَبَلٍ للصَّلاةِ مُصطَحِبًا بُطرُسَ الصَّخر ويوحَنّا ويَعقوبَ. [29]وفيما هو يُصَلّي تغَيَّرَت مَلامِحُ وَجهِهِ، واكتَسَت ثيابُهُ ببَياضٍ ناصِعٍ يَلمَعُ في العَينِ كالبَرقِ، [30]وفَجأةً بَدا في المَشهَدِ رَجُلانِ مُحاطانِ بِهالةٍ مِن الهَيبةِ والوَقارِ، هُما النَّبيّانِ موسى وإلياسُ، (2) [31]وأخَذا يُحَدِّثانِهِ عن قُربِ مَنيّتِهِ الّتي قَدَّرَها اللهُ عليهِ في بَيتِ المَقدِسِ.

---

(1) كان السيّد المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ يشير بكلامه عن قيام المملكة الربّانية إلى بعثه من الموت وتتويجه بصفته المسيح الملك، وهو الحدث الذي سيتمّ بعد عام تقريبا.

(2) كان كلّ من النبي موسى وإلياس قائدين مهمّين لبني يعقوب. وذكرهما هنا بمثابة استحضار التوراة وكتب الأنبياء.

[32]وقَبلَ قُدومِ النَّبيين كانَ النُّعاسُ قد غالَبَ بُطرُسَ الصَّخر وصاحبَيهِ فناموا، ثُمَّ استيقَظوا على مَهابةِ مَشهَدِ عيسى والنَّبيينِ الواقفينِ مَعَهُ. [33]وبَينَما هُما يُفارِقانِهِ، تَوَجَّهَ صَخرُ إلى عيسى ﷺ بالقَولِ: "أيا مَولانا، إنّ وُجودَنا هُنا في غايةِ الحُسنِ، فلْنُقِم ثَلاثةَ مَقاماتٍ هُنا: لكَ مَقامٌ ولموسى مَقامٌ ولإلياسَ مَقامٌ". (1) [34]وكانَ صَخرُ لا يَدري ما يَقولُ، إلاّ أنّهُ أثناءَ كَلامِهِ أقبَلَت عليهِم غيمةٌ وظَلَّلَتهُم. فارتاعوا لذلِكَ، [35]وسَمِعوا صَوتًا مِن السَّماءِ يُخاطِبُهُم قائلاً: "هُوَذا المُصطَفى الابنُ الرُّوحيُّ لي، فعَليكُم السَّمعُ لهُ والطّاعةُ!" [36]وبَعدَ اختِفاءِ الصَّوتِ، رأَوا سَيِّدَنا عيسى ﷺ واقِفًا وَحدَهُ. ومَضَوا ولم يَبوحوا لأحَدٍ بما حَصَلَ مَعَهُم إلاّ بَعدَ حينٍ.

إبراء ممسوس

[37]وعِندَ نُزولِهِم في اليَومِ التّالي مِن الجَبَلِ، وَجَدوا جُموعًا غَفيرةً مِن النّاسِ بانتِظارِهِم لاستِقبالِهِم. [38]وانبَرى رَجُلٌ مِن بَينِ الحُشودِ قائلاً لعيسى ﷺ: "أيُّها المُعَلِّمُ، أرجوكَ الرّأفةَ بابني وَحيدي! [39]فقد استَولَى عليهِ شَيطانٌ يَصرَعُهُ بَينَ الحينِ والآخَرِ، وكُلّما تَمَلَّكَهُ جَعَلَهُ يَصرُخُ ويَتَخَبَّطُ إلى أن يُرغِيَ ويُزبِدَ فيُصابَ جَسَدُهُ بالرُّضوضِ ولا يُفارِقُهُ إلاّ بَعدَ أن يُنهِكَهُ تَمامًا. [40]وقد تَوَسَّلتُ لأنصارِكَ لتَخليصِهِ مِنهُ، ولكنّهُم عَجَزوا عن ذلِكَ".

[41]فقالَ سَيِّدُنا عيسى ﷺ مُخاطِبًا مَن حَولَهُ: "أيُّها النّاسُ، أنتُم بَعيدونَ عن رَبِّكُم وضالّونَ، فإلى مَتى يَنبَغي أن أبقَى مَعَكُم وإلى أيِّ مَدًى يُمكِنُني أن أحتَمِلَكُم؟" والتَفَتَ إلى والِدِ الصَّبيِّ قائلاً: "هاتِ ابنَكَ". [42]وفيما هو مُقبِلٌ على عيسى ﷺ استَولَى الشَّيطانُ عليهِ فأوقَعَهُ أرضًا وجَعَلَهُ يَتَخَبّطُ. فزَجَرَ ﷺ ذلِكَ الشَّيطانَ الّذي انسَلَّ مُنصاعًا، وبذلِكَ أنقَذَ ﷺ الصَّبيَّ، وأعادَهُ إلى أبيهِ مُعافىً، [43]ووَقَفَ النّاسُ مَذهولينَ أمامَ مَشهَدِ عَظَمةِ اللهِ.

عيسى ﷺ يؤكّد نبوءة موته

[44]وبَينَما كانَ العَجَبُ آخِذًا مأخَذَهُ مِن الحُضورِ، تَوَجَّهَ ﷺ إلى أتباعِهِ قائلاً: "أصغوا جَيّدًا إلى ما سأقولُ لكُم: إنّ سَيِّدَ البَشَرِ مُقَدَّرٌ عليهِ أن يُسَلَّمَ إلى قَبضةِ جَماعةٍ

---

(1) كان بطرس يعتبر أنّه على النبي إلياس أن يقيم على الأرض لبعض الوقت بعد رجوعه من الغيب، حسب الاعتقاد السائد بين الناس. لذا استحسن بناء مقام لإلياس ولموسى وعيسى أيضًا.

مِن النّاسِ" . [45]ولم يُدرِك أتباعُهُ مَعنى تِلكَ النُّبوءةِ الّتي بَقيَت مَحجوبةً عن أذهانِهِم، وقد حالَت الهَيبةُ دونَ أن يَسألوهُ عن مَعناها .

المؤمن الأهمّ درجة

[46]وكانَ أن أخَذَ أتباعُهُ عليه السلام يَتناقشونَ عن الأعظَم شأنًا فيما بَينَهُم . [47]وأدرَكَ عليه السلام حَقيقةَ نواياهُم . فاستَدعى طِفلاً وجَعَلَهُ بجانبِهِ [48]وقالَ : "مَن يَتقَبَّلْ هذا الطِّفلَ إن أنا أرسَلتُهُ لكُم فقد قَبِلَني أنا، ومَن قَبِلَني فقد قَبِلَ اللهَ الّذي أرسَلَني . فإنّ أقَلَّكُم شأنًا في هذا الجَمعِ لهُوَ الأعظَمُ دَرَجةً في المؤمنينَ" . (1)

[49]وخاطَبَهُ يوحَنّا قائلاً : "مَولانا، كانَ هُناكَ شَخصٌ يَعمَلُ على إبراءِ النّاسِ مِن المَسِّ الشَّيطانيّ بقوّةِ اسمِكَ، وقد حاوَلنا أن نَمنَعَهُ مِن ذلِكَ لأنّهُ لَيسَ مِن جَماعتِنا" . [50]فأجابَهُ سَيِّدُنا عيسى عليه السلام قائلاً : "يَنبَغي أن لا تَمنَعوهُ، فمَن لَيسَ ضِدَّكُم فهو مَعَكُم" .

رفض السّامريّين لعيسى المسيح

[51]وعِندَ دُنُوِّ الوَقتِ المُحدَّدِ لصُعودِهِ عليه السلام إلى السَّماءِ، تَوَجَّهَ مُيَمِّمًا وَجهَهُ شَطرَ بَيتِ المَقدِس، [52]مُرسِلاً أتباعَهُ أمامَهُ لتَهيئةِ السُّبُلِ لهُ قَبلَ مَقدَمِهِ، فدَخَلوا قَريةً مِن قُرى السّامريّينَ، (2) [53]إلاّ أنّ أهلَ تِلكَ القَريةِ رَفَضوهُ عليه السلام لأنّهُ كانَ مُتَوجِّهًا إلى القُدسِ . [54]فقالَ حَوارِيّاهُ يَعقوبُ ويوحَنّا : "أيا سَيِّدَنا، أتأذَنُ لنا فنَطلُبَ نارًا تَنزِلُ مِن السّماءِ فتُهلِكَهُم كَما فَعَلَ قَديمًا النَّبيُّ إلياسُ؟!" (3) [55]فالتَفَتَ إليهِما ونَهَرَهُما، [56]ومَضَوا إلى قَريةٍ أُخرى .

---

(1) يعتقد اليهود أنّ الأطفال الذين هم دون الثانية عشرة غير مؤهّلين لتعلّم التوراة، لذا كان يُعتبر قضاء الوقت معهم لهذا الغرض مَضْيَعةً.

(2) كانت منطقة السامرة شمال مدينة القدس في ما يُسمّى الضفة الغربية اليوم. ولم يعترف السامريون بالقدس كمركز ديني لإقامة الصلاة وتقديم الذبائح، وبدلاً من ذلك أقاموا لهم مركزًا خاصًّا في جبل جرزيم الذي يقع قرب مدينة نابلس الآن.

(3) هؤلاء الأتباع يشيرون إلى حادثة معيّنة وهي أنّه عندما بعث الملك أخزيا بجنوده إلى النبي إلياس عليه السلام لإحضاره إلى الملك، أجابهم إلياس، "إن كنت أنا نبي الله، فلتَنزل نار من السماء، وتحرقك والخمسين الذين معك" . وفي الحال نزلت النار وأحرقت الجنود (سفر الملوك الثاني 1 : 10) وقد أحسّ أتباع السيّد المسيح بأنّ لهم الحقّ والسلطان لفعل الشيء نفسه مع هؤلاء الذين يعارضونهم، ولكن سيّدنا المسيح يعلّمنا أنّ الهدى من الله وأنّ الإيمان لا يكون بالقوّة والعنف وإن كانا إلهيين.

الإخلاص للسّيّد المسيح والأجر على ذلك

[57]وفيما كانَ عليه السلام سائرًا وأتباعَهُ في طَريقِهِم إلى القُدسِ، قَدِمَ إليهِ شَخصٌ وقالَ لهُ: "سأمضي مَعَكَ كواحدٍ مِن أتباعِكَ أينَما مَضيتَ!"(1) [58]فأجابَهُ بقَولِهِ: "للثَّعالِبِ أوجارُها وللطُّيورِ أعشاشُها، أمّا سَيِّدُ البَشَرِ فلا مأوَى لهُ يأوي إليهِ". [59]وخاطَبَ عليه السلام شَخصًا آخَرَ قائلاً: "هَيّا وكُنْ مِن أتباعي". فأجابَهُ ذلِكَ الشَّخصُ: "أيا سَيِّدي، أتُمهِلُني حتّى أنتهيَ مِن مَراسِمِ دَفنِ والِدي؟" [60]إلاّ أنّهُ عليه السلام قالَ لهُ: "دَعْ دَفنَ المَوتى للأمواتِ رُوحيًّا مِنَ النّاسِ، أمّا أنتَ فعليكَ القِيامُ بنَشرِ بَيانِ قِيامِ مَملَكةِ اللهِ".(2) [61]وقالَ آخَرُ لعيسى عليه السلام: "يا سَيِّدي، سأكونُ مِن أتباعِكَ، ولكنْ دَعني أُوَدِّعُ أهلي وأقارِبي أوّلاً!" [62]فأجابَهُ عليه السلام بقَولِهِ: "مَن يَنظُرُ وَراءَهُ وهو يَحرِثُ، لا يَصلُحُ أن يَكونَ عُنصُرًا في المَملكةِ الرَّبّانيّةِ".(3)

١٠
الفصل العاشر

عيسى عليه السلام يبعث أتباعه للدّعوة

[1]وعَزَمَ سَيِّدُنا عيسى عليه السلام على زيارةِ بَعضِ المُدُنِ والقُرى أثناءَ مَسيرِهِ إلى القُدسِ. فاختارَ اثنَينِ وسَبعينَ(4) مِن أتباعِهِ (باستثناء حَوارِيّيه الاثني عشر) وأرسَلَهُم ليَكونوا مُوفَديهِ إلى تِلكَ الأماكِنِ بتَخصيصِ اثنَينِ لكُلِّ ناحيةٍ. [2]وإثرَ ذلِكَ خاطَبَهُم قائلاً:

---

(1) يعني الرجل بهذه العبارات أنّه مستعدّ أن يكون أحد أتباع السيّد المسيح المخلصين.

(2) كانت شعائر الدّفن عند اليهود في ذلك العصر تستمرّ سنة حتّى الدفن النهائي، لذا طلب منه هذا الشخص مهلة قد تمتدّ سنة كاملة. ولم يكن سيدنا المسيح عليه السلام غير مبال بواجب إكرام الولد لوالده، ولكنّه عرف أنّ هذا الشخص استعمل واجبه كعذر لعدم رغبته في اتّخاذ قرار بشأن اتّباع المسيح.

(3) هذه العبارة إشارة إلى الذي لا يحرث وبصره ممتدّ ضمن خطّ مستقيم أمامه حتّى يكون الأخدود مستقيمًا. وهذا يشير إلى سلوك الشخص الذي يقرّر دون أن ينفّذ، ملتفتًا بأفكاره وراءه إلى طريقة حياته القديمة.

(4) هناك في التوراة في سفر التكوين في الفصل 10 قائمة بأسماء الشعوب المنحدرة من النبي نوح عليه السلام وسلالته، وتضمّ هذه القائمة 72 شعبًا، ومن الممكن أن يكون سيدنا المسيح اختار ذلك الرقم للمرسلين ليبيّن أنّ رسالته لكلّ الأمم.

"الّذينَ يَقومونَ بتَبليغ دَعوتي هُم كالحَصّادينَ القَليلي العَدَدِ أمامَ وافرٍ مِن الحَصادِ. فما أكثَرَ الضّالّينَ مِن النّاسِ الّذينَ هُم كالحَصادِ الوافِرِ! لذا فاسْألوا رَبَّكُم أن يَبعَثَ كَثيرًا مِن الدُّعاةِ لِرِسالتي كَما يَبعَثُ صاحِبُ الحَصادِ كَثيرًا مِمَّن يَجمَعُ لهُ حَصادَهُ. [3]امضُوا في طَريقِكُم واعلَموا أنّكُم ستَكونونَ بَينَ هؤلاءِ كالخِرافِ وَسْطَ جَمعٍ مِن الذِّئابِ. [4]وأُوصيكُم ألاّ تَحمِلوا مالاً، ولا كِيسًا، ولا حتّى نَعلاً زائدًا عن الّذي تَنتَعِلونَ. وأُوصيكُم ألاّ تُضيّعوا وَقتَكُم في إلقاءِ التَّحيّاتِ أثناءَ مُرورِكُم بَينَ النّاسِ في الطُّرُقاتِ. [5]وإذا دَخلتُم بَيتًا فقولوا: "السَّلامُ على أهلِ هذا البَيتِ!" [6]وإن كانَ هُناكَ رَجُلٌ يَستَحِقُّ السَّلامَ، فسَلامُ اللهِ يَحُلُّ عليهِ، وإلاّ رَجَعَ إليكُم السَّلامُ الّذي ألقَيتُموهُ. [7]وكونوا نُزَلاءَ ذلِكَ البَيتِ ذاتِهِ ولا تَنتَقِلوا مِن بَيتٍ إلى بَيتٍ، ولكُم أن تَأكُلوا وتَشرَبوا مِمّا يُقدِّمونَ إليكُم مِن الطّعامِ والشَّرابِ، فالعامِلُ يَستَحِقُّ على عَمَلِهِ وجَهدِهِ أجرًا.

[8]وإذا دَخلتُم بَلدةً وقابَلَكُم أهلُها بالتِّرحابِ فتَنَعَّموا بما يُقَدِّمونَهُ لكُم مِن طَيِّباتٍ. [9]وها أنا أمنَحُكُم القُدرةَ على شِفاءِ مَرضاهُم، فأخبِروهُم بأنّهُم قد مُنِحوا فُرصةَ الدُّخولِ إلى المَملَكةِ الرَّبّانيّةِ. [10]أمّا إذا دَخلتُم بَلدةً ورَفَضَكُم أهلُها، فتَوَجَّهوا إلى ساحتِها هاتِفينَ: [11]"إنّنا نَنفُضُ غُبارَ بَلدتِكُم عن أقدامِنا، لأنّ اللهَ غَضِبَ على أهلِ هذِهِ البَلدةِ، ولكنْ تَيَقّنوا أنّ اللهَ سيَقومُ قَريبًا بتأسيسِ مَملَكتِهِ على الأرضِ". [12]يا أتباعي، أقولُ لكُم إنّ هذِهِ البَلدةَ ستُواجِهُ يومَ الحِسابِ عَذابًا أشَدَّ مِن عَذابِ قومِ لوطٍ في مَدينةِ سَدومَ".

[13]ثُمّ قالَ ﷺ: "وَيلٌ لكُم يا أهلَ بَلدةِ كورزينَ! ووَيلٌ لكُم يا أهلَ بَلدةِ بَيت صَيدا![(1)] لو شَهِدَ الوَثَنيّونَ في صُورَ وصَيدا ما جَرى بَينَكُم على يَدَيّ مِن مُعجِزاتٍ، لَتابوا إلى اللهِ تَوبةً نَصوحًا مُنذُ أمَدٍ بَعيدٍ، ولَلَبِسوا الخَيشَ غَمًّا وحُزنًا، ولَوَضَعوا الرَّمادَ على رُؤوسِهِم تَوبةً ونَدَمًا! [14]لذا أقولُ لكُم يا أهلَ بَلدتَيْ كورزينَ وبَيتَ صَيدا إنّ مَصيرَكُم سيَكونُ أسوأَ مِن مَصيرِ كُفّارِ صُورَ وصَيدا يومَ الدِّينِ! [15]وأمّا أنتُم يا أهلَ كَفْرَناحومَ، أفَتَظُنّونَ أنّكُم ستَكونونَ أعلى مَقامًا مِن الأغرابِ يومَ الدّينِ؟ لا، بل لَيَهبِطَنّ اللهُ بكُم إلى أسفَلِ سافِلينَ!

---

(1) كورزين وبيت صيدا قريتان يهوديتان، وكان أهلهما يعتقدون بأنّهم أفضل ممّن هم في المدن التي يدين أهلها بالوثنية. وبيت صيدا هذه كانت قرية في الجليل قرب بحيرة طبريا، موقعها على الأرجح في عين الطابغة اليوم.

[16]ومِن ثَمَّ قالَ سَيِّدُنا عيسى ﷺ لأتباعِهِ الاثنَينِ والسَّبعينَ: "كُلُّ مَن يُصغي لكُم يُصغي إليّ، ومَن يَرفُضُكُم يَرفُضُني، ومَن يَرفُضُني فقد رَفَضَ اللهَ الّذي أرسَلَني".

عودة الاثنين والسّبعين

[17]واستَجابَ الأتباعُ الاثنانِ والسَّبعونَ لِرَغبَتِهِ ﷺ بالذَّهابِ إلى البَلدات في الأنحاءِ، ثُمّ عادوا مِنها وقد شَمِلَهُم فَرَحٌ عَظيمٌ وتَحدَّثوا إليهِ ﷺ قائلينَ: "يا مَولانا، ما أعظَمَ السُّلطانَ الّذي كانَ لنا باسمِكَ، فقد خَضَعَت لنا بتأثيرِ مِنهُ الجِنُّ والشَّياطينُ".
[18]فقالَ سَيِّدُنا عيسى ﷺ: "قَبلَ أن تُباشِروا ما طَلَبتُهُ مِنكُم، شاهَدتُ إبليسَ يَنهَزِمُ وكانَ سُقوطُهُ سَريعًا كالبَرقِ مِن السَّماءِ! [19]لأنّني مَنَحتُكُم سُلطانًا مِن اللهِ فَقَويتُم بِهِ على قِوى عَدوِّكُم الشَّيطانِ، وستَدوسونَ بسُلطاني حتّى الأفاعيَ والعَقارِبَ فلا يَصِلُكم مِنها أذًى! [20]ولكِنْ أقولُ لكُم: لا تَكُنْ سَعادتُكُم بسَبَبِ خُضوعِ الشَّياطينِ والجِنِّ لكُم، بل لِتَكُنْ في أنّ رَبَّكُم كَتَبَ أسماءَكُم في سِجِلِّ الخالِدينَ".

[21]ساعتَئذٍ امتَلأ سَيِّدُنا عيسى ﷺ بفَرَحٍ مِن رُوحِ اللهِ وناجى رَبَّهُ قائلاً: "سُبحانَكَ يا اللهُ، سُبحانَكَ أيُّها الأبُ الصَّمَدُ، إلهَ السَّمواتِ والأرضِ، فقد أخفَيتَ سِرَّ رِسالتي عن الّذينَ يَحسَبونَ أنّهُم حُكَماءُ وأصحابُ عِلمٍ، ولكِنّكَ كَشَفتَها لهؤلاءِ البُسَطاءِ المُتَواضِعينَ مِن عِبادِكَ! يا اللهُ أيُّها الأبُ الرَّحيمُ، هذا ما ارتَضَيتَهُ. فَلَكَ الحَمدُ". [22]ثُمّ وَجَّهَ كَلامَهُ إلى أتباعِهِ قائلاً: "قد أوكَلَ إليّ اللهُ أبي الصَّمَدُ كُلَّ شَيءٍ، ولا أحَدَ يَعرِفُ حَقيقتي إلاّ هو، ولا أحَدَ يَعرِفُ حَقيقةَ اللهِ الأبِ الصَّمَدِ إلا أنا الابنُ الرُّوحيُّ لهُ تَعالى والنّاسَ الّذينَ أرَدتُ أن أكشِفَ لهُم ذلِكَ". [23]وانفَرَدَ ﷺ بحوارِيِّيهِ وقالَ لهُم: "هَنيئًا لِمَن يَرى ما تَرونَ، [24]فلقد شَهِدتُم وسَمِعتُم ما تاقَ كَثيرٌ مِن الأنبياءِ والمُلوكِ إلى رُؤيتِهِ وسَماعِهِ ولكِنّهُم لم يَحظَوا بِهِ"(1)

مَثَل السّامريّ الصّالح

[25]وطَرَحَ ذاتَ مَرّةٍ فَقيهٌ مِن فُقَهاءِ التَّوراةِ على سَيِّدِنا عيسى ﷺ مَسألةً لكَي يَمتَحِنَهُ قائلاً: "أيُّها المُعَلِّمُ، ما العَمَلُ الّذي بِهِ أحظَى بنَصيبي في جِنانِ الخُلدِ؟!"
[26]فأجابَهُ ﷺ بقَولِهِ: "ألَيسَ في التَّوراةِ ما يُشيرُ إلى ذلِكَ؟!" [27]فأجابَهُ الفَقيهُ بقَولٍ مِن

(1) كانت الرسالة السماوية في الماضي موجَّهةً على وجه الخصوص إلى الأنبياء والملوك الصالحين من بني يعقوب، لكن الآن مع قيام مملكة الله أصبح بإمكان جميع الناس معرفة حقائق تلك الرسالة.

الكِتابِ: "أَحِبَّ اللهَ رَبَّكَ بكُلِّ قَلبِكَ ونَفسِكَ وطاقَتِكَ وعَقلِكَ وأَحِبَّ جارَكَ كَما تُحِبُّ نَفسَكَ". 28فرَدَّ عليهِ سَيِّدُنا عيسى: "أَحسَنتَ، وإن عَمِلتَ بذلِكَ، فُزتَ وكُنتَ مَعَ الخالِدينَ".

29ولكنّ الفَقيهَ أرادَ إحراجَهُ فقالَ: "ومَن المَقصودُ بالجارِ؟!" 30فأجابَهُ ﷺ قائلاً: "هَبْ عابِرَ سَبيلٍ كانَ في طَريقِهِ مِن القُدسِ مُتَوجِّهًا إلى أريحا، فقَبَضَ عليهِ قُطّاعُ الطُّرُقِ وأشبَعوهُ ضَربًا وعَرَّوهُ ثُمّ تَركوهُ مُلقىً بَينَ المَوتِ والحَياةِ ومَضَوا في سَبيلِهِم. 31ثُمّ مَرَّ بِهِ بَعدَ ذلِكَ أحَدُ رِجالِ الدِّينِ الأحبارِ. وعِندَما رآهُ مالَ عَنهُ إلى جانِبِ الدَّربِ الآخَرِ وتابَعَ طَريقَهُ دونَ الالتِفاتِ إليهِ.(1) 32وكذلِكَ فَعَلَ بالرَّجُلِ خادِمٌ مِن خُدّامِ بَيتِ اللهِ، فإنّهُ عِندَما رَآهُ مالَ عَنهُ أيضًا إلى الجانِبِ الآخَرِ مِن الطَّريقِ ومَرَّ دونَ الاهتِمامِ بِهِ. 33وقَصَدَهُ في النّهايةِ أحَدُ السّامريّينَ المَنبوذينَ(2) فأشفَقَ على ذلِكَ الرَّجُلِ عِندَما رآهُ، 34واهتَمَّ بِهِ وعالَجَهُ وضَمَّدَ لهُ جِراحَهُ، ثُمّ حَمَلَهُ على دابّتِهِ إلى أحَدِ النُزُلِ فأنزَلَهُ هُناكَ وأخَذَ يُتابِعُ عِنايَتَهُ بِهِ، 35ثُمّ غادَرَهُ السّامريُّ في اليَومِ التّالي، بَعدَ أن أوصَى بِهِ صاحِبَ النُّزُلِ إذ دَفَعَ إليهِ دينارينِ مِن الفِضّةِ وقالَ لهُ: "لِيَكُن الرَّجُلُ الجَريحُ مَحطَّ رِعايَتِكَ، ولكَ مُقابِلَ ذلِكَ مَبلغٌ عِندَ عَودَتي زيادةً على ما نَقَدتُكَ". 36"فأنبِئْني أيُّها الرَّجُلُ الفَقيهُ أيُّ هؤلاءِ الثّلاثةِ عَمِلَ للرَّجُلِ الّذي وَقَعَ في أيدي قُطّاعِ الطُّرُقِ بما جاءَ في تِلكَ الوَصيّةِ؟!" 37فأجابَهُ الفَقيهُ: "ثالِثُهُم ذاكَ الّذي أشفَقَ عليهِ".(3) فرَدَّ عليهِ سَيِّدُنا عيسى قائلاً: "ها إنّ لكَ في السّامريِّ نِعْمَ المَثَلِ".

مرثا ومريم

38وأثناءَ مَسيرِهِ ﷺ دَخَلَ صُحبَةَ أتباعِهِ قَريةً، فاستَضافَتهُم امرأةٌ تُدعى مَرْثا 39وقد كانَت لها شَقيقةٌ اسمُها مَريمُ جَلَسَت عِندَ قَدَميهِ مُصغيةً إليهِ كَما يَفعَلُ الرِّجالُ،(4) 40في

(1) تبعًا لما جاء في التوراة يعرف رجل الدين أنّ لَمْس جسد الميت أو الدم السائل من جرح يجعله نجسًا، واذا ما أصبح كذلك فعليه الدخول في شعائر ليصبح طاهرًا من جديد قبل قيامه بخدمة بيت الله. وكان هؤلاء مهتمّين بطهارتهم أكثر من اهتمامهم بمساعدة الإنسان المحتاج.

(2) كان اليهود والسامريون يكنّون لبعضهم بعض كراهية عظيمة، وقد اعتبر اليهود بأنّ دين السامريين دين فاسد، وأدنى درجة.

(3) ربّما لم يكن لدى الفقيه الرغبة في مجرّد التلفّظ بكلمة "السامري".

(4) كان طبيعيّا أن يجلس المُريد عند قدمَيْ شيخه، وإنّه لمن الأهميّة أن نرى تشجيع سيدنا المسيح المرأة كي تأخذ عنه المعرفة خصوصا وأنّ جلّ علماء اليهود كانوا لا يسمحون للنساء بأن يأخذن العلم عنهم.

حينِ أنّ مَرثا قامَت لتَخدِمَ ضُيوفَها، ثُمّ تَقَدَّمَت مِنهُ وسألَتهُ: "يا سَيِّدي! ألا تُبالي لتَعَبي؟ فقد تَرَكَتْني أُختي أحمِلُ عِبءَ كُلِّ الأعمالِ وَحدي، فهَلاّ سألتَها مُساعَدَتي؟!" [41–42]فأجابَها سَيِّدُنا عيسى ﷺ: "مَرثا، مَرثا، هُناكَ كَثيرٌ مِن الأُمورِ تَشغلُكِ وتُنهِكُ فِكرَكِ! في حينِ أنّهُ لا توجَدُ إلاّ حاجةٌ واحدةٌ تَستَحِقُّ أن نَنشَغِلَ بها، ولقد اختارَت مَريمُ النَّصيبَ الأعلى ولن يَنزِعَهُ أحَدٌ مِنها أبدًا".

١١
الفصل الحادي عشر

الصّلاة والدّعاء

[1]وذاتَ يوم كانَ يُصَلّي، وبَعدَ فَراغِهِ ﷺ مِن صَلاتِهِ، حَدَّثَهُ أحَدُ أتباعِهِ قائلاً: "مَولانا، هل لَكَ أن تُعَلِّمَنا الصَّلاةَ كَما عَلَّمَ يَحيى أتباعَهُ؟" [2]فأجابَ عيسى ﷺ طَلَبَهُ بقَولِهِ: "عِندَ صَلاتِكُم، ادعُوا اللهَ قائلين:

"اللهُمّ يا أبانا الرَّحمَن الرَّحيم،
تبارَكَ اسمُكَ وتَقَدَّسَ،
لِتَقم مَملَكتُكَ المَوعودةُ في الأرضِ،
[3–4]لِيَسعَ النّاسُ لمَرضاتِكَ على الأرضِ كسَعْيِ المَلائكةِ في السَّماءِ.
وارزُقْنا قُوتَ يَومِنا، واغفِرْ لنا سَيّئاتِنا
كَما نُسامِحُ مَن أخطَأَ في حَقِّنا
ونَجِّنا مِن المِحَنِ والبَلاءِ ومِن الشِّرِّيرِ اللَّعينِ".

[5]ثُمّ حَدَّثَ ﷺ أتباعَهُ عن الدُّعاءِ فقالَ: "هَبوا أحَدَكُم اضطُر عِندَ مُنتَصَفِ اللَّيلِ لاقتِراضِ ثَلاثةِ أرغِفةٍ مِن بَيتِ صَديقٍ لهُ فقَرَعَ بابَهُ، [6]قائلاً: "يا صَديقي، قد جاءَني ضَيفٌ مِن السَّفَرِ ولَيسَ عِندي ما أُطعِمُهُ". [7]فهل تَتَخَيَّلونَ أن يَقولَ لهُ صَديقُهُ مِن وَراءِ البابِ: "إليكَ عَنّي لا تُزعِجني! فالبابُ مُقفَلٌ الآنَ، وأطفالي نِيامٌ إلى جانِبي في الفِراشِ، ولا يَسعُني النُّهوضُ لأقضيَ لكَ حاجَتَكَ؟!" [8]كلاّ! إنّ الصَّديقَ لن يَرُدَّ عليكَ

بهذِهِ الطَّريقةِ، بل سيَقضي لكَ حاجتَكَ ويُعطيكَ ما طَلَبتَهُ، وإن لم يُعطِكَ عن مَودّةٍ بَينَكُما، فسيُعطيكَ لِيَحميَ سُمعتَهُ.

[9]لذا أقولُ لكُم: ألِحّوا في دُعائِكُم وسيَستَجيبُ لكُم رَبُّكُم، وأطيلوا البَحثَ عن ضالّتِكُم حتّى تَجدوها، وتابِعوا طَرقَ بابِهِ حتّى يَفتَحَ لكُم. [10]فلا بُدَّ للسّائلِ مِن مُجيبٍ، ولا بُدَّ لِمَن يُتابعُ البَحثَ أن يَجدَ ضالّتَهُ، ولا بُدَّ لِمَن يَطرُقُ بابَ الرَّحمَنِ مِن أن يَفتَحَهُ لهُ الرَّحمَنُ. [11]وأقولُ مَن مِنكُم أيُّها الآباءُ يَرُدُّ ابنَهُ إن طَلَبَ مِنهُ سَمَكَةً، وأعطاهُ بَدلاً مِنها أفعى؟! [12]أو طَلَبَ بَيضةً أعطاهُ عَقرَبًا؟! [13]فأنتُم، مَعَ كونِكُم أشرارًا، تَهَبونَ أبناءَكُم العَطايا الخَيِّرَةَ، فما بالُكُم باللهِ الّذي هو أكرَمُ الأكرَمينَ والّذي هو أقرَبُ إليكُم مِن آبائِكُم؟! واللهُ أبوكُم الرَّحيمُ في عُلاهُ أحقُّ أن يَهَبَ رُوحَهُ تَقَدَّسَ وتَعالى لِمَن يَطلُبُها".

قوّة الله لا قوّة الشّيطان

[14]وكانَ أن خَلَّصَ ﷺ ذاتَ يوم، رَجُلاً مِن شَيطانٍ سَكَنَهُ وجَعَلَهُ أخرَسَ، فانطَلَقَ لِسانُ الرَّجُلِ بالكَلام، مِمّا أثارَ عَجَبَ الحاضِرينَ [15]فقالَ بَعضُهُم: "إنّما يَستَعينُ عيسى بإبليسَ رَئيسِ الشَّياطينِ للسَّيطَرةِ عليهم وتَخليصِ النّاسِ مِنهُم". [16]وأرادَ آخَرونَ امتِحانَهُ لِيَرَوا إن كانَ الرَّسولُ مِن عِندِ اللهِ حَقًّا، فطَلَبوا مِنهُ دَليلاً مِن السَّماءِ على ذلِكَ.

[17]ولأنّهُ ﷺ يَعلَمُ سِرَّهُم قالَ لهُم: "إذا وَقَعَ الانشِقاقُ في مَملَكةٍ ما انهارَتْ على أصحابِها، وكُلُّ بَيتٍ انقَسَمَ أهلُهُ بَعضُهُم على بَعضٍ انهَدَمَ وزالَ. [18]وأنتُم تزعُمونَ أنّي بِعَونِ إبليسَ أُخَلِّصُ النّاسَ مِن الشَّياطينِ. فكَيفَ للشَّيطانِ أن يَدومَ طُغيانُهُ وشَرُّهُ إذا وَقَعَ في مَملَكتِهِ الشِّقاقُ؟! [19]فإن كُنتُ أُخرِجُ الشَّياطينَ بقوّةِ إبليسَ، فبِمَن يَستَعينُ أتباعُكُم عِندَما يَطرُدونَ الشَّياطينَ أيضًا؟! فلئن سألتُموهُم فسيَشهَدونَ عليكُم ويَرُدّونَ عليكُم مَزاعِمَكُم. [20]أمّا أنا فأطرُدُ الشَّياطينَ بعَونِ اللهِ، وهذا دَليلٌ على أنّ المَملكةَ الرَّبّانيّةَ ظَهرَت بَينَكُم حقًا!

[21]فحينَ يَحرُسُ إبليسُ قَصرَهُ ومُمتلَكاتِهِ بسِلاحٍ قَويٍّ تَكونُ أمتِعَتُهُ في أمانٍ، [22]حتّى يأتيَ مَن هو أقوى مِنهُ فيَقهَرَهُ ويَتغَلّبَ عليهِ ويَنتزِعَ مِنهُ سِلاحَهُ الّذي كانَ يَعتمِدُ عليهِ ثُمّ يُوَزِّعُ ما حَصلَ عليهِ مِن غنائمَ. [23]فمَن لَيسَ مَعي فسيَكونُ حَتمًا ضِدّي، ومَن لا يَهدي النّاسَ ويَجمَعُهُم على نَهجٍ قَويمٍ يُضِلُّهُم.

عودة الشّياطين المطرودين

[24]إنّ الشَّيطانَ إذا خَرَجَ مِن إنسانٍ، يَنسَحِبُ مِنهُ هائمًا في القِفارِ باحِثًا عن الرّاحةِ دونَ طائلٍ، ثُمّ يَقولُ لنَفسِهِ بَعدَ هُنَيهة: "سأعودُ إلى ذلِكَ الإنسانِ الّذي سَكَنتُهُ ثُمّ فارَقتُهُ!" [25]ثُمّ يأتيهِ فيَجِدُهُ مِثلَ بَيتٍ نَظيفٍ مُرَتَّبٍ، [26]حينئذٍ يَمضي ويَصطَحِبُ مَعَهُ سَبعةً مِن أقرانِهِ أشَدَّ مِنهُ خُبثًا فيَدخُلونَ ذاكَ الإنسانَ ويَسكُنونَهُ، فتُصبِحُ حالَةُ ذلِكَ الإنسانِ أخيرًا أَسوأَ مِن حالَتِهِ الأُولَى". (1)

المباركون من النّاس

[27]وفيما هو يَتَكَلَّمُ، انبرَت امرأةٌ مِن بَينِ تِلكَ الجُموعِ هاتِفةً: "بُورِكَت الأُمُّ الّتي وَلَدَتْكَ وأرضَعَتكَ". [28]فأجابَها بالقولِ: "وبُورِكَ مَن يُصغِي لِكَلامِ اللهِ عامِلاً بِهِ".

آية النّبيّ يونس

[29]وتَحَلَّقَ حولَ سَيِّدِنا عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ جَمعٌ غَفيرٌ فأخَذَ يُحَدِّثُهُم قائلاً: "إنّ هذِهِ الجَماعةَ مِن النّاس يُطالِبونَ دائمًا بمُعجِزةٍ حتّى يُؤمِنوا بي، ولكنّ اللهَ لن يُعطِيَهُم مُعجِزةً إلاّ تِلكَ الّتي كانَت للنَّبيِّ يُونِس. [30]فالّذي حَصَلَ مَعَهُ إنّما كانَ دَليلاً لأهلِ مَدينةِ نينوى بأنّ اللهَ أرسَلَهُ إليهِم، وهكذا فإنّ ما سيَحدُثُ مَعَ سَيّدِ البَشَرِ سيَكونُ دَليلاً لهؤلاءِ النّاسِ. [31]إنّ مَلِكةَ سَبأ(2) ستُبعَثُ يومَ الدّينِ مَعَ تِلكَ الفِئةِ شاهِدةً عليهِم، وكَيفَ لا تَشهَدُ وهي الّتي أتَتْ مِن أقاصي الأرضِ لِتَسمَعَ حِكمةَ النَّبيِّ سُليمانَ، في حينِ أنّكُم تَصُمُّونَ آذانَكُم عن سَماعِ مَن هو أعظَمُ مِن النَّبيِّ سُليمانَ الحَكيم! [32]ويَومَ تقومُ السّاعةُ يُبعَثُ أهلُ نينوى مَعَ هذِهِ الجَماعةِ شاهِدينَ عليهِم، فهُم قد تابوا عِندَ سَماعِهِم إنذارَ النَّبيِّ يُونِسَ، بَينما أنتُم تَرفُضونَ التَّوبةَ على يَدِ مَن هو أعظَمُ مِن النَّبيِّ يونسَ!

الرّؤية السّليمة للرّسالة

[33]لا يُوقِدَنَّ أحَدُكُم المِصباحَ ليَحجُبَ نورَهُ في مَكانٍ خَفيٍّ أو تَحتَ غِطاءٍ، بل عليهِ أن يُوقِدَهُ ويَضَعَهُ في مِشكاةٍ ليُخرِجَ مَن في الظُّلُماتِ إلى النُّور. [34]والعَينُ هي الّتي مِن

---

(1) كان السيد المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ يشير إلى أنّ الإنسان الذي تمّ تحريره وطردُ الشياطين منه يحتاج في ما بعد إلى أن يؤمن برسالة المسيح لتسكن فيه روح الله التي تستطيع وحدها منع الشياطين من عودتهم.

(2) تُعرف ملكة سبأ عند العرب باسم بلقيس.

خِلالِها يَنفُذُ شُعاعُ النّورِ إلى داخِلِ الإنسانِ، فإذا نَظَرَتْ عَينُكَ إلى نورِ الرِّسالةِ نظرةً مُتَمعِّنةً، نَفَذَ نورُها إلى كُلِّ ذرّةٍ في كِيانِكَ، أمّا إذا صَرَفتَ نَظرَكَ عن تِلكَ الرِّسالةِ أو إذا نَظَرتَ إليها بعَينٍ كَليلةٍ، حَجَبتَ نورَها عَنكَ وعاشَ كِيانُكَ في ظَلامٍ دامِسٍ! [35]فلا تُوهِمَنّ نَفسَكَ أنّ النّورَ الّذي تَعيشُ فيهِ هو النّورُ الحَقُّ، فرُبَّما كانَ عَتمةً تَسكُنُكَ وتُقيمُ في جَوارِحِكَ! [36]لأنّ نورَ الرِّسالةِ إذا نَفَذَ إلى داخِلِكَ أنارَهُ وجَعَلَكَ تَعيشُ حَياتَكَ في نورٍ وكُنتَ كَمَن يَستَضيءُ بِضَوءِ سِراجٍ مُنيرٍ".

نفاق رجال الدّين

[37]وعِندَ انتِهائِهِ عليه السلام مِن مُخاطَبَتِهِ للنّاسِ، دَعاهُ رَجُلٌ مِنَ المُتَشَدِّدينَ إلى مائدَتِهِ، فقَبِلَ تِلكَ الدَّعوةَ، ثُمّ دَخَلَ عليه السلام مَنزِلَ ذلِكَ الرَّجُلِ وجَلَسَ إلى مائدَتِهِ، [38]فأصابَت الدَّهشةُ المُتَشَدِّدَ لأنّ سَيِّدَنا عيسى عليه السلام لم يَغسِل يَدَيهِ قَبلَ الطَّعامِ حَسَبَ التَّقليدِ اليَهوديّ،(1) [39]فتَوَجَّهَ إليهِ سَيِّدُنا عيسى بالكَلامِ قائلاً: "حِرصُكُم شَديدٌ أيُّها المُتَشَدِّدونَ على نَظافةِ ظاهِرِ الأشياءِ، إنّكُم تَهتَمّونَ بنَظافةِ الصَّحنِ والكَأسِ واليَدَينِ، في حينِ أنّ قُلوبَكُم مَملوءةٌ جَشَعًا وخُبثًا. [40]أيُّها الجَهلةُ ألا تَدرونَ أنّ اللهَ يَعلَمُ ما تُخفونَ وما تُعلِنونَ؟ [41]فلتَكُنْ صَدَقاتُكُم على الفُقَراءِ عن صِدقٍ وإخلاصٍ، حتّى يُصبِحَ كُلُّ شَيءٍ لكُم طاهِرًا. [42]الوَيلُ لكُم أيُّها المُتَشَدِّدونَ، إنّكُم تُقيمونَ وَصايا اللهِ في صَغائرِ الأُمورِ كتَقديمِ العُشرِ عن مَحصولِكُم للهِ حتّى مِنَ النَّعناعِ والصَّعتَرِ وسائرِ الأعشابِ،(2) بَينَما تُهمِلونَ العَدلَ ومَحبّةَ اللهِ! فقد كانَ لِزامًا عليكُم أن تَلتَزِموا ذلِكَ دونَ إهمالِ دَفعِ العُشرِ. [43]الوَيلُ لكُم أيُّها المُتَشَدِّدونَ إنّكُم لَتُحِبّونَ الجُلوسَ في الصُّفوفِ الأُولى في بُيوتِ العِبادةِ، وتَهتَمّونَ بتَلَقّي تَحيّاتِ النّاسِ وتَقديرِهِم في الأسواقِ، [44]فالوَيلُ لكُم كُلُّ الوَيلِ لأنّكُم تُشبِهونَ في تأثيرِكُم على النّاسِ قُبورًا غَيرَ ظاهِرةٍ يَطؤها النّاسُ دونَ أن يَعلَموا أنّهُم بذلِكَ يَتَنَجّسونَ".(3)

---

(1) كان لدى طائفة المتشدّدين قانون صارم يقضي بغسل اليدين قبل تناول الطعام خصوصًا إذا كان أحدهم خارج منزله.

(2) كان المتشدّدون يتبعون أحكام التوراة في مسألة إعطاء العشر من كل شيء لله (انظر سفر التثنية 14: 22، سفر اللاويين 27: 30)

(3) من المفترض أن تكون القبور مطليّة بالكلس حتّى ينتبه الناس فيحذروا لمسها. ذلك أنّ الشخص الذي يلمس جسد الميت أو القبر يُعتبر نجسًا وعليه الدخول في شعائر معيّنة ليعود طاهرًا وذلك قبل التوجّه إلى العبادة مع غيره من اليهود.

[45]فقامَ مِن بَينِ الجَمعِ فَقيهٌ مِن فُقهاءِ التَّوراةِ قائلاً: "أيُّها المُعلِّم، إنّكَ لَتشتُمُنا بقولِكَ هذا!" [46]فأجابَهُ سَيِّدُنا عيسى ﷺ: "والوَيلُ لكُم أيضًا يا فُقهاءَ التَّوراةِ، إنّكُم تُحمِّلونَ النّاسَ أعباءً لا قِبَلَ لهُم بها، بَينما لا تُحرِّكونَ لمُساعدَتِهم طَرَفًا. [47-48]فالويلُ لكُم أيُّها المُنافِقونَ، لقد قتلَ آباؤكُم الأنبياءَ، وأنتُم تدفِنونَهُم، إنّكُم بذلِكَ تُوافِقونَهُم. إنّ الآباءَ قَتَلوا الأنبياءَ والأبناءُ يَدفِنونَهُم في أضرِحةٍ أسرفتُم في زينَتِها. [49]لذلِكَ قالَت عَنكُم الحِكمةُ الإلهيّةُ: "أرسَلنا إليهِم الأنبياءَ والرُّسُلَ فقتَلوا مِنهُم فريقًا وظَلَموا فريقًا". [50]لذلِكَ يُحاسِبُ اللهُ كُلَّ مَن رَفضَ الأنبياءَ وسَفَكَ دِماءَهُم مُنذُ خَلْقِ العالَمينَ، [51]بَدءًا مِن دَمِ هابيلَ إلى دَمِ زَكَريّا الّذي قتَلتُموهُ في الحَرَمِ الشَّريفِ بَينَ المِحرابِ والمَذبَح. نعم، سيُحاسِبُ اللهُ هذِهِ الجَماعة على دَمِ هؤلاءِ الأنبياءِ جَميعًا![(1)] [52]والوَيلُ لكُم يا عُلَماءَ التَّوراةِ فقد احتَفَظتُم لأنفُسِكُم بمَفاتيحِ أبوابِ مَعرفةِ اللهِ، فما فَتَحتُم أبوابَها فدَخَلتُم رِحابَها، ولا سَمَحتُم للآخَرينَ بالدُّخولِ".

[53]وخَرَجَ ﷺ مِن بَيتِ المُتَشَدِّدِ، وقد زادَ غَيظُ المُتَشَدِّدينَ وفُقَهاءِ التَّوراة عليهِ إذ أصبَحوا يَسألونَهُ بِاستِمرارٍ، [54]مُتحَيِّنينَ أخطاءَهُ مِن أجلِ إدانتِهِ.

١٢
الفصل الثّاني عشر

النّفاق

[1]وبَينَما كانَت الحُشودُ تَزدادُ أعدادُها لرؤيتِهِ ﷺ ازديادًا جَعَلَ النّاسَ يَدوسُ بَعضُهُم بَعضًا، وَقَفَ مُخاطِبًا أتباعَهُ أوّلاً: "اِحذَروا النِّفاقَ، خَميرَ المُتَشَدِّدينَ! [2]لأنّهُ سيأتي يَومٌ لا بُدَّ لكُلِّ مَستورٍ فيهِ أن يَنكَشِفَ، ولا بُدَّ لكُلِّ ما كانَ خافيًا مِن الظُّهورِ فيَعلَمُهُ الجَميعُ جِهارًا. [3]وما تَتَناقَلونَهُ في العَتَمات سيُصبِحُ مَسموعًا مُعلَنًا في وَضَحِ النّهارِ، وما تَتَهامَسونَ بِهِ في حُجُراتِكُم سيُعلَنُ مِن فَوقِ سُطوحِ المَنازِلِ.

اخشوا الله لا النّاس

[4]أقولُ لكُم يا أعزّائي: لا تَخافوا مِمَّن يَقتُلُ الجَسَدَ، فلَيسَ لقاتِلِ الجَسَدِ ما

---

(1) يبيّن هنا السيّد المسيح أنّ معارضة هؤلاء لأنبياء الله تستحقّ العقاب بشكل خاصّ. وما دام جميع الأنبياء قد أشاروا إلى ظهور السيّد المسيح، لذا فإنّ معارضة ﷺ تعتبر معارضة لجميع الأنبياء.

يَستَطيعُ فِعلَهُ بَعدَ قَتلِهِ! [5]ولكنْ أُخبِرُكُم بمَن عليكُم أن تَخافوا، إنّهُ اللهُ الّذي لهُ القُدرةُ على أن يُميتَ الإنسانَ ويُلقيَهُ بَعدَ ذلِكَ في الجَحيمِ!

[6]نعم، أقولُ لكُم: عليكُم أن تَخشَوهُ تَعالى! ألاّ تُباعُ خَمسةُ عَصافيرَ بثَمَنٍ بَخسٍ، فِلسَينِ مَعدودَينِ؟ ولكنّ اللهَ لا يَبخَسُ قيمةَ عَصفورٍ واحدٍ مِنها، [7]واعلَموا أنّكُم تَفوقونَ بقيمتِكُم عِندَ اللهِ قيمةَ هذِهِ العَصافيرِ. فلا تَخافوا إذن، إنّ اللهَ لَيَعلَمُ مِنكُم عَدَدَ شَعرِ رُؤوسِكُم فكَيفَ تَخشَونَ النّاسَ وأنتُم في حِماه.

[8]إنّ كُلَّ مَن بايَعني أمامَ النّاسِ واتَّبَعني فإنّني، أنا سَيّدَ البَشَرِ، أبايِعُهُ أمامَ المَلائكةِ الأطهارِ. [9]وأمّا مَن أدارَ ظَهرَهُ لي مُنكِرًا، فإنّني أُنكِرهُ في ذلِكَ المَقامِ أمامَ المَلائكةِ. [10]ومَن رَمى سَيّدَ البَشَرِ بسُوءٍ ثُمّ تابَ وأصلَحَ، فسيَغفِرُ اللهُ لهُ، وأمّا مَن لَجَّ في إنكارِهِ لشَهادَةِ رُوحِ اللهِ، ورَفَضَ الهِدايةَ والتَّوبةَ فهذا لن يُغفَرَ لهُ.

[11]وإذا ساقَكُم النّاسُ في يَومٍ ما وأوقَفوكُم في المَحاكِمِ أو في بُيوتِ العِبادةِ، أو بَينَ يَدَيْ وُلاةِ الأمرِ ورِجالِ السُّلطةِ ليُدينُوكُم، فلا تَقلَقوا بشأنِ الدِّفاعِ عن أنفُسِكُم، [12]لأنّكُم ستنعَمونَ في تِلكَ السّاعةِ بهِدايةِ رُوحِ اللهِ بما عليكُم قَولَهُ".

مثل الغنيّ الغبيّ

[13]ثُمّ وَقَفَ شَخصٌ مِن الحاضِرينَ وقالَ لسَيِّدِنا عيسى عَلَيْنَا سَلَامُهُ: "يا مُعلّمُ، أرجوكَ: قُل لأخي أن يُعطيَني نَصيبي مِن الميراثِ". [14]فأجابَهُ عَلَيْنَا سَلَامُهُ: "أيُّها الرَّجُلُ، مَن أقامَني بَينَكُما قاضيًا في تَقسيمِ الإرثِ والمُمتَلَكاتِ؟" [15]ثُمّ تابَعَ قائلاً: "يا أيُّها النّاسُ إيّاكُم والطَّمعَ! لأنَّ قيمةَ حَياةِ الإنسانِ لا تُقاسُ بما يَملِكُ".

[16]ثُمّ ضَرَبَ لهُم مَثَلاً على ذلِكَ بقَولِهِ: "كانَ في ما مَضى رَجُلٌ ثَريٌّ عادَت عليهِ أرضُهُ بحَصادٍ وافِرٍ ونِتاجٍ غَزيرٍ. [17]فحدَّثَ نَفسَهُ قائلاً: "ضاقَت مَخازني بغِلالِ أرضي، فماذا أعمَلُ؟ [18]ثُمّ قالَ: لأهدِمَنّها ولأُشَيِّدَنَّ أضخَمَ مِنها لِتَسعَ حِنطتي وكُلَّ مُمتَلَكاتي، [19]وأفرَحَ وأتَنَعَّمَ وأشبَعَ طَعامًا وشَرابًا، فإنّ ما في مَخازني مِن مُؤَنٍ يَكفيني سِنينَ عَديدةً!" [20]فخاطَبَهُ اللهُ تَعالى: "يا أيُّها الإنسانُ إنّكَ لَغَبيٌّ! فإنّي في هذِهِ اللَّيلةِ مُتَوَفّيكَ، فلِمَن سيَؤولُ كُلُّ ما جَمَعتَ لنَفسِكَ؟!" [21]لذلِكَ اعلَموا أيُّها النّاسُ أنّ كُلَّ مَن يَكنِزُ المالَ لنَفسِهِ فإنّما مَصيرُهُ إلى زَوالٍ، ولن يَكونَ، عِندَ اللهِ، غَنيًّا".

الاتّكال على الله

22ثُمّ خاطَبَ سَيِّدُنا عيسى عليه السلام أتباعَهُ قائلاً: "لِهذا أقولُ لكُم: لا تَهتَمّوا في
حَياتِكُم بطَعامِكُم وكِسوَتِكُم، 23فالحَياةُ أغنَى مِن مُجرَّدِ طَعام تأكلونَهُ، والجَسَدُ أهمُّ مِن
مُجرَّدِ كِساءٍ تَلبَسونَهُ! 24ألا تَرونَ الغِربانَ؟ إنّها لا تَحتاجُ إلى أن تَزرَعَ أو تَحصُدَ وهي لا
تُخزِّنُ مؤونَتَها، لأنّ اللهَ يَرزُقُها طَعامًا يَكفيها. وأنتُم بلا شَكٍّ عِندَ اللهِ أرفَعُ ومِن هذِهِ
الطُّيورِ أولى! 25وإنّي لَسائلُكُم: أيَستَطيعُ أحَدٌ، مَهما حاوَلَ، أن يُطيلَ عُمرَهُ ولو
ساعةً؟! 26إنّكُم ولا شَكَّ عن ذلِكَ عاجِزونَ وهو عِندَ اللهِ يَسيرٌ، فأعرِضوا عمّا شَغَلَكُم
عن رَبِّكُم! 27وتأمّلوا الزّنابِقَ كَيفَ تَنمو -هي الّتي لا تَحمِلُ هَمَّ صِناعةِ كِسائِها- فإنّ النّبيَّ
سُليمانَ وهو في قِمّةِ مَجدِهِ وسُلطانِهِ، لم يَرتَدِ مِثلَ كِسائِها بَهاءً! 28فإن كانَ اللهُ يَكسُو
العُشبَ هذا الكِساءَ، العُشبُ الّذي يَنمو في الحَقلِ اليَومَ ثُمّ يَكونُ غَدًا وَقودًا، فكَيفَ
بِكُم؟ ألَيسَ اللهُ بقادِرٍ على أن يَكسُوَكُم يا قَليلي الإيمانِ؟! 29فلا تَهتَمّوا بما ستأكُلونَ
وَتَشرَبونَ، وإيّاكُم والتَّفكيرَ في الرِّزقِ، 30لأنّ أهلَ الدُّنيا هم الّذينَ يَسعَونَ وَراءَ ذلِكَ،
أمّا أنتُم فإنّ اللهَ أباكُم الرّحمَن يَرعاكُم كالأبِ الحَنونِ، وهو أدرَى بحاجاتِكُم، 31ولْيَكُنْ
سَعيُكُم في سَبيلِ المَملَكةِ الإلهيّة، فيَرزُقُكم اللهُ، إضافةً إليها، كُلَّ ما تَحتاجونَ إليهِ.
32فلا تَجزَعنَ يا رَعيّتي الصَّغيرةُ، فلقد رَضِيَ اللهُ الأبُ الصَّمَدُ أن يَضُمَّكُم إلى المَملَكةِ
الرَّبّانيّة!

33لذلِكَ بيعوا مُمتَلَكاتِكُم، وتَصَدَّقوا بأثمانِها على الفُقَراءِ، واتّخِذوا لأنفُسِكم
أكياسًا لا تَبلَى، وادَّخِروا عِندَ رَبِّكُم كَنزًا لا يَفنَى، فلا تَنالُهُ يَدُ سارِقٍ، ولا يَعرِفَنّ
السّوسُ طَريقَهُ إليهِ. 34واعلَموا بأنّ رَغبةَ قُلوبِكُم مُوَجَّهةٌ حَيثُما تَدَّخِرونَ كُنوزَكُم".

استعدّوا للقاء سيّدكم

35"استَعِدّوا وتَهَيَّؤوا يا أحبابي في كُلِّ وَقتٍ وحينٍ، ولتَكُنْ مَصابيحُكُم مُضاءَةً وقد
ارتَدَيتُم ثيابَ الخَدَمِ، 36فتكونوا بذلِكَ عَبيدًا واقِفينَ بانتِظارِ عَودةِ مَولاهُم مِن العُرسِ،
حتّى إذا جاءَ وطَرَقَ عليهِم البابَ، فَتَحوا لهُ دونَ إبطاءٍ. 37وقد أفلَحَ أولئكَ العَبيدُ الّذينَ
إذا جاءَ سَيِّدُهُم وَجَدَهُم أيقاظًا. وأقولُ لكُم يَقينًا إنّ هؤلاءِ سَيَجزيهِم سَيِّدُهُم خَيرَ
جَزاء، فيُشَمِّرُ عن ساعِدَيهِ ليُجلِسَهُم إلى المائدةِ ويَقومَ على خِدمَتِهِم! 38وإذا جاءَهُم
عِندَ مُنتَصَفِ اللّيلِ، أو عِندَ الفَجرِ أيضًا، فوَجَدَهُم أيقاظًا فهَنيئًا لهُم! 39واعلَموا أن لو
عَرَفَ صاحِبُ البَيتِ ساعةَ قُدومِ السّارِقِ، لَما تَرَكَ لهُ البَيتَ فيَسرِقَهُ! 40فاستَعِدّوا لِلِقاءِ
سَيِّدِ البَشَرِ، فإنّهُ سيُفاجِئُكُم في ساعةٍ لا تَتَوَقَّعونَهُ فيها!"

[41]والتَفتَ إليهِ بُطرُسُ الصَّخرُ قائلاً: "يا سَيِّدَنا أتَسوقُ هذا المَثَلَ لنا خاصّةً، أم للنّاسِ عامّةً؟!" [42]فأجابَهُ السَّيِّدُ المَسيحُ عَلَيْنَا سَلَامُهُ: "إنّما أضرِبُ ذلِكَ المَثَلَ لكُلِّ عَبدٍ أمينٍ حَكيمٍ وَثِقَ بِهِ سَيِّدُهُ فكَلَّفَهُ أُمورَهُ، وقَبلَ سَفَرِهِ أمَرَهُ بإطعامِ كُلِّ عَبيدِهِ في حينِهِ. [43]قد أفلَحَ ذلِكَ العَبدُ الّذي وَجَدَهُ سَيِّدُهُ، عِندَ رُجوعِهِ إليهِ، قائمًا بعَمَلِهِ. [44]والحَقَّ أقولُ لكُم، إنّ سَيِّدَهُ سيُوكِلُ إليهِ أمرَ جَميعِ مُمتَلَكاتِهِ! [45]أمّا إذا حَدَّثَ العَبدُ نَفسَهُ قائلاً: "سيَتأخَّرُ مَولايَ في الرُّجوعِ". فأخَذَ يَتَسَلَّطُ على العَبيدِ والجَواري، ويَتَمادَى في أكلِهِ وشُربِهِ للخَمرِ فيَسكَرَ، [46]ثُمّ يَعودُ سَيِّدُهُ فيأخُذُهُ على حينِ غِرّةٍ، فسيَغضَبُ السَّيِّدُ غَضَبًا حتّى ليَكادُ يُمَزِّقُهُ إربًا إربًا مُعتَبِرًا إيّاهُ كافرًا مِنَ الكُفّارِ! ويَكونُ عِقابُهُ شَديدًا، [47]لأنّهُ كانَ يَعرِفُ ما يُريدُ سَيِّدُهُ مِنهُ، ولكنّهُ رَفَضَ القِيامَ بما أُوكِلَ إليهِ. [48]أمّا ذاكَ الّذي لا يَدري ما الّذي يُرضي مَولاهُ، ويَعمَلُ ما يَستَحِقُّ العِقابَ، فسيَكونُ عِقابُهُ أهوَنَ. إنّ اللهَ يُطالِبُكُم بقَدرِ ما يَمنَحُكُم مِن نِعَمٍ، فمَن أوكَلَ اللهُ إليهِ كَثيرًا فسيُطالِبُهُ بقَدرِ ما أوكَلَهُ".

لا سلام بل خلاف

[49]وتابَعَ عَلَيْنَا سَلَامُهُ قائلاً: "لقد جِئتُ إلى الأرضِ برِسالتي لأنشُرَها فتَسري كالنّارِ، وكَم أرجو لو أنّها بَدأت بالسَّرَيانِ! [50]ولكن عليَّ قَبلَ ذلِكَ أن أنغَمِسَ في الآلامِ، وما أشَدَّ ضِيقي وكَربي إلى أن يَتِمَّ ذلِكَ! [51]ولا تَظُنّوا أنّي جِئتُ لأُقيمَ السّلامَ بَينَ المؤمنينَ وغَيرِ المؤمنينَ في الأرضِ. لا، بل سَتَرَونَ عليها خِصامًا! [52]ولَيَقعَنَّ مُنذُ الآنَ في البُيوتِ الشِّقاقُ، فإن كانَ في أحَدِها خَمسةُ أفرادٍ فسيَقَعُ الشِّقاقُ بَينَهُم ويَختَصِمونَ ويُصبِحونَ فَريقَينِ: ثَلاثةٌ ضِدَّ اثنَينِ أو اثنانِ ضِدَّ ثَلاثةٍ، [53]ويَقَعُ العِداءُ بَينَ الأبِ وابنِهِ وبَينَ الأُمِّ وابنَتِها، وبَينَ زَوجةِ الابنِ وحَماتِها".

علامات الله في هذا الزّمن

[54]والتَفتَ سَيِّدُنا عيسى عَلَيْنَا سَلَامُهُ إلى النّاسِ قائلاً: "إنّكُم حينَ تَرونَ السَّحابةَ آتيةً مِنَ الغَربِ، تَقولونَ سَحابٌ مُمطِرٌ، ويَهطِلُ المَطرُ. [55]وإذا هَبَّت ريحٌ جَنوبيّةٌ مِن جِهةِ الصَّحراءِ تَنَبَّأتُم بحَرٍّ، ويَسودُ بَعدَ ذلِكَ حَرٌّ شَديدٌ. [56]فيا أيُّها المُنافِقونَ، كَيفَ تَعلَمونَ مِنَ الطَّبيعةِ ما تَعلَمونَ، ولا تُدرِكونَ عَلاماتِ اللهِ في زَمانِكُم هذا؟ [57]ولِماذا تَجهَلونَ ما عليكُم القِيامُ بِهِ مِن تِلقاءِ أنفُسِكُم قَبلَ فَواتِ الأوانِ؟! [58]دَعوني أضرِبُ لكُم مَثَلاً: إن تَوَجَّهتَ وخَصمَكَ إلى المَحكَمةِ، فاجتَهِدْ أن تَتَصالَحَ مَعَهُ أثناءَ الطَّريقِ حتّى لا يُدينَكَ

القاضي ويَقضيَ عليكَ بالسَّجنِ، فيُسَلِّمَكَ إلى الحارِسِ الّذي يُلقيكَ فيهِ، [59]إنّكَ أيُّها المَسكينُ لن تَخرُجَ مِن السِّجنِ حتّى تؤدّيَ حقَّ خَصمِكَ عليكَ إلى آخِرِ فِلسٍ!"

١٣
الفصل الثّالث عشر

الدّعوة إلى التّوبة

[1]وأقبَلَ على سَيِّدِنا عيسى ﷺ في تِلكَ الأثناءِ جَماعةٌ يُقَدِّمونَ لهُ شَكواهُم في شأنِ بَعضِ الجَليليّينَ الّذينَ قَتَلَهُم الوالي بيلاطُسُ الرُّومانيُّ في الحَرَمِ الشَّريفِ في القُدسِ وكَيفَ اختَلَطَتْ دِماؤهُم حِينئذٍ بدِماءِ الذَّبائحِ الّتي كانوا يُقَدِّمونَها للهِ. [2]فقالَ لهُم ﷺ: "هل تَظُنّونَ أنّ هؤلاءِ إنّما كانَ هَلاكُهُم على هذا النَّحوِ لأنّهُم أكثَرُ الجَليليّينَ إثمًا؟! [3]أقولُ لكُم لا، وإن لم تَترُكوا ذُنوبَكُم وتَرجِعوا إلى اللهِ، فستَهلِكونَ كُلُّكُم على نَحوِ هَلاكِهِم! [4]وأولئكَ الثّمانيَةَ عَشَرَ الّذينَ انهارَ البُرجُ عليهِم في القُدسِ قُربَ حَيّ سِلوانَ فماتوا، هل تَظُنّونَ أنّهُم كانوا أكثَرَ النّاسِ في القُدسِ أوزارًا؟ [5]كَلاّ، وإن لم تَتوبوا فستَلقَونَ العاقِبةَ عَينَها فتُصبِحونَ مِن الخاسِرينَ".

مَثَل التّينة

[6]ثُمّ ساقَ لهُم عيسى ﷺ مَثَلاً عَن التَّوبةِ فقالَ: "كانَ في بُستانٍ شَجَرةٌ مِن التِّينِ، تَرَدَّدَ صاحِبُ البُستانِ عليها مِرارًا لِيَقطِفَ مِنها ثَمَرًا، ولكنّهُ لم يَجِد فيها ثَمَرًا. [7]فقالَ للبُستانيّ: "مُنذُ ثَلاثِ سَنَواتٍ وأنا أقصِدُ هذِهِ التِّينةَ لأقطِفَ مِنها ثَمَرًا فلا أجِدُ فيها ثَمَرًا! فاقطَعْها لأنّها تَشغَلُ حَيِّزًا مِن الأرضِ دونَ فائدةٍ!" [8]فأجابَهُ البُستانيُّ: "يا سَيِّدي، ألا تَدَعُها عامًا آخَرَ، فأُقَلِّبَ تُربَتَها وأُسَمِّدَها، [9]لعلّها تُثمِرُ، وإنْ لم تُثمِرْ قَطَعتُها".

الشّفاء في يوم السّبت

[10]وفي أحَدِ أيّامِ السَّبتِ، عِندَما كانَ سَيِّدُنا عيسى ﷺ في بَيتٍ للعِبادةِ يُعَلِّمُ النّاسَ، [11]أقبلَت امرأةٌ قد أصابَها مَسٌّ شَيطانيٌّ مُنذُ ثَماني عَشرَةَ سَنةً فجَعَلَها حَدباءَ لا يَستَقيمُ لها ظَهرٌ. [12]وعِندَما وَقَعَ نَظَرُهُ ﷺ عليها، دَعاها إليهِ وقالَ لها: "أيّتُها المَرأةُ أنتِ مُعافاةٌ مِن مَرَضِكِ!" [13]ثُمّ وَضَعَ يَدَيهِ عليها فاستَقامَ ظَهرُها في الحالِ، ولَهَجَ لِسانُها بالتَّسبيحِ للهِ وحَمدِهِ.

[14]وغَضِبَ الرَّئيسُ في بَيتِ العِبادةِ، إذ قامَ عيسى ﷺ بشِفاءِ المَرأةِ في يَوم السَّبتِ. ووَقَفَ هذا الرَّئيسُ يُخاطِبُ النّاسَ قائلاً: "أيُّها النّاسُ، إنّما لكُم سِتّةُ أيّام يُباحُ لكُم فيها العَمَلُ، فتعالَوا واستَشفوا خِلالَها ولا تَنتَهِكوا حُرمةَ السَّبتِ!" [15]فأجابَهُ السَّيِّدُ المَسيحُ ﷺ: "أيُّها المُنافِقونَ، أما تعمَلونَ في يوم السَّبتِ؟ ألَستُم تَحُلّونَ رِباطَ ثيرانِكُم وحَميرِكُم كَي تَسقُوها؟ [16]فما بالُكم بهذِهِ المَرأةِ مِن آلِ النَّبيِّ إبراهيم وقد رَبَطَها إبليسُ على مَدى ثَماني عَشرَة سَنةً؟ أما كانَ الأجدى أن أحُلَّها في هذا اليومِ المُقدَّسِ مِن رِباطِ الشَّيطانِ الأثيم؟" [17]فلمّا استَمِعَ خُصومُهُ ﷺ لِكَلامِهِ أُصيبوا بالخِزي، أمّا النّاسُ الّذينَ احتَشدوا أمامَهُ ففَرِحوا لِمَا رأوا مِن أعمالِهِ المَجيدةِ.

مَثَل حبة الخردل ومَثَل الخميرة

[18]وقالَ سَيِّدُنا عيسى ﷺ يُخاطِبُ الحاضِرينَ: "كَيفَ أصِفُ لكُم المَملَكةَ الرَّبّانيةَ، وبماذا أُقارِنُ لكُم نُموَّها؟ [19]إنّ مَثَلَها كمَثَلِ حَبّة خَردَلٍ صَغيرةٍ التَقَطَها رَجُلٌ ثُمّ ألقاها في بُستانِهِ فنَمَت حتّى أصبَحَت شَجَرةً كَبيرةً، واتَّخَذَت طُيورُ السَّماءِ بَينَ أغصانِها أعشاشًا لها" .(1)

[20]وتابَعَ ﷺ قائلاً: "وبِماذا أيضًا أُقارِنُ لكُم المَملَكةَ الرَّبّانيّة؟! [21]إنّما مَثَلُها كمَثَلِ خَميرةٍ ألقَتْها امرأةٌ في ما يُقدَّرُ بأكياسٍ ثَلاثةٍ مِن الطَّحينِ، لتَجعَلَها خُبزًا، ورغمَ قِلّةِ الخَميرةِ، فقد اختَمَرَ ذاكَ المِقدارُ الكَبيرُ مِن الطَّحينِ كُلّهُ".

الباب الضّيّق

[22]وتابَعَ سَيِّدُنا عيسى ﷺ مَسيرَهُ إلى بَيتِ المَقدِسِ، يُعَلِّمُ النّاسَ في المُدُنِ والقُرى الّتي يَمُرُّ بها. [23]وسألَهُ رَجُلٌ: "يا سَيِّدَنا، أقَليلٌ عَدَدُ النّاجينَ يومَ الدِّينِ؟" فقالَ ﷺ للحاضِرينَ: [24]"اجتَهِدوا كَي تَدخُلوا مِن البابِ الضَّيّقِ، فلا رَيبَ أنّ كَثيرًا مِن الخَلقِ مِمَّن يَرغَبونَ وُلوجَهُ لا يَستَطيعونَ! [25]وإذا أغلَقَ رَبُّ البيتِ ذلِكَ البابَ، فستَجِدونَ أنفُسَكُم وُقوفًا خارجَهُ، تَطرُقونَ البابَ صارِخينَ: "يا سَيِّدَنا افتحْ لنا!" ويُنكِرُكُم مَن في الدّاخِلِ قائلاً: "لا أعرِفُ مَن أنتُم ولا صِلةَ لي بكُم". [26]فتَقولونَ:

(1) ورد في كتاب النبي دانيال أنّ الامبراطور العظيم (نبوخذنصر) يشبه شجرة تلتجئ إليها جميع الشعوب في العالم (دانيال 4: 12) وقد استُعملت تلك الاستعارة أيضا كتشبيه في مزمور 104 : 13.

"كيفَ، وقد أكَلنا وشَرِبنا مَعًا، كَيفَ وقد كُنتَ تُعَلِّمُنا في شَوارِعِنا" . [27]فيُجيبُكُم ثانيةً: "إنّي لا أعرِفُ مِن أينَ أتيتُم، فابتَعِدُوا عنّي أيُّها المُفسِدونَ!" [28]حينئذٍ ستَبكونَ، وبأسنانِكُم غيظًا وحَسرةً تَصِرّونَ، عِندَما تَرَونَ إبراهيمَ وإسحقَ ويَعقوبَ وكُلَّ الأنبياءِ في المَملَكةِ الرَّبّانيّةِ، وأنتُم مِنها مَطرُودونَ. [29]وسيأتي النّاسُ زُمَرًا مِن كُلِّ أنحاءِ المَعمورةِ، مَشرِقِها ومَغربِها، شِمالِها وجَنوبِها، حَولَ مائدةِ الرَّحمَنِ في المَملَكةِ الرَّبّانيّة يَلتَقونَ، مُتَّكئينَ على الأرائِكِ يَفرَحونَ.(1) [30]فانتَبِهوا لِمَا أقولُ: إنّ مِن المَنبوذينَ في هذِهِ الدُّنيا مَن سيُصبِحونَ مِن الأوّلينَ، ومِن هؤلاء الأوّلينَ في الدُّنيا مَن سيَصيرونَ مِن المَنبوذينَ" .

حزنه على القدس

[31]ودَنا مِنهُ أثناءَ ذلِكَ، بَعضُ المُتَشَدِّدينَ قائلينَ: "أُهرُبْ وانجُ بنفسِكَ، فالأميرُ أَنْتِباسُ بن هيرودُس يُريدُ قَتلَكَ!" [32]فأجابَهُم ﷺ: "اذهَبوا إلى ذلِكَ الثَّعلَب(2) وأخبِروهُ بأنّني سأطرُدُ اليومَ وغدًا الشَّياطينَ وسأَشفي المَرضَى، وفي اليَومِ الثّالثِ سأُتَمِّمُ هَدَفي. [33]أجل، ها أنا ماضٍ في سَعيي إلى القُدسِ في يَومي هذا وغَدِهِ وبَعدَ غَدِهِ، فمِن غَيرِ اللائقِ لَدى اليَهودِ أن يُقتَلَ نَبيٌّ مِن الأنبياءِ خارِجَ القُدس!

[34]يا أهلَ القُدسِ، يا أهلَ القُدسِ، يا قاتِلي الأنبياءِ وراجِمي الّذينَ كانوا إليكُم مُرسَلينَ! كَم مَرّةً أرَدتُ أن أضُمَّ جَميعَ بَنيكِ يا قُدسُ كَما تَضُمُّ الدَّجاجةُ فِراخَها تَحتَ جَناحَيها، لكنّكُم لذلِكَ رافِضونَ. [35]اصغُوا إليَّ الآنَ! هُوَذا اللهُ يَرفَعُ حِمايتَهُ عن بَيتِكُم. ألا إنّكُم لن تَحظَوْا برُؤيتي بَعدَ الآنَ حتّى تَقولوا: بُورِكَ المَلِكُ الآتي باسمِ اللهِ رَبِّ العالَمينَ" .

---

(1) تحدّث النبي أشعيا عن وليمة الله تعالى العظيمة في الجنة، والتي تضمّ جميع البشر (أشعيا 25: 6). وبرغم ذلك، ففي زمن السيّد المسيح قد تعلّم اليهود بأنّ تلك الوليمة هي من أجل اليهود فقط وذلك في وقت يكونون قد أحرزوا فيه انتصارًا على أعدائهم. وقد اعتبر اليهود أنّ شرف الجلوس إلى جانب الأنبياء إبراهيم إسحق ويعقوب هو امتياز لهم من دون الشعوب الأخرى غير اليهود.

(2) كان سيّدنا عيسى ﷺ في المنطقة التي يحكمها الأمير أنتيباس عندما حدث هذا. وكانت كلمة "ثعلب"، في زمن سيدنا المسيح، تعني التالي: 1.الشخص الذي ليس له أهمية 2. المخادع 3. المخرّب . وكلّ هذه الصفات كانت تنطبق على الأمير أنتيباس.

١٤
الفصل الرّابع عشر

الشّفاء في يوم الرّاحة المقدّس

1وفي أحَدِ أيّامِ السَّبتِ، جاءَ سَيِّدُنا عيسى عليه السلام إلى بَيتِ أحَدِ كِبارِ المُتَشَدِّدينَ
ليَتَناوَلَ مَعَهُ الغَداءَ، وكانَ هؤلاءِ يُراقِبونَهُ، 2وإذا برَجُلٍ يَقِفُ أمامَهُ مُنتَفِخَ اليَدَينِ
والرِّجلَينِ لأنّهُ كانَ مُصابًا بمَرَضِ الاستِسقاءِ، 3فسألَ سَيِّدُنا عيسى عليه السلام المُتَشَدِّدينَ
وعُلماءَ التّوراةِ بقَولِهِ: "ماذا تَقولونَ في الشِّفاءِ في السَّبتِ، أحَلالٌ هو أم حَرامٌ؟!"
4فامتَنَعوا عَن إجابَتِهِ، فأخَذَ عليه السلام بيَدِ المَريضِ وشَفاهُ وأمَرَهُ بالانصِرافِ. 5والتَفَتَ ثانيةً
إلى المُتَشَدِّدينَ قائلاً: "أوَلاَ تَقومونَ حقّا بالعَمَلِ في السَّبتِ؟! فإذا سَقَطَ لواحدٍ مِنكُم
ابنُهُ أو ثَورُهُ في بِئرٍ يَومَ السَّبتِ أفَلا يُسرِعُ إلى انتِشالِهِ؟" 6فبَقِيَ المُتَشَدِّدونَ صامِتينَ
لِعَجزِهِم عَنِ الإجابَةِ.

التّواضع والإحسان

7 ولاحَظَ سَيِّدُنا عيسى عليه السلام في ذاتِ المَجلِسِ، المَدعُوّينَ يَتَخَيَّرونَ مَجالِسَ
الصَّدارةِ، فانتَهَزَ الفُرصةَ لِيَنصَحَهُم قائلاً: 8 "إذا دَعاكَ أحَدٌ إلى وَليمةِ عُرسٍ، فلا
تَختارَنَّ الجُلوسَ في مَقاعِدِ الصَّدارةِ، فقد يَكونُ هذا المَقعَدُ لِمَن هو أجَلُّ مَقامًا بَينَ
المَدعوّينَ، 9 فإذا جَلَستَ جاءَكَ صاحِبُ العُرسِ وقالَ لكَ: "أخلِ لهُ مَقعَدَكَ".
فأحرَجَكَ فانسَحبتَ خَجَلاً لِتَجلِسَ في آخِرِ مَقعَدٍ. 10 لذلِكَ إذا دُعيتَ، فاختَرْ الجُلوسَ
في المَكانِ الأخيرِ، حتّى إذا رآكَ صاحِبُ العُرسِ أتى إليكَ وقالَ: "تَفَضَّلْ يا صاحِبي
لِتَجلِسَ في مَكانٍ أفضَلَ". مِمّا يَرفَعُ في نَظَرِ الحاضِرينَ قَدرَكَ، 11 إن كُلَّ مَن تَعالَى
بنَفسِهِ وَضَعَهُ اللهُ، وكُلُّ مَن تَواضَعَ رَفَعَهُ اللهُ".

12والتَفَتَ عيسى عليه السلام إلى المُضيفِ ناصِحًا: "إذا أقَمتَ غَداءً أو عَشاءً فلا تَقتَصِرَنَّ
في دَعوتِكَ على الأصحابِ والإخوانِ والأقرِباءِ، ولا على الجيرانِ مِنَ الأغنياءِ، حتّى
إذا أقاموا حَفلةً دَعوكَ فتَنالُ بذلِكَ مِنهُم على إحسانِكَ في دَعوتِهِم جَزاءً وثَوابًا، 13بل
ادعُ المَساكينَ والمُعاقينَ والعُرجانَ والعُميانَ، فيُبارِكُ بذلِكَ اللهُ فيكَ، 14لأنّ هؤلاءِ لا
يَملِكونَ ما يَرُدّونَ بِهِ على إحسانِكَ لهُم، فتَنالُ الجَزاءَ مِن رَبِّكَ يومَ القِيامةِ مَعَ
الصّالِحينَ".

مثل الوليمة والمدعوّين

15وقالَ أحَدُ الجالِسينَ حَولَ المائدةِ عِندَ سَماعِ كَلامِهِ ﷺ: "هَنيئًا لِمَن سيأكُلونَ على مَوائدِ الرَّحمَنِ في المَملَكةِ الرَّبّانيّةِ!" 16فقالَ ﷺ: "أقامَ رَجُلٌ وَليمةً فاخِرةً، ودَعا إليها جمعًا كَبيرًا مِنَ النّاسِ، فقَبِلَ هؤلاءِ الدَّعوةَ. 17ويومَ حَضَرَتِ المائدةُ أرسَلَ المُضيفُ عَبدَهُ لإخبارِ المَدعوّينَ بأنَّ كُلَّ شَيءٍ جاهِزٌ لاستِقبالِهِم، 18ولكنَّهُم أخَذوا، دونَ استِثناءٍ، يَعتَذِرونَ بأعذارٍ يُسيئونَ فيها لصاحِبِ الدَّعوةِ. فقالَ أحَدُهُم: "عُذرًا، قد اشتَريتُ حَقلاً وإنّي مُضطَرٌّ للذَّهابِ الآنَ لِمُعاينتِهِ". 19وقالَ آخَرُ: "قُمتُ بابتِياعِ خَمسةِ أزواجٍ مِنَ الثِّيرانِ، ولا بُدّ لي الآنَ مِن مُعايَنَتِها لأرى هل تَصلُحُ للحِراثةِ أم لا، فعُذرًا". 20واعتَذَرَ آخرُ عَنِ الدَّعوةِ بقولِهِ: "إنّي حَديثُ العَهدِ بالزَّواجِ، فلَيسَ بمَقدوري الحُضورُ".

21وعادَ العَبدُ ليُخبرَ مَولاهُ بما حَصَلَ، فثارَ غَضَبُ صاحِبِ الوَليمةِ وأمَرَ عَبدَهُ بقَولِهِ: "انطَلِقْ في الحالِ في الشَّوارِعِ والأزقّةِ، وعُد بالمَساكينِ والمُعاقينَ والعُرجانِ والعُميانِ". 22فنَفَّذَ العَبدُ أمرَ مَولاهُ، وعِندَ عَودتِهِ أخبَرَهُ قائلاً: "لقد قُمتُ بما أمَرتَني بِهِ، وما زالَ في المَكانِ مُتّسَع للكَثيرينَ". 23فقالَ لهُ سَيِّدُهُ: "انطَلِقْ خارجَ المَدينةِ، وجُبْ الطُّرُقاتِ والمَزارِعَ، وكُنْ في دَعوتِكَ النّاسَ مُصِرًّا على قَبولِهِم ولَبِقًا، فيَمتَلِئَ البَيتُ بِهِم، 24أمّا هؤلاءِ الّذينَ دَعوناهُم ولم يأتوا، فلن يَذوقوا لُقمةً مِن هذا العَشاءِ!"

عيسى ﷺ وشرط اتّباعه

25وأثناءَ مَسيرِهِ ﷺ كانَت أفواجٌ مِنَ النّاسِ تُرافِقُهُ في الطَّريقِ، فالتَفَتَ إليهِم قائلاً: 26"مَن أرادَ مِنكُم أن يَكونَ مِن أتباعي، فلتَكُنْ مَحبّتُهُ لي أكثرَ مِن مَحبّتِهِ لأبيهِ وأُمِّهِ وزَوجِهِ وأولادِهِ وإخوانِهِ وأخَواتِهِ، بل أكثَرَ مِن مَحبّتِهِ لنَفسِهِ أيضًا، وإلاّ فلن يَكونَ مِن أتباعي. 27ولا يُمكِنُ أن يَكونَ مِن أتباعي مَن لم يَكُن مُستَعِدًّا للتَّضحيةِ بنَفسِهِ مَوتًا على الصَّليبِ.

28وأقولُ: لِنَفرِضْ أنّ أحَدَكُم عَقَدَ عَزمَهُ على تَشييدِ بُرجٍ، فعَلَيهِ أن يَجلِسَ ويَحسِبَ كُلفةَ إنجازِهِ، فإن كانَ قادِرًا عليها أنجزَ ما عَزَمَ عليهِ وإلاّ عَدَلَ عن ذلِكَ. 29وإذا غامَرَ فباشَرَ البِناءَ دونَ تَحَقُّقِهِ مِن قُدرتِهِ على ذلِكَ فسيَكونُ مَوضِعَ سُخريةٍ بَينَ النّاسِ 30فيَقولونَ: "باشَرَ هذا الرَّجُلُ البِناءَ دونَ أن يَكونَ قادِرًا على إتمامِهِ!"

[31]وكذلِكَ شأنُ المَلِكِ الّذي يُواجِهُ خَصمًا مِن المُلوكِ دونَ استِشارةِ حاشيتِهِ حتّى يَرى إن كانَ قادِرًا بعَشَرةِ آلافِ جُنديٍّ على مُواجَهةِ خَصمِهِ الآتي إليهِ بعِشرينَ ألفٍ، [32]أو إن كانَ عليهِ، ما دامَ عَدوُّهُ بَعيدًا عَنهُ، أن يَلجَأَ إلى المُصالَحةِ فيُرسِلَ وفدًا يَسألُ عَدوَّهُ عَن شُروطِهِ. فالمَلِكُ الّذي لا يَفعَلُ ذلِكَ يَكونُ مَوضِعَ سُخريةٍ. [33]ومِن هَذينِ المَثَلَينِ تُدرِكونَ أنّكُم لن تَستَطيعوا اتّباعي إلاّ إذا تَخَلّيتُم عن كُلِّ ما لَدَيكُم مِن مُمتَلَكاتٍ.

[34]إنّ مَثَلَ أنصاري كمَثَلِ المِلحِ في جَودتِهِ، ولكن إذا فَقَدَ المِلحُ مُلوحَتَهُ، ما استَطاعَ أحَدٌ أن يُرجِعَهُ إليهِ! [35]وحينَئِذٍ، لن يَصلُحَ هذا المِلحُ لا للفُرنِ ولا للسَّمادِ، بل سيُلقَى بَعيدًا.[(1)] فَلْيَسمَعِ السّامِعونَ، ولْيَفقَهِ المُتَبَصِّرونَ!"

١٥
الفصل الخامس عشر

مَثَل الخروف الضّالّ

[1]وكانَ مِن عادةِ جُباةِ جِزيةِ الرُّومانِ ومَجموعةٍ مِن الضّالّينَ أنّ يُقبِلوا على سَيِّدِنا عيسى عليه السلام لسَماعِ تَعاليمِهِ، [2]مِمّا أثارَ حَفيظةَ المُتَشَدِّدينَ وعُلَماءِ التَّوراةِ فأخَذوا يَتَذَمَّرونَ قائلينَ: "إنّ هذا الرَّجُلَ لَيَستَقبِلُ الضّالّينَ، ويأكُلُ مَعَهُم". [3]فخاطَبَهُم عيسى عليه السلام ضارِبًا لهُم الأمثالَ: [4]"إن كانَ لأحَدِكُم مِئةُ خَروفٍ وافتَقَدَ ذاتَ يوم واحِدًا مِنها، أفلا يَنطَلِقُ تارِكًا التِّسعةَ والتِّسعينَ خَروفًا في البَريةِ مَعَ حارِسٍ بَحثًا عن ذاكَ الّذي ضَلَّ طَريقَهُ؟! [5]وعِندَما يَعثُرُ عليهِ ألا يَحمِلُهُ فَرِحًا على كَتِفَيهِ عائدًا إلى البيتِ [6]جامِعًا حَولَهُ الأصحابَ والجيرانَ ليَقولَ لهُم: "وَجَدتُ خَروفي الضّالَّ، فلْنَحتَفِلْ مَعًا بعَودتِهِ!" [7]بلى أُؤَكِّدُ لكُم أنّهُ لَكذلِكَ يَكونُ فَرَحُ اللهِ ومَلائكتِهِ بمَن يَتوبُ بَعدَ ضَلالِهِ، وذلِكَ أكثَرُ مِن فَرَحِهِم بتِسعةٍ وتِسعينَ مِن المُعتَدّينَ بصَلاحِهِم مِمّن يَرونَ أنّهُم لَيسوا بحاجةٍ إلى تَوبةٍ".

(1) كان الملح يستعمل أحيانا ليجعل الزِبل طازجًا كسماد، كما كان يستعمل كعنصر يساعد اشتعال الزِبل المجفّف في الفرون المصنوعة من الطين في ذلك العصر. لذلك إذا فقد الملح ملوحته، أصبح غير مفيد لهذه الأهداف.

مَثَل الدّرهم الضّائع

8وتابعَ ﷺ سَوقَ الأمثالِ قائلاً: "ولْنَفترِضْ أنّ امرأةً كانت تَملِكُ عَشرةَ دَراهِمَ
فِضّةً وافتَقَدَت واحدًا مِنها، أفلا تَقومُ بالبَحثِ عَنهُ بَعدَ أن تُشعِلَ مِصباحَها فتُكنِّسُ بَيتَها
وتَجتَهِدَ لتَجِدَهُ؟! 9فإذا عَثَرَت عليهِ جَمَعَت صَديقاتِها وجاراتِها لتُخبِرَهُنّ قائلةً: "افرَحْنَ
مَعي، فقد وَجَدتُ دِرهَمي الضّائعَ!" 10هكذا تَفرَحُ المَلائكةُ بذلِكَ التّائبِ المُهتَدي بَعدَ
ضَلالِهِ".

مَثَل الابن الضّالّ

11ثُمّ ساقَ سَيِّدُنا عيسى ﷺ لسامِعيهِ هذا المَثَلَ فقالَ: "كانَ لرَجُلٍ ابنانِ، 12فقالَ
لهُ الأصغَرُ: "أبي، أعطِني نَصيبي مِن المِيراثِ الآنَ!" فاستَجابَ الوالِدُ لطَلَبِ ابنِهِ
ووَزَّعَ أملاكَهُ بَينَ ولدَيهِ، 13وخِلالَ بِضعةِ أيّام باعَ الابنُ الأصغَرُ كُلَّ نَصيبِهِ مِن الأملاكِ،
وجَمَعَ أثمانَها وسافَرَ بَعيدًا لِيَلهُوَ مُبَذِّرًا تِلكَ الأموالَ عَبَثًا ومُجونًا. 14وبَعدَ إنفاقِهِ كُلَّ ما
يَملِكُ، أصابَت تِلكَ البِلادَ مَجاعةٌ شَديدةٌ، فوَقَعَ ذلِكَ الشّابُّ في الحاجةِ. 15ومَضى
لِيُقيمَ أوَدَهُ فلاذَ برَجُلٍ وَثَنيٍّ مِن أهلِ تِلكَ البِلادِ، فعَمِلَ عِندَهُ راعيًا للخَنازيرِ في أحَدِ
حُقولِهِ. 16وبَلَغَ الجُوعُ مِنهُ مَبلَغَهُ حتّى إنّهُ كانَ يَشتَهي مَلءَ بَطنِهِ بالخُرنوبِ الّذي كانت
الخَنازيرُ تَأكُلُهُ، ولا أحَدَ مِمَّن كانَ حَولَهُ استَجابَ لهُ وأطعَمَهُ.
17ثُمّ عادَ إليهِ رُشدُهُ فقالَ في نَفسِهِ: "ما أكثَرَ ما في بَيتِ أبي مِن عُمّالٍ يَفيضُ عَنهُم
الطَّعامُ، وأنا أكادُ أموتُ هُنا جُوعًا! 18سأعودُ إلى أبي فأقولُ لهُ: "يا أبي، لقد أخطأتُ
في حَقِّ اللهِ وفي حَقّكَ، 19ولَستُ أهلاً بأن أكونَ ابنَكَ بَعدَ الآن، فاجعَلني عامِلاً مِن
عُمّالِكَ".

20وهكذا، عادَ الابنُ إلى أبيهِ، ورآهُ أبوهُ عن بُعدٍ فأخَذَتهُ الرّأفةُ بابنِهِ فأتاهُ هَرولَةً
فاتِحًا ذِراعَيهِ لِيَضُمَّهُ إلى صَدرِهِ مُعانِقًا مُقَبِّلاً. 21فقالَ الابنُ: "يا أبَتِ لقد أخطأتُ في
حَقِّ اللهِ وفي حَقِّكِ، ولَستُ أهلاً لأن أكونَ ابنَكَ بَعدَ الآنَ". 22أمّا الأبُ، فقد أمَرَ
عَبيدَهُ قائلاً: "أسرِعوا إليهِ بأفخَرِ ثَوبٍ وألبِسوهُ إيّاهُ، وزَيِّنوا إصبَعَهُ بخاتَمٍ، وضَعُوا في
قدمَيْهِ نَعلاً.(1) 23وأحضِروا العِجلَ السَّمينَ فانحَروهُ حتّى نأكُلَ احتِفالاً بعَودةِ ابني إلى
الحَياةِ، 24إذ كانَ مَيِّتًا، فاهتَدى بَعدَ ضَلالِهِ!" وهكذا أُقيمَتْ الاحتِفالاتُ.

---

(1) هذا يبيّن أنّ والد الشابّ تقبّله كابن له بشكل جيّد، وكان الخاتم رمزًا إلى علوّ المكانة في العائلة، والنعل يبيّن أنه ابن وليس بعبد، إذ أنّ العبيد لم يكونوا ينتعلون شيئًا في أقدامهم.

25وفي أثناءِ ذلِكَ كانَ الابنُ الأكبَرُ في الحَقلِ، وعِندَ اقتِرابِهِ مِن البَيتِ، تَناهى إلى
سَمعِهِ أصداءُ غِناءٍ ورَقص، 26فنادى أحَدَ العَبيدِ مُتَسائلاً عَمّا يَجري، 27فقالَ لهُ العَبدُ:
"لقد عادَ أخوكَ، فقامَ أبوكَ بنَحرِ العِجلِ السَّمينِ مُهنِّئًا نَفسَهُ على عَودتِهِ إليهِ بالصِّحةِ
والسَّلامةِ!" 28فأخَذَ الغَضَبُ مِن الابنِ الأكبَرِ مأخَذَهُ، ورَفَضَ دُخولَ المَنزلِ، فخَرَجَ
إليهِ الأبُ يَتَوَسّلُ إليهِ لِيَدخُلَ. 29فقالَ الابنُ الأكبَرُ لأبيهِ: "اسمَعْ! إنّي قُمتُ بَينَ يدَيكَ
وعلى خِدمتِكَ كعَبدٍ مُدةً طَويلةً مِن الزَّمَنِ، خِلالَها لم أعصِ لكَ أمرًا قطُّ، إلاّ أنّكَ لم
تَهَبني في أثنائِها ولو مَرّةً جَديًا فأنحَرَهُ وأحتَفِلَ بِهِ مَعَ أصحابي. 30وعِندَ عَودةِ ابنِكَ هذا
الّذي بَدَّدَ مالَكَ مَعَ الفاجِراتِ، قُمتَ بِنَحرِ العِجلِ السَّمينِ لهُ!"

31فأجابَهُ الأبُ: "يا بُنَيّ العَزيز، أنتَ مَعي دائمًا ولكَ مالي كُلِّهِ. 32ولكنْ أليسَ لنا
أن نَفرَحَ ونَبتَهِجَ، لأنّ أخاكَ قد عادَ حيًّا بَعدَ مَوتِهِ، ومُهتَديًا بَعدَ ضَلالِهِ؟"

١٦
الفصل السّادس عشر

مَثَل الوكيل المحتال

1وواصَلَ سَيِّدُنا عيسى ﷺ ضَربَ الأمثالِ لأصحابِهِ فقالَ: "وَكَّلَ غَنيٌ رَجُلاً على
مالِهِ، فعَلِمَ أنّ هذا الوَكيلَ كانَ يُسرِفُ في تَبذيرِ المالِ، 2فما كانَ مِنهُ إلاّ أن استَدعاهُ
وقالَ لهُ: "ما هذا الّذي أسمَعُهُ عَنكَ؟ أطلِعني على حِساباتِكَ فأنتَ لَستَ أهلاً لأن
تكونَ وَكيلي بَعدَ الآنَ". 3فحَدَّثَ الوَكيلُ نَفسَهُ قائلاً: "ما عَسايَ أن أفعَلَ بَعدَ أن يَنزِعَ
سَيِّدي مِنّي الوكالةَ؟ فلا طاقةَ لي على فِلاحةِ الأرضِ، وإنّي لأَستَحي أن أتَسَوَّلَ". 4ثُمّ
فَكَّرَ وقَدَّرَ وقالَ: "ها قد اهتَدَيتُ إلى حَلٍّ لكي أجعَلَ النّاسَ راضينَ عنّي ومُرَحِّبينَ بي
في بُيوتِهِم عِندَما أترُكُ سَيِّدي!" 5وقامَ باستِدعاءِ كُلِّ مَن كانَ مَدينًا لسَيّدِهِ شَخصًا
شَخصًا، فقالَ للأوّلِ: "كَم يَبلُغُ دَينُكَ لسَيِّدي؟" 6فقالَ لهُ: "مِئةُ برميلٍ مِن زَيتِ
الزَّيتونِ". فقالَ لهُ الوَكيلُ: "إليكَ بصَكِّكَ وسَجِّل عليهِ خَمسينَ". 7وقالَ لآخَر:
"وأنتَ كَم يَبلُغُ دَينُكَ؟!" فقالَ: "مِئةُ كِيسٍ مِن القَمحِ". وقالَ لهُ الوَكيلُ أيضًا: "إليكَ
بصَكِّكَ وسَجِّل عليهِ ثَمانينَ". 8وعِندَما عَلِمَ السَّيّدُ بما جَرى، تَعَجَّبَ مِن ذَكاءِ وَكيلِهِ
في رِعايةِ مَصالحِهِ الذّاتيّةِ. وأقولُ لكُم إنّ أهلَ الدُّنيا يا أحبابي أكثَرُ ذَكاءً في رِعايةِ
مَصالحِهِم مِن أهلِ الهِدايةِ".

المال والأمانة

9ثُمّ أضافَ عليه السلام: "وبِناءً على ذلِكَ أقولُ لكُم:(1)

جُـودوا بِـمـالٍ عـلـى الـفُـقَـراء ... لـكـي تُـقـبَـلـوا في ديـارِ الـخُـلـودْ
١٠ فـمَـن في الـقَـليلِ يَـكُـنْ مُـخـلِـصًـا ... يَـكُـنْ في الـكَـثـيـرِ وفـيّ الـعُـهـودْ
ومَـن فـي الـقَـلـيـلِ يَـكُـن خـائـنًـا ... يَـكُـن في الـكَـثـيـرِ كَـثـيـرَ الـجُـحـودْ
١١ فـإن كُـنـتَ في ذي الـحَـيـاة خؤونًـا ... فـمَـن يـأتَـمِـنْـكَ بـحـقٍّ يَـسـودْ
١٢ وإن لـم تَـكُـن فـي الّـذي سَـيَـبـيـدُ ... أمـيـنًـا فـكَـيـفَ بـمـا لا يَـبـيـدْ
١٣ ولـمْ نَـرَ عَـبـدًا لـهُ سَـيِّـدانِ ... فـإمّـا مُـحِـبٌّ لِـذا أوْ حَـقـودْ
فـلَـيـسَ بـمَـقـدورِكُـم أن تَـكـونـوا ... لـمَـولاي والـمـالِ نَـفـسَ الـعَـبـيـدْ

عيسى عليه السلام ينذر المتشدّدين

14وسَمِعَ المُتَشَدِّدونَ كَلامَهُ عليه السلام فسَخِروا مِنهُ لأنّهُم كانوا يُحِبّونَ المالَ.(2) 15فقالَ
لهم: "تَتَظاهَرونَ بالصَّلاحِ أمامَ النّاسِ، واللهُ بباطِنِكُم عَليمٌ. وما أكثَرَ الأشياءَ الّتي
يُقَدِّرُها النّاسُ وهي عِندَ اللهِ رِجْسٌ!

16ولقد أعلَنَ النّاسُ شَريعةَ التَّوراةِ وصُحُفَ الأنبياءِ حتّى مَجيءِ النّبيِّ يَحيى.
والآنَ، آنَ الأوانُ لإعلانِ البَيانِ بظُهورِ مَملَكةِ اللهِ، وما أكثَرَ الرّاغبينَ في أن يَكونوا مِن
داخليها عُنوَةً بغَيرِ طاعةِ اللهِ! 17ألا وإنّ زَوالَ السّماواتِ والأرضِ أهوَنُ عِندَ اللهِ مِن

---

(1) لقد ارتبط قول الشّعر، في التصوّر التقليدي، بمصدر غيبيّ عادة ما يقترن بالشّياطين والجنون والعفاريت. وعلى هذا الأساس أُتهم بعض الأنبياء مثل محمّد بأنّ القرآن الذي قاله شعرٌ أملته عليه الشّياطين. وقد نفى النبيّ محمّد ذلك، وأكّد أنّ القرآن ليس بالشّعر ولا بالنّثر وإنّما هو وحي من الله. ولا نرى أنّ نطق السيّد المسيح بالشّعر يتنزّل ضمن هذه الرّؤية التّقليديّة التي تجاوزتها الدّراساتُ النّقديّة الحديثةُ للشّعر، والتي تنزّله منزلةَ غيره من أجناس الكتابة مثل النّثر والمسرح، ولا تُسند إليه أيّة خلفيّة غيْبيّة ذات دلالة أخلاقيّة سلبيّة. وإنّما هو، على عكس ذلك، ومن المنظور الحديث، علامة على الحكمة وناطق بالخبرة وكاشف عن عمق تمثّل المتكلّم للكون والوجود وأسرار الحياة.

(2) ظنّ هؤلاء المتشدّدون أنّ الله قد أعطاهم ثروتهم بسبب التزامهم الشديد بأحكام التوراة. وقد استنكر سيّدنا عيسى هنا ظنّهم. وفي الآياتين 15 و16 ينتقد تقاليدهم الخارجية ويقول إنّها مرفوضة عند الله، وهي في الحقيقة محاولة لدخول المملكة الربانية عنوةً. وفي الآيتين 17 و18 يكشف كيف أنّهم يخالفون وصايا التوراة في سبيل الحفاظ على تقاليدهم، كما في حال الطلاق. وفي الآيات 19-31 يبيّن لهم أنّ جمع الأموال ليس بالضرورة دليلا على مرضاة الله.

زَوالِ نُقطةٍ في حَرفٍ مِن التَّوراةِ أو مِن كُتُبِ الأنبياءِ! لذلِكَ، [18]فإنّ كُلَّ مَن طَلَّقَ امرأتَهُ وتَزَوَّجَ بأُخرى خانَ العَهدَ الَّذي كانَ بَينَهُما، وكُلَّ مَن تَزَوَّجَ بمُطَلَّقةٍ فقد تَعدّى على العَهدِ الّذي كانَ لها مَعَ زَوجِها الأوّلِ". (1)

الغنيُّ والمسكين

[19]ثُمّ أضافَ عليه السلام فقالَ: "كانَ في ما مَضى غَنيٌ يَتَنَعَّمُ بارتِداءِ أفخَرِ الثّيابِ الأُرجُوانيّةِ الكتّانيّةِ النّاعِمةِ، ويَجلِسُ كُلَّ يوم على المَوائدِ الفاخرةِ. [20]وكانَ هُناك شَحّاذٌ مَسكينٌ اسمُهُ عُزَيرٌ قد غَطّت القُروحُ جَسَدَهُ، وكانَ يَجلِسُ عِندَ بابِ الغَنيِّ مُتَضوِّرًا جُوعًا [21]عَلَّهُ يَحظَى بفُتاتِ مَوائدِ الغَنيِّ، ومِمّا زادَ مِن عَذابِهِ أنّ الكِلابَ كانت تُقبِلُ عليهِ لاحِسةً قُروحَهُ. [22]وماتَ عُزَيرٌ، فحَمَلَتْهُ الملائكةُ فكانَ مَقامُهُ إلى جانبِ النّبيِّ إبراهيمَ. (2) ثُمّ ماتَ الغَنيُّ. وبَعدَ دَفنِهِ، [23]وبَينَما كانَ يَتَعَذّبُ في قَبرِهِ، رَفَعَ بَصَرَهُ إلى الأعلى فرأى مِن بَعيدٍ عُزَيرًا إلى جانبِ النّبيِّ إبراهيمَ. [24]فأخَذَ يَصيحُ: "يا أبَتِ إبراهيمُ، ارحَمني وأرسِلْ إليّ عُزيرًا عَلَّهُ يُبَرِّدُ لِساني بإصبَعِهِ يُبَلِّلُهُ بالماءِ، فإنّي مُعَذَّبٌ في هذا اللَّهيبِ". (3) [25]فأجابَهُ النّبيُّ إبراهيمُ: "يا بُنَيّ، تَذَكّر أنّكَ أخَذتَ نَصيبَكَ مِن الخَيراتِ في دُنياكَ، وأمّا عُزَيرٌ فقد نالَ في دُنياهُ نَصيبَهُ مِن البُؤسِ، وها قد عَوَّضَهُ اللهُ عن بؤسِهِ ذاكَ نَعيمًا هُنا، وأنتَ تَلقى ما تَلقاهُ عِندَكَ مِن عَذابٍ أليم. [26]ولقد ثَبّتَ اللهُ بَينَنا وبَينَكُم هُوةً لا قَرارَ لها، وإنّنا عن عُبورِها لعاجِزونَ، وما أنتُم إلينا بقادِرينَ على العُبور". [27]فقالَ الغَنيُّ: "فهلاّ تُرسِلُهُ إذن، يا أبَتِ إبراهيمُ الحَليمُ، إلى بَيتِ والدي، [28]حتّى يُنذِرَ إخوتي الخَمسةَ ليَحذَروا هذا العَذابَ الأليمَ، فلا يَكونُ مَصيرُهُم كمَصيري!" [29]فأجابَهُ النّبيُّ إبراهيمُ: "وكَيفَ لا يَدرونَ، وبَينَ أيديهِم التَّوراةُ وصُحُفُ الأنبياءِ فيها يَنظُرونَ؟ فليَعمَلوا بما جاءَ فيها!" [30]فقالَ الغَنيُّ: "يا أبَتِ إبراهيمُ، إنّ هذا

---

(1) أباح بعض علماء اليهود الطلاق لأسباب واهية، لكن سيّدنا المسيح أقرّ بأنّ عقد الزواج غير قابل للفسخ ويمتدّ طول العمر. وبناءً على ذلك، فمن حاول فسخ عقد زواجه وتزوّج امرأة أخرى يكون قد ارتكب معصية الزنى.

(2) الصورة هنا تبيّن أنّ عزيرا مُنح مقامًا مشرّفًا فكان مجلسه إلى جانب النبي إبراهيم.

(3) لم يقصد السيّد المسيح بكلمة "اللّهيب" أنّ الغنيّ كان في جهنّم، وإنّما كان يمرّ بما يُسمّى "عذاب القبر" وهو عذاب يسبق العذاب الأبديّ الذي سيناله الأشرار بعد الحكم عليهم في يوم الدين. أمّا الصالحون فيكونون في حالة من الراحة والسعادة خلال هذه الفترة في انتظار خير الجزاء من ربّهم يوم الدين.

لا يَكفي! ولكن إذا بُعِثَ أحَدُ الأمواتِ فأخبَرَهُم بذلِكَ المَصيرِ، فسيَتوبونَ!" [31]فأجابَهُ النَّبيُّ إبراهيمُ قائلاً: "إن كانوا بما جاءَ في التَّوراةِ وفي كُتُبِ الأنبياءِ لا يَعمَلونَ، فما هُم مِن بَعثِ الأمواتِ بمُتَّعِظينَ".

١٧
الفصل السّابع عشر

بعض أقوال عيسى عليه السلام

[1]وقالَ عليه السلام يُخاطِبُ أنصارَهُ: "لا بُدَّ أن يأتيَ مَن يَجعَلُ النّاسَ يَضِلّونَ عن سَواءِ السَّبيلِ، ولكن يا لَهَولِ عَذابِ المُضَلِّلينَ، [2]إنّهُ لَخَيرٌ لأحَدِهِم أن يُرمَى بِهِ في البَحرِ وفي عُنُقِهِ حَجَرُ طاحونٍ، مِن أن يُواجِهَ عاقِبَةَ تَضليلِ أحَدِ هؤلاءِ المؤمنينَ المُستَضعَفينَ. [3]فاحذَروا ذلِكَ، أيُّها المؤمنونَ! فإن أساءَ إليكَ أخوكَ المؤمِنُ فعاتِبْهُ، وإن رَجَعَ عن إساءَتِهِ فسامِحْهُ، [4]ولئن أساءَ إليكَ سَبعَ مَرّاتٍ في اليَومِ ثُمّ طَلَبَ صَفحَكَ، فاصفَحْ عَنهُ".

[5]فقالَ الحَواريّونَ للسَّيِّدِ المَسيحِ عليه السلام: "لَيتَكَ تُقَوّي إيمانَنا". [6]فأجابَهُم قائلاً: "لو كانَ في قُلوبِكُم مِقدارُ حَبّةٍ مِن خَردَلٍ مِن إيمانٍ، ثُمّ أمَرتُم هذِهِ التّوتةَ أن: "انزَعي جُذورَكِ مِن هذِهِ التُّربةِ وانغَرِسي في البَحرِ" لأطاعَتْكُم دونَ تأخيرٍ.

[7–8]يا أحبابي: لِنَفرِضْ أنّ لأحَدِكُم عَبدًا قائمًا على حِراثَةِ حَقلِهِ، أو على رِعايةِ غَنَمِهِ، فإذا فَرَغَ مِن عَمَلِهِ فلَيسَ لهُ أن يَتجِّهَ إلى راحتِهِ وطعامِهِ بل عليهِ أن يُعِدَّ عَشاءَ سَيِّدِهِ لِيُقَدِّمَهُ إليهِ، فإذا فَرَغَ مِن ذلِكَ أكَلَ طَعامَهُ واستَراحَ. [9]ولَيسَ مِن الواجِبِ أن يَشكُرَهُ سَيِّدُهُ على ذلِكَ، لأنّ ما قامَ بِهِ العَبدُ مِن عَمَلٍ لَيسَ إلاّ واجبًا مِن واجباتِهِ الّتي فُرِضَت عليهِ. [10]وكذلِكَ أنتُم فإذا قُمتُم بكُلِّ ما أوصَيتُكُم بِهِ، فقولوا: "إنّما نحنُ عَبيدٌ لَسنَا نَعمَلُ لِنَستَحِقَّ ثَوابًا، لأنّهُ لا شُكرَ على واجِبٍ".

عيسى عليه السلام يبرئ عشرة مصابين من البرص

[11]ومَضى عليه السلام في طَريقِهِ إلى بَيتِ المَقدِسِ مُجتازًا ما بَينَ السّامرةِ والجَليلِ. [12]ووَصَلَ قَريةً فاستَقبَلَهُ فيها عَشَرةُ مُصابينَ بالبَرَصِ وقد وَقَفوا بَعيدًا عَنهُ بسَبَبِ نَجاسةِ بَرَصِهِم، [13]ولكنّهُم استَغاثوا بِهِ صائحينَ: "يا سَيِّدَنا عيسى، رُحماكَ!"

14فالتفَتَ إليهِم ﷺ فرآهُم وخاطَبَهُم قائلاً: "اِذهَبوا واعرِضُوا أنفُسَكُم على الأحبارِ". (1) فانطَلَقوا جَميعًا، وشاهَدوا بأعيُنِهِم، وهُم في طَريقِهِم سائرونَ، زَوالَ البَرَصِ عَنهُم.

15فقفَلَ أحَدُهُم عائدًا إلى عيسى ﷺ وقد لَهِجَ لِسانُهُ بتكبيرِ اللهِ وتَعظيمِهِ، 16وخَرَّ على وَجهِهِ عِندَ قَدَمَيهِ ﷺ شاكِرًا، وكانَ سامِريًّا! 17فقالَ سَيِّدُنا عيسى ﷺ للحاضِرينَ: "أينَ بَقيّةُ العَشَرةِ الّذينَ تَمَّ شِفاؤُهُم؟ 18أمَا كانَ فيهِم مَن يَرجِعُ مُسبِّحًا للهِ على فَضلِهِ غَيرَ هذا الغَريبِ؟!" 19ثُمَّ قالَ لهُ: "قُم وامضِ في سَبيلِكَ، فإيمانُكَ بي قد نَجّاكَ".

ظهور مملكة الله

20وسألَ المُتَشَدِّدونَ سَيِّدَنا عيسى ﷺ ذاتَ يوم قائلينَ: "مَتى تَظهَرُ المَملَكةُ الرَّبّانيّةُ؟" فأجابَهُم: "لا يَسبِقُ ظُهورَ مَملَكةِ اللهِ دلائلُ مَنظورةٌ، 21تُمكِّنُ مِنَ القَولِ إنّها هُنا أو هُناكَ، فالمَملَكةُ الرَّبّانيّةُ حاضِرةٌ أمامَكُم الآنَ!"

22ثُمّ التَفَتَ ﷺ إلى أتباعِهِ وقالَ: "سيأتيكُم زَمَنٌ تَشتاقونَ فيهِ إلى رُؤيةِ مَجيءِ سَيِّدِ البَشَرِ وحُكمِهِ المَجيدِ، ولكنْ لم يَحِن هذا الوقتُ بعدُ. 23وسيَفتَري بَعضُ النّاسِ على اللهِ كَذِبًا فيَقولونَ: "إنّ المُخَلِّصَ البَشيرَ هُنا!" أو "إنّهُ هُناكَ!" ولكنّي أُحذِّرُكُم أن يُضِلَّكُم هؤلاءِ عن سَواءِ السَّبيلِ، فلا تَتبَعوهُم، 24لأنّكُم ستَعرِفونَ مَجيئَهُ دونَ رَيبٍ، وسيَكونُ حُضورُهُ واضِحًا كالبَرقِ الّذي يُضيءُ نورُهُ أرجاءَ السَّماءِ كُلِّها، 25ولكن على سَيِّدِ البَشَرِ قَبلَ ذلِكَ أن يُقاسيَ آلامًا عَظيمةً وأن يُعانيَ رَفضَ هذا الشَّعبِ. 26وكَما كانَ النّاسُ في عَهدِ النَّبيِّ نوح، يَكونُ حالُهُم في العالَمِ عِندَ مَجيءِ سَيِّدِ البَشَرِ. 27لقد كانَ هؤلاءِ في عَهدِ نُوح ماضِينَ في حياتِهِم الدُّنيا مُستَغرِقينَ في مُتَعِها مِن أكلٍ وشُربٍ وتَزاوُجٍ، حتّى صَعِدَ نوحٌ إلى السَّفينةِ، وأخَذَهُم الطّوفانُ جَميعًا. 28وسيَكونُ النّاسُ في زَمَنِ مَجيءِ سَيّدِ البَشَرِ كذلِكَ، كَما كانوا في عَهدِ النَّبيِّ لُوطٍ مُستَغرِقينَ في مُتَعِهِم الدُّنيويّةِ مِن أكلٍ وشُربٍ وبَيعٍ وشِراءٍ وزَرعٍ وبِناءٍ، 29حتّى جاءَهُم اليَومُ الّذي فيهِ غادَرَ لوطٌ مَدينَتَهُم سَدومَ، فأخَذَهُمُ العَذابُ بَغتةً وأمطَرَت السَّماءُ عليهِم نارًا وحِجارةً مُشتَعِلةً

(1) كان المصابون بالبرص يخضعون في العادة لفحص من قبل رجال الدين لإعطائهم الشهادة بأنّهم قد شفوا، وذلك قبل تمكّنهم من العودة للعيش كأفراد في المجتمع اليهودي.

فأهلَكَتهُم جَميعًا. [30]كذلِكَ يَكونُ حالُ النّاسِ يومَ يَظهَرُ سَيِّدُ البَشَرِ! [31]وأقولُ لكُم: في ذلِكَ اليَوم لا يَهتَمَنَّ أحَدُكُم بمَتاعِ الحَياةِ الدُّنيا، فإن كانَ أحَدُكُم حينئذٍ على سَطحِ بَيتِهِ، فلا يَنزِلَنَّ لأخذِ مَتاعِهِ، ومَن كانَ في الحَقلِ، لا يَرجِعَنَّ إلى بَيتِهِ لأخذِ أيِّ شَيءٍ مِنهُ. [32]وتَذَكَّروا امرأةَ لوطٍ وعِصيانَها وعاقِبتَها!⁽¹⁾ [33]لذلِكَ مَن أرادَ مِنكُم الحِفاظَ على حياتِهِ في الدُّنيا فسيَخسَرُها، إلا أنّ مَن يَخسَرُ حياتَهُ مِن أجلي، فقد حَفِظَها. [34]وأقولُ لكُم إنّهُ يومَ يأتي سَيِّدُ البَشَرِ، سيَكونُ شَخصانِ نائمَينِ على سَريرٍ واحدٍ فيأخُذُ اللهُ أحَدَهُما للعِقابِ، ويَترُكُ الآخَرَ نائمًا. [35]وستَكونُ امرأتانِ مُجتمعتَينِ على طاحونِ قَمحٍ، فيأخُذُ اللهُ واحِدةً مِنهُما للعِقابِ، تارِكًا الأُخرى لشأنِها". [36]وسيَكونُ الفلاّحانِ في الحَقلِ عامِلَينِ فيأخُذُ اللهُ أحَدَهُما، ويَترُكُ الآخَر. [37]فقالَ أتباعُهُ مُتَسائلينَ: "يا مَولانا، أينَ مَكانُ العِقابِ هذا؟" فأجابَهُم عليه السلام: "ستَعرِفونَ هذا المَكانَ كَما تُعرَفُ مَطارِحَ الجُثَثِ مِن تَجَمُّعِ النُّسورِ".

١٨
الفصل الثّامن عشر

مَثَل الأرملة والقاضي

[1]وضَرَبَ سَيِّدُنا عيسى عليه السلام لحَوارِيّيهِ مَثَلاً يُبيِّنُ لهُم فيهِ وُجوبَ المُواظَبةِ على الدُّعاءِ دونَ كَلَلٍ أو مَلَلٍ [2]فقالَ: "كانَ في إحدى المُدُنِ قاضٍ لا يَخافُ اللهَ ولا يَهابُ النّاسَ، [3]وكانَت في تِلكَ المَدينةِ أرمَلةٌ تأتي بصورةٍ مُستَمِرّةٍ إلى ذلِكَ القاضي مُلِحّةً عليهِ بالقَولِ: "ليتَكَ تُنصِفُني مِن الّذي ظَلَمَني". [4]ولكنّ القاضي ظَلَّ مُستَمِرًّا في رَفضِ طَلَبِها، إلى أن أذعَنَ لها أخيرًا قائلاً في نَفسِهِ: "إنّي حَقًّا لا أخافُ اللهَ ولا أهابُ النّاسَ، [5]ولكنْ هذهِ المَرأةُ تُزعِجُني، فسأستَجيبُ لطَلَبِها فأنصِفُها وأنتَهي مِن إزعاجِها".

[6]وهُنا قالَ عليه السلام: "فلتَكُنْ لكُم في قِصّةِ القاضي الظالِمِ عِبرةٌ، فإذا كانَ الأمرُ كذلِكَ مَعَ هذا القاضي الظالِمِ، [7]فكَيفَ باللهِ العادِلِ الرَّحيمِ، ألا يُنصِفُ أولياءَهُ المُختارينَ حينَ

(1) أمَرَ الملاكان لوطا عليه السلام وعائلته بالفرار من مدينة سدوم دون النظر وراءهم لمشاهدة خرابها. ولكنّ امرأة لوط سيطر عليها فضولُها فنظرت خلفها، فاستحالت عمودا من الملح.

يُلِحّونَ بدُعائِهِم مُتضرِّعينَ إليهِ ليلَ نَهارَ؟ وهل يُمهِلُ في الإجابةِ؟ [8]كلاّ، بل ستكونُ استِجابتُهُ سَريعةً فيَنصُرُهُم! ورَغمَ ذلِكَ، فهل سيَجِدُ سَيِّدُ البَشَرِ على الأرضِ مَن يؤمِنُ بِهِ عِندَ مَجيئِهِ؟"

مَثَل المتشدّد وجابي الضّرائب

[9]ثُمّ ضَرَبَ سَيِّدُنا عيسى عليه السلام مَثَلاً بشأنِ مَن يَعتَقِدونَ أنفُسَهُم صالِحينَ، ويَنظُرونَ بتَعالٍ إلى الآخَرينَ، [10]فقالَ: "تَوَجَّهَ رَجُلانِ إلى حَرَمِ بيتِ اللهِ لإقامةِ الصَّلاةِ. وكانَ أحَدُهُما مِن طائفةِ المُتَشَدِّدينَ، والآخَرُ أحَدَ جامِعي الضَّرائبِ للرُّومانِ. [11]وهُناكَ حَدَّثَ المُتَشَدِّدُ نَفسَهُ قائلاً: "اللّهُمَّ، أحمَدُكَ لأنّكَ لم تَجعَلني مِثلَ الجَشعينَ والمُفسِدينَ والزُناةِ مِن سائرِ النّاسِ، أو كَجابي الضَّرائبِ الواقِفِ هُناكَ، [12]فإني أصومُ يومَينِ أسبوعيًّا، وأؤَدّي زَكاةَ العُشرِ عن كُلِّ دَخلي". (1) [13]أمّا جابي الضَّرائبِ فقد وَقَفَ في الصَّفِّ الأخيرِ خاشِعًا ببَصَرِهِ خَجِلاً مِن اللهِ. ثُمّ أخَذَ يَدعو اللهَ وهو يَضرِبُ على صَدرِهِ بيَدَيهِ تأسّيًا وحُزنًا قائلاً: "رَحمَتُكَ رَبّي إنّي لمِن الضّالّينَ". [14]يا أحبابي لقد تَقَبَّلَ اللهُ دُعاءَ جابي الضَّرائبِ فرَضِيَ عَنهُ، وأعرَضَ عن الآخَر. إنّ كُلَّ مَن رَفَعَ مِن قَدرِ نَفسِهِ وَضَعَهُ اللهُ، وكُلّ مَن تَواضَعَ وقَلّلَ مِن شأنِ نَفسِهِ رَفَعَهُ اللهُ".

عيسى عليه السلام يبارك الأطفال

[15]وقَدَّمَ النّاسُ إليهِ عليه السلام أثناءَ ذلِكَ أطفالَهُم ليَلمُسَهُم فيُبارِكَهُم، فنَهَرَهُم أتباعُهُ عليهم السلام وأبعَدوهُم، [16]ولكنّهُ عليه السلام دَعاهُم إليهِ قائلاً: "اترُكوا الأطفالَ يأتونَ إليّ ولا تَمنَعُوهُم، لأنّ أهلَ المَملَكةِ الرّبّانيّةِ مِثلُ هؤلاءِ الأطفالِ، [17]والحَقَّ أقولُ لكُم: إنّ الدُّخولَ إلى مَملَكةِ اللهِ لا يَكونُ إلاّ بَبساطةِ الأطفالِ الّذينَ لا يَنشَغِلونَ بالمَراتِبِ الدُّنيويّةِ".

من الّذي يدخل المملكة الرّبّانيّة؟

[18]وجاءَ إلى سَيِّدِنا عيسى عليه السلام رَجُلٌ ذو شأنٍ فسألَهُ قائلاً: "أيُّها المُعَلِّمُ الصّالِحُ، ما العَمَلُ الّذي عليّ القيامُ بِهِ للفَوزِ بدارِ الخُلدِ؟" [19]فأجابَهُ عليه السلام قائلاً: "لِماذا دَعَوتَني

(1) فرض الله على اليهود في التوراة إعطاء العشر من دخلهم لله، وقد حافظ المتشدّدون على تطبيق ذلك الحكم.

صالِحًا؟! ألا تَدري أنّ الصّالِحَ الحقَّ هو اللهُ الواحِدُ؟! 20وأنتَ تَعلَمُ بما وَصَّى اللهُ بِهِ
النَّبيَّ موسى: لا تزنِ، ولا تَقتُلْ، ولا تَسرِقْ، ولا تَشهَدْ شَهادةَ الزُّورِ، وأكرِمْ أباكَ
وأُمَّكَ نِعمَ الإكرام". 21فأجابَهُ الرَّجُلُ: "أيُّها المُعلِّمُ، إنّي لأعمَلُ بهذِهِ الوَصايا كُلِّها
مُنذُ صِباي". 22فقالَ عيسى سلامُهُ علينا: "بَقِيَ أمرٌ يُعوِزُكَ تَنفيذُهُ: اِذهَبْ، وبِعْ كُلَّ
مُمتَلَكاتِكَ وتَصَدَّقْ بثَمَنِها على الفُقَراءِ، فسيَكونُ لكَ بذلِكَ كَنزٌ عَظيمٌ عِندَ اللهِ، ثُمّ
تَعالَ إليَّ واتبَعني". 23فحَزِنَ الرَّجُلُ عِندَ سَماعِهِ ذلِكَ حُزنًا شَديدًا، لأنّهُ كانَ ذا ثَروةٍ
طائلةٍ.

24وغادَرَ الرَّجُلُ المَجلِسَ، فالتَفَتَ سَيِّدُنا عيسى سلامُهُ علينا إلى أتباعِهِ قائلاً: "كَم هو
عَسيرٌ أن يَدخُلَ الأغنياءُ المَملَكةَ الرَّبّانيّةَ! 25وأقولُ إنّ دُخولَ المُتّكِلِ على المالِ لَصَعبٌ
صُعوبةَ دُخولِ الجَمَلِ في سُمِّ الخَيّاطِ (ثقب الإبرة)!" 26فقالَ الحاضِرونَ: "فمَن هم
النّاجونَ إذن؟!" 27فأجابَهُم سلامُهُ علينا: "ما تَعجِزونَ عَنهُ هو بيَدِ اللهِ الّذي هو على كُلِّ شَيءٍ
قَديرٌ".

28وقالَ بُطرُسُ الصَّخرُ مُتَحَمِّسًا: "ها قد تَرَكنا كُلَّ شَيءٍ وَراءَنا واتّبَعناكَ!"
29فأجابَهُ سلامُهُ علينا: "الحقّ أقولُ لكُم: كُلُّ مَن تَخلّى عن بَيتِهِ أو امرأتِهِ أو إخوانِهِ أو
والدَيهِ أو أولادِهِ، مِن أجلِ المَملَكةِ الرَّبّانيّةِ، 30كانَ لهُ أضعافُ تِلكَ مِن اللهِ في
الدُّنيا، وسيَكونُ لهُ النَّعيمُ في الآخِرةِ".

إعلانه سلامُهُ علينا الأخير عن موته وبعثه

31ثُمّ اختَلى سلامُهُ علينا بحوارِيّيهِ الاثنَي عَشَرَ ليَقولَ لهُم: "إنّنا صاعِدونَ إلى القُدسِ
وفيها سيُنَفَّذُ وَعدُ اللهِ في سَيِّدِ البَشَرِ كما جاءَ في كُتُبِ الأنبياءِ، 32فيُسَلِّمُهُ المَجلِسُ
الأعلى إلى الوَثَنيّينَ فيَستَهزِئونَ بِهِ ويَشتُمونَهُ ويَبصُقونَ عليهِ، 33ثُمّ يَجلِدونَهُ ويَقتُلونَهُ،
إلاّ أنّهُ في اليومِ الثّالِثِ يُبعَثُ حيًّا!" 34ولم يَفقَهْ الحَوارِيّونَ كَلامَهُ، بل ظَلَّ مَعناهُ
مَحجوبًا عن إدراكِهِم فعَجَزوا عن فَهمِهِ.

شفاء الأعمى

35وعِندَ اقتِرابِ سَيِّدِنا عيسى سلامُهُ علينا ومَن كانَ برِفقَتِهِ مِن مَدينةِ أريحا، صادَفَ وجودُ
مُتَسَوِّلٍ أعمى على جانِبِ الطَّريقِ، 36وعِندَما تَناهَى إلى سَمعِ الأعمى ضَجيجُ مُرورِ
الحُشودِ سألَ مَن حَولَهُ عَمّا يَجري. 37فأخبَروهُ قائلينَ: "هذا عيسى النّاصِريّ يَمُرُّ مِن

هذا الطَّريقِ" . 38فصَرَخَ قائلاً: "رُحماكَ يا عيسى، يا وَريثَ مَملَكةِ النَّبيِّ داودَ!"(1)
39فزَجَرَهُ مَن كانوا في طَليعةِ المَوكِبِ، وأمَروهُ بالسُّكوتِ. إلاّ أنّ الكَفيفَ أخَذَ يَصيحُ
بصَوتٍ أعلى قائلاً: "رُحماكَ أيُّها المَلِكُ، يا صاحِبَ عَرشِ داودَ!" 40ولمّا سَمِعَهُ سلامه علينا
تَوَقَّفَ وأمَرَ بإحضارِهِ. وعِندَما اقتَرَبَ مِنهُ سألَهُ: 41"ماذا تُريدُ مِنّي أن أفعَلَ لكَ؟!"
فأجابَهُ الأعمى: "أُريدُ أن أُبصِرَ، يا مَولايَ!" 42فقالَ لهُ سلامه علينا: "لِيَكُنْ لكَ ذلِكَ،
فإيمانُكَ بي قد شَفاكَ" . 43وهكذا ارتَدَّ بَصَرُ الأعمى في الحالِ، فأخَذَ يُسَبِّحُ اللهَ وهو
يَتبَعُ مَولاهُ. وأحاطَ بِهِ النّاسُ وقد أخَذوا يُسَبِّحونَ للهِ ويُمَجِّدونَ عَظَمتَهُ بَعدَ أن شاهَدوا
ذلكَ.

١٩
الفصل التّاسع عشر

عيسى سلامه علينا وزكيّ

1ودَخَلَ سلامه علينا أريحا. 2وكانَ بها رَجُلٌ اسمُهُ زَكيٌّ،(2) وهو مِن كِبارِ جُباةِ الضَّرائبِ،
شَديدُ الثَّراءِ. 3وكانَ يُحاوِلُ رُؤيةَ سَيِّدِنا عيسى سلامه علينا مِن بَينِ الحُشودِ، ولكنّهُ لم يَستَطِع
لكَثرةِ الزِّحامِ ولِقِصَرِ قامتِهِ. 4وعِندَما أوشَكَ عيسى سلامه علينا أن يَمُرَّ بقُربِ شَجرةِ جُمَّيزٍ،
أسرَعَ زَكيٌّ إليها وتَسَلَّقَها 5فرآهُ سلامه علينا فقالَ لهُ: "أنا ضَيفُكَ اللّيلةَ، يا زَكيُّ، فانزِلْ
بسُرعةٍ!" 6فاستَجابَ الرَّجُلُ في الحالِ واستَقبَلَهُ بسُرورٍ، 7مِمّا أثارَ غَيظَ بَعضِ
الحاضِرينَ فقالوا مُتَذَمِّرينَ: "لقد اختارَ الحُلولَ ضَيفًا عِندَ رَجُلٍ مِن الضّالّينَ!" 8وسَمِعَ
زَكيٌّ ذلِكَ الكَلامَ فقامَ وقالَ لعيسى سلامه علينا أمامَ الجَميعِ: "يا سَيِّدي، أُعلِنُ أمامَكَ تَوزيعَ
نِصفِ مُمتَلَكاتي على المَساكينِ، وسأُعَوِّضُ لِمَن اغتَصَبتُ مالَهُ بحُجّةِ الضَّرائبِ أربَعةَ
أضعافِ ما أخَذتُهُ مِنهُ!"(3) 9فقالَ لهُ سَيِّدُنا عيسى سلامه علينا: "اليَومَ فازَ أهلُ هذا البَيتِ

(1) كان شعب بني يعقوب يتوقّعون أنّ المسيح المنتظر سوف يكون من عائلة يَسّى، والد النبي داود. وذلك كما جاء في نبوّة النبي أشعيا عليه السلام (أشعيا 11: 1)

(2) هذا هو المعنى العربي للاسم العبري الأصلي (زكّاي) ومعناه "الطاهر" ثمّ صار اسمه باللغة اليونانية التي كُتب بها هذا الوحي (زكيوس).

(3) كان عند كلٍّ من الرومان واليهود قانون يفرض على الشخص التعويض عن كلّ ما أخذ عن طريق السرقة أو الغشّ، مضافًا إليه غرامة. كما جاء في التوراة أنّ الحدّ الأقصى لِما يُدفع هو أربعة أضعاف القيمة المسروقة (سفر الخروج 1:22).

بالنّجاةِ، لأنّ هذا الرَّجُلَ هو أيضًا مِن ذُرّيّةِ إبراهيمَ،(1) [10]فقد جاءَ سَيِّدُ البَشَرِ يَبحَثُ عن مِثلِ هؤلاءِ الضّالّين لِيُنقِذَهُم إلى الأبدِ".

مَثَلُ الدّنانير الذّهبية

[11]وكانَت أسماعُ الحُشودِ مُتَّجِهةً إلى كُلِّ ما كانَ يَخرُجُ مِن فَمِهِ ﷺ مِن كَلام. ولمّا ازدادَ مِن بَيتِ المَقدِس قُربًا، ساقَ مَثَلاً إلى كُلِّ مَن كانَ يَظُنُّ أنّ ظُهورَ المَملَكةِ الرَّبّانيّةِ سيَكونُ في الحالِ،(2) [12]فقالَ: "كانَ على أحَدِ الأُمراءِ أن يُسافِرَ إلى بَلَدٍ بَعيدٍ، إلى عاصِمةِ الإمبراطوريّةِ، وذلِكَ لِيُتَوَّجَهُ القَيصرُ مَلِكًا ثُمّ يَعودُ إلى بَلَدِهِ. [13]وقبلَ مُغادَرتِهِ دَعا عَشَرةً مِن وُكلائِهِ وسَلَّمَ كُلَّ واحدٍ مِنهُم دينارًا ذَهَبيًا قائلاً: "تاجِروا بهذا المالِ إلى حينِ عَودتي".

[14]وكانَ شَعبُهُ يَكرَهونَهُ، فأرسَلوا وَفدًا في إثرِهِ إلى الإمبراطورِ قَيصرَ لِيُخبِرُوهُ قائلينَ: "لَيسَ لنا رَغبةٌ في أن يُتَوَّجَ هذا الرَّجُلُ مَلِكًا علينا". [15]وعلى الرَّغمِ مِن ذلِكَ، فإنّ القَيصرَ وَلاّهُ عليهِم. وعِندَما عادَ استَدعى مَن وَكَّلَهُم بالتِّجارةِ بمالِهِ مِن وُكلائِهِ، لِيَرى مِقدارَ مَكسَبِ كُلِّ واحدٍ مِنهُم، [16]فجاءَ الأوّلُ وقالَ: "يا مَولايَ، رَبِحَ دينارُكَ عَشَرةَ دنانيرَ!" [17]فأجابَهُ المَلِكُ: "نِعمَ الخادِمُ الأمينُ أنتَ! أُؤتُمِنتَ على القَليلِ، فلَكَ الوِلايةُ على عَشرِ مُدُنٍ في مَملَكتي". [18]وجاءَ الرَّجُلُ الثّاني وقالَ: "يا مَولاي، لقد بَلَغَ ربحُ دينارِكَ مِقدارَ خَمسةِ دنانير". [19]فأجابَهُ: "وكُن أنتَ واليًا على خَمسِ مُدُنٍ في مَملَكتي". [20]أمّا الرَّجُلُ الثّالثُ فقالَ لهُ: "يا مَولايَ، هُوَ ذا دينارُكَ خَبَّأتُه لَكَ حِفاظًا عليهِ، [21]فقد خِفتُ مِنكَ، لأنّكَ رَجُلٌ قاسٍ، تَربَحُ مِن تَعبِ غَيرِكَ، وتَحصُدُ ما لم تَزرَعْ". [22]فأجابَهُ المَلِكُ غاضِبًا: "أيُّها الخادِمُ الحَقيرُ! لقد ظَنَنتَ أنّي شَديدُ القَسوةِ وأنّي آخُذُ ما لَيسَ لي، وأحصُدُ مِن حَيثُ لم أزرَعْ، [23]إنْ كانَ الأمرُ كذلِكَ، فلِمَ لم تَضَعْ مالي عِندَ الصَّيارفةِ لأستَرِدَّهُ حينَ عَودتي وقد أُضيفَ إليهِ الرِّبا؟" [24]وتَوَجَّهَ إلى الحاضِرينَ آمِرًا: "خُذوا مِنهُ الدِّينارَ، وأعطُوهُ لِمن بَلَغَ رِبحُهُ عَشرَةَ دنانير!" [25]فأجابوهُ

(1) وعد الله بمباركة النبي إبراهيم عليه السلام وسلالته، ومع أنّ عمل هذا الجابي كان محلّ احتقار الحشود، فما زال باستطاعته التوبة والحصول على تلك البركة التي وعد الله بها إبراهيم وذريّته.

(2) كان بعض اليهود يعتقدون أنّ المسيح المنتظر عند قدومه لتأسيس مملكة الله، سوف يقهر الرومانَ ويعيد لبني إسرائيل أرضَهم وحريّتهم. وكان آخرون من اليهود يعتقدون أنّ العالم بأسره سيتغيّر عند تأسيس المملكة الربّانيّة.

قائلينَ: "يا مَولانا، إنّ لذلِكَ الوَكيلِ ما يَكفيهِ مِن المالِ وقد صارَ دينارُهُ عَشَرةً!"
26فقالَ المَلِكُ: "اعلَموا أنّي أُكافِئُ العامِلينَ بالزّيادةِ، ولا أُكافِئُ المُتَقاعِسينَ إلاّ
خُسرانًا. 27أمّا أعدائي مِمّن رَفضوا تَتويجي مَلِكًا عليهِم، فأحضِروهُم إليّ، وقوموا
بإعدامِهِم جَميعًا أمامي". [1]

القدس تستقبل عيسى سَلامُهُ عَلَينا

28وبَعدَ أن قَصَّ سَلامُهُ عَلَينا تِلكَ القِصّةَ على الحُضورِ، سارَ مُنطَلِقًا على رأسِ أتباعِهِ
مُتابِعًا حَجَّهُ إلى بَيتِ المَقدِسِ، [2] 29وعِندَ اقترابِهِ مِن قَريتَيْ بَيتِ فَجَّ وبَيتِ عَنْيا عِندَ
جَبَلِ الزَّيتونِ بقُربِ القُدسِ، أرسَلَ اثنَينِ مِن أتباعِهِ 30قائلاً: "سِيرا إلى القَريةِ الّتي
تَريانِها أمامَكُما، وستَجِدانِ جَحشًا مَربوطًا لم يَعتَلِهِ أحَدٌ مِن قَبلُ، فحُلاّ رِباطَهُ
وأحضِراهُ إلى هُنا، 31وإن سألَكُما أحَدٌ عَمّا فَعَلتُماهُ، فقولا لهُ: "مَولانا بحاجةٍ إليهِ".

32فذَهَبَ التّابعانِ ووَجَدا الجَحشَ كَما وَصَفَهُ لهُما سَلامُهُ عَلَينا، 33وعِندَ قيامِهِما بحَلِّ
رِباطِ الجَحشِ قالَ لهُما أصحابُهُ: "لِماذا تَقومانِ بحَلِّ رِباطِ جَحشِنا؟" 34فقالا:
"مَولانا يَحتاجُ إليهِ". 35ومَضَيا عائدَين بِهِ إلى مَولاهُم. وألقى أتباعُهُ سَلامُهُ عَلَينا ثِيابَهُم على
ظَهرِهِ ثُمّ اعتَلاهُ عيسى سَلامُهُ عَلَينا. 36فأخَذَ النّاسُ يَفرُشونَ ثيابَهُم على طَريقِهِ تَقديرًا لهُ
واحتِرامًا. 37وعِندَ دُنوِّهِ مِن مُنحَدَرِ جَبَلِ الزَّيتونِ، أخَذَت كُلُّ الحُشودِ مِن أتباعِهِ
بالتّسبيحِ للهِ فَرَحًا، مُتَحَدِّثينَ بصَوتٍ مُرتَفِعٍ عن كُلِّ المُعجِزاتِ الّتي شاهَدُوها،
38وكانوا يَقولونَ: "تَبارَكَ المَلِكُ القادِمُ باسمِ رَبِّ العالَمينَ!" "السَّلامُ في السَّماءِ
والجَلالُ للهِ في عُلاهُ!" 39فالتَفَتَ إلى سَيِّدِنا عيسى سَلامُهُ عَلَينا بَعضُ المُتَشَدِّدينَ مِمّن كانوا
بَينَ الجُموعِ قائلينَ: "يا فَضيلةَ المُعَلِّمُ، أُزجُرْ أتباعَكَ عن هذا الكَلامِ!"
40فأجابَهُم سَلامُهُ عَلَينا: "لئن سَكَتَ هؤلاءِ عَن هذا الكَلامِ هَتَفَت بِهِ الحِجارةُ عاليًا".

41وأشرَفَ سَلامُهُ عَلَينا على مَدينةِ القُدسِ، فأجهَشَ بالبُكاءِ عليها 42قائلاً: "لَيتَكِ
تَعرِفينَ، ولو في يَومِكِ هذا، ما فيهِ سَلامُكِ ولكنّ السّلامَ أصبَحَ عَنكِ مَحجوبًا!
43وسيأتي عليكِ زَمَنٌ فيهِ يَضَعُ أعداؤكِ حَولَكِ سِياجًا يُحيطونَكِ بِهِ، فيُحاصِرونَكِ مِن

(1) لقد أخذ السيّد المسيح سَلامُهُ عَلَينا هذا المثل من قصّة تتويج هيرودس الكبير.

(2) توجّه سيدنا المسيح إلى القدس مع بعض الحجّاج بمناسبة عيد الفصح.

كُلِّ جِهةٍ، [44]ويَسحَقونَكِ وسُكّانَكِ، ولا يَترُكونَ فيكِ حَجرًا على حَجرٍ. لأنّكِ أعرَضتِ عن رِضَى اللهِ يومَ كانَ رِضاهُ قَريبًا مِنكِ". (1)

طرد التّجار من الحرم

[45]ثُمّ دَخلَ سَيِّدُنا عيسى ﷺ حَرَمَ بَيتِ اللهِ، وشَرَعَ بطَردِ الصَّيارفةِ والباعةِ مِن المَكانِ [46]قائلاً: "لقد أنزَلَ اللهُ في كِتابِ النَّبيِّ أشعيا قَولَهُ تعالى: "إنّي أقَمتُ بَيتيَ مُصَلًّى للنّاسِ،" ولكنّكُم جَعَلتُموهُ وَكرًا للُّصوصِ!"

[47]وكانَ ﷺ يأتي ليُعَلِّمَ النّاسَ في الحَرَمِ الشَّريفِ يَوميًّا. وأرادَ كِبارُ الأحبارِ والفُقَهاءِ والأعيانِ قَتلَهُ، (2) [48]ولكنّهُم لم يَجِدوا إلى ذلِكَ سَبيلاً، فقد كانَت الحُشودُ تَتَلَقَّفُ كَلامَهُ بحَماسةٍ ولا تُفارِقُهُ طَرفةَ عَينٍ.

٢٠
الفصل العشرون

مَن منح عيسى ﷺ السّلطان؟

[1]وبينَما كانَ ﷺ يومًا يُعَلِّمُ النّاسَ في الحَرَمِ الشَّريفِ مُعلِنًا البُشرى بقيامِ مَملَكةِ اللهِ المَوعودةِ، جاءَهُ كِبارُ الأحبارِ وبَعضٌ مِن عُلَماءِ التَّوراةِ ومَشايخِ الشَّعبِ مُتَسائلينَ: [2]"مَن مَنَحكَ السُّلطانَ حتّى تَفعَلَ ما فَعَلتَ في الحَرَمِ الشَّريفِ؟! ومَن أذِنَ لكَ بذلِكَ؟" [3]فأجابَهُم ﷺ قائلاً: "أُريدُ، أنا أيضًا، أن أُوَجِّهَ إلَيكُم سؤالاً. فأجيبوني: [4]مَن مَنَحَ يَحيى حَقَّ التَّطهيرِ بالماءِ؟ أهوَ اللهُ، أم النّاسُ؟!" [5]فتَشاوَروا فيما بَينَهُم قائلينَ: "لو أجبْنا بأنّهُ اللهُ لقالَ لنا: ولِماذا لم تُؤمِنوا بهِ؟! [6]ولو أجبنا "النّاسُ"، فسيَقومُ الحاضِرونَ جَميعًا برَجمِنا، فهُم يَنسِبونَ النُّبُوّةَ إلى يَحيى". [7]فكانَت إجابَتُهُم: "لا نَدري". [8]فقالَ لهُم عيسى ﷺ: "أنا أيضًا لن أجيبَكُم عَمَّن أذِنَ لي في تَطهيرِ بَيتِ اللهِ!"

---

(1) تحقّقت نبوّة سيّدنا المسيح تلك. ففي العام 70 للميلاد، أخمد الرومان ثورة اليهود في القدس، وقاموا بتدمير أسوار عديدة في المدينة، كما قاموا بتدمير بيت الله كليّا، آخذين معظم السكّان لبيعهم باعتبارهم عبيدا.

(2) خاف هؤلاء الرجال من سيّدنا عيسى فإذا كان بالفعل هو المسيح، الملك المنقذ، الذي سيقود قوم ميثاق الله، فمعنى ذلك أنّ سلطتهم وقوّتهم على وشَكِ الزوال.

مَثل الفلاّحين الأشرار

[9]ثُمّ أخَذَ سَيِّدُنا عيسى عَلَيْنَا سَلامُهُ يُخاطِبُ مَن كانوا حَولَهُ: "قامَ صاحِبُ بُستانٍ بغَرسِ كُرومٍ فيهِ، ثُمّ أجَّرَهُ إلى جَماعةٍ مِن الفَلاّحينَ وسافرَ إلى بَلَدٍ آخَرَ لمُدَّةٍ طَويلةٍ. [10]وفي مَوسمِ القِطافِ، أرسَلَ أحَدَ عَبيدِهِ ليأتيَ لهُ بنَصيبِهِ مِن كُرومِ أرضِهِ حَسَبَ اتّفاقِهِ مَعَهُم. ولكنّ الفَلاّحينَ أشبَعوا العَبدَ ضَربًا وأعادوهُ إلى سَيِّدِه خالِيَ الوِفاضِ. [11]فأرسَلَ رَبُّ الكُرومِ عَبدًا آخَرَ فضَرَبوهُ أيضًا وأهانوهُ فعادَ مِثلَ الأوَّلِ بلا مَحصولٍ. [12]وكذا فَعَلوا بالعَبدِ الثّالثِ فعادَ كسابِقَيْهِ مُثخَنًا بالجُروحِ خالِيَ اليَدَينِ. [13]حِينئذٍ قالَ صاحِبُ البُستانِ: "تُرى، ماذا أفعَلُ؟! لا بُدَّ لي مِن إرسالِ وَلَدي الحَبيبِ لَعَلَّهُم يَعرِفونَهُ فيَهابُوهُ ويَرجِعوا إلى ميثاقِنا الأوّلِ". [14]ولكنّ الفَلاّحينَ عِندَما رَأوهُ، أخَذوا يَتناجَونَ فيما بينَهُم قائلينَ: "هذا هو وارِثُ البُستانِ! لِنَقتُلْهُ فيَؤولَ المِيراثُ إلينا!" [15]فرَمَوهُ خارجَ البُستانِ وقَتَلوهُ. فكَيفَ سيَكونُ انتِقامُ صاحِبِ البُستانِ مِن الخَوَنةِ المُجرِمينَ؟! [16]سأقولُ لكُم: لا بُدَّ لهُ مِن أن يَعودَ إليهِم ويَقتُلَهُم ثُمَّ يُسَلِّمُ بُستانَهُ إلى غَيرِهِم". فقالَ الحاضِرونَ: "لا سَمَحَ اللهُ!" [17]إلاّ أنّهُ عَلَيْنَا سَلامُهُ نَظَرَ إليهِم مَليًّا وقالَ: "إذَن، فما مَعنى ما جاءَ في الزَّبورِ: "الحَجَرُ الّذي رَفَضَهُ البُناةُ صارَ حَجَرَ الأساسِ في بَيتِ اللهِ"؟ [18]وأقولُ لكُم مَهما حاوَلتُم دَفعَ هذا الحَجَرِ ورَدَّهُ فلن يَكونَ لعَمَلِكُم هذا أيُّ جَدوى: فإذا حاوَلتُم رَدَّهُ حَطَّمَكُم، وإذا وَقَعَ عليكُم هَشَّمَكُم!"[(1)] [19]وحاوَلَ العُلَماءُ والأحبارُ في تِلكَ السّاعةِ القَبضَ على عيسى عَلَيْنَا سَلامُهُ إذ أدرَكوا أنّهُ إنّما كانَ يَعنيهِم بتِلكَ القِصّةِ، ولكنّهُم أحجَموا عن ذلِكَ مَخافةَ رُدودِ فِعلِ الجُموعِ المُحتَشِدةِ.

جزية قيصر

[20]فأخَذوا يُراقِبونَ سَيِّدَنا عيسى عَلَيْنَا سَلامُهُ، ثُمّ أرسَلوا جَواسيسَ يَتَظاهَرونَ بالتَّقوى والصَّلاحِ للإيقاعِ بِهِ مِن خِلالِ كَلِمةٍ يَقولُها، ولِيُثبِتوا التُّهمةَ عليهِ أمامَ الحاكِمِ الرُّومانيِّ حتّى يَعتَقِلَهُ. [21]فسألَهُ أحَدُ هؤلاءِ الجَواسيسِ قائلاً: "يا فَضيلةَ المُعَلِّمِ، نَعرِفُ أنّكَ صادِقٌ في كَلامِكَ وتَعليمِكَ، ولا تُحابي أحَدًا، بل تُرشِدُ النّاسَ بالحَقِّ إلى نَهجِ اللهِ المُستَقيمِ. [22]فأخبِرْنا: أيَحِلُّ دَفعُ الجِزيةِ إلى القَيصرِ أم أنّ ذلِكَ حَرامٌ؟!" [23]وأدرَكَ عَلَيْنَا سَلامُهُ مَكرَهُم فأجابَهُم قائلاً: [24]"أروني دينارًا". فأرَوهُ إيّاهُ فنَظَرَ فيهِ وسأَلَ: "لِمَن الصّورةُ

(1) أشار السيد المسيح بالعبارة حجر الزاوية إلى نفسه.

والشِّعارُ عليهِ؟!" فأجابوا: "لقَيصرَ". 25فقالَ: "إذَن أَعطُوا ما لقَيصرَ لقَيصرَ، وما للهِ للهِ". 26ولَم يَقدروا أن يُوقِعوهُ بكَلِمةٍ واحدةٍ أمامَ الجُموعِ، بل تَملَّكَتهُم الدَّهشةُ فصَمَتوا.

لا زواج في الآخرة

27ودَنا مِن سَيِّدِنا عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعضُ رِجالِ الدِّينِ مِن طائفةِ الصَّدّوقيّينَ[1] مِمَّن كانوا يُنكِرونَ البَعثَ والآخِرةَ فسألوهُ: 28"أيُّها المُعَلِّمُ، جاءَ عن النَّبيِّ موسى في التَّوراةِ: "إذا ماتَ رَجُلٌ عَن امرأةٍ دونَ أن يُخَلِّفَ وَلَدًا يَرِثُهُ، فعلى أخيهِ الاقترانُ بأرمَلتِهِ لإنجابِ أولادٍ فيَنحَصِرَ إرثُ أخيهِ فيهِم". 29وكانَ عِندَنا سَبعةُ إخوةٍ، فتَزَوَّجَ أكبَرُهُم امرأةً ثُمّ تُوُفِّي دونَ وَلَدٍ، 30فتَزَوَّجَها الأخُ الثّاني 31وتُوُفِّيَ عَنها دونَ وَلَدٍ، ثُمّ تَزَوَّجَها الثّالثُ ولم تُنجِبْ لهُ أولادًا وهكذا دَوالَيكَ حتّى تَزَوَّجَها السّابعُ، وتُوُفِّيَ عَنها. وقد تُوُفّوا عن تِلكَ المَرأةِ الواحِدُ إثرَ الآخَرِ دونَ أولادٍ. 32ثُمّ تُوُفِّيَت المَرأةُ. 33فأخبِرنا: زَوجةَ مَن ستَكونُ في الآخِرةِ، لأنّها كانَت زَوجَتَهُم جَميعًا في الدُّنيا؟!" 34فأجابَهُم عَلَيْهِ السَّلَامُ قائلاً: "إنّ الزَّواجَ لأهلِ الدُّنيا ولَيسَ لأهلِ الآخِرةِ، 35لأنّ الزَّواجَ لَيسَ مِن طَبيعةِ أهلِ الجَنّةِ، 36ولأنّهُ لن يَكونَ في الآخِرةِ مَوتٌ، فأهلُ الجِنانِ يَنعَمونَ بالخُلودِ فيها كالمَلائكةِ. فهُم أولياءُ اللهِ المُقَرَّبونَ وقد انتَقَلوا إلى حَياةٍ جَديدةٍ! أمّا قيامةُ المَوتَى، 37فقد أشارَ إليها النَّبيُّ موسى في التَّوراةِ حِينَ ناداهُ رَبُّهُ مِن وَسَطِ النّارِ في الشَّجَرةِ المُقَدَّسةِ: "يا موسى إنّي أنا اللهُ، إلهُ إبراهيمَ وإسحَقَ ويَعقوبَ".[2] 38وذلِكَ أنّ عِبادَ اللهِ لَيسوا أمواتًا بل كُلُّهُم أحياءٌ عِندَ رَبِّهِم يُرزَقونَ". 39فقالَ بَعضُ الفُقَهاءِ: "أصَبتَ في مَقالِكَ أيُّها المُعَلِّمُ الفاضِلُ". 40ولم يَعُد مُنذئذٍ لدى أحَدٍ مِمَّنِ اندَسَّ بَينَ جُموعِ أتباعِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ الجُرأةُ على طَرحِ أسئلةٍ جَديدةٍ.

مَن هو الملك المنتظر؟

41ثُمّ تَوَجَّهَ إليهِم سَيِّدُنا عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بعدَ ذلِكَ مُتَسائلاً: "كَيفَ يَقولُ النّاسُ إنّ

(1) كان الصدّوقيون من أثرياء اليهود الذين يعملون جنبًا إلى جنب مع رجال الدين في بيت الله. وكانوا يعلّمون بأنّ أهمّ الأشياء في الحياة هو الذهاب إلى بيت الله وتقديم الذبائح هناك. ولم يكونوا يعتقدون أنّ هناك حياة بعد الموت، لأنّ ذلك لم يرد حرفيًا في التوراة.

(2) الإشارة هنا إلى الأنبياء الذين ماتوا هي دليل على أنّهم أحياء عند ربّهم.

المَسيحَ المُنتَظَرَ مُنحَصِرٌ في سُلالةِ النَّبيِّ داوُدَ وإنّهُ يَرِثُ عَرشَهُ؟ [42]وقد قالَ عَنهُ النّبيُّ داوُدُ نَفسُهُ في الزَّبورِ: "قالَ اللهُ تَعالى لمَولايَ، اجلِس عن يَميني، [43]حتّى أقهَرَ أعداءَكَ وأجعَلَهُم تَحتَ قَدمَيكَ صاغِرينَ" . [44]فإذا دَعا داوُدُ المَسيحَ المُنتَظَرَ "مَولاي،" أفلَيسَ هذا دَليلاً على أنّ المَسيحَ المُنتَظَرَ أعظَمُ مِن داوُدَ؟!"(1)

احذَروا الفُقهاء

[45]والتَفتَ سَيِّدُنا عيسى إلى أتباعِهِ قائلاً على مَسمَعٍ مِن الحاضِرينَ: [46]"إيّاكُم وفُقَهاءَ التَّوراةِ، لأنّهُم لا يَأبهونَ إلاّ لتَلَقّي تَحِيّاتِ النّاسِ وتَقديرِهِم فيما هُم يَمشونَ في الأسواقِ بمَلابِسِ رِجالِ الدِّينِ الفاخِرةِ، وإنّ نَزعةَ الصَّدارةِ بالجُلوسِ في المَقاعِدِ الأماميّةِ في بُيوتِ العِبادةِ، أو مَقاعِدِ الشَّرفِ عِندَ كُلِّ وَليمةٍ لَتَتملّكُهُم تَمَلُّكًا! [47]وإنّهُم ليُراؤونَ النّاسَ فيُطيلونَ صَلَواتِهِم، في حينِ يَنهَبونَ بُيوتَ الأرامِلِ، ألا إنّ لأولئكَ أشَدَّ العَذابِ" .

٢١
الفصل الحادي والعشرون

الصّدقة الصّادقة

[1]وبينَما كانَ سَيِّدُنا عيسى عليه السلام في الحَرَمِ الشَّريفِ، أخَذَ يُراقِبُ الأغنياءَ الّذينَ جاؤوا بالصَّدَقاتِ إلى صُندوقِ التَّبرُّعاتِ، [2]فأتَتْ أرمَلةٌ فَقيرةٌ وجادَت بفِلسَينِ. [3]فقالَ عليه السلام مُخاطِبًا الحاضِرينَ: "لقد تَصدَّقَت هذهِ الأرمَلةُ الفَقيرةُ بأضعافِ ما تَصدَّقَ بهِ هؤلاءِ جَميعًا، [4]فقد أعطى هؤلاءِ جُزءًا يَسيرًا مِن فَيضِ مالِهِم، أمّا هي فقد أعطَت كُلَّ ما لَدَيها على رَغمِ فَقرِها وهو ما كانَ يَجِبُ أن تُنفِقَهُ على نَفسِها لتَعيشَ!"

خرابُ القدس

[5]وأخَذَ بَعضُ أتباعِهِ عليه السلام بَعدَ ذلِكَ يَتَحدَّثونَ عن حَرَمِ بَيتِ اللهِ، وعن رَوعةِ ما فيهِ

(1) يعتقد اليهود أنّ شأن ذريّة النبي داود يجب أن يكون دائما أقلّ من داود نفسه، وقد أشار سيدنا عيسى هنا أنّ المسيح المنتظر سيكون شأنه أعظم من شأن النبي داود.

مِن أحجارٍ جَميلةٍ تُزيِّنُهُ ومِن تُحَفٍ مَنذورةٍ للهِ. [6]فالتَفَتَ إليهِم عيسى ﷺ قائلاً: "إنّ كُلَّ ما تَرونَهُ إلى زَوالٍ، فسيأتي زَمَنٌ يُهَدَّمُ فيهِ الحَرَمُ بما فيهِ، ولن يَبقى فيهِ حَجَرٌ على حَجَرٍ".

[7]فسألوهُ: "أيُّها المُعَلِّمُ، مَتى يَكونُ زَمَنُ ذلِكَ الخَرابِ، وما هي العَلاماتُ الّتي تَسبِقُهُ؟" [8]فأجابَهُم قائلاً: "احذَروا أن يُضِلَّكُم أحَدٌ عن السَّبيلِ! فسيأتي الكَثيرونَ مِمَّن يَنتَحِلونَ لَقَبي، فيَدَّعي أحَدُهُم قائلاً: "أنا حَبيبُ اللهِ!" و"قد اقتَرَبَت السّاعةُ!" فلا تُصَدِّقوا هؤلاءِ مُطلَقًا. [9]وإنّكُم ستَسمَعونَ عن حُروبٍ وفِتَنٍ تَقومُ في الأرضِ، فلا تَخافوا لأنّهُ لا بُدَّ مِن ظُهورِ هذِهِ العَلاماتِ، ولئن ظَهَرَت فإنّ السّاعةَ لن تَقومَ مِن فَورِها. [10]ألا وإنّ حُروبًا بَينَ الدُّوَلِ والمَمالِكِ ستَقومُ، [11]وستَحُلُّ الزَّلازِلُ والمَجاعاتُ والأوبئةُ في أنحاءٍ كَثيرةٍ مِن الأرضِ، وستُبدي السَّماءُ آياتِها الرَّهيبةَ الكُبرى!

[12]ولكنْ قَبلَ هذِهِ الأُمورِ كُلِّها، سيَحُلُّ عليكُم ظُلمٌ واضطِهادٌ، وسيَسوقُكُم النّاسُ إلى المَحاكِمِ الدِّينيّةِ والسُّجونِ، وسيَتَّهِمونَكُم أمامَ المُلوكِ والوُلاةِ بأنّكُم أنصاري! [13]وستَكونُ تِلكَ فُرصَتَكُم لإعلانِ شَهادَتِكُم فيَّ على المَلأ، [14]ولكنْ لا تُرهِقوا أنفُسَكُم بإعدادِ الدِّفاعِ عن أنفُسِكُم، [15]لأنّي سأمنَحُكُم لُغةَ البَيانِ والحِكمةِ الّتي يَقِفُ خُصومُكُم عاجِزينَ أمامَها". [16]وسيَخونُكُم آباؤكُم وإخوانُكُم وأقرباؤكُم وأصدقاؤكُم، بل إنّ بَعضَكُم سيُقتَلونَ أيضًا. [17]وستَكونونَ مَوضِعَ بُغضِ جَميعِ النّاسِ لإخلاصِكُم لي. [18]ولكن لا خَوفَ عليكُم، [19]لأنّكُم بثَباتِكُم عِندَ تِلكَ المُلِمّاتِ ستَكسِبونَ أنفُسَكُم.

[20]ثُمّ تابَعَ ﷺ يَقولُ: "وعِندَما تَرونَ مَدينةَ القُدسِ وقد أوشَكَت أن تُحيطَ بها الجُيوشُ، فتأكّدوا أنّ مَوعِدَ خَرابِها قد حانَ. [21]حينئذٍ ليَهرُبْ مَن كانَ في مِنطَقةِ يَهوذا إلى الجِبالِ، وليَهجُر القُدسَ مَن كانَ فيها. وأمّا مَن كانَ خارِجَها فلا يَدخُلْها، [22]ففي تِلكَ الفَترةِ ستَنالُ القُدسُ عِقابَها مِن اللهِ. ويَتَحقّقُ الوَعدُ الحَقُّ كَما جاءَ في الكُتُبِ المُقَدَّسةِ. [23]ووَيلٌ حينئذٍ للحَوامِلِ والمُرضِعاتِ مِمّا سيَحُلُّ في هذِهِ الأرضِ مِن اضطِراباتٍ وغَضَبٍ مِن اللهِ على هذا الشَّعبِ [24]الّذي سيُقتَلُ بَعضٌ مِنهُ بحَدِّ السَّيفِ، وسيُساقُ الباقونَ سَبايا إلى كُلِّ الأُمَمِ، وسيَحتَلُّ الأغرابُ المَدينةَ المُقَدَّسةَ إلى أجَلٍ مُسَمًّى.

علامات قيام السّاعة

[25]وتابَعَ ﷺ قائلاً: "وستَبدو بَعدَ ذلِكَ في السَّماءِ عَلاماتٌ عَجيبةٌ في الشَّمسِ والقَمَرِ والنُّجومِ، وسيُصيبُ أُمَمَ الأرضِ اضطِرابٌ ورُعبٌ بسَبَبِ هَيَجانِ البِحارِ وثَورةِ

أمواجِها، 26 وسيُغمَى على النّاسِ لِهَولِ ما يَرونَهُ مِن دَمارٍ زاحِفٍ على العالَمِ، إذ
تَضطَرِبُ حَرَكَةُ الأجرامِ السَّماويّةِ فتَفقِدَ توازنَها،(1) 27 عِندئذٍ سيَرى النّاسُ سَيِّدَ البَشَرِ
قادِمًا في ظُلَلٍ مِنَ الغَمامِ بكُلِّ عِزّةٍ وهَيبةٍ، 28 فحينَ تَرَونَ حُدوثَ ذلِكَ كُلِّهِ، قِفوا
وارفَعوا رُؤوسَكُم بافتِخارٍ لأنّ نَجاتَكُم صارَت قَريبةً!"

29 وضَرَبَ لهُم عليه السلام مَثَلاً قائلاً: "عِندَما تَنظُرونَ إلى التّينةِ أو غَيرِها مِن الأشجارِ،
30 وتَرَونَ اخضِرارَ أوراقِها، تَعلَمونَ أنّ الصَّيفَ قد اقتَرَبَ. 31 وكذلِكَ عِندَما تَرونَ هذِهِ
الأحداثَ، فتَيَقَّنوا أنّ مَوعِدَ قيامِ المَملَكةِ الرَّبّانيّةِ باتَ قَريبًا. 32 والحقّ أقولُ لكُم، إنّ
كُلَّ هذِهِ الأشياءِ ستَحدُثُ قَبلَ أنْ تَنقَضيَ هذِهِ الجَماعة. 33 ألا وإنّ السَّماواتِ والأرضَ
زائلاتٌ، وكَلامي باقٍ لن يَزولَ!

34 فانتَبِهوا لأنفُسِكُم واجتَنِبوا السُّكرَ والانغِماسَ في المَلَذّاتِ والغَرقَ في هُمومِ
الحَياةِ، لِئلاّ يأتيَ عليكُم ذلِكَ اليَومُ الرَّهيبُ بَغتةً وأنتُم في غَفلةٍ عَنهُ. 35 إنّه سيأتي لكُلِّ
إنسانٍ حَيٍّ على وَجهِ الأرضِ. 36 فكونوا على حَذَرٍ وواظِبوا على الدُّعاءِ طالِبينَ القوّةَ
على الصُّمودِ أمامَ هذِهِ الفِتَنِ لِتَقِفوا أمامَ سَيِّدِ البَشَرِ عِندَ مَجيئِهِ".

37 وكانَ مِن عادةِ سَيِّدِنا عيسى عليه السلام أن يُعَلِّمَ النّاسَ نَهارًا في الحَرَمِ الشَّريفِ، ثُمّ
يَخرُجُ مِن القُدسِ للمَبيتِ لَيلاً في جَبَلِ الزَّيتونِ. 38 وكانَت جُموعُ النّاسِ تُبَكِّرُ صَباحًا
إلى الحَرَمِ للإصغاءِ إليهِ.

٢٢
الفصل الثاني والعشرون

مؤامرة يهوذا ورجال الدّين

1 ومَعَ اقترابِ يَومِ الفِصحِ وقَبلَ الأُسبوعِ الّذي فيهِ يَتِمُّ الاحتِفالُ بعيدِ الفَطيرِ، 2 كانَ
رُؤساءُ الأحبارِ وفُقَهاءُ التَّوراةِ يُخَطِّطونَ سِرًّا لِقَتلِ عيسى عليه السلام، لأنّهُم يَهابونَ تأييدَ
الجَماهيرِ الّذي حَظِيَ بِهِ. 3 وسَيطَرَ الشَّيطانُ على يَهوذا الإسخَريوطيِّ أحَدِ حَوارِيّيهِ

---

(1) كان الاعتقاد سائدا في القديم أنّ النجوم هي قوى روحانية، بينما كان البعض يجعلون النجوم نظير الشعوب، لذا فإنّ ما ذكره سيّدنا المسيح قد يعني بأنّ الله سيزلزل القوى الأرضية (الشعوب) أو القوى الروحانية التي تعارض الله (الجن والشياطين).

الاثني عَشَر، [4]فتَرَكَ المَسيحَ ﷺ وتَوَجَّهَ إلى رُؤساءِ الأحبارِ وقادةِ حَرَسِ بيتِ اللهِ ليَتَشاوَرَ مَعَهُم في أمرِ الإيقاعِ بمَولاهُ، [5]ففَرِحَ قادةُ اليَهودِ واتّفقوا مَعَهُ على ذلِكَ مُقابِلَ مَبلَغٍ من المالِ. [6]وإثرَ ذلِكَ أخَذَ يَهوذا الإسخَريوطيُّ يَتَحَيَّنُ الفُرصةَ المُناسِبَةَ لتَسليمِهِم عيسى ﷺ عِندَما يكونونَ وَحدَهُم.

يوم العيد

[7]وعِندَما حانَ مَوعِدُ ذِبحِ خِرافِ العِيدِ، [8]أرسَلَ سَيِّدُنا عيسى ﷺ بُطرُسَ الصَّخرَ ويوحَنّا لإعدادِ عَشاءِ العِيدِ. [9]فسألاهُ قائلَيْن: "وأينَ سيَكونُ مَوضِعُ العَشاءِ الّذي سنُعِدُّهُ يا مَولانا؟" [10]فأجابَهُما ﷺ قائلاً: "سيُقابِلُكُما عِندَ دُخولِكُما المَدينةَ المُقَدَّسةَ رَجُلٌ يَحمِلُ جَرّةَ ماءٍ. فاتبَعاهُ حتّى يَدخُلَ أحَدَ البُيوتِ. [11]ثُمّ قولا لهُ: "يَسألُكَ المُعَلِّمُ: أينَ هي غُرفةُ الضُّيوفِ الّتي سأتناوَلُ فيها العَشاءَ مَعَ أتباعي؟" [12]فسيَصعَدُ بِكُما إلى غُرفةٍ واسِعةٍ مَفروشةٍ، هُناكَ تُعِدّانِ عَشاءَنا". [13]وخَرَجَ بُطرُسُ الصَّخرُ ويوحَنّا ودَخَلا القُدسَ ووَجَدا كُلَّ ما أخبَرَهُما ﷺ بِهِ. فنَفَّذا ما طَلَبَ وقاما بتَجهيزِ العَشاءِ.

العشاء التّذكاريّ

[14]وعِندَ مَوعِدِ العَشاءِ جَلَسَ ﷺ مَعَ حَوارِيّيهِ إلى المائدةِ. [15]وتَوَجَّهَ إليهِم قائلاً: "كَم تاقَ قَلبي إلى تَناوُلِ عَشاءِ الفِصحِ مَعَكُم قَبلَ أن أُقاسيَ ما سأُقاسيهِ مِن آلام. [16]وها أنا أُؤكِّدُ لكُم أنّي لن أحظى بَعدَ اليَوم بذلِكَ حتّى يُقيمَ اللهُ هذِهِ الوَليمةَ في المَملَكةِ الرَّبّانيّةِ". [17]ثُمّ تَناوَلَ كأسًا وحَمِدَ اللهَ وقالَ: "خُذوا هذِهِ الكأسَ واشرَبوا مَعي كُلُّكُم، [18]فإنّهُ لن يَكونَ لي بَعدَ اليَومِ أن أشرَبَ مَعَكُم مِن عَصيرِ الكَرمةِ حتّى يُقيمَ اللهُ مَملَكتَهُ".

[19]ثُمّ أخَذَ رَغيفًا وشَكَرَ اللهَ وقَسَّمَ الرَّغيفَ ووَزَّعَهُ على حَوارِيّيهِ قائلاً: "هُوَذا رَمزُ جَسَدي الّذي أُضَحّي بِهِ مِن أجلِكُم. فكُلوا مِن هذا الخُبزِ لتَذكُروني دائمًا". [20]وبَعدَ العَشاءِ، أخَذَ الكأسَ مَرّةً أُخرَى، وقالَ: "هذِهِ كأسُ ميثاقِ اللهِ الجَديدِ مَعَكُم،(1) الميثاقِ الّذي يُبرَمُ بِسَفكِ دَمي مِن أجلِكُم. [21]ولكِن اسمَعوا، إنّ مَن سيَخونُني يُقاسِمُنا

(1) أعطى الله تعالى ميثاقًا للنبي موسى عندما منحه الشرائع التي من خلال تطبيقها تستقيم حياة بني يعقوب. وهنا يقول السيّد المسيح إنّ الله سيأتي بميثاق جديد لكلّ البشر (انظر سفر النبي إرميا 31: 31-34).

الطَّعامَ الآن! [22]فَموتُ سَيِّدِ البَشَرِ أمرٌ مَحتومٌ، ولكنْ الوَيلُ لِمَن يَخونُهُ!" [23]فأخَذَ الحَوارِيّونَ يَتَساءَلونَ فيما بَينَهُم كَيفَ يُمكِنُ لأحَدِهِم أن يَقومَ بهذا العَمَلِ الشَّنيعِ.

العظمة الحقيقيّة

[24]ثُمّ أخَذوا يَتَجادَلونَ حَولَ مَن مِنهُم سيَحتَلُّ المَنصِبَ الأعلى يومَ قيامِ المَملَكةِ الرَّبّانيّةِ، [25]فقالَ لهُم ﷺ: "أصغوا إليّ: يَتَسَلَّطُ مُلوكُ الدُّنيا على شُعوبِهِم زاعِمينَ الإحسانَ إليهِم. [26]أمّا أنتُم فيَجِبُ ألاّ تكونوا مِثلَهُم، إنّ العَظيمَ فيكُم يَجِبُ أن يَحتلَّ أدنى المَراتِبِ، وعلى القائدِ أن يَكونَ خادِمَ قَومِهِ. [27]أليسَ مَن يَجلِسُ إلى المائدةِ ليأكُلَ هو أعظَمُ شأنًا مِن الّذي يَقومُ بِخِدمتِهِ؟! فمَعَ أنّي مَولاكُم، فأنا أتَصرَّفُ كأحَدِ الخَدَمِ مَعَكُم. [28]أنتُم الّذينَ وَقَفتُم مَعي بإخلاصٍ في مِحَني، [29]ولذلِكَ فكَما وَهَبَني اللهُ أبي الصَّمَدُ أن أسودَ على مَملَكتِهِ، فأنا أيضًا أهَبُكُم أن تَملِكوا مَعي [30]وأن تأكُلوا وتَشرَبوا على مائدَتي في مَملَكتي، كَما أنّني أدعوكُم للجُلوسِ على عُروشٍ لتُحاكِموا باسمي عَشائرَ بَني يَعقوبَ الاثنَي عَشَرَ".

نكران بطرس الصّخر للسّيّد المسيح

[31]وخاطَبَ ﷺ بُطرُسَ الصَّخرِ قائلاً: "يا سَمعانُ يا سَمعانُ، لقد استأذَنَ الشَّيطانُ اللهَ في امتِحانِكُم جَميعًا، وسَوفَ يُغربِلُكُم كَما يُغَربِلُ الفَلاّحُ قَمحَهُ! [32]لذلِكَ، فإنّي دَعوتُ اللهَ لأجلِكَ يا سَمعانُ كي لا يَنهارَ إيمانُكَ. فحينَ تَعودُ إليّ، عَليكَ أن تُثَبِّتَ إخوانَكَ مِن أتباعي". [33]فرَدَّ بُطرُسُ الصَّخرُ بقَولِهِ: "إنّي مُستَعِدٌّ يا سَيِّدي لمُرافَقتِكَ إلى السِّجنِ بل إلى المَوتِ!" [34]فقالَ سَيِّدُنا عيسى ﷺ: "يا صَخرُ، اعلَمْ أنّكَ ستُنكِرُني ثلاثَ مَرّاتٍ قَبلَ صِياحِ الدِّيكِ اللّيلةَ!"

[35]ثُمّ سألَهُم ﷺ: "هل احتَجتُم إلى شَيءٍ عِندَما سألتُكُم أن تَذهَبوا للدَّعوةِ بلا نُقودٍ ولا كِيسِ زادٍ ولا حتّى حِذاءٍ إضافيٍّ؟!" فأجابوهُ: "لا". [36]فأضافَ ﷺ: "ولكنّي الآنَ أقولُ لكُم: مَن كانَ عِندَهُ مالٌ فلْيأخُذْهُ، ومَن كانَ لهُ كِيسُ زادٍ فلْيَحمِلْهُ، وإن لم يَكُن لَدَيكُم سُيوفٌ فَبيعوا مَلابسَكُم لِشراءِ السُّيوفِ،(1) [37]حتّى يَتَحقَّقَ ما قالَ اللهُ عنّي للنَّبيّ أشعيا: "حَسِبوهُ في عِدادِ المُتَمَرِّدينَ". لأنّ كُلّ ما أخبَرَ اللهُ بِهِ عنّي في كُتُبِ

(1) أخبر سيّدنا المسيح أتباعه بأن يجلبوا الأشياء الضرورية للرحلة الخطيرة، وأن يكونوا على استعداد لأيّ شيء يحدث.

الأنبياءِ سيَتحقَّقُ لا مَحالةَ" . 38فأجابوهُ قائلينَ: "انظُر يا سَيِّدَنا، إنّ لَدَينا سَيفَينِ!" فقالَ
لهُم: "يَكفي!"

في جبل الزّيتون

39ثُمّ خَرجَ سَيِّدُنا عيسى سلامه علينا وأتباعُهُ مِن الغُرفةِ مُتوجِّهينَ كعادَتِهِم إلى جَبَلِ
الزَّيتونِ، 40وعِندَ وُصولِهِم قالَ لهُم: "اسألوا اللهَ العونَ في المِحنة" . 41وابتَعَدَ عَنهُم
قليلاً ورَكَعَ داعيًا رَبَّهُ بالقَولِ: 42"اللهُمَّ يا أبي الصَّمَدُ، إن شِئتَ، فادفَعْ كأسَ آلامِ
المَوتِ عنّي، ولكنْ لِيَكُنْ ما تَشاءُ لا ما أشاءُ" . 43وأرسَلَ اللهُ إليهِ مَلاكًا يَشُدُّ أزرَهُ،
44ولكنّهُ كانَ في حالةِ ضِيقٍ شَديدٍ فانهمَكَ في الدُّعاءِ وكانَ العَرَقُ يَتفصَّدُ مِن جبينِهِ
ويَسيلُ كقَطَراتِ دمٍ على الأرضِ.

45وعِندَ فَراغِهِ سلامه علينا عادَ إلى أتباعِهِ فوَجَدَهُم غارقينَ في النّومِ إذ أنهكَهُم حُزنُهُم
عليهِ. 46فأيقَظَهُم وسألَهُم: "لِمَ تَغرَقونَ في سُباتِكُم؟ ألا قوموا وتَوَجَّهوا إلى رَبِّكُم
بالدُّعاءِ والصَّلاةِ! وإلاّ فستَحُلُّ المِحنةُ عليكُم وتأخذُكُم" .

القبض على عيسى سلامه علينا

47وفيما هو سلامه علينا يُحدِّثُ أنصارَهُ جاءَت إليهِ سلامه علينا جَماعةٌ مِن الرِّجالِ على رأسِهِم
يَهوذا الإسخَريوطيّ أحَدُ حَوارِيّيهِ الاثني عَشَرَ، فاقتَرَبَ مِنهُ يَهوذا وقَبَّلَهُ، 48فقالَ لهُ
سَيِّدُنا عيسى سلامه علينا: "يا يَهوذا، أبِقُبلةٍ تَخونُ سَيِّدَ البَشَرِ؟" 49ولمّا تَنبَّهَ الحَواريّونَ لِما
سَيَحدُثُ، اندَفَعوا صارخينَ: "أنَضرِبُ بالسَّيفِ، يا سَيِّدَنا؟!" 50وهَجَمَ أحَدُهُم على
عَبدٍ لرَئيسِ الأحبارِ، فبَتَرَ أُذنَهُ اليُمنى. 51حينئذٍ قالَ عيسى سلامه علينا: "كَفى!" ثُمّ لَمَسَ أُذُنَ
العَبدِ فشُفيَتْ. 52والتَفَتَ سلامه علينا إلى كِبارِ رِجالِ الدِّينِ مِن الحاضِرينَ وضُبّاطِ حَرَسِ بيتِ
اللهِ وباقي القادةِ في تِلكَ الجَماعةِ وقالَ: "أأنا قائدُ ثَورةٍ حتّى جِئتُم لِتَقبِضوا عليّ
حامِلينَ سُيوفًا وعِصيًّا؟ 53وقد كُنتُ أتَرَدَّدُ على الحَرَمِ الشَّريفِ يوميًّا، فلِمَ لَمْ تَعتَقِلوني
آنذاكَ؟! ولكنْ أقولُ لكُم هذا أوانُكم، أوانُ ظَلامِ اللّيلِ وسَيطَرةِ الظُّلمِ" .

إنكار صخر لعيسى سلامه علينا

54–55ثُمّ أوقَفَتْهُ سلامه علينا تِلكَ العُصبةُ مِن الرِّجالِ واقتادوهُ إلى دارِ رَئيسِ الأحبارِ، وأخَذَ
بُطرُسُ الصَّخرُ يَسيرُ على إثرِهِم مُتخفّيًا حتّى أصبحَ جالِسًا بينَ الحُرّاسِ حَولَ النّارِ الّتي
أوقَدوها لِيَتَدَفَّؤوا بها. 56فرأتْهُ جاريةٌ وحَدَّقَت في وجهِهِ وقالَت: "هذا الرَّجُلُ كانَ أيضًا

مَعَ عيسى! " [57]ولكنّ بُطرُس الصَّخرُ أنكَرَ ذلِكَ قائلاً: "أيّتُها المَرأةُ إنّني أجهَلُ عَمّن تتَكلّمينَ!" [58]ثُمّ قالَ أحَدُهُم بَعدَ هُنَيهاتٍ: "لا بُدّ أنّكَ مِن أنصارِهِ". فأجابَهُ بُطرُسُ: "كَلاّ، يا رَجُلُ إنّني لا أعرِفُهُ!" [59]ثُمّ عَقّبَ رَجُلٌ آخَرُ على ذلِكَ بَعدَ مُضيِّ نَحوَ ساعةٍ قائلاً: "إنّهُ ولا رَيبَ مِن أتباعِ عيسى، فهو مِنَ الجَليلِ أيضًا". [60]فرَدَّ عليهِ بُطرُسُ مُستَنكِرًا بالقَولِ: "أيُّها الرَّجُلُ، إنّي لا أفهَمُ ما تَقولُ!" عِندئذٍ، سُمِعَ صَوتُ صِياحِ الدِّيكِ، [61]فالتَفَتَ سَيِّدُنا عيسى إلى بُطرُسَ الصَّخرِ، فتَذَكّرَ بُطرُسُ قولَ عيسى ﷺ: "ستَكونُ قد أنكَرتَني ثَلاثًا قَبلَ صِياحِ الدِّيكِ". [62]فغادَرَ بُطرُسُ إثرَ ذلِكَ باحةَ الدّارِ لِيَبكيَ بحُرقةٍ ومَرارةٍ.

[63]وبعدَ ذلِكَ أخَذَ الحُرّاسُ يَستَهزِئونَ مِن سَيِّدِنا عيسى ﷺ ويَضرِبونَهُ، [64]ثُمّ عَصَبوا عَينَيهِ واستَمَرّوا في ضَربِهِ قائلينَ: "إن كُنتَ نَبيًّا، فأخبِرنا مَن الّذي ضَرَبَكَ؟!" [65]وانهالوا عليهِ بأحَطِّ الشَّتائمِ.

وقوفه أمام المحكمة الدّينيّة

[66]والتأمَ مَجلِسُ مَشايخِ القَومِ عِندَ الفَجرِ،(1) وكانَ فيهِم كِبارُ الأحبارِ والفُقَهاءِ، وأتَوا بعيسى ﷺ للمُثولِ أمامَهُم وسألوهُ: [67]"هل أنتَ المَسيحُ المُنقِذُ المُنتَظَرُ؟" فأجابَهُم قائلاً: "لو أخبَرتُكُم بذلِكَ لم تُصَدِّقوا، [68]ولو واجَهتُكُم ما أجبتُم. [69]إنّي أنا سَيِّدُ البَشَرِ، وبَعدَ اليوم سيَجلِسُ سَيِّدُ البَشَرِ عن يَمينِ اللهِ القَديرِ!" [70]فما كانَ مِنهُم إلاّ أن صاحوا: "أتَزعُمُ إذن أنّكَ الابنُ الرُّوحيُّ للهِ؟!" فأجابَهُم: "قُلتُمُ الصَّوابَ." [71]فقالوا: "وما حاجَتُنا بَعدَ هذا إلى شُهودٍ عليهِ؟! لقد أعلَنَ كُفرَهُ ونَحنُ جَميعًا على كَلامِهِ شاهِدونَ!"(2)

(1) المجلس المذكور هنا كان مؤلّفًا من ممثّلين عن مختلف جماعات اليهود، وقد سمح الرومان لهذا المجلس بسماع القضايا التي تخصّ جرائم مخالفة للدين اليهودي. ولأنّ الرومان لم يسمحوا لهم بإنزال حكم الإعدام، فقد حاولوا أن يتّهموه بمخالفة قانون روماني تستوجب مخالفته عقوبة الموت، حتّى يعدمه الرومان بدلا عن اليهود.

(2) إن زعَمَ أحد أنّه ملك بغير إذن القيصر، فإنّه يُعتبَر خائنا بحقّ القيصر ويستحقّ حكم الإعدام. ولأنّ سيّدنا عيسى اعترف هنا أنّه ملك، ظنّ أعضاء المجلس أنّهم حصلوا على اتّهام واضح ضدّه.

٢٣
الفصل الثّالث والعشرون

عيسى أمام الحاكم الرّومانيّ

[1]ثُمّ انفَضَّ المَجلِسُ كُلِّهِ فأخَذوا سَيِّدَنا عيسى عَلَيْنَا سَلَامُهُ إلى الوالي بيلاطُسَ [2]ووَجَّهوا إليهِ العَديدَ مِن التُّهم قائِلينَ: "إنَّا وَجَدنا هذا الرَّجُلَ مُثيرًا للفِتَنِ بَينَ الشَّعبِ، يُحَرِّضُهُم على عَدمِ أَداءِ الجِزيةِ لِقَيصرَ زاعِمًا أنّهُ المَسيحُ، أي المَلِكُ المُنتَظَرُ!"(1) [3]فسألَهُ بيلاطُسُ: "هل أنتَ مَلِكُ اليَهودِ؟" فقالَ سَيِّدُنا عيسى: "نعم، الأمرُ كَما تَقولُ!" [4]فبَعدَ المَزيدِ مِن التَّحقيقِ مَعَهُ، التَفَتَ بيلاطسُ إلى كِبارِ رِجالِ الدِّينِ والجُموعِ قائلاً: "لَيسَ مِن سَبَبٍ لاتّهامِ هذا الرَّجُلِ". [5]ولكنّهُم أَصَرُّوا قائلينَ: "إنّهُ يُثيرُ الشَّعبَ بِما يُعَلِّمُ في كُلِّ مِنطقةِ يَهوذا! لقد بَدأَ بالجَليلِ وها هو الآنَ يَصِلُ إلى هُنا!"

عيسى عَلَيْنَا سَلَامُهُ أمام الحاكم ابن هيرودس

[6]فقالَ بيلاطُسُ: "هل هو مِن الجَليلِ؟!" [7]فأجابَ الحاضِرونَ بالإيجابِ. حِينئذٍ أدرَكَ أنّ عِيسَى تابعٌ لسُلطةِ ابن هيرودُسَ حاكمِ الجَليلِ، فأرسَلَهُ إليهِ لأنّ ابنَ هيرودُسَ كانَ في زيارةٍ للقُدسِ في ذلِكَ الوَقتِ.(2) [8]وعِندَما وَصَلَ عَلَيْنَا سَلَامُهُ إلى ابنِ هيرودُسَ فَرِحَ برؤيتِهِ عَلَيْنَا سَلَامُهُ لأنّهُ سَمِعَ عَنهُ الكَثيرَ، مِمّا جَعَلَهُ، مُنذُ فترةٍ طَويلةٍ، في شَوقٍ إلى رؤيةِ مُعجزةٍ مِن المُعجزات الّتي كانَ يَسمَعُ عَنها. [9]فقامَ وألقى عليهِ أسئلةً كَثيرةً إلاّ أنّهُ عَلَيْنَا سَلَامُهُ رَفَضَ الإجابةَ. [10]أمّا كِبارُ رِجالِ الدِّينِ والفُقَهاءِ الّذينَ رافَقوا عيسى عَلَيْنَا سَلَامُهُ إلى ابنِ هيرودُسَ، فكانوا في تِلكَ الأثناءِ يَكيلونَ لهُ التُّهَمَ. [11]وابنُ هيرودُس نَفسُهُ أخَذَ، بَعدَ صَمتِ سَيِّدِنا عيسى عَلَيْنَا سَلَامُهُ، يَكيلُ هو أيضًا وجُنودُهُ السُّخريةَ والاستِهزاءَ لسَيِّدِنا

---

(1) بما أنّ الرومان كانوا يحتلّون أرض فلسطين، فلا يمكن لأيّ شخص إعلانُ نفسه ملكًا عليها. والسلطة الرومانية هي وحدها القادرة على منح هذا المنصب العظيم.

(2) كان أنتيباس بن هيرودس حاكمًا على الجليل في ذلك الوقت، ولم يكن لدى بيلاطس الرغبة في تولّي هذه القضية، لذا فقد أرسل السيد المسيح إلى أنتيباس. وعلى الرغم من أنّ مركز حكم أنتيباس كان في مدينة طبريّا على شاطئ بحيرة طبريّا، فقد كان آنذاك في القدس للاحتفال بعيد الفصح.

عيسى عليه السلام. ثُمّ أعادُوهُ إلى بيلاطُسَ وقد وَضَعوا عليهِ ثَوبًا مُزرَكشًا لِمَزيدِ السُّخريةِ.(1)
[12]وتَصالحَ ابنُ هيرودُسَ وبيلاطُسُ في ذلِكَ اليومِ بَعدَ خِصامٍ بَينَهُما طَويلٍ.

الحكم بالإعدام على عيسى عليه السلام

[13]واستَدعى بيلاطُسُ رُؤساءَ الأحبارِ وكِبارَ رِجالِ الدِّينِ وكُلَّ الحاضِرينَ مُعلِنًا قَرارَهُ
أمامَ الجَميعِ: [14]"جِئتُموني بهذا الرَّجُلِ الّذي اتّهَمتُموهُ بإثارةِ الفِتنةِ. وقد قُمتُ بالتّحقيقِ
مَعَهُ بحُضورِكُم، إلاّ أنّني وَجدتُهُ بَريئًا! [15]وكذلِكَ فَعَلَ ابنُ هيرودُس مُصدِرًا الحُكمَ
نَفسَهُ ليُعيدَهُ إلينا. إنّني أرى أنّ هذا الرَّجُلَ لم يَفعَل شيئًا يُوجِبُ إعدامَهُ! [16]لكنّني سآمُرُ
بجَلدِهِ ثُمّ بإخلاءِ سَبيلِهِ". [17]وكانَ مِنَ العُرفِ أن يُطلِقَ بيلاطُسُ سَراحَ أحَدِ السُّجناءِ
بمُناسبةِ العيدِ. [18]فصَرَخَ الحاضِرونَ بصَوتٍ واحدٍ: "أطلِقْ سَراحَ باراباسَ، أمّا عيسى
فاقتُلْهُ!" [19]وكانَ باراباسُ هذا في السِّجنِ بسَبَبِ إثارتِهِ للشَّغَبِ في القُدسِ ضِدَّ
السُّلُطاتِ إضافةً إلى اقتِرافِهِ جَريمةَ قَتلٍ. [20]إلاّ أنّ بيلاطُسَ كانَ يَميلُ إلى إخلاءِ سَبيلِ
عيسى عليه السلام، فحاوَلَ مُحاوَرتَهُم ثانيةً في أمرِ إخلاءِ سَبيلِهِ، [21]لكنّهُم صاحوا قائلينَ:
"أُصلُبْهُ، أُصلُبهُ!" [22]فأصَرَّ مَرّةً ثالثةً على رَغبتِهِ قائلاً: "لِمَ، وما هو الجُرمُ الّذي
ارتَكَبَهُ؟! إنّني لا أجِدُ ما يُبرِّرُ الحُكمَ عليهِ بالإعدامِ، لذا سأقومُ بجَلدِهِ ثُمّ أُطلِقُ
سَراحَهُ". [23]ولكن تَعالَتْ أصواتُ الحاضِرينَ مُصِرّينَ على المُطالَبة بقَتلِهِ عليه السلام، [24]مِمّا
جَعَلَهُ في النّهايةِ يَحكُم بإعدامِ عيسى عليه السلام صَلبًا، نُزولاً عِندَ رَغبَتِهِم، [25]فأصدَرَ أمرَهُ
بوَضعِهِ عليه السلام على الصَّليبِ. وهكذا أُخلِيَ سَبيلُ باراباسَ القاتِلِ المُتَمرِّدِ.

صلبه وقتله

[26]وفيما كانَ عليه السلام يُساقُ للإعدامِ، صادَفَ مُرورُ رَجُلٍ آتٍ مِنَ الرِّيفِ إلى المَدينةِ
اسمُهُ سِمعانُ مِن مَدينةِ قورينا في ليبيا. فأمسَكَ الجُنودُ بِسمعانَ وأجبَروهُ على حَملِ
الصَّليبِ والسَّيرِ خَلفَ سَيِّدِنا عيسى عليه السلام.(2) [27]وهكذا ساروا وخَلفَهُم حَشدٌ غَفيرٌ مِنَ
النّاسِ، بَينَهُم نِسوةٌ بَدأنَ في البُكاءِ والنّواحِ حُزنًا عليهِ عليه السلام، [28]فالتَفَتَ عيسى إليهِنّ

---

(1) فعلوا ذلك به سخريةً لأنّه اعتبر نفسَه الملكَ الموعود.

(2) كان الرجل المحكوم بالموت صلبا مُجبَرا في العادة على حمل خشبة من أخشاب الصليب (التي كان وزنها تقريبا 20 كيلوغرام) إلى مكان الإعدام. وفي ذلك الوقت كان سيدنا عيسى ضعيفا من تأثير التعذيب لا يستطيع أن يحمل خشبة الصليب، فأجبر الجنود أحد الموجودين هناك على حملها.

قائلاً: "يا نِساءَ القُدسِ، لا تَبكينَ عليّ بَل على أنفُسِكُنَّ وأولادِكُنَّ، 29لأنّهُ سيأتي وَقتٌ يَكونُ فيهِ خَرابُ القُدسِ وحِينئذٍ سيُقال، "هَنيئًا للعاقِرِ الّتي لم تَحمِل ولم تَلِد ولم تُرضِع!" 30وسيَقولُ النّاسُ مِن شِدّةِ هَلَعِهِم: "فلتُدَكَّ علينا الجِبالُ، ولتُوارِنا التّلالُ في أعماقِها كي نَموتَ فنَستريحَ مِن هذا العَذاب!" 31فإن كُنتُ أنا، الغُصنَ الأخضَرَ، قد حَلَّ بي مِن العَذابِ والهَوانِ ما تَرونَ، فما عَساهُ يَحُلَّ بِكُم، وأنتُم غُصونٌ يابِسةٌ؟"(1)

32وهكذا ساقوهُ عليه السلام مَعَ اثنَينِ مِن المُتَمَرِّدينَ للإعدامِ. 33وعِندَ بُلوغِهِم تَلَّ الجُمجُمة، قاموا بصَلبِهِ بَينَ هذينِ الاثنَينِ، أَحَدُهُما عَن اليَمينِ والآخَرُ عَن اليَسارِ.(2) 34فرَفَعَ رأسَهُ إلى السَّماءِ بالدُّعاءِ قائلاً: "اللهُمَّ، أيُّها الأبُ الرَّحمَنُ، اغفِر لهؤلاءِ ذُنوبَهُم، لأنّهُم يَجهَلونَ ما يَفعَلونَ". وكانَ الجُنودُ يَتنازَعونَ ثِيابَهُ بَينَهُم بالقُرعةِ.

35وبَينَما النّاسُ وُقوفٌ شاخِصينَ بأبصارِهِم إلى هذا المَشهَدِ الرَّهيبِ، انبَرى بَعضُ رِجالِ اليَهودِ النّافِذينَ يَقولونَ استِهزاءً: "لطالما أنقَذَ الآخَرينَ، وآن الأوانُ لِيُنقِذَ نَفسَهُ إن كانَ هو المَسيحَ المَلِكَ المُختارَ، المُرسَلَ مِن عِندَ اللهِ حقًّا!" 36ثُمّ أخَذَ الجُنودُ الساخِرونَ يُقَدِّمونَ إليهِ نوعًا رَديئًا(3) مِن الخَمرِ، 37ويَتَصايَحونَ قائلينَ: "إن كُنتَ مَلِكَ اليَهودِ حقًّا، فهَيّا أنقِذْ نَفسَكَ!" 38ثُمّ عَلَّقوا فَوقَ رأسِهِ في أعلى الصَّليبِ لَوحًا كُتِبَ عليهِ: "هذا هو مَلِكُ اليَهودِ".(4) 39وأخَذَ أحَدُ المُتَمَرِّدَيْنِ اللذَينِ صُلبا مَعَهُ يُهينُهُ قائلاً: "هل أنتَ حقًّا المَسيحُ المُنقِذُ لشَعبِنا؟ إذن قُم بإنقاذِ نَفسِكَ وإنقاذِنا إن كُنتَ مِن الصّادِقينَ!" 40ولكنّ المُتَمَرِّدَ الآخرَ قالَ مُعتَرِضًا: ألا تَخافُ اللهَ، حتّى وأنتَ على وَشْكِ المَوتِ؟ 41نَحنُ نَستَحِقُّ ما نَلقاهُ، إلاّ أنّ هذا الرَّجُلَ لَيسَ بآثم!" 42ثُمّ التَفَتَ إلى عيسى عليه السلام وقالَ: "يا سَيِّدي عيسى، اذكُرني عِندَما تَجلِسُ على عَرشِكَ في مَملَكةِ اللهِ!" 43فأجابَهُ عيسى عليه السلام: "الحقّ أقولُ لكَ، لَتَكونَنَّ اليومَ مَعي في فِردوسِ النّعيمِ".

---

(1) ربّما يعني القولَ التالي: "إذا كان هذا يحصل مع الرجل البريء، فماذا يحصل مع الرجل المذنب برأيكم؟"

(2) طبّق الرومان حكم الإعدام صلبا على العبيد فقط وعلى أدنى المجرمين الذين لم يحظوا بالجنسية الرومانية. وعلّقوا هؤلاء على الصلبان بمسامير كبيرة في معاصمهم وكعوبهم.

(3) هذا النوع من الخمر كان حامضًا ورخيصًا ولم يكن يشربه سوى الفقراء من الناس.

(4) كانت العادة تقضي أنّه، إذا حكم الرومان على أحدهم بالإعدام، أن تُكتَب جريمته على لوح يُعلَّق فوق رأسه على الصليب. ولأنّ السيد المسيح لم يكن مذنبًا، فقد كتبوا: "هذا هو ملك اليهود".

موت عيسى ﷺ

44–45وفي ظَهيرةِ ذلِكَ اليَوم، احتَجَبَت الشَّمسُ فخَيَّمَ ظَلامٌ كَثيفٌ استَمَرَّ يَغمُرُ الأرضَ حتّى العَصرِ، ثُمّ انشَقَّ فَجأةً حِجابُ بيتِ اللهِ الصَّفيق إلى شَطرَين. 46فصاحَ سَيِّدُنا عيسى ﷺ: "يا اللهُ، أيُّها الأبُ الرَّحيمُ، هذِهِ روحي مِنكَ إليكَ، أستَودِعُها بَينَ يَديكَ!" ولَفَظَ نَفَسَهُ الأخيرَ.

47وعِندَما رأى الضّابِطُ الرُّومانيُّ الواقِفُ على إعدامِهِ ما جَرى، سَبَّحَ اللهَ وقالَ: "لقد كانَ هذا الرَّجُلُ صالِحًا بَريئًا". (1) 48أمّا الجُموعُ المُحتَشِدةُ الّتي جاءَت خِصّيصًا لحُضورِ ذلِكَ المَشهَدِ، فقد عادَت إلى بُيوتِها لاطِمةً نادِبةً عِندَما رأت ما جَرى. 49وظَلَّ أصحابُهُ ﷺ والنِّساءُ اللّواتي تَبِعنَهُ مِن الجَليلِ واقِفينَ عن بُعدٍ يُشاهِدونَ ما يَحدُثُ.

دفن عيسى ﷺ

50وكانَ رَجُلٌ صالِحٌ مِن أعضاءِ المَجلِسِ الأعلى مِن بَلدةِ الرّامة في مِنطَقةِ يَهوذا اسمُهُ يوسفُ، 51يَنتَظِرُ ظُهورَ المَملَكةِ الرَّبّانيّةِ، وقد استَنكَرَ كُلَّ ما صَدَرَ عن رِجالِ المَجلِسِ مِن قَراراتٍ وأعمالٍ. 52فتَوَجَّهَ بَعدَ مَوتِ عيسى إلى بيلاطُسَ طالِبًا مِنهُ إعطاءَهُ جُثمانَ عيسى ﷺ. (2) 53وهكذا أنزَلَ يُوسفُ الجُثمانَ مِن على الصَّليبِ وأخَذَهُ وكَفَنَهُ بقُماشٍ مِن كَتّانٍ وأودعَهُ قَبرًا مَحفورًا في الصَّخرِ لم يُدفَن فيهِ أحَدٌ مِن قَبلُ. 54وكانَ ذاكَ اليَومُ يَومَ الإعدادِ لراحةِ السَّبتِ، الواقِعِ قَبلَ مَغيبِ الشَّمسِ وبَدءِ يوم العِيدِ المَجيدِ.

55وأمّا النِّسوةُ الجَليلياتُ، فأخَذنَ يُتابِعنَ يوسفَ فشاهَدْنَهُ يُودِعُ الجُثمانَ في القَبرِ.
56وهكذا ذَهبنَ بَعدَ ذلِكَ إلى البيتِ وجَهَّزنَ طِيبًا وحَنوطًا لِيَدهَنَّ بِهِ الجُثمانَ بَعدَ انقِضاءِ السَّبتِ. وعِندَ غُروبِ الشّمسِ امتَنعنَ عن العَمَلِ طَوالَ ذلِكَ اليومِ تَنفيذًا لِما جاءَ في كِتابِ اللهِ. (3)

(1) في هذا المقطع فسّر لوقا معنى ما سجّله متّى ومرقس بأنّ الضابط الروماني صرّح بأنّ السيد المسيح هو الابن الروحي لله. وفي الوحي الذي سجّله لوقا كلمة تستعمل في أحد المعنيين: إما أنه "صالح" وإمّا أنه "بريء". وقد تعمّد لوقا بيان كون الضابط أقرّ بأن سيدنا عيسى بريء وقد عانى الظُلم.

(2) قد خاطر يوسف بمركزه باعتباره عضوا في مجلس اليهود من خلال إجراء مراسم دفن لائقة لسيدنا عيسى ﷺ.

(3) كان السبت يوم راحة اليهود، وهو يبدأ مع غروب يوم الجمعة، وليس هناك مِن عمل يُجرى في يوم السبت، بما في ذلك عملية دفن الجثث ومسحها بالطيب والحنوط.

٢٤
الفصل الرّابع والعشرون

قيامة عيسى سلامه علينا

10–1وَمَعَ بُزوغِ فَجرِ يوم الأحَدِ، تَوَجَّهت النِّسوةُ إلى قَبرِهِ سلامه علينا يَحمِلنَ الطِّيبَ والحَنوطَ الّذي أَعدَدنَهُ، وهؤلاءِ هُنّ: مَريمُ المَجدليّةُ وحَنّةُ ومَريمُ أُمُّ يَعقوبَ وأُخرَياتٌ غيرهنّ. وعِندَ وصولِهِنّ القَبرَ، وَجدنَ الصَّخرةَ الّتي كانَت تَسُدُّ مَدخَلَهُ قد دُحرِجَت، فدَخَلنَ ولم يَجدنَ جُثمانَهُ سلامه علينا. وبينَما هُنّ في حَيرةٍ مِن الأمرِ، ظَهَرَ أمامَهُنَّ فَجأةً مَلاكانِ على هَيئةٍ بَشَريّةٍ بثيابٍ بَيضاءَ تَبهَرُ الأبصارَ. ففَزِعنَ ورَكَعنَ برُؤوسٍ مُنَكَّسةٍ، فسألَهُنَّ المَلاكانِ: "لِمَ تَبحثنَ عن الحيِّ في مَثوى الأمواتِ؟! إنّهُ لَيسَ هُنا، لقد بُعِثَ حيًّا! ألا تَذكرنَ ما أخبَرَكُنّ وأنتُنّ مَعَهُ في الجَليلِ؟! أما قالَ: إنّ سَيِّدَ البَشَرِ لا بُدَّ أن يُسَلَّمَ إلى قَبضةِ الأشرارِ فيُصلَبَ ثُمّ يُبعَثَ حيًّا بعدَ ثلاثةِ أيّام"؟! فتَذَكَّرَت النِّسوةُ ذاكَ الكَلامَ، ورَجعنَ ليُخبِرنَ الحَوارِيّينَ الأحَدَ عَشَرَ وجَميعَ أتباعِهِ سلامه علينا بذلِكَ الخَبَرِ. 11إلاّ أنّ أحَدًا لم يُعِرْ اهتِمامًا لِما ذَكَرْنَهُ لأنّ الحَوارِيّينَ ظَنُّوا أنَّهُنَّ واهِماتٌ، 12أمّا بُطرُسُ الصَّخرُ فرَكَضَ إلى القَبرِ وانحَنى فرَأى الكَفنَ المَلفوفَ بلا جُثمانٍ، فعادَ إلى بيتِهِ والحَيرةُ تَستَبِدُّ بِهِ مِن جَرّاءِ ذلِكَ كُلِّهِ.

في طريق عِمْواس

13وفي ذلِكَ اليَوم نَفسِهِ كانَ اثنانِ مِن أتباعِهِ سلامه علينا مُتَوجِّهَيْنِ إلى قَريةِ عِمْواس الّتي تَبعُدُ عن القُدسِ مَسافَةَ سَبعةِ أميالٍ تَقريبًا. 14وفيما هُما سائِرانِ يَتَحدّثانِ عمّا جرى، 15اقتَرَبَ سَيِّدُنا عيسى سلامه علينا مِنهُما ورافَقَهُما في المَسيرِ، 16فلم يَعرِفاهُ إذ حَجَبَ اللهُ عنهُما ذلِكَ. 17فحَدَّثَهُما قائلاً: عَمَّن تَتَكَلّمانِ في هذا الدَّربِ؟!" فتَوَقّفا ونَظَرا إليهِ مُقَطِّبَيْن حُزنًا 18ثُمّ قالَ أحَدُهُما وكانَ اسمُهُ كَليوباسُ: "لَكأنّكَ في القُدسِ الزّائرُ الوَحيدُ الّذي لم يَدرِ بما جَرى مِن أحداثٍ فيها في هذهِ الأيّام العَصيبةِ؟!" 19فسألَ سلامه علينا: "وما هي تِلكَ الأحداثُ؟!" فأجاباهُ: "الأحداثُ المُتَعلِّقةُ بعيسى النّاصريّ، النَّبيِّ القَديرِ قولاً وعَمَلاً، الوَجيهِ عِندَ اللهِ وكُلِّ النّاسِ. 20لقد قَبَضَ عليهِ رُؤساءُ الأحبارِ وغَيرُهُم مِن رِجالِ الدِّينِ وسَلَّموهُ إلى الرُّومانِ كي يُنَفِّذوا فيهِ

حُكمَ الإعدامِ صَلبًا. [21]وكانَ أملُنا فيهِ كَبيرًا إذ تَوَسَّمنا فيهِ المَلِكَ المُنقِذَ الّذي
يَكونُ على يَدَيهِ تَحريرُ بَني يَعقوبَ. وقد مَرَّ على تِلكَ الأحداثِ ثلاثةُ أيّامٍ، [22]إلاّ
أنّ بَعضَ النِّسوةِ مِن جَماعتِنا ذَهَبنَ إلى قَبرِهِ اليَومَ باكِرًا وعُدنَ حامِلاتٍ أخبارًا
مُدهِشةً. [23]فقد أَخبَرْنَنا بأن جُثمانَ سَيِّدِنا لم يَكُن في القَبرِ، وأنّهُنَّ رأينَ مَلاكَينِ
قالا لهُنّ إنّ سَيِّدَنا عيسى حيٌّ. [24]وسَعى بَعضُنا إلى القَبرِ للتَّأكُّدِ مِن الأمرِ،
فتَحَقَّقوا مِمّا أخبَرَت بِهِ النِّسوةُ، ولكنّهُم لم يَرَوهُ".

[25]فقالَ سَيِّدُنا عيسى سلامه علينا لهُما: "يا لَقُصورِ فَهمِكُما! أعَسيرٌ عليكُما تَصديقُ كُلِّ
ما أنزَلَهُ اللهُ مِن آياتٍ على أنبيائِهِ؟! [26]أمَا ذُكِرَ أنّهُ على المَسيحِ مُعاناةُ كُلِّ هذِهِ الآلامِ
قَبلَ دُخولِهِ في زَمَنِ مَجدِهِ؟!" [27]ثُمّ أخَذَ سلامه علينا يُذكِّرُهُما بما في التَّوراةِ وكُتُبِ الأنبياءِ،
مُفَسِّرًا لهُما كُلَّ ما وَرَدَ في شأنِهِ في تِلكَ الكُتُبِ.

[28]وعِندَما اقتَرَبوا مِن عِمْواس أبطَأَ سَيِّدُنا عيسى سلامه علينا في مَسيرِهِ كأنّهُ يُريدُ
مُفارَقتَهُما، [29]إلاّ أنّ تابِعَيْهِ ألَحّا عليهِ في المُضيِّ مَعَهُما قائلَيْنِ: "هلاّ أمضَيتَ اللّيلةَ
عِندَنا، فقد أوشَكَت الشَّمسُ على المَغيبِ". فنزَلَ عِندَ رَغبَتِهِما [30]ورافَقَهُما إلى البيتِ
وجَلَسَ مَعَهُما لتَناوُلِ العَشاءِ، ثُمّ تَناوَلَ رَغيفًا وشَكَرَ اللهَ وقَسَّمَهُ وأعطاهُما. [31]وهُنا
زالَت الغِشاوةُ عن بَصيرَتَيهِما فعَرَفاهُ في الحالِ، ولكنْ ما إن عَرَفاهُ حتّى غابَ سلامه علينا
عن أنظارِهِما. [32]فقالَ أحدُهُما للآخَرِ: "ألم يُفعِم قَلبَينا بحَرارةِ الإيمانِ عِندَما كانَ
يُفَسِّرُ لنا في الطَّريقِ ما جاءَ في الكِتابِ؟!" [33]وعادا لتَوِّهِما إلى بَيتِ المَقدِس فوَجَدا
الحَوارِيّينَ مُجتَمِعينَ مَعَ بَقيّةِ الأتباعِ وهُم يَقولونَ: [34]"لقد بُعِثَ مَولانا حيًّا وظَهَرَ
لبُطرُسَ!" [35]عِندئذٍ تكلَّما عَمّا جَرى لَهُما، وكَيفَ ظَهَرَ لهُما سَيِّدُنا عيسى سلامه علينا وهُما
سائرانِ في طَريقِهِما، وكَيفَ أدرَكا حَقيقتَهُ عِندَما قامَ بتَقسيمِ الخُبزِ.

ظهور عيسى سلامه علينا للحواريّين

[36]وفيما هم يَتَكلَّمونَ، ظَهَرَ سَيِّدُنا عيسى سلامه علينا في وَسَطِهِم قائلاً: "السّلامُ
عليكُم!" [37]فاستَبَدَّ بِهِم الذُّعرُ وقد حَسِبوهُ طَيفًا. [38]فسألَهُم: "لماذا أنتُم مُضطَرِبونَ؟
وبي تَشُكّونَ؟ [39]اُنظُروا إلى يَدَيّ وقَدَمَيّ لتَتَحقّقوا بأنّني عيسى! وتَحَسَّسوا جَسَدي
لتتأكّدوا بأنّني مِثلَكُم لَحمًا وعَظمًا ولَستُ طَيفًا، فالطَّيفُ لا جَسَدَ لهُ!" [40]وأراهُم سلامه علينا
يَدَيهِ وقَدَمَيهِ ليَتَحقَّقوا. [41]ولفَرطِ فَرحَتِهِم بظُهورِهِ وَقَفوا حائرِينَ مُندَهِشينَ غَيرَ مُصَدِّقينَ.

فقالَ لهُم: "ماذا لَديكُم مِن طَعام؟!" 42فناولوهُ قِطعةً مِن السَّمك المَشويِّ، 43فأكَلَها وهُم يُراقِبونَهُ.(1) 44ثُمّ قالَ: "كُنتُ قد أنبأتُكم عِندَما كُنتُ بَينَكُم بأن ما جاءَ عنّي في تَوراةِ موسى وكُتُبِ الأنبياءِ والزَّبورِ لا بُدَّ أن يَتحقَّقَ".(2) 45ثُمّ بَثَّ في أذهانِهم نورًا شارِحًا مُفسِّرًا ما جاءَ في الكُتُبِ السَّماويّةِ، 46وقالَ: "جاءَ في كِتابِ اللهِ أنّ على المَسيحِ المُنتظَرِ أن يُقاسيَ آلامًا كَثيرةً ثُمّ يَموتَ ثُمّ يُبعَثَ حيًّا بَعدَ ثلاثةِ أيّام. 47وستُزَفُّ إلى كُلِّ الأُمَمِ رِسالةُ التَّوبةِ وبَشائرُ غُفرانِ الذُّنوبِ لِكُلِّ مَن يُؤمنُ بي ويَدعو باسمي، بَدءًا مِن القُدسِ. 48وأنتُم الآنَ شُهودُ عِيانٍ على كُلِّ هذِهِ الأُمورِ، 49وسأُرسِلُ إليكُم رُوحَ اللهِ كَما وَعَدَ اللهُ أبي الصَّمَدُ، فامكُثوا في المَدينةِ المُقَدَّسةِ حتّى أوانِ حُلولِ الرُّوحِ عليكُم فتَغمُرُكُم قوّةٌ سَماويّةٌ".

صعود عيسى عَلَيۡهِ سَلَامٌ إلى السّماء

50ثُمّ اقتادَهُم سَيِّدُنا عيسى عَلَيۡهِ سَلَامٌ إلى مَكانٍ على مَقرُبةٍ مِن بَيتِ عَنْيا ورَفَعَ يدَيهِ وبارَكَهُم، 51وهُنا رَفَعَهُ اللهُ إلى السَّماءِ أمامَ عُيونِهم. 52فخَرُّوا أمامَهُ إجلالاً وتَعظيمًا، ثُمّ عادوا إلى بيتِ المَقدِس وقد عَمَّهُم الفَرَحُ العَظيمُ. 53وهكذا ظَلّوا عاكِفينَ مُتَعَبِّدينَ في حَرَمِ بيتِ اللهِ مُسبِّحينَ بحَمدِهِ بالعَشيِّ والإبكارِ.

(1) كان أكل سيّدنا المسيح للطعام وسيلة لإثبات أنّه ليس شبحًا.

(2) كان السيّد المسيح يشير إلى مجموع الكتب السماوية الثلاثة في زمنه، وهي التوراة وكتب الأنبياء والزبور. أمّا المجموعة الثالثة، وهي "الكتابات" فقد كانت أيضًا معروفة باسم الزبور، لأنّ السفر الأوّل فيها كان كتاب الزبور أو المزامير، وأخذت المجموعة كلّها هذا الاسم.

مدخل إلى إنجيل يوحنّا

كان يوحنّا صيادا قبل أن يصبح تابعا لسيدنا المسيح ﷺ. وكما حدث مع متّى، فقد منّ الله عليه بأن أصبح واحدا من الحواريين الاثني عشر. ويعتقد كثير من العلماء أنّ يوحنّا إنّما يعني نفسه عندما يذكر في سجلّه عبارة "الحواري الذي كان سيدنا عيسى يحبّه" (كما في يوحنّا 13: 23)، لكن لا يمكننا معرفة ذلك على وجه التأكيد. وقد أقام الحواري يوحنّا بعد ذلك في المقاطعة الرومانية آسيا التي تقع اليوم في الجزء الغربي من تركيا. وقد يكون الله اختاره خلال تلك الفترة من الزمن ليدوّن الوحي عن سيدنا المسيح. كما قد يكون قام بذلك على الأرجح بعد أن كانت سجلاّت متّى ومرقس ولوقا قد انتشرت بين الناس، وبذلك يكون قرّاء سجلّ يوحنّا لدى انتشاره عارفين بمحتويات أحد السجلاّت الثلاثة على الأقلّ. لذا قد يكون من الأفيد أوّلا قراءة أحد تلك السجلاّت قبل قراءة هذا السجلّ، وليكن سجلّ مرقس (بما في ذلك المدخل إليه).

رغم معرفتنا الكثير عن سيدنا عيسى المسيح من خلال سجلاّت متّى ومرقس ولوقا، فإن سجلّ يوحنّا يملأ بعض الثغرات التي تساعدنا على مزيد من الفهم. طبعا، يؤكّد الحواري يوحنّا أنّ سيدنا عيسى هو المسيح الملك المرسل من الله، مثله في ذلك مثل الثلاثة الآخرين الذين سجّل الوحي بخصوص السيد المسيح. لكنّنا مع يوحنّا نغوص أكثر في كنه سيدنا عيسى من خلال استخدامه الموفّق والمميّز للمجاز والإيحاءات، كحديثه عن كلمة الله الأزلية التي صارت كائنا بشريّا (الفصل 1)؛ أو نور العالم الذي جاء ليخرجنا من الظلمات إلى النور (1: 9، 8: 12)، أو الذبح العظيم الذي أتى ليحمل عنا معاصينا (1: 29)؛ أو النبي الذي تجب طاعته، والذي أخبر عنه النبي موسى في التوراة (سفر التثنية 15: 18-19)؛ أو الطريق الحقّ، ونبع الخلود (14: 6؛ 4: 14).

يخبرنا السيد المسيح في سجلّ يوحنّا أنّ أتباعه سوف يعانون الاضطهاد مثلما عاناه هو نفسه، لكنّه يعدهم بإرسال نصير لهم، هو روح الله التي ستقيم بداخلهم وتكون معهم إلى الأبد، وهي تساعدهم وتقودهم إلى الحقّ.

بسم الله تبارك وتعالى

الإنجيل الشّريف
الوحيُ الذّي سجّله الحَواريُّ يوحنّا

١
الفصل الأوّل

كلمة الله الأزليّ

1 في البَدءِ، قَبلَ خَلقِ الكَونِ، كانَ الكَلِمةُ - كَلِمةُ الله.
وكانَ الكَلِمةُ مَعَ اللهِ، وكانَ قائِمًا في ذاتِ اللهِ.
2 قَبلَ خَلقِ الكَونِ كانَ كَلِمةُ اللهِ الأزليّ عِندَ اللهِ.
3 وبِهِ أبدَعَ اللهُ كُلَّ شَيءٍ في الكَونِ
فلا شَيءَ مَوجودٌ بلا كَلمةِ اللهِ.
4 فيه كانَتِ الحَياةُ، فأنارَت الحَياةُ كُلَّ البَشَر.
5 ولم يَزَل نورُها مُشِعًّا في الظّلامِ
لأنّ الظّلامَ لا يَستَطيعُ حَجبَ النُّور.
6 بُعَثَ اللهُ رَسولاً اسمُهُ يَحيى عليه السلام
7 جاءَ لِيُخبِرَ النّاسَ بِصِفاتِ ذَلِكَ النُّورِ
ويَقودَ النّاسَ إلى طَريقِ الإيمانِ بذلِكَ النُّور.
8 لم يَكُن هو ذلكَ النّور، أو ذَلِكَ الكَلِمة،
بل جاءَ لِيَشهَدَ بِهِ ولهُ ويُشهِدَ عليهِ الخَلائقَ.
9 فنُورُ الحَقِّ، أي كَلِمةُ اللهِ المُنيرُ قُلوبَ جَميعِ الخَلائِقِ

كانَ يُوشِكُ أن يَظهَرَ في الدُّنيا.

10وكانَ في الدُّنيا، وبِهِ تَكوَّنَ العالَمُ،

ولكنّ أهلَ العالَمِ لم يُدرِكوا حَقيقةَ الكَلِمة

عِندَما استحَالَ إلى كَينونةِ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولم يَعرِفوهُ.

11جاءَ إلى شَعبِهِ، إلاّ أنّ شَعبَهُ لم يَحفَلْ بِهِ.

12وأمّا الّذينَ استَجابوا لهُ وآمَنوا بِهِ

فقد مَنَحَهُمُ الحَقَّ في أن يَكونوا عِيالَ اللهِ.

13ولَيسَت هذِهِ البُنُوَّةُ ذاتَ طَبيعةٍ بَشَريّةٍ،

بل إنّ اللهَ هو مَن أسبَغَ عليهِم تِلكَ الصِّفةَ

فجعَلَهُم عِيالَهُ.[1]

14واستحالَ الكَلِمةُ إلى كائنٍ بَشَريٍّ

وعاشَ في الدُّنيا بَينَنا

ورأينا عَظَمةَ شَأنِهِ،

الّتي تَتَناسَبُ مَعَ مَكانَتِهِ بما أنّهُ الابنُ الرُّوحيُّ الفَريدُ للهِ[2] الأبِ الرَّحيمِ،

المُجَسِّدِ لرَحمةِ اللهِ الفائقةِ وفيهِ تَحقيقٌ لوَعدِ اللهِ الحَقِّ وفَضلِهِ.

---

(1) كلمة "عيال" هنا كناية تعبّر عن اختيار الله لهؤلاء الأشخاص ليكونوا من ضمن أمّته، لكن ليس على أساس عنصري أو تناسلي.

(2) إنّ كلمة "الابن الرّوحيّ له" هنا تعريب للمصطلح الذي يُترجم عادة بكلمة "ابنه". ولكن لا علاقة لمعناه مطلقا في لغة الوحي اليونانية بعملية الإنجاب المألوفة. معاذ الله! بل هو لقب مجازي للملك المختار الذي يجب أن يكون من سلالة النبي داود، فهذا اللقب يشير إلى الصلة الحميمة بين الله والسيد المسيح، وعلى هذا الأساس وعلى أساس طاعته لله يمنح المسيح أتباعه الحق ليكونوا من أهل بيت الله. وهذا اللقب يعني أيضا أنّه المسيح المنتظر الذي يحكم المملكة الأبدية التي وعد الله بها عباده الصالحين. وهو كلمة الله التي ألقاها إلى مريم العذراء فأصبحت إنسانًا بقوّة روحه تعالى. وكلمة الله، حسب الإنجيل، هي صفة قائمة في ذاته تعالى. ومن هذا المنطلق نفهم السلطة التي يمتلكها السيد المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ على بيت الله وهي سلطة شبيهة بسلطة الابن البكر عند الناس.

15 وجاءَ النَّبيُّ يَحيى ﷺ مُبَشِّرًا بقُدومِ هذا الرَّسولِ،
مُجاهِرًا في مَنِ اجتَمَعوا حَولَهُ:
"هَذا هو الَّذي أنبأتُكُم بقُدومِهِ،
عِندَما قُلتُ لكُم إنّهُ أعظَمُ مِنّي قَدرًا،
لأنّهُ كانَ مَوجودًا قَبلَ أن أولَدَ".
16 ونحنُ جَميعًا نِلنَا البَرَكاتِ مِن فَيضِ فَضلِهِ
إضافةً إلى ما كُنّا قد نِلناهُ مِن بَرَكاتٍ في القَديمِ.
17 فلئن جاءَ النَّبيُّ موسى ﷺ بالتَّوراةِ،
فإنّ رَحمةَ اللهِ وأمَانتَهُ في تَحقيقِ كُلِّ وُعُودِهِ
قد حَصَلنا عليهِما مِن خِلالِ سَيّدِنا عيسى المَسيحِ سلامُهُ علينا.
18 فما مِن أحَدٍ حَظِيَ برُؤيَةِ اللهِ قَطعًا،
أمّا الابنُ الرُّوحيُّ الفَريدُ لهُ تَعالى،
المُقَرَّبُ للهِ الأبِ الصَّمَد،
فقد جاءَ ليُعرِّفَنا بذاتِهِ تَعالى.

شهادة النبيّ يحيى ﷺ لعيسى سلامُهُ علينا

19 وبَعَثَ قادةُ اليَهودِ في القُدسِ ببَعضِ الأحْبارِ وبَعضِ خُدّام[1] بَيتِ اللهِ إلى النَّبيِّ يَحيى ﷺ ليَسألوهُ مَن يَكونُ. 20 فلم يَتَرَدَّدْ في الإجابةِ، بل شَهِدَ لهُم شَهادةً صَريحةً: "أنا لَستُ المَسيحَ المُنتَظَرَ".[2] 21 فتابَعوا سائلينَ: "فمَن تَكونُ إذن؟! أأنتَ النَّبيُّ

(1) وهم اللاّويون، أو رجال الدين المنحدرون من سلالة لاوي بن يعقوب ﷺ، الذين خصّهم الله بقيادة العبادة في الحرم الشريف وبخدمة الأحبار وضبط النظام في الحرم.

(2) "المسيح" وهو لقب يعني (الممسوح بالزيت) ويعني أيضًا (المختار). فقد كان الناس في زمن بني يعقوب يسكبون الزيت على رأس الرجل الذي كان مختارًا لخدمة الله ولخدمة أمّة بني يعقوب (بني إسرائيل). وعلى سبيل المثال كان الأحبارُ والملوك يُدهنون بالزّيت، وأيضا الأنبياء أحيانا. وورد في التوراة كما في كتب الأنبياء أنّ من يُدعى بالمسيح هو من يكون في الغالب الملك المختار من =

إلياسُ وقد عادَ مِن غَيبتِهِ؟"(1) فأجابَهُم نافيًا ذلِكَ. ثُمَّ أضافوا: "أفأنتَ ذاكَ النّبيُّ الّذي وَعَدَ بِهِ موسى؟"(2) فأجابَهُم نافِيًا، 22 لكنّهُم ألَحّوا في السُّؤالِ قائلينَ: "قُل لنا مَن أنتَ حتّى نُجيبَ مَن أرسَلونا. ماذا تَقولُ عَن نَفسِكَ؟" 23 فأجابَهُم: "أنا مَن تَحدَّثَ عَنهُ النّبيُّ أَشَعيا بقولِهِ: صَوتُ مُنادٍ في البَرارِي: مَهِّدُوا الطَّريقَ أمامَ مَولاكُم".(3) 24 ثُمَّ سألَهُ بَعضُ المُتَشَدِّدينَ(4) مِمَّن كانوا مِن بَينِ المَبعوثِينَ: 25 "إن لم تَكُنِ المَسيحَ المُنتَظَرَ، ولا النّبيَّ إلياس، ولا حتّى النّبيَّ الّذي وَعَدَ بِهِ سَيِّدُنا موسى، فبأيِّ حقٍّ تَدعُو النَّاسَ إلى التَّطَهُّرِ بالماءِ؟!"(5) 26 فأجابَهُم: "ها أنتُم تَرونَني أُطَهِّرُ النّاسَ بالماءِ، لكِن هُناكَ بَينَكُم

= سلالة النبي داود عليه السلام. وجاء واضحًا في عدد من الأناشيد في الزبور (أو المزامير) حول ملك بني يعقوب أنه بصفته مختارا من الله أو "الابن الروحي لله"، سيكون مسؤولا عن إقامة عدالة الله وسلامه على الأرض. وهذا يعني إنصاف المقهورين والمظلومين، وخاصة الفقراء منهم. ولقد وعد الله النبي داود الملك أن يكون الملك من سلالته دائمًا. وكانت نهاية مملكة النبي داود وسلالته بتدمير مدينة القدس في عام 586 ق.م. وقد توقّع بنو يعقوب أن يستمرّ الله في وعده لهم بحفظ المملكة لسلالة داود من خلال جعل المسيح، وهو في نظرهم حفيد النبي داود، ملكا يقيم العدالة على الأرض إلى الأبد.

(1) والنبي إلياس عليه السلام الذي عاش أكثر من 800 سنة ق.م. لم يمت بل رفعته إلى السماء زوبعة. وكان يعتبر نبيًا غائبًا سيعود من غيبته قبل ظهور المسيح المنتظر، وذلك بناءً على نبوءة أنبأ عنها النبي ملاكي عليه السلام.

(2) تحدّث النبي موسى عليه السلام في إحدى النبوءات عن نبي آتٍ من سلالة بني يعقوب سوف يتحدّث مثله بكلام الله (التوراة، سفر التثنية 18: 15-18). وكان اليهود منذ القدم يعتقدون أنّ ذلك إشارة لشخصٍ آتٍ قُبيل قيام الساعة. ولكنّ السامريين كانوا يعتقدون بأنّ هذا النبي هو نفسه المسيح المنتظر.

(3) كان النبي أشعيا عليه السلام يدعو الناس ليهيِّئوا قلوبهم للعودة إلى الله، مقارنًا ذلك بما يفعله القرويُّون عندما يُهيِّئون الطريق لقدوم ملك كبير عليهم.

(4) كان المتشدِّدون (أي الفريسيون) جماعة من اليهود. ومعناها بالعبرية "المنفصلون" وكانوا يريدون تجديد الدين اليهودي وحمايته من خلال دفْع جميع أفراد الشعب اليهودي - وعلى نحو صارم- إلى اتّباع تقاليدَ استندت على شرائع التوراة خاصّة القوانين التي تتعلّق بيوم السّبت، والصيام، والتطهّر من الطعام النجس. وكانوا يتشدّدون في ممارسة هذه التقاليد وبذلك يتميّزون عن بقية القوم. وقد اتّهمهم السيد المسيح عليه السلام أنّ التزامهم بهذه الشرائع التي استنبطوها من التوراة جعلهم يزيغون عن مقاصد شرع الله (انظر مرقس 7: 1-13).

(5) كان النبي يحيى عليه السلام يدعو اليهود إلى التطهّر بالماء كما يتطهّر الوثنيّون عند دخولهم في الديانة اليهودية، وهذا اتّهام ضمني بأنهم -أي اليهود آنذاك- لا يطبّقون تعاليم دينهم لذا عليهم الابتداء من جديد والرجوع إلى الله. وكان هذا بمثابة صدمة كبيرة لليهود.

مَن لا تَعرفونَهُ، [27] الآتي مِن بَعدي والّذي سيَكونُ لهُ شأنٌ عَظيمٌ حتّى إنّني لا أستَحِقُّ أن أكونَ عَبدَهُ وأفُكَّ رِباطَ حِذائِهِ". [(1)] [28] جَرَى كُلُّ هذا في قَريةِ بَيتِ عَنْيا في شَرقِ نَهرِ الأُردُنّ[(2)] حيثُ كانَ يَحيى عليه السلام يُطَهِّرُ النّاسَ في ماءِ ذلِكَ النَّهر.

عيسى سلامه علينا يحمل الفداء

[29] وفي اليَومِ التّالي رأى النَّبيُّ يَحيى عليه السلام سَيِّدَنا عيسى سلامه علينا مُقبِلاً عليهِ فقالَ لِمَن حَولَهُ: "اُنظُروا، هوذا الذِّبحُ العَظيمُ المُرسَلُ مِن اللهِ ليُزيلَ عن البَشَرِ ذُنوبَهُم، [30] هوذا مَن حَدَّثتُكم عَنهُ عِندَما قلتُ: يَجيءُ مِن بَعدِي مَن هو أرفَعُ مِنّي شأنًا، فهو المَوجودُ قَبلي، [(3)] [31] وإنّني لم أكُن أعرِفُ مَن سيَكونُ، ولكنَّ اللهَ أرسَلَني لِتَطهيرِ النّاسِ بالماءِ في انتِظارِ أن يَكشِفَ هويّتَهُ لي، حتّى أكشِفَها لِبَني يَعقوبَ". [(4)]

[32] وتابَعَ النَّبيُّ يَحيى عليه السلام شَهادتَهُ قائلاً: "رأيتُ هُبوطَ رُوحِ اللهِ مِنَ السّماءِ كحَمامةٍ لتَستقِرَّ على عِيسَى سلامه علينا، [33] ولم أكُن أدري أنّ هذا الشَّخصَ هو المَسيحُ المُنقِذُ، إلاّ أنّ اللهَ الّذي أرسَلَني لِتَطهيرِ النّاسِ بالماءِ أوحَى إليّ: "عِندَما تَرى رُوحَ اللهِ تَنزِلُ على شَخصٍ وتَحِلُّ فيهِ، فاعلَم أنّهُ مَن سيُطَهِّرُ النّاسِ بِرُوحي المُقَدَّسة". [34] وقد تَحقّقتُ مِن ذلِكَ بنَفسي، لذا أشهَدُ أنّهُ صَفيّ اللهِ". [(5)]

---

(1) كانت مُهمّة ربط الحذاء وغسل القدمَين من عمل العبيد. وكان العبد يحظى بشرف خدمة سيده خاصّة إذا كان سيده ذا شأن مرموق في المجتمع، وهنا يعترف النبي يحيى أنّه لا يستحقّ شرف خدمة السيد المسيح.

(2) وقرية بيت عنيا تلك ليست بقرية بيت عنيا التي على سفح جبل الزيتون، والتي عاش فيها لعازر ومرثا ومريم أتباع سيدنا عيسى سلامه علينا.

(3) كانت هناك علاقة قربى بين النبي يحيى عليه السلام وسيدنا عيسى سلامه علينا. ولأن يحيى كان يكبر عيسى بستّة أشهر، فهذا كان يعني أنّه أرفع منه قدرًا في نظر الناس. إلاّ أنّ النبي يحيى يشير هنا إلى أنّ سيدنا عيسى يستحقّ أن يكون أرفع شأنًا منه لأنّه كلمة الله الأزلية الموجودة قبل ولادة النبي يحيى.

(4) تقبّلُ الناس التطهّر على يد النبي يحيى دليلٌ على أنّهم مستعدّون للإيمان بالمسيح المنتظر الآتي من بعده. وعليهم أن يتوبوا عن خطاياهم وذنوبهم كشرط للتطهّر بالماء.

(5) أشارت بعض المخطوطات القديمة إلى معنى صفيّ الله، بينما أشارت نصوص أخرى إلى المصطلح الذي تُرجم تاريخيًا بمصطلح "ابن الله"، ولكن يبدو أنّ القراءة الأصلية تشير إلى أنّه صفيّ الله.

أتباعه عليه السلام الأوّلون

[35]وفي اليومِ الثّاني كانَ النّبيُّ يَحيى عليه السلام واقِفًا في المَكانَ ذاتِهِ مَعَ اثنينِ مِن أتباعِهِ، [36]فرأى سَيِّدَنا عيسى عليه السلام مارًّا فقالَ: "انظرُوا! هذا هو الذِّبحُ العَظيم!" [37]فسَمِعَ تابِعاهُ كَلامَهُ وسارا خَلفَ عِيسَى عليه السلام، [38]والتفتَ سَيِّدُنا عِيسَى عليه السلام ورآهُما يَقتفِيانِ أثرَهُ فسألَهُما: "ما خَطبُكُما؟" فأجاباهُ: "يا سَيِّدَنا، أخبِرنا أينَ تُقيمُ؟" [39]فأجابَهُما قائلاً: "تَعاليا وانظُرا". وهكذا فَعَلا، فعَرَفا مَكانَ إقامتِهِ عليه السلام، وقد كانَ الوَقتُ نَحوَ الرّابعةِ عَصرًا، وبَقِيا مَعَهُ في ذلِكَ اليوم. [40]وكانَ أَندَراوس (وهو أخُ سمْعانَ بُطرس) أحَدَ التّابعَيْنِ اللّذَينِ كانا قد سَمِعا ما أخبَرَ بِهِ النَّبيُّ يَحيى عليه السلام، وتَبِعا سَيِّدَنا عِيسَى عليه السلام. [41]وراحَ أَندَراوس إلى أخيهِ بُطرُس ليُخبِرَهُ قائلاً: "لقد تَعرَّفنا على المَسيحِ مُنقذِ قَومِنا!" [42]وأخَذَهُ إليهِ. وعِندَما وَصَلا إليهِ حَدَّقَ إلى بُطرُسَ وقالَ لهُ: "اسمُكَ سَمعانُ بنُ يوحَنّا، إلاّ أنّني سأدعُوكَ بُطرُسَ (أي صَخر)". (1)

[43]وعَزَمَ سَيّدُنا عِيسَى عليه السلام في اليومِ التّالي على الذَّهابِ إلى مِنطقةِ الجَليل، فصادَفَ شَخصًا اسمُهُ فِيلِيبُ، فقالَ لهُ: "تعالَ وكُن مِن أتباعي". [44]وقد كانَ فيليبُ هذا مِن قَريةِ بَيتِ صَيدا، وهي قَريَةُ أندراوسَ وبُطرُسَ الصَّخر أيضًا. [45]ومَضى فِيلِيبُ فوَجَدَ نَثْنائِيل فأخبَرَهُ قائلاً: "قد تَعرَّفنا بالمَسيحِ المُنتظَرِ الّذي أخبَرَ عَنهُ النَّبيُّ موسى في التّوراةِ، وكذلِكَ الأنبياءُ في كُتُبِهِم، إنّهُ عِيسَى بنُ يوسف مِن قَريةِ النّاصرة(2). [46]فقالَ نَثْنائِيل: "أتَقولُ مِن النّاصرة؟! وهل مِن شَيءٍ صالحٍ يأتي مِن النّاصرة؟" فأجابَهُ فِيلِيبُ: "تَعالَ وانظُر". [47]وعِندَما أقبلا على سَيِّدِنا عِيسَى عليه السلام، نَظَرَ إليهِ وقالَ: "حقًّا، هذا رَجُلٌ مِن بَني يَعقوبَ صادقٌ غيرُ مُخادِع". [48]فقالَ نَثْنائِيل: "وكَيفَ عَرَفتَني؟!" فأجابَهُ عليه السلام: "قد رَأيتُكَ جالسًا تَحتَ شَجَرةِ التِّينِ قَبلَ أن يَدعُوكَ فِيلِيبُ". [49]فقالَ نَثنائيلُ: "أيا مَولانا، إنَّكَ حقًّا الابنُ الرُّوحيُّ للهِ، أنتَ المَلِكُ الّذي يَنتَظِرُهُ بَنو يَعقوبَ!" [50]فأجابَهُ عليه السلام: "هل آمنتَ بي لِمُجَرّدِ أن أخبَرتُكَ أنّني رأيتُكَ تَحتَ شَجَرةِ التّينِ؟ سَوف تَشهَدُ ما هو أعظَمُ مِن ذلِكَ وأبهَى!

(1) هذا اللّقب هو "بطرس" باللغة اليونانية و"صفا" باللغة الآرامية ومعناه "صخر".

(2) كانت هوية المولود الشرعية في الشرق تعتمد على الأب (وليس على الأم). وهذا دلالة على أنّ يوسف كان وليّ أمر سيدنا عيسى عليه السلام.

51الحقَّ أقولُ لكُم، سترَونَ السَّماءَ في رُؤيا وقد انشقَّت ومَلائكةَ اللهِ صاعدةٌ هابِطةٌ على سَيِّدِ البَشَر" . (1)

٢
الفصل الثّاني

العرس ومعجزة في بلدة قانا

1وفي اليومِ الثّالثِ بَعدَ اللِّقاءِ الأوّلِ لسَيِّدِنا عِيسَى بحَوارِيِّيهِ، أُقِيم عُرسٌ في بَلدةِ قانا في الجَليلِ، وكانَت مَريمُ أُمُّ عِيسَى (عليها السلام) هُناكَ، 2وسَيِّدُنا عِيسَى سلامُه علينا وأتباعُهُ أيضًا مِن بَينِ المَدعوِّينَ. 3وقد نَفِدَ الشَّرابُ خِلالَ الاحتِفالاتِ فقالَت مَريمُ (عليها السلام) لسَيِّدِنا عيسى: "نَفِدَ الشَّرابُ عِندَ أهلِ العُرس". (2) 4فأجابَها بقَولِهِ: "أيا أُمّاه، لِمَ تُريدينَ مِنّي أن أتَدخَّلَ؟ لم يَحِنِ الوَقتُ المُناسِبُ لي بَعدُ!" 5إلاّ أنّها أدرَكَت أنّهُ سيُلبّي ولا شَكَّ طَلَبَها فأمَرَت الخَدَمَ قائلةً: "اعمَلوا ما يُشيرُ بِهِ عليكُم". 6وكانَت هُناكَ سِتُّ جِرارٍ حَجَريّةٍ سِعَةُ كُلِّ واحدةٍ مِنها ما بَينَ مِكيالَيْنِ أو ثلاثةٍ مِن الماءِ، (3) اعتادَ اليَهودُ التَّطَهُّرَ بها حَسَبَ شَريعتِهِم، 7فتَوَجَّهَ سَيِّدُنا عيسى سلامُه علينا إلى الخَدَمِ بقَولِهِ: "اِملَؤوا الجِرارَ بالماءِ" ففَعَلوا حتّى فاضَت. 8ثُمّ تابَعَ قائلاً: "اغرِفوا مِنها وقَدِّموا للمَسؤولِ عَنِ الوَليمةِ". فقَدَّموها لهُ وقد تَحَوَّلَت شَرابًا. 9فلَمّا تَذَوَّقَهُ، وهو يَجهَلُ

---

(1) يشير سيدنا عيسى هنا سلامُه علينا إلى رؤيا للنبي يعقوب عليه السلام رأى فيها سلّمًا يصل السماء بالأرض والملائكة صاعدين هابطين عليه. (التوراة، سفر التكوين 28: 12). لقب "سيد البشر" هو اللّقب المفضّل الذي كان سيدنا عيسى يحبّ إطلاقه على نفسه. ولمزيد من المعلومات حول هذا اللقب، انظر فهرس المصطلحات في نهاية هذا الكتاب.

(2) كان نقص الشراب في احتفال العرس عيبا كبيرا. فإذا نفد الشراب ليلة العرس أو لم يكن هناك فائض منه يوزّع على الحاضرين على مدى سبعة أيام كما كان شائعًا، أصبح صاحب العرس محلّ سخرية القوم لسنوات. ولقد كان سكن النساء أثناء الحفل بجانب مكان تخزين الشراب، لذلك علمت مريم (عليها السلام) بنقص الشراب قبل وصول سيدنا عيسى سلامُه علينا مع بقيّة الرجال. وكلماتها هنا تشير إلى أنّ على سيدنا عيسى تقديم شيء، إذ كان من العُرف أن يقدّم أصدقاء العريس هداياهم لمساعدته في تغطية تكاليف العرس. والعريس هنا بحاجة إلى مزيد من الهدايا للنقص الحاصل في كميّة الشراب.

(3) أيّ ما يعادل تقريبا ثمانين إلى مئة وعشرين لترًا.

مَصدرَهُ، تَحيَّرَ في الأمرِ، إلاّ أنّ الخَدَمَ أدركوا سِرَّهُ. [10]فنادى مَسؤولُ الوَليمةِ العَريسَ وقالَ لهُ: "كُلُّ النّاسِ يُقدِّمُونَ جيِّدَ الشَّرابِ أوّلاً ثُمّ ما دونَهُ جودةً بَعدَ أن يَكونَ قد أخَذَ مِنَ الحاضِرينَ مأخَذَهُ. أمّا أنتَ فقد خَبّأتَ الشَّرابَ الجَيّدَ إلى الآن". (1) [11]وقد كانَت تِلكَ المُعجِزةُ في قَريةِ قانا أُولى مُعجِزاتِ سَيِّدِنا عيسى عليه السلام الّتي أظهَرَتْ مَقامَهُ الرَّفيعَ عِندَ اللهِ، فآمَنَ أتباعُهُ بأنّهُ المَسيحُ المُنتَظَرُ. [12]ثُمّ تَوجَّهَ عيسى عليه السلام بَعدَ العُرسِ إلى قَريةِ كَفْرَناحوم برِفقَةِ مَريمَ وإخوتِهِ وأتباعِهِ، وفيها أقامُوا أيّامًا قليلةً.

عيسى عليه السلام يطرد التّجار من حرم بيت الله

[13]ثُمَّ مَعَ اقتِرابِ عِيدِ الفِصْحِ اليَهوديّ صَعِدَ إلى المَدينةِ المُقدَّسةِ، وتَوَجَّهَ إلى حَرَمِ بَيتِ اللهِ. [14]وهُناكَ وَجَدَ بَعضَ النّاسِ يَعرِضونَ البَقَرَ والغَنَمَ والحَمامَ للبَيعِ بغَرَضِ تَقديمِها ذَبائحَ وقَرابين، وقد جَلَسَ آخَرُونَ لتَصريفِ العُملاتِ. (2) [15]فما كانَ مِنهُ عليه السلام إلاّ أن صَنَعَ سَوطًا مِنَ الحِبالِ وطَرَدَهُم ومَواشيَهُم مِنَ الحَرَمِ الشَّريفِ، ثُمَّ بَعثَرَ نُقُودَ الصَّيارِفةِ وقَلَبَ مَناضِدَهُم، [16]وذَهَبَ إلى تُجّارِ الحَمامِ وقالَ لهُم: "غادِروا هذا المَكانَ مَعَ طيُورِكم! أهكذا تُحَوِّلونَ بَيتَ اللهِ أبي الصَّمَدِ إلى سُوقٍ؟!" [17]هُنا تَذَكَّرَ أتباعُهُ ما وَرَدَ في الزَّبُور: "الغَيرةُ على بَيتِكَ يا اللهُ تَشتَعِلُ في قَلبي مِثلَ نارٍ". [18]فقالَ لهُ رُؤساءُ اليَهودِ: "هلاّ تُظهِرْ لنا مُعجِزةً تُثبِتُ مِن خِلالِها بأنّ لَديكَ السُّلطةَ مِن

---

(1) لم يكن تخمير عصير العنب، في ذلك الوقت، يجعل عصير العنب المخمّر مسكرا إلى الدرجة التي هو عليها اليوم، حيث نسبة الكحول فيه كبيرة. ففي ذلك الوقت، كانت نسبة الكحول في عصير العنب المخمّر ضئيلة (نظرًا لعدم وجود الطرق الاصطناعية في التخمير). هذا إضافةً إلى أنّ عصير العنب المخمّر كان يُخلط بكميّة كبيرة من الماء التي تزيد من تقليل نسبة الكحول فيه. وهذا يعني أنّ من يتناول ذلك الشراب لا يَسكر، إلاّ بعد شرب كميّة كبيرة منه. وكان العُرف يقتضي تقديم الشراب الجيّد في بداية تلك الأيّام والأقل جودةً في نهايتها حتّى لا يستطيع أحد التمييز بين الصنفين.

(2) كانت تُقدّم قطعان البقر والغنم وأزواج الحمام أضحيات في حرم بيت الله. وكان من المفترض أن تكون موجودة في ذلك المكان عوض أن يأتي بها القادمون من مكانٍ بعيد معهم. وكان مكان تجّار المواشي يقع فيما مضى خارج الحرم على منحدر جبل الزيتون. إلاّ أنّهم انتقلوا فيما بعد إلى الحرم خدمةً للقادمين لتقديم الأضحيات. وأمّا الصيارفة، فكان عملهم منحصرًا في تبديل العملات الرومانية واليونانية بالعملات اليهودية، وذلك لوجود رسوم وجوه على تلك العملات، فقد كان محرّمًا تقديمها كصدقة في الحرم الشريف لأنّها ترمز إلى الوثنية.

اللهِ على فِعلِ ما فَعلتَ!" [19]فأجابَهُم ﷺ: قُوموا بهدم هذا الهَيكلِ فَأعِيدُ بِناءَهُ في ثَلاثةِ أيّام". [20]فرَدّوا عليهِ بقولِهِم: "لقد شُيِّدَ هذا البِناءُ في سِتّةٍ وأربعينَ عامًا، فكَيفَ تُعيدُ بِناءَهُ أنتَ في ثَلاثةِ أيّام؟" [21]إلاّ أنّ سَيِّدَنا عِيسَى ﷺ كانَ يَعني بالهَيكلِ جَسَدَهُ، وبإعادةِ البِناءِ انبِعاثَهُ مِنَ الموتِ. [22]وفيما بَعدَ، عِندَما انبَعَثَ ﷺ مِن موتِهِ ورُفِعَ، تَذَكَّرَ أتباعُهُ ما قالَهُ عن الهَيكلِ، فازدادوا إيمانًا بكِتابِ اللهِ وبتَعاليمِ سَيِّدِنا عيسى ﷺ.

[23]وفي القُدسِ، أثناءَ عِيدِ الفِصحِ، آمَنَ الكَثيرُ مِمَّن شَهِدوا مُعجزاتِهِ، بأنّهُ المَسيحُ المُنتَظَرُ. [24]إلاّ أنّهُ لم يَكُن آمِنًا على نفسِهِ مَعَهُم، لأنّهُ كانَ يَعرِفُهُم جَميعًا وما يُضمِرونَ، [25]فهو لم يَكُن بحاجةٍ إلى مَن يُطلِعُهُ على دَخيلةِ الإنسانِ.

٣
الفصل الثّالث

نِقوديموس

[1-2]وذاتَ يوم، جاءَ رَجُلٌ مِن قادةِ اليَهودِ إلى سَيِّدِنا عيسى ﷺ تَحتَ جُنحِ اللّيلِ، وقد كانَ يَنتمي إلى طائفةِ المُتشدِّدينَ، واسمُهُ نِقوديموسُ فقالَ لهُ: "أيُّها المُعلِّم، نَحنُ نَعلَمُ أنّ اللهَ أرسَلَكَ إلينا مُرشِدًا، إذ لَيسَ بمَقدورِ أحدٍ القيامُ بتِلكَ المُعجزاتِ الّتي تَقومُ بها إن لم يَكُن مؤيَّدًا مِن عِندِ اللهِ". [3]فأجابَهُ قائلاً: "الحَقَّ الحقَّ أقولُ لكَ، إن لم يُعَد خَلقُ الإنسانِ مِن جَديدٍ، فلن يَكونَ بمَقدورِهِ رؤيةُ المَملكةِ الرَّبّانيّة".(1) [4]فقالَ نِقوديموسُ بدَهشةٍ: "وكَيفَ يولَدُ الإنسانُ مِن جَديدٍ بَعدَ أن بَلغَ مِنَ العُمرِ عِتيًّا؟ أيَكونُ بمَقدورِهِ العَودةُ إلى بَطنِ أُمِّهِ ليُخلَقَ ثانيةً؟" [5]فرَدَّ عليهِ

(1) أثاب الله تعالى النبي داود عليه السلام على طاعته ووعَدَه بأن يكون الحاكمُ على بني يعقوب من ذريّته دائمًا. وقد كانت نهاية مملكة داود وعقبه عند خراب القدس في العام 586 ق.م. إلاّ أن بعض الناس كانوا يأملون أن تستعيد سلالة داود تلك المملكة. وقد بيّن الله عزّ وجلّ للنبي دانيال عليه السلام بأنّه سيأتي يوم يتمّ فيه تأسيسُ تلك المملكة التي سوف تضمّ جميع البشر وتملأ الأرض. إلاّ أنّ اليهود كان لهم فهْمٌ قومي متعصّب لعبارة "مملكة الله"، لذلك وضّح السيد المسيح ضمن تعاليمه للناس أنّ اهتمام الله شامل جميع البشر على الأرض، لا قومًا منهم مخصوصين.

عِيسَى ﷺ بقَولِهِ: "أقولُ لكَ الحقَّ اليَقينَ، إن لم يُخلَقِ الإنسانُ مِنَ الماءِ ومِن رُوحِ اللهِ، فلن يَكون باستِطاعتِهِ الدُّخولُ إلى مَملكتِهِ الّتي وُعِدَ بها.(1) 6فالإنسانُ يَملِكُ طَبيعتَهُ البَشَريّةَ بالوِلادةِ مِن أُمٍّ وأبٍ، ولكن لا يَكونُ باستِطاعتِهِ تَجديدُ رُوحِهِ إلاّ بنَفحةٍ مِن رُوحِ اللهِ. 7ولا تَستغرِبُنَّ قولي هذا، فعلى أرواحِكُم أن تَتجدّدَ، 8فكَما أنّكَ عِندَ سَماعِكَ صَوتَ الرِّياحِ لا تَدرِي مِن أيِّ جِهة تَهُبُّ ولا أيّ جِهة تَذهَبُ، كذلِكَ لَيسَ باستِطاعتِكَ تَفسيرُ كَيفَ خُلقَ مِن جَديدٍ هؤلاء الّذينَ سَرَتْ داخلهُم نَفَحاتٌ مِن رُوحِ اللهِ".

9فقالَ نِقوديموسُ: "فكَيفَ يُمكِنُ لهذِهِ الأُمورِ أن تَحدُثَ للإنسانِ؟" 10فأجابَهُ ﷺ: "أنتَ مِن بَينِ مُرشِدي بَني يَعقوبَ، فكَيفَ تَجهَلُ هذِهِ الأُمورَ؟ 11إنّها لكَلِمةُ حقٍّ أقولُها لكَ: إنّنا نَتكَلّمُ بما عَلِمنا، ونَشهَدُ بما رأينا، ولكنّكُم تَرفُضونَ مِنّا البَلاغَ المُبينَ. 12فإن كُنتُ قد حَدَّثتُكم في أُمورِ الدُّنيا ولم تُعيروا كَلامي اهتمامًا، فكَيفَ تُصدِّقونني إذا ما حَدَّثتُكُم في أُمور السّماءِ؟! 13فما صَعِدَ أحَدٌ إلى السَّماءِ فيُخبِرَ عنها، ولكنّ سَيِّدَ البَشَر أتى مِن السَّماءِ، وهو الّذي يَستَطيعُ أن يُحَدِّثَكُم عنها.

14فكَما رَفَعَ النّبيُّ موسى الحيّةَ في الصَّحراءِ على خَشَبةٍ،(2) كذلِكَ لا بُدَّ أن يُرفَعَ سَيِّدُ البَشَرِ على خَشَبةٍ، 15حتّى يَنالَ كُلُّ مَن يؤمِنُ بِهِ نَصيبَهُ في جَنّة الخُلدِ. 16لقد أحَبَّ اللهُ كُلَّ البَشَر حتّى إنّهُ ضَحّى بالابنِ الرُّوحيِّ الفَريدِ لهُ تَعالى فِداءً لهُم، فلا خَوفَ على المؤمنينَ بِهِ مِن الهَلاكِ، لأنّ مَصيرَهُم دارُ الخُلدِ. 17ولم يُرسِلِ اللهُ الابنَ

---

(1) كان على الوثنيين المقبلين على الدين اليهودي التطهّر بالماء وهذا بسبب رجس الوثنية. إذ كان المتطهِّر منهم يعتبر كأنّه خُلق من جديد. ولقد عنى، هنا، سيدنا عيسى ﷺ ما قاله النبي يحيى عليه السلام من أنّ على هؤلاء اليهود أن يتوبوا توبة نصوحًا ويعملوا الصالحات، وألاّ يظنوا أنّهم صالحون لمجرّد كونهم من ذريّة النبي إبراهيم عليه السلام، ولا يتوهّموا أنّ التوبة لا تجب عليهم حتّى يكونوا من أمّة الله. من هنا، يمكن القول إنّ ما قصد إليه سيدنا عيسى ﷺ هو الولادة الروحية عن طريق التوبة، لا الولادة الجسدية.

(2) بعد أن أظهر اليهود تذمّرهم مِنَ النبي موسى عليه السلام وربِّه في صحراء سيناء، أرسل الله عليهم أفاعي سامّةً عقابًا لهم على جحودهم. فذهبوا إلى موسى عليه السلام يطلبون منه التخلّص من الأفاعي، وبعد طلب المغفرة من الله، أوحى إليه الله أن يصنع حيّة من النحاس، ثم يرفعَها على خشبة. فيأتي كلُّ مَنْ لدغته أفْعًى، فيشْخص ببصره إلى حيّة النحاس، فيُشْفَى.

الرُّوحيَّ لهُ تَعالى إلى النّاسِ إلاّ مُنقِذًا ولم يُرسِلهُ رَقيبًا مُعاقِبًا، [18]فمَن يؤمِنُ بِهِ لهُ النّجاةُ مِن عِقابِ اللهِ، أمّا مَن يَجحَدُ بِهِ فقد قَضى أمرُ الله بعِقابِهِ، لأنّهُ رَفضَ الابنَ الرُّوحيَّ الفَريدَ لهُ تَعالى.

[19]وهذا هو حُكمُ اللهِ: أشرَقَ نورُ اللهِ على الدُّنيا، إلاّ أنّ أهلَ الدُّنيا مَيّالونَ إلى الشَّيطانِ بأعمالِهِم، ومُعرِضونَ عن نورِ اللهِ. إنّهُم يَكرَهُونَ النُّورَ ويَكرَهونَ الخُروجَ مِن الظَّلامِ إليهِ، [20]وذلِكَ لأنّ أعمالَهُم آثمةٌ وهُم يَخشَونَ أن يَكشِفَها النّورُ فيَحُلَّ عليهِم غَضَبٌ مِن اللهِ. [21]وأمّا مَن يَسلُكُ سُبُلَ الحقِّ، فإنّهُ يَنجذِبُ إلى النّورِ تِلقائيًا، ويَعلَمُ الجَميعُ أنّهُ إنّما يَعيشُ بطاعةِ اللهِ".

شهادة النّبيّ يحيى لعيسى عليه السلام

[22]ثُمَّ تَوَجَّهَ سَيِّدُنا عيسى عليه السلام مَعَ أتباعِهِ إلى مِنطقةِ يَهوذا،(1) وأقامَ هُناكَ، ثُمَّ أخَذَ يُطَهِّرُ النّاسَ بالماءِ، [23]كَما كانَ النّبيُّ يَحيى عليه السلام يَفعَلُ في مِنطقةِ عَينِ نُونٍ بالقُربِ مِن ساليمَ، لأنّ المياهَ هُناكَ وافرةٌ، فكانَ النّاسُ يَرتادونَ تِلكَ المِنطقةَ ليُطَهِّرَهُم يَحيى عليه السلام ، [24]قَبلَ أن يُلقى في السِّجنِ. [25]وتَجادَلَ أتباعُ يَحيى عليه السلام مَعَ أحَدِ اليَهودِ في شأنِ التَّطَهُّرِ بالماءِ، [26]فجاؤوا إلى النَّبيِّ يَحيى قائلينَ: "يا سَيِّدَنا، إنّ ذاكَ الّذي كانَ مَعَكَ على الضِّفّةِ الشّرقيَّةِ مِن نَهرِ الأُردُنّ وشَهِدتَ لهُ بأنّهُ المُنقِذُ المُنتَظَر، قد أصبَحَ مِثلكَ يُطَهِّرُ النّاسَ بالماءِ، وأخَذَ الجَميعُ يَتوجّهونَ إليهِ دونَكَ!" [27]فأجابَهُم يَحيى عليه السلام بقولِهِ: "لَيسَ للإنسانِ أن يأخُذَ أيّ امتيازٍ إلاّ إذا وَهَبَهُ اللهُ إيّاهُ. [28]فإنّكُم لتَشهَدونَ لقَولي الصَّريحِ إنّني لَستُ المَسيحَ المُنتَظَرَ، وإنّما أنا رَسولٌ يُمَهِّدُ لهُ الطَّريقَ، [29]فالعَروسُ للعَريسِ، والمؤمنُونَ بالمَسيحِ المُنتظَرِ هم للمَسيحِ المُنتَظَرِ، وما أنا إلاّ في مَقامِ صَديقِ العَريسِ. والصَّديقُ يَفرَحُ بصَديقِهِ إذ يَراهُ ويَسمَعُهُ، وإنّي لأفرَحُ وأنا أشهَدُهُ يَجمَعُ أتباعَهُ حَولَهُ، [30]فلا بُدَّ أن يَلمَعَ نَجمُهُ ويَخبوَ نَجمي بانتهاءِ مُهِمَّتي".

[31]"إنّ عِيسَى قادمٌ مِن السَّماءِ وهو العَليُّ على النّاسِ أجمَعينَ. أمّا أنا فأرضيٌّ وإدراكي مَحدودٌ بالأرضِ، فالقادمُ مِن السّماءِ أرفعُ شأنًا مِن كُلِّ النّاسِ. [32]وهو يَشهَدُ بما رأى في السَّماءِ وسَمِعَ، ولكن ما أقلَّ الّذينَ يَتقَبّلونَ رِسالتَهِ! [33]فأمّا الّذينَ يَتَقبّلونَها

(1) وهي منطقة في وسط فلسطين تحيط بالقدس.

فَيَشهَدونَ بأنّ اللهَ حقٌّ. [34]ولقد أرسَلَ اللهُ المَسيحَ ليَتَحدَّثَ بكلامِهِ تَعالى، فهو الّذي غَمَرَهُ اللهُ بفَيضٍ مِن رُوحِهِ تَعالى بلا حُدودٍ. [35]ولأنّ اللهَ الأبَ الرَّحيمَ يُحِبُّ الابنَ الرُّوحيَّ لهُ تَعالى، فقد جَعَلَ كُلَّ شيءٍ تَحتَ سُلطتِهِ. [36]ومَن يؤمِنْ بالمَسيحِ الابنِ الرُّوحيِّ للهِ يَحظَى بحياةِ الخُلودِ، أمّا مَن يَجحَدْ ذلِكَ، فلَيسَ لهُ في دارِ الخُلدِ مِن نَصيبٍ بل هو مَحطُّ غَضَبِ اللهِ وسُخطِهِ".

٤
الفصل الرّابع

عيسى عليه السلام والمرأة السّامرية

[1]وسَمِعَت طائفةُ المُتَشَدِّدينَ بأنّ سَيِّدَنا عيسى عليه السلام يَجذِبُ إليهِ عَدَدًا أكبَرَ مِن أتباعِ يَحيى ويُطَهِّرُهُم بالماءِ، [2]رَغمَ أنّ أصحابَ عيسى عليه السلام هُم مَن كانوا يَقومونَ بالتَّطهيرِ نِيابةً عَنهُ. [3]فعَلِمَ سَيِّدُنا عيسى عليه السلام بأنّ المُتَشَدِّدينَ اكتشفوا ذلِكَ، وغادَرَ مِنطَقةَ يَهوذا صُحبَةَ أتباعِهِ راجِعًا إلى الجَليلِ، [4]مارًّا في طَريقِ عَودتِهِ بمِنطَقةِ السّامِرةِ، [5]إلى أن تَوَقَّفَ في بَلدةٍ سامِريّةٍ تُدعَى سُوكار. وتَقَعُ هذِهِ البَلدةُ بالقُربِ مِن قِطعةِ الأرضِ الّتي فيها بِئرُ النَّبيِّ يَعقوبَ عليه السلام، والّتي وَهَبَها لابنِهِ يوسفَ عليه السلام. [6–9]وإذ كانَ سَيِّدُنا عيسى عليه السلام قد أنهكَهُ السَّفرُ، جَلَسَ وَحدَهُ عِندَ تِلكَ البِئرِ بَعدَ أن ذَهَبَ أتباعُهُ لابتياعِ الطَّعامِ، وكانَ الوقتُ مُنتَصَفَ النّهارِ. حِينئذٍ وَرَدَتْ على البِئرِ امرأةٌ سامِريّةٌ مِن أجلِ الماءِ، فطَلَبَ مِنها سِقايتَهُ، فأخَذَتِ المَرأةَ الدَّهشةُ لأنّ مِن شأنِ اليَهودِ أن يَتَحاشَوا أدواتِ طَعامِ السّامريّينَ وشَرابِهِم، ولذلِكَ أجابَتْهُ: "كَيفَ تَطلُبُ مِنّي ذلِكَ وأنتَ اليَهوديُّ وأنا السّامِريةُ؟!" [10]فأجابَها: "لو أنّكِ عَلِمتِ بما مَنَّ بِهِ اللهُ عليكِ، وعَرفتِ الّذي يَطلُبُ مِنكِ شُربةَ الماءِ، لطَلَبتِ مِنهُ أنتِ فأعطاكِ ماءً طَهورًا يَبعَثُ فيكِ الخُلدَ". [11]فقالَت لهُ المَرأةُ: "ولكنّكَ يا سَيّدي لا تَملِكُ دَلوًا والبِئرُ عَميقةٌ فأنّى لكَ أن تأتيَني بذاكَ الماءِ؟ [12]لقد وَهَبَ لنا جدُّنا النّبيُّ يَعقوبُ هذِهِ البِئرَ، وقد شَرِبَ مِنها هو وأولادُهُ وغَنَمُهُ، فهل تَزعُمُ أنّكَ أعظَمُ مِنهُ وأقدرُ؟ كَيفَ لكَ أن تعطيَنا ماءً أجودَ مِنَ الماءِ الّذي وَهَبَهُ لنا؟" [13]فأجابَها سَيِّدُنا عيسى عليه السلام: "كُلُّ مَن يَشرَبُ مِن ماءِ هذِهِ

البِئرِ يَعطَشُ ثانيةً، [14]وأمّا مَن يَشرَبُ مِن الماءِ الّذي أمنَحُهُ، فلا يَعطَشُ أبدًا، بل يَظَلُّ هذا الماءُ مُتدفّقًا في داخلِهِ يَبعَثُ فيهِ الخُلودَ". [15]فقالَت لهُ المَرأةُ: "فأَعطِني يا سَيّدي مِن هذا الماءِ، فلا أعطَشَ أبدًا ولا أحتاجَ لوُرُودِ هذهِ البِئرِ ثانيةً". [16]فأجابَها عَلَيْهِ السَّلَامُ: "اذهبي وعودي رِفقةَ زَوجِكَ". [17]فقالَت: "لَيسَ لي زَوجٌ". فقالَ لها: "أنتِ مُحقّةٌ، لَيسَ لكِ زَوجٌ الآن، [18]وقد كُنتِ على عِصمةِ خَمسةِ أزواجٍ على التّوالي، والّذي تَعيشينَ مَعَهُ الآن لَيسَ زوجَكِ، وقد صَدَقتِني القَولَ في ذَلِكَ". [19]فأجابَتهُ المَرأةُ: "يا سَيِّدي، إنّكَ نَبيٌّ بلا شَكٍّ! [20]لقد عَبَدَ آباؤنا الأوَّلونَ اللهَ هُنا في هذا الجَبلِ، جَبَلِ جِرزيم، أمّا أنتُم مَعشرَ اليَهود فعلامَ تدَّعُونَ أنّ المَكانَ الوحيدَ الّذي تُقبَلُ فيهِ العِبادةُ هو القُدس؟" [21–24]فقالَ لها عَلَيْهِ السَّلَامُ: "تَيَقَّني يا سَيّدَتي مِمّا سأقولُ لكِ، سيأتي وَقتٌ لا فَرقَ فيهِ بَينَ أن تَكونَ عِبادةُ اللهِ الأبِ الصَّمَدِ في القُدسِ أو على هذا الجَبلِ أو في أيِّ مَكانٍ آخَرَ! وقد حانَ هذا الوَقتُ الّذي سيَعبُدُ فيهِ النّاسُ اللهَ ويُمجّدونَهُ في كُلِّ مَكان، وهؤلاء هُمُ الَّذينَ اصطَفاهُمُ اللهُ الأبُ الرَّحمنُ مِن بَينِ عِبادِهِ، وهُمُ الّذينَ يَتقَرَّبونَ إليهِ تَعالى مُنقادينَ بروحِهِ وحقِّهِ. ألاَ إنّ اللهَ يَسَعُ السَّماواتِ والأرضَ وعِبادتُهُ الحقُّ لا تَقتَصِرُ على مَكانٍ. أنتُم أهلَ السّامرة لا تَعرِفونَ اللهَ الّذي تعبُدونَهُ حقَّ مَعرِفتِهِ، أمّا نَحنُ بَني يَعقوبَ فنَعرِفُهُ، ومِنّا يَخرُجُ المُنقِذُ المُنتَظَرُ". [25]وهُنا قالَت المَرأةُ: "أعلَمُ أنّ المَسيحَ آتٍ، وهو مَن سيُبَيِّنُ لنا كُلَّ شيءٍ". [26]فأجابَها: "ألا إنّي أنا المَسيحُ هذا الّذي يُكَلِّمُكِ". [27]ووَصَلَ الحَوارِيّونَ فتَعَجَّبوا مِن حَديثِهِ مَعَ امرأةٍ غَريبةٍ. ورَغمَ ذلِكَ، لم يَسألهُ أحَدٌ عن ذلِكَ. [28]وهُنا قامَت المَرأةُ تارِكةً جَرّةَ الماءِ، مُنطَلِقةً إلى بَلدتِها تُحَدِّثُ النّاسَ قائلةً: [29]"هَلُمّوا إليّ لتَرَوا رَجُلاً حَدَّثَني بكُلِّ ما جَرى لي مِن أُمور! أتُراهُ المَسيحُ المُنتَظَر؟!" [30]وانطلَقَ كُلُّ مَن سَمِعَ قولَها، متَوَجِّهًا إلى عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

[31]وأثناءَ ذلِكَ، كانَ الحَوارِيّونَ يُلِحُّونَ على سَيِّدِنا عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يَتناوَلَ طَعامًا، ولكنّهُ أجابَهُم: [32]"إنّ لي طَعامًا خاصًّا أقتاتُهُ لا تَعلَمونَهُ". [33]فأخَذَ الحَوارِيُّونَ يَتَساءلونَ: "هل جاءَهُ أحَدٌ بطَعام؟" [34]فتابَعَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقولُ: "إنّما طَعامي أن أعمَلَ ما يُرضي اللهَ وأُتَمِّمَ ما أرسَلَني مِن أجلِهِ. [35]ألا تَتداوَلونَ فيما بَينَكُم المَثَلَ القائل: "بعدَ أربعة أشهُرٍ يَحينُ الحَصادُ"؟ ولكنّني أقولُ لكُم: قد آنَ وَقتُ

الحَصادِ! فافتَحُوا أعيُنَكُم وأبصِروا. هؤلاء السّامريُّونَ المُقبلونَ علينا، مُتهيِّئونَ للإيمانِ بي في يَومٍ واحدٍ!(1) 36فكما يَجمَعُ الحَصّادُ مَحصولَهُ، كذا أنتُم تَجمَعونَ النّاسَ وتُرشِدونَهُم بتَعاليمي الّتي تؤدِّي بِهِم إلى جِنانِ الخُلد. والعامِلُ يَحصُلُ على أجرِهِ مُقابِلَ عَمَلِهِ في الحَصادِ، وكذلِكَ أنتُم، سيَمنَحُكُم اللهُ أجرًا مُقابِلَ جَهدِكُم في نَشْرِ هذِهِ الدَّعوةِ. يومئذٍ يَفرَحُ الزّارِعُ والحَصّادُ معًا. 37ويَصدُقُ المَثَلُ القائلُ: "النّاسُ صِنْفانِ زارِعٌ وحَصّادٌ". 38وها أنا أُرسِلُكُم لحَصادِ ما لم تَتعَبوا في زَرعِهِ، بل تَعِبَ فيهِ غَيرُكُم، فأنتُم المُنتَفِعونَ بثِمارِ جَهدِهِم".

39وأقبَلَ على سَيِّدِنا عيسى عَلَيْنَا سَلامُهُ، مِن تِلكَ البَلدةِ، عَدَدٌ كَبيرٌ مِن السّامريّينَ وآمَنوا بِهِ بَعدَ أن سَمِعوا ما أَخبَرَت بِهِ تِلكَ المَرأةُ عَنهُ عِندَما كَشَفَ لها ما أخفَتْهُ عن النّاسِ. 40ودَعَوهُ أن يُقيمَ عِندَهُم، فاستَجابَ لطَلَبِهِم وأقامَ بَينَهم يومَيْنِ، 41يَشرَحُ لهُم رِسالتَهُ، فازدادَ عَدَدُ المؤمنينَ بِهِ. 42فقالوا للمَرأةِ: "لم نؤمن بِهِ لأنّكِ أخبَرتِ عَنهُ فحَسب، ولكنّنا آمنّا بِهِ لأنَّنا سَمِعناهُ. وعَرَفنا أنَّهُ ولا رَيبَ مُنقِذُ البَشَرِ أجمَعينَ".

عيسى عَلَيْنَا سَلامُهُ يقوم بشفاء ولد أحد النّبلاء

43وعِندَ انقِضاءِ اليَومَينِ، خَرَجَ عَلَيْنَا سَلامُهُ مِن سُوكار مُتَوَجِّهًا إلى الجَليلِ، 44رَغمَ أنّهُ سَبَقَ أن قالَ: "لا كَرامةَ لِنَبيٍّ في وَطنِهِ وبَينَ أهلِهِ"، 45إلاّ أنّ الجَليليّينَ رَحَّبوا بِهِ عِندَ وصولِهِ إلى مَوطنِهِ. ذلِكَ أنّ بَعضَهُم كانَ في القُدسِ أثناءَ عِيدِ الفِصحِ، فسَمِعوا ورأَوا بأُمِّ أعيُنِهِم ما جَرى على يَدَيْهِ مِن مُعجِزاتٍ.

46وعِندَ وصولِهِ إلى مِنطقةِ الجَليلِ، إلى بَلدةِ قانا الّتي كانَ قد حَوَّلَ فيها الماءَ إلى شَرابٍ، صادَفَ رَجُلاً مِن حاشيةِ المَلِكِ كانَ ابنُهُ يُعاني مَرَضًا في بَلدةِ كَفْرَناحومَ. 47فلمّا سَمِعَ أنّهُ عَلَيْنَا سَلامُهُ قد تَرَكَ يَهُوذا وجاءَ إلى قانا في مِنطقةِ الجَليلِ، جاءَ إليهِ مُتَوَسِّلاً أن يَذهَبَ مَعَهُ إلى كَفرناحومَ ليُشفِيَ ابنَهُ الّذي يُوشِكُ على الهَلاكِ. 48فقالَ سَيِّدُنا عيسى عَلَيْنَا سَلامُهُ لهُ ولِمَن حَولَهُ: "أيُّها القَومُ، هل يَنبَغي أن تَرَوا بأعيُنِكُم المُعجِزاتِ والآياتِ لكي تؤمنوا بي؟!" 49فاستعجَلَهُ الرَّجُلُ مُتوسّلاً: "يا سَيّدي، هلاّ جِئتَ قَبلَ أن

(1) يبدو أنّ الناس في ذلك الزمن كان يضربون هذا المثل للإشارة إلى ضرورة الانتظار في بعض المسائل، ولكنّ السيد المسيح يُقِرّ أنّ الأوان قد حان للإيمان به دون مماطلة. ومن الممكن أنه عَلَيْنَا سَلامُهُ تحدّث بشكل مجازي عن الحصاد، مشيرًا إلى السامريين الذين كانوا يرتدون لباسهم الأبيض الشبيه بلون حصاد القمح.

يُفارقَ ابني الحَياةَ؟!" [50]فأجابَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: "اِمضِ في سَبيلِك إلى بَيتِكَ، فلقد تَعافى وَلدُكَ". فصدَّقَ الرَّجُلُ حَديثَهُ وانصرَفَ عائدًا إلى كَفرَناحومَ. [51]وبَينَما هو في طَريقِهِ، أقبَلَ عليهِ جَمعٌ مِن خَدَمِهِ يُبَشِّرونَهُ أنّ ابنَهُ حيٌّ مُعافى، [52]فاستَفسَرَهُم: "في أيِّ ساعة رأيتُم تَحَسُّنَ حالِهِ؟!" فأجابوهُ قائلينَ: "بالأمسِ قُرابةَ السّاعة الواحدة بَعدَ الظُّهرِ، لاحظنا أنّ الحُمَّى قد فارقَتْهُ". [53]فميَّزَ الأبُ وَقتَ قولِ سَيّدِنا عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ووقتَ تعافي ابنِهِ وأيقَنَ بأنّها المُعجِزةُ فآمَنَ وجَميعُ أهلِ بيتِهِ. [54]وكانَت تِلكَ المُعجِزةَ الثّانيةَ الّتي جَرَت على يَدَيْ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في الجَليلِ عِندَ عَودَتِهِ مِن مِنطَقةِ يَهوذا.

٥
الفصل الخامس

عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يشفي كسيحًا

[1]ومَضَى سَيِّدُنا عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعدَ ذلِكَ إلى القُدسِ الشَّريفِ، وصادَفَ ذَهابُهُ أحَدَ الأعيادِ اليَهوديّةِ. [2]وهُناكَ، وعِندَ بوّابةٍ تُدعَى باب الغَنَم، كانَت هُناكَ بِركةُ ماءٍ يُطلِقونَ عليها اسمَ بَيتِ حِسدا تُحيطُ بها خَمسُ قاعاتٍ [3]يَرقدُ فيها عَدَدٌ كَبيرٌ مِن المَرضى مِمَّن أُصيبُوا بالعَمى أو العَرَجِ أو الشَّلَلِ. وكانَ هؤلاءِ المَرضى يَنتظِرونَ على الدَّوام تَحرُّكَ صَفحةِ الماءِ [4]مِمّا يَعني في اعتِقادِهِم أنّ مَلاكًا نَزَلَ وحَرَّكَ مياهَ البِركةِ، وأوّلُ النّازلينَ عِندَ تَحرُّكِ الماءِ، يُعافى مَهما كانَ مَرَضُهُ. [5]وكانَ مِن بَينِ المَرضى الرّاقدينَ رَجُلٌ مُقعَدٌ مُنذُ ثَمانٍ وثَلاثينَ سَنة، [6]رآهُ سَيِّدُنا عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ راقدًا هُناكَ، وعَلِمَ أنّهُ على تِلكَ الحالِ مُنذُ مُدّةٍ طَويلةٍ. فسألَهُ: "هل تُريدُ أن تُشفى؟" [7]فأجابَهُ المُقعَدُ: "أنّى لي الشِّفاءُ يا سَيِّدي، ولا أحَدَ يُساعِدُني لأنزلَ في الماءِ بَعدَ تَحرُّكِهِ. فكُلّما حاولتُ الوُصولَ إليهِ سَبَقَني آخَرُ" [8]فقالَ لهُ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: "قُم واحمِل فِراشَكَ وامشِ". [9]وسُرعانَ ما تَعافى الرَّجُلُ المُقعَدُ، فاستَجابَ وحَمَلَ فِراشَهُ في الحالِ وسارَ على قَدَمَيهِ. وقد جَرَت تِلكَ المُعجِزةُ يومَ السَّبتِ، [10]فما كانَ مِن قادةِ اليَهودِ إلاّ أن تَوَجَّهوا إلى الرَّجُلِ الّذي تَعافى وقالوا لهُ: "اليومَ يَومُ سَبتٍ، وهو يوم لا يَحِلُّ فيهِ العَمَلُ فلا يَحُقُّ لكَ حَملُ فِراشِكَ". [11]فأجابَهُم: "ولكنّ مَن شَفاني أمَرَني بقولِهِ: احمِل فِراشَكَ وامشِ". [12]فسألوهُ: "ومَن ذا الّذي يَجرُؤُ على أن يَطلُبَ مِنكَ ذلِكَ؟" [13]فسَكَتَ الرّجُلُ ولم يَستَطِع الإشارة إلى مَن طَلَبَ مِنهُ ذلِكَ، لأنّ سَيِّدَنا عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كانَ قد اختَفَى وَسَطَ الجُمهورِ المُحتَشِدِ.

14ثُمَّ التَقى سَيّدُنا عيسى سلامُه علينا بذاكَ الرَّجلِ في الحَرَمِ الشَّريفِ، فقالَ لهُ: "احذَر،
وقد شُفيتَ، مِن أن تَعودَ إلى خَطاياكَ وآثامِكَ فيُصيبَكَ أسوأُ مِمّا كانَ قد حَلَّ بكَ".
15فعَلِمَ الرَّجُلُ حِينئذٍ أنّ مَن شَفاهُ هو عيسى سلامُه علينا فأخبَرَ قادةَ اليَهودِ. 16فما كانَ مِنهُم إلاّ
أن أخَذُوا يُضايقونَ عيسى سلامُه علينا، لأنّهُ تَجاوَزَ شَرائعَهُم بأن عَمِلَ في يومِ السَّبت. 17فقالَ
لهُم سلامُه علينا: "اللهُ أبي الصَّمَدُ دائمُ الحَرَكةِ والعَمَلِ في الكونِ وأنا كذلِكَ". 18وفي الحينِ
عَقَدَ هؤلاءِ القادةُ النّيّةَ على قَتلِهِ، لا لأنّهُ خالَفَ شَريعتَهُم بشأنِ السَّبتِ فحَسب، بل لأنّهُ
جَعَلَ مِن اللهِ وليَّهُ الحَميمَ، فساوَى بذلِكَ بَينَهُ وبَينَ اللهِ تَعالى.

سلطة حبيب الله سلامُه علينا

19ثُمّ تَوَجَّهَ سَيِّدُنا عيسى بَعدَ ذلكَ إلى هؤلاءِ قائلاً: "الحقَّ أقولُ لكُم: لا يَبتَدِعُ
الابنُ الرُّوحيُّ للهِ شَيئًا مِن تِلقاءِ نَفسِهِ، وإنّما مَثَلُهُ كمَثَلِ الوَلَدِ الّذي يُحاكي أباهُ في
عَمَلِهِ، فأنا أيضًا أُحاكي ما يَقومُ بِهِ اللهُ أبي الصَّمَدُ مِن أعمالٍ. 20واللهُ الأبُ الرَّحيمُ
يُحِبُّ الابنَ الرُّوحيَّ لهُ تَعالى، ويُريهِ كُلَّ ما يَقومُ بِهِ مِن أعمالٍ. وسيُظهِرُ للابنِ الرُّوحيِّ
ما يَقومُ بِهِ مِن أعمالٍ تَكونُ أعظَمَ مِن شِفاءِ هذا الرَّجُلِ فتَندهِشونَ كَثيرًا، 21وكَما أحيا
اللهُ الأبُ الصَّمَدُ المَوتى، كذلِكَ يُحيي الابنُ الرُّوحيُّ كُلَّ مَن يَشاء. 22ولا يُحاسِبُ اللهُ
الأبُ الرَّحمنُ النّاسَ مُباشرةً، بل وَكَّلَ الابنَ الرُّوحيَّ ليُحاسِبَهُم كُلَّهم، 23حتّى يُكرِمَهُ
الجَميعُ كَما يُكرِمونَ اللهَ الأبَ الرَّحيمَ. ومَن لا يُكرِمْ الابنَ الرُّوحيَّ، لا يُكرِمِ اللهَ
الأبَ الرَّحمنَ الّذي أرسَلَهُ".

24الحقَّ أقولُ لكُم: مَن يَستجِب لرِسالتي مؤمنًا بمَن أرسَلَني فلَهُ الخُلودُ في الجَنَّةِ ولا
يُعَذَّبُ بالنّارِ يَومَ الدِّينِ، لأنّهُ قد انتَقَلَ مِن الحَياةِ الفانيةِ إلى الحَياةِ الباقيةِ الأبديّةِ. 25والحقَّ
أقولُ لكُم: سَيَحينُ، بل قد حانَ فِعلاً، ذلِكَ الوَقتُ الّذي يُصغي فيهِ الضّالونَ الّذينَ هُم
في دَربِ الهَلاكِ إلى صَوتِ الابنِ الرُّوحيِّ للهِ، فكُلُّ مَن يَسمَعُهُ يَحيا،(1) 26–27وكَما أنّ
للهِ الأبِ الصَّمَدِ قُدرةً على إعطاءِ الحَياةِ، كذلِكَ مَنَحَ الابنَ الرُّوحيَّ، سَيِّدَ البَشَرِ، قُدرةً
على إحياءِ المَوتى، وسُلطةً على مُحاسبتِهِم. 28–29ولا تَستغرِبنّ ذلِكَ كُلَّهُ، فإنّهُ سَيَحينُ
وَقتٌ فيهِ يَسمَعُ مَن في القُبورِ صَوتَ سَيِّدِ البَشَرِ، فيُبعَثونَ أحياءً، فمَن عَمِلَ الصّالِحاتِ
نالَ حَياةَ الخُلودِ، ومَن عَمِلَ السَّيِّئاتِ نالَ العِقابَ.(2)

---

(1) يشير سيدنا عيسى سلامُه علينا هنا إلى الأموات روحيا، أولئك الذين عند تقبّلهم رسالته ينالون الحياة الروحية.

(2) يعني سيدنا المسيح سلامُه علينا هنا بعث الأموات عند قيام الساعة.

الشّهادة لعيسى ﷺ سلامُهُ علينا

30ثُمَّ تابَعَ سَيِّدُنا عيسى سلامُهُ علينا قائلاً: "لَيسَ ما أعمَلُهُ هو مِن تِلقاءِ نَفسِي، ولكنّني
أُحاسِبُ النّاسَ كَما أمَرَني رَبِّي. وَحِسابي عادِلٌ، لأنّني أُحاسِبُ لا كَما أُرِيدُ، بَل كَما
يُرِيدُ اللهُ الّذي أرسَلَني. 31وإنّي لو شَهِدتُ لِنَفسي لم تَكُن شَهادتي مَقبولةً، 32إلاّ أنّ
هُناكَ مَن يَشهَدُ لي، وإنّي لَعَلى يَقينٍ بِصِحَّةِ شَهادَتِهِ، 33فلقد أرسَلتُم مَن يَسأَلُ النَّبيَّ
يَحيى عَمّا جالَ في قُلوبِكم، ولقد شَهِدَ بالحقِّ. 34وما أنا مِمّن يركُنُ إلى شَهادةٍ بَشَريّةٍ
تُخبِرُكُم مَن أنا، ولكنّني أُذَكِّرُكم بشَهادةِ النّبيِّ يَحيى حتّى تؤمِنُوا بي فتَنجُونَ. 35إنّهُ النَّبيُّ
الّذي أشَعَّ عليكُم كالمِصباحِ المُنيرِ، واستمتعتُم بنورِهِ إلى حين. 36ولكنّ شَهادتي أعظَمُ
مِن شَهادةِ يَحيى لأنّ شَهادتي شَهادةُ الأعمالِ الّتي كَلَّفَني بها اللهُ الأبُ الرَّحيمُ وهي
الشَّهادةُ الحقُّ بأنّهُ تَعالى هو الّذي أرسَلَني إلى العالَم. 37واللهُ الأبُ الرَّحيمُ يَشهَدُ لي
أيضًا، وهو الّذي أخبَرَكُم عنّي بذاتِهِ العَلِيَّةِ الّتي لم تُدرِك ولَن تُدرِكَ عُيونُكم صُورتَها
ولا آذانُكم صَوتَها، 38ولكنَّكُم لم تَهتمُّوا بما أَخبَرَكُم بِهِ وأغلَقتُم دُونَهُ قُلوبَكم، إذ لم
تُصَدِّقوا أنّي مُرسَلٌ مِن عِندِهِ. 39إنّكُم تَقرَؤونَ الكُتُبَ السَّماويَّةَ بِحِرصٍ إذ تَعتَقِدونَ بأنّ
بها هِدايتَكُم إلى سُبُلِ الجِنانِ، ولكنّكُم لم تُعيرُوا المَواضِعَ الّتي تَشهَدُ لي اهتمامًا.
40وإذ تَرفُضونَ الاهتداءَ إليَّ إنّما تَرفُضونَ نَصيبَكم في الجَنّة.

41ولَيسَ هَدَفي مَديحَ النّاسِ لي، 42لأنّني على يَقينٍ بأنَّ قُلوبَكُم خاليةٌ مِن مَحبّةِ
اللهِ، 43وإنّي جِئتُ إليكُم باسمِ اللهِ أبي الصَّمَدِ فرَدَدتُموني، ولو جاءَ إليكُم أحَدٌ لا يُمَثِّلُ
إلاّ نَفسَهُ لقَبِلتُموهُ. 44فكَيفَ السَّبيلُ بكُم إلى الإيمانِ بي وأنتُم تَستعِيضُونَ عن مَدحِ اللهِ
بمَديحِ بَعضِكُم بعضًا؟ 45ولا تَعتقِدونَ أنّني بهذا أشكُوكُم إلى اللهِ الأبِ الصَّمَدِ، ولكن
مَن يَشكوكُم هو النَّبيُّ موسى مَحطُّ آمالِكم، 46ولو أنّكُم صَدَّقتُم النَّبيَّ موسى، لَكُنتُم
صَدَّقتُموني، فهو الّذي جاءَكُم بخَبَري، 47فإن لم تُصَدِّقوهُ فكَيفَ إيّايَ تُصدِّقونَ؟"

٦

الفصل السّادس

عيسى سلامُهُ علينا ومعجزته في إطعام 5000 شخص

1ثُمّ اجتازَ سَيِّدُنا عيسى سلامُهُ علينا إلى الضِّفَّةِ الأُخرى مِن بُحَيرةِ الجَليل، أي بُحَيرة
طَبَريّا، 2وهُناكَ اتّبَعَهُ حَشدٌ كَبيرٌ إذ أذهَلَهُم ما عَمِلَ مِن مُعجِزاتٍ في شِفاءِ المَرضى.

[3]فصَعِدَ إلى الجَبَلِ وجَلَسَ مَعَ أتباعِهِ، [4]وقد صادَفَ ذلِكَ قُربَ يومِ عِيدِ الفِصحِ اليَهوديّ.

[5]فنظَرَ عليه السلام فرأى حَشدًا مِن النّاسِ غَفيرًا مُقبلاً عليهِ، فقالَ لأحَدِ حوارِيِّهِ، واسمُهُ فيليبُ: "أنَّى لنا أن نَشتريَ خُبزًا يَكفي إطعامَ هذا الحَشدِ؟" [6]وكانَ قَولُهُ هذا بمَثابةِ اختِبارٍ، إذ كانَ يَعلَمُ ما سيَقومُ بِهِ لأجلِ مَن جاؤوا إليهِ. [7]فأجابَهُ فيليبُ: "لا طاقةَ لنا على إطعامِ هذِهِ الحُشودِ، حتّى لو اشتَرينا خُبزًا بمِئتَي دينار،(1) فلن يَحظى الواحدُ مِنهُم بكِسرةٍ صَغيرةٍ". [8]ثُمّ انبَرى أحَدُ حوارِيِّهِ واسمُه أندراوسُ أخو بُطرُسَ، يَقولُ: [9]"إنَّ هاهُنا وَلَدًا يَحمِلُ خَمسةَ أرغِفةِ شَعيرٍ وسَمَكَتَيْن، ولكن ما جَدوى ذلِكَ أمامَ هذا الحَشدِ الكَبير؟"

[10]وكانَ في ذلِكَ المَكانِ عُشبٌ كَثيرٌ، فقالَ لهُم سَيِّدُنا عيسى عليه السلام: "أجلِسُوا النّاسَ". فأجلَسُوا النّاسَ وقد بَلَغَ عَدَدُ الرِّجالِ فيهِم خَمسةَ آلافٍ. [11]فتَناوَلَ عيسى عليه السلام الأرغِفةَ الخَمسةَ، ثُمّ شَكَرَ اللهَ وقَدَّمَها ليُوَزِّعَها أتباعُهُ على الجَميعِ، وكذلِكَ فَعَلَ بالسَّمَكَتَينِ قَدرَ ما طَلَبوا. [12]وبعدَ أن شَبِعَ النّاسُ، قالَ عليه السلام لأتباعِهِ: "اِجمَعوا ما تَبَقّى مِمّا أكَلَ النّاسُ لكي لا نُفَرِّطَ في شَيء". [13]فجَمَعوا الخُبزَ فإذا بالكِسَرِ قد مَلأت اثنَتي عَشرَةَ قُفَّةً وهي ما فاضَ عن الحَشدِ بَعدَ أن شَبِعوا مِن تِلكَ الأرغِفةِ الخَمسةِ الّتي بارَكَها عليه السلام. [14]فلمّا رَأى النّاسُ تِلكَ المُعجزةَ أقَرّوا قائلينَ: "إنّهُ حقًّا النَّبيُّ الّذي نَنتَظِرُ مَجيئَهُ إلى العالَم!"(2) [15]ووَصَلَ إلى عِلمِهِ عليه السلام أنّ هذِهِ الحُشودَ إنّما تُريدُ تَنصيبَهُ مَلِكًا،(3) ففارَقَهُم واختَلى في الجِبالِ.

عيسى عليه السلام يمشي على الماء

[16]وعِندَ المَساءِ، نَزَلَ أتباعُ عيسى عليه السلام إلى شاطئِ البُحَيرةِ ليَنتَظِرُوهُ، [17]إلاّ أنّهُ لم

---

(1) وهذا ما يعادل أجر عامل لمدة ثمانية أشهر في تلك الأيام.

(2) هذا هو النبيُّ الذي يأتي من بني يعقوب، وهو ما أخبر به النبي موسى عليه السلام في التوراة (سفر التثنية 18: 15-18)

(3) كان اليهود يتوقّعون مجيء المنقذ المنتظر لإقامة مملكة النبي داود عليه السلام من جديد. وإذ كان النبي موسى عليه السلام قد قام بتحرير الناس من العبودية في مصر، فإنّ اليهود كانوا يشعرون بأنّ هذا النبي المنتظر سوف يقوم بمساعدة شعبه للتخلّص من عبودية الرومان. ولم تكن تلك المهمّةُ من مُهمّات سيدنا عيسى عليه السلام، لذلك انسحب من بين الحشود.

يَلحَقْ بِهِم حتّى بَعدَ حُلولِ الظّلام. فرَكِبوا قارِبًا لعُبورِ البُحَيرةِ إلى الضِّفّةِ الأُخرى مُيمِّمينَ قَريةَ كَفْرَناحومَ. [18]وفَجأةً هَبَّت رياحٌ شَديدةٌ سَبَّبَت هَيَجانَ مياهِ البُحَيرةِ، [19]فلم يَكُن في استِطاعَتِهِم اجتيازُ أكثرَ مِن ثَلاثةِ أميالٍ أو أربَعةٍ رَغمَ تَجديفٍ شاقٍّ. وأقبَلَ عليهِم سَيِّدُنا عيسى عليه السلام وهو يَمشي على سَطحِ الماءِ فارتاعوا، [20]ولكنّهُ هَدّأ مِن روعِهِم بقولِهِ: "أنا عيسى، فلا تَخافوا!" [21]وما كادوا يأخُذونَهُ في القارِبِ، حتّى وَصَلوا إلى الشّاطئِ الّذي كانوا يَقصِدُونَهُ.

عيسى عليه السلام خبز الحياة

[22]وفي اليَومِ التّالي احتَشَدَتِ الجُموعُ مِن جَديدٍ لرؤيَتِهِ، في المَكانِ نَفسِهِ الّذي أطعَمَهُم فيهِ، حَيثُ لاحَظوا أنّهُ أتى وأتباعُهُ إلى ذاكَ المَكانِ في قارِبٍ واحِدٍ، في حينِ أنّهُ لم يَركَبْهُ مَعَهُم عِندَما غادَرَ أتباعُهُ المَكانَ. [23]وجاءَت بَعضُ القَوارِبِ إلى ذلِكَ الشّاطئِ مِن قَريةِ طَبَريّا. [24]وعِندَما عَرَفَ هؤلاء أنّ سَيّدَنا عيسى عليه السلام وأتباعَهُ قد غادَروا المَكانَ، رَكِبوا القَوارِبَ مُتّجِهينَ إلى قَريةِ كَفْرَناحومَ بَحثًا عَنهُ. [25]فلمّا وَجَدوهُ في الضِّفّةِ الأُخرى قالوا لهُ مُتَعَجِّبينَ: "يا مُعَلِّمَنا، كَيفَ وَصَلتَ إلى هُنا؟" [26]فأجابَهُم: "الحقَّ أقولُ لكُم، أنتُم خَرجتُم بَحثًا عَنّي لا لأنّكُم فَهِمتُم مَغزى مُعجِزاتي، بل لأنّكُم أكَلتُم مِن ذلِكَ الخُبزِ وشَبِعتُم. [27]فلا تَهتَمُّوا بالطّعامِ الفاني، بل لِيَكُن سَعيُكُم وَراءَ الغَذاءِ الأبَديّ الّذي يَمنَحُكُمُ الخُلودَ، والّذي سيَمنَحُكُم إيّاهُ سَيِّدُ البَشَرِ، فهو الرَّجُلُ الّذي خَتَمَهُ اللهُ الأبُ الرَّحيمُ بخاتِمِهِ".

[28]فسألوهُ قائلينَ: "ما هي الأعمالُ الّتي يَجِبُ أن نَعمَلَها مَرضاةً للهِ؟!"
[29]فأجابَهُم: "أن تُؤمِنوا بمَن أرسَلَهُ إلى العالَمينَ". [30]فقالوا: "أرِنا آيةً فنؤمِنَ بِكَ! أينَ هي المُعجِزة الّتي ستَقومُ بها؟! [31]إنّ النّبيَّ موسى أعطى أجدادَنا المَنَّ غِذاءً يَوميًّا وهُم في صَحراءِ سيناء، إذ جاءَ في كِتابِ اللهِ: "أعطاهُم خُبزًا مِن السَّماءِ ليأكُلوا".
[32]فأجابَهُم عليه السلام: "الحقَّ الحقَّ أقولُ لكُم: لم يَكُنِ النّبيُّ موسى هو مَن أعطى أجدادَكُم ذلِكَ الخُبزَ، بل اللهُ أبي الصَّمَدُ هو مَن أعطاهُم إيّاهُ. والآن يُرسِلُ إليكُم مِن السَّماءِ الغِذاءَ الحَقيقيّ. [33]إنّهُ غِذاءٌ مِن اللهِ يَنزِلُ مِنَ السَّماءِ ويُعطي الحَياةَ لِلنّاسِ في العالَمِ".

[34]فقالوا لهُ: "اعطِنا يا سَيِّدَنا هذا الغِذاءَ على الدّوامِ". [35]فأجابَهُم عليه السلام: "أنا هو الخُبزُ الّذي يُغَذّي أرواحَكُم، فلا جُوعَ بَعدَهُ ولا عَطَشَ إذا آمنتُم بي. [36]وأقولُ لكُم: لقد رأيتُموني ولكنّكُم لم تُؤمِنوا بي، [37]فكُلُّ مَن وَضَعَهُم اللهُ الأبُ الرّحمنُ أمانةً بينَ

يَديّ، يُصبِحونَ مِن أتباعي، وهؤلاء لن أطرُدَهُم عن بابي أبَدًا، [38]فأنا أتيتُ مِن عِندِ اللهِ لأعمَلَ بإرادةِ الّذي أرسَلَني، لا بإرادتي، [39]وإنَّ إرادةَ اللهِ أن لا أُضيِّعَ واحدًا مِن الأتباعِ الّذينَ جَعلَهُم في رِعايتي، بل إنّني أُقيمُهم في يَوم الدِّين. [40]فَإنّ مِن إرادةِ اللهِ أبي الصَّمَدِ أنّ كُلَّ مَن يَنظُرُ إلى الابنِ الرُّوحيِّ وَيُؤمِنُ بِهِ يَعيشُ خالدًا في الفِردوسِ، وأنا أُقيمُهُ في اليَومِ الآخِرِ."

[41]فاحتجَّ النّاسُ على قولِهِ: "أنا الخُبزُ الّذي جاءَ مِن السَّماءِ" [42]فقالوا: "أليسَ هو ذاكَ عيسى بن يوسف؟ نَحنُ نعرِفُ أباهُ وأُمَّهُ، فكَيفَ يَقولُ إنّهُ نزَلَ مِن السّماءِ؟!" [43]فأجابَهُم: "تَوَقَّفوا عن الاحتِجاجِ فيما بينَكُم، [44]فإنّي أقولُ لكُم: لا أحَدَ يَستَطيعُ أن يَكونَ مِن أتباعي إلاّ الّذي اقتدَى باللهِ الأبِ الرَّحمنِ الّذي أرسَلَني، وأنا أُقيمُهُ يومَ القيامةِ. [45]وقد وَرَدَ في كِتابِ النَّبيِّ أشعيا: "إنَّ اللهَ يُعَلِّمُ جميعَ عِبادِهِ". وكُلُّ مَن سَمِعَ هِدايةَ اللهِ الأبِ الرَّحمنِ وتَعَلَّمَ مِنهُ سيَكونُ مِن أتباعي. [46]وهذا لا يَعني أنّ أحَدًا رأى اللهَ الأبَ الصَّمَدَ، فلا أحَدَ رآهُ إلاّ الّذي جاءَ مِن عِندِ اللهِ. [47]والحقَّ الحقَّ أقولُ لكُم إنّ مَن آمَنَ بي لهُ الحَياةُ الخالدةُ. [48]أنا هو الخُبزُ الّذي يُغَذّي أرواحَكُم. [49]قد أكَلَ آباؤكُم الأوّلونَ المَنَّ في الصَّحراءِ ولكنّهُم لم يَنالوا الخُلودَ. [50]غيرَ أنَّ هُناكَ غِذاءً مُرسَلاً مِن السَّماءِ يَتَغذّى بِهِ النّاسُ فيَخلدونَ. [51]وأنا ذاكَ الغِذاء، الّذي مَن أكَلَ مِنهُ عاشَ خالدًا عِندَ اللهِ. ها هو جَسَدي الّذي سأُضَحّي بِهِ لكي يَحيا كُلُّ النّاسِ في العالَمِ".

[52]وحَدَثَ بَينَ الحاضِرينَ جَدَلٌ عَنيفٌ فقالوا: "كَيفَ يَستَطيعُ هذا أن يُعطيَنا جَسَدَهُ لنأكُلَهُ؟" [53]فأجابَهُم ﷺ: "الحقَّ الحقَّ أقولُ لكُم، إن لم تَقبَلوا تَضحيةَ سَيِّدِ البَشَرِ بجَسَدِهِ ودَمِهِ مِن أجلِكُم، فلن تَكونَ لكُم حياةُ الخُلودِ. [54]أمّا مَن آمَنَ مِن أعماقِهِ بأنّ جَسَدي ودَمي مُقدَّمانِ كفِداءٍ لهُ، فكأنّهُ أكَلَ جَسَدي وشَرِبَ دَمي، فيَعيشُ خالِدًا، وأنا أُقيمُهُ يومَ الدِّين. [55]فإنّما التَّضحيةُ بجَسَدي تُفيدُكُم أكثر مِن الغِذاءِ الماديّ، [56]فكُلُّ مَن آمَنَ بأنّني قَدَّمتُ جَسَدي ودَمي فِداءً لهُ، فسيَثبُتُ في قَلبي وأنا في قَلبِهِ. [57]أنا حيٌّ بقوّةِ اللهِ الأبِ الحَيّ القيّوم الّذي أرسَلَني، وكذلِكَ فإنّ كُلَّ مَن يؤمنُ يَقينًا ويَتَمَسَّكُ بتَضحيتي يَحيا بي إلى الأبَدِ. [58]أجدادُكُم أكَلوا مِن الخُبزِ السَّماويّ إلاّ أنّهُم لم يُمنَحوا الخُلودَ. أنا الخُبزُ الرُّوحيُّ النّازلُ مِن السَّماءِ وكُلُّ مَن يَتَغذّى بي يَحيا إلى الأبَدِ".

[59]كانَ هذا ما تَحدَّثَ بِهِ سَيِّدُنا عِيسَى عليه السلام وهو يُعلِّمُ في بَيتِ العِبادَةِ في قَريةِ كَفْرَناحومَ.

كلام الحياة

[60]غيرَ أنَّ كثيرًا مِن أتباعِهِ ﷺ أخَذوا يَتحدّثونَ فيما بينَهُم قائلينَ: "هذا كَلامٌ يَصعُبُ إدراكُهُ! كَيفَ يُمكِنُ لأحَدٍ تَقبُّلُهُ؟" [61]وعَلِمَ سَيِّدُنا عيسى ﷺ أنّ أتباعَهُ يَحتجّونَ، فتَوجَّهَ إليهِم قائلاً: "هل صَدمَكُم قَولي؟ [62]فماذا ستَقولونَ إذا رَأيتُم سَيِّدَ البَشَرِ يَصعَدُ إلى حَيثُ كانَ مَوجودًا مِن قَبلُ؟! [63]أقولُ لكُم: إنّ رُوحَ اللهِ تَهبُكُم الخُلودَ، فلا يُجدي حينئذٍ كُلُّ ما هو جَسَديٌّ دُنيويٌّ فانٍ، فكَلامي الّذي كَلَّمتُكُم بِهِ هو رُوحٌ وحَياةٌ، [64]إلاّ أنَّ بَينَكُم مَن لا يُؤمِنُ بي". (1) وقد ذَكَرَ ﷺ ذلِكَ لأنّهُ كانَ يُدرِكُ مُنذُ البدايةِ مَن مِن أتباعِهِ لا يؤمِنُ بِهِ، ومَنِ الَّذي سيَخونُهُ. [65]ثُمّ تابَعَ قائلاً: "لِهذا أخبَرتُكُم بأنّهُ لن يَكونَ باستِطاعةِ أحَدٍ أن يُصبحَ مِن أتباعي إلاّ إذا أنعَمَ عليهِ اللهُ الأبُ الرَّحمنُ بذلِكَ".

[66]وفارقَهُ ساعتئذٍ الكَثيرُ مِن أتباعِهِ وارتَدُّوا على أعقابِهِم. [67]فتَوجَّهَ إلى حَوارِيِّيهِ الاثنَي عَشَر قائلاً: "وأنتُم، هل عَقدتُم عَزمَكُم على مُفارقتي كَما فَعَلَ أولئكَ؟!" [68]فأجابَهُ بُطرُسُ الصَّخر: "إلى مَن نَذهَبُ يا سَيّدي، وكَلامُ الحَياةِ الأبديّةِ عِندَكَ؟! [69]لقد وَقَرَ إيمانُنا بِكَ في قُلوبِنا وعَرَفنا أنّكَ رَسولُ اللهِ المُقَدَّس". (2) [70]فأجابَهُم: "أما اختَرتُكُم، أنتُم الاثني عَشَر؟ إلاّ أنّ أحَدَكُم سيَكونُ كالشَّيطانِ!" [71]وقد قَصَدَ بذلِكَ يَهوذا بن سَمعانَ الإسخَريوطيّ، وقد كانَ أحَدُ حَوارِيّيهِ الاثني عَشَر، ومَعَ ذلِكَ غَدَرَ بِهِ فيما بَعدَ وخانَهُ.

٧

الفصل السّابع

إخوة عيسى ﷺ وعدم إيمانهم به

[1]وأخَذَ سَيِّدُنا عيسى ﷺ بعدَ ذلِكَ يَتنَقّلُ في مِنطقةِ الجَليل، مُتَجنِّبًا مِنطقةَ يَهوذا الّتي كانَ قادَتُها يُدبِّرُونَ قَتلَهُ. [2]وعِندَ اقتِرابِ عِيدِ الخِيامِ اليَهوديّ، [3–5]قالَ لهُ إخوتُهُ

(1) كان سيدنا عيسى ﷺ يتكلّم كنايةً عندما طلب منهم أن يأكلوا جسده، ولكنّ عددا من الحاضرين فهموا كلامه بشكل ظاهري. وفي هذا السياق يشرح ما قصده سابقا ويقول إنّه ينبغي أن يَقبَلوا رسالته ويطيعوها لأنها ستعطيهم الحياة لا أكلَ جسده.

(2) من المرجَّح أنّ "رسول الله المُقدّس" كان لقبًا للمسيح المنقذ المنتظَر.

الَّذينَ لم يُؤمنوا بِهِ بَعد: "غادِر هذا المَكانَ وتَوَجَّهْ إلى يَهوذا حَيثُ يُمكِنُ لأَتباعِكَ رؤيةُ مُعجِزاتِكَ، فمَن يُريدُ الشُّهرةَ لا يُخفي ما يَقومُ بِهِ مِن أعمالٍ. وما دامَت لكَ مُعجِزاتٌ، فما عليكَ إلاّ أن تُظهِرَ نَفسَكَ للعالَم!"

[6–8]إلاّ أنّهُ ﷺ أجابَهُم قائلاً: "لم يَحِن وَقتُ إظهارِ حَقيقتي بَعدُ، أمّا أنتُم فلا ضَيْرَ إذا تَوَجَّهتُم إلى يَهوذا للاحتِفالِ بالعِيدِ في أيِّ وَقتٍ شِئتُم.(1) إنّ أهلَ الدُّنيا لا يَبغُضونَكُم بل إيّاي يَبغُضونَ لأنّني أواجِهُهُم بكُلِّ ما يَرتكِبونَ من آثام. اِذهَبوا لحُضورِ العِيدِ، فأنا لَستُ بذاهبٍ الآن، لأنَّ وَقتَ ظُهورِ حَقيقتي لم يَحِن بَعدُ". [9]قالَ ذلِكَ ومَكَثَ مُنتَظِرًا في الجَليلِ.

ما حدث في عيد الخيام

[10]وبَعدَ انصِرافِ الإخوةِ، تَوَجَّهَ سَيِّدُنا عيسى ﷺ سِرًّا إلى القُدسِ. [11]وهُناكَ كانَ قادةُ اليَهودِ دائبي البَحثِ عَنهُ خِلالَ فَترةِ العِيدِ مُرَدِّدينَ: "أينَ ذاكَ الرَّجل؟! أينَ هو؟!" [12]وكانَ النّاسُ يَتَجادَلونَ بشأنِهِ فيما بَينَهُم، فقالَ بَعضُهُم: "إنّهُ لرَجُلٌ صالِحٌ". وقالَ آخَرونَ: "بل هو مُضِلٌّ للنّاسِ". [13]ولكن لم يَجرؤ أحَدٌ مِنهُم على الحَديثِ عَنهُ عَلَنًا خَوفًا مِن قادتِهِم.

[14]وفي مُنتَصَفِ فَترةِ العِيدِ سَعى سَيِّدُنا عيسى ﷺ إلى حَرَم بَيتِ اللهِ وقامَ في النّاسِ مُعَلِّمًا. [15]فاندَهَشَ قادةُ اليَهودِ وتَساءَلوا قائلينَ: "كَيفَ يَعرِفُ هذا الرَّجُلُ ما في الكُتُبِ المُقدَّسةِ ولم يَدرُس ما دَرَسناهُ ولا عَلِمَ ما نَعلَمُ؟!"(2) [16]فأجابَهُم: "ما أُعَلِّمُهُ للنّاسِ لَيسَ مِن تِلقاءِ نَفسي، بل هو مِن اللهِ الّذي أرسَلَني. [17]ومَن يَسعى في رِضوانِ اللهِ يَعلَمُ عِلمَ اليَقينِ إن كُنتُ مُرسَلاً مِن عِندِ اللهِ أم لا، كَما يَعلَمُ إن كانَت تَعاليمي مِنهُ أو مِن ذاتي. [18]إنّ مَن عَلَّمَ مِن عِلْمِهِ الخاصِّ سَعى سَعْيَ المَغرورِ يَطلُبُ الفَخرَ والمَديحَ والمَجدَ لنَفسِهِ. أمّا مَن أعلَنَ عن الّذي أرسَلَهُ وطَلَبَ المَجدَ لهُ فهو الصّادِقُ المُنزَّهُ. [19]ولقد أعطاكُم النَّبيُّ موسى التَّوراةَ فألقَيتُموها وَراءَ ظُهورِكُم وخالَفتُموها فلِماذا تَتَّهمونَني بالخُروجِ عَنها وتَسعَونَ إلى قَتلي؟" [20]فأجابَهُ الذين حَولَهُ مُنكِرينَ: "لا أحَد

(1) أراد هؤلاء الاحتفالَ بالعيد في القدس دون غيرها من المدن لأنّ هذا فرضٌ كما جاء في التوراة، وكان على الرجال أن يقدّموا أضحية في حرم بيت الله (انظر سفر التثنية 16: 13–17).

(2) إنّ سبب اندهاش قادة اليهود هنا ليس من جهل عيسى ﷺ للقراءة والكتابة، إذ كان عامّة اليهود وحتّى الفقراءُ منهم يعرفون قراءة التوراة، والسبب الحقيقي من دهشتهم أنّ سيدَنا عيسى لم يَدرس على يد أحد من فقهائهم، وأنّه لم يعتمد على حُججهم عند محاجّته إيّاهم بعودته إلى التوراة.

يُرِيدُ قَتلَكَ، وإنّما تَلَبَّسَكَ شَيطانٌ يُوحي إليكَ بُهتانًا وزُورًا!" 21فأجابَهُم سلامُهُ علينا: "لقد
شَفَيتُ في يَومِ السَّبتِ رَجُلاً مَريضًا فاندَهَشتُم مِن ذلِكَ وانزَعَجتُم. 22ولقد أمَرَكُم النَّبيُّ
موسى بالخِتانِ في اليَومِ الثّامِنِ بَعدَ الوِلادةِ، وإنّكُم تَختِنونَ وِلدانَكُم حتّى وإن صادَفَ
ذلِكَ يَومَ السَّبتِ! واعلَموا أنّ هذا لَيسَ حِكرًا على النَّبيِّ مُوسى بل هو مِن زَمَنِ النّبيِّ
إبراهيمَ الّذي كانَ قَبلَهُ. 23فإن كُنتُم تَختِنُونَ يَومَ السَّبتِ كي لا تُخالِفوا ما شَرَّعَهُ النَّبيُّ
موسى لكُم، فلِمَ إذن تَغضَبونَ عليّ وتَثورونَ وقد شَفَيتُ يَومَ السَّبتِ إنسانًا مِن مَرَضِهِ؟
24فلا تُلقُوا بأحكامِكُم جزافًا، ولكنِ احكُموا بالعَدلِ".

عيسى سلامُهُ علينا هو المسيح المنتظر

25وأخَذَ بَعضُ أهلِ القُدسِ يَقولونَ: "ألَيسَ هذا الّذي يُريدونَ قَتلَهُ؟! 26ها هو يُعَلِّمُ
النّاسَ عَلَنًا ولا أحَدَ يَرُدُّهُ! تُرى، هل اقتَنَعَ قادتُنا أنّهُ المَسيحُ المُنتَظَرُ؟ 27ولكن كَيفَ
يَكونُ هو المُنتَظَرُ، ونحنُ نَعلَمُ مِن أينَ جاءَ، والحالُ أنّ المَسيحَ المُنتَظَرَ، كَما
أخبَرونا، لا أحَدَ يَعرِفُ مِن أينَ يأتي". (1) 28ورَفَعَ سلامُهُ علينا صَوتَهُ، وهو يُرشِدُ النّاسَ في
الحَرَمِ الشَّريفِ، ويُجيبُ عن حَيرتِهِم: "أتَعرِفونَ مَن أنا حَقًّا ومِن أينَ أتيتُ؟ أنا لم آتِ
إليكُم بمَحضِ إرادتي، بل إنّي طَوعُ إرادةِ مَن أرسَلَني، أمّا أنتُم فتَجهَلونَهُ، 29وأنا أعرِفُهُ
لأنّهُ هو الّذي أرسَلَني". 30وهُنا حاوَلَ قادةُ اليَهودِ القَبضَ عليهِ، ولكنّهُم لم يَصِلوا إليهِ
لأنَّ ساعتَهُ لم تَحِن بَعدُ. 31وأمّا جَماعةٌ أُخرى مؤمنةٌ بِهِ مِن تِلكَ الحُشودِ فقالَت: "هل
إذا جاءَ المَسيحُ، ستَكونُ آياتُهُ ومُعجِزاتُهُ أعظَمَ مِمّا أتى بِهِ هذا الرَّجُلُ المُبارَكُ؟!"

32وسَمِعَ المُتشَدِّدونَ ما يَتَجادلُ فيهِ النّاسُ، فأرسَلوا، مَعَ كِبارِ الأحبارِ، حُرّاسًا إلى
حَرَمِ بَيتِ اللهِ للقَبضِ عليهِ. 33فقالَ لهُم عيسى سلامُهُ علينا: "ما مَقامي بَينَكُم إلاّ لِوَقتٍ
قَصيرٍ، وسأعودُ بَعدَهُ إلى الّذي أرسَلَني. 34حينئذٍ ستَبحَثونَ عنّي فلا تَجِدونَني، ولا
تَستَطيعونَ الذَّهابَ إلى حَيثُ أكونُ". 35–36فأخَذَ النّاسُ مِن حَولِهِ يَتساءَلونَ: "تُرى أينَ
سيَذهَبُ فلا نَجِدُهُ؟! أتُراهُ يَنوي مُغادَرةَ فِلسطين إلى شِعابِنا المُشتَّتةِ في المَهجَرِ؟ وهل
سيُعَلِّمُ الأعرابَ هُناكَ؟ وماذا يَعني بقَولِهِ: ستَبحَثونَ عنّي فلن تَجِدوني، ولن تَقدِرُوا
على الذَّهابِ إلى حَيثُ أكونُ؟!"

---

(1) اعتقد فقهاء اليهود، أنّ شخص المسيح المنتظر سيكون من عامة الشعب، ومع ذلك سيكون غير معروف قطعيًا إلاّ أنّه سيظهر فجأةً ليقوم بتحرير بني يعقوب. وطالما أنّهم يعرفون أصل عيسى سلامُهُ علينا، بالإضافة إلى عدم اهتمامه بتحرير بني يعقوب، فقد رفضوا فكرة كونه المسيح المنتظر.

الماء الّذي يهب الحياة

37وفي آخرِ أيّامِ العِيدِ، وهو أعظمُها،(1) وَقفَ سَيّدُنا عيسى عَلَيۡنَا سَلَامُهُ وصَدَعَ بصَوتٍ مُرتَفِعٍ: "إذا عَطِشَ أحَدٌ فليأتِ إليّ لِيَرتَوِيَ! 38نَعم، ليأتِ ويَشرَبْ كُلُّ مَن آمَنَ بي، كَما جاءَ في الكِتابِ: مَن آمَنَ بِي ستَفيضُ مِن داخِلِهِ أنهارُ الحَياةِ". 39وقد قَصَدَ بذلِكَ رُوحَ اللهِ الّتي ستَحِلُّ في المُؤمِنينَ، ولم تَكُن قد حَلَّت رُوحُ اللهِ في داخِلِ أحَدٍ بَعدُ، لأنّهُ عَلَيۡنَا سَلَامُهُ لم يكُن قد رُفِعَ إلى ذلِكَ المَقامِ المَهيبِ. 40وعِندَما سَمِعوا كَلامَهُ هذا، تَعالَت أصواتُ بَعضِ النّاسِ قائلينَ: "حقًّا إنّهُ النّبيُّ المَوعُودُ الّذي أخبَرَتْنا التّوراةُ بمَجيئِهِ". 41وقالَ آخَرونَ: "هو ذاكَ المَسيحُ المُنتظَرُ". أمّا غَيرُهُم، فكانوا مُتَرَدِّدينَ إذ قالوا: "لَيسَ هو المَسيحَ المُنتَظَرَ، لأنَّ المَسيحَ لن يَأتيَ مِن مِنطَقةِ الجَليلِ! 42وقد ذَكَرَ الزَّبورُ وغَيرُهُ مِن كُتُبِ الأنبياءِ أنّ المَسيحَ مِن ذُرّيّةِ النَّبيِّ داود، ومِن قَريةِ بَيتِ لَحم، مَسقطِ رأسِ النَّبيِّ داود". 43وانقَسَمَ النّاسُ في شأنِهِ عَلَيۡنَا سَلَامُهُ. 44وأرادَ بَعضُهُم القَبضَ عليهِ إلاّ أنّ أحَدًا لم يَستَطِعِ الإمساكَ بِهِ.

45وعادَ حُرّاسُ بَيتِ اللهِ، فسألَهُم كِبارُ الأحبارِ والمُتَشَدِّدونَ: "لِماذا لَم تُحضِرُوهُ؟" 46فأجابوا: "لم نَرَ أحَدًا تَكَلَّمَ بِمِثلِ ما يَتَكلّمُ بهِ هذا الرَّجُلُ أبدًا!" 47فقالَ لهُمُ المُتَشَدِّدونَ: "أضَلَلتُم أنتم أيضًا؟ 48وهل رَأيتُم أحَدًا مِن قادتِنا أو مِن المُتَشَدِّدينَ آمَنَ بِهِ؟ 49أمّا العامّةُ الجَهلَةُ، الّذينَ لا يَعرِفونَ شَيئًا مِن الشَّريعةِ، فعليهِم اللَّعنةُ!" 50إلاّ أنّ نِقوديموسَ الّذي كانَ واحدًا مِن القادةِ، وهو الّذي التَقى ذاتَ مَرّةٍ عيسى عَلَيۡنَا سَلَامُهُ، قالَ لهُم: 51"هل تَقضي شَريعَتُنا بالحُكمِ على أحَدٍ دونَ إعطائِهِ فُرصةً للكَلامِ لمَعرفةِ ما قالَ وما فَعَلَ؟" 52فأجابوهُ: "وهل أنتَ مِن الجَليلِ أيضًا؟ فابحَث في الكُتُبِ السَّماويّةِ لتَعلَمَ أنّهُ لا نَبيَّ يأتي مِن الجَليلِ أبدًا!"(2) 53وهُنا انصَرَفَ الجَميعُ، كُلٌّ إلى وَجهَتِهِ.

---

(1) في عيد الخيام وخلال أيّامه السبعة، كان جمع من الأحبار يملؤون إناء ذهبيا من ماء بركة سلوام، ثمّ يَقفلون عائدين إلى حرم بيت الله، يتقدّمهم كبير الأحبار. وقد كانوا يَسكبون الماء في الحرم الشريف تقدمة لله، وذلك إحياءً لذكرى إمداد الله أسلافَهم في صحراء سيناء بالماء في عهد النبي موسى عليه السلام. كما كان بنو يعقوب يربطون بين ممارسة هذه العادة، وسكب الله روحه كالماء في آخر أيّام هذه الدنيا قبل قيام الساعة.

(2) كشف المتشدّدون هنا أنّهم ضدّ أهل الجليل إذ كانوا يعتبرونهم خليطًا من رعاع الناس على الرغم من أنّ عددًا من الأنبياء الأوّلين انحدروا من عدة قبائل من بني يعقوب كانت تقيم في منطقة الجليل.

٨
الفصل الثّامن

عيسى عليه السلام والمرأة الزّانية

[1]واتَّجهَ سَيِّدُنا عيسى عليه السلام إلى جَبَلِ الزَّيتونِ، [2]ثُمَّ رَجعَ إلى حَرَمِ بَيتِ اللهِ فَجرًا،
حَيثُ تَجمهَرَ حَولَهُ النّاسُ، فجَلَسَ بَينَهُم يُرشِدُهُم. [3]وبَعدَ هُنَيهَةٍ جاءَهُ الفُقهاءُ
والمُتشدِّدُونَ بامرأةٍ ضُبِطَت أثناءَ الزِّنى، وأَوقَفُوها أمامَ الجُموعِ [4]وقالوا لعيسى عليه السلام:
"أيُّها المُعلِّمُ، لقد ضَبَطوا هذِهِ المَرأة وهي تَزني، [5]وجاءَ في تَوراةِ سَيِّدِنا موسى أنَّ
الزّانِيَةَ تُرجَمَ حتّى المَوتِ، فماذا تَقولُ؟" [6]وقد كانَ في سُؤالِهِم ذاكَ مَكيدةٌ يُوقِعونَ
بها عيسى عليه السلام ليَتَّهِموهُ ويُحاكِموهُ.(1) أمّا سَيِّدُنا عيسى عليه السلام فانحَنى يَخُطُّ على
الأرضِ بأصبعِهِ. [7]وعِندَما ألَحُّوا عليهِ بالسُّؤالِ، اعتَدَلَ في جَلستِهِ، وقالَ لهُم: "مَن
كانَ مِنكُم بِلا خَطيئَةٍ، فَليَرمِها أوّلاً بحجَرٍ". [8]ثُمَّ عادَ للانحِناءِ والكِتابةِ على الأرضِ.
[9]وعِندَما سَمِعوا قولَهُ ذلِكَ، أَخَذوا يَنصَرِفونَ الواحِدُ إثرَ الآخَرِ ابتِداءً مِن كِبارِهِم،
حتّى لم يَبقَ سِوى عيسى عليه السلام والمَرأةِ الواقِفةِ وَسَطَ الجُموعِ. [10]فاعتَدَلَ عليه السلام في
جَلستِهِ وخاطَبَها قائلاً: "أيَّتُها المَرأةُ، أينَ ذَهَبَ مَنِ اتّهموكِ؟ ألم يَبقَ أحَدٌ ليَحكُمَ
عليكِ بالإعدامِ؟" [11]فأجابَتهُ: "كَلاّ يا سَيِّدي". فقالَ لها: "أنا أيضًا لا أحكُمُ
عليكِ. اذهَبي ولا تَعودِي إلى ارتِكابِ الخَطايا".

عيسى عليه السلام نور العالم

[12]ثُمَّ أخَذَ سَيِّدُنا عيسى عليه السلام يُحدِّثُ النّاسَ: "أنا هو نورُ العالَمِ، مَن يَتبَعُني فلا
يَمشي في الظُّلُماتِ، لأنِّي سأُنعِمُ عليهِ بنورِ الحَياةِ". [13]فقالَ لَهُ بَعضٌ مِن طائفةِ
المُتَشَدِّدينَ: "إنّكَ تَشهَدُ لِنَفسِكَ وتِلكَ شَهادةٌ لا تَصُحُّ". [14]فأجابَهُم عليه السلام: "مَعَ أنِّي
أشهَدُ لنَفسي، فشَهادَتي حَقٌّ، لأنّي أعلَمُ مِن أَينَ جِئتُ وإلى أينَ أذهَبُ، أمّا أنتُم
فتَجهَلونَ ذلِكَ. [15]وأحكامُكُم عليَّ مَحدودةٌ بمَقاييسِ البَشَرِ. لَيسَ لي أن أحكُمَ على

---

(1) كان محظورًا على اليهود القيام بعملية الإعدام في ظلّ الاحتلال الروماني. لذلك، فإنْ وافقهم سيدنا عيسى عليه السلام وطلب رجم تلك المرأة حتّى الموت، يكون بذلك قد خالف القانون الروماني، وإن برّأها يكون عليه السلام قد خالف شريعة التوراة، فيجدون حينها التّهمة التي يريدون تلفيقها له.

أَحدٍ، [16]وإذا حَكَمتُ فحُكمي صَحيحٌ لأنِّي لا أحكُمُ وَحدي، بل أحكُمُ أنا والوَليُّ الَّذي أرسَلَني. [17]وقد جاءَ عِندَكُم في التّوراةِ أنّ الشَّهادةَ لا تَصُحُّ إلاّ بشاهِدَينِ، [18]وها إنّ الوَليَّ الّذي أرسَلَني يَشهَدُ لي، كَما أشهَدُ لِنَفسي". [19]فقالوا لهُ: "وأينَ وَليُّكَ؟" فأجابَهُم ﷺ: "أنتُم إيّايَ تَجهَلونَ، لذلِكَ تَجهَلونَ وَلِيِّي أيضًا. ولو أنّكُم عَرَفتُم حَقيقَتي لعَرَفتُم مَن هُوَ وَلِيِّي". [20]قالَ ذلِكَ وهو يُعَلِّمُ النَّاسَ عِندَ بَيتِ المالِ في الحَرَمِ الشَّريفِ، ولم يَقدِرْ أحَدٌ على القَبضِ عليهِ، لأنّ ساعتَهُ لم تَحِن بَعدُ.

عيسى ﷺ ينذر من حوله

[21]ثُمّ تابَعَ ﷺ حديثَهُ مَعَ مَن حَولَهُ وقالَ لهُم: "سأرحَلُ عَنكُم وتَظَلُّونَ تَبحَثونَ عَنِ المَسيحِ المُنتَظَرِ دونَ طائِلٍ،(1) فتَموتونَ ولَمّا تُغفَرْ ذُنوبُكُم وخَطاياكُم بعد، ولن تستَطيعوا الوُصولَ إلى حَيثُ أنا ذاهِبٌ". [22]وتَساءَلَ حِينَئذٍ قادةُ اليَهودِ فيما بَينَهُم: "أيُّ مَعنًى لقَولِهِ "لن تَستَطيعوا الوُصولَ إلى حَيثُ أنا ذاهِبٌ؟" هل يُريدُ أن يَقتُلَ نَفسَهُ؟!" [23]فأجابَهُم بقَولِهِ: "أنتُم مِن أهلِ الدُّنيا، وأنا مِنَ السَّماءِ. أنتُم مِن هذا العالَمِ وأنا لَستُ مِنهُ، [24]لذلِكَ أقُولُ لكُم: "إن لم تُؤمِنوا بي، فستَموتونَ وخَطاياكُم غَيرُ مَغفورَةٍ". [25]فقالوا لهُ: "ومَن تَكونُ أنتَ؟!" فأجابَهُم سَيِّدُنا عيسى ﷺ: "أنا مَن أعلَنتُ ذاتي لكُم مُنذُ البِدايةِ، [26]وما زالَ عِندي الكَثيرُ مِن الأُمورِ الَّتي أتَحَدَّثُ فيها عَنكُم، وأُدينُكُم مِن خِلالِها. إنّ الّذي أرسَلَني هو الحَقُّ، ولا أُخبِرُ العالَمَ إلاّ بما سَمِعتُهُ مِنهُ" [27]ولم يُدرِك هؤلاءِ أنَّهُ ﷺ كانَ يُشيرُ إلى اللهِ وَليّهِ الحَميم. [28]واستَمَرَّ يَقولُ: "الحَقَّ الحَقَّ أقُولُ لكُم: إنّهُ مَتَى تُعَلِّقونَ سَيِّدَ البَشَرِ على الخَشبةِ، ستُدرِكونَ حَقيقَتي، وأنّ ما يَصدُرُ عنِّي مِن أعمالٍ لَيسَ مِن تِلقاءِ نَفسي، إنَّما أتَكَلَّمُ بسُلطةٍ مِن اللهِ أبي الصَّمَدِ، [29]فهو الّذي أرسَلَني وهو مَعي دائمًا ولا يَترُكُني، وأنا أعمَلُ على الدَّوامِ حَسَبَ مَرضاتِهِ". [30]فآمَنَ بِهِ كَثيرونَ.

أولاد النبيّ إبراهيم عليه السلام

[31]ثُمّ التفَتَ إلى الفِئةِ الّتي آمَنت بِهِ مِنَ اليَهودِ قائلاً: "أنتُم حَقًّا أتباعي إن تَمَسَّكتُم بتَعاليمي، [32]وستَعرِفونَ الحَقَّ، والحَقُّ يُحرِّرُكُم". [33]فقالوا: "إنّنا أحفادُ النَّبيِّ إبراهيمَ،

(1) المقصود أنّ هؤلاء لم تكن لديهم لا القناعة ولا الإيمان بأنّه المسيح المنتظر حقًا، لذلك سيظلون يبحثون عن المسيح المنتظر بلا طائل.

فكَيفَ تَقولُ إنّنا سنُصبحُ أحرارًا ولـم نَكُن في يوم مِنَ الأيّام عَبيدًا لأحَدٍ؟!"[(1)]
[34]فأجابَهُم سَيّدُنا عيسى عَلَيْنَا سَلَامُهُ: "الحقَّ أقولُ لكُم: الإنسانُ عَبدٌ للخَطيئةِ الّتي يرتكِبُها،
[35-36]وكَما يَبقى ابنُ السّيّدِ في دارِ أبيهِ، في حينِ لا يَحقُّ للعَبدِ أن يَبقى في هذهِ الدّارِ، كذلِكَ أنتُم، يا عَبيدَ الخَطايا والمَعاصي، لَيسَ لكُم بَقاءٌ في الدّارِ الأبديّةِ. أمّا أنا، فأحظى بمَقامِ ابنِ البَيتِ، وأملِكُ حقَّ التّصَرُّفِ بتِلكَ الدّارِ الأبديّةِ، وإن حَرَّرتُكم أنا بسُلطاني، تكَونونَ في الحَقيقةِ أحرارًا. [37]وإنّي على يَقينٍ أنّكُم أحفادُ النَّبيِّ إبراهيمَ، ولكنَّكُم تَسعَوْنَ إلى قَتلي وصُدورَكُم عَن كَلِمَتي تُغلِقونَ. [38]وأنا أُحدِّثُكم بما سَمِعتُهُ مِن وَليِّي، أمّا أنتُم فتَعمَلونَ بِما حَدَّثَكُم بِهِ وليُّكُم." [39]فأجابوهُ بقَولِهِم: "إبراهيمُ أبونا". فقالَ لهُم عَلَيْنَا سَلَامُهُ: "لو كُنتُم حَقًّا أولادَهُ لَعمِلتُم بِسُنَّتِهِ وسيرتِهِ، [40]ولكنَّكُم تبغونَ قَتلي، قَتلي أنا الّذي حَدَّثتُكُم بالحَقِّ الّذي تَعَلَّمتُهُ مِنَ اللهِ، وما كانَ إبراهيمُ لِيَفعَلَ ما تَفعلونَ! [41]وإنّكُم إذ تَقترِفونَ ما تَقترِفونَ، تَسيرونَ في رِكابِ وَليِّكُم اللَّعينِ!" فقالوا: "كَيفَ تَتَّهِمُنا بِعَدَمِ نَقاءِ أصْلِنا؟ ونحنُ مِن سُلالةِ النّبيِّ إبراهيمَ الشَّريفِ! وما لنا وَليٌّ غيرُ اللهِ!"[(2)]

[42]فقالَ لهُم سَيّدُنا عيسى عَلَيْنَا سَلَامُهُ: "لو كانَ اللهُ وَليَّكُم فِعلاً لأحبَبتُموني، لأنّني مِن عِندِهِ جِئتُ ومن حَضْرَتِهِ أَتَيْتُ، فهو وَحدَهُ الّذي أَرسَلَني، ولم آتِ مِن تِلقاءِ نَفسي. [43-44]هل تَعلَمونَ لِماذا لا تَفهَمونَ كَلامي وتَرفُضونَ رِسالتي؟ ذلِكَ لِكَونِكُم أعوانَ إبليسَ وهو وَليُّكُم، لهذا لَيسَ لكُم المَقدرة على ذلكَ. لِذا أنتُم تَميلونَ لإرضاءِ رَغَباتِهِ لأنَّهُ هو الَّذي يَسعَى مُنذُ البَدءِ إلى هَلاكِ العالَمينَ، وقدِ انحَرَفَ عن الحَقِّ، ولَيسَ للحقِّ سَبيلٌ إليهِ. ولَيسَ كِذبُهُ -إن كَذِبَ- عَجَبًا، فذاكَ طَبعُهُ، فهو كَذّابٌ وما بِدايةُ الكِذبِ إلاّ مِنهُ. [45]لذلِكَ عِندَما أُحدِّثُكم بالحَقِّ فمِنَ الطّبيعي ألاّ تُصدِّقوني. [46]ومَن مِنكُم يَستَطيعُ أن يُبَرهِنَ على خَطيئةٍ ارتكَبتُها؟ إنّي لأقولُ لكُم الحقَّ فلِماذا لا تُصدِّقونَني؟ [47]مَن كانَ مِن أهلِ اللهِ أَصغى لكَلامِ اللهِ بِكُلِّ سُرورٍ، ولكِنّكُم لكَلامِي رافِضونَ لأنّكُم لَستُم مِن أهلِ اللهِ".

---

(1) كان اليهود، لكونهم من سلالة النبي إبراهيم عليه السلام، يعتقدون أنّهم في غنى عن أيّ مرشد روحي أو عن أيّ مخلّص يحرّرهم من العبودية. ولكنّ سيدنا عيسى عَلَيْنَا سَلَامُهُ يقرّر هنا أنّ الانتماء إلى سلالة النبي إبراهيم، أو أيّة سلالة أخرى، لا يعني تميزًا عن الآخرين، ولا يخلق تفاضلاً بين البشر.

(2) كان اليهود يعتبرون أنّ مَن لا يجري في عروقه دم النبي إبراهيم عليه السلام ليس من شعب الله المختار. وقد فهم قادة اليهود أنّ سيدنا عيسى عَلَيْنَا سَلَامُهُ كان يتّهمهم بأنهّم خليط أنسال ولا تجري في عروقهم دماء أصيلة، في حين أنّه عَلَيْنَا سَلَامُهُ كان يقصِدُ أنهم كانوا يقلّدون الشيطان الذي كان وليّهم الحقيقي.

وجود عيسى ﷺ قبل النبيّ إبراهيم ﷺ

48فقالَ بَعضُهم: "أَلَيسَ في قَولِنا الحَقُّ: ما أنتَ إلاّ سامِريٌّ يَسكُنُهُ شَيطانٌ" (1).
49فأجابَهُم: "لَيسَ مِن شَيطانٍ يَسكُنُني، إنّما أُمَجِّدُ اللهَ أبي الصَّمَدَ الّذي أرسَلَني، وأنتُم تُهينونَني بكَلامِكُم! 50ولا أُريدُ تكريمًا لِنَفسي، بلِ اللهُ هو مَن يُكرِّمُني، فَليَحكُم اللهُ بَيني وبَينَكُم وهو خَيرُ الحاكِمينَ. 51والحَقَّ الحَقَّ أقُولُ لكُم، إنّ مَن يُطيعُ كلامِي ويَتَّخِذُ سُنَّتي مِنهاجًا، فلَهُ الخُلودُ ولا يَمَسُّهُ المَوتُ". 52فبادَرَهُ القَومُ بِقَولِهِم: "الآنَ أيقَنّا، أنّكَ مَسكونٌ بشَيطانٍ! فكَيفَ تدّعي أنّ مَن يَتّبعُ تَعاليمَكَ لا يَطالُهُ المَوتُ، وكُلّ مَن في هذِهِ الحَياةِ تُرَدُّ عليهِم حِجارةُ اللُّحُودِ؟ كَذا كانَ حالُ أبينا إبراهيمَ والأنبياءِ مِن بَعدِهِ، الَّذينَ ماتوا أجمَعينَ، 53فهل أنتَ أعظمُ مِن النَّبيِّ إبراهيمَ أو مِن باقي الأنبياءِ الّذينَ قَضَوا مِن سِنين، مَن تَخالُ نَفسَكَ في العالَمينَ؟" 54–55فأجابَهُم ﷺ: "إن رَفَعتُ مَكانَتي بَينَكُم، فلَيسَ ذلكَ بِشَيءٍ يُقابِلُ المَكانةَ الرّفيعةَ الّتي يَرفَعُني إليها اللهُ أبي الصَّمَدُ في الدُّنيا والآخِرة، وإنّكُم لتَدَّعونَ أنّهُ ربُّكُم، رَغمَ أنّكُم لا تَعرِفونَهُ! أمّا أنا فأعرِفُهُ، وأسلُكُ مِنهاجَهُ، فإن قُلتُ غَيرَ ذلكَ أكونُ مِثلَكُم كاذِبًا. 56لقد تَشَوَّقَ أبوكُم إبراهيمُ أن يَرى يَومَ مَجيئي، فرآهُ وابتَهَجَ ابتِهاجًا عَظيمًا". 57فانبَرَوا قائلينَ: "كَيفَ رأيتَ النّبيَّ إبراهيمَ ولمّا تَبلُغْ مِن عُمرِكَ الخَمسينَ؟!" 58فأجابَهُم بقولِهِ: "الحَقَّ الحَقَّ أقولُ لكُم، قد كُنتُ قَبلَ أن يُولَدَ إبراهيمُ". 59فتَناوَلوا حِجارةً لِيَرجُموهُ، ولكِنّهُ ﷺ اختَفى عَنِ الأنظارِ، وانسَحَبَ خارِجَ الحَرَمِ الشَّريفِ.

٩
الفصل التّاسع

عيسى ﷺ يشفي الأعمى

1وبَينَما كانَ سَيِّدُنا عيسى ﷺ يَمشي في طَريقِهِ، رأى رَجُلاً أصابَهُ العَمى مُنذُ

(1) كان السامريون واليهود على خلاف مستمرّ، فكلّ فريق منهما كان يتّهم الآخر بأنّه ليس من أصل نقيّ. لذلك ظنّ اليهود أنّ المسيح ﷺ إنّما يقف في صفّ أعدائهم السامريين لأنّه أخذ يشكّك في انتمائهم إلى النبي إبراهيم ﷺ، فتحدّوه بقولهم إنّ مسًّا شيطانيًا أصابه، وهذا يعني أنّه من المستحيل أن يكون نبيًّا.

وِلادتِهِ. [2]فسألَهُ أتباعُهُ: "أيُّها المُعلِّمُ، لقد وُلِدَ هذا الرَّجُلُ أعمى فهل مَردُّ ذلِكَ
خَطيئتُهُ، أم خَطيئةٌ ارتكَبَها والِداهُ؟!"(1) [3]فأجابَهُم بقولِهِ: "لا هو أذنَبَ ولا أبَواهُ، إنّما
وُلِدَ كَفيفًا لتَظهَرَ قُدرةُ اللهِ فيهِ. [4]ما دامَ الوقتُ نَهارًا فلنَعمَلْ، لأنَّهُ لَيسَ باستَطاعتِنا العَمَلُ
عِندَما يُقبِلُ اللّيلُ. لذلِكَ، ما دُمتُ أنا بَينَكم، فيَجِبُ علينا كُلِّنا أن نَقومَ بما أمَرَني اللهُ
الّذي أرسَلَني. [5]لأنّي أنا نورُ العالَمِ". [6]ثُمّ عَجَنَ ﷺ بريقِهِ عَجينةً مِن طينٍ ووَضَعَها
على عَينَي الأعمى [7]وقالَ لهُ: "امضِ واغتَسِلْ في بِركةِ سِلوانَ". ومَعناها "مُرسَل".
فاغتَسلَ الكَفيفُ وأصبَحَ بَصيرًا.

[8]فتَساءَلَ جيرانُ هذا الرَّجُلِ وكُلُّ مَن عَرَفَهُ شَحّاذًا: "أليسَ هذا هو الرَّجُلُ الّذي كانَ
يَجلِسُ يَستجدي المارّة؟" [9]فأجابَ بَعضُ الحُضور: "نعم." وقالَ آخرونَ: "لا، بَل
يُشبِهُهُ." أمّا هو فقالَ بإصرارٍ: "أجل، أنا هو ذاكَ الرَّجُلُ!" [10]فقالوا لَهُ: "فكَيفَ
أصبَحتَ بَصيرًا؟" [11]فأجابَهُم: "إنّ الرَّجُلَ الّذي اسمُهُ عِيسَى، صَنَعَ طينًا ووَضَعَهُ على
عَينَيَّ وقالَ لي: اِذهَبْ إلى سِلوان واغتَسِلْ. فذَهَبتُ واغتَسَلتُ وأصبَحتُ بَصيرًا."
[12]فقالوا لَهُ: "وأينَ هو الآن؟" فأجابَ: "لا أدري."

استجواب الأعمى الّذي شفاه عيسى ﷺ

[13–14]وصادَفَ أن كانَ اليَومُ الّذي مَنّ فيهِ سَيِّدُنا عيسى ﷺ على الكَفيفِ بالبَصرِ،
يومَ سَبتٍ. فأُخِذَ الأعمى إلى المُتَشَدِّدينَ، [15]وسألوهُ: "كَيفَ أصبَحتَ مُبصِرًا؟"
فأجابَهُم: "وَضَعَ عيسى على عَينيَّ طينًا ثُمَّ أمَرَني أن أغتَسِلَ فأطَعتُهُ وأبصَرتُ".
[16]عِندَئِذٍ غَضِبَ بَعضُ المُتَشَدِّدينَ قائلينَ: "هذا الرَّجُلُ لَيسَ مُرسَلاً مِنَ اللهِ! إنّهُ يَنتَهِكُ
حُرمةَ السَّبتِ!" وقالَ آخرُونَ في حَيرةٍ: "كَيفَ يُمكِنُ لرَجُلٍ آثم أن يُظهِرَ تِلكَ
المُعجِزاتِ؟!" ووَقَعَ بَينَهُم خِلافٌ، [17]فعادوا يَسألونَ المُبصِرَ: "وما تَقُولُ فيهِ أنتَ وقد
جَعَلَكَ مُبصِرًا؟" فأجابَهُم: "إنّهُ لَنبيٌّ!" [18]فنَهَرَهُ قادةُ اليَهودِ وكَذَّبوهُ، مُرتابينَ أن يَكونَ
قد وُلِدَ كَفيفًا ثُمَّ أصبَحَ مُبصِرًا، فاستَدعَوا والِدَيهِ لِيَسألُوهُما: [19]"أهذا هو ابنُكُما الّذي

(1) هذا يعكس المعتقد الذي كان شائعًا آنذاك بأنّ كلّ مرض يصيب الإنسان لا يكون إلاّ بسبب خطيئة ارتكبها ذلك الإنسان. وبناءً على ذلك، فإذا وُلد طفلٌ به عاهةٌ، فمردّ ذلك إلى خطيئة ارتكبهَا أحدُ الوالديْن. حتّى أنّ بعض فقهاء اليهود غالَوْا في هذا المعتقد فادّعوا أنّ الجنين قد يذنب وهو في رحم أمّه. والسيّدُ المسيح ﷺ يُنكر هنا ذلك الربط بين إعاقة هذا الرجل وبين آثام معيّنة. غير أنّنا نرى في بعض المواضع من الإنجيل أنّ بعض البلايا تكون نتيجة لارتكاب أصحابها الآثام.

تَقولانِ إنّهُ وُلِدَ كَفيفًا؟ وإن كانَ قد وُلِدَ كَفيفًا فكَيفَ يُبصِرُ الآن؟!" 20فأجابا: "نحنُ
نعلَمُ بأنّهُ ابنُنا وأنّهُ وُلِدَ كَفيفًا، 21وأمّا كَيفَ أصبحَ مُبصِرًا ومَن الّذي مَنَحهُ البَصَرَ، فهذا
ما لا نَدريهِ. فلكُم أن تَسألوهُ فهو يَستَطيعُ إجابتَكُم عن سُؤالِكُم هذا، إنّهُ بالِغٌ عاقِلٌ".
22–23وقد ذَكَرَ الوالِدانِ ذلِكَ خَوفًا مِن قادةِ اليَهودِ الّذينَ أعلَنوا أن يَمنَعوا بَيتَ العِبادةِ عن
كُلِّ مَن يَشهَدُ بأنّ عيسى عليه السلام هو المَسيحُ المُخَلِّصُ المُنتَظَرُ. 24وعادَ المُتشدِّدونَ ليَسألوا
الرَّجُلَ الّذي كانَ كَفيفًا قائلينَ: "نَستَحلِفُكَ باللهِ أن تَقولَ الحقَّ! فنحنُ نَعلَمُ أنّ هذا
الرَّجُلَ في ضَلالٍ مُبينٍ". 25فأجابَهُم: "أضالٌّ هو أم لا، لَستُ أعلَمُ. لكنّني أعلَمُ شَيئًا
واحدًا: كُنتُ أعمًى والآن أُبصِرُ!" 26وعادوا فقالوا: "كَيفَ جَعلَكَ مِن المُبصِرينَ؟"
27فقالَ: "لقد أخبَرتُكُم بما فَعَلَ لكنَّكُم لم تُصدِّقوا، فلِمَ أُعيدُ على مَسامِعِكُم ما قُلتُهُ
سابقًا، ألعَلَّكُم في اتّباعِهِ راغِبونَ؟" 28فاستَشاطوا مِنهُ غَضَبًا وشَتَموهُ قائلينَ: "أنتَ مِن
أتباعِهِ، أمّا نحنُ فأتباعُ النَّبيِّ موسى! 29نَحنُ نَعلَمُ أنَّ اللهَ كَلَّمَ النّبيَّ موسى، أمّا هذا،
فلا نَعرِفُ لهُ أصلاً!" 30فأجابَهُم: "عَجَبًا لكُم! أنتُم لا تَدرونَ شَيئًا عن هذا الشَّخصِ
ولا تَعرِفونَ مَن يَكونُ، ولكنّهُ جَعلَني أُبصِرُ، 31ونحنُ نَعلَمُ أنّ اللهَ يَستَجيبُ للتُّقاةِ
العاملينَ على طاعتِهِ، دونَ الضّالّينَ، 32ونحنُ لم نَسمَع على مَدى الزّمانِ بمَن استَطاعَ
أن يَجعَلَ مَن وُلِدَ أعمًى مُبصِرًا! 33ولو لم يَكُن هذا الرَّجُلُ مُرسَلاً مِنَ اللهِ، لمَا كانَ
باستِطاعتِهِ فِعلُ هذِهِ المُعجزةِ". 34فأجابوهُ: "أنتَ يا مَن تَحمِلُ الآثامَ مُنذُ وِلادتِكَ،
كَيفَ تُريدُ إرشادَنا!؟" وطَرَدُوهُ خارِجًا.

عمى البصيرة

35ووَصَلَ إلى مَسمَعِ سَيِّدِنا عيسى عليه السلام بأنّ الرَّجُلَ قد طُرِدَ، فسَعى إلى لقائِهِ وقالَ
لهُ: "أتُؤمِنُ بسَيّدِ البَشَرِ؟" 36فأجابَهُ الرَّجُلُ: "ومَن هو، يا سَيِّدي، حتّى أُؤمِنُ بِهِ؟"
37فقالَ لهُ عليه السلام: "هو مَن تَراهُ أمامَكَ يُكلِّمُكَ". 38فأجابَهُ الرَّجُلُ قائلاً: "قد آمَنتُ بكَ
يا سَيِّدي!" وانحَنى أمامَهُ. 39فقالَ عليه السلام: "قد جِئتُ إلى هذا العالَمِ ليُبصِرَ أعمَى
البَصَرِ، ولأُبيِّنَ للّذينَ يَزعُمونَ بأنّهم بأُمورِ اللهِ مُبصِرونَ أنّهُم في عَماهُم مُدلِجونَ".
40وسَمِعَهُ بَعضُ المُتشدِّدينَ الحاضِرينَ، فقالوا لهُ مُنكِرينَ: "أتَقصُدُ أنّنا نحنُ أيضًا
عُميانٌ وأنّنا عن أُمورِ اللهِ مُبعَدونَ؟" 41فأجابَهُم: "لو كُنتُم عُميانًا، ما كانَ عليكُم مِن
ذَنبٍ، ولكنّكُم تَزعُمونَ أنّكُم مُبصِرونَ فأنتُم في مَعاصِيكُم قابِعونَ".

١٠
الفصل العاشر

عيسى ﷺ الرّاعي الصّالح

[1]ثُمّ قالَ سَيِّدُنا عيسى ﷺ: "الحقَّ الحقَّ أقولُ لكُم، إنّ مَن لا يَدخُلُ حَظيرةَ الخِرافِ مِن بابِها، بل يَتسَلّقُ سُورَها ويَنسَلُّ إليها مِن مَكانٍ آخرَ، لا يَكونُ إلاّ لِصًّا مُجرمًا، [2]لأنّ مَن يَدخُلُها مِن بابِها هو الرّاعي، [3–5]وحارسُ الحَظيرةِ يَفتَحُ لهُ البابَ، فإذا دَخلَها تَحلَّقَ حَولَهُ قَطيعُهُ دونَ باقي القِطعانِ الّتي في الحَظيرةِ، وأصغى إلى صَوتِهِ الّذي ألِفَهُ، فإذا نادى خِرفانَ قَطيعِهِ بأسمائِهِم تجاوبَت كُلٌّ حَسَبَ دورِه ثُمّ يَقودُها إلى المَراعي، سائرًا في مُقدِّمَتِها. وهي تَتبَعُهُ لأنّها تَعرِفُ صَوتَهُ، ولو لم يَكُن ذاكَ راعيَها الحَقيقيَّ لفَرَّت مِنهُ لأنّها تُميِّزُ صَوتَ الغَريبِ". [6]ولقد ضَرَبَ لهُم سَيِّدُنا عيسى ﷺ ذلِكَ المَثَلَ، فما أدركوا مَغزاهُ، وما فَقهُوهُ، [7]ولمّا عَلِمَ عَدَمَ فَهمِهِم التَفَتَ إليهِم مُوضّحًا: "أقولُ لكُم الحَقَّ اليَقينَ، أنا بَوّابةُ الأمانِ للخِرافِ، [8]وكُلُّ مَن ادَّعى ذلِكَ قَبلَ مَجيئي فهو لِصٌّ مُجرِمٌ، لذا لم تُصغِ الخِرافُ إلى صَوتِهِ. [9]أجل، أنا هو تِلكَ البَوّابةُ، ومَن آمَنَ بي ولَحِقَ بجَماعةِ المُؤمنينَ فقد نَجا، وكَما تَمضي الخِرافُ بأمانٍ إلى المَرعَى، سيَمضِي المؤمنونَ بي بأمانٍ وسَلام. [10]وما أتى السّارقُ إلاّ ليَسرِقَ ويَذبَحَ ويُهلِكَ، أمّا مُهِمَّتي الّتي جِئتُ مِن أجلِها فهي حِفظُ الحَياةِ وهِبةُ الخُلودِ، خُلودٍ يَفيضُ هَناءً وخَيرًا.

[11]أنا هو الرّاعي الصّالحُ، والرّاعي الصّالحُ يُضحّي بنَفسِهِ مِن أجلِ رَعيَّتِهِ. [12–13]ولَيسَ الأجيرُ كصاحِبِ الخِرافِ وراعيها، فالأجيرُ إذا رَأى الذِّئبَ مُقبلاً وَلّى هارِبًا وتَرَكَ الخِرافَ فَريسةً لهُ يَهجِمُ عليها ويُبَدِّدُها، وما كانَ ليَأبَهَ لذلِكَ فهو لَيسَ بصاحِبِها. [14]أمّا أنا فإنّي ذاكَ الرّاعي الصّالحُ، الّذي يَعرِفُ أتباعَهُ وهم يَعرِفونَهُ، [15]مِثلَما أعرِفُ اللهَ الأبَ الرّحيمَ وهو يَعرِفُني. أنا أُضحّي بحَياتي لأنقِذَ أتباعي. [16]ولي أتباعٌ آخرونَ مِن غَيرِ هذا الشَّعبِ، عليّ أن أضُمَّهُم إلى رَعيَّتي أيضًا، إنّهُم سيُصغونَ إلى صَوتي كَما أصغى إليّ المؤمِنونَ بي قَبلَهُم، فتُصبِحُ الرَّعيّةُ رَعيّةً واحدةً ولها راعٍ واحدٌ. [17]وأقولُ لكُم إنّ اللهَ الأبَ الرّحيمَ يُحِبُّني لأنّني أُضحّي بحَياتي حتّى أنالَها ثانيةً. [18]وما مِن أحدٍ يَنتَزِعُ حَياتي مِنّي، بل أنا أُضحّي بها بِمِلْءِ إرادتي وساعةَ أشاءُ، ولقد أوصاني اللهُ أبي الصَّمَدُ بهذا، وأعطاني حَقَّ أن أُضحّي بها وحقَّ أن أنالَها ثانيةً".

[19]واخترَقَ المُحتَشِدينَ خِلافٌ حادٌّ مَرَّةً أُخرَى لِما في كَلامِهِ من مَعانٍ، [20]فانبرى كَثيرونَ مِنهُم يَقولونَ: "ما هذا إلاّ رَجُلٌ مَجنونٌ، يَسكُنُهُ شيطانٌ لَعينٌ، فلِمَ تُلقونَ إليه بأسماعِكُم؟!" [21]وقالَ آخرونَ: "ما هذا بكَلامِ مَن بِهِ مَسٌّ، وهل يَقدِرُ مَن تَسكُنُهُ الجانُ أن يُعطِي الأعمى بَصَرًا؟!"

عيسى ﷺ ورفض القادة اليهود له

[22] وفي الشِّتاءِ، عِندَ حُلولِ عِيدِ التَّجديدِ في القُدسِ،(1) [23]وبَينَما كانَ سَيِّدُنا عيسى ﷺ يَسيرُ في قاعةِ سُليمانَ في الحَرَمِ الشَّريفِ، [24]تَجَمَّعَ حَولَهُ حَشدٌ مِن قادةِ اليَهودِ وقالوا لهُ: "إلى مَتى تُبقينا في حَيرةٍ مِن أمرِكَ؟ فإن كُنتَ المَسيحَ المُنتَظَرَ حقًّا فصارِحْنا بذلِكَ!" [25]فأجابَهُم: "قد قُلتُها لكُم صَراحةً، إلاّ أنّكُم لا تُصَدِّقونَ، وكُلُّ ما فَعَلتُ مِن المُعجِزاتِ كانَت باسمِ اللهِ أبي الصَّمَدِ، وهي الّتي تَشهَدُ أمامَكُم بحَقيقَتي، [26]ولكنّكُم لا تُؤمِنونَ، لأنّكُم لَستُم مِن رَعيَّتي. [27]فأتباعي أنا أعرِفُهُم، ورَعيّتي لصَوتي يُصغُونَ، وإيّايَ يَتَّبِعونَ، [28]وعَنِ النّارِ مُبعَدُونَ، لأنّني أمنَحُهُم الخُلودَ في الآخرَة، ولا أحَدَ يَقدِرُ أن يَختَطِفَهُم مِنّي، [29]لأنّ الّذي مَنَحَني إيّاهُم هو اللهُ الأبُ الصَّمَدُ القَديرُ، وهو فَوقَ الجَميعِ، ومَن ذا الّذي يَنتَزِعُ مِنَ اللهِ الأبِ الصَّمَدِ شَيئًا؟ [30]وإنّي والأبُ الرَّحمنُ واحدٌ". [31]ومَرَّةً أُخرى، تَناوَلَ قادةُ اليَهودِ الحِجارةَ لرَجمِهِ. [32]فأجابَهُم سَيِّدُنا عيسى ﷺ بقَولِهِ: "ما صَدَرَ عنّي بأمرِ اللهِ الأبِ الرَّحمنِ سِوى أعمالٍ صالحةٍ بَيَّنتُها للمَلأ، فلأيِّ عَمَلٍ صالحٍ مِنها تبغونَ رَجمي؟" [33]فأجابوهُ قائلينَ: "نحنُ لا نَبغي رَجمَكَ لأعمالٍ صالحةٍ، بل لِكُفرِكَ، فما أنتَ إلاّ إنسانٌ، ولكنّكَ تَدَّعي أنَّكَ رَبٌّ". [34]فقالَ لهُم ﷺ: "جاءَ في الزَّبورِ أنّ اللهَ خاطَبَ بَعضَ قادةِ الشَّعبِ قائلاً: "أنا قُلتُ إنّكم أربابٌ". [35]والكِتابُ دائمًا على حَقٍّ، فإذا كانَ لَقَبُ أربابٍ يُطلَقُ على مَن جاءَتهُم رسالةُ اللهِ، [36]فلِماذا تَدَّعونَ بأنّني كافِرٌ عِندَما أقولُ بأنّي الابنُ الرُّوحيُّ للهِ، أنا الّذي اختارَهُ اللهُ الأبُ الرَّحمنُ فأرسَلَهُ إلى العالَمِ؟ [37]ولكُم أن تُكذِّبوني إن لم أقُم بما أمَرَني بِهِ اللهُ أبي الصَّمَدُ مِن

(1) عيد التجديد هو عيد يتذكّر فيه اليهود تجديد بيت الله المقدّس سنة 164 ق.م. وتطهيره بعد أن دنّسه الملك الوثني أنطيوخس إبيفانس بتقديمه خنزيرًا فيه ذبيحةً.

أعمالٍ، 38أمّا إن كُنتُ قد قُمتُ بتِلكَ الأعمالِ فصَدِّقوها، حتّى لو لم
تُصدِّقوني، لأنّ أعمالي مُصدِّقةٌ لقَولي، واعلَموا بأنّ اللهَ الأبَ الرَّحمنَ في ذاتي
وأنا في ذاتِ اللهِ الأبِ الرَّحمنِ". 39وحاوَلَ الحاضِرُونَ القَبضَ عليهِ مَرّةً
أُخرى، إلاّ أنّهُم لم يُفلِحوا، لأنّهُ أفلَتَ مِن بَينِ أيديهِم.

40ورَجَعَ سَيِّدُنا عيسى سلامُهُ علينا إلى الضِّفَّةِ الشَّرقيَّةِ مِن نَهرِ الأُرْدُنّ، حَيثُ كانَ النّبيُّ
يَحيى عليه السلام يُطهِّرُ النّاسَ بالماءِ قَبلَ ذلِكَ الوَقتِ. وأقامَ سلامُهُ علينا هُناكَ. 41فجاءَهُ كَثيرٌ مِنَ
النّاسِ، وكانوا يَقولونَ: "يَحيى لم يَقُم بعَمَلِ المُعجِزاتِ، ولكنّهُ كانَ يُحدِّثُ عن هذا
الرَّجُلِ، وكُلُّ ما قالَهُ عَنهُ صَحيحٌ". 42وآمَنَ بِهِ هُناكَ كَثيرون.

١١
الفصل الحادي عشر

موت لعازر

1وكانَ في قَريةِ بَيتِ عَنْيا رَجُلٌ مَريضٌ هو لَعازَرُ شَقيقُ مَرْثا ومَريَمَ، 2وهي المَرأةُ
الّتي ستَسكُبُ فيما بَعدُ العِطرَ على قَدَمَي عيسى سلامُهُ علينا وتَمسحُهُما بشَعرِها. 3فأرسَلَت
الشَّقيقتانِ إلى سَيِّدِنا عيسى تَقولانِ: "يا سَيِّدَنا، إنّ مَن تُحِبُّ مَريضٌ". 4ولمّا
بَلَغَهُ سلامُهُ علينا استِنجادُهُما قالَ: "لن يُؤدِّي مَرَضُ لَعازَر إلى مَوتِهِ فحَسبُ، وإنّما
سيَكونُ لرَفعِ ذِكرِ اللهِ أيضًا، إذ بِهِ يُرفَعُ ذِكرُ الابنِ الرُّوحيِّ للهِ". 5ورغمَ أنّهُ سلامُهُ علينا
كانَ يُحِبُّ أفرادَ هذِهِ العائلةِ 6فإنّهُ لم يَهرع إليها عِندَ سَماعِهِ بمَرَضِ لَعازَر بل مَكَثَ
يَومَيْنِ 7قَبلَ أن يَقولَ لأتباعِهِ: "آنَ أوانُ العَودةِ إلى يَهوذا". 8فاعتَرَضَ أتباعُهُ على
ذلِكَ قائلينَ: "أيا سَيِّدَنا، كَيفَ تَرجِعُ إلى يَهوذا، وقد حاوَلَ قادتُها رَجمَكَ؟!"
9-10فقالَ لهُم سلامُهُ علينا: "ومِثلَما جعَلَ اللهُ للنّهارِ اثنتَي عَشرةَ ساعةً، وكُلُّ مَن يَسيرُ
فيها لا يَعثَرُ لأنّهُ يَمشي في ضَوئِهِ، كذلِكَ حَدَّدَ لي وَقتًا لأقومَ فيهِ بأعمالي. ومَن
لا يَسيرُ في نورِ اللهِ فسيَعثُرُ كأنّهُ تائهٌ في عَتمَةِ اللّيلِ". 11ثُمّ أخبَرَهُم: "نامَ لَعازَرُ
حَبيبُنا، وأنا ذاهِبٌ إليهِ لأوقِظَهُ". 12فأجابَهُ أتباعُهُ: "يا سَيِّدَنا، إن كانَ قد نامَ،
فعَمّا قَريبٍ سيَتِمُّ لهُ الشِّفاءُ". 13ولقد أشارَ سَيِّدُنا عيسى سلامُهُ علينا بالنّومِ إلى المَوتِ،
ولكنّ أتباعَهُ لم يَفطِنوا إلى إشارتِهِ. 14فقالَ مُوضِّحًا مَقصَدَهُ: "لقَد ماتَ لَعازَرُ،
15وإنّي لمَسرُورٌ إذ لم أكُن هُناكَ، لأنّ هذا سيَمنَحُكُم فُرصةً أُخرى حتّى يَرسَخَ

إيمانُكم بي. فلنَذهَبْ إليهِ". 16 فقالَ توما الّذي لُقِّبَ بالتوأمِ لباقي زُملائِهِ:
"لنُرافِقْهُ، حتّى إذا قتلَهُ أهلُ يَهوذا، نَموتُ نحنُ أيضًا مَعهُ".(1)

عيسى سلامه علينا يقدّم عزاءه للشّقيقتين

17 وعِندَ وُصُولِهِ سلامه علينا، عَلِمَ أنّ لَعازَرَ قد دُفِنَ مُنذُ أربعةِ أيّام. 18 وكانَت قَريةُ بيتِ
عَنيا تبعُدُ تَقريبًا مَسافةَ ميلَينِ عَن القُدس، 19 وقد وَجدَ سلامه علينا عَدَدًا كَبيرًا مِنَ النّاسِ جاؤوا
لتَقديمِ التَّعازي للشَّقيقَتَينِ عن أخيهِما لَعازَرَ، 20 وعِندَما عَلِمت مَرثا بقُدُومِهِ سلامه علينا،
أسرَعَتْ للِقائِهِ، في حينِ مَكَثَت مَريمُ في الدّارِ. 21 وقالَت مَرثا لسَيِّدِنا عيسى سلامه علينا:
"سَيِّدي، لو كُنتَ مَعَنا لَظَلَّ أخي على قَيدِ الحياةِ، 22 ولكنّني رَغمَ موتِهِ، على ثِقةٍ، بأنّ
اللهَ يُعطيكَ كُلَّ ما تَطلُبُهُ!" 23 فأجابَها مؤكّدًا: "سيَقومُ أخوكِ حَيًّا". 24 فقالَت لهُ مَرثا:
"نعم، يا مَولاي، عِندَما يُبعَثُ كُلُّ المَوتى في اليومِ الآخِرِ!" 25 فقالَ لها: "أنا القِيامةُ
والحَياةُ، مَن آمَنَ بي ولو ماتَ فستَكونُ لهُ حَياةُ الخُلودِ، 26 وكُلُّ مَن يَحيا مؤمنًا بي
سيَعيشُ خالدًا عِندَ رَبِّهِ. فهل تُؤمنينَ؟!" 27 فقالَت لهُ: "أجل يا مَولاي، ما زِلتُ على
عَهدي مُؤمِنَةً بأنّكَ أنتَ المَسيحُ الابنُ الرُّوحيُّ للهِ، الّذي كُنّا نَنتَظِرُ مَجيئَهُ إلى هذا
العالَم".

28 ثُمَّ ذَهبَت مَرثا إلى أختِها وهَمَسَت إليها: "المُعَلِّمُ هُنا ويُريدُ لقاءَكِ". 29 فقامَت
مَريمُ وتَوَجَّهَت إليهِ على عَجَلٍ. 30 ولكنّهُ سلامه علينا لم يَكُن قد وَصَلَ إلى القَريةِ بَعدُ، إذ كانَ
لا يَزالُ حَيثُ قابلَتْهُ مَرثا. 31 وعِندَما رأى النّاسُ الّذينَ جاؤوا للعَزاءِ عَجَلَةَ مَريمَ، ظَنُّوا
أنّها تَوَجَّهَت إلى قَبرِ أخيها لتَبكيَ هُناكَ. فخَرَجوا وَراءَها، 32 وعِندَ وُصولِهِم جَميعًا إلى
حَيثُ كانَ عيسى سلامه علينا، رَمَت مَريمُ بنَفسِها عِندَ قدمَيهِ، باكيةً قائلةً: "يا مَولاي، لو
كُنتَ مَعَنا لَما ماتَ أخي". 33 ولمّا رأى سَيِّدُنا عيسى سلامه علينا بُكاءَها ونَشيجَ مَن مَعَها،
جاشَت عَواطِفُهُ 34 وقالَ: "أينَ دَفَنتُموهُ؟!" فقالوا لهُ: "تَعالَ يا سَيِّدَنا، وانظُر إليهِ".
35 فبَكى سلامه علينا مِن شِدَّةِ تأثُّرِهِ، 36 وقالَ مَن كانَ حَولَهُ: "انظُروا إليهِ كَم كانَ يُحِبُّ
لَعازَرَ!" 37 وقالَ آخَرونَ: "لقد أعطى الكَفيفَ بَصرًا، أفما كانَ يَقدِرُ أن يَرُدَّ الموتَ عن
لَعازَرَ؟!" 38 وجاشَت عَواطِفُهُ مُتأثِّرًا مَرَّةً ثانيةً. بَعدَ ذلِكَ وَصَلَ إلى القَبرِ الّذي لم يَكُن
سِوى مَغارةٍ يَسُدُّ مَدخلَها حَجَرٌ.

---

(1) يقصد توما هنا أنّ الذين كانوا يرغبون في رجم سيّدنا عيسى سلامه علينا في منطقة يهوذا سيسعون إلى نفس الهدف عند عودته إلى هناك.

عيسى عليه السلام يُحيي لعازر

[39]والتَفتَ عليه السلام إلى مَن حَولَهُ قائلاً: "أزيحوا الحَجَرَ!" فقالَت مَرثا: "يا مَولاي، لقد طَغَت رائحةُ جُثمانِهِ على الهَواءِ إذ قد مَضَت أربعةُ أيّام على وفاتِهِ!" [40]فأجابَها عليه السلام: "ألَم أُخبِركِ أنّكِ إن آمَنتِ بي فستَشهَدينَ تَجلّيّاتِ اللهِ؟!" [41]وأزاحُوا الحَجَرَ، ورَفَعَ عليه السلام بَصَرَهُ إلى السَّماءِ مُخاطِبًا رَبَّهُ: "لكَ الحَمدُ يا اللهُ، أيُّها الأبُ الرَّحيمُ على فَضلِ جَوابِكَ لي. [42]وإنّي على يَقينٍ أنّكَ تَستجيبُ لي دائمًا وما أقولُ ذلِكَ على المَلأ المُجتَمِعِ حَولي إلاّ ليُوقِنوا أنّكَ أنتَ الّذي أرسَلتَني". [43]ثُمّ صاحَ بأعلى صَوتِهِ: "أُخرُج يا لَعازَرُ!" [44]فخَرَجَ لَعازَرُ وقد قُيِّدَ بالأكفانِ وعُصِبَ وَجهُهُ بمِنديلٍ. فقالَ لهُم سَيِّدُنا عيسى: "فُكّوا عَنهُ قُيودَ المَوتِ ودَعُوهُ يَذهَبُ".

التّآمر لأجل قتل عيسى عليه السلام

[45]وهكذا آمَنَ كَثيرٌ مِمَّن كانوا مَعَ مَريمَ والّذينَ رأَوا بأُمِّ أعيُنِهِم ما قامَ بِهِ سَيِّدُنا عيسى. [46]غَيرَ أنَّ بَعضَهُم تَوَجَّهَ إلى المُتَشَدِّدينَ وأخبرُوهُم بهذِهِ المُعجِزةِ. [47]فعَقَدَ رؤساءُ الأحبارِ والمُتَشَدِّدونَ اجتِماعًا للمَجلِسِ الأعلى لمُناقشةِ شأنِهِ وقالوا: "ما الّذي علينا القِيامُ بِهِ؟ فلهذا الرَّجُلِ ولا شَكَّ مُعجِزاتٌ كَثيرةٌ يُظهِرُها! [48]ونحنُ إن تَركناهُ على حالِهِ هذِهِ آمَنَ بِهِ جَميعُ الشَّعبِ، وسيأتي إلينا الجَيشُ الرُّومانيُّ حِينئذٍ ويُدَمِّرونَ بيتَ اللهِ فتَتَبَدَّدُ أُمّتُنا". [49]فقامَ قَيافا الّذي كانَ رَئيسَ الأحبارِ في ذاكَ الوَقتِ وقالَ: "أنتُم الجَهلَةُ لا تُدرِكونَ مِن هذا الأمرِ شَيئًا! [50]ألا تَعلَمونَ أنَّهُ خَيرٌ لكُم أن يَموتَ رَجُلٌ واحدٌ فِداءً للأُمّةِ مِن أن تَهلِكَ كامِلُ الأُمّةِ؟!" [51]وما ذَكَرَ قَيافا ذلِكَ بصِفَتِهِ الشَّخصيّةِ، بل بصِفتِهِ رَئيسًا للأحبارِ، وتَنَبّأ أنَّ سَيِّدَنا عيسى عليه السلام سيُقتَلُ فِداءً للأُمّةِ، [52]ولَيسَ لأُمّتِهِم وَحدَها بل لجَميعِ عِيالِ اللهِ المُشَتّتينَ في جَميعِ الأنحاءِ، وبذلِكَ يَجمَعُهُم مَوتُهُ في أُمّةٍ واحدةٍ. [53]فقَرَّرَ قادةُ اليَهودِ، مُنذُ ذلِكَ الحينِ، قَتلَ عيسى عليه السلام.

[54]ولهذا السَّبَبِ امتَنَعَ عليه السلام عن الظُّهورِ عَلَنًا على المَلأ، ورَحَلَ عن القُدسِ إلى مِنطقةٍ مُجاورةٍ للبَراري، في بَلدةٍ اسمُها أفرايم، وأقامَ فيها مَعَ أتباعِهِ. [55]ومَعَ اقترابِ عِيدِ الفِصحِ اليَهوديّ، تَوَجَّهَ عَدَدٌ كَبيرٌ مِن أهالي القُرى إلى بَيتِ المَقدِسِ لتَأديةِ فَريضةِ التَّطَهُّرِ قَبلَ العِيدِ، [56]وكانوا يَبحَثونَ عن عيسى عليه السلام، ويَتَساءلونَ وهُم يَقِفونَ في الحَرَمِ الشَّريفِ: "أيُشارِكُ في العِيدِ أم لا؟!" [57]وقد كانَ قادةُ الأحبارِ والمُتَشَدِّدونَ قد أصدَروا أمرًا أنّ كُلَّ مَن يَعرِفُ مَكانَهُ عليهِ أن يُخبِرَهُم بِهِ حتّى يَقبِضوا عليهِ.

١٢
الفصل الثّاني عشر

العطر يُسكب على قدمي عيسى ﷺ

[1]وقبلَ حُلولِ عِيدِ الفِصحِ بستّةِ أيّام، قَدِمَ سَيِّدُنا عيسى ﷺ إلى قَريةِ بَيت عَنيا، حَيثُ كانَ يُقيمُ لعازَرُ الّذي بَعَثَهُ مِن المَوتِ، [2]فهَيَّؤُوا لَهُ عَشاءً تكريمًا لهُ واحتِفاءً بِهِ، وأخَذَت مَرثا تقومُ على خِدمةِ الحاضرينَ، وكانَ لعازَرُ أحَدَ الجالِسينَ مَعَهُ إلى المائدةِ. [3]فانبرَت مَريمُ إلى قارورةٍ مِنَ النّاردينِ الخالِصِ، وهو عِطرٌ غالي الثَّمنِ، فسَكَبَتها على قَدَمَيهِ، ثُمَّ مَسَحَتهُما بشَعرِها، فأصبَحَتِ الدّارُ عابِقةً برائحةِ العِطرِ. [4]فقامَ يَهوذا الإسخَريوطيّ وهو أحَدُ حَوارِيِّيهِ ﷺ وهو الّذي سيَخونُهُ فيما بَعدُ، وقالَ مُحتَجًّا: [5]"يا لهذا الإسراف، أما كانَ يُمكِنُ بَيعُ هذا العِطرَ بمَبلغ يُعادِلُ أُجرةَ عامِلٍ لمُدَّةِ سَنةٍ ويُوَزَّعُ على الفُقراءِ!" [6]ولم يَكُن يَهوذا صادقًا في كلامِهِ لأنَّهُ كانَ لِصًّا لا يأبَهُ لِحالِ الفُقراءِ وكانَ يَختَلِسُ مِن صُندوقِ مالِ العَطايا والتَّبرُّعاتِ الّذي كانَ بحَوزتِهِ، (1) [7]فأجابَهُ عيسى ﷺ: "دَعْها وما فَعلَت، فقد حَفِظَت هذا العِطرَ ليَوم دَفني، [8]وإنّي أقولُ لكُم: إنّ الإحسانَ إلى الفُقراءِ بإمكانِكُم القيامُ بِهِ في كُلِّ حِينٍ، ولكنّي راحِلٌ ولن أبقى مَعَكُم على الدَّوام".

مؤامرة لقتل لعازر

[9]وتَناهى إلى سَمع كَثيرٍ مِنَ النّاسِ وصولُ سَيّدِنا عيسى إلى بَيتِ لَعازَرَ، فتَوَجَّهوا إليهِ ليَرَوهُ ﷺ وليُعاينوا لَعازَرَ الّذي أحياهُ. [10]وقَرَّرَ رؤساءُ الأحبارِ حِينئذٍ قَتلَ لَعازَرَ، [11]إذ بسَبَبِهِ كانَ النّاسُ يَترُكونَهُم ويَتّجِهونَ إلى عيسى ﷺ ويؤمِنونَ بِهِ.

القدس تستقبل عيسى ﷺ

[12]وفي اليَوم التّالي عَلِمَتِ الحُشودُ الّتي جاءَت للاحتِفالِ بعِيدِ الفِصحِ أنَّهُ ﷺ في طَريقِهِ إلى القُدسِ، [13]فخَرَجوا يَحمِلونَ سَعَفَ النَّخيلِ لاستِقبالِهِ ويَهتِفونَ: "لِيَحيا المَلِكُ المُنقِذُ! تَبارَكَ المَلِكُ الآتي باسم اللهِ، تَبارَكَ مَلِكُ بَني يَعقوبَ!" [14]وعِندَ وصولِهِ ﷺ وَجَدَ جَحشًا، فرَكِبَهُ مُحقِّقًا ما جاءَ في كِتابِ النّبيِّ زَكَريّا عَنهُ: [15]"يا أهلَ القُدسِ، لا تَخافوا، إنّ مَلِكَكُم آتٍ إليكُم مُسالِمًا يَمتَطي ظَهرَ جَحشٍ".

---

(1) كانت أموال هذا الصندوق تجمع من التبرعات التي تصرف على ذوي الحاجة من حوارييه ﷺ.

[16]ولكنّ أتباعَهُ لم يُدركوا، حينذاكَ، مَغزى ما فَعلَهُ، وإنّما أدركوهُ بَعدَ أن بُوِّئَ عيسى عليه السلام المَقامَ الرَّفيعَ عِندَ اللهِ، فأدركوا أنّ ما كانَ يَقومُ بِهِ عليه السلام كانَ تَصديقًا وتَحقيقًا لِما في كِتابِ اللهِ مِن نُبوّاتٍ. [17]ولقد أخَذَ مَن شَهِدوا مِنَ النّاسِ بَعثَ لعازَرَ مِنَ المَوت، يُخبِرونَ بما شاهدوا. [18]فخَرَجَت الجُموعُ لاستِقبالِهِ، بَعدَ سَماعِهِم بخَبَرِ هذِهِ المُعجِزةِ العَظيمةِ. [19]فدمدَمَ حينئذٍ المُتَشَدِّدونَ فيما بَينَهُم: "ها قد فَشِلنا ونُبِذنا نِهائيًا، إنّ العالَمَ كُلَّهُ سائرٌ على آثارِهِ".

عيسى عليه السلام يتنبأ بموته

[20]وكانَ هُناكَ مِن بَين مَن جاؤوا إلى القُدسِ بغايةِ العِبادةِ في فَترةِ عِيدِ الفِصحِ بَعضُ الأجانبِ،(1) [21]فأتَوا إلى الحَواريّ فيليبَ، وهو مِن قَريةِ بَيتِ صَيدا في الجَليلِ، وقالوا لهُ: "يا سَيِّدُ، نُريدُ أن نَرى عيسى". [22]فأخبَرَ فيليبُ أندراوسَ بذلِكَ، وذَهَبا مَعًا لإخبارِ سَيِّدِنا عيسى عليه السلام فأجابَهُم: [23]"حانَ الوَقتُ الّذي فيهِ يُرفعُ شأنُ سَيِّدِ البَشَرِ. [24]والحقَّ الحقَّ أقولُ لكُم: إن لم تَقَع حَبَّةُ القَمحِ في الأرضِ وتَمُت، فستَبقَى حَبَّةً واحدةً، ولكنّها إن وَقَعَت في حُضنِ التُّربةِ ودُفِنَت فيها، أنتجَت مَزيدًا مِن حُبُوبِها. [25]لذلِكَ فمَن يَحرِصُ على حَياتِهِ في الدُّنيا فهو مِنَ الخاسِرينَ، ومَن يُضَحّي بها مِن أجلي فسيَفوزُ بحَياةِ الخُلودِ. [26]مَن أرادَ مِنكم أن يَخدِمَني فليَتبَعني، وحَيثُ أكونُ أنا، يَكونُ هُناكَ مُريدي أيضًا، ومَنِ اتّخذَني سَيّدًا، فهو مُكرَّمٌ عِندَ اللهِ الأبِ الرَّحمنِ".

[27]وتابَعَ سَيِّدُنا عيسى عليه السلام كَلامَهُ قائلاً: إنّي لمُضطَرِبُ النَّفسِ. فهل أطلُبُ مِنَ اللهِ الأبِ الرَّحمنِ إنقاذي مِن تِلكَ المِحنةِ الّتي ستَحُلُّ بي؟! لا، لأنّني إنّما جِئتُ لأُقاسي هذِهِ الآلامَ! [28]يا اللهُ، أيُّها الأبُ الرَّحمنُ، تَمَجَّدَ اسمُكَ في عُلاكَ!" فجاءَهُ صَوتٌ مِنَ السَّماءِ يُدَوِّي: "قد مَجَّدتُهُ فيما مَضى، وسأمَجِّدُهُ فيما سيأتي". [29]وسَمِعَ ذلِكَ الصَّوتَ مَن كانَ حاضِرًا مِنَ الجُموعِ فلم يُميِّزوهُ. وظَنُّوا قائلينَ: "هذا دَوِيُّ رَعدٍ". وقالَ آخَرونَ: "بل هو مَلاكٌ تَحَدَّثَ إليهِ". [30]فقالَ عليه السلام: "قد جاءَ هذا الصَّوتُ مِن أجلِكُم

(1) كان هؤلاء المتحدّثون من الغرباء الذين يتكلّمون اللغة اليونانية، وكان البعض منهم يميل إلى الاعتقاد بالدين اليهودي، بينما كان البعض الآخر يميل فقط إلى مجرّد الإيمان بالله الواحد. وربّما كان قد بلغهم خبر تقبّل المسيح عليه السلام لجميع الناس دون استثناء، حتّى لو لم يكونوا يدينون بالدين اليهودي. وربّما توجّهوا للقاء فيليب بسبب معرفته اللغة اليونانية أو لأنّه كان على علاقة بغير اليهود في موطنه الأصلي.

أنتُم، لا مِن أجلي. [31]الآن سيَصدُرُ الحُكمُ في حقِّ أهلِ هذِهِ الدُّنيا، والآنَ سيَغلِبُ أمرُ اللهِ أمرَ الشَّيطانِ الَّذي يَسُودُ في هذِهِ الدُّنيا.(1) [32]وعِندَما أُرفعُ على الخَشَبةِ، فسأجذِبُ إليَّ النّاسَ أجمَعينَ". [33]وبكَلِماتِهِ هذِهِ كانَ ﷺ يُشيرُ إلى الطّريقةِ الّتي سيَموتُ بها.

[34]وقالَ بَعضُ الحاضِرينَ: "قد سَمِعنا مِمّا جاءَ في كِتابِ الله أنّ المَسيحَ باقٍ إلى الأبدِ، فكَيفَ تَقولُ: "لا بُدَّ أن يُرفعَ سَيِّدُ البَشَرِ على خَشَبةٍ ويَموتُ"؟ فمَن ذا الّذي تُسمِّيهِ سَيِّدَ البَشَرِ؟" [35]فأجابَهُم ﷺ بقَولِهِ: "النّورُ فيكُم أمَدُهُ قَصيرٌ، فسِيروا في هذا النّورِ الّذي يُضيءُ لكُم، وإلاّ سادَتْكُم الظُّلُماتُ بَعدَهُ، ومَن يَمشي فيها لا يَدري أينَ يُؤدِّي بِهِ الدَّربُ. [36]آمِنوا بالنُّورِ ما دامَ بَينَكُم حتّى تُصبِحوا مِن أهلِهِ". ثُمَّ قامَ عيسى ﷺ بعدَ ذلِكَ، ومَضى ليَبتعِدَ عن الأنظارِ.

رفض اليهود لرسالة عيسى ﷺ

[37]جَرَت مُعجِزاتٌ كَثيرةٌ على يَدَي سَيِّدِنا عيسى ﷺ وعلى مَرأى مِن النّاسِ، إلاّ أنّ مُعظَمَهُم لم يؤمن بِهِ. [38]فتَمَّ بذلكَ الكلامُ الّذي جاءَ على لِسانِ النّبيِّ أشعيا: "يا مَولاي، ما أقلَّ مَن آمَنَ برِسالتِنا! أينَ أولئكَ الّذينَ تَقَبَّلوا تَجليّاتِ قوّةِ اللهِ؟" [39]حَقًّا ما كانوا للإيمانِ مُيَسَّرينَ. وقالَ أيضًا: [40]"خَتَمَ اللهُ على قُلوبِهِم، وألقَى على عُيونِهِم غَشاوةً، حتّى لا يُدرِكوا رِسالتَهُ ويَفهموها فيَرجِعوا إليهِ ليَشفيَهُم". [41]وقد ذَكَرَ أشعيا عليه السلام ذلِكَ لأنّهُ أُعطِي رؤيا شَهِدَ فيها عَظَمةَ المَسيحِ ﷺ فأخبَرَ عنهُ.

[42]غيرَ أنّ عَدَدًا مِنَ النّاسِ، ومِن قادةِ اليَهودِ أنفُسِهِم، قد آمَنوا بِهِ، إلاّ أنّهُم أخفَوا إيمانَهُم خَوفًا مِن المُتَشَدِّدينَ حتّى لا يُطرِدوهُم مِن بُيوتِ العِبادةِ، [43]ساعينَ بذلِكَ إلى كَسبِ رِضى النّاسِ غيرَ آبهينَ لمَرضاةِ اللهِ.

[44]وأخَذَ عيسى ﷺ يَتحَدَّثُ بصَوتٍ مُرتفِعٍ قائلاً: "مَن آمَنَ بي، فقد آمَنَ أيضًا باللهِ الّذي أرسَلَني. [45]ومَن رآني فقد رأى تَجليّاتِ مَن أرسَلَني. [46]لقد جِئتُ نورًا يُضيءُ هذا العالَمَ المُعتِمَ، ولن يَبقَى المُؤمنُ بي سائرًا في طَريقِ الشَّيطانِ المُظلِمِ. [47]ومَن يَستَمِعْ إلى رِسالتي دونَ تَطبيقِ ما جاءَ فيها، فأمْرُهُ إلى اللهِ ولَيسَ لي أن أحكُمَ عليهِ. أمّا أنا فقد جِئتُ لإنقاذِ البَشَرِ، لا لإدانتِهِم. [48]ومَن رَفَضَني ورَفَضَ رِسالتي، فلهُ مَن يَحكُمُ عليهِ، لأنّ رِسالتي ستُدينُهُ في اليَومِ الآخِرِ. [49]فأنا ما أتيتُ بشَيءٍ مِن عِندي إنّما اللهُ

---

(1) يشير سيدنا عيسى ﷺ هنا إلى إبليس الشيطان الأكبر، الذي يسيطر على البشر كمغتصب متسلط. وقد كانت قوة الشيطان على وشك الانهزام عند موت سيدنا عيسى وبعثه حيا وصعوده إلى السماء.

الأبُ الرَّحمنُ هو الّذي أرسَلَني وأوصاني بما أقولُ. [50]ومَن يَعمَلْ بوصايا اللهِ فسيَهَبُهُ الخُلودَ، لذلِكَ فما أقولُهُ لكُم، هو ما أوصاني بِهِ اللهُ الأبُ الرَّحمن".

١٣
الفصل الثّالث عشر

عيسى عَلَيْنَا سَلَامُهُ يقوم بغسل أقدام أتباعه

[1-2]قُبيلَ عِيدِ الفِصح، كانَ سَيِّدُنا عيسى عَلَيْنَا سَلَامُهُ يَتناولُ العَشاءَ مَعَ الحَوارِيِّينَ. وكانَ يُدرِكُ أنَّ مَوعِدَ رَحيلِهِ عن هذا العالَمِ إلى جِوارِ اللهِ الأبِ الرَّحمنِ قد أزِفَ. وإنّ حُبَّهُ لأتباعِهِ الّذينَ سيُخَلِّفُهُم وَراءَهُ في هَذِهِ الدُّنيا لكَبيرٌ. وكانَ الشَّيطانُ قد دَسَّ الفِتنة في قَلبِ يَهوذا ابنِ سَمعانَ الإسخَريوطيّ وعَقلِهِ، تِلكَ الفِتنة الّتي انتهَت بِهِ لخيانةِ سَيِّدِهِ. [3]ولقد كانَ سَيِّدُنا عيسى عَلَيْنَا سَلَامُهُ على عِلمٍ بأنّ اللهَ الأبَ الرَّحمنَ قد خَصَّهُ بسُلطةٍ جَعَلَت كُلَّ شَيءٍ تَحتَ يَدَيهِ، وأنَّهُ إنّما مِن عِندِهِ جاءَ وإليهِ يَعودُ. [4]فقامَ عَلَيْنَا سَلَامُهُ على الفَورِ عَنِ العَشاءِ، وخَلَعَ عَنهُ عَباءَتَهُ، وأخَذَ مِنشفَةً وأحاطَ بِها وَسَطَهُ [5]وقامَ بصَبِّ الماءِ في وِعاءٍ، ليَغسِلَ أقدامَ حوارِيِّيهِ ويُجَفِّفَها. [6]وعِندَما وَصَلَ عَلَيْنَا سَلَامُهُ إلى بُطرُس الصَّخرِ ليَغسِلَ لهُ قدَمَيهِ، قامَ بُطرُس عنهُ مُعتَرِضًا قائلاً: "مولاي، كَيفَ تَقومُ أنت بغَسلِ قَدَميّ؟!" [7]فأجابَهُ عَلَيْنَا سَلَامُهُ: "أنتَ الآنَ لا تُدرِكُ لِماذا أقومُ بهذا العَمَلِ، ولكنَّكَ عَمّا قَريبٍ ستُدرِكُ ذلِكَ". [8]فأجابَهُ صَخرٌ: "لن أدعَكَ تَغسِلُ قَدَميّ أبَدًا!" فأجابَهُ سَيِّدُنا عيسَى: "إن لم أغسِلْ لكَ قَدَمَيكَ، فلن يَكونَ لكَ مَعي نَصيبٌ". [9]فقالَ صَخرٌ: "يا مَولاي، إن كانَ الأمرُ كذلِكَ، فاغسِلْ لي قَدَميّ ويَدَيّ ورأسي أيضًا!"(1) [10]فقالَ لهُ عَلَيْنَا سَلَامُهُ: "مَنِ اغتَسَلَ أصبَحَ طاهرًا كُلَّهُ، ولَيسَ بِهِ حاجةٌ بَعدَ

(1) درج بنو يعقوب في ذلك الزمن على تكريم الضيف بغسل قدميه عند وصوله إلى بيت مضيّفه، وكانت تلك مهمّة يقوم بها عبد غير يهودي. لكن إذا لم يكن هناك عبد أجنبي، فقد كان على نساء ذلك البيت أو الأطفال أن يقوموا بذلك. ولم يكن في الغالب يُطلب من الرجل اليهودي أن يقوم بهذا العمل الحقير. ومن المرجّح أنّه لم يكن يحضر هذا العشاء سوى الحواريين، فكان لا بدّ أن يقوم واحد منهم بذلك العمل. وربّما كان هنا بُطرس جالسا في المقعد الأدنى، فكان من واجبه أن يغسل أقدامهم، لكنّه رفض. وعندما قام السيد المسيح ليغسل أرجلهم شعر بطرس بذنب كبير لإخلال واجبه.

إلاّ إلى غَسلِ قدَمَيهِ.(1) وإنّكُم لطاهِرونَ أنقياءُ، ولكن فيكُم مَن لَيسَ طاهِرًا".
11فقد كانَ يَعرِفُ مَن سيَخونُهُ لذلِكَ قالَ: "فيكُم مَن لَيسَ طاهِرًا".

12وعِندَما انتهى سَيِّدُنا عيسى عليه السلام مِن غَسلِ أقدامِ أتباعِهِ، وَضَعَ عنهُ عَباءَتَهُ وجَلَسَ
وقالَ: "هل أدرَكتُم ما فَعَلتُ بكُم؟! 13إنَّكُم لَتدعونَني بالمُعَلِّمِ السَّيِّدِ، وإنَّكُم لعَلى حقٍّ
في هذا، لأنَّني سَيِّدُكم ومَولاكُم ومُعَلِّمُكم. 14ولئن كُنتُ، وأنا السَّيِّدُ المُعَلِّمُ، قد
غَسَلتُ أرجُلَكُم، فعليكُم أنتُم أيضًا أن تَقوموا بذلِكَ فيما بينَكم، 15وإنّما فَعَلتُ ما
فَعَلتُ لأكونَ لكُم قُدوةً تَقتَدونَ بها فتَقومونَ بِخدمةِ بَعضِكُم بَعضٍ. 16والحقَّ الحقَّ
أقولُ لكُم: لا عَبدَ أعظَمُ مِن سَيِّدِهِ، ولا رَسولَ أعظَمُ مِن مُرسِلِهِ. 17فإن أدرَكتُم تِلكَ
الحَقيقةَ وعَمِلتُم بها، فهَنيئًا لكُم".

عيسى عليه السلام يتنبأ بخيانة يهوذا له

18وتابَعَ عيسى عليه السلام قائلاً: "إنّ كَلامي عَنِ الخِيانةِ لا يَشمَلُكُم جميعًا، فأنا أدرَى
بمَن اختَرتُهُم، ولكِن لا بُدَّ مِن تَحقيقِ ما جاءَ في الزَّبُورِ: "الّذي أكَلَ مِن خُبزي خانَ
عَهدي". 19وها أنا أُخبِرُكُم بذلِكَ الأمرِ قَبلَ وُقوعِهِ، فعِندَما يَقَعُ تَعلَمونَ أنّي المَسيحُ
المُنتَظَرُ حقًّا. 20والحقَّ الحقَّ أقولُ لكُم، مَن قَبِلَ رَسولي فقد قَبِلَني، ومَن قَبِلَني فقد
قَبِلَ اللهَ الّذي أرسَلَني". 21ثُمَّ أصابَهُ عليه السلام اضطِرابٌ شَديدٌ وقالَ: "وأقولُ لكُم الحقَّ
الحقَّ: أحَدُكم سيَخونُني".

22فأخَذَ الحَوارِيُّونَ يَنظُرونَ بَعضُهُم إلى بَعضٍ بحَيرةٍ ويَتَساءلونَ عَمَّن يَجرُؤُ على
القيامِ بخيانتِهِ. 23وكانَ أحَدُ الحَوارِيِّينَ الّذي كانَ مُقَرَّبًا إلى قَلبِهِ عليه السلام جالِسًا إلى جِوارِهِ،
24فأومأَ بُطرُسُ الصَّخرِ إلى ذاكَ الحَوارِيِّ لِيسألَهُ مَن المَقصودُ بكَلامِهِ. 25فمالَ الحَوارِيُّ
على صَدرِ عيسى عليه السلام قائلاً: "مَن يَكونُ يا مَولايَ؟"(2) 26فأجابَهُ عليه السلام: "إنّهُ الّذي
يَنالُ مِنّي هذِهِ اللُّقمةَ بَعدَ أن أُغَمِّسَها". وغَمَّسَ اللُّقمةَ ورَفَعَها وناوَلَها يَهوذا بن سَمعان

---

(1) كان شائعًا لدى اليهود غسل القدمين عند دخول الشخص إلى البيت، ولكنّ هذا لم يكن يمنح الشخص الطهارة إذ عليه الاغتسال. وكانت هذه الطهارة تنتفي إذا تعرّض الشخص إلى إحدى النجاسات الكبرى أو إلى الجنابة.

(2) كان من المعتاد عند الجلوس إلى المائدة في المآدب أن يجلس الناس إزاء بعضهم بعضا في وضع اتّكاء، فكان من اليسير أن يميل الحواري الحبيب على صدر سيدنا عيسى عليه السلام هامسًا إليه بالشخص الذي يقصده.

الإسخَريوطيّ. 27فلمّا أخذَها يَهوذا مِنهُ اندسَّ فيهِ الشَّيطانُ. فقالَ لهُ سلامه علينا: "نفِّذْ ما أنتَ
عازمٌ على عَمَلِهِ سَريعًا!" 28ولم يُدرِك الحَوارِيُّونَ الحاضِرونَ على العَشاءِ ما قَصَدَهُ سلامه علينا
بأمرِهِ هذا، 29لأنّهُم ظَنُّوا أنّهُ طَلَبَ مِن يَهوذا شِراءَ لَوازمِ العِيدِ لَهُم، أو القيامَ بالتَّصدُّقِ
على الفُقراءِ، لأنّ صُندوقَ المالِ كانَ في أمانتِهِ. 30فأخَذَ يَهوذا اللُّقمةَ وخَرَجَ سَريعًا إلى
حَيثُ الظّلامُ.

عيسى سلامه علينا ونبوءته بإنكار بطرس له

31–32وبَعدَ مُغادَرةِ يَهوذا، التَفتَ سَيِّدُنا عيسى سلامه علينا إلى حَوارِيِّيهِ قائلاً: "حانَ
الوَقتُ ليَتَعظّمَ شأنُ سَيِّدِ البَشَر، وما سيَحدُثُ لهُ سيُمَجِّدُ اللهَ، وهو تَعالى سيَرفَعُ شأنَ
سَيِّدِ البَشَرِ عمّا قَريب. 33يا أبنائي، ما أقصَرَ الوَقتَ الّذي أقضيهِ بَينَكُم قَبلَ أن أُفارِقَكم!
ها أنا أُرَدِّدُ على مَسامعِكُم ما كُنتُ قد ذَكَرتُهُ لقادةِ الشَّعبِ: "ستَفتَقِدونَني ثُمّ تَبحَثونَ
عنِّي، ولن تَتَمكّنوا مِن الوصولِ إلى المَكانِ الّذي سأُغادِرُ إليهِ. 34فاحفَظوا وَصيّتي
الجَديدة: أحِبُّوا بَعضَكُم بَعضًا. أحِبُّوا بَعضَكُم بَعضًا كَما أحبَبتُكُم أنا. 35فإن فَعَلتُم
ذلِكَ، عَرَفَ الجَميعُ أنّكُم أتباعِي".

36وانبَرى صَخرٌ قائلاً: "وإلى أينَ أنتَ راحِلٌ يا مَولاي؟!" فأجابَهُ سلامه علينا: "لَستَ
قادرًا الآنَ أن تَذهَبَ على إثري إلى حَيثُ أنا راحِلٌ، ولكنَّكَ ستَلحَقُني فيما بَعدُ".
37فقالَ لهُ صَخرٌ: "ولِماذا يا مَولاي لا يُمكِنُني أن أذهَبَ في إثرِكَ الآن؟ إنّني على
استِعدادٍ للتَّضحيَةِ بحَياتي في سَبيلِكَ!" 38فأجابَهُ سلامه علينا: "أأنتَ مَن يَقولُ إنّكَ ستُضحِّي
بحَياتِكَ في سَبيلي؟! إنّما الحقَّ الحقَّ أقولُ لكَ، أنتَ مَن سيُنكِرُني ثلاثًا، غَدًا، عِندَ
الفَجرِ، وقَبلَ صِياحِ الدِّيكِ".

١٤
الفصل الرّابع عشر

عيسى سلامه علينا هو الطّريق إلى الله

1وتابَعَ سَيِّدُنا عيسى سلامه علينا حَديثَهُ لحَوارِيِّيهِ: "لا تَضطَرِبَنَّ قُلوبُكُم، أنتُم تُؤمِنونَ
باللهِ، فآمِنوا بي أنا أيضًا. 2إنَّ في الدّارِ الأبديّةِ للهِ أبي الصَّمَدِ دُورًا كَثيرةً، ولو كانَت
جِنانُ اللهِ ضَيِّقةً لأخبَرتُكُم، ها أنا أذهَبُ لأُعِدَّ لكُم مَكانًا هُناكَ. 3وبَعدَ ذلِكَ، سأرجِعُ

إليكُم لأصطَحبَكُم إلى حَيثُ نُقيمُ مَعًا، 4وإنّكُم تَعلَمونَ السَّبيلَ إلى حَيثُ أنا ذاهِبٌ".
5فالتَفتَ إليهِ الحَوارِيُّ تُوما قائلاً: "يا سَيِّدَنا، نَحنُ نَجهَلُ المَكانَ الّذي تَتوَجَّهُ إليهِ،
فكَيفَ بِنا أن نَعرِفَ طَريقَهُ؟" 6فأجابَهُ عليه السلام: "أنا هو الطَّريقُ، وأنا الحَقُّ، وأنا الحياةُ،
لا أحَدَ يَستَطيعُ التَّقَرُّبَ مِن اللهِ الأبِ الرَّحمنِ إلاّ مِن خِلالي. 7فإن عَرَفتُموني حقًّا،
عَرَفتُم اللهَ أبي الصَّمَدَ أيضًا، ومُنذُ الآن، فأنتُم تَعرِفُونَهُ وتَرَونَ مَجدَهُ". 8فقالَ
لهُ فيليبُ: "يا سَيِّدَنا، دَعْنا نَحظى برؤيةِ اللهِ الأبِ الرَّحمنِ، وهذا يَكفينا".
9فأجابَهُ عليه السلام: "مَكَثتُ بَينَكُم كُلَّ هذِهِ المُدّةِ ولمّا تَعرِفْ حَقيقَتي بَعدُ، يا
فيليبُ؟! حقًّا إنَّ مَن رآني رأى تَجَلِّي اللهِ الأبِ الرَّحمنِ في بَشَرٍ، فكَيفَ تَطلُبُ
أن تَرى اللهَ؟! 10ألا تؤمِنُ أنّي في ذاتِ اللهِ الأبِ الرَّحمنِ واللهُ الأبُ الرَّحمنُ
في ذاتي؟ لذلِكَ فكُلُّ ما أقُولُهُ مِن كَلام هو مِن لدُنهِ ولَيسَ مِنّي، إنّهُ في ذاتي يَفعَلُ
ما يُريدُهُ مِن خِلالِ أفعالي. 11وأقولُ لكُم مَرّةً أُخرى: ثِقُوا أنّي في ذاتِ اللهِ الأبِ
الرَّحمنِ وهو في ذاتي، وإن لم تُصَدِّقوا، فصَدِّقوا تِلكَ المُعجِزاتِ الّتي قُمتُ بها.
12والحقَّ الحقَّ أقولُ لكُم، مَن آمَنَ بي يَقومُ بالأعمالِ الّتي قُمتُ بها، بل يَعمَلُ
أعظَمَ مِنها فأنا ذاهِبٌ إلى جِوار اللهِ الأبِ الرَّحمنِ الّذي سيُرسِلُ لكُم مَدَدًا مِن
لدُنِهِ. 13وإن أنتُم طَلَبتُم شَفاعتي عِندَ اللهِ، مَنَحتُكُم إيّاها، وبشَفاعةِ الابنِ الرُّوحيِّ
للهِ يُمَجَّدُ اللهُ الأبُ الرَّحمنُ. 14أجل، إنّ كُلَّ مَن طَلَبَ شَفاعتي، وَهَبْتُهُ إيّاها.

الوعد بإرسال روح الله

15وأضافَ عليه السلام قائلاً: "إن كُنتُم أحبَبتُموني فاعمَلوا بوَصايايَ، 16وسَيَجُودُ اللهُ
الأبُ الرَّحمنُ عليكُم بمُعينٍ آخَرَ مِثلي أطلُبُهُ أنا مِنهُ يَبقى مَعَكُم إلى الأبَدِ. 17ذلِكَ
المُعينُ هو رُوحُ اللهِ الّتي تَهديكُم إلى الحقِّ. وأمّا أهلُ هذِهِ الدُّنيا فلا يَتَقبّلونَها، وكَيفَ
لهم ذلِكَ وهم يَجهَلونَ سِرَّها فيُنكِرونَها، وأمّا أنتُم فإنّكُم أدرى بها وهي بَينَكُم وستَبقى
في قُلوبِكُم. 18وما أنا بتارِكِكُم كاليَتامى، ولكنّي عائدٌ إليكُم. 19سأغيبُ بَعدَ فَترةٍ عن
أهلِ الدُّنيا، أمّا أنتُم فستَكونونَ قادِرينَ على رُؤيَتي لأنّي سأُبعَثُ فيكُم حَيًّا وسيَكونُ لكُمُ
الخُلودُ بقيامتي. 20وستُدرِكونَ، يَومئذٍ، أنّي في ذاتِ اللهِ الأبِ الرَّحمنِ وأنَّكُم في ذاتي
وأنا في ذَواتِكُم. 21إنّ مَن يَتَمَسَّكُ بوَصايايَ ويَعمَلُ بها فهو الَّذي يُحِبُّني، وهو الّذي
يُحِبُّهُ اللهُ أبي الصَّمَدُ، وإذا أحَبَّهُ تَعالى أحبَبتُهُ وكَشَفتُ لهُ حَقيقَتي".

22والتَفتَ إليهِ يَهوذا -غَيرُ الإسخَريوطيّ- قائلاً: "يا سَيِّدَنا، لِماذا تُعلِنُ حَقيقَتَكَ لنا

دونَ أهلِ الدُّنيا أجمَعين؟ "[1] [23]فأجابَهُ ﷺ: "إنّ مَن يُحِبُّني يَعمَلُ بتَعاليمي، فيُحِبُّهُ اللهُ أبي الصَّمَدُ، وسنَكونُ في قَلبِهِ. [24]أمّا مَن لا يَعمَلُ بتَعاليمي فهو لا يُحِبُّني، وإنّ رِسالتي لَيسَت مِن ذاتي، بل هي رِسالةُ اللهِ الأبِ الرَّحمنِ الّذي أرسَلَني".

[25]"يا أحبابي، ها أنا أُحَدِّثُكُم بكُلِّ هذِهِ الأُمورِ وأنا ما زِلتُ مَعَكُم مُقيمًا في هذِهِ الدُّنيا، [26]وعِندَما أُغادِرُكُم، يُرسِلُ اللهُ الأبُ الرَّحمنُ لكُم المُعينَ الّذي يُعَلِّمُكُم باسمي، وهذا المُعينُ هو رُوحُ اللهِ الّتي ستُعَلِّمُكُم كُلَّ شَيءٍ وتَهديكُم وتُذَكِّرُكُم بِكُلِّ ما قُلتُهُ لكُم. [27]سأترُكُكُم وقد وَهَبتُكُم: السَّلامَ والطُّمأنينةَ، وما هي بالطُّمأنينةِ المُزَيَّفةِ الّتي يَعرِفُها أهلُ الدُّنيا، بل إنّها الطُّمأنينةُ الّتي تَصدُرُ عنّي. فلا تَضطَرِبَنَّ أفئدتُكُم ولا تَرتَعِدْ. [28]وإنّي لمُذَكِّرُكُم: إنّي راحِلٌ عَنكُم وسأعُودُ إليكُم ثانيةً، فكونوا مَسرُورينَ بذلِكَ مِن أجلي إن كُنتُم تُحِبُّونَني حَقًّا. إنّي عائدٌ إلى اللهِ الأبِ الرَّحمنِ، وهو أعظَمُ مِنّي. [29]ولقد نَبَّأتُكُم بما سيَحدُثُ مِن أحداثٍ، حتَّى مَتى حَدَثَت، صارَ إيمانُكم بي أكثرَ رُسوخًا. [30]لن أطيلَ الكلامَ فيما بَقِيَ لي مِن وَقتٍ بينَكُم. إنّ الشَّيطانَ الّذي يَسودُ هذِهِ الدُّنيا قادِمٌ إليّ ليَقتُلَني، وما لهُ عليّ مِن سُلطانٍ، [31]ولكنّي سأُضحّي بحَياتي كَما أوصاني اللهُ أبي الصَّمَدُ، حتّى يَعرِفَ أهلُ الدُّنيا أنّي أُحِبُّهُ. لنَقُمِ الآنَ ونُغادِرْ هذا المَكانَ".

١٥
الفصل الخامس عشر

مَثَل الكرم والأغصان

[1-2]وأثناءَ الطَّريقِ استكمَلَ سَيِّدُنا عيسى ﷺ حديثَهُ قائلاً: "أنا الكَرمُ الحَقُّ، واللهُ أبي الصَّمَدُ هو صاحِبُهُ الّذي يَقطَعُ عَقيمَ الأغصانِ، ويُبقي المُثمِرَ مِنها فيُشَذِّبُهُ ويُنَقِّيهِ حتّى يُثمِرَ أكثرَ وأفضَلَ. [3]أنتُم أنقياءُ ومُشَذَّبونَ بسبَبِ تَعاليمي الّتي أُخاطِبُكم بها. [4]فاثُبتُوا فيَّ كَما أثبُتُ أنا فيكُم. ومِثلَما لا يُثمِرُ الغُصنُ إذا كانَ مُنفَصِلاً عن جِذعِ الشَّجرةِ، فكذلِكَ أنتُم، لا تُثمِرونَ إن لم تَثبُتوا فيَّ. [5]فأنا الكَرمةُ وأنتُم أغصاني، ومَن ثَبَتَ فيَّ وأنا فيهِ أثمَرَ خَيرًا كثيرًا. أمّا بمَعزِلٍ عنّي فأنتُم عَقيمونَ. [6]وكُلُّ مَن يَنفَصِلُ عنّي

---

(1) كان من الصعب على هذا الحواري التصديق بذلك، لأنّه كان شائعًا بين اليهود أنّ المسيح المنتظر سيأتي بعظمة وجبروت مؤسّسًا المملكة الربّانية بعد انتصاره على الكفّار.

يُرمى بِهِ بَعيدًا كالعُودِ الجافِّ الّذي يَنتَظِرُ حَرقَهُ. 7وإن ثَبَتُّم مُخلِصينَ لي وَثَبَتَ كَلامي فيكُم، فإنّ لكُم ما تَطلُبونَ مِنَ الله. 8وإن داوَمتُم على الصّالِحِ مِنَ الأعمالِ، أبَنتُم بذلِكَ أنّكُم أتباعي حَقًّا، وعَظَّمتُم شأنَ اللهِ أبي الصَّمَدِ".

9ثُمَّ أضافَ سَلامُهُ علينا قائلاً: "أحبَبتُكُم كَما أحبَّني اللهُ الأبُ الرَّحمنُ، فاثبُتوا على مَحبّتي ولا تَدَعوا أيّ حاجزٍ يَفصِلُكُم عَنها. 10أنا أُفيضُ عَليكُم مِن مَحبّتي، كَما يُفيضُ اللهُ أبي الصَّمَدُ عليَّ مِن مَحبّتِهِ، وأنا أعمَلُ بوصاياهُ وأستَمِرُّ في مَحبَّتِهِ، فاعمَلوا أنتُم بوَصاياي لكي تَستَمِرُّوا في مَحبّتي. 11وما قَولي هذا إلاّ لتَفرَحوا مِثلي ويَفيضَ فَرَحُكُم. 12هذِهِ هي وَصيَّتي لكُم، فتَمَسَّكوا بها واحفَظوها: أحِبُّوا بَعضُكُم بَعضًا كَما أحبَبتُكُم أنا، 13وليسَ مِن مَحبّةٍ يَهَبُها المُحِبُّ أعظَمَ مِن تَضحِيتِهِ بنَفسِهِ في سَبيلِ مَن يُحِبُّ. 14إن كُنتُم عَمِلتُم بتَعاليمي فأنتُم أحبابي، 15ولن أدعُوكم بَعدَ الآنَ عَبيدًا، لأنّ العَبدَ مُنفصِلٌ عن سَيِّدِهِ جاهلٌ بأعمالِهِ، ولكنّني أدعُوكُم أحبابي وقد كَشَفتُ لكُم كُلَّ ما أبانَهُ لي اللهُ أبي الصَّمَدُ مِن حَقائقَ. 16ولا يَذهبَنَّ بكُم الظَّنُّ إلى أنَّكُم أنتُم اختَرتُموني بل أنا مَنِ اختارَكُم لتَكونوا مِمَّن يُثمِرُ أعمالاً يَدومُ تأثيرُها إلى الأبَدِ، فيَمنَحُكُم اللهُ الأبُ الرَّحمنُ بذلِكَ كُلَّ ما تسألُونَهُ باسمي. 17تِلكَ هي وَصيَّتي أُكَرِّرُها عليكُم: أحِبُّوا بَعضُكم بَعضًا.

كراهية أهل الدّنيا لأتباع عيسى سَلامُهُ علينا

18وتابَعَ سَلامُهُ علينا حَديثَهُ مَعَ أتباعِهِ قائلاً: "لئن كَرِهَكُم أهلُ الدُّنيا، فاعلَمُوا أنّهُم قد كَرِهوني قَبلَكُم! 19ولو كُنتُم مِن أهلِ الدُّنيا، لأحَبُّوكُم كَما أحبُّوا عَبيدَها، ولقد انتقَيتُكُم وفَصَلتُكُم عَنهُم فأنتُم لستُم مِثلَهم، لذلِكَ يُبغِضونَكُم. 20واذكُروا ما كُنتُ قد حَدَّثتُكُم بِهِ: "لَيسَ العَبدُ أعظَمَ مِن سَيِّدِهِ". فإنِ اضطَهَدَني أهلُ الدُّنيا، فسيَضطَهِدُونَكُم، وإن عَمِلوا برِسالتي، فسيَعمَلونَ بتَعاليمِكُم. 21وما تَشريدُكُم وتَعذيبُكُم إلاّ لأنّكُم أتباعي، لأنّهُم يَجهَلونَ اللهَ الّذي أرسَلَني. 22وما كانَ عليهِم مِن وِزرٍ لو لم أُبعَثْ فيهِم، ولكن لا عُذرَ لهُم بَعدَ الآنَ وقد بُعِثتُ فيهِم وكَلّمتُهُم. 23مَن يَكرَهُني يَكرَهِ اللهَ أبي الصَّمَدَ، 24ولو لم أَعمَلْ بينَهُم مُعجِزاتٍ لم يَعمَلهَا أَحَدٌ غَيري، لَما كانَ عليهِم ذَنبٌ، ولكنّهُم أنكَروا المُعجِزاتِ الّتي رأوها ورَفَضوا أن يُؤمِنوا بي جُحُودًا واستِكبارًا، فكَرِهُوني وكَرِهُوا اللهَ أبي الصَّمَدَ. 25وكانَ ذلِكَ كُلُّهُ تَصديقًا لِما جاءَ في الزَّبُورِ: "كَرِهُوني بلا سَبَبٍ". 26وعِندَما أُرسِلُ إليكُم المُعينَ، رُوحَ اللهِ الّتي تَخرُجُ مِن عِندِ اللهِ الأبِ الرَّحمنِ، فتُذَكِّرُكم بي. 27فاشهَدوا لي أمامَ النّاسِ وادعُوهُم إليّ، لأنّكُم كُنتُم رُفقائي مُنذُ البِدايةِ".

١٦
الفصل السّادس عشر

مهمّة روح الله

[1] "يا أحِبّائي، إنّما ذَكَرتُ لكُم كُلَّ هذا لتَصمُدوا على إيمانِكُم بي، [2]فستُطرَدونَ
مِن بُيوتِ العِبادةِ، حينَ يأتي زَمَنٌ يَظُنُّ فيهِ مَن يَقتُلُكم أنّهُ يَخدِمُ اللهَ، [3]ولأنّ هؤلاءِ لم
يَعرفوا اللهَ الأبَ الرَّحمنَ ولا عَرَفوني. [4]وإنّي لأُنَبِّئُكُم بكُلِّ هذا حتّى عِندَما يَقَعُ،
تَتَذَكَّرونَ أنّي أخبَرتُكُم بِهِ".
"ولَم أُحَدّثكُم بهذِهِ الأُمورِ مُنذُ البدايةِ لأنّي كُنتُ مَعَكُم. [5]أمّا الآنَ، فقد حانَ
وَقتُ عَودَتي إلى الّذي أرسَلَني، فلا يَسألُني أحَدٌ مِنكُم عنِ المَكانِ الّذي سأذهَبُ
إليهِ. [6]وإنّي أرى الحُزنَ قد مَلأ قُلوبَكُم بسَبَبِ مُغادرَتي. [7]الحَقَّ أقولُ لكُم: أن
أُغادرَكُم خَيرٌ مِن أن أبقى مَعَكُم، لأنّي عِندَ مُغادرَتي أُرسِلُ إليكُم المُعينَ رُوحَ اللهِ
[8]الّتي ستُبيِّنُ لأهلِ الدُّنيا حَقيقةَ ذَنبِهِم وبَراءَتي والحِسابَ: [9]فذَنبُهُم أنّهم لم يُؤمِنوا
بي، [10]وبَراءَتي تَتَجلّى في عَودتي إلى اللهِ الأبِ الرَّحيمِ، عَودةً لن تَروني بَعدَها،
[11]وأمّا الحِسابُ فهو صُدورُ الحُكمِ على الشَّيطانِ الّذي يَسودُ الدُّنيا بغَيرِ حقٍّ.
[12]وعِندي أُمورٌ كَثيرةٌ أوَدُّ أن أُكلِّمَكُم بها، ولكنَّكُم تعجَزونَ عن تَحمُّلِها الآنَ.
[13]ولكن عِندَما تأتي رُوحُ اللهِ، فستُرشِدُكُم إلى الحَقِّ كُلّهِ، لأنّ كُلَّ ما تَبُثُّهُ فيكم هو
الحَقُّ، ولن تَتَكلّمَ مِن تِلقاءِ نَفسِها، بل ستُطلِعُكُم على ما بَلَغها مِنّي فقط، وتُنبِئُكُم
بما سَيَجري مِن أحداثٍ في المُستقبلِ. [14]وستَرفَعُ مِن شأني لأنّها تُذَكِّرُكُم بِكُلِّ ما قد
أخبَرتُكُم بهِ مِن أُمورٍ. [15]فكُلُّ ما للهِ الأبِ الرَّحمنِ هو لي، لذلِكَ قُلتُ لكُم إنّ ما تَبُثُّهُ
فيكُم رُوحُ اللهِ يأتيكُم مِن عِندي".
[16]وأردَفَ ﷺ مُخاطِبًا حَوارِيّيهِ قائلاً: "لن تَروني بَعدَ قَليلٍ لأنّني سأغيبُ
عنكُم، ولكن ستَمُرُّ مِنَ الزَّمَنِ مُدّةٌ قصيرةٌ لأظهَرَ لكُم بَعدَها فتَرَونَني مِن جَديدٍ".
[17]فتَساءَلَ الحَوارِيُّونَ: "ماذا يَقصِدُ بقَولِهِ بَعدَ قليلٍ أغيبُ عنكم، ثُمَّ بَعدَ ذلِكَ بقَليلٍ
تَرَونَني مِن جَديدٍ؟ وماذا يَقصِدُ بعَودتِهِ إلى جِوارِ اللهِ الأبِ الرَّحمنِ؟ [18]وأيُّ مَعنًى
لقَولِهِ إنّ هذا سَيَحدُثُ بَعدَ قليلٍ؟ إنّنا لم نَفهَم ما يَقصِدُهُ". [19]وأدرَكَ عيسى ﷺ ما
يُحيّرُ حَوارِيّيهِ فقالَ لهُم: "هل تَتَساءَلونَ عَن مَعنى قَولي: بَعدَ قليلٍ أغيبُ عنكم، ثُمَّ
بَعدَ ذلكَ بقَليلٍ تَرَونَني مِن جَديدٍ؟ [20]الحَقَّ الحَقَّ أقولُ لكُم: ستَغرَقونَ في بُكائِكُم،

بَينَما يَمتلِئُ أهلُ الدُّنيا سُرورًا. أجل، سيُصِيبُكُمُ الحُزنُ، ولكنّهُ سيَستَحيلُ فَرَحًا، [21]فكَما تَتألَّمُ المَرأةُ عِندَ مَخاضِها، فإنّها تَنسى ما أَلَّمَ بها مِن أوجاعِ عِندَما تَضعُ وَليدَها، لِكَونِها أعطَتِ العالَمَ مَخلوقًا جَديدًا. [22]وكذلِكَ أنتُم سيُصِيبُكُم الحُزنُ عَمّا قَريبٍ، ولكن عِندَما أعودُ إليكُم فأراكُم وتَرونَني، تَمتلِئُ قُلوبُكُم فرَحًا، ولا أحَدَ يَستَطيعُ أن يَنزِعَ هذا الفَرَحَ مِن قُلوبِكُم. [23]وفي ذلِكَ اليوم عِندَما أعودُ إليكُم، لا أحَدَ مِنكُم يَسألُني عن شَيءٍ. الحَقَّ الحقَّ أقولُ لكُم: إنّ بوُسعِكُم انِطلاقًا مِنَ ذلِكَ الوقتِ أن تَطلُبوا مِنَ اللهِ الأبِ الرَّحيمِ مُباشَرةً أيِّ شَيءٍ فيُجيبكُم لأنَّكُم أتباعي المُخلِصونَ. [24]وأنتُم لم تَطلُبوا شَيئًا باسمي مِن عِندِ اللهِ بَعدُ، وأعودُ لأقولَ: اطلُبوا باسمي تُعطَوا فيَزدادُ فَرَحُكُم".

[25]ثُمَّ قالَ ﷺ: "لقَد حَدَّثتُكُم عَن اللهِ الأبِ الرَّحيمِ بأمثالٍ ورُموزٍ، وسيأتي اليَومُ الّذي أُحدِّثكُم فيهِ عنهُ تَعالى بوُضوحٍ. [26]وعِندئذٍ ستَتوسَّلونَ إليهِ باسمي. ولا حاجةَ مُنذُ الآنَ أن أبتَهِلَ إلى اللهِ الأبِ الرَّحمنِ نيابةً عنكُم، [27]لأنّهُ يُحِبُّكم إذ أحبَبتُموني، وآمَنتُم بأنّي جِئتُ مِن عِندِ اللهِ. [28]نعم، مِن لَدُنهِ بُعِثتُ، وجِئتُ إلى هذا العالَمِ، ثُمَّ سأرحَلُ عنهُ راجِعًا إلى اللهِ الأبِ الرَّحمنِ". [29]وهُنا التَفَتَ إليهِ حَوارِيّوهُ قائلينَ: "حَديثُكَ إلينا الآنَ حَديثٌ واضِحٌ دونَ رُموزٍ، [30]وإنّنا على يَقينٍ أنّكَ على عِلمٍ بكُلِّ شَيءٍ، والآنَ فلا حاجةَ لطَرحِ مَزيدٍ مِن الأسئلةِ، فقد آمَنّا بأنّكَ مِن عِندِ اللهِ". [31]فأجابَهُم ﷺ قائلاً: "وهل آمَنتُم بي الآنَ حقًّا؟! [32]إذن، انتَبِهوا إلى ما سأقولُ: سيأتي زمَنٌ، بل إنّهُ قد حانَ، فيهِ تَتفرَّقونَ كُلٌّ في سَبيلِهِ وتَترُكوني وَحدي! إلاّ أنّني لن أكُونَ حينئذٍ وَحيدًا، لأنَّ اللهَ الأبَ الرَّحيمَ مَعي. [33]وما أذكُرُ لكُم ذلِكَ إلاّ لتَملأَ الطُّمأنينَةُ قُلوبَكُم بتَمسُّكِكُم بي. إنّكُم ستُقاسونَ الضِّيقَ في هذا العالَمِ، فاصمُدوا وتَذكَّروا واثِقينَ بأنّي أحرَزتُ الغَلَبةَ على العالَمِ".

١٧
الفصل السّابع عشر

عيسى ﷺ شفيعًا لأتباعه

[1]وبعدَ أن أتَمَّ سَيِّدُنا عيسى ﷺ حديثَهُ هذا مَعَ أتباعِهِ، رَفَعَ نَظَرَهُ إلى السَّماءِ داعيًا مُبتَهِلاً: "اللهُمّ، أيُّها الأبُ الرَّحمنُ، ها قد آنَ الأوانُ، أوانُ تَمجيدِ الابنِ الرُّوحيِّ! فارفَعْ شأنَهُ كي يُظهِرَ الابنُ الرُّوحيّ مَجدَكَ تَبارَكَ اسمُكَ وتَعالى، [2]لقد وَكَّلتَهُ على كُلِّ

البَشَرِ حتّى يَهَبَ لكُلِّ مَن يُؤمِنُ بِهِ مَكانَةً في دارِ الخُلدِ. 3وإنّ طَريقَ الخُلودِ لا يَكونُ إلاّ
مِن خِلالِ مَعرِفةِ ذاتِكَ جَلَّ جَلالُكَ أنت اللهُ الواحدُ الحقُّ، ومَعرِفةِ عيسى المَسيحِ الّذي
أرسَلتَهُ. 4وها أنا قد أكمَلتُ العَمَلَ الّذي أوكَلتَهُ إليَّ، وبذلِكَ رَفَعتُ ذِكرَكَ على هذِهِ
الأرضِ وبَينَ البَشَرِ، 5فامنَحني الآنَ يا اللهُ، أيُّها الأبُ الرَّحيمُ، تِلكَ الهَيبَةَ الّتي كانَت
لي عِندَكَ قَبلَ خَلقِ العالَمينَ.

6ربِّي لقدِ اصطفَيتَ جَماعةً مِن أهلِ هذا العالَمِ ليَكونوا أتباعًا لي، وقد كانوا دائمًا
في الحَقيقةِ مِن خاصَّتِكَ، وقد كَشَفتُ لهُم عن سِرِّ ذاتِكَ، وإنّهُم ليَعمَلونَ بتَعاليمِكَ،
7وقد أدرَكوا الآنَ أنّ كُلَّ ما كانَ لي هو مِن لدُنكَ. 8لقد كانَت مُهمَّتي تَبليغَ رِسالتِكَ الّتي
أوحيتَها إليّ فقَبِلَها أحبابي وقد عَلِموا أنّي مِن عِندِكَ مُرسَلٌ فآمَنوا بأنّكَ مَن بَعَثَني.
9وإنّي أدعو لهُم، لا لأهلِ الدُّنيا. أجل، أدعو لأحبابي الّذينَ جَعَلتَهُم أتباعي وهُم
أنصارُكَ، 10فأنصاري إليكَ هُم أنصارُكَ، وأنصارُكَ هُم أنصاري، وهُم الّذينَ يَرفعونَ
مِن شأني بَينَ النّاسِ، 11وهُمُ الباقونَ في هذا العالَمِ الّذي سأرحَلُ عَنهُ عائدًا إليكَ، فيا
اللهُ، أيُّها الأبُ القُدّوسُ احفَظْ هؤلاءِ مُخلِصينَ لكَ بالقوَّةِ الّتي أعطيتَها لي مِن عِندِكَ،
اجعَلْهُم عائلةً واحدةً كَما أنا وأنتَ واحدٌ. 12ولقد حَمَيتُهُم حينَ كُنتُ بَينَهُم بسُلطانِكَ
الّذي مَنَحتَني إيّاهُ. وما خَسِرتُ مِنهُم أحدًا إلاّ مَن استَحَقّ الهَلاكَ، وبذلِكَ يَصدُقُ ما
جاءَ في الزَّبورِ. 13وها أنا الآنَ عائدٌ إليكَ، وقد حَدَّثتُهُم بما حَدَّثتُهُم، عِندَما كُنتُ مَعَهُم
في العالَمِ، حتّى يَفرَحوا مِثلي فَرَحًا عَظيمًا. 14ولقد كَرِهَهُم أهلُ الدُّنيا عِندَما آمَنوا
برِسالتِكَ الّتي أوحيتَها إليّ، لأنّهُم مِثلي لا يَنتَمونَ إلى أهلِ الدُّنيا. 15ولَستُ أسألُ أن
تأخُذَهُم مِنَ العالَمِ ولكن أن تَحفَظَهُم مِنَ الشَّيطانِ الأثيمِ. 16فهُم يا مَولاي مِثلي لَيسوا
مِن أهلِ الدُّنيا، 17فاجعَلْهُم مِن عِبادِكَ المَنذورينَ المُخلَصينَ بِالحَقِّ الَّذي هو جَوهرُ
رِسالَتِكَ. 18وكَما بَعَثتَ بي إلى العالَمينَ، هكذا أبعَثُهُم إلى أنحاءِ الدُّنيا، 19وقد وقَّفتُ
نَفسي لكَ مِن أجلِهِم، وها هُم بدَورِهِم يُوقِفونَ أنفُسَهُم كُليًّا لكَ".

20وأضافَ سَيِّدُنا عيسى عليه السلام: "يا رَبُّ، إنَّني لا أبتَهِلُ إليكَ مِن أجلِ أتباعي هؤلاءِ
فَقَط، بل مِن أجلِ كُلِّ مَن يؤمِنُ بي بَعدَ أن بَلَّغتُهُم رِسالتَكَ مِن خِلالِهِم. 21وأبتَهِلُ إليكَ
يا اللهُ، أيُّها الأبُ الرَّحيمُ أن يَكونَ كُلُّ المُؤمنينَ مُوحَّدينَ فيما بينَهُم في قَلبٍ واحدٍ،
كَما أنّكَ في ذاتي وأنا في ذاتِكَ، فليَكُن هؤلاءِ فينا، فيُؤمِنَ الجَميعُ بأنّكَ أنتَ مَن
أرسَلتَني. 22وأنّكَ أنتَ مَن أكرَمَهُم كَما أكرَمتَني، فيَتَوحَّدونَ على قَلبٍ واحدٍ كَما أنتَ
وأنا في ذاتٍ واحدةٍ، 23أنا مَعَهُم وأنتَ مَعي لنَكونَ مُتَّحِدينَ اتّحادًا تامًّا. فيَكونُ ذلك

بُرهانًا لأهلِ الدُّنيا على أنّني إنّما جِئتُ مِن عِندِكَ، وعلى أنّكَ تُحِبُّهُم كَما أحبَبتَني.

[24]اللهُمّ أيُّها الأبُ الرَّحيمُ، لِيَكُن هؤلاءِ الّذينَ جَعلتَهُم مِن خاصّتي في حَضرَتِكَ مَعي، لِيَرَوا المَكانةَ الرَّفيعةَ الّتي وَهَبتَها لي لأنّكَ أحبَبتَني قَبلَ خَلقِ العالَمينَ. [25]نعم يا اللهُ، أيُّها الأبُ الرَّحمنُ المُخلِصُ لوعودِهِ، إنّ أهلَ الدُّنيا لا يَعرِفونَ ذاتَكَ، أمّا أنا فعَرَفتُها، ولقد عَرَفَ أتباعي أنّكَ أرسَلتَني، [26]فعَرَّفتُهُم جَلالَ ذاتِكَ العَليّةِ، وسَيَفيضُ عليهِم، بَعدَ رَحيلي، عِلمي ونوري فتَمتَلِئُ قُلوبُهُم بمَحبّتِكَ بقَدرِ المَحبّةِ الّتي خَصَصتَني بها، فأكونَ أنا أيضًا في قُلوبِهِم".

١٨
الفصل الثامن عشر

القبض على عيسى عليه السلام

[1]وغادَرَ سَيِّدُنا عيسى عليه السلام بعدَ ابتِهالِهِ صُحبةَ حَوارِيّيهِ ذلِكَ المَكانَ، لِيَجتازوا مَعًا وادي قيدرونَ، ودَخَلوا فيهِ إلى بُستانٍ مِن شَجَرِ الزَّيتونِ. [2]وكانَ يَهوذا الّذي سيَغدِرُ بسَيِّدِنا عيسى يَعرِفُ ذلِكَ البُستانَ لأنّ عيسى عليه السلام اعتادَ أن يَجتَمِعَ فيهِ بأتباعِهِ. [3]فاصطَحَبَ يَهوذا إلى ذلِكَ المَكانِ جَماعةً مِن عَسكَرِ الرُّومانِ(1) ومَجموعةً مِن حَرَسِ بَيتِ اللهِ الّذينَ أرسَلَهُم رؤساءُ الأحبارِ والمُتَشَدِّدونَ، وكانَ بِحَوزَةِ المَوكِبِ مَصابيحُ ومَشاعِلُ وسِلاحٌ.

[4]وكانَ سَيِّدُنا عيسى عليه السلام يَعلَمُ بما سيَحُلُّ بهِ، فخَرَجَ إليهِم قائلاً: "مَن هذا الّذي جِئتُم في طَلَبِهِ؟!" [5]فأجابوهُ قائلينَ: "إنّهُ عيسى النّاصِرِيّ". فقالَ لهُم: "أجل، أنا عيسى النّاصريّ". وكانَ يَهوذا الخائنُ واقِفًا مَعَ الجُنودِ والحَرَسِ. [6]وعِندَما أجابَهُم عليه السلام بأنّهُ هو، تَراجَعوا وسَقَطوا أرضًا! [7]فسألَهُم ثانيةً: "مَن جِئتُم وَراءَهُ؟!" فأصَرّوا على طَلَبِهِم قائلينَ: "عيسى النّاصريّ". [8]فقالَ لهُم: "أخبَرتُكُم أنّني أنا عيسى النّاصريّ، وأنا بَينَ أيديكُم فخَلُّوا سَبيلَ أصحابي". [9]وبهذا تَحَقّقَ ما ذَكَرَهُ عِندَ ابتِهالِهِ: "ما خَسِرتُ يا رَبُّ

(1) كان الجنود الرومان يرابطون في قلعة "أنطونيا" داخل القدس وذلك لضبط النظام في المدينة. ومن الممكن أن يكون كبار الأحبار والمتشدّدون قد أقنعوا هؤلاء الجنود بالقبض على سيدنا عيسى عليه السلام مدّعين لهم أنّه رجل متمرّد خطير.

أحَدًا مِنَ الأتباعِ الَّذينَ وَهَبتَهُم لي" . [10]وأثناءَ ذلِكَ، استَلَّ صَخرٌ سَيفًا كانَ مَعَهُ وقَطَعَ الأذُنَ اليُمنى لأحَدِ عَبيدِ كَبيرِ الأحبارِ، وكانَ اسمُه مالِك.[(1)] [11]والتَفَتَ عليه السلام إلى صَخر قائلاً: "أعِدْ سَيفَكَ إلى غِمدِهِ، أفلا أشرَبُ كأسَ الآلامِ الّتي قَدَّرَها لي اللهُ الأبُ الرَّحيمُ!؟"

[12]وهكذا قامَ العَسكَرُ الرُّومانُ مَعَ ضابِطِهِم، ومَجموعةُ الحُرّاسِ بالقَبضِ على عيسى عليه السلام فقَيَّدُوهُ [13]وساقوهُ في البِدايةِ إلى حَنّا حَمي قَيافا الّذي كانَ كَبيرَ الأحبارِ في تِلكَ الفَترةِ.[(2)] [14]وقَيافا هو الّذي نَصَحَ زُملاءَهُ مِن قادةِ اليَهودِ قائلاً: خَيرٌ أن يَموتَ رَجُلٌ واحدٌ فِداءً للأُمّةِ مِن أن تَهلِكَ الأُمَّةُ بأكمَلِها.

بطرس وإنكار علاقته بالمسيح عليه السلام

[15]ومَضى في إثرِ سَيِّدِنا عيسى عليه السلام بُطرُسُ الصَّخر وحَوارِيٌّ آخَرُ كانَت لهُ صِلةٌ بكَبيرِ الأحبارِ، فدَخَلَ الحَوارِيُّ الثّاني مَعَ سَيِّدِنا عيسى عليه السلام إلى باحةِ قَصرِ كَبيرِ الأحبارِ، [16]وظَلَّ بُطرُسُ بدَورِهِ واقفًا عِندَ البابِ. وتَوَسَّطَ ذاكَ الحَوارِيُّ لَدى فَتاةٍ كانَت تَحرسُ البوّابة ليَدخُلَ بُطرُس. [17]فسألَتهُ: "هل أنتَ أيضًا مِن أتباعِ هذا الرَّجُلِ؟" فأنكَرَ بُطرُسُ ذلِكَ بقَولِهِ: "كَلاّ، لَستُ مِن أتباعِهِ". [18]ولَمّا كانَ البَردُ شَديدًا، أوقَدَ العَبيدُ والحُرّاسُ النّارَ والتَفُّوا حَولَها يَتَدَفَّؤُونَ، واقتَرَبَ مِنهُم بُطرُسُ يَتَدَفَّأ.

كبير الأحبار يقوم باستجوابه عليه السلام

[19]وتَوَجَّهَ كَبيرُ الأحبارِ إلى سَيِّدِنا عيسى عليه السلام يَستَجوِبُهُ عَن أتباعِهِ والتَّعاليمِ الّتي يُنادي بها، [20]فأجابَهُ عليه السلام: "إنّما بَشَّرتُ بتَعاليمي جَهرًا، على رُؤوسِ الأشهادِ في بُيوتِ العِبادَةِ والحَرَمِ الشَّريفِ حَيثُ يَجتَمِعُ كُلُّ اليَهودِ. [21]فلِمَ تَسألُني أنا؟ اسألْ هؤلاءِ الّذينَ سَمِعوا ما ذَكَرتُ، إنَّهُم يَعلَمونَ كُلَّ ذلِكَ". [22]فلَطَمَهُ أحَدُ الحُرّاسِ على خَدِّهِ

---

(1) مالك المشار إليه هنا على الأرجح اسم عربي من مملكة الأنباط الواقعة في الأردن وجنوب سوريا اليوم. وقد عبّروا عن هذا الاسم في اللغة اليونانية بـ"ملخس".

(2) كان حنا كبير الأحبار من سنة 6 للميلاد إلى أن أقاله الرُّومان سنة 15 للميلاد. وينصّ القانون اليهُودي أن يكون كبير الأحبار حاكمًا مدى عمره. لذا اعتبر اليهودُ قرارَ الرُّومان بإقالة حنّا غيرَ نافذ فظلّ الشعب يحترمه. وكان حنّا ثريًّا يتمتّع بنفوذ كبير، لأنّ منصب كبير الأحبار هو أعلى المناصب الدينية إلى حين مجيء الاحتلال الروماني. ومن المفترض أن يكون حكم الإعدام قد صدر عن مجموع من القضاة، إذ لا يملك القاضي وحده صلاحية إصدار مثل هذا الحكم. لكنّ ذلك لم يمنع حنّا من ممارسة سلطته في استجواب سيدنا عيسى عليه السلام الذي حُكم عليه بالإعدام فيما بعد.

قائلاً: "أهكذا تُخاطِبُ كَبيرَ الأحبارِ؟!" [23]فأجابَهُ ﵇: "إن كُنتُ قد أخطأتُ في جَوابي فأَثبِتْ ذلِكَ بِشُهودٍ، وإن نَطَقتُ صَوابًا، فلِمَ تَلطِمُني؟!" [24]وأرسَلَ حنّا عيسى ﵇ مُقَيَّدًا إلى قَيافا كَبيرِ الأحبارِ.(1)

بطرس وإنكاره لعيسى ﵇ ثلاثَ مرّات

[25]وفي ذلِكَ الحِين، كانَ بُطرُسُ يَتَدفَّأُ مَعَ الحُرّاسِ، فسألوهُ: "هل أنتَ أيضًا مِن أتباعِهِ؟!" فأجابَهُم بُطرُسُ مُنكِرًا: "كَلاّ، لَستُ مِنهُم". [26]فالتَفَتَ إليهِ أحَدُهُم وقد كانَ عَبدًا عِندَ كَبيرِ الأحبارِ، وهو مِن أقارِبِ مَن قَطَعَ بُطرُسُ لهُ أذُنَهُ، وقالَ لهُ: "أما شاهَدتُكَ برِفقةِ عيسى في ذلِكَ البُستانِ؟!" [27]فأنكَرَ بُطرُسُ ذلِكَ مَرّةً ثالثةً، وقد تَزامَنَ ذلِكَ الإنكارُ مَعَ صِياحِ الدِّيكِ.

عيسى ﵇ يمثُلُ أمام الحاكم الرُّومانيّ

[28]وأُقتيدَ ﵇ بَعدَ انتهاءِ مُحاكمتِهِ فَجرًا مِن عِندِ كَبيرِ الأحبارِ قَيافا إلى قَصرِ الحاكِمِ الرُّومانيّ، وامتنَعَ اليَهودُ عَن دُخولِ القَصر حتّى لا تُصيبَهُم النَّجاسةُ فيُحرَموا مِن تناوُلِ عَشاءِ عِيدِ الفِصح.(2) [29]لذا خَرَجَ الحاكِمُ بيلاطُس إليهِم ليَسألَهُم قائلاً: "ماهي التُّهمةُ الّتي تُوجِّهونَها إلى هذا الرَّجُلِ؟" فأجابوهُ: [30]"لو لم يَكُن مُجرِمًا لَمَا سَلَّمناكَ إيّاهُ". [31]إلاّ أنّ بيلاطُس قالَ لهُم: "خُذوهُ وحاكِموهُ حَسَبَ شَريعتِكُم". فانبَرَوا قائلينَ: "كَيفَ وقد سَلَبَ الرُّومانُ مِنّا صَلاحيَّةَ الحُكمِ بالإعدامِ؟" [32]فتَحقّقَت بذلِكَ نبُوءةُ سَيِّدِنا عيسى ﵇ حولَ طَريقةِ مَوتِهِ.(3)

[33]وعادَ بيلاطسُ إلى القَصرِ، واستَدعى عيسى ﵇ ليَسألَهُ: "هل أنتَ مَلِكُ اليَهودِ؟!"(4) [34]فأجابَهُ: "أهذا سُؤالٌ خَطَرَ بِبالِكَ فألقَيتَهُ عليَّ، أم هو مِمّا بَلَغَكَ عنّي مِن

(1) حنّا هو كبير الأحبار الذي سبقت الإشارة إليه. وهو الذي استجوب سيدنا عيسى ﵇ ثم أرسله إلى قيافا كبير الأحبار الذي يعترف به الرومان.

(2) كان اليهود يعتقدون أنّ من دخل بيت أجنبي غير يهودي تصيبه النجاسة.

(3) لم يكن يُسمح لغير الرومان بتنفيذ الحكم بالإعدام، لذا تحقّقت نبوءة سيدنا عيسى ﵇ في أنّه سيموت صلبًا تبعًا لطريقة الرومان في تنفيذهم حكم الإعدام، أمّا طريقة اليهود في تنفيذ الإعدام، فكانت الرجم.

(4) في حال اعترف المسيح ﵇ بأنّه ملك، فإنه يحاكم على أنّه متمرّد وبالتالي يحكم عليه بالصلب.

الآخَرينَ؟!"[1] [35]إلاّ أنّ بيلاطُسَ أجابَهُ: "وهل أنا يَهوديٌّ حتّى يَهُمَّني كُلُّ ذلِكَ؟ فقد سَلَّمَكَ إليَّ شَعبُكَ ورُؤساءُ الأحبارِ! فما الّذي ارتكبتَهُ؟!" [36]فأجابَهُ ﷺ: "لَستُ مَلِكًا دُنيويًّا، ولو كانَ كذلِكَ لدافعَت حاشيَتي نَفسُها عنّي فلا يَقبِضُ اليَهودُ عليّ. ولكنّ مَملكَتي لَيسَت مِن هذا العالَم". [37]فقالَ لهُ بيلاطُسُ: "أنتَ مَلِكٌ إذَن!" فأجابَهُ ﷺ: "نَطقتَ صَوابًا، أنا مَلِكٌ، وقد وُلدتُ وبُعِثتُ إلى هذا العالَمِ لأشهَدَ للحَقِّ، فكُلُّ مَن يُحِبُّ الحَقَّ يُطِيعُ تَعاليمي". [38]فسألَهُ بيلاطسُ: "وما هو الحَقُّ؟" ثُمّ خَرَجَ إلى الحُشودِ وقالَ لهُم: "لَستُ أرى لهُ جَريمةً ارتَكَبَها. [39]قد جرَتِ العادةُ بَينَكُم على أن أُطلِقَ لكم سَجينًا واحدًا مِن سُجنائِكُم في عِيدِ الفِصح، فهل لدَيكُمُ الرَّغبةُ في إطلاقِ مَلِكِ اليَهودِ؟" [40]فَعلَت أصواتُهُم وردّوا قائلينَ: "لا تُطلِق سَراحَهُ، بل أطلِقْ سَراحَ باراباس!" وقد كانَ باراباسُ هذا مُجرِمًا مُتمَرِّدًا على الرُّومان.

١٩
الفصل التاسع عشر

الحكم على عيسى ﷺ بالصّلب

[1]وهَكَذا أمَرَ الحاكمُ بيلاطُسُ بِجَلدِ سَيِّدِنا عيسى ﷺ، [2]فصَنَعَ الجُنودُ تاجًا مِنَ الشَّوكِ المَجدولِ، ووَضَعوهُ على رأسِهِ وألبَسوهُ رِداءً مَلَكيًّا ذا لَونٍ أُرجوانيّ،[2] [3]ثُمّ حَيَّوهُ ساخِرينَ: "عاشَ مَلِكُ اليَهودِ!" وكانوا يَتناوَبونَ عليهِ صَفعًا ولَطمًا. [4]ثُمّ خَرَجَ الحاكِمُ بيلاطُسُ إلى الحُشُودِ وقالَ لهُم مَرّةً أُخرَى: "اِعلَموا أنّي سأُعِيدُهُ إليكُم، وأنا لا أجِدُ سَبَبًا لإدانتِهِ". [5]وخَرَجَ عيسى ﷺ وقد عَلا رأسَهُ تاجٌ مِنَ الشَّوكِ مُرتَديًا ثوبًا أُرجوانيَّ اللَّونِ. والتَفَتَ بيلاطُسُ إلى المُحتَشِدينَ قائلاً: "ها هوذا الرَّجُلُ". [6]وصَرَخَ رُؤساءُ الأحبارِ وحُرّاسُ بَيتِ اللهِ عِندَ رُؤيتِهِ: "أُصلُبْهُ، أُصلُبْهُ!" ولكنّ بيلاطسَ

---

(1) سؤال بيلاطس هنا ملتبس. لذلك سأله السيد المسيح ليعرف الهدف من سؤاله عن طبيعة مُلكه، لأنّ المسيح ﷺ لم يكن يدّعي المُلك على مقاطعة من مقاطعات الرومان، إنّما كان قصده المُلك الروحي الشامل.

(2) كان اللون الأرجواني خاص بملابس الملوك وأثرياء القوم، لغلاء ثمنه. ولكنّ هؤلاء ألبسوه هذا الرداء الأرجواني سخريةً منه ﷺ.

أجابَهُم: "خُذُوهُ أنتُم واصلُبُوهُ، فإنّي لم أجِدْ لهُ ذَنبًا لإدانَتِهِ". [7]فقالَ قادةُ اليَهودِ: "شَريعَتُنا تَقضي بِموتِهِ لأنّهُ ادَّعى بأنّهُ الابنُ الرُّوحيُّ للهِ". [8]واشتَدَّت رَهبةُ بيلاطسَ بَعدَ سَماعِ كَلامِهِم[1] [9]فعادَ إلى قَصرِهِ وسألَ سَيِّدَنا عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: "مِن أينَ أنتَ؟!" إلاّ أنّ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يُجِبْهُ. [10]فتابَعَ بيلاطسُ كَلامَهُ قائلاً: "أترفُضُ الإجابةَ؟ ألا تَدري أنّي صاحِبُ السُّلطةِ، إن شِئتُ أطلَقتُ سَراحَكَ وإن شِئتُ صَلبتُكَ؟" [11]فأجابَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: "لم تَكُن لكَ تِلكَ السُّلطةُ عليّ لو لم يَمنَحكَ إيّاها اللهُ، ولكنّي أقولُ: إنّ إثمَ مَن سَلّمَني إليكَ أعظَمُ مِن إثمِكَ". [12]ولمّا سَمِعَ بيلاطُسُ كَلامَهُ حاوَلَ إطلاقَ سَراحِهِ. إلاّ أنّ قادةَ اليَهودِ احتَجُّوا صارِخينَ: "إن أطلَقتَ سَراحَهُ فهذا يَعني أنّكَ تَخونُ القَيصرَ، لأنّ كُلَّ مَن يَزعُمُ أنّهُ مَلِكٌ يَتَمَرَّدُ عليهِ".[2] [13]فلمّا سَمِعَ بيلاطسُ كَلامَهُم هذا، أخرَجَ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأوقَفَهُ أمامَ مِنصَّةِ القَضاءِ في مَكانٍ اسمُهُ البَلاطُ ويُقابلُ جَباثا بالعِبريةِ، [14]وكانَ ذلِكَ نَحوَ ظَهيرةِ يوم التَّهيئَةِ لِيوم عِيدِ الفِصْحِ، وخاطَبَ بيلاطُسُ اليَهودَ بقولِهِ: "هُوَ ذا مَلِكُكُم!" [15]ولكنّهُم صَرَخوا قائلينَ: "أُقتُلْهُ! اِقْضِ عليهِ! أُصلُبْهُ!" فأجابَهُم بيلاطُسُ: "وهل أصلُبُ مَلِكَكُم؟" فأجابَهُ رؤساءُ الأحبارِ: "لَيسَ مِن مَلِكٍ علينا سِوى القَيصر".[3] [16]ونَزَلَ بيلاطسُ في النِّهايةِ عِندَ رَغبةِ قادةِ اليَهودِ وسَلّمَ إليهِم عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِيُصلَبَ.

عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ والصّليب

[17]ثُمّ أُخِذَ سَيِّدُنا عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ خارِجَ المَدينةِ حامِلاً صَليبَهُ واتَّجَهوا بِهِ إلى مَكانٍ يُدعى الجُمجُمة، أو الجُلجُثة بالعِبريّةِ، [18]هُناكَ تَمَّ صَلبُهُ مَعَ مُجرِمَيْنِ مِن

---

(1) وقد سبق أن أصابت بيلاطس الرّهبةُ بسبب ما سمع سابقا من أقوال منه عَلَيْهِ السَّلَامُ. ولكنّ خوفه اشتدّ عند سماعه هذه الكلمات، لأنّ القيصر الروماني اتّخذ لنفسه لقب ابن الله، وأيّ شخص آخر يتّخذ هذا اللقب يرتكب الخيانة العظمى وعقابها الإعدام.

(2) يحاول اليهود هنا توعّد بيلاطس بإبلاغ أمره إلى القيصر، وقد وجهّوا إليه تهمة إخلاء سبيل رجل متّهم بالخيانة.

(3) ذُكِر مرارًا في كتب الأنبياء أنّه لا مَلِكَ لبني يعقوب إلا الله. وحتّى الملوك من سلالة النبي داود عليه السلام لم يحظ مُلكهم بالشرعية إلاّ إذا سلّموا أمرهم لله معترفين بأنّه الملك العلي العظيم. وبإصرار قادة اليهود على أنّ ملكهم هو القيصر دون غيره، فإنّهم بذلك يرفضون حكم الله وشخص المسيح الملك المنتظر.

المُتَمَرِّدينَ،(1) أحدُهُما عَن يَمينِهِ والآخَرُ عَن يَسارِهِ.(2) 19وقد أمَرَ بيلاطسُ بوَضعِ لافِتةٍ فَوقَ رأسِهِ كُتِبَ عليها سَبَبُ إدانَتِهِ: "عيسى النّاصِريّ مَلِكُ اليَهودِ". 20وكانَت بثَلاثِ لُغاتٍ: الآراميّة واللاّتينيّة واليُونانيّة.(3) وقرأ تِلكَ اللاّفتةَ الكَثيرُ مِنَ اليَهودِ، لأنّ مَكانَ الصَّلبِ كانَ على مَشارِفِ المَدينةِ، 21فاحتجَّ رُؤساءُ الأحبارِ على ما كُتِبَ فقالوا لبيلاطُسَ: "لِماذا كَتَبتَ: مَلِكُ اليَهودِ؟ كانَ عليكَ أن تكتُبَ أنّ هذا الرَّجُلَ زَعَمَ أنّهُ مَلِكُ اليَهودِ". 22ولكنّ بيلاطسَ رَدَّ عليهِم قائلاً: "قد كَتَبتُ ما كَتَبتُ ولا تبديلَ لهُ".

23وقَبلَ أن يَرفَعَ العَسكَرُ سَيِّدَنا عيسى عليه السلام على الصَّليبِ، جَرَّدوهُ مِن ثِيابِهِ وتَقاسَموها فيما بَينَهُم أربعَةَ أقسامٍ لكُلِّ عَسكريٍّ حِصَّةٌ مِنها، ثُمَّ أخَذوا رِداءَهُ المَنسوجَ قِطعةً واحدة، 24مُحدِّثينَ بَعضُهم بَعضًا قائلينَ: "لا نُمَزِّقُهُ، ولكن نُلقي قُرعةً فنَرى مَن يأخُذُهُ". وبِهذا تَحقَّقَ ما وَرَدَ في الزَّبور: "قَسَّموا ثيابي بَينَهُم، وعلى مَلابِسي ألقوا القُرعةَ". وهذا ما فَعَلَهُ العَسكَرُ حقًّا.

25وفي ذلِكَ الحِينِ، وعِندَ صَلبِ عيسى عليه السلام، كانَت أُمُّهُ مَريمُ واقفةً تَرقُبُ ما يَحدُثُ، وبِرِفقتِها أُختُها مَريمُ زَوجةُ كلوبا، بالإضافةِ إلى مَريم المَجدَليّة. 26وعِندَما رأى سَيِّدُنا عيسى عليه السلام أُمَّهُ وبِجوارِها أحَدُ حَوارِيِّيهِ المُحبَّبُ إلى نَفسِهِ، قالَ لها: "اتَّخِذي، يا أُمِّي، هذا الحَوارِيَّ وَلَدًا لَكِ". 27ثُمَّ وَجَّهَ كَلامَهُ إلى الحَوارِيِّ قائلاً: "لتَكُن أُمِّي أُمَّكَ". وكانَ لهُ ما أرادَ فمُنذُ ذلِكَ الحِينِ أصبحَت مَريمُ تُقيمُ في دارِ ذلِكَ الحَوارِيِّ.

موته عليه السلام

28وبَعدَ هذِهِ الأحداثِ العَظيمةِ، أدرَكَ سَيّدُنا عيسى عليه السلام أنّهُ قد أكمَلَ كُلَّ ما أوكَلَهُ اللهُ إليهِ، فقالَ الكَلامَ التّالي ليَتحقَّقَ ما جاءَ في الزَّبورِ: "أنا عَطشانُ". 29وكانَ هُناكَ وِعاءٌ مَملوءٌ بِنَبيذٍ رَخيصٍ، فغَمَسَ فيهِ أحَدُ الواقِفينَ هُناكَ قِطعةً مِنَ الإسفنجِ، ووَضَعَها على عُودٍ مِن نَباتِ الزُّوفا، ورَفَعَها إلى فَمِ عيسى عليه السلام، 30وعِندَما ذاقَها قال: "قَدِ اكتَمَلَتِ الرِّسالةُ". ثُمَّ مالَ برأسِهِ وأسلَمَ رُوحَهُ.

---

(1) عند صلب السيد المسيح عليه السلام، كانت الأغنام تُذبح وتُهيَّأ لوليمة عيد الفصح في مساء اليوم نفسه.

(2) نفّذ الرومان حكم الإعدام صلبا على العبيد فقط وعلى أحقر المجرمين الذين لم يحظوا بالجنسية الرومانية. وكان هؤلاء المجرمون يُعلّقون على الصلبان بمسامير كبيرة في معاصمهم وكعوبهم.

(3) كان اليهود في فلسطين يتكلّمون اللغة الآرامية أو العبرية، أما اللاتينية فكانت اللغة الرسمية للرومان، بينما كانت اليونانية لغة التجارة في جميع أنحاء منطقة البحر المتوسط ويفهمها الكثير من الناس.

[31]ولم يُرِدْ رُؤساءُ اليَهودِ تَرْكَ هؤلاءِ المَصلوبينَ على الصُّلبانِ إلى اليَوم التّالي، وهو يَومٌ عَظيمٌ مُقدَّسٌ، لكونِهِ يومَ عِيدٍ ويومَ سَبتٍ. فأرسَلوا إلى بيلاطُس يَطلُبونَ كَسرَ أرجُلِ المَصلوبينَ كي يَموتوا بِسُرعَةٍ، فيُنزِلوا الجُثَثَ عَنِ الصُّلبانِ، لكي لا تَبقى هُناكَ إلى يَوم السَّبت.(1) [32]فجاءَ العَسكَرُ للقِيام بتِلكَ المُهِمّةِ فكَسَروا ساقَي الرَّجُلِ الأوَّلِ ثُمَّ الثّاني، [33]إلاّ أنّهُم عِندَ وُصولِهِم إلي سَيِّدِنا عيسى ﷺ، أدرَكوا أنّهُ قد فارَقَ الحَياةَ فامتَنَعوا عَن كَسرِ ساقَيهِ. [34]وللتَّأكُّدِ مِن مَوتِهِ، طَعَنَهُ أحَدُ الجُنودِ في جَنبِهِ بحَربةٍ خَرَجَ على إثرِها دَمٌ وماءٌ. [35]وهذِهِ شَهادةٌ أدلى بها شاهِدُ عِيانٍ وشَهادتُهُ حَقٌّ، وهوَ يَرويها لكَي تُؤمِنوا أنتُم أيضًا بها. [36]ولقد حَصَلَ ذلِكَ أيضًا تَحقيقًا لِما جاءَ في التَّوراةِ وفي الزّبورِ: "لن يُكسَرَ مِنهُ عَظمٌ". [37]وقد وَرَدَ في مَكانٍ آخَرَ في كِتابِ النَّبيِّ زَكَرِيّا: "سيَنظُرونَ إلى الَّذي طَعَنُوهُ".

دفنه ﷺ

[38]وبَعدَ ذلِكَ، أقبَلَ يُوسُفُ الرّاميُّ الّذي كانَ يُؤمِنُ سِرًّا بسَيِّدِنا عيسى ﷺ خَوفًا مِن بَطشِ قادةِ اليَهودِ، وذَهَبَ إلى بيلاطُسَ وطَلَبَ أن يأخُذَ جُثمانَ عيسى ﷺ لِيَدفِنَهُ، فلَبَّى بيلاطسُ طَلَبَهُ، وأخَذَ يوسُفُ الجُثمانَ، [39]وكانَ مَعَهُ نِقوديموسُ الّذي زارَ في وَقتٍ سابقٍ سَيِّدِنا عيسى ليلاً. وقد أخَذَ نِقوديموسُ مَعَهُ مَزيجًا يَزِنُ مِئة مِكيالٍ تَقريبًا(2) مِن طيبِ المُرّ والعودِ لتَحنيطِ جُثمانِهِ الطّاهِرِ، [40]ثُمَّ حَمَلاهُ ولَفّاهُ بأكفانٍ مُعَطّرةٍ مِنَ الكَتّانِ حَسَبَ ما دَرَجَ عليهِ اليَهودُ في دَفنِ مَوتاهُم. [41–42]وكانَ هُناكَ قَبرٌ جَديدٌ لم يُدفَنْ فيهِ أحَدٌ في بُستانٍ قَريبٍ مِن مَكانِ الصَّلبِ، فقامَ الاثنانِ بِمُواراتِهِ ﷺ في هذا القَبرِ القَريبِ مِنَ المَدينةِ، وكانَ الوَقتُ قُبيلَ الغُروبِ، قَبلَ بَدءِ يَومِ السَّبت.(3)

(1) ورد في شريعة موسى أنّه لا يبقى شخص معلّق على الصليب خلال الليل (انظر سفر التثنية 21: 22، 23)، وإن بقي شخص معلّق على الصليب فإنّ النّجاسة تحلّ على هذا المكان. وكان كسر ساقي الشخص المصلوب يعجّل في موته لما يسبّبه ذلك من صعوبة في التنفّس ونزيف داخلي.

(2) هذه المقاييس تقريبية، وهي تساوي مئة "ليترا". والليترا وحدة قيس رومانية كانت تُستعمل آنذاك.

(3) تمّ اختيار القبر في ذلك المكان لقربه من المدينة إذ لم يكن لديهم متّسع من الوقت لدفنه ﷺ في مكان أبعد، وذلك لاقتراب هبوط الليل وبدء اليوم المقدّس الذي يُحرم فيه القيام بأيّ عمل، بما في ذلك الدفن.

٢٠

الفصل العشرون

انبعاث المسيح سلامه علينا من الموت

[1]وفي صَباحِ الأحَدِ الباكِرِ والظَّلامُ لم يَنجَلِ بَعدُ عن الأرضِ، تَوَجَّهَت مَريمُ المَجدليّة(1) إلى قَبرِ عيسى سلامه علينا فلاحَظَت أنّ الحَجَرَ قد زُحزِحَ عَن مَدخَلِهِ، [2]فعادَت أدراجَها مُسرِعةً إلى بُطرُسَ الصَّخر والحَوارِيِّ المُحبَّبِ لسَيِّدِنا عيسى سلامه علينا وقالَت لهُما: "لقد أخَذوا جُثمانَ سَيِّدِنا مِنَ القَبرِ ولا نَدري أينَ وَضَعوهُ!" [3]فتَوَجَّها على الفَورِ إلى القَبرِ مُسرعَين،(2) [4]غيرَ أنّ الحَوارِيَّ الآخَرَ سَبَقَ بُطرُسَ في الوصولِ إليهِ، [5]وانحنى فرأى الأكفانَ في القَبرِ، ولكنَّهُ امتَنَعَ عن الدُّخولِ. [6–7]ثُمَّ وَصَلَ بُطرُسُ ودَخَلَ القَبرَ ورأى الأكفانَ ومِنديلَ الرأسِ مَفصولاً عَنها مَلفوفًا على حِدةٍ. [8]عِندئذٍ تَبِعَ الحَوارِيُّ الواقفُ خارِجَ القَبر بُطرُسَ فرأى ما رَآه بُطرُسُ وآمَنَ في الحالِ بأنّ سَيِّدَنا عيسى سلامه علينا قد قامَ حيًّا مِنَ المَوتِ. [9]ولم يَكُن الحَوارِيُّونَ يُدرِكونَ حتّى تِلكَ اللَّحظةِ ما جاءَ في الكُتُبِ السَّماويّةِ بأنّ سَيِّدَنا عيسى سلامه علينا لا بُدَّ أن يُبعَثَ حيًّا في زَمانِهِم. [10]وهُنا رَجَعَ الحَوارِيّانِ أدراجَهُما إلى الدّارِ.

ظهوره سلامه علينا لمريم المجدليّة

[11]وفي تِلكَ الأثناءِ كانَت مَريمُ المَجدلِيّةُ قد وَصلَت إلى القَبرِ ووَقَفَت في الخارِجِ تَبكي، ثُمَّ انحنَت ناظِرةً إلى داخلِهِ [12]فرأت مَلاكَينِ في ثيابٍ بَيضاءَ جالِسَينِ حيثُ كانَ جُثمانُهُ مَوضُوعًا، أحَدُهُما مِن جِهةِ رأسِهِ والآخَرُ مِن جِهةِ قَدَمَيهِ. [13]فخاطَباها قائلَينِ: "لِماذا تَبكِينَ أيَّتُها المَرأةُ؟!" فأجابَتهُما: "أخَذوا جُثمانَ سَيِّدي ولا أعلَمُ أينَ أخفَوهُ؟!" [14]ثُمَّ التفَتَت وَراءَها فرأت شَخصًا واقفًا ولكنَّها لم تُميِّزهُ ألا إنّ هذا الشَّخصَ هو عيسى سلامه علينا، [15]فخاطَبَها بقولِهِ: "لِماذا تَبكينَ أيَّتُها المَرأةُ؟ ووَراءَ مَن تَسعَينَ؟!" أمّا

(1) المجدلية ربّما نسبة إلى بلدة مجدلة التي كانت تقع على الشاطئ الشرقي لبحيرة طبريّا. ومريم المجدلية هي المرأة التي قام المسيح سلامه علينا بتخليصها من الشياطين السبعة.

(2) كان اليهود قديمًا لا يأخذون بشهادة المرأة بصورة موثوقة في معظم القضايا الشرعية، كما هو الحال عند الرومان إلاّ أنّ ذلك كان عندهم بدرجة أقلّ. وربّما هذا هو الذي دفع بطرس والحواري المحبّب لعيسى (يوحنّا) للتأكّد بنفسيهما ممّا قالته المرأة.

هي فحَسِبَتهُ البُستانيَّ المَسؤولَ عن مَوضِعِ القَبرِ، فقالَت لهُ: "أيُّها الرَّجُلُ، إن كُنتَ أنتَ قد أخذتَ جُثمانَهُ، فأخبِرني بالمَكانِ الّذي وَضَعتَهُ فيهِ، حتّى آخُذَهُ!" [16]وهُنا ناداها ﷺ: "يا مَريمُ!" فقالَت وقد عَرَفَتهُ: "مَولايَ!" [17]فأجابَها سَيِّدُنا عيسى ﷺ: "هَوِّني عليكِ، ولا تُمسِكيني، فسأبقى مَعَكُم فَترةً مِنَ الزَّمنِ قَبلَ أن أعودَ إلى جِوارِ اللهِ الأبِ الرَّحيم، ولكنّي أطلُبُ مِنكِ الذَّهابَ إلى أتباعي لتُخبِريهِم بأنّي سأُرفَعُ إلى وَليّي ووَليّكُم، إلَهي وإلَهِكُم". [18]وهكذا راحَت مَريمُ المَجدليّةُ تَحمِلُ خَبَرَ رُؤيةِ سَيِّدِنا عيسى ﷺ إلى حَوارِيِّيهِ وأتباعِهِ وتُخبِرُهُم بما قالَ لها.

ظهوره ﷺ لأتباعه

[19]وفي مَساءِ اليومِ نَفسِهِ، كانَ حَوارِيُّوهُ وأتباعُهُ ﷺ مُجتَمِعينَ وقد أوصَدوا الأبوابَ خَوفًا مِن قادةِ اليَهودِ. وفَجأةً ظَهَرَ لَهُم سَيِّدُنا عيسى ﷺ، وهو يَقِفُ بَينَهُم وبادَرَهُم مُحَيِّيًا: "السَّلامُ عليكُم!" [20]ومَدَّ يَدَيهِ وأظهَرَ جَنبَهُ ليَرَوا آثارَ الجُرُوحِ فيُوقِنُوا بأنَّهُ حَقًّا هو، ففَرِحَ الحَوارِيُّونَ لرُؤيتِهِ ليَقينِهِم بأنّهُ سَيِّدُهُم فِعلاً، [21]ثُمَّ حَدَّثَهُم قائلاً: "السَّلامُ عليكُم. كَما أرسَلَني اللهُ الأبُ الرَّحمنُ إلى النَّاسِ، أجعَلُكُم أنا أيضًا إلى النّاسِ مِنَ المُرسَلينَ". [22]ثُمَّ نَفَخَ فيهِم قائلاً: "اِقبَلوا رُوحَ اللهِ. ها أنا ذا أُعطيكُم سُلطانًا في نَشرِكُم لرسالةِ اللهِ، [23]فكُلُّ مَن يُؤمِنُ بها يَحصُلُ على غُفرانِ اللهِ على أيديكُم، أمّا مَن يَرفُضُها فلا غُفرانَ لهُ". (1)

ظهوره ﷺ لِتوما

[24]ولم يَكُنِ الحَوارِيُّ تُوما المُلقَّبُ بالتَّوأم، حاضِرًا وَقتَ ظُهورِ سَيِّدِنا عيسى ﷺ لِحَوارِيِّيهِ وتَحَدُّثِهِ إليهِم. [25]لذلِكَ عِندَما أنبأَهُ الحَوارِيُّونَ قائلينَ: "لقد رَأينا سَيِّدَنا عيسى ﷺ بأُمِّ أعيُنِنا". أجابَهُم قائلاً: "لن أُصَدِّقَ أنّهُ بُعِثَ حيًّا حتّى أرى أثَرَ المَساميرِ في يَدَيهِ، وأضَعَ إصبَعي في مَكانِ المَساميرِ ويَدي على جُرحِهِ الّذي في جَنبِهِ!" [26]وبَعدَ مُرورِ ثَمانيةِ أيّام، كانَ الحَوارِيُّونَ مُجتَمِعينَ في الدّارِ وتُوما بَينَهُم وقد أوصَدُوا الأبوابَ، وفَجأةً ظَهَرَ عيسى ﷺ واقِفًا بَينَهُم قائلاً: "السَّلامُ عليكُم". [27]ثُمَّ تَوَجَّهَ إلى تُوما

---

(1) هذه نتيجة من نتائج نشر رسالة المسيح ﷺ، وذلك يجعل الناس يتوبون عند سماعهم تلك المنحة الإلهية العظيمة، أو يظلّون على عنادهم دون تجاوب مع تلك المنحة الإلهية وبالتالي يتواصل غرقهم في خطاياهم.

بقولِهِ: "أُنظُرْ، هاتان يَداي! هاتِ إصبعَكَ وتَحسَّسَ بِهِ مَوضِعَ المَسامير فيهِما. وهاتِ يَدَكَ وَضَعْهَا في أثرِ الجُرحِ الَّذي في جَنبي، وبَعدُ فإن كُنتَ غيرَ مُصدِّقٍ فعَليكَ أن تُصَدِّقَ". [28]فاندَهَشَ توما وقالَ: "يا رَبِّي وإلهي!!" [29]فقالَ لهُ سَيِّدُنا عيسى: "قد آمَنتَ بي إذ رَأيتَني حَيًّا، ولكن هَنيئًا لِمَن آمَنوا بي ولم يَروني".

[30]وقد أظهَرَ سَيِّدُنا عيسى عليه السلام مُعجِزاتٍ كَثيرةً في حُضورِ أتباعِهِ لم يَتِمَّ ذِكرُها في هذا الكِتابِ، [31]وإنّ ما وَرَدَ ذِكرُهُ مِن مُعجِزاتِهِ عليه السلام في هذا الكِتابِ إنّما لتَكونوا على يَقينٍ بأنّ عيسى عليه السلام هو المَسيحُ المُنتَظَرُ، الابنُ الرُّوحيُّ للهِ، فتَحصُلوا بفَضلِ إيمانِكُم بِهِ على نَعمةِ الحَياةِ الخالِدةِ.

٢١
الفصل الحادي والعشرون

معجزته عليه السلام في كمية السمك الكبيرة

[1]وبَعدَ ذلِكَ تَجلَّى سَيِّدُنا عيسى عليه السلام لحَوارِيِّيهِ مَرّةً أُخرى، في شاطِئِ بُحَيرةِ طَبَريّا. [2]وفي ذلِكَ اليومِ اجتَمَعَ بُطرُسُ الصَّخرِ وتُوما المَعروفُ بالتَّوأمِ ونَثنائيلُ مِن قَريةِ قانا في الجَليلِ، وابنا زَبَدي، وآخَرانِ مِن حَوارِيِّيهِ، [3]فقالَ لهُم بُطرُسُ: "إنّي ذاهِبٌ إلى الصَّيدِ". فأجابوهُ: "سنُرافِقُكَ". وخَرَجوا جَميعًا ورَكِبوا القارِبَ، وألقَوْا شِباكَهُم في المِياهِ، ولكنَّهُم لَمْ يَحظَوا بِصَيدٍ في تِلكَ اللَّيلةِ. [4]وعِندَ حُلولِ الفَجرِ، وَقَفَ عيسى عليه السلام على الشّاطِئِ وخاطَبَ حَوارِيِّيهِ إلاّ أنَّهُم لم يَعرِفوهُ، [5]قائلاً: "أيُّها الشُّبّانُ، ألَمْ تَصطادوا سَمَكًا بَعدُ؟" فأجابوهُ بالنَّفيِ، [6]فقالَ لهُم: "اِطرَحوا الشِّباكَ مِن جِهةِ القارِبِ اليُمنى، وستَجِدونَ السَّمَكَ". وهكذا رَمى الحَوارِيُّونَ بالشِّباكِ، وحاوَلوا سَحبَها فلَمْ يَقدِروا لكَثرةِ السَّمَكِ الّذي كانَ فيها. [7]فانبَرَى الحَوارِيُّ المُحَبَّبُ إلى عيسى وقالَ: "إنَّهُ مَولانا عيسى!" وعِندَ سَماعِ ذلِكَ، هُرِعَ بُطرُسُ الصَّخرُ وتَستَّرَ بثَوبِهِ الّذي خَلَعَهُ قَبلَ ذلِكَ لأجلِ الصَّيدِ، ثمّ ألقَى بنَفسِهِ في الماءِ فسَبَقَهُم إلى الشّاطِئِ. [8]ولَحِقَهُ مَن كانَ في القارِبِ مِنَ الحَوارِيِّينَ، وهُم يَسحَبونَ الشِّباكَ بما فيها مِن سَمَكٍ وَفيرٍ، ولم يَكونوا بَعيدينَ عَنِ الشّاطِئِ، سِوى مِئتَي ذِراعٍ تَقريبًا. [9]وعِندَ وُصولِهِم إليهِ، وَجَدوا جَمرًا مُتَّقدًا عليهِ سَمَكٌ وبِجانِبِهِ خُبزٌ.

[10]فخاطَبَهُم سَيِّدُنا عيسى ﷺ بقولِهِ: "هاتوا مِنَ السَّمَكِ الّذي اصطَدتُموهُ الآن". [11]فصَعِدَ بُطرُسُ الصَّخرُ إلى القارِبِ، ليَسحَبَ الشِّباكَ إلى الشّاطئ، وقدِ امتَلأتْ بأسماكٍ كَبيرةٍ، عَدَدُها مِئةٌ وثَلاثٌ وخَمسونَ سَمَكةً، دونَ أن تَتَمزَّقَ الشِّباكُ مِن ذلِكَ العَدَدِ الوَفيرِ. [12]فالتَفَتَ إليهِم عيسى ﷺ قائلاً: "هَيّا تَناوَلوا فُطورَكُم". ورَغمَ أنّهُم على يَقينٍ بأنّهُ السَّيِّدُ المَسيحُ، فإنّ أحَدًا لم يَجرُؤ على سؤالِهِ مُستَوضِحًا. [13]فتَقَدَّمَ مِنهُم ﷺ وناوَلَهُم الخُبزَ ثُمّ السَّمَكَ. [14]وقد كانَت تِلكَ المَرّةَ الثّالثةَ الّتي فيها ظَهَرَ سَيِّدُنا عيسى ﷺ لِحَوارِيِّيهِ بَعدَ قِيامِهِ حيًّا مِنَ المَوتِ.

عيسى ﷺ يتحدّث إلى بطرس

[15]وبَعدَ أن تَناوَلوا طَعامَهُم، التَفَتَ سَيِّدُنا عيسى ﷺ إلى بُطرُسَ الصَّخر قائلاً: "يا سَمعان بن يوحَنّا، هل مَحَبّتُكَ لي تَفوقُ مَحَبّةَ إخوانِكَ الحَوارِيِّينَ؟" فأجابَهُ بُطرُسُ: "نعم يا مَولاي، أنتَ تَعلَمُ مَدى مَحبّتي لكَ". فقالَ لهُ ﷺ: "إذن، أطعِمْ رَعِيّتي". [16]وأعادَ يَسألُهُ مُجَدَّدًا: "يا سَمعان بن يوحنّا، هل تُحِبُّني؟" فأجابَهُ ثانيةً: "نعم يا مَولاي، أنتَ تَعلَمُ أنّي أُحِبُّكَ". فقالَ لهُ سَيِّدُنا عيسى ﷺ: "إذا، اِعتَنِ برَعِيّتي". [17]ثُمَّ سألَهُ للمَرّةِ الثّالثةِ: "يا سَمعان بن يوحَنّا، هل تُحِبُّني؟" فأصابَ بُطرُسَ الحُزنُ وأجابَ قائلاً: "يا مَولاي أنتَ تَعلَمُ كُلَّ شَيءٍ، وتَعلَمُ حَقيقةَ مَحبّتي لكَ". فأعادَ عيسى ﷺ قَولَهُ: إذن، أطعِمْ رَعِيّتي. [18]الحَقَّ أقولُ لكَ، إنّكَ لمّا كُنتَ شابًّا، كُنتَ تَفعَلُ ما تَشاءُ، وتَذهَبُ حَيثُما تَشاءُ، أمّا في شَيخوخَتِكَ، فَستَمُدُّ ذِراعَيكَ، فيُقَيِّدُها آخَرونَ على الصَّليبِ، وسيَقتادونَكَ إلى حَيثُ لا تَشاءُ". [19]قد أشارَ بذلِكَ إلى الطَّريقةِ الّتي سيَموتُ بها بُطرُسُ والّتي سيُرفَعُ بها ذِكرُ اللهِ. ثُمّ أضافَ قائلاً: "تَعالَ واتبَعْني".(1)

[20]فالتَفَتَ بُطرُسُ وَراءَهُ فرأى الحَوارِيَّ المُحَبَّبَ إلى قَلبِ عيسى ﷺ، وهو الحَوارِيُّ الّذي مالَ على صَدرِ سَيِّدِنا عيسى أثناءَ العَشاءِ الأخيرِ، قائلاً: "يا مَولاي، مَن ذا الّذي سيَخونُكَ؟" [21]فسألَ بُطرُسُ عيسى ﷺ بشأنِهِ قائلاً: "يا مَولاي، ماذا سيَحُلُّ بِهِ؟" [22]فأجابَهُ: "لو أردتُ لبَقِيَ هذا حيًّا إلى حينِ عَودَتي، إلاّ أنّ ذاكَ الأمرَ لا يَعنيكَ.

---

(1) إنّ سبب تكرار سؤال سيدنا عيسى ﷺ لبطرس ثلاث مرات "هل تحبّني؟" يعود لإنكار بطرس ثلاث مرّات أنّه يعرف السيد المسيح ليلة الحكم. وذلك ليؤكّد له قبوله من جديد في عداد حوارييه.

ما عليكَ أنتَ إلاّ أن تَتبَعَني بإخلاصٍ " . [23]وهكذا شاعَ بَينَ جَماعةِ المُؤمِنينَ أنّ هذا الحَواريَّ لن يَموتَ أبدًا، رَغمَ أنّ سَيِّدَنا عيسى ﷺ لم يَذكُر ذلِكَ مُطلقًا، بل قالَ: "لو أرَدتُ لَبَقِيَ هذا حيًّا إلى حينِ عَودتي " .

[24]هذا الحَواريُّ هو الّذي يَشهَدُ بهذِهِ الأُمورِ، وقد دَوَّنَها في هذا الكِتابِ، والكُلُّ يَعلَمُ أنّ شَهادَتَهُ صادِقةٌ. [25]ولقد جرَت على يَدَيْ سَيِّدِنا عيسى ﷺ عَجائبُ وآياتٌ كَثيرةٌ، ولو رُمنا تَسجيلَها بالتَّفصيلِ لضاقَت عَنها كُلُّ صُحُفِ العالَمِ وكُتُبِهِ.

مدخل إلى سيرة الحواريين

اختار الله لوقا الطبيب لتسجيل هذا الوحي، وهو تكملة لسجلّه الأوّل الذي دوّن فيه سيرة سيدنا المسيح المنتهية بصعوده إلى السماء. وهذا السجلّ الثاني يبدأ من لحظة الصعود تلك، ويتواصل مبيّنا كيف أنّ الحواريين (خصوصا بطرس وبولس)، وأتباع آخرين لسيدنا عيسى نشروا رسالته بفضل قوّة روح الله. ولأنّ لوقا كان رفيقا ملازما للحواري بولس، كما ذكرنا في المدخل إلى سجلّ لوقا الأوّل، فإنّ معظم ما دوّنه لوقا في هذا السجلّ هو عبارة عن شهادة عيان.

تبدأ السيرة بالتذكير بالوعد الذي أعطاه السيد المسيح عَلَيْنَا سَلَامُهُ إلى أتباعه بأن يظلّ معهم بواسطة روح الله التي سوف يرسلها إليهم لتقويّهم حتّى ينشروا بشائر المملكة الرّبّانيّة في كلّ أرجاء المعمورة (1: 8). ثمّ تسترسل السيرة في ذكر تفاصيل تحقيق ذلك الوعد بإعلان الأتباع بشائر الرسالة، وتلَقّيهم هِبَة صنع المعجزات برهانا على صدق دعوتهم.

وقد واجه الحواريون، والرّعيل الأوّل من الأتباع سؤالا هامّا هو "من يحقُّ له الانتماء إلى شعب الله"؟ ولأنّ سيدنا عيسى وأتباعه الأوائل كانوا من بني يعقوب، فقد كان طبيعيا بالنسبة للبعض الاعتقاد بأنّ رسالة السيد المسيح موجَّهة لليهود وحدهم، وحتّى مَن آمن بالرسالة من غير اليهود كان عليه أن يصبح يهوديا كي يقبله الله! وقد نوقشت هذه المسألة بين الحواريين، إلاّ أنّ الله أكّد قبوله لجميع الناس، بغضِّ النظر عن خلفياتهم الدينية والعرقية، وذلك عبر الرؤى التي أراها لبولس (سيرة الحواريين 26: 12 – 18) وبطرس (10: 9 – 16) وأيضا عبر المعجزات العظيمة التي حدثت لحظة إيمان غير اليهود بسيدنا عيسى (أنظر على سبيل المثال سيرة الحواريين 10: 44 – 48؛ 13: 6 – 12).

وكما سبق أن أخبر السيد المسيح، فقد تعرّض أتباعه لاضطهاد شديد، ولكنّهم حَظُوا بتأييدٍ من روح الله بالصبر لمواصلة نشر الرسالة، فكثرت أعداد المؤمنين، وعمّت الرسالة أرجاء الإمبراطورية الرومانية، تماما كما كان قد تنبّأ سيدنا عيسى (متّى 13: 31–33)، ذلك أنه لا شيء يمكن أن يحدَّ من انتشار كلمة الله في كلّ مكان.

بسم الله تبارك وتعالى

سيرة الحَواريّين
الوحي الّذي سجّله لوقا الطّبيب

١
الفصل الأوّل

الوعد بروح الله

[1]أيُّها المُبَجَّلُ حَبيبُ اللهِ، كُنتُ قد أخبَرتُكَ في كِتابي الأوّلِ(1) بكُلِّ ما قامَ بِهِ سَيِّدُنا عيسى عَلَيْنَا سَلَامُهُ مِن أعمالٍ وما بَشَّرَ بِهِ مِن تَعاليمَ مُنذُ بدايةِ رِسالتِهِ [2]إلى اليَوم الّذي رُفِعَ فيهِ إلى السَّماءِ، وكانَ قد ألقى قَبلَ ذلِكَ وبمُؤازرةِ رُوح اللهِ وَصاياهُ على حَوارِيِّيهِ الّذينَ اصطَفاهُم لمُهمّةِ تَبليغِ رِسالتِهِ. [3]وبَعدَ أن صُلِبَ عَلَيْنَا سَلَامُهُ وبُعِثَ حيًّا، أخَذَ يَظهَرُ لهُم مِن حينٍ لآخر في فَترةٍ امتَدَّت أربعينَ يومًا ليُؤكِّدَ لهُم أنّهُ قد بُعِثَ حيًّا، مُبَدِّدًا بذلكَ شُكوكَهُم. وأثناءَ هذِهِ الظُّهُورات، كانَ يُحَدِّثُهُم مُجَدَّدًا عنِ المَملكةِ الأبَديّةِ الّتي وَعَدَ اللهُ بها عِبادَهُ. [4]وذاتَ مَرّةٍ وفيما هُم يَتناوَلونَ الطَّعامَ أوصاهُم قائلاً: "لا تُغادِروا مَدينةَ القُدس، بلِ انتَظِروا فيها حتّى حُلولِ رُوحِ اللهِ فيكُم، حَسَبَ وَعدِ اللهِ الأبِ الرَّحمنِ، الوَعدِ الّذي سَبَقَ أن أخبَرتُكُم بِهِ. [5]وإذا كانَ تَطهيرُ النّاسِ بالماءِ مُهمّةَ النّبيِّ يَحيى، فإنّكُم ستُطَهَّرونَ بفَيضِ رُوحِ الله بَعدَ أيّامٍ قَليلةٍ".

رفع عيسى عَلَيْنَا سَلَامُهُ إلى السّماء

[6]وذاتَ مَرّةٍ بَينَما كانَ مُجتَمِعًا بِحَوارِيِّيهِ عَلَيْنَا سَلَامُهُ في جَبَلِ الزَّيتونِ سَألوهُ: "يا مولانا، هل أنتَ عازِمٌ على تَحريرِنا وإحياءِ مَملكةِ بَني يَعقوبَ في زَمَنِنا هذا؟" [7]فأجابَهُم عَلَيْنَا سَلَامُهُ قائلاً: "لَيسَ لكُم أن تُحاطوا عِلمًا بأُمورٍ كهذِهِ، فاللهُ الأبُ الرَّحمنُ وَحدَهُ يُقدِّرُ المَواقيتَ والأزمان. [8]بل عِندَ تَجلّي رُوحِ اللهِ القُدّوسِ عليكُم، تَحظَونَ بِالقُوّةِ والسُّلطانِ، فتَكونونَ لي شُهودًا في القُدس، وفي مَناطِقِ يَهوذا والسّامرةِ، وسائرِ أصقاعِ

---

(1) وهذه العبارة تشير إلى الوحي المتعلّق بسيرة المسيح الذي سجّله لوقا الطبيب.

الأرضِ" . [9]وبَعدَ حَديثِهِ هذا لِحَوارِيِّيهِ، ارتَفَعَ إلى السَّماءِ وهُم يَنظُرونَ إليهِ، حتّى حَجَبَتهُ سَحابةٌ.

[10]وبَينَما هُم شاخِصونَ بأبصارِهِم إلى السَّماءِ، ظَهَرَ لهُم فَجأةً مَلاكانِ على هَيئةِ بَشَرٍ في ثيابٍ بَيضاءَ [11]وقالا لهُم: "أيُّها الجَليليّونَ، لِمَ تَقِفونَ هكذا وأبصارُكُم شاخِصةٌ إلى السَّماءِ؟ إنّ عيسى عَلَيهِ السَّلامُ الّذي تَمّ رَفعُهُ مِن بَينِكُم سيَعودُ بالطَّريقةِ نَفسِها الّتي شاهَدتُموهُ فيها يَرتَفِعُ إلى السّماء" .

[12]فغادَرَ الحَواريّونَ الجَبَلَ المَعروفَ بجَبَلِ الزَّيتونِ والواقِعِ على مَسافةٍ أقلَّ مِن مِيلٍ مِنَ القُدسِ، [13]وعِندَ وصولِهِم إلى المَدينةِ، صَعِدوا إلى الطَّبَقةِ العُليا حَيثُ مَكانُ إقامَتِهِم، وكانَ هُناكَ الحَواريّونَ بُطرُسُ ويوحَنّا ويَعقوبُ وأَنْدَراوسُ وفيليبُ وتُوما وابنُ تَلْماي ومَتّى ويَعقوبُ بن حَلفي وسَمعان الوَطَنيُّ المُتَحَمِّسُ ويَهوذا بن يَعقوبَ. [14]وكانوا جَميعُهُم على قَلبٍ واحِدٍ في صَلاةٍ ودُعاءٍ مُتَواصِلَيْن وقدِ انضَمَّ إليهِم بَعضُ النِّسوة، ومَريمُ أُمُّ عيسى عَلَيهِ السَّلامُ وإخوتُهُ.

اختيار خلف ليهوذا

[15]وتَجَمَّعَ ذاتَ يَومٍ ما يُقارِبُ المِئةَ والعِشرينَ مِنَ المُؤمنينَ. فوَقَفَ بُطرُسُ الصَّخرُ بَينَهُم قائلاً: [16]"يا إخواني، كانَ لا بُدّ أن يَتَحقّقَ ما جاءَ في الزَّبورِ على لِسانِ النَّبيِّ داود بوَحيِ رُوحِ اللهِ تَعالى، عَن يَهوذا الّذي دَلَّ العِصابةَ للقَبضِ على سَيِّدِنا عيسى عَلَيهِ السَّلامُ، [17]مَعَ أنّهُ كانَ واحِدًا مِنّا، وكانَ في ذاتِ الوَقتِ يَعمَلُ مَعَنا على نَشرِ الرِّسالةِ!" [18]ولقد اشتَرى الأحبارُ باسمِ يَهوذا قِطعةَ أرضٍ بَعدَ مَوتِهِ، بالمالِ الّذي كَسَبَ مِن شُرورِهِ. وكانَت الأرضُ نَفسُها الّتي فيها شَنَقَ نَفسَهُ، وسَقَطَ على رأسِهِ، فانشَقَّ بَطنُهُ واندَلَقَت أمعاؤهُ.(1) [19]ثُمّ انتَشَرَ خَبرُ هذِهِ الحادِثةِ بَينَ أهلِ القُدسِ، فأطلَقوا على ذاكَ الحَقلِ بلُغَتِهِم الآراميّة لَقَبَ "حَقلُ الدَّم" .

---

(1) وقد ورد في الوحي الذي سجّله متّى بأنّ يهوذا قبض من الأحبار مبلغًا قدره ثلاثون قطعة من الفضة مقابل خيانته للسيد المسيح. إلاّ أنّه حاول التخلّص منها لإحساسه بالذنب وأعادها إليهم، لكن الأحبار رفضوا وضعها في صندوق الصدقات لأنها مال حرام، ثم أنفقوها على قطعة أرض جعلوا منها مدفنًا للأغراب. ويبدو أنّهم اعتبروا المال ما يزال مال يهوذا لأنهم لم يضعوه في الصندوق، فلوقا بدوره يقول أن يهوذا هو من اشترى هذه القطعة من الأرض، كما أن يهوذا شنق نفسه حسب ما ورد في الوحي الذي سجّله متّى (متّى 27 : 5)، ومن الممكن أن يكون بطنه قد انفجر بعد انتحاره شنقا نتيجة وقوعه أرضا. وهذه القطعة من الأرض حيث شنق نفسه، هي عينها التي اشتراها الأحبار باسمه لاحقًا.

[20]وتابَعَ بُطرُسُ قائلاً: "وقد جاءَ في الزَّبورِ عن يَهوذا الخائنِ: "لَيتَ دارَهُ تَصيرُ خَرابًا، فلا يُقيمُ فيها أحَدٌ". ووَرَدَ فيهِ أيضًا: "فليأخُذْ آخَرُ دَورَهُ". [21–22]لذا علينا أن نَختارَ شَخصًا ليَكونَ شاهِدًا مَعَنا على بَعثِ سَيِّدِنا عيسى مِن المَوتِ، ولا بُدَّ أن يَكونَ هذا الشّخصُ مِن هؤلاءِ الّذينَ كانوا في صُحبتِنا دائمًا أثناءَ المُدّة الّتي قَضاها سَيِّدُنا عيسى بَينَنا، بَدءًا مِنَ الوَقتِ الّذي كانَ فيهِ النّبيُّ يَحيى عليه السلام يَدعو النّاسَ إلى التَّطَهُّرِ بمياهِ نَهرِ الأُردُنّ، حتّى اليَومِ الّذي رُفِعَ فيهِ سَيِّدُنا عيسى إلى السّماءِ.

[23]واقتَرَحَ الحَواريّونَ شَخصَينِ ليَكونَ أحَدُهُما البَديلَ عن يَهوذا، وهُما يوسفُ المَدعوُّ بابنِ سابا المَعروفِ أيضًا بالصِّدّيق، ومَتِّياس،(1) [24]وبَدأ جَميعُهُم في الدُّعاء خاشِعينَ: "رَبَّنا أنتَ تَعرِفُ سَريرةَ كُلِّ النّاسِ، فألهِمْنا مَن مِن هذينِ الأخَوينِ مُختارُكَ [25]ليَقومَ مَعَنا بنَشرِ الرِّسالةِ بَدَلَ يَهوذا الّذي تَخَلَّى عَنها ونالَ المَصيرَ الّذي يَستَحِقُّهُ". [26]ثُمّ رَموا القُرعَةَ بَينَهُما فوَقَعَت على مَتِّياس،(2) فضَمُّوهُ إليهِم ليَكونَ الحَواريّ الثّاني عَشَرَ.

٢

الفصل الثّاني

تجلّيات روح الله

[1] وبَعدَ ذلِكَ، في يومِ عِيدِ الخَمسينَ(3) وبَينَما كانَ أتباعُ سَيِّدِنا عيسى سلامه علينا

(1) إنّ الرقم (12) كان رقمًا مقدّسًا، وذلك يعود إلى عدد عشائر بني يعقوب الاثني عشر المنحدرة من أبناء النبي يعقوب الاثني عشر. ومن هنا فإنّ تعيين سيدنا عيسى اثني عشر حواريًا دلالة على أنّه يريد بعث أمّة بني يعقوب بعثًا روحيًا جديدًا. لذا، شعر الأحد عشر حواريا بضرورة تعيين شخص مكان يهوذا، لإتمام العدد.

(2) اللّجوء إلى القرعة تقليد قديم يعود إلى مئات السنين قبل مجيء عيسى سلامه علينا، وذلك لاختيار أشخاص يقومون بمهمّات خاصّة. وقد كان بنو يعقوب يستخدمون تلك الوسيلة لإيمانهم بسلطة الله العليا (مع أن ممارسة العرافة كانت محرّمة عندهم)، مؤكّدين من خلال تلك الوسيلة أن الاختيار النهائي لم يكن اختيارهم، إنّما هو اختيار الله تعالى.

(3) بُعث السيد المسيح حيًّا في اليوم الأوّل من أيّام الحصاد، وبعد هذا اليوم بخمسين يومًا، أي سبعة أسابيع يحلّ عيد الخمسين.

مُجتَمِعينَ في بَيتٍ في القُدسِ، [2] إذا بصَوتٍ هادِرٍ يأتي مِن السَّماءِ كأنّهُ الرِّيحُ العاصِفُ يَملأُ أرجاءَ المَكانِ الّذي كانوا مُجتَمِعينَ فيهِ، [3] ورافَقَ الصَّوتَ ما يُشبِهُ ألسِنَةً مِنَ النّارِ تَفرّقَت واستقَرَّت على رأسِ كُلِّ المُجتَمِعينَ [4] الّذينَ حَظوا جَميعًا بَعدَئذٍ بفَيضٍ مِن رُوحِ اللهِ، فانطَلَقَت ألسِنَتُهُم بِلُغاتٍ مُختَلِفةٍ عن لُغتِهِم، وذلِكَ حَسَبَ إمداداتِ رُوحِ اللهِ وقيادَتِهِ لهُم.

[5]وصادَفَ ذلِكَ وجودُ كَثيرٍ مِنَ اليَهودِ الأتقياءِ في القُدسِ كانوا قد جاؤوا مِن جَميعِ أنحاءِ العالَمِ،(1) [6]وعِندَما سَمِعوا هذا الصَّوتَ المُدَوِّي، أقبَلوا على أتباعِ المَسيحِ سَلَامُهُ عَلَيْنَا مُسرِعينَ وَقدِ اعتَراهُم وُجومٌ وهُم يَسمَعونَهُم يَتحَدَّثونَ إليهِم كُلٌّ حَسَبَ لُغتِهِ. [7]واندَهَشوا مُلتَفِتينَ بَعضُهُم إلى بَعضٍ قائلينَ: "كَيفَ تَتحَدَّثُ هذِهِ الجَماعةُ بلُغاتٍ مُختَلِفةٍ، وهُم جَميعًا مِنَ الجَليلِ؟ [8]كَيفَ نَسمَعُهُم يَتحَدَّثونَ إلينا كُلٌّ بلُغَتِهِ الأُمّ؟! [9]إنّنا مِن أماكن شَتّى، فبَعضُنا مِن فَرتيَّة ومادي وعِيلام، والآخَرونَ مِن سُكّان ما بَينَ النّهرينِ ومِن بِلادِ الشّام، ومِن كَبدوكية وبُنط، ومُقاطعةِ آسيا، [10]وفَريجيّة وبَمْفيليَّة،(2) ومِن مِصر، ومِنّا مَن هو مِن مِنطقةِ لِيبيا القَريبة مِن مَدينةِ قُورينا، بالإضافةِ إلى كُلِّ مَن جاءَ زائرًا مِن مَدينةِ روما، [11]والقادِمينَ مِن جَزيرةِ كِريت ومَن هُم مِن بِلادِ العَرَب! ومِن هؤلاءِ مَن هو يَهوديٌّ أصلاً، ومِنهُم مَنِ اعتَنَقَ اليَهوديّةَ مُنذُ وَقتٍ قَريبٍ. ورَغمَ ذلِكَ فإنّنا نَسمَعُ هؤلاءِ الجَليليّينَ يَتحَدَّثونَ عن عَظائمِ اللهِ في خَلقِهِ بلُغاتِنا جَميعًا!" [12]هكذا، كانَ الحاضِرونَ في ذُهولٍ وحَيرةٍ مِن أمرِهِم، يَتساءَلونَ فيما بَينَهُم: "ما تَفسيرُ ذلِكَ كُلِّهِ؟" [13]ثُمّ أخَذَ آخَرونَ، في الآنَ نَفسِهِ، يَنظُرونَ إلى هذا الأمرِ باستِهزاءٍ قائلينَ: "لا بُدَّ أنّ هؤلاءِ الجَليليّينَ سُكارى!"

خطبة بطرس

[14]ووَقَفَ بُطرُسُ الصَّخرُ مَعَ إخوانِهِ الأحَدَ عَشَرَ حَواريًّا مُخاطِبًا المُجتَمِعينَ بصَوتٍ جَهوَريٍّ قائلاً: "يا إخواني مِن بَني يَعقوبَ، وأنتُم أيُّها الحاضِرونَ مِن سُكّانِ مَدينةِ

(1) كانت القدس هي المركز الديني لليهود وذلك لوجود بيت الله المقدّس فيها، وكان الكثير من اليهود المقيمين خارجها في جميع الأنحاء يحجّون إليها للاحتفال بالأعياد الرئيسية هناك، بما فيها عيد الخمسين.

(2) فرتيّة ومادي وعيلام هي مناطق تقع الآن في إيران، وأمّا كبدوكية وبنط ومقاطعة آسيا وفريجيّة وبمفيلية فهي مناطق تقع اليوم في تركيا.

القُدس، أصِيخوا السَّمعَ وكونوا إليّ مُتَنَبِّهين! [15]ما هؤلاءِ بِسُكارى كَما تَزعُمونَ، لا أحَدَ يَسكَرُ والنّهارُ في أوّلِهِ والسّاعةُ التّاسِعة! [16]وإنّما ما تَشهَدونَهُ هو ما جاءَ على لِسانِ النّبيّ يُوئِيلَ قَبلَ مِئاتِ السِّنين: [17–18]"قالَ اللهُ تعالى: في آخِرِ أيّامِ هذهِ الدُّنيا، أفيضُ مِن رُوحي على كُلِّ البَشَرِ، حتّى إنّ بَنيكُم وبَناتِكُم قد تَظهَرُ عليهِم كَرامةُ النُّبوّة،(1) وتَتَجلّى الرُّؤى على شَبابِكُم وشُيوخِكُم يَقِظينَ أو نيامًا، وحتّى على العَبيدِ، رِجالاً ونِساءً، ستَكونُ فيهِم كَرامةُ النُّبوءةِ، [19]وستَظهَرُ عَجائبي وآياتي في السَّماءِ وعلى الأرضِ، فيَكونُ هُناكَ دَمٌ ونارٌ ودُخانٌ كَثيفٌ، [20]وسَيَختَفي نُورُ الشَّمسِ، ويُصبحُ القَمَرُ بِلَونِ الدَّمِ، كُلُّ هذا قَبلَ حُلولِ مَوعِدِ ذلِكَ اليَومِ العَظيمِ المَهيبِ، يومِ اللهِ، [21]وحِينَئذٍ كُلُّ مَن يَستَغيثُ بمَولانا يُصبِحُ مِنَ النّاجينَ".

[22]"يا بَني إسرائيلَ، اُصغوا إلى ما أقولُهُ جيّدًا: إنّ اللهَ تَعالى أعطاكُم بُرهانًا على أنّ عيسى النّاصِريّ هو مَن أرسَلَهُ إليكُم مِن خِلالِ مُعجِزاتٍ وعَجائبَ وآياتٍ أجراها على يَديهِ، وإنّكُم لَتَشهَدونَ على ذلِكَ. [23]وقد كانَ مُقَدَّرًا في عِلمِ اللهِ الأزَليّ تَسليمُهُ لكُم، فصَلَبتُموهُ وقَتَلتُموهُ وأعانَكُم الكَفَرةُ على ذلِكَ، [24]ولكنّ اللهَ فَكَّهُ مِن حِبالِ المَنايا وبَعَثَهُ حيًّا، فلم يَقوَ المَوتُ على أسرِهِ، [25]وهذا كَما جاءَ عَنهُ على لِسانِ النّبيِّ داود عليه السلام(2): "إنّي على يَقينٍ بأنّي في حِمايةِ اللهِ دائمًا، فلا أضطَرِبُ وهو عَوني، [26]فلا عَجَبَ أن يَفرَحَ قَلبي ويُهَلِّلَ لِساني! إنّ جَسَدي يَرقُدُ على رَجاءٍ، [27]لأنّكَ يا إلهي لن تَترُكَني في عالَمِ الأمواتِ، ولن تَسمَحَ لجَسَدِ عَبدِكَ المُقَدَّسِ أن يَتَعَفَّنَ في القَبرِ. [28]يا رَبِّ، قد هَدَيتَني إلى سَبيلِ الحَياةِ وستَملَؤني فَرَحًا في حُضورِكَ".

[29]وتابَعَ بُطرُسُ خِطابَهُ قائلاً: "يا إخوتي، أُريدُ أن أوضِّحَ لكُم أمرًا عَمّا وَرَدَ في الزَّبورِ، إنّ النّبيَّ داود لم يَكُن يَعني نَفسَهُ بهذا الكَلام، لأنّهُ قد تُوُفّي وتَمّ دَفنُهُ، وهذا هو قَبرُهُ ما زالَ هُنا في القُدس. [30]وقد كانَ داودُ عليه السلام نَبيًّا، وأقسَمَ اللهُ لهُ بأيمانٍ مُغَلَّظةٍ بأن يَكونَ مِن نَسلِهِ المَسيحُ المُنتَظَرُ الّذي سيَرِثُ عَرشَهُ. [31]وقد كَشَفَ اللهُ تَعالى لداودَ عن مُستَقبلِ الأحداثِ، فكانَ أن تَنَبّأَ داودُ عليه السلام ببَعثِ المَسيحِ مِنَ المَوتِ عِندَما ذَكَرَ في

---

(1) كان اليهود يعتقدون بأنّ روح الله مخصّصة للأنبياء (عليهم السلام) والملوك الصالحين والمختارين من الناس فقط. ولكن مع قيامة السيد المسيح من الموت، قطع الله ميثاقًا جديدًا مع المؤمنين فأعطى روحه لعامّة الناس من كلّ الأجناس.

(2) يعتبر النبي داود الملك الأعظم في بني يعقوب. وقد أخبر الأنبياء أنّ المسيح المنتظر سيكون من سلالته وهو الذي سيقيم مملكته من جديد.

الزَّبورِ أنّ اللهَ لن يَترُكَ المَسيحَ بَينَ الأمواتِ إلى يوم القِيامَةِ، ولن يُبلي جَسَدَهُ في القَبرِ. [32]فأنا أقولُ لكُم إنّ عيسى عَلَيۡهِ سَلَامُهُ هو المَسيحُ المُنتَظَرُ الّذي تَنبَّأ بِهِ النّبيُّ داود، وبَعثَهُ اللهُ حَيًا، وأنا ورِفاقي شُهودٌ على ذلِكَ. [33]وبَعدَ أن تَمّ رَفعُهُ إلى السَّماءِ، إلى المَقامِ الرَّفيعِ على يَمينِ اللهِ تَعالى، وَهَبَهُ اللهُ الأبُ الرّحمنُ رُوحَهُ تَقَدَّسَ وتَعالى حَسَبَ وَعدِهِ، وأفاضَها سَيِّدُنا عيسى بدَورِهِ علينا، ولِهذا السَّبَبِ فإنّ كُلَّ ما تَرونَهُ بأعيُنِكُم وتَسمَعونَهُ بآذانِكُم الآنَ هو بقوّةِ رُوحِ اللهِ الّتي حَلَّت فينا. [34]والنّبيُّ داود عليه السلام لم يُرفَع إلى السَّماءِ، لكنّهُ حَدَّثَ في الزَّبورِ عنِ المَسيحِ قائلاً: "قالَ اللهُ تعالى لمَولاي: اجلِس عن يَميني، [35]حتّى أقهَرَ أَعداءَكَ وأجعَلَهُم تَحتَ قَدمَيكَ صاغِرينَ". [36]لهذا السَّبَبِ فليَعلَمْ كُلُّ بَني إسرائيلَ عِلمَ اليَقينِ بأنّ عيسى الّذي صَلَبتُموهُ، هو مَن جَعَلَهُ اللهُ المَسيحَ المَلِكَ وسَيِّدَ البَشَر!"

[37]وبَعدَ سَماعِ الحاضِرينَ لهذا كُلِّهِ، لانَت قُلوبُهُم، فأخَذوا يَسألونَ بُطرُسَ ومَن مَعَهُ مِنَ الحَوارِيِّينَ قائِلينَ: "أيُّها الإخوانُ، ماذا يَجِبُ علينا أن نَعمَلَ الآنَ؟" [38]فأجابَهُم بُطرُسُ الصَّخرُ بقولِهِ: "تُوبوا إلى اللهِ، وليُؤمِنْ كُلٌّ مِنكُم بِسَيِّدِنا عيسى المَسيحِ المُنتَظَرِ، وتَطَهَّروا بالماءِ صِبغَةً للهِ حتّى تَستَطيعوا الانضِمامَ إلى جَماعتِهِ، فيَغفِرَ اللهُ ذُنُوبَكُم وتَحصُلوا على هِبَةِ رُوحِهِ تَقدَّسَ وتَعالى، [39]فلقد وَعَدَ اللهُ أن يَهَبَكُم رُوحَهُ، وهو وَعدٌ لأبنائِكُم أيضًا، وللأغرابِ البَعيدينَ كذلِكَ، نَعَم هو ذاكَ، لكُلِّ الّذينَ يَختارُهُم اللهُ ليَكونوا مِن أُمَّتِهِ". (1)

[40]وتابَعَ بُطرُسُ دَعوتَهُ إلى رِسالةِ سَيِّدِنا عيسى عَلَيۡهِ سَلَامُهُ مِن خِلالِ دَلائلَ وإشاراتٍ أُخرى كَثيرةٍ، ثُمّ أنذرَهُم بقولِهِ: "أنقِذوا أنفُسَكُم مِنَ العِقابِ الّذي سيَحُلُّ على هذا الشَّعبِ الضّالِّ!" [41]وهكذا، استَجابَ لدَعوةِ بُطرُسَ في ذلِكَ اليوم حَوالي ثَلاثةِ آلافِ شَخصٍ، ونَعِموا بالتَّطَهُّرِ بالماءِ وبالانضِمام إلى جَماعةِ المُؤمنينَ، [42]وقد واظَبَ هؤلاءِ جَميعًا على تَلَقّي تَعاليم الحَوارِيِّينَ، كَما كانوا دائمًا في تَواصُلٍ أَخَوِيٍّ، يَتناوَلونَ مَعًا الخُبزَ، ويُؤدُّونَ مَعًا الصَّلَواتِ. [43]وهكذا تَمَّتْ على أيدي هؤلاءِ الحَوارِيِّينَ صَحابةِ

(1) يمثّل نزول روح الله هنا بدْءَ أُمّة الله الجديدة التي تنتمي إلى ميثاقه الجديد. من ذلك الزمن فصاعدًا، أصبح بإمكان كلّ من يؤمن بسيدنا عيسى خليفة الله الوحيد، ويتطهّر بالماء دلالة على انضمامه إلى جماعة المؤمنين، أن يحصل على هبة روح الله، مهما كان أصله. ويشرح الحواريان بولس وبطرس في رسائلهما أنّه من روح الله تنبثق كرامات مختلفة لأعضاء الأُمّة حتّى يستطيع كلّ فرد أن يخدم الأمّة بشكل فريد ويبنيها.

سَيِّدِنا عيسى الكَثيرُ مِنَ المُعجِزاتِ والآياتِ، مِمّا جَعَلَ القُلوبَ تَمتلِئ خَوفًا ورَهبةً. [44]وكانَ جَميعُ المُؤمنينَ على قَلبٍ واحدٍ، يَتَشارَكونَ في كُلِّ ما يَملِكُونَ، [45]يَبيعونَ أراضِيَهُم ومُمتَلكاتِهم لِيُوزَّعَ ثَمَنُها على ذَوي الحاجَةِ مِنهُم. [46]وكانَ للمُؤمنينَ لقاءَاتُهم واجتِماعاتُهُم في حَرَمِ بيتِ اللهِ يَوميًّا، إلاّ أنّهُم كانوا يَجتَمِعونَ في بُيوتِهِم لتَناوُلِ الخُبزِ والطَّعامِ،(1) ويَتَشارَكونَ بِكَرمٍ في طَعامِهِم فَرِحينَ. [47]وكانوا دائمًا يُسَبِّحونَ اللهَ مُتَعَبِّدينَ، مِمّا جَعَلَهُم مَحلَّ رِضا النَّاسِ أجمَعينَ، وكان اللهُ تَعالى يَهدي في كُلِّ يومٍ المَزيدَ مِنَ النّاسِ إلى الإيمانِ بالسَّيِّدِ المَسيحِ، أولئكَ الّذينَ مَنَّ عليهِم بالفَوزِ والنَّجاةِ.

٣
الفصل الثّالث

شفاء رجل كسيح

[1]وذَهَبَ بُطرُسُ ويوحنّا، ذاتَ يوم، إلى الحَرَمِ الشَّريفِ لأداءِ صَلاةِ العَصرِ،(2) [2]وإذا بِبَعضِ النّاسِ يَحمِلونَ رَجُلاً كَسيحًا مُنذُ وِلادتِهِ، كانوا يَضَعونَهُ كُلَّ يوم عِندَ بابِ الحَرَمِ - البابِ الجَميلِ- لاستِجداءِ الدّاخِلينَ.(3) [3]وعِندَما وَقَعَ نَظَرُهُ على بُطرُسَ ويوحنّا طَلَبَ مِنهُما صَدَقةً، [4]ولكنّهُما تَفَرَّسا في وَجهِ الرَّجُلِ، ثُمَّ قالَ لهُ بُطرُسُ: "أُنظُرْ إلينا!" [5]ونَظَرَ إليهِما الرَّجُلُ ظانًّا أنّهُ سَيَحظى بعَطِيةٍ، [6]ولكنَّ بُطرُسَ خاطَبَهُ قائلاً: "لَيسَ لديّ مِن فِضَّةٍ ولا ذَهَبٍ، ولكن سأُعطيكَ ما عِندي: باسمِ عيسى المَسيحِ النَّاصِريّ انهَضْ ماشيًا على قَدَمَيكَ!" [7]وأمسَكَ بيَدِهِ اليُمنى فأجلَسَهُ، وحالاً سَرَتِ العافيةُ في قَدَمَي الرَّجُلِ وكَعبَيهِ، [8]فقَفَزَ واقفًا وأخَذَ يَخطو، ودَخَلَ مَعَهُما حَرَمَ بَيتِ اللهِ ماشيًا تارةً وقافِزًا

(1) هذه إشارة إلى أنّهم كانوا يتناولون عشاءً خاصًا يستعيدون فيه صورة عشاء السيد المسيح الأخير، الذي يذكّرهم دائمًا بتضحيته من أجل أمّته.

(2) كان اليهود يؤدّون صلواتهم في أوقات معيّنة يوميًّا في منازلهم. فالنبي دانيال، على سبيل المثال، كان يقيم ثلاث صلوات يوميًا في داره (دانيال 6: 10). اثنتان منها متزامنتان مع وقت تقديم الأضاحي في حرم بيت الله في القدس، صباحًا وحوالي الثالثة عصرًا، وأمّا الصلاة الثالثة فكان يقيمها ظهرًا في داره. وقد كان لليهود صلاة خاصة ببعض المناسبات يقيمونها في حرم بيت الله.

(3) كان لا يحقُّ لليهود المعاقين دخول ساحة بني يعقوب من حرم بيت الله، بل كان مسموحا لهم أن يدخلوا ساحة غير اليهود في الحرم.

تارةً أُخرى فرَحًا، مُسبِّحًا للهِ، [9]فرآهُ جميعُ مَن كانَ في الحَرَم ماشيًا مُسبِّحًا شاكِرًا اللهَ، [10]وقد عرَفوا أنّهُ ذلِكَ المُتسوِّلُ الّذي كانَ يَجلِسُ باستِمرارٍ عِندَ البابِ الجَميلِ، فأصابَتهُم الدَّهشةُ والذُّهولُ.

بطرس يوضّح ما حصل

[11]وبَينَما كانَ ذلِكَ الرَّجُلُ يُلازِمُ بُطرُسَ ويوحنّا في قاعةِ سُليمانَ في الحَرَمِ الشَّريفِ، أخَذَ النّاسُ يَتوافَدونَ عليهِم وعلى وُجوهِهِم عَلاماتُ التَّعجُّبِ والذُّهولِ، [12]ولمّا لاحظَ بُطرُسُ ذلِكَ، تَوجَّهَ إليهِم قائِلاً: "يا بَني يَعقوبَ، لِمَ أخَذَ مِنكُم العَجَبُ هذا المأخَذَ؟ ولِمَ تُحدِّقونَ بنا كَما لو أنّنا بِقُدرَتِنا أو بِتَقوانا جَعَلنا هذا الكَسيحَ يَمشي؟ [13–16]هذا الرَّجُلُ الّذي تَعرِفونَهُ لم يَتعافَ أمامَكُم إلاّ بِشَفاعةِ سَيِّدِنا عيسى، الّذي آمَنّا بِهِ وطَلَبنا مِنهُ الشِّفاءَ تَمجيدًا لهُ. عيسى الّذي قَبَضتُم عليهِ وسَلَّمتُموهُ إلى الحاكمِ الرُّومانيِّ بيلاطُسَ لإعدامِهِ. ومَعَ أنّ بيلاطُسَ قَرَّرَ إطلاقَ سَراحِهِ، فأنتُم رَفَضتُم المَسيحَ المُصطفى الصّالِحَ، وآثَرتُم طَلَبَ العَفوِ عن سَفّاكِ دِماءٍ! نَعَم، أنتُم مَن قُمتُم بقَتلِ مَن يَقودُ النّاسَ إلى دارِ الخُلدِ، إلاّ أنّ اللهَ تَعالى بَعَثَهُ حيًّا، ونحنُ على ذلِكَ شُهودٌ. أقولُ لكُم إنّ اللهَ رَبَّ آبائِنا الأوّلينَ، إبراهيمَ وإسحقَ ويَعقوبَ، رَفَعَ مِن شأنِ عَبدِهِ عيسى.

[17]أيُّها الإخوانُ، أنا على عِلمٍ بأنّ كُلَّ ما اقترَفتُموهُ مِن أعمالٍ، أنتُم وقادتُكُم، إنّما كانَ عَن جَهلٍ. [18]ولكنّ اللهَ نَفّذَ وَعدَهُ لِقاءَ أعمالِكُم الّتي تَنَبّأَ بِها جَميعُ الأنبياءِ وهي أنّهُ لا بُدَّ للمَسيحِ المُختارِ أن يُقاسي كُلَّ تِلكَ الآلامِ، [19]فأقلِعوا عنِ الأعمالِ السَّيِّئةِ، وأنيبوا إلى اللهِ يَغفِرْ لكُم ذُنوبَكُم، [20]ويأتيكُم الفَرَجُ مِن عِندِهِ، فيُرسِلَ إليكُم المَسيحَ المَلِكَ الّذي اختارَهُ لكُم، وهو عيسى، [21]الّذي يَجِبُ أن يَبقى في السَّماءِ إلى أن يَحينَ زَمَنُ تَجديدِ كُلِّ شَيءٍ. إنّ هذا ما أوحى اللهُ بِهِ قَديمًا إلى أنبيائِهِ الصّالِحينَ، [22]فقد تَنَبَّأَ النَّبيُّ موسى ﷺ قائلاً: "سيَبعَثُ اللهُ مِن بَينِ شَعبِكُم نَبيًّا مِثلي، وعليكُم طاعتَهُ فيما يَقولُهُ، [23]وكُلُّ عاصٍ لهُ، يَجِبُ أن يُطرَدَ ويَموتَ بَعيدًا عن أُمّةِ اللهِ". [24]وبَعدَ عَهدِ النَّبيِّ موسى، تَنَبَّأَ جَميعُ الأنبياءِ، بَدءًا مِنَ النَّبيّ صَموئيلَ ومَن جاؤوا بَعدَهُ تِباعًا، بالأحداثِ الّتي تَجري في هذِهِ الأيّامِ. [25]فأنتُم وَرَثَةُ الأنبياءِ، ووَرَثَةُ الميثاقِ الّذي أعطاهُ اللهُ لآبائِكُم الأوّلينَ. وهذا ما أخبَرَ اللهُ بِهِ النَّبيَّ إبراهيمَ ﷺ: "بِفَضلِ واحدٍ مِن نَسلِكَ سيَعُمُّ جُودي على كُلِّ شُعوبِ الأرضِ". [26]فيا بَني يَعقوبَ، إنّ اللهَ اختارَ عَبدَهُ عيسى فأرسَلَهُ إليكُم أنتُم أوّلاً، قَبلَ بَقيّةِ البَشَرِ، حتّى تَعُمَّ بَرَكاتُهُ عليكُم فيَتوبَ كُلُّ واحدٍ مِنكُم عن آثامِهِ".

٤
الفصل الرّابع

بطرس ويوحنّا يحاكمان

[1]وهكذا، بَينَما كانَ بُطرُسُ الصَّخرُ ويوحَنّا يُحدّثانِ الجُموعَ، أقبلَ عليهما بَعضُ الأحبارِ برِفقةِ قائدِ حَرَسِ بَيتِ اللهِ وبَعضِ الرِّجالِ مِن جَماعةِ الصَّدّوقيّينَ.⁽¹⁾ [2]وقد أصابَهُم ضِيقٌ شَديدٌ مِن جَرّاءِ الدَّعوةِ الّتي يَنشُرُها تِلميذا سَيِّدِنا عيسى بَينَ الجُموعِ ومَفادُها أنّ قيامَ عيسى عَلَيْهِ السَّلَام بَعدَ الموتِ دَليلٌ على أنّ جَميعَ المَوتى سيَقومونَ في الآخِرة،⁽²⁾ [3]فقبَضَ الأحبارُ ومُرافِقوهُم على بُطرُسَ ويوحنّا ووَضَعوهُما في السِّجنِ إلى مَساءِ اليَومِ التّالي. [4]ولكنّ كَثيرًا مِمَّن سَمِعوا بالرِّسالةِ آمَنوا بها، فبَلَغَ عَدَدُ المُؤمنينَ بالمَسيحِ نَحوَ خَمسَةِ آلافٍ، دونَ النِّساءِ والأطفالِ.

[5]ومَعَ طُلوعِ فَجرِ اليوم التّالي، انعَقَدَ مَجلِسُ قادةِ اليَهودِ والمَشايخِ والفُقهاءِ في القُدسِ [6]بحُضورِ حَنّا كَبيرِ الأحبارِ وقَيافا ويوحَنّا وإسكَندر وغَيرِهِم مِنَ المُنتَمينَ إلى عائلةِ كَبيرِ الأحبارِ. [7]وَأُحضِرَ بُطرُسُ ويوحنّا ليَقِفا أمامَهُم وليَستجوِبوهُما قائلينَ: "بأيِّ حَقٍّ أو بأيِّ اسمٍ عَمِلتُما هذا؟" [8]فأجابَهُم بُطرُسُ الصّخرُ وهو مُفعَمٌ برُوحِ اللهِ قائلاً: "يا قادةَ الشَّعبِ ومَشايخَهِ، [9]هل تَستجوِبونَنا اليومَ عَن مَعروفٍ كانَ مِنّا لمَريضٍ؟ هل تُريدونَ الوُقوفَ على السِّرِّ وَراءَ شِفائِهِ؟ [10]إذن، اعلَموا جَميعًا وليَعلَمْ كُلُّ أبناءِ بَني يَعقوبَ أنّ هذا الرَّجُلَ إنّما يَقِفُ الآنَ أمامَكُم مُعافىً بقوّةِ اسمِ عيسى النّاصريّ، المَسيحِ

(1) كانت مهمّة الأحبار تنحصر في تأدية العبادات في حرم بيت الله مثل تقديم الأضحيات. وقد كان مسموحًا لليهود، في زمن الاحتلال الروماني، تعيين من يحرس حرم بيت الله، إضافةً إلى إقامة النظام فيه والتأكّد من محافظة الزوّار على القوانين المتبّعة في الحرم المقدّس. وكان رئيس الحرس ينحدر من عائلات رجال الدين، حيث كان له شأن عظيم يقارب شأن كبير الأحبار. أمّا بالنسبة إلى حزب الصدّوقيين فقد كانوا فئة ثريّة من اليهود متحالفة مع كبير الأحبار والسلطة الحاكمة. وكانوا يعلّمون الناس أنّ تقديم الأضحيات وتأدية العبادات في الحرم الشريف من أهمّ أمور الحياة. وهذا يخالف تعاليم جماعة المتشدّدين (الفريسيين) الذين كانوا يؤمنون بأنّ تطبيق تعاليم التوراة بأسلوب فعّال هو أهمّ من تفاصيل العبادات في الحرم.

(2) كانت جماعة الصدّوقيين تنكر البعث والنشور. وكان قول الحواريين بالبعث والنشور تحدّيًا لهم ولرؤساء الأحبار الذين كانوا يدعمونهم. وجاءت عودة سيدنا عيسى للحياة بمثابة تصديق لدعوة الحواريين تلك وبرهانًا على خطإ تعاليم الصدّوقيين، وهو ما يقلّل من عدد أتباع هؤلاء.

المُخَلِّصِ المُختارِ الّذي قُمتُم أنتُم بصَلبِهِ، ولكنّ اللهَ بَعَثَهُ حيًّا! [11]وإنّ عيسى هو مَن جاءَ ذِكرُهُ في الزَّبورِ عِندَ الحَديثِ عنِ الحَجَرِ الّذي رَفَضتُموهُ أيُّها البُناة، وهو الّذي صارَ حَجَرَ الأساسِ في بَيتِ اللهِ! [12]فاعلَموا أنّهُ لا نَجاةَ إلاّ بِسَيِّدِنا عيسى، فلَيسَ مِن أحَدٍ في كُلِّ العالَمِ سِواهُ خَصَّهُ اللهُ بإنقاذِ النّاسِ".

[13]وعِندَما أحَسَّ أعضاءُ المَجلِسِ بجُرأةِ بُطرُسَ ويوحنّا وشَجاعتِهِما، وكانوا يَعلَمونَ أنّهُما مِن عامّةِ الشَّعبِ وأنّهُما على غَيرِ دِرايةٍ بالعُلومِ الشَّرعيّةِ، أخَذَهُم العَجَبُ وأدرَكوا أنّهُما مِن صَحابةِ عيسى ﷺ حقًّا. [14]وحُبِسَت ألسِنَتُهُم عنِ الإجابةِ، إذ بِماذا يُجيبونَ والرَّجُلُ الكَسيحُ المُعافى واقِفٌ أمامَهُم؟! [15]فصَرَفوهُم مِن مَجلِسِهِم ليَتَشاوروا فيما بَينَهُم، [16]وقالوا: "ما نَحنُ فاعِلونَ بهَذينِ الرَّجُلينِ؟ وكُلُّ سُكّانِ القُدسِ يَعلَمونَ الآنَ بما فَعَلاهُ للرَّجُلِ الكَسيحِ. إنّ ما فَعَلاهُ لَمُعجِزةٌ عَظيمةٌ لا سَبيلَ لإنكارِها. [17]ولكنّنا سنُهَدِّدُهُما ونُرَوِّعُهُما حتّى لا يَذكُرا اسمَ عيسى مُطلَقًا في حَديثِهِما لكي لا تَنتَشِرَ الدَّعوةُ بَينَ النّاسِ ويَنفَرِطَ الأمرُ مِن بَينِ أيدينا!"

[18]وأحضَرُوهُما وأمَرُوهُما بعَدمِ الحَديثِ عن عيسى ﷺ أمامَ النّاسِ، ولا عمّا كانَ يُعَلِّمُهُ. [19]ولكنّ بُطرُسَ ويوحنّا أجابا قائلَينِ: "أُحكُموا أنتُم! ألكُم تَجوزُ الطّاعة، أم للهِ؟ [20]أمّا نحنُ، فلا نَستَطيعُ الصَّمتَ، وسنُعلِنُ ما رأينا وسَمِعنا". [21]فهَدَّدَهُما رِجالُ المَجلِسِ مَرّةً أُخرى، ولكنّهُم حاروا كَيفَ يُعاقِبُونَهُما، فأخلَوا سَبيلَهُما، لأنّهُم خافوا مِن إثارةِ الجُموعِ الّتي كانَت تُسَبِّحُ للهِ مِن عُمقِ القَلبِ بسَبَبِ هذِهِ المُعجِزةِ، [22]ذلِكَ لأنّ الرَّجُلَ الّذي شُفيَ كانَ مُقعَدًا لأكثَرَ مِن أربعينَ سَنةً.

صلاة المؤمنين

[23]ورَجَعَ بُطرُسُ ويوحنّا إلى أصحابِهِما المُؤمِنينَ بَعدَ إطلاقِ سَراحِهِما، وأسَرّا لهُم بكُلِّ ما جَرى على لِسانِ كِبارِ الأحبارِ والمَشايخِ مِن أقوالٍ، [24]وعِندَ سَماعِهِم ذلِكَ، اتّجَهوا بتَضَرُّعاتِهِم إلى اللهِ جاهِرينَ بالدُّعاءِ قائلينَ: "يا رَبُّ يا خالِقَ السَّماواتِ والأرضِ وما بَينَهُما، [25]يا مَن أوحَيتَ إلى عَبدِكَ النّبيِّ داود بواسِطةِ رُوحِكَ القُدّوسِ بالكَلامِ التّالي: "لِماذا ثارَتِ الأُمَمُ على اللهِ؟ لِمَ تآمَروا بالباطِلِ على حُكمِهِ؟ [26]واستَنفَرَت مُلوكُ الأرضِ، واجتَمَعَ حُكّامُها جَبهةً واحِدةً ضِدَّ اللهِ ومَسيحِهِ المُختارِ!" [27]ولقد تَحَقّقَت نُبوءةُ النّبيِّ داود تِلكَ هُنا في مَدينةِ القُدسِ، حَيثُ اجتَمَعَ الأميرُ أنتيباسُ بنِ هيرودُس والحاكِمُ بيلاطُس البُنطيّ مَعَ الأجانبِ ومَعَهُم بنو إسرائيلَ جَبهةً واحِدةً ضِدَّ

عَبدِكَ المُقَدَّسِ عيسى الّذي اصطَفيتَهُ ليَكونَ مَلِكًا، [28]ونَفَّذوا كُلَّ ما نَفَّذوهُ مِن أعمالٍ بقَدرِكَ وبقُدرَتِكَ القاهِرةِ! [29]يا رَبُّ إنّهُم في تَهديدِنا الآنَ ماضونَ، فأمِدَّنا نَحنُ عِبادَكَ بالقوّةِ لإعلانِ رِسالتِكَ دونَ وَجَلٍ، [30]وامنَحنا القُدرةَ على شِفاءِ المَرضَى وإجراءِ مُعجِزاتٍ وعَجائبَ بشَفاعةِ عَبدِكَ المُقَدَّسِ عيسى" .

[31]وبَعدَ فراغِهِم مِنِ ابتِهالاتِهِم، سَرَت، حَيثُ كانوا مُجتَمِعينَ، هَزّةٌ، وغَمَرَهُم بَعدَها فَيضٌ مِن رُوحِ اللهِ، وانطَلَقوا إثرَ ذلِكَ يُعلنونَ بِجُرأةٍ رِسالةَ اللهِ في الأرجاءِ.

المؤمنون يتشاركون في ممتلكاتهم

[32]وهكذا كانَ جَميعُ المُؤمنينَ بهِ ﷺ على قَلبٍ واحدٍ وفِكرٍ واحدٍ، ولم يَكُن أحدٌ مِنهُم يَستأثِرُ بما يَملِكُ، إذ أضحَت مُمتلكاتُهُم مُشاعةً بَينَهُم جَميعًا. [33]واستَمَرَّ الحَواريّونَ في تَقديمِ شَهاداتِهِم حَولَ قيامةِ سَيِّدِنا عيسى ﷺ مِنَ الموتِ، وقد كانَ لها تأثيرُها الكَبيرُ. وأفاضَ اللهُ عليهِم مِن فَضلِهِ وبَرَكَتِهِ، [34]فلم يَبقَ فيهِم مُحتاجٌ أو مُعوزٌ، لأنّ الّذينَ يَملِكونَ الأراضيَ أوِ البُيوتَ كانوا يَبيعُونَها، ويأتونَ بثَمَنِها [35]ويَضَعونَهُ في تَصَرُّفِ الحَواريِّينَ الاثني عَشَرَ فيُوَزِّعُونَهُ بدورِهِم على المُؤمنينَ كُلٌّ حَسَبَ حاجتِهِ. [36–37]حتّى إنّ يوسِفَ القُبرُصيَّ وهو مِن قَبيلةِ لاوي، كانَ لَديهِ حَقلٌ، فباعَهُ وجاءَ بثَمَنِهِ إلى الحَواريِّينَ. وكانَ الحَواريّونَ يُطلِقونَ عليهِ لَقَبَ "برنابا"، يَعني الرَّجُلَ المُشجِّعَ الّذي يَشُدُّ عَزيمةَ النّاسِ.

٥
الفصل الخامس

حنانيّا وسفيرة

[1–2]وكانَ مِن بَينِ المُؤمنينَ زَوجانِ، حَنانيّا وسَفيرة، فباعَ الزَّوجُ حَنانيّا قِطعةَ أرضٍ كانا يَمتلِكانِها، واحتَفَظَ بجُزءٍ مِن ثَمَنِها، بمُوافقةِ زَوجتِهِ، ودَفَعَ بالجُزءِ الآخَرِ إلى الحَواريِّينَ زاعِمًا أنّهُ كُلُّ ثَمَنِ الأرضِ. [3]فقالَ لهُ بُطرُسُ الصَّخرُ: "يا حَنانيّا، لِمَ مَلأَ الشَّيطانُ قَلبَكَ فجَعَلَكَ تَكذِبُ على رُوحِ اللهِ، فتَحتَفِظَ لنَفسِكَ بجُزءٍ مِن ثَمَنِ الأرضِ؟ [4]لقد كانَ لكَ ما تَملِكُ قَبلَ بَيعِهِ، وبَعدَ أن بِعتَهُ كانَ ثَمَنُهُ تَحتَ تَصَرُّفِكَ

أيضًا، فلِماذا أضمَرتَ خِلافَ ما أظهَرتَ للنّاسِ؟ إنّكَ لا تَكذِبُ على النّاسِ فَقَط بل على اللهِ أيضًا!" [5]وعِندَما سَمِعَ حَنانيّا عِتابَ بُطرُسَ وَقَعَ على الفورِ مَيتًا، وأصابَ كُلَّ مَن سَمِعَ بِهذا الخَبَرِ وُجومٌ وخَوفٌ شَديدانِ. [6]وحَضَرَ، إثرَ ذلِكَ، بَعضُ الشُّبّانِ لِيُكَفّنوا حَنانيّا ويَدفِنوهُ، [7]وبَعدَ نَحوِ ثَلاثِ ساعاتٍ، جاءَت سَفيرةُ زَوجَةُ حَنانيّا وهي لم تَكُن على عِلمٍ بما جَرى لزَوجِها، [8]فسألَها بُطرُسُ قائلاً: "أخبِريني! أبِهذا الثَّمَنِ بِعتُما قِطعَةَ الأرضِ؟" فأجابَتهُ قائلَةً: "نَعَم، هو ذاكَ المَبلَغُ كُلُّهُ". [9]فقالَ لها بُطرُسُ: "كَيفَ لكُما أنتِ وزَوجِكِ أن تُراوِغا رُوحَ اللهِ؟ أُنظُري أمامَكِ واعلَمي أنّ الّذينَ دَفَنوا جُثّةَ زَوجِكِ هم في البابِ الآنَ، وسَيَحملونَكِ أنتِ أيضًا للدَّفنِ!" [10]فوَقَعَت سَفيرةُ على الفورِ عِندَ قَدَمي بُطرُسَ مَيتةً. ودَخَلَ الشُّبّانُ فوَجَدوها قد فارَقَتِ الحَياةَ، فحَمَلوها بَعدَ تَكفينِها ودَفَنوها بِقُربِ زَوجِها. [11]فأصابَت جَميعَ المؤمنينَ رَهبةٌ وخُشوعٌ بَعدَ سَماعِهِم ما جَرى.

الحواريّون والمعجزات الّتي جرت على أيديهم

[12]وهكذا جَرَت على أيدي الحَوارِيِّينَ آياتٌ ومُعجِزاتٌ كَثيرةٌ على مَرأى ومَسمَعٍ مِنَ الكَثيرينَ. وكانَت قاعةُ سُليمانَ في الحَرَمِ الشَّريفِ مَكانَ اجتِماعِهِم، [13]أمّا بَقيّةُ المؤمنينَ فلَم يَجرؤ أن يَنضَمَّ إليهِم هُناكَ، مَعَ أنّهُم كانوا مَحلَّ احتِرامِ النّاسِ. [14]ورَغمَ ذلِكَ أخَذَ عَدَدُ المُؤمنينَ بِهِ ﷺ رِجالاً ونِساءً يَتَزايدُ. [15]وبِسَبَبِ مُعجِزاتِ الحَوارِيِّينَ، كانَ النّاسُ يَحمِلونَ مَرضاهُم ويَضَعونَهُم على نَواصي الشَّوارِعِ مُوَسِّدينَ إيّاهُم فِراشًا أو حَصيرًا، لَعَلَّ بُطرُسَ عِندَ مُرورِهِ يُلقي ولو بِظِلِّهِ على المَريضِ فيُشفى. [16]وهكذا كانَ النّاسُ في القُرى والمَناطِقِ المُجاوِرةِ للقُدسِ يأتونَ أفواجًا بمَرضاهُم وبِمَن أصابَهُم مَسٌّ مِنَ الشَّياطينِ والجِنِّ فيُبرَؤونَ جَميعًا.

الحواريّون واضطهاد اليهود لهم

[17]وبِسَبَبِ كُلِّ ذلِكَ امتَلأَ قَلبُ كَبيرِ الأحبارِ ومَن كانوا مِن حِزبِ الصَّدّوقيّينَ حَسَدًا وغَيظًا، [18]فقَبَضوا على الحَوارِيِّينَ وزَجُّوا بِهِم في السِّجنِ العُموميّ. [19]ولكنّ مَلاكًا أتاهُم لَيلاً وفَتَحَ أبوابَ السِّجنِ، وأمَرَهُم قائلاً: [20]"انطَلِقوا إلى الحَرَمِ الشَّريفِ واصدَعوا بِرسالَةِ اللهِ الّتي فيها نَجاةُ النّاسِ وحَياتُهُم". [21]فنَفَّذوا ما أمَرَهُم المَلاكُ بِهِ، وتَوَجَّهوا فَجرًا إلى الحَرَمِ الشَّريفِ، يَدعونَ النّاسَ إلى رِسالَةِ اللهِ.

[22]واستَدعى كَبيرُ الأحبارِ وجَماعَتُهُ مَجلِسَهُم الأعلى، وهو مَجلِسُ شُيوخِ بَني

يَعقوبَ،(1) آمِرينَ الحَرَسَ بإحضارِ الحَوارِيِّينَ مِنَ السِّجنِ. [23]وعِندَما وَصَلوا إلى السِّجنِ لم يَجدوهُم. فرَجَعوا قائلينَ: "لقد وَجَدنا أبوابَ السِّجنِ مُقفَلةً بإحكامٍ والحَرَسَ المُناوِبينَ هُناكَ واقفينَ، ولكن عِندَ فَتحِ الأبوابِ لم نَجِد لهُم أثرًا!" [24]وأصابَت قائدَ حَرَسِ بَيتِ اللهِ ورُؤَساءَ الأحبارِ حَيرةٌ بِسَبَبِ هذا الخَبَرِ فقالوا: "وكَيفَ يَكونُ ذلكَ؟! تُرى ماذا جرى هُناكَ؟" [25]عِندئذٍ حَضَرَ مَن أخبرَهُم قائلاً: "إنّ الرِّجالَ الّذينَ أودَعتُموهُمُ السِّجنَ البارحةَ هُم في الحَرَمِ الشَّريفِ الآنَ، يَنشُرونَ دَعوتَهُم!" [26]فذَهَبَ قائدُ الحَرَسِ ورِجالُهُ إلى هُناكَ، واقتادوا الحَوارِيِّينَ بلُطفٍ إلى المَجلِسِ المُنعَقِدِ خَوفًا مِن غَضَبِ الجَماهيرِ. [27]ودَخَلَ الحَوارِيّونَ ووَقَفوا أمامَ المَجلِسِ فقالَ كَبيرُ الأحبارِ يَستَجوِبُهُم: [28]"أمَرناكُم بألاّ تُعَلِّموا النّاسَ عن عيسى هذا، إلاّ أنّكُم خالفتُم الأوامِرَ، ونَشَرتُم دَعوتَكُم في جَميعِ أرجاءِ القُدسِ، وأنتُم تُلقونَ مَسؤوليّةَ قَتلِ هذا الرَّجُلِ علينا!" [29]فأجابَ بُطرُسُ الصَّخرُ نِيابةً عن الحَواريّينَ: "إنّما علينا طاعةَ اللهِ لا طاعةَ النّاسِ! [30]نعم، أنتُم مَن قَتَلتُم سَيِّدَنا عيسى إذ صَلَبتُموهُ، إلاّ أنّ اللهَ، إلهَنا وإلهَ آبائِنا الأوَّلينَ بَعَثَهُ حيًّا، [31]ورَفَعَهُ إلى يَمينِهِ لِيَكونَ المَلِكَ المُنقِذَ، ولِيَفتَحَ لبَني يَعقوبَ بابَ التَّوبَةِ والغُفرانِ. [32]ونحنُ على ذلِكَ شُهودٌ، واللهُ يُثَبِّتُ شَهادتَنا مُؤيِّدًا إيّانا برُوحِهِ القُدّوسِ! وهي هِبةُ اللهِ لمَن يُطيعونَهُ".

[33]وعِندَما سَمِعَ أعضاءُ المَجلِسِ هذا الكَلامَ اعتَراهُم غَضَبٌ شَديدٌ، وقَرَّروا قَتلَ الحَوارِيِّينَ. [34]إلاّ أنّ واحِدًا مِنهُم مِن طائفةِ المُتَشَدِّدينَ واسمُهُ غَمْلائيلَ، مُعَلِّمٌ للتَّوراةِ وكانَ مَحَلَّ احتِرامِ الجَميعِ، وَقَفَ في المَجلِسِ وأمَرَ بإخراجِ الحَوارِيِّينَ لِحينٍ، [35]ثُمَّ التَفَتَ إلى باقي الأعضاءِ قائلاً: "يا إخوتي مِن بَني يَعقوبَ، إيّاكُم أن تُنَفِّذوا ما عَزَمتُم عليهِ في شأنِ هؤلاءِ الرِّجالِ، [36]فلقد ظَهَرَ تُوداسُ، لو تَذكُرُونَ، مُنذُ مُدَّةٍ وادّعى بأنّهُ رَجُلٌ عَظيمٌ، واجتَمَعَ حَولَهُ أربعُ مِئةِ رَجُلٍ واتَّبعُوهُ، ولكنّ مآلَهُ كانَ القَتلَ، فتَفَرّقَ إثرَ ذلِكَ كُلُّ أتباعِهِ وانتَهى أمرُهُم. [37]وبَعدَ ذلِكَ، ظَهَرَ يَهوذا الجَليليُّ(2) أثناءَ إجراءِ

(1) لقد سمح الرومان لليهود بتشكيل مجلس مؤلّف من كبير أحبارهم وغيره من الأحبار، ومن الأعيان للنظر في قرارات تهمّ عامتهم في شؤونهم الحياتيّة.

(2) كان يهوذا، في الحقيقة، من سكان الجولان، وقد قاد ثورة دينية وطنية ضد الرومان في السنة السادسة للميلاد. وكان يقول بأنّ الله هو الملك المطلق معتبرًا أن دفع الجزية لحاكم وثني هو بمثابة خروج عن طاعة الله. وقد أخمد الرومان ثورته، ممّا أدّى إلى قيام حركة وطنية تعرف بحركة المتحمّسين أو الغيورين.

الإحصاءِ الرُّومانيّ،(1) وجَذَبَ حَولَهُ جماعةً مِنَ المُتمَرِّدين على الرُّومانِ، وقد قُتِلَ أيضًا، وتَفَرَّقَ كُلُّ أتباعِهِ. [38]وتبعًا لذلِكَ، ففي ما يَخُصُّ الحَواريِّينَ، أنصَحُ أن تبتعِدوا عَنهُم وتَترُكوهُم وشأنَهُم، فإن كانَ ما يَدَّعونَ مِن أقوالٍ وآراءٍ وما يَفعَلونَهُ مِن أعمالٍ مِن صُنعِ بَشَرٍ فستَذهَبُ كُلُّها هَباءً مَنثورةً، [39]أمّا إن كانَت مِن عِندِ اللهِ فِعلاً، فلن يَكونَ بُوسعِكُم التّغَلّبُ عليهِم، بل ستُحارِبونَ اللهَ بذلِكَ!"

[40]وعَمِلَ رِجالُ المَجلِسِ بنَصيحةِ غَمْلائيلَ، ولكنّهُم استَدعَوا الحَواريِّينَ وأمَروا الحُرّاسَ بجَلدِهِم، ثُمَّ أطلَقوا سَراحَهُم آمِرينَ إيّاهُم بألاّ يَتَكلّموا باسم عيسى بَعدَ ذلِكَ، [41]فخَرَجَ الحَواريُّونَ مِنَ المَجلِسِ فَرِحينَ لأنّ اللهَ خَصَّهُم بشَرَفِ أَن يُهانوا في سَبيلِ سَيِّدِنا عيسى. [42]واستَمَرّوا في نَشرِ رِسالةِ اللهِ كُلَّ يَومٍ دونَ تَوَقُّفٍ، سَواءً في الحَرَمِ الشّريفِ أو في البُيوتِ، مُعلِنينَ على المَلإِ أنّ عيسى إنّما هو المَسيحُ المُنقِذُ المُنتَظَرُ.

٦
الفصل السّادس

اختيار مساعدين للحواريين

[1]وازدادَ عَدَدُ المُؤمنينَ بالسّيِّدِ المَسيحِ، وحَدَثَ أن تَذَمَّرَ المؤمنونَ ذوو الأصلِ اليَهوديّ القادِمونَ مِن خارجِ البِلادِ، مِن يَهودِ أهلِ البِلادِ، وذلِكَ لِما تَتَعرّضَ لهُ أرامِلُهُم مِن إهمالٍ عِندَ تَوزيعِ المَعونة اليَوميّة. [2]فاستَدعى الحَواريّونَ الاثنا عَشَرَ المُؤمنينَ مِن كِلا الطَّرفَينِ وقالوا لَهُم: "لَيسَ لنا أن نَنشَغِلَ عن نَشرِ تَعاليمِ رِسالةِ اللهِ بتَوزيعِ الطَّعامِ، [3]فيا إخوانُ، لكُم أن تَختاروا سَبعةَ رِجالٍ مِن بَينِكُم مِمّن يَتَمَتّعونَ بسُمعةٍ حَسَنةٍ، مُمتلئينَ بالحِكمةِ وبنَفحةٍ مِن رُوحِ اللهِ، حتّى نُكَلِّفَهُم بهذِهِ المُهِمّةِ. [4]أمّا نَحنُ، فعلينا المُواظبةُ على الصَّلاةِ وتَعليمِ رِسالَةِ اللهِ". [5]فاستَحسَنَ الجَميعُ رأيَ الحَوارِيِّينَ، ووَقَعَ الاختِيارُ على رَجُلٍ اسمُهُ اِسْطَفان قويِّ الإيمانِ مُفعَمٍ برُوحِ اللهِ، إلى جانبِ فيليبَ وبَركورَ ونيسانَ وتِيمُونَ وبَرْمانَ ونِقُولا الأنطاكيّ الّذي سَبَقَ أنِ اعتَنَقَ اليَهوديّةَ، ثُمَّ آمَنَ بالسَّيِّدِ المَسيحِ.(2) [6]وحَضَرَ هؤلاءِ الرِّجالُ السَّبعةُ أمامَ الحَوارِيِّينَ، الّذينَ صَلّوا ثُمّ

---

(1) هذا الإحصاء يختلف عن إحصاء الوالي قيرينيوس المذكور في لوقا 2: 2.

(2) جميع أسماء هؤلاء الرجال يونانية، وربّما اختارهم الحواريون باعتبارهم يهودا من البلاد اليونانية، لأنّ الأرامل المحتاجات كنّ يتكلّمن اليونانية.

وَضَعوا أيديهِم عليهِم، طالِبينَ مِنَ اللهِ أن يُبارِكَهُم. [7]وهكذا أخَذَت رِسالةُ اللهِ في الانتِشارِ، وعَدَدُ المُؤمنينَ بالمَسيحِ في ازديادٍ سَريعٍ في القُدس، حتّى إنّ عَدَدًا كَبيرًا مِنَ الأحبارِ آمَنوا بالسَّيّدِ المَسيحِ وصَدَّقوا.

القبض على اسطفان

[8]وكانَ اسْطَفان المُمتلِئُ بفَضلِ اللهِ وقوّتِهِ، يَعمَلُ العَجائبَ بَينَ النّاسِ مُظهِرًا آياتٍ خارِقةً، [9]وكانَ بَعضُ المُنتَمينَ إلى بَيتِ العِبادةِ المَعروفِ باسم "بَيتِ المُحَرَّرينَ"، (1) وهم مِن يَهودِ مَدينةِ قُورينا في ليبيا والإسكندريّة وكِليكيّة ومُقاطعة آسيا، يُعارِضونَهُ ويُجادِلونَهُ، [10]دونَ أن يَقدِروا على غلَبَتِهِ وذلِكَ للحِكمةِ الّتي بَثَّها اللهُ فيهِ بنَفحةٍ مِن رُوحِهِ تَقَدَّسَ وتَعالى. [11]فحَرَّضوا بَعضَ النّاسِ ليَقولوا: "سَمِعنا هذا الرَّجُلَ يَنطِقُ كُفرًا بحقِّ سَيِّدِنا موسى وبحَقِّ اللهِ!" [12]وذلِكَ بهَدَفِ إثارةِ الجَماهيرِ والشُّيوخِ والفُقهاءِ ضِدَّهُ، وليَقبِضوا عليهِ ويُحضِروهُ ليَمثُلَ أمامَ المَجلِسِ الأعلى. [13]وكانَ لهُم في ذلِكَ النَّجاحُ القَريبُ فمَثُلَ أمامَ المَجلِسِ الأعلى وأحضَروا شُهودَ زُورٍ يَقولونَ: "إنّ هذا الرَّجُلَ لا يَفتُرُ يُهاجِمُ بَيتَ اللهِ المُقَدَّس وتَوراةَ سَيِّدِنا موسى، [14]فقد سَمِعناهُ يَقولُ إنّ عيسى النّاصريَّ سَيَهدِمُ بَيتَ اللهِ، ويُغَيِّرُ السُّنَنَ الّتي جاءَتنا مِنَ النَّبيِّ موسى". [15]وأتاهُم رَدُّ العَليِّ فشَعَّ وَجهُ اِسطَفان بنورٍ كالمَلاكِ، وأخَذَ كُلُّ مَن بالمَجلِسِ يُحَدِّقونَ إلى وَجهِهِ بصَمتٍ.

٧
الفصل السّابع

خطبة اسطفان

[1]ثُمَّ تَوَجَّهَ كَبيرُ الأحبارِ إلى اِسْطَفان يَسألُهُ: "هل صَحيحٌ ما تُتَّهَمُ بِهِ؟" [2]فأجابَ قائِلاً: "أيُّها الشُّيوخُ، ويا إخواني مِن بَني يَعقوبَ، اسمَعوا ما سأقولُ لكُم! أنتُم على عِلمٍ يَقينٍ بالمَكانِ الّذي تَجلّى فيهِ اللهُ جَلَّ جَلالُهُ لسَيِّدِنا إبراهيمَ عليه السلام، نعم، حَدَثَ ذلِكَ بَينَما كانَ في بِلادِ ما بَينَ النَّهرينِ قَبلَ أن يُقيمَ في حارانَ، [3]فقد أمَرَهُ الوَحيُ قائلاً: "اُترُكْ بَلَدَكَ وأهلَكَ، وارحَلْ إلى البَلَدِ الّذي سأُرشِدُكَ إليهِ". [4]فما كانَ مِنهُ عليه السلام إلاّ أن

(1) هؤلاء اليهود كانوا في ما مضى عبيدًا، ثم أصبحوا بعد ذلك أحرارًا.

تَرَكَ بِلادَ الكلْدانيِّينَ ليُقيمَ في حارانَ، وبَعدَ أن وافَت أباهُ المَنيّةُ، أمَرَهُ اللهُ بهَجرِ تِلكَ البِلادِ والتَّوَجُّهِ إلى بِلادِنا هذِهِ، [5]دُونَ أن يُعطِيَهُ فيها نَصيبًا مِنَ المِلكِ ولا حتّى شِبرًا مِنَ الأرضِ، إلاّ أنّهُ تَعالى وَعَدَهُ أن تُصبحَ هذِهِ البِلادُ مِلكًا لهُ ولِنَسلِهِ مِن بَعدِهِ، وهو الّذي لم يَكُن لهُ وَلَدٌ في تِلكَ الفَترةِ. [6]وقالَ لهُ اللهُ تَعالى: "سَيكونُ أولادُكَ وأحفادُكَ غُرَباءَ في بِلادٍ أجنبيَّةٍ يُستَعبَدونَ ويُذَلّونَ على مَدى أربعِ مِئةِ سَنةٍ. [7]ولكنّي أنا اللهَ سأُعاقِبُ مَنِ استَعبَدوهُم، وسأُخرِجُ ذُرّيّتَكَ مِن دارِ المَهانَةِ، إلى هذِهِ البِلادِ الّتي فيها إيّايَ يَعبُدونَ".
[8]ثُمَّ أعطى اللهُ تَعالى إبراهيمَ ﵇ ميثاقَ الخِتانِ. فاستَجابَ لرَبِّهِ وخَتَنَ وَلَدَهُ إسحقَ عِندَ ولادَتِهِ في اليوم الثّامن. وسَرَى عَهدُ اللهِ وميثاقُهُ في ذُرّيّتِهِ فخَتَنَ إسحقُ وَلَدَهُ يَعقوبَ، وخَتَنَ يَعقوبُ أولادَهُ الذُّكورَ الاثني عَشَرَ، وهُم آباؤنا الاثنا عَشَرَ الأوّلونَ مُؤسِّسو هذِهِ الأُمَّة.

[9]إلاّ أنّ أولادَ النّبيِّ يَعقوبَ حَسَدوا أخاهُم يُوسفَ ﵇، فباعوهُ في مِصرَ عَبدًا. ولم يَكُنِ اللهُ ليَترُكَ يُوسفَ ﵇ [10]حتَّى في بِلادِ مِصر البَعيدةِ عن كَنعانَ، فأنقَذَهُ مِن كُلِّ ما حَلَّ بهِ مِن مَصائبَ ووَيلاتٍ، وأعطاهُ الحِكمةَ، وجَعَلَهُ رَضيًّا فقَبِلَهُ فِرعونُ مَلِكُ مِصرَ قَبُولاً حَسَنًا، وأقامَهُ واليًا على مِصرَ وأمينًا على كُلِّ قَصرِهِ. [11]وكانَ أن حَصَلَت مَجاعةٌ في جَميعِ أنحاءِ مِصرَ وجَميعِ مَناطقِ بِلادِ كَنعان، فقاسى النّاسُ مِنها الأمَرَّين، واحتاجَت عائلةُ النّبيِّ يَعقوبَ ﵇ إلى طَعامٍ كجَميعِ النّاسِ في بِلادِ كَنعان. [12]وسَمِعَ النَّبيُّ يَعقوبُ أنّ في مِصرَ قَمحًا، فأرسَلَ أبناءَهُ للمَرّةِ الأُولى إلى مِصرَ حَيثُ يُوسفُ ﵇، [13]وهُناكَ دَخَلوا عليهِ فعَرَفَهُم ولم يَعرِفوهُ، إلاّ أنّهُ عَرَّفَهُم بنَفسِهِ في زيارتِهِم الثّانية. وسَمِعَ فِرعونُ بوُصولِ عائلةِ يُوسفَ ﵇. [14]ثُمَّ استَدعى النّبيُّ يُوسفُ أباهُ يَعقوبَ وجَميعَ أهلِهِ ليَسكُنوا في مِصرَ، وكانوا خَمسةً وسَبعينَ شَخصًا. [15]وهكذا نَزَلَ يَعقوبُ ﵇ وأبناؤهُ إلى مِصرَ وعاشوا هُناكَ إلى أن ماتوا جَميعًا، [16]فنَقَلَ شَعبُنا جَثامينَهُم إلى شَكيم في بِلادِ كَنعانَ ودَفَنوهُم في القَبرِ الّذي كانَ إبراهيمُ ﵇ قدِ اشتَراهُ مِن أولادِ حَمور.

[17]ومَعَ دنُوِّ وَقتِ تَحقيقِ وَعدِ اللهِ للنّبيِّ إبراهيمَ، كانَ شَعبُنا في مِصرَ يَكبُرُ ويَزدادُ عَدَدًا. [18]واعتَلى عَرشَ مِصرَ مَلِكٌ لم يَكُن لَديهِ عِلمٌ بالنّبيِّ يوسف ولا بما قامَ بهِ لأجلِ المِصريِّينَ، [19]فغَدَرَ بشَعبِنا، وأذَلَّ الآباءَ وأجبَرَهُم على التَّخلّي عن أطفالِهِم الذُّكورِ وإهمالِهِم حتّى المَوتِ. [20]وفي ذلِكَ الزَّمَنِ العَصيبِ وُلِدَ سَيِّدُنا موسى، وكانَ وافِرَ

الجمالِ، وقد تَمكّنَ والِداهُ مِن احتِضانِهِ وتَربيَتِه في بَيتِهِما إلى أن بَلَغَ شَهرَهُ الثّالثَ، [21]ثُمَّ تَخلَّيا عَنهُ بِناءً على إرادةِ المَلِكِ، فدَفعَهُ اللهُ إلى يَدِ بنتِ فِرعونَ الّتي حَمَلَتهُ واتّخذَتهُ وَلَدًا. [22]فانفتَحَ لموسى ﷺ بابُ كُلِّ عُلومِ المِصريّينَ، فتَعلّمَها وأتقَنَها قولاً وعَملاً. [23]وعِندَ بُلوغِهِ الأربعينَ، خَطَرَ لهُ أن يَزورَ إخوتَهُ مِن بَني يَعقوبَ، فسَعى إليهِم. [24]وعِندَما كانَ بَينَهُم رأى مِصريًّا يَعتَدي على أحَدِهِم، فانبَرى يُدافِعُ عنِ المَظلومِ وقَتَلَ المِصريَّ انتِقامًا مِنهُ، [25]وظَنَّ أنّ إخوتَهُ سيُدرِكونَ أنّ اللهَ أرسَلَهُ للدِّفاعِ عَنهُم وإنقاذِهِم مِنَ العُبوديّةِ، إلاّ أنّهُم لم يُدرِكوا ذلِكَ. [26]وفي اليَومِ التّالي، لَمَحَ ﷺ اثنينِ مِنهُم يَتَشاجرانِ، وحاوَلَ الإصلاحَ بَينَهُما قائلاً: "لِمَ يَعتَدي أحَدُكُما على الآخَرِ وأنتُما أخَوانِ؟! [27]إلاّ أنّ المُعتَدي دَفعَ سَيِّدَنا موسى قائلاً: "وأنتَ، مَنِ الّذي أقامَكَ علَينا رَئيسًا وقاضِيًا؟ [28]أتَنوي قَتلي كَما قَتَلتَ المِصريَّ بالأمسِ؟" [29]وإذ سَمِعَ موسى ﷺ هذا الكَلامَ فَرَّ هارِبًا إلى بِلادِ مِدْيَن وأقامَ فيها غَريبًا وتَزوّجَ ورُزِقَ فيها وَلَدَينِ.

[30]وعِندَما اكتَمَلَت أربعونَ سَنةً، وبَينَما هو في صَحراءِ جَبَلِ سيناءَ، ظَهَرَ لهُ مَلاكٌ على هَيئةِ جَذوةٍ مِن نارٍ في شُجَيرةٍ مِنَ الأشجارِ. [31]فاعتَرَتهُ الدَّهشةُ واقتَرَبَ لِيَنظُرَ عن كَثَبٍ، فسَمِعَ صَوتَ اللهِ يُخاطِبُهُ قائلاً: [32]"يا مُوسى إنّي أنا رَبُّكَ ورَبُّ آبائِكَ الأوّلينَ، رَبُّ إبراهيمَ وإسحقَ ويَعقوبَ". فارتَعَدَت فَرائِصُهُ ﷺ وتَحاشى النَّظَرَ إلى مَصدَرِ الصَّوتِ. [33]فقالَ لهُ اللهُ: "يا موسَى اخلَعْ نَعليكَ، إنّكَ بِالوادي المُقَدَّسِ. [34]وإنّي رأيتُ في مِصرَ ذُلَّ الشَّعبِ الّذي أعطَيتُهُ ميثاقي، وسَمِعتُ استِغاثتَهُم، وأُريدُ إنقاذَهُم، وإنّي لمُرسِلكَ الآنَ إلى مِصرَ".

[35]وأضافَ إسطَفانُ قائلاً: "أنتُم تَزعُمونَ أنّني أرفُضُ النَّبيَّ موسى، ولكن هذا هو النَّبيُّ موسى الّذي رَفَضَهُ آباؤكُم وقالوا لهُ: "مَن عَيَّنَكَ رَئيسًا وقاضِيًا علَينا؟" ورَغمَ ذلكَ، أرسَلَهُ اللهُ إليهِم مِن خِلالِ المَلاكِ الّذي تَجلّى لهُ في تِلكَ الشَّجرةِ لِيَكونَ رَئيسًا على بَني يَعقوبَ ومُنقِذًا لهُم، [36]فأخرَجَهُم مِن أرضِ مِصرَ وأظهَرَ لهُم المُعجِزاتِ والآياتِ عِندَما كانوا هُناكَ، واستَمَرَّ يُجري على يدَيهِ المُعجِزاتِ عِندَ خُروجِهِم مِن مِصر، وعِندَ البَحرِ الأحمَرِ، وعلى مَدى أربَعينَ سَنةً في الصَّحراءِ. [37]هذا هو النَّبيُّ موسى الّذي خاطَبَ بَني يَعقوبَ قائلاً: "سيَبعَثُ اللهُ فيكُم نبيًّا مِثلي". [38]وإنّي لأُعيدُ عليكُم القَولَ إنّ النّبيَّ موسى هو مَن كانَ يَقودُ جَماعةَ بَني يَعقوبَ في الصَّحراءِ البَعيدةِ عن هذِهِ البِلادِ، ومَعَ ذلِكَ كَلّمَهُ المَلاكُ في طُورِ سيناءَ وسَلّمَهُ الرِّسالةَ الأبَديّةَ لِيُبَلِّغَها

لآبائِنا، وهُم بدورِهِم سَلَّموها إيّاها. [39]إلاّ أنّ آباءَنا رَفَضوا طاعةَ النّبيِّ موسى، ولم يَعتَرِفوا بقيادتِهِ، ورَنَوا بأفئدتِهِم إلى مِصرَ مُتَشَوِّقينَ للعَودةِ إليها، [40]فقالوا لسَيِّدِنا هارون: "اجعَلْ لنا آلهةً تَدُلُّنا على الطَّريقِ، فإنّنا لا نَدري ماذا حَلَّ بموسى الّذي أخرَجَنا مِن مِصرَ ثُمَّ تَرَكَنا ها هُنا وغابَ عنّا". [41]فصَنَعَ لهُم، مُكرَهًا، عِجلاً صَنَمًا، قَدَّموا لهُ الأُضحياتِ، فَرِحينَ بما صَنَعَت أيديهِم مُقبلينَ على عِجلِهِم مُدبرينَ عنِ اللهِ. [42]وأقولُ، أنتُم تَزعُمونَ أنّي كافِرٌ باللهِ، إلاّ أنّ آباءَكُم هُمُ الكافِرونَ، سَلَّمَهُم اللهُ لآثامِهِم، فعَبَدوا ما في السَّماءِ مِن شَمسٍ وكَواكِبَ ونُجومٍ، ولقد جاءَ في كِتابِ النّبيِّ عاموسَ: "يا بَني إسرائيلَ، لَمْ تُقَدِّموا لي الأُضحياتِ والقَرابينَ على مَدى أربَعينَ سَنةً في صَحراءِ سِيناء، [43]بل للأصنامِ قَدَّمتُموها! وكُنتُم تَحمِلونَ مَعَكُم مَعبَدَ الإلهِ مولَخ،(1) وتَسجُدونَ للكَوكبِ زُحَل،(2) ولَلتَّماثيلِ الّتي صَنَعَتها أيدِيكُم وتَعبُدونَها، مِن أجلِ ذلِكَ أنفيكُم إلى بِلادٍ هي أبعَدُ مِن بلادِ بابِل". وهكذا، عاقَبَ اللهُ آباءَكُم لعِبادتِهِم الأصنامَ!"

[44]وتابَعَ اِسطَفانُ قائلاً: "أنتُم تَتَّهِمُونَني بإنكارِ بَيتِ اللهِ المُقَدَّسِ،(3) وإنّ اللهَ تَعالى لم يأمُرِ النّبيَّ موسى ببناءِ بَيتٍ مِنَ الخَشَبِ، بل أمَرَهُ أن يَنصِبَ خَيمةً للعِبادةِ، حَسَبَ المِثالِ الّذي رَآهُ على جَبَلِ سِيناء. [45]فلم يَكُن لآبائِنا في عَصرِ النّبيِّ موسى سِوى هذِهِ الخَيمةِ يَتَعَبَّدونَ فيها على مَدى إقامَتِهِم في الصَّحراءِ. وسَلَّمَ آباؤنا خَيمةَ العِبادةِ تِلكَ لذُرِّيّتِهِم، فحَمَلوها مَعَهُم بقيادةِ يَشوع بن نون، واحتَلّوا هذِهِ البِلادَ، بَعدَ فَراغِها مِن شُعوبِها الوَثنيّةِ. وبَقِيَت تِلكَ الخَيمةُ هُنا إلى زَمَنِ النَّبيِّ داود. [46]وقد كانَ النَّبيُّ داود مَرضيًّا عِندَ اللهِ، فطَلَبَ مِنَ اللهِ تَعالى أن يَبني بَيتًا مِن خَشَبٍ يُرفَعُ فيهِ

(1) مولخ: أحد آلهة بلاد كنعان، وكان الناس يحرقون له أطفالهم كأضحيات.

(2) كان المصريون القدامى يسمّون الكوكب زَحَلْ بـ(رفان) ويعبدونه. وقد تعلّم بعض الناس من بني إسرائيل عادات الشعوب الوثنية ومارسوها وهذا كفر بالله تعالى. هذا القول من النبي عاموس قد يشير إلى أنّ عبادة الأصنام التي ظهرت في أواخر تاريخ بني إسرائيل كانت بدايتها الحقيقية من الزمن الذي تاه فيه هؤلاء في سيناء، بغضّ النظر عن أنّهم كانوا تحت حماية الله.

(3) يبدو من الاتّهامات التي وجّهها اليهود ضدّ اسطفان (انظر 6: 13-14) أنّه كان ينادي أن السيد المسيح قد أخذ دور بيت الله المقدّس باعتباره مركز الشفاعة للمؤمنين، أمّا الآن فقد أصبح الطريق إلى الله بواسطة سيدنا عيسى وليس بواسطة الأضاحي في بيت الله. ومن هذا الموقع في النص، يبدأ اسطفان ختام خطابه مع بعض الكلمات عن انتهاء دور بيت الله.

اسمُهُ تَعالى، [47]ولم يَحظَ داودُ بهذا الشَّرَفِ، بل حَظِيَ بِهِ ابنُهُ سُليمانُ. [48]وهذا البَيتُ هو بَيتُ اللهِ. لكن أيُعقَلُ أن تكونَ سُكناهُ تَعالى في بَيتٍ مِن صُنعِ بَشَرٍ؟! لقد جاءَ في نُبُوّةِ أَشعيا قَولُ اللهِ: [49]"وَسِعَ عَرشي السَّماواتِ والأرضَ، فأيّ بَيتٍ تَبنونَ لي؟ وأيَّ مَسكنٍ تَصنَعونَهُ يُمكِنُ أن يَحتوِيَنا؟ [50]أَلَستُ أنا فاطِرَ هذا الكَونِ؟"

[51]ثُمَّ تابَعَ اِسطَفانُ قَولَهُ: "أيُّها الشَّعبُ العَنيدُ، يا مَن امتَلأت قُلوبُكُم بالوَثَنيّةِ، وصُمَّت آذانُكُم! أنتُم كآبائِكُم الأوَّلينَ تُقاوِمونَ هِدايةَ رُوحِ اللهِ، [52]أَروني نَبيًّا واحِدًا لم يَضطَهِدْهُ آباؤكُم! قد قَتَلَ آباؤكُم الرُّسُلَ الّذينَ تَنَبَّؤوا بمَجيءِ المَسيحِ الصّالحِ المُنتَظَرِ، وأنتُم غَدَرتُم بِهِ وقَتَلتُموهُ، [53]يا مَن سَلَّمَتكُم الملائكةُ التَّوراةَ مِن عِندَ اللهِ، فأدَرتُم ظُهورَكُم لها!"

قتل اسطفان

[54]واعتَرَى أعضاءَ المَجلسِ غَضَبٌ شَديدٌ مِن كَلامِ اِسطَفانَ، فصَرُّوا بأسنانِهِم غَيظًا، [55]إلاّ أنّ اِسطَفانَ رَنا بنَظَرِهِ إلى السَّماءِ مُمتَلِئًا بحُضورِ رُوحِ اللهِ، حَيثُ رَأى جَلالَ نورِ اللهِ، وسَيِّدَنا عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ واقِفًا على يَمينِهِ، [56]فالتَفَتَ قائلاً: "أُنظُروا! إنّي أرى السَّماءَ قدِ انشقَّت وبَدا سَيِّدُ البَشَرِ واقِفًا عن يَمينِ اللهِ تَعالى". [57]فرَفَعَ أعضاءُ المَجلِسِ أصابِعَهُم إلى آذانِهِم لكَي لا يَسمَعوهُ، وتَعالَت أصواتُهُم، وهَجَموا على اِسطَفانَ هَجمةً واحدةً [58]وقادوهُ إلى خارجِ مَدينةِ القُدسِ، ورَجَمَهُ الشُّهودُ، بَعدَ أن خَلَعوا ثيابَهُم ووَضَعوها عِندَ قَدَمَي شابٍّ اسمُهُ شاولُ لحِراستِها. [59]وبَينَما كانَ اِسطَفانُ يُرجَمُ، أخَذَ يَهتِفُ قائلاً: "يا سَيِّدي عيسى، تَقَبّلْ رُوحي!" [60]وجَثا على رُكبَتَيهِ صارِخًا: "يا سَيِّدي، تَشفَّعْ لهُم في ذَنبِهِم هذا". وفارَقَ الحَياةَ.

٨
الفصل الثّامن

اضطهاد شاول للمؤمنين

[1–2]وقد قُتِلَ اِسطَفانُ بمُوافقةِ شاولَ، وقامَ بَعضُ الأتقياءِ بدَفنِهِ، وبَكَوهُ بُكاءً مُرًّا. وفي ذلكَ اليَومِ، سَرَت موجةُ اضطِهادٍ كَبيرةٍ ضِدَّ المُؤمنينَ بالمَسيحِ في القُدسِ، فتَفرَّقَ

هؤلاءِ في أنحاءِ البِلادِ في مَناطِقِ يَهوذا والسّامِرة،(1) أمّا الحَواريّونَ فقد ظَلُّوا ماكِثين في القُدس، [3]في حينِ أخَذَ شاولُ يَسعى إلى إبادةِ جَماعةِ المؤمنينَ، مُنتَقِلاً مِن دارٍ إلى دارٍ، يَجُرُّ الرِّجالَ والنِّساءَ إلى السِّجنِ.

الدّعوة في السّامرة

[4]وأخَذَ المؤمنونَ الفارّونَ مِنَ القُدسِ يَتَنقّلونَ مِن مَكانٍ إلى آخَرَ مُعلِنينَ البِشارةَ بسَيِّدِنا عيسى. [5]وكانَت وِجهَةُ فيليبَ(2) أكبَرَ مُدُنِ منطقةِ السّامِرةِ، فأخَذَ يُبَشِّرُ فيها بالمَسيحِ ﷺ. [6]وبَعدَ إصغاءِ الجُموعِ إلى كَلامِهِ، ورُؤيتِهِم للمُعجِزاتِ الّتي كانَ يُظهِرُها، تَمَسَّكوا بِهِ تَمَسُّكًا، [7]وكانَ قد حَرَّرَ الكَثيرينَ مِن سَطوةِ الجِنِّ والشّياطينِ الّتي أخَذَت تَنسَلُّ مِنهُم صارِخةً مُرتَعِدةً، وأبرَأ عَدَدًا كَبيرًا مِمَّن كانوا مُصابينَ بالشَّلَلِ والعَرَجِ، [8]مِمّا مَلأَ المَدينةَ بَهجةً وفَرَحًا.

سيمون السّاحر

[9–11]وكانَ في تِلكَ المَدينةِ رَجُلٌ ساحِرٌ اسمُهُ سِيمونُ، قد أصبَحَ مَوضِعَ دَهشةِ أهلِ السّامِرةِ، إذ كانَ يُمارِسُ السِّحرَ مُنذُ سِنين، مُدَّعيًا أنّهُ رَجُلٌ خارِقٌ، مِمّا جَعَلَ الجَميعَ، الوَضيعَ مِنهُم والعَظيمَ، يُصَدِّقونَهُ ويَظُنّونَ أنّهُ المُمتَلِكُ لقُدرةِ اللهِ العَظيمةِ. [12]وعِندَما أعلَنَ فيليبُ بُشرى قيامِ مَملكةِ اللهِ المَوعُودةِ، وظُهورِ شَخصِ عيسى المَسيحِ ﷺ، آمَنَ الكَثيرُ مِنهُم وتَطَهَّروا بالماءِ، رِجالاً ونِساءً، [13]ومِن بَينِهِم سِيمونَ الّذي أظهَرَ الإيمانَ بَعدَ أن تَطَهَّرَ أيضًا بالماءِ ليُصبِحَ مِن جَماعةِ سَيِّدِنا عيسى المَسيحِ ﷺ. وهكذا أخَذَ سِيمونُ يُلازِمُ فيليبَ أينَما حَلَّ وارتَحَلَ مُتَعَجِّبًا مِنَ الآياتِ والمُعجِزاتِ العَظيمةِ الّتي كانَ يُظهِرُها.

[14]وسَمِعَ الحَواريّونَ في القُدسِ بخَبَرِ إقبالِ السّامريِّينَ على رِسالةِ اللهِ، فأرسَلوا بُطرُسَ الصَّخرَ ويوحنّا إليهِم. [15]فمَضى الرَّجُلانِ إلى هُناكَ، وأخَذا يَبتَهِلانِ إلى اللهِ ليَحظى المُؤمِنونَ في السّامِرةِ أيضًا بِرُوحِ اللهِ، [16]لأنّها لم تَكُن قد حَلَّت على أحَدٍ مِنهُم

(1) حدثت هذه الجريمة بعد قيامة سيدنا عيسى ﷺ وصعوده إلى السماء بعدّة سنوات. ويبدو أن أكثر المؤمنين بالسيد المسيح لم يلتزموا تماما بطاعة أمره أن ينتشروا في كلّ الأرجاء للدعوة إلى رسالته. ولكن هذا الاضطهاد الشديد اضطرّهم إلى الانتشار في الأرض اضطرارا.

(2) فيليب هو واحد من السبعة المختارين لتوزيع المعونات على الأرامل في القدس، وهو ليس الحواري فيليب.

حتّى ذلِكَ الحِينِ، وإنّما كانوا يَتطَهَّرونَ صِبغةً للهِ بغايَةِ الانضِمامِ إلى جَماعةِ سَيِّدِنا عيسى لا غَيرَ.(1) 17ووضَعَ بُطرُسُ ويوحنّا أيدِيهِما على كُلِّ واحدٍ مِنهُم فحَظوا برُوحِ اللهِ.(2) 18وعِندَما رَأى سِيمونُ ذلِكَ، قامَ بعَرضِ المالِ على كُلٍّ مِن بُطرُسَ الصَّخرِ ويوحنّا قائلاً: 19"امنَحاني هذِهِ القُدرةَ، فتَحُلُّ رُوحُ اللهِ على كُلِّ شَخصٍ أضَعُ يَديَّ عليهِ!" 20فأجابَهُ بُطرُسُ الصَّخرُ: "إلى الجَحيمِ أنتَ ونُقودُكَ، لأنّكَ أرَدتَ شِراءَ هِبةِ اللهِ بالمالِ! 21إنّ قَلبَكَ غَيرُ مُخلِصٍ للهِ، فلا نَصيبَ ولا حُظوةَ لكَ بهِبةِ رُوحِ اللهِ! 22دَعْ أعمالَكَ الآثمةَ وعُدْ إلى اللهِ مُخلِصًا، وادْعُ مَولانا عيسَى لَعَلَّهُ يَشفَعُ لكَ فيَعفو اللهُ عَنكَ لنيَّتِكَ السَّيِّئةِ هذِهِ، 23إنّني أراكَ ما زِلتَ غارِقًا في مَرارةٍ وحَسَدٍ، مُقَيَّدًا بالشُّرورِ".
24فقالَ لهُ سِيمونُ: "يا صَخرُ، يا يوحنّا إنّي أسألُكما الشَّفاعةَ مِن عيسى كي لا يُصيبَني ما ذَكَرتُماهُ لي". 25وهكذا خَبَّرَ بُطرُسُ ويوحنّا السّامريّينَ بِرسالةِ سَيِّدِنا عيسى سَلامُهُ عَلَينا، وقَفَلا عائدَينِ إلى القُدسِ، وخِلالَ مَسيرِهِما نادَيا بالبُشرى في قُرى كَثيرةٍ مِن قُرى مِنطقةِ السّامِرةِ.

وزير من المملكة النّوبية يؤمن بعيسى سَلامُهُ عَلَينا

26أمّا فيليبُ فقد بَعَثَ اللهُ لهُ مَلاكًا قائلاً: "انطَلِقْ نَحوَ الجَنوبِ في الطَّريقِ الصَّحراويِّ بَينَ القُدسِ وغَزّة". 27فمَضى وفي طَريقِهِ قابَلَ رَجُلاً مِن مَملكةِ النّوبَة(3) عائدًا إلى بِلادِهِ بَعدَ أدائِهِ الحَجَّ في القُدسِ. وكانَ هذا الرَّجُلُ مِن عِليَةِ القومِ يَشغَلُ وَزيرَ المالِ عِندَ المَلِكَةِ الّتي تُسمَّى في لُغتِهِم "الكَنداكَة". 28وبَينَما كانَ هذا الأخيرُ جالِسًا في مَركبتِهِ يَقرأُ كِتابَ النّبيِّ أشعيا، 29جاءَ وَحيٌ مِن رُوحِ اللهِ إلى فيليبَ أن يَتقَدَّمَ إلى المَركبةِ ويُرافِقَها. 30فذَهَبَ فيليبُ مُسرِعًا إلى المَركَبةِ، وسَمِعَ الوَزيرَ يَقرأُ كَلامَ النّبيِّ أشعيا، فقالَ لهُ: "أتَفهَمُ ما تَقرَأ؟!" 31فأجابَهُ الوَزيرُ: "كَيفَ لي بذلِكَ، ولا يُوجَدُ مَن

(1) يبدو أنّ أكثر أتباع المسيح كانوا إلى حدّ ذلك الوقت ينشرون رسالته بين إخوانهم من بني يعقوب فقط، ولم يدركوا بعدُ أنّ حقّ الانضمام إلى أمّة الله مفتوح لكلّ الناس من كلّ الأمم. ولقد بيّن الله لهم من خلال هذا الحدث هنا أنّ السامريين المنبوذين أيضا لهم نصيب في أمّة الله.

(2) كانت عادة وضع الأيدي على الناس تستخدم عند طلب الشفاء، أو طلب بركة الله على شخصٍ ما، أو لاختيار إنسان لمهمّة خاصّة أو لطلب كرامات روح الله من أجل مؤمن جديد.

(3) كان قسم من مملكة النوبة يقع في جنوب مصر والقسم الآخر في السودان. وكانت بداية تلك المملكة سنة 750 ق.م. أمّا أهمّ مدنها فهي (مروي) و(نافاتا). وليس المقصود بنوبة أثيوبيا، تلك المملكة التي أصبحت مملكة مسيحية في القرن الرابع للميلاد.

يُفَسِّرُ لي ما في هذا الكِتابِ؟" فدَعا الوَزيرُ فيليبَ إلى الصُّعودِ والجُلوسِ إلى جانِبِه، [32]وكانَتِ الفِقرَةُ الّتي يَقرَأُها مِنَ الكِتابِ هي: "كانَ كَشاةٍ تُساقُ إلى الذَّبحِ، وكَحَمَلٍ صامِتٍ بَينَ يَدَي مَن يَجُزُّهُ، لم يَفتح فَمَهُ. [33]ظَلَموهُ بحُكمِهِم وأذَلّوهُ، ومَن يَستَطيعُ أن يُعبِّرَ عن ذلِكَ الإثمِ الّذي ارتكَبَهُ شَعبُهُ!؟ فقد قَضَوا على حَياتِهِ في هذِهِ الدُّنيا". [34]فقالَ لهُ الوَزيرُ: "أخبِرني، لا عَدِمتُكَ، مَنِ المَقصودُ بهذِهِ النُّبوءةِ، أيَعني نَفسَهُ أم شَخصًا آخَرَ؟" [35]فأخَذَ فيليبُ يُوضِحُ لهُ أنّ المَقصودَ مِن هذا الكَلامِ هو سَيِّدُنا عيسى ﷺ، ثُمَّ شَرَحَ لهُ بَعدَ ذلِكَ رِسالةَ المَسيحِ عيسى. [36]وبَينَما هُما يَسيرانِ، وَصَلا إلى مَكانٍ فيهِ ماءٌ، فالتَفَتَ الوَزيرُ إلى فيليبَ قائلاً: "أُنظُرْ! هذا ماءٌ، ماذا يَمنَعُني مِنَ التَّطَهُّرِ بِهِ؟" [37]فأجابَهُ فيليبُ: "إن كانَ قَلبُكَ مُخلِصًا في إيمانِهِ، فليَكُن ذلِكَ". فقالَ الرَّجُلُ: "إنّي أؤمِنُ بأنّ عيسى هو المَسيحُ الابنُ الرُّوحيُّ للهِ". [38]وأمَرَ بتَوقيفِ المَركَبةِ، ونَزَلَ هو وفيليبُ إلى الماءِ مَعًا، وقامَ فيليبُ بتَطهيرِهِ صِبغةً للهِ. [39]وعِندَ خُروجِهِما مِنَ الماءِ، خَطِفَت رُوحُ اللهِ فيليبَ، فلم يَعُدِ الوَزيرُ يَراهُ، إلاّ أنّهُ تابَعَ سَفَرَهُ مُفعَمًا بالسُّرورِ. [40]أمّا فيليبُ، فقد ظَهَرَ في مَدينةِ أشْدود، حَيثُ أخَذَ يُنادي بالبُشرى، وهو يَطوفُ مِن بَلدةٍ إلى أُخرى، ناشِرًا الرِّسالةَ في المِنطقةِ كُلِّها إلى أن وَصَلَ إلى مَدينةِ قَيصَريّة.

٩
الفصل التّاسع

شاول يهتدي إلى الإيمان

[1]واستَمَرَّ شاولُ في تَهديدِهِ لأتباعِ سَيِّدِنا عيسى ﷺ بالقَتلِ، فتَوَجَّهَ إلى كَبيرِ الأحبارِ [2]طالِبًا مِنهُ أن يَكتُبَ رَسائلَ للقائمينَ على بُيوتِ العِبادةِ في دِمَشقَ، ليَسمَحوا لهُ بالقَبضِ على مَن يَجِدُ مِن أتباعِ عيسى ﷺ مِن رِجالٍ ونِساءٍ ليَسوقَهُم مُقَيَّدينَ إلى القُدسِ.

[3]وفي طَريقِهِ إلى دِمَشقَ، وعِندَ اقتِرابِهِ مِنها، أشَعَّ حَولَهُ فَجأةً نورٌ مِنَ السَّماءِ، [4]فخَرَّ واقِعًا على الأرضِ، وسَمِعَ صَوتًا قائِلاً: "شاوُلُ، يا شاوُلُ، لِماذا تَضطَهِدُني؟" [5]فأجابَ شاوُلُ: "مَن أنتَ يا سَيِّدي؟" فأخبَرَهُ الصَّوتُ قائلاً: "أنا عيسى، أنا مَن تَضطَهِدُهُ باضطِهادِكَ لأتباعي. [6]قُم وادخُلِ المَدينةَ، حَيثُ تَجِدُ مَن يُخبِرُكَ بما عليكَ فِعلُهُ". [7]أمّا الرِّجالُ الّذينَ كانوا برِفقَتِهِ، فظَلّوا واقِفينَ في ذُهولٍ لأنّهُم سَمِعوا صوتًا ولم يَرَوا أحَدًا. [8]ونَهَضَ شاوُلُ مِنَ الأرضِ، وفَتَحَ عَينَيهِ فوَجَدَ نَفسَهُ فاقِدَ البَصَرِ، فقادَهُ مِن

مَعَهُ بيدِهِ إلى دِمَشقَ. [9]وبَقيَ هُناكَ ثلاثةَ أيّامٍ مُظلِمَ العَينينِ دونَ أكلٍ وشُربٍ.

[10]وكانَ في مَدينةِ دِمَشقَ أحَدُ أتباعِ سَيِّدِنا عيسى عليه السلام واسمُهُ حَنانيّا، فجاءَهُ عيسى عليه السلام في الرُّؤيا قائلاً: "يا حَنانيّا!" فأجابَهُ: "لَبَّيكَ سَيِّدي!" [11]فقالَ لهُ السَّيِّدُ المَسيحُ عليه السلام: "اِذهَبْ إلى الشّارعِ المُستَقيم، واسألْ في دارِ يَهوذا عن رَجُلٍ مِن مَدينةِ طَرْسوسَ اسمُهُ شاولُ، وهو يُصَلّي الآن، [12]وقد جاءَهُ في الرُّؤيا أنّهُ سيَلتَقي رَجُلاً اسمُهُ حَنانيّا يَضَعُ يديهِ عليهِ ليَعودَ إليه بَصَرُهُ". [13]فأجابَ حَنانيّا: "يا سَيِّدي، قد سَمِعتُ مِنَ الكَثيرينَ عن شاولَ هذا وعَنِ الأذى الّذي ألحَقَهُ بأفرادِ أُمَّتِكَ في القُدسِ، [14]كَما سَمِعتُ بأنّهُ إنّما جاءَ إلى دِمَشقَ بإذنٍ مِن رُؤساءِ الأحبارِ للقَبضِ على كُلِّ أتباعِكَ هُنا". [15]فأجابَهُ سَيِّدُنا عيسى عليه السلام: "اِذهَبْ إليهِ، فهو الّذي اختَرتُهُ ليَكونَ رَسولي ليَزُفَّ رِسالتي إلى شُعوبِ الأرضِ ومُلوكِهِم، ولِبَني يَعقوبَ، [16]وسأُعَلِّمُهُ مَدى الآلامِ الّتي يَجِبُ أن يَتَحَمَّلَها مِن أجلي".

[17]فتَوَجَّهَ حَنانيّا إلى تِلكَ الدّارِ، ووَضَعَ يَديهِ على شاولَ قائلاً: "يا أخي شاولُ، أرسَلَني إليكَ سَيِّدُنا عيسى نَفسُهُ الّذي جاءَكَ في الرُّؤيا وأنتَ في طَريقِكَ إلى هُنا، حتّى يَعودَ إليكَ البَصَرُ وتَمتَلِئَ ذاتُكَ برُوحِ اللهِ". [18]وما إن أتَمَّ حَنانيّا كَلامَهُ حتّى تَناثَرَ شَيءٌ يُشبِهُ القُشورَ مِن عَينَي شاول، وعادَ إليهِ بَصَرُهُ. فقامَ في الحالِ وتَطَهَّرَ بالماءِ، [19]ثُمَّ تَناوَلَ بَعضَ القُوتِ لاستِعادةِ عافيَتِهِ. وقَضّى بِضعَةَ أيّامٍ صُحبَةَ أتباعِ سَيّدِنا عيسى عليه السلام في دِمَشقَ.

شاول في دمشق

[20]ثُمَّ خَرَجَ شاولُ بَعدَ ذلِكَ إلى بُيوتِ العِبادةِ، مُناديًا أنّ عيسى عليه السلام هو الابنُ الرُّوحيُّ للهِ، [21]فاندَهَشَ كُلُّ مَن سَمِعَهُ وصاروا يَقولونَ: "ألَيسَ هذا الشّخصُ هو الّذي كانَ يَفتِكُ بأتباعِ عيسى النّاصِريّ في القُدس، ألَيسَ هو الّذي جاءَ إلى هُنا بغايةِ القَبضِ عليهِم ليَسوقَهُم إلى القُدسِ للمُثولِ أمامَ مَحكمَةِ رؤساءِ الأحبارِ؟" [22]أمّا شاولُ فقد كانَ يَزدادُ قوّةً في دَعوتِهِ، مُفحِمًا اليَهودَ المُقيمينَ في دِمَشقَ بالأدلّةِ الّتي كانَ يأتي بها مِنَ الكُتُبِ السّماويّةِ ليُبَرهِنَ على أنّ عيسى هو المَسيحُ المُنتَظَرُ. [23–24]ومَعَ الوَقتِ،(1) بدأ

(1) نعلم من رسائل بولس أنّه غاب عن دمشق لمدّة 3 سنوات، وخلالها مكث في البلاد العربيّة، أي المملكة النبطية، التي تقع في منطقة الأردن الحديث وجنوب سوريا، قبل أن يعود في النهاية إلى دمشق.

اليَهودُ يَتآمرُونَ عليهِ، فكانوا يُراقِبونَ بَوّاباتِ المَدينةِ لَيلاً نَهارًا ليَقتُلوهُ عِندَ مُغادَرتِها. وسَمِعَ شاولُ بهذِهِ المُؤامَرةِ، [25]فتهَيّأت جَماعةٌ مِمَّن آمَنوا بالمَسيحِ بواسطةِ دَعوتِهِ لِتَهريبِهِ ليلاً بإنزالِهِ مِن على السُّورِ في سَلّةٍ كَبيرةٍ.[(1)] ونَجَحوا في ذلِكَ.

شاول في القدس

[26]وعِندَ وُصولِ شاولَ إلى القُدسِ، حاوَلَ الانضِمامَ إلى جَماعةِ المُؤمنينَ، ولكنّهُم كانوا على حَذَرٍ مِنهُ، إذ لم يَكونوا قد أيقَنُوا بَعدُ بِحَقيقةِ إيمانِهِ. [27]ولكنّ بَرنابا اصطَحَبَهُ إلى الحَوارِيّينَ لِيُبيِّنَ لهُم كَيفَ رَأى سَيِّدَنا عيسى عليه السلام في طَريقِهِ إلى دِمَشقَ، وكَيفَ تَحدَّثَ عيسى مَعَهُ، وكَيفَ بَدَأ بنَفسِهِ يُعلِنُ بجُرأةٍ رِسالةَ سَيِّدِنا عيسى عليه السلام. [28]واطمَأنَّ إليهِ الحَواريّونَ فأقامَ عِندَهُم، مُتَنَقِّلاً مَعَهُم في القُدسِ مُناديًا بعيسى عليه السلام بشَجاعةٍ.[(2)] [29]وكانَ شاولُ كَثيرَ الجَدَلِ مَعَ اليَهودِ القادِمينَ مِنَ البُلدانِ الأجنَبيّةِ الواقعةِ غَربَ فِلَسطين، مِمَّن صَمَّموا على قَتلِهِ.[(3)] [30]فعَلِمَ إخوانُهُ المُؤمِنونَ بذلِكَ، وأخَذوهُ إلى مِيناءِ قَيصريّة، ومِن ثَمَّ أرسَلوهُ إلى مَدينةِ طَرْسوس.

[31]وهكذا بَدأت جَماعاتُ المُؤمنينَ في بِلادِ يَهوذا والجَليلِ والسّامِرةِ تَنعَمُ بالطُّمأنينةِ والسَّلامِ، وكانَت هَيبةُ سَيِّدِنا عيسى عليه السلام تَتزايدُ لَدَيهِم، كَما كانَ عَدَدُهُم يَتضاعَفُ بمُؤازَرةِ رُوحِ اللهِ.

شفاء أنيس

[32]وكانَ بُطرُسُ يُسافِرُ في أنحاءِ فِلَسطينَ مُتَجَوِّلاً مِن مَكانٍ إلى مَكانٍ يَزورُ أتباعَ السَّيِّدِ المَسيحِ عليه السلام، وذاتَ مَرَّةٍ وبَينَما كانَ في زيارةٍ لِمُؤمِني بَلدةِ اللُّدّ،[(4)] [33]صادَفَ رَجُلاً مَشلولاً اسمُهُ أنيس، وكانَ طَريحَ الفِراشِ مُنذُ ثَماني سَنَواتٍ، [34]فالتَفَتَ إليهِ بُطرُسُ الصَّخرُ مُخاطِبًا: "يا أنيسُ، لقد شَفاكَ سَيِّدُنا عيسى المَسيحُ، فانهَضْ ورَتِّبْ

---

(1) كان هذا الفعل ممكنًا، إذ لجأ الناس في ذلك الوقت بسبب كثرة سكان المدينة، إلى بناء المزيد من المنازل فوق سور المدينة، وبالإمكان رؤية ذلك الآن عند الباب الشرقي في مدينة دمشق.

(2) حسب كتابات الحواري بولس، لم يبق في القدس أكثر من أسبوعين خلال هذه الزيارة.

(3) أتى هؤلاء اليهود من بلاد حوض البحر الأبيض المتوسّط التي تسود فيها اللغة اليونانية. وسيدنا المسيح حسب سيرة الحواريين 22: 17-21، أنذر بولس عن هذه المؤامرة من خلال رؤيا.

(4) كانت اللُّدّ بلدة تقع بين القدس ويافا.

فِراشَكَ بنفسِكَ" . فقامَ أنيسُ مُعافىً، [35]وعِندَما رأى سُكّانُ اللُّدِّ ومِنطقةِ ساحِلِ فِلَسطينَ ذلِكَ، آمَنوا جَميعًا بسَيِّدِنا عيسى ﷺ .

إحياء امرأة بعد موتها

[36]وكانَ، في ذلِكَ الوَقتِ، في مَدينةِ يافا(1) امرأةٌ مِن أتباعِ عيسى ﷺ اسمُها طابيتَهْ ويَعني غَزالة، وكانَت تُحسِنُ إلى الجَميعِ وتُساعِدُ المُحتاجِينَ على الدَّوامِ، [37]فأصابَها المَرَضُ وماتَت. فغَسَّلوا جُثمانَها ووَضَعوهُ في غُرفةٍ في طابقٍ عُلويٍّ، [38]وقد سَمِعَ المُؤمِنونَ بوُجُودِ بُطرُسَ الصَّخرِ في اللُّدِّ الّتي كانَت قَريبةً مِن يافا، فأرسَلوا إليهِ رَجُلينِ يَحمِلانِ رسالةً تَقولُ: "نَرجو مِنكَ أن تأتيَ إلينا على جَناحِ السُّرعةِ" . [39]فاستَجابَ بُطرُسُ لطَلَبِهِم، وعِندَ وُصولِهِ مَدينةَ يافا، اقتادُوهُ إلى حَيثُ كانَت غزالةُ مُسجّاةً، فتَجَمَّعَت حَولَهُ الأرامِلُ باكِياتٍ حُزنًا عليها، وأرَينَهُ القُمصانَ والثّيابَ الّتي حاكَتها غَزالة عِندَما كانَت على قَيدِ الحَياةِ. [40]حِينَئذٍ أخرَجَ بُطرسُ الصَّخرُ جَميعَ مَن كانوا في الغُرفةِ، ورَكَعَ لِلَّهِ مُصَلِّيًا، ثُمَّ التَفَتَ إلى الجُثمانِ قائِلاً: "يا غَزالةُ قومي!" ففَتَحَتِ المَرأةُ عَينَيها، ثُمَّ جَلَسَت بَعدَ أن رَأتْ بُطرُسَ، [41]فمَدَّ لها يدَهُ وأنهَضَها، ودَعا المُؤمِنينَ والأرامِلَ ليُبَيِّنَ لهُم أنّ غَزالةَ قد عادَت إلى الحَياةِ مِن جَديدٍ. [42]وانتَشَرَ خَبَرُ تِلكَ المَرأةِ في جَميعِ أنحاءِ يافا، مِمّا جَعَلَ الكَثيرينَ يُؤمِنونَ بالسّيِّدِ المَسيحِ ﷺ. [43]ومَكَثَ بُطرسُ بَعضَ الوَقتِ في يافا عِندَ شَخصٍ يَعمَلُ بالدِّباغةِ اسمُهُ سَمعانُ.(2)

١٠

الفصل العاشر

كُورنيليوس

[1]وفي مَدينةِ قَيصريّة كانَ رَجُلٌ رُومانيٌّ اسمُهُ كورْنيليوسُ، وهو ضابِطٌ على الكَتيبةِ الإيطاليّة،(3) [2]وكانَ هو وأهلُ بيتِهِ وَرِعينَ يَخافونَ اللهَ، وهو كَثيرُ التَّصدُّقِ على ذَوِي

(1) تقع يافا على شاطئ البحر وهي حاليًا إحدى ضواحي تل أبيب الحديثة.

(2) تجنّب المتشددون أناسًا أمثال سمعان الدبّاغ لأنّ عمله كان قذراً وتنتج عنه روائح كريهة، واستخدامه للجلود الحيوانية يعني أنّه كان في احتكاكٍ دائمٍ مع الجثث غير الطاهرة. أمّا بطرس، فهو لم يتردّد قط في المكوث عنده.

(3) كانت مدينة القيصرية مركز قيادة جيش الاحتلال الروماني.

الحاجةِ مِن بَني يَعقوبَ وكَثيرُ الصَّلاةِ والعِبادَةِ للهِ. (1) 3وذاتَ يوم خِلالَ وَقتِ العَصرِ، تَجَلّى لهُ مَلاكٌ في رُؤيا (2) وقالَ لهُ: "كُورنيليوسُ". 4فحَدَّقَ إلَيهِ هذا الأخيرُ خائفًا وأجابَهُ: "ما الأمرُ يا سَيِّدي؟" فقالَ لهُ المَلاكُ: "قد تَقَبَّلَ اللهُ مِنكَ صَلواتِكَ وصَدَقاتِكَ، وهو رَاضٍ عَنكَ. 5فَقُمْ وأرسِلْ بَعضَ الرِّجالِ إلى مَدينةِ يافا، واستَدعِ سَمعانَ، المُلَقَّبَ ببُطرُسَ الصَّخر، 6فقد نَزَلَ ضَيفًا عِندَ سَمعانَ الدَّبّاغ في دارِهِ على شاطِئِ البَحرِ". 7وعِندَما انصَرَفَ المَلاكُ، دَعا كُورنيليوسُ اثنينِ مِن خَدَمِهِ وجُنديًّا مِن مُساعِديهِ كانَ على جَانبٍ كَبيرٍ مِنَ التَّقوى، 8وحَدَّثَهُم بِكُلِّ ما رَأى، ثُمَّ أرسَلَهُم إلى يافا. (3)

9وفي اليَوم التّالي وبَينَما كانوا على مَقرُبَةٍ مِنَ المَدينةِ، صَعِدَ بُطرسُ إلى السَّطحِ لِيُصَلِّي خِلالَ وَقتِ الظُّهرِ، (4) 10فأخَذَ مِنهُ الجُوعُ كُلَّ مَأخذٍ، وبَينَما كانوا يُجَهِّزونَ الطَّعامَ، رُفِعَ عَنهُ الحِجابُ. (5) 11فرَأى السَّماءَ وقدِ انشَقَّت، ومُلاءَةً كَبيرةً مَعقودَةً مِن أطرافِها الأربَعةِ مُدَلاّةً إلى الأرضِ، 12مَملوءَةً بجَميعِ أنواعِ الحَيواناتِ مِن دَوابّ وزَواحِف وطُيور، 13وسَمِعَ هاتِفًا يَقولُ: "قُم يا بُطرُسُ اِذبَحْ وكُلْ". 14فأجابَ بُطرسُ: "لا يا سَيِّدي! إنّ مِن بَين تِلكَ الحَيواناتِ ما هو مُحَرَّمٌ أكلُهُ! وأنا لم آكُل في حَياتي حَرامًا بل كانَ طَعامي دائِمًا حَلالاً". 15فأعادَ الهاتِفُ عليهِ القَولَ ثانيَةً: "ما طَهَّرَهُ اللهُ، لاَ تُنَجِّسْهُ أنتَ". 16وتَكَرَّرَ ذلِكَ ثَلاثَ مَرّاتٍ، ثُمَّ ارتَفَعَتِ المُلاءَةُ إلى السَّماءِ، وأفاقَ بُطرسُ.

17وبَينَما كانَ غارِقًا في حَيرتِهِ يَتَساءَلُ عَن مَعنى ما رَأى، كانَ الرِّجالُ الّذينَ جاؤوا مِن عِندَ كورنيليوسَ عِندَ البابِ يَسألونَ عن دارِ سَمعانَ الدَّبّاغ. 18وعِندَما وَصَلوا أخَذوا يُنادونَ سائِلينَ: "هل حَلَّ بَينَكُم ضَيفٌ اسمُهُ بُطرُسُ؟" 19وبَينَما كانَ بُطرسُ غارِقًا في أفكارِهِ يُحاوِلُ تَفسيرَ مَعنى ما جاءَتهُ بِهِ الرُّؤيا، جاءَهُ وَحيٌ مِن رُوحِ اللهِ يُخبِرُهُ: "جاءَ

(1) لم يكن كورنيليوس يهوديًا، ولذلك لم يكن مختونًا، وكان الختان أحد الشروط لكي يصبح الرجل يهوديًا. أمّا كورنيليوس فكان تقيًا وآمن بما جاء في التوراة وغيرها من كتب الأنبياء. وكان هناك العديد من الرجال والنساء الذين آمنوا مثله بتعاليم اليهودية، ولكنّهم لم يستطيعوا قبول جميع التقاليد التي كانت تُطلب منهم ليصبحوا يهودًا.

(2) إنّ الرؤيا تشبه الحلم، ومصدرها اللّه، وهي تحصل عندما يكون الشخص يقظًا أو نائمًا على حدٍّ سواء.

(3) تبعد مدينة يافا عن مدينة قيصرية بحوالي 48 كيلومتر باتّجاه الجنوب.

(4) في ذلك الوقت، كانت صلوات اليهود تقام في الصباح وفي العصر، وكانت هناك صلاة إضافية تقام في الظهر أو في المغرب.

(5) رفع الحجاب هو انكشاف عالم الغيب للناظر ولا يكون ذلك إلا للرسل والأنبياء والأولياء.

ثَلاثةُ رِجالٍ في طَلَبِكَ، [20]فقُمْ وقابِلْهُم واذهبْ مَعهُم بِلا تَرَدُّدٍ فأنا أرسَلتُهُم إليكَ". [21]فاستَجابَ بُطرُسُ ونَزَلَ إلى الرِّجالِ وقالَ لهُم: "أنا مَن جِئتُم تَطلُبونَ، فما سَبَبُ مَجيئِكُم؟" [22]فأجابَهُ الرِّجالُ: "قَدِمنا بِطَلَبٍ مِن كُورنيليوسَ الضّابطِ الرُّومانيّ. وهو الرَّجُلُ الصّالحُ التَّقيُّ، الّذي يَحترِمُهُ بَنو يَعقوبَ، وقد جاءَهُ مَلاكٌ طَلَبَ مِنهُ استِدعاءَكَ لِسَماعِ ما عِندَكَ مِن كَلامٍ".[(1)] [23]فاستَجابَ بُطرسُ الصَّخرُ لِطَلَبِهِم واستَضافَهُم في تِلكَ اللَّيلةِ.

[24]وفي اليَومِ التّالي رَحَلَ مَعَهُم، ومَعَهُ بَعضُ المُؤمِنينَ مِن يافا. [25]وعِندَ وُصولِهِم إلى مَدينةِ قَيصريّةٍ بَعدَ يومٍ مِنَ السَّفَرِ، كانَ كُورنيليُوسُ في انتِظارِهِم وقد دَعا بَعضًا مِن أقاربِهِ وأصدقائِهِ المُقرَّبينَ لكي يَستَمِعوا إلى بُطرُسَ. ولمّا وَصَلَ بُطرسُ ومَن مَعَهُ إلى الدّارِ، خَرَجَ كُورنيليوسُ لاستِقبالِهِ، ورَمى بِنَفسِهِ عِندَ قَدَمَيهِ، ساجِدًا أمامَهُ، [26]فأنهَضَهُ بِسُرعةٍ قائِلاً: "قُم حالاً! إنّما أنا مُجرَّدُ إنسانٍ مِثلُكَ!" [27]ودَخَلَ وإيّاهُ وتَبادَلا الحَديثَ، فوَجَدَ بُطرسُ حَشدًا مِنَ النّاسِ،[(2)] [28]فخاطَبَهُم قائِلاً: "أنتُم تَعلَمونَ جَميعًا تَقاليدَنا الّتي تَمنَعُ اليَهوديَّ مِنَ التَّعامُلِ مَعَ غَيرِ اليَهوديِّ ومِن زيارتِهِ، إلاّ أنّ اللهَ تَعالى بَيَّنَ لي أنّ الإنسانَ مِن أيِّ شَعبٍ كانَ لَيسَ نَجِسًا ولا مَرفوضًا، [29]لِذلِكَ جِئتُكُم دونَ اعتِراضٍ عِندَما أرسَلتُم في طَلَبي. والآنَ أسأَلُكم لِمَ أرسَلتُم في طَلَبي؟" [30]فأجابَهُ كُورنيليوسُ بِقَولِهِ: "بَينَما كُنتُ، مُنذُ أربعةِ أيّامٍ، أُصلّي عَصرًا في داري، ظَهَرَ أمامي فَجأةً رَجُلٌ عليهِ ثِيابٌ بَرّاقةٌ وأخبَرَني: [31]"أيا كُورنيليُوسُ، قد تَقَبَّلَ اللهُ صَلاتَكَ وصَدَقاتِكَ ورَضِيَ عَنكَ، [32]فأرسِلْ بِرِجالٍ إلى مَدينةِ يافا لاستِدعاءِ رَجُلٍ اسمُهُ بُطرسُ، إنّهُ يَنزِلُ ضَيفًا في دارِ سَمعانَ الدَّبّاغِ على شاطِئِ البَحرِ". [33]وهكذا فَعَلتُ، فأرسَلتُ أستَدعيكَ فَورًا، ولَقَد فَعَلتَ حَسَنًا بأنِ استَجَبتَ، وها نَحنُ الآنَ مُجتَمِعونَ في حَضرةِ اللهِ لِنَستَمِعَ إلى كُلِّ ما أمَرَكَ اللهُ بِهِ".

---

(1) لم يستطع بطرس قبول دعوة كورنيليوس للمكوث عنده بسهولة لأنّ اليهود كانوا يعتبرون أنّ دخول بيت إنسانٍ غير يهودي ينجّسهم. وقد عرف بطرس أنّ الذين آمنوا بالسيد المسيح من اليهود كانوا لا يزالون متشدّدين فيما يخصّ التقاليد اليهودية، وأنّهم كانوا سينتقدونه لدخوله بيت أجنبي.

(2) لم يمنع التقليد اليهودي دخول بيوت غير اليهود فحسب، بل منع أيضًا تناول الطعام والشراب معهم. يعني هذا أنّ اليهود المتشدّدين كانوا يمنعون اليهود من تناول الطعام الذي جهّزه غير اليهود، ولذلك كان الناس من بقيّة الأمم يشعرون أنّ اليهود غير اجتماعيين. ولكنّ الله أوحى إلى بطرس بضرورة تغيير هذه العادات بين أتباع السيد المسيح.

كلمة بطرس

[34]وجَلَسَ بُطرُسُ الصَّخرُ ليُحدِّثَهُم فقالَ: "لقد تَيَّقنتُ الآن أنّ النّاسَ جميعًا سَواسيةٌ عِندَ اللهِ، [35]وأقرَبُهُم إليهِ أتقاهُم وأصلَحُهُم للنّاسِ، مَهما كانَ جِنسُهُ. [36]لقد سَمِعتُم بِلا شَكٍّ عنِ البِشارَةِ الّتي بَعَثَها اللهُ إلى بَني يَعقوبَ، الّتي تُعلِنُ بأنّ التَّقرُّبَ إلى اللهِ تَعالى لا يَكونُ إلاّ مِن خِلالِ عيسى المَسيحِ سَيِّدِ جميعِ البَشَرِ. [37]وقد سَمِعتُم أيضًا ما حَدَثَ في أطرافِ فِلَسطين، حَيثُ كانَتِ بِدايَةُ رِسالةِ عيسى في مِنطَقَةِ الجَليلِ بَعدَ التَّطَهُّرِ بالماءِ حَسَبَ دَعوةِ النّبيِّ يَحيى. [38]وعَلِمتُم أنّ اللهَ تَعالى اختارَ، في الوَقتِ عَينِهِ، عيسى النّاصِريَّ فوَهَبَهُ قوّتَهُ ورُوحَهُ القُدّوسَ، وكانَ مَعَهُ أينَما حَلَّ، لقد كانَ ﷺ يَجوبُ كُلَّ الأماكنِ لِيَعمَلَ الخَيرَ وليُبرِئَ كُلَّ مَن كانَ تَحتَ سَطوةِ الشَّيطانِ. [39]ولقد شاهَدنا، نَحنُ الحَوارِيُّونَ، كُلَّ الأعمالِ الّتي قامَ بها سَيِّدُنا عيسى في البِلادِ الّتي يَسكُنُ فيها اليَهودُ، إضافةً إلى القُدسِ، كَما شاهَدنا كَيفَ قَتَلوهُ صَلبًا. [40]ولكنَّ اللهَ بَعَثَهُ حيًّا بَعدَ ثَلاثَةِ أيّامٍ وأظهَرَهُ [41]للَّذينَ اختارَهُم اللهُ مِن قَبلُ لِيَكونوا شُهودًا، ولَيسَ لِكُلِّ الشَّعبِ. ونحنُ الشُّهودُ الَّذينَ أكَلنا وشَرِبنا مَعَهُ بَعدَ أن بَعَثَهُ اللهُ حيًّا. [42]ثُمَّ جاءَ الأمرُ الرَّبّانيُّ بأن نَقومَ بتَبليغِ النّاسِ الرِّسالةَ مُعلِنينَ أنّ عيسى ﷺ هو الّذي عَيَّنَهُ اللهُ تَعالى دَيّانًا للأحياءِ والأمواتِ. [43]ولهُ يَشهَدُ جميعُ الأنبياءِ أنّ كُلَّ مَن يُؤمِنُ بِهِ تُغفَرُ ذُنوبُهُ بشَفاعَتِهِ".

حلول روح الله في المؤمنين

[44]وبَينَما كانَ بُطرُسُ الصَّخرُ يُتابِعُ حَديثَهُ، حَظِيَ الحُضورُ المُنصِتونَ للرِّسالةِ بحُلولِ رُوحِ اللهِ، [45]فأخَذَتِ الدَّهشةُ المُؤمِنينَ مِن بَني يَعقوبَ الّذينَ كانوا برِفقةِ بُطرُسَ، لأنّ اللهَ أفاضَ على غَيرِ اليَهودِ هِبَةَ رُوحِهِ القُدُّوسِ،(1) [46]مِمّا جَعَلَهُم يَتَكَلّمونَ بلُغاتٍ مُختلفَةٍ مُسَبِّحينَ اللهَ. [47]فقالَ بُطرُسُ: "هؤلاءِ تَمَتّعوا بِهِبةِ رُوحِ اللهِ مِثلَنا، فمَنِ الّذي يَمنَعُهُم مِنَ التَّطَهُّرِ بالماءِ صِبغةً للهِ، لِلانضمامِ إلى جَماعةِ سَيِّدِنا عيسى؟" [48]ثُمَّ أمَرَ بتَطَهُّرِهِم بالماءِ باسمِ عيسى المَسيحِ. وطَلَبَ كُورنيليوسُ ومَن مَعَهُ مِن بُطرُسَ الإقامةَ بَينَهُم بِضعَةِ أيّامٍ.

---

(1) إلى ذلك الحين، لم تحلّ روح الله إلاّ على اليهود والسامريين ومن انضمّ إلى الديانة اليهودية دون سواهم. لذلك عندما أعطى اللّه روحه تقدّس وتعالى لغير اليهود، أي غير المختونين، فقد أعلن بذلك قبول الأمم كأعضاء من قوم ميثاقه أيضًا.

١١
الفصل الحادي عشر

بطرس يوضّح ما حدث

[1]وعَلِمَ الحَواريّونَ والمُؤمنونَ مِن بَني يَعقوبَ في بِلادِ يَهوذا بِتَقبُّلِ غَيرِ اليَهودِ لرِسالةِ اللهِ وبإيمانِهِم بسَيِّدِنا عيسى المَسيح ﷺ. [2]وعِندَ عَودةِ بُطرُسَ الصَّخرِ إلى القُدسِ أخَذَ المُؤمنونَ مِنَ اليَهودِ يَنتَقِدونَهُ قائِلينَ: [3]"كَيفَ دَخلتَ بَيتَ أُناسٍ أعرابٍ غَيرِ مَختونينَ وأكَلتَ مَعَهُم!؟"(1) [4]فأخَذَ بُطرُسُ يُوَضِّحُ ما جرى بِالتّفصيلِ قائِلاً: [5]"عِندَما كُنتُ في مَدينةِ يافا وبَينَما كُنتُ أُصَلّي رُفِعَ عني الحِجابُ، فرأيتُ شيئًا مِثلَ مُلاءَةٍ كَبيرةٍ تتدَلّى مِنَ السَّماءِ بأطرافِها الأربعةِ حتّى بَلَغَتني، [6]فأمعَنتُ النَّظَرَ فيها مُتأمِّلاً، فإذا بها مُمتَلِئةٌ أنواعًا مِنَ الحَيواناتِ والطُّيورِ، ما حَلَّ أكلُهُ وما حَرُمَ، [7]ثُمَّ سَمِعتُ هاتِفًا يَقولُ: "قُم يا بُطرُسُ اِذبَح مِنها وكُلْ. [8]فقُلتُ: "كَيفَ ذلِكَ يا سَيِّدي، ولم يَدخُلْ جَوفي شَيءٌ مِنَ المُحَرَّماتِ قَطعًا!" [9]فهَتَفَ الصَّوتُ قائِلاً: "ما طَهَّرَهُ اللهُ، لا تُنَجِّسْهُ أنتَ". [10]مُعيدًا ذلِكَ القَولَ ثَلاثًا. بَعدَ ذلِكَ رُفِعَتِ المُلاءَةُ مِن حَيثُ أُنزِلَت. [11]وفي ذلِكَ الوَقتِ، وَصَلَ ثَلاثةُ رِجالٍ إلى الدّارِ الّتي كُنتُ مُقيمًا فيها، كانوا قد أُرسِلوا مِن مَدينةِ قَيصَريّة لدَعوتي. [12]وجاءَني وَحيٌ مِن رُوحِ اللهِ أن أذهَبَ مَعَهُم دونَ تَرَدُّدٍ مَعَ كَونِهِم مِن غَيرِ اليَهودِ، وهذا ما حَدَثَ، إذ رافَقَني مَعَ أولئكَ الرِّجالِ الثّلاثةِ هؤلاءِ المُؤمنونَ السِّتّةُ مِن يافا إلى أن وَصَلنا إلى دارِ رَجُلٍ فدَخَلناها. [13]فأخبَرَنا الرَّجُلُ برُؤيَتِهِ لمَلاكٍ ظَهَرَ لهُ في دارِهِ قائِلاً لهُ: "أرسِلْ برِجالٍ إلى يافا لاستِدعاءِ سَمعانَ المُلَقَّبِ ببُطرُسَ الصَّخرِ، [14]وسَيُبَلِّغُكُم رِسالةَ النَّجاةِ لكَ ولِجَميعِ أهلِ بَيتِكَ". [15]وما إن شَرَعتُ في تَبليغِها حتّى حَلَّت رُوحُ اللهِ عليهِم، كَما حَدَثَ مَعَنا نَحنُ في أوَّلِ الأمرِ. [16]فتَذكَّرتُ ما كانَ قد أعلَنَهُ سَيِّدُنا عِيسى حِينَ قالَ: "طَهَّرَ النَّبيُّ يَحيى النّاسَ بالماءِ، أمّا أنتُم فسَتُطَهَّرونَ بفَيضٍ مِن رُوحِ اللهِ". [17]وأقولُ لكُم: إذا كانَ اللهُ تَعالى قد مَنّ عليهِم بمِثلِ ما مَنَّ بِهِ علينا عِندَما آمَنّا بسَيِّدِنا عِيسى المَسيحِ، فمَن أنا كي أمنَعَ ما قَدَّرَهُ اللهُ؟!"

[18]وكَفَّ المُؤمِنونَ مِنَ اليَهودِ، بَعدَ سَماعِ كَلامِ بُطرُسَ الصَّخرِ، عَن تَوجيهِ

(1) اعترض هؤلاء اليهود الذين آمنوا بالسيد المسيح على علاقة بطرس بأناسٍ غير مختونين، لأنّ الختان علامة اعتناق اليهوديّة، فكان في نظرهم على علاقة بأناسٍ غير طاهرين.

انتِقاداتِهِم لهُ واقتَنعوا بِكلامِهِ، وسَبَّحوا اللهَ قائلينَ: "لقد أنعَمَ اللهُ بِفَضلِهِ حتّى على غَيرِ اليَهودِ، لِيَتوبوا عنِ ارتِكابِ الآثامِ فتَكونَ لهُم الحَياةُ في دارِ الخُلدِ!"(1)

المؤمنون في مدينة أنطاكية

[19]وتَشَتَّتَ كَثيرٌ مِنَ المُؤمنينَ في مُختلِفِ بِقاعِ الأرضِ بِسَبَبِ الاضطِهادِ الّذي حَلَّ بِهِم بَعدَ مَقتلِ اسطَفان، فتَفَرَّقوا في بِلادِ فينيقيّةَ وقُبرُصَ وأنطاكيةَ، حَيثُ كانوا يُبَشِّرونَ بالرِّسالةِ بَينَ اليَهودِ فَقط. [20]إلاّ أنّ البَعضَ مِنهُم وهُم مِن أصلٍ قُبرُصيٍّ وليبيّ، أخَذوا، عِندَ قُدومِهِم إلى أنطاكية،(2) يَتَحَدّثونَ مَعَ غيرِ اليَهودِ مُبَشِّرينَ بعيسى عليه السلام، [21]وكانَ اللهُ يُعينُهُم في ذلِكَ الأمرِ، وهو ما جَعَلَ الكَثيرينَ مِن غَيرِ اليَهودِ يؤمِنونَ ويُصبِحونَ مِن أتباعِ السَّيِّدِ المَسيحِ عليه السلام.

[22]وبَلَغَ هذا الخَبَرُ جَماعةً مِنَ المُؤمِنينَ في القُدسِ فأرسَلوا بَرنابا إلى مَدينةِ أنطاكِية. [23–24]وكانَ بَرنابا رَجُلاً صالِحًا مُفعَمًا بِرُوحِ اللهِ وبالإيمانِ، وعِندَ وُصولِهِ ورُؤيتِهِ كَيفَ مَنَّ اللهُ بفَضلِهِ على هؤلاءِ الأغرابِ، عَلاهُ فَرَحٌ، وأخَذَ يُشَجِّعُ تِلكَ الجَماعاتِ على التَّمَسُّكِ بسَيِّدِنا عيسى عليه السلام بكُلِّ جَوارِحِهِم. وانضَمَّ عَدَدٌ كَبيرٌ مِنَ النّاسِ إلى جَماعةِ عيسى عليه السلام.

[25]وغادَرَ بَرنابا أنطاكيّة إلى مَدينةِ طَرْسوسَ يَبحَثُ عن شاولَ، [26]وعِندَ عُثورِهِ عليهِ رَجَعَ وإيّاهُ إلى أنطاكية، ومَكَثا هُناكَ سَنةً يَجتَمِعانِ بالمُؤمنينَ ويُعَلِّمانِ عَدَدًا كَبيرًا جِدًّا مِنَ النّاسِ. وفي أنطاكية لُقِّبَ المُؤمنونَ بعيسى عليه السلام بالمَسيحيِّينَ لأوّلِ مَرَّةٍ.(3)

[27]وتَوَجَّهَ آنذاكَ بَعضُ المُؤمِنينَ الّذينَ لهُم كَراماتُ النُّبوءَةِ مِنَ القُدسِ إلى أنطاكية، [28]وهُناكَ أخَذَ واحِدٌ مِنهُم اسمُهُ أغابوسُ يَتَنَبَّأُ، بوَحيٍ مِن رُوحِ اللهِ، بِمَجاعةٍ ستَعُمُّ بِلادَ

(1) كان معظم اليهود يؤمنون بأنّ غيرهم من الناس لا يحصلون على النجاة إلا باعتناق الديانة اليهودية. وقد آمن بعضهم الآخر بأنّهم بحاجة فقط إلى الإيمان بالوصايا التي أعطاها الله للنبي نوح عليه السلام. ولقد بدا واضحًا الآن أنّ الله يعامل غير اليهود معاملته اليهود أنفسهم، وأنّه يقبل كل من أصبح من أتباع سيدنا عيسى المسيح.

(2) كانت مدينة أنطاكية عاصمة مقاطعة سوريا في الإمراطورية الرومانية، ومن أعظم مدنها.

(3) أطلق الناس لقب "مسيحيّ" أو "نصير المسيح" على من يؤمن بالسيد المسيح، والسبب يعود إلى كثرة المؤمنين به عليه السلام في أنطاكية من غير اليهود، وبذلك كانوا يتميّزون عن اليهود. إلى ذلك الحين، كان المؤمنون بالمسيح يعتبرون من أتباع أحد مذاهب اليهودية.

فِلَسطين كُلِّها. ولقد تَحقَّقَ ذلِكَ فِعلاً في عَهدِ القَيصرِ الرُّومانيّ كُلوديُوس. [29]وبسَبَبِ نُبوءةِ أغابوسَ تِلكَ، قَرَّرَ أتباعُ المَسيحِ عليه السلام في أنطاكية إرسالَ إعاناتٍ، كُلٌّ حَسَبَ مَقدِرتِهِ لمُساعدَةِ إخوانِهم مِنَ المُؤمنينَ في مِنطقةِ يَهوذا. [30]وقد أرسَلوها مَعَ شاولَ وبَرنابا اللَذَيْنِ سَلَّماها بدورِهِما إلى كِبارِ جَماعةِ المُؤمنينَ هُناكَ.

١٢
الفصل الثّاني عشر

معجزة إنقاذ بطرس

[1]في تِلكَ الفَترةِ، قامَ المَلِكُ هيرودُسُ أَغْريباسُ(1) باضطِهادِ عَدَدٍ مِن جَماعاتِ المُؤمنينَ، عازمًا على الإيقاعِ بِهِم وإيذائِهِم. [2]فأمَرَ جُنودَهُ بقَتلِ يَعقوبَ الحَواريِّ شَقيقِ يُوحَنّا بحَدِّ السَّيفِ.(2) [3]ولمّا رَأى أنّ هذا يُرضي كِبارَ اليَهودِ، قَرَّرَ القَبضَ أيضًا على حَواريٍّ آخَرَ هو بُطرُس، [4]وكانَ ذلِكَ في فَترةِ الاحتِفالاتِ بعِيدِ الفِصحِ. فزَجَّ بِهِ في السِّجنِ ووَضَعَهُ تَحتَ حِراسةِ أربَعِ فِرَقٍ مِنَ الجُنودِ، في كُلِّ فِرقةٍ أربعَةٌ مِنَ الجُنودِ، حتّى يُقَدَّمَ للمُحاكمةِ على المَلإ بَعدَ انقِضاءِ أيّامِ العِيدِ. [5]وكانَت جَماعاتُ المُؤمنينَ تَجأرُ بدَعواتِها إلى اللهِ دونَ انقِطاعٍ مِن أجلِ بُطرُسَ الصَّخر.

[6]وكانَ بُطرُسُ وهو في سِجنِهِ في اللَّيلةِ الّتي سَبَقَت مُحاكَمتَهُ نائمًا تَحتَ حِراسةِ اثنَينِ مِنَ الجُنودِ، مُكَبّلاً بِسِلسِلَتينِ، وكانَ يَقِفُ على بابِ زِنزانتِهِ عَدَدٌ مِنَ الجُنودِ. [7]وفَجأةً أضاءَ نورٌ في أرجاءِ السِّجنِ، وظَهَرَ مَلاكٌ جَسَّ جَنبَ بُطرُسَ وأيقَظَهُ قائِلاً: "قُم يا بُطرُسُ في الحالِ!" فسَقَطَت مِن يَدَيهِ السَّلاسِلُ. [8]وتابَعَ المَلاكُ كَلامَهُ إليهِ: "شُدَّ

(1) كان أغريباس حفيد الملك هيرودوس الكبير. وعندما كان في الرابعة من عمره، أرسلته أمّه لكي يترعرع في روما. وهناك، صادق أعضاء عائلة الإمبراطور، ومن بينهم غايس كاليغولا. وفي السنة 37 للميلاد، احتلّ غايس عرش الإمبراطورية بعد وفاة طيباريوس، ووهب لصديقه أغريباس عرش البلاد التي كان يحكمها فيليب وليسانيوس في سوريا الجنوبية (انظر لوقا 3: 1)، كما أعطاه لقب "الملك".

(2) كان يحقّ لأغريباس، لأنّه ملك، أن يعدم السجناء (وهو الحقّ الذي لم يكن لمجلس شيوخ اليهود أن يتّخذه لا قبل عهد أغريباس ولا بعده)، وكان الإعدام بالسيف يعتبر أرحم من الصلب، وينفّذ على المواطنين الرومان الذين لم يكونوا مستحقّين (في نظرهم) عار الصليب.

حِزامَكَ، وانتَعِلْ حِذاءَكَ" . فاستَجابَ بُطرُسُ، وأضافَ المَلاكُ قائلاً: "ضَعْ عليكَ عَباءَتَكَ واتبَعْني" . [9]وخَرَجَ بُطرُسُ الصَّخرُ على إثرِ المَلاكِ، ظانًّا أنّهُ في حُلمٍ، غيرَ مُدرِكٍ أنّ ما يَقَعُ لهُ إنّما يَقَعُ يَقَظَةً لا مَنامًا. [10]واجتازَ المَلاكُ نُقطَتَيْ الحِراسةِ الأولى والثّانية، وبَلَغَ البابَ الحَديديَّ المُؤدِّيَ إلى المَدينةِ،(1) فانفَتَحَ البابُ، ونَفَذا مِنهُ إلى الخارجِ، واجتازا شارِعًا واحِدًا ثُمَّ فارَقَ المَلاكُ بُطرُسَ فجأةً وتَرَكَهُ وَحدَهُ.

[11]واستَجمَعَ بُطرُسُ الصَّخرُ حِينئِذٍ وَعيَهُ وقالَ في نَفسِهِ: "تأكَّدتُ الآنَ أنّي لَستُ في حُلمٍ، بل إنّ اللهَ أرسَلَ مَلاكًا لإنقاذي مِن قَبضَةِ هيرودُسَ أغريباسَ، ودَفَعَ عنّي الأذى الّذي كانَ سيُلحِقُهُ بي قادةُ اليَهودِ" . [12]ثُمَّ تَوَجَّهَ بُطرُسُ عِندئذٍ إلى دارِ مَريمَ أُمِّ يُوحَنّا المَعروفِ باسمِ مَرقُس، وكانَ فيها عَدَدٌ كَبيرٌ مِنَ المُؤمنينَ للصَّلاةِ. [13]وطَرَقَ بُطرُسُ البابَ الخارجيَّ، فدَلَفَت الخادِمةُ رَوضةُ لتَعرِفَ مَنِ الطّارِقُ، [14]ومَيَّزَت صَوتَ بُطرُسَ، لكن لِشِدَّةِ فَرَحِها لم تَفتَحِ البابَ، بل جَرَت لإخبارِ مَن في الدّاخِلِ قائلةً: "بُطرُسُ عِندَ البابِ!" [15]فأجابوها مُكَذِّبينَ: "قد جُنِنتِ!" وبعدَ تأكيدِها الخَبَرَ، قالوا: "رُبَّما هذا مَلاكُهُ الحارِسُ" .(2) [16]أمّا بُطرُسُ فقدِ استَمَرَّ بِطَرقِ البابِ. ففَتَحوا لهُ أخيرًا وأصابَتهُم دَهشةٌ عِندَما رأوهُ، [17]فأشارَ لَهُم بُطرُسُ بيدِهِ أنِ اصمُتوا، ثُمَّ أخبَرَهُم كَيفَ أعانَهُ اللهُ على الخُروجِ مِنَ السِّجنِ. وقالَ لهُم: "أخبِروا يَعقوبَ وبَقيّةَ الإخوانِ بكُلِّ هذا" .(3) ثُمَّ خَرَجَ بَعدَئِذٍ قاصِدًا مَكانًا آخَرَ.

[18]وفي الصَّباحِ، وعِندَ طُلوعِ النَّهارِ، سَرَت بَينَ أفرادِ الحَرَسِ بَلبَلةٌ شَديدةٌ بسَبَبِ اختِفاءِ بُطرُسَ. [19]وعِندَما عَلِمَ أغريباسُ باختِفائِهِ، استَجوَبَ الحَرَسَ، ثُمَّ أصدَرَ أمرًا بإعدامِهِم. وتَوَجَّهَ هيرودُسُ أغريباسُ بَعدَ ذلِكَ مِن مِنطَقةِ يَهوذا إلى مَدينةِ قَيصريّةَ حَيثُ أقامَ زَمَنًا قَصيرًا.

موت هيرودس أغريباس

[20]وكانَ هيرودُسُ أغريباسُ آنذاكَ غاضِبًا على أهالي مَدينَتَيْ صُور وصَيدا، فقَدِمَ إليهِ مِنهُم وَفدٌ يَطلُبونَ الصَّفحَ، فقد كانَت مُؤَنُ مَناطِقِهِم مِنَ الطَّعامِ وغَيرِهِ تأتي مِن مَملكتِهِ

---

(1) من الأرجح أنّ بطرس سُجن في قلعة أنطونيا التي تطلّ أبوابها على الحرم الشريف وعلى المدينة أيضًا.

(2) كان الشعب اليهودي يؤمن آنذاك أنّ اللّه وهب لكلّ مؤمنٍ ملاكًا حارسًا يشبه الشخص الذي يحميه.

(3) يعقوب هذا هو أخو سيدنا عيسى الأصغر الذي صار لاحقًا قائد المؤمنين بالسيد المسيح في القدس. وقد احترمه اليهود غير المؤمنين بالمسيح من أجل تقواه.

فعَمِلوا على استِمالةِ قَلبِ بَلاستُس حاجِبِ المَلِكِ، حتّى نَجَحوا أخيرًا فمَنَّ المَلِكُ عليهِم بمُقابلتِهِ.

[21]وفي اليَوم المُحدَّدِ، ارتَدى هيرودُسُ أغريباسُ الزَّيَّ المَلَكيَّ وجَلَسَ على العَرشِ خَطيبًا فيهِم، [22]فكانَ النّاسُ يَهتِفونَ: "ما هذا الصَّوتُ إلاّ صَوتُ إلَهٍ، لا صَوتُ إنسانٍ!" [23]فأرسَلَ اللهُ مَلاكًا ضَرَبَهُ في الحالِ بعِلَّةٍ جَعَلَتِ الدُّودَ يأكُلُ جَسَدَهُ حتّى ماتَ. لأنَّهُ لم يَتَواضَع لذاتِ اللهِ، بَلِ ادَّعى مُشاركتَهُ في صِفاتِهِ.(1)

[24]وفي تِلكَ الفَترةِ كانَت رِسالةُ اللهِ تَنتَشِرُ بِسُرعةٍ وعَدَدُ المُؤمِنينَ بها يَزدادُ، [25]وأتَمَّ بَرنابا وشاولُ مُهِمّتَهُما في القُدسِ، وقَفَلا عائدَينِ إلى أنطاكِية، يَصحَبُهُما مَرقُسُ.

١٣
الفصل الثّالث عشر

إرسال برنابا وشاول للدّعوة

[1]وكانَ مِن بَينِ المُؤمِنينَ في مَدينةِ أنطاكية، رِجالٌ وَهَبَهُم اللهُ كَراماتِ النُّبوءةِ والقُدرةِ على تَعليمِ النّاسِ، وهؤلاءِ هُم: بَرنابا وسَمعانُ الّذي يُدعى الأسود، ولوسيُوسُ مِن مَدينةِ قُورينا في ليبيا، ومَنايِنُ الّذي كانَ قد نَشَأ مَعَ الحاكِمِ أنْتيباسَ بنِ هيرودُسَ مُنذُ طُفولتِهما، وشاولُ. [2]وذاتَ يوم، بَينَما كانَ هؤلاءِ مَأخوذينَ في عِباداتِهِم وَهُم صائِمُونَ، جاءَهُم وَحيٌ مِن رُوحِ اللهِ أنَّ يُكَلِّفوا بَرنابا وشاولَ بإتمامِ الدَّعوةِ الّتي أُختيرا لها. [3]وبَعدَ مَزيدٍ مِنَ الصَّلاةِ والصّيامِ، بارَكَتهُما الجَماعةُ بوَضعِ أيدِيها عليهِما، وصَرَفَتهُما.

في قبرص

[4]فانصَرَفا، مُتَوَجِّهَيْنِ بِوحي مِن رُوحِ اللهِ إلى ميناءِ سُلوكية، ومِنها أبحَرا إلى جَزيرةِ قُبرُصَ. [5]ولمّا وَصَلا الجَزيرةَ نَزَلا في مَدينةِ سلاميسَ، وأخَذا يُعلِنانِ على المَلإِ في بُيوتِ العِبادةِ اليَهوديّةِ رِسالةَ اللهِ. وكانَ مَرقُسُ برِفقَتِهِما يُساعِدُهُما. [6–8]وجالا أنحاءَ الجَزيرةِ بأكمَلِها مُعلِنينَ رِسالةَ المَسيحِ حتّى وَصَلا مَدينةَ بافوسَ. وهُناكَ صادَفا ساحِرًا

---

(1) لقد كتب المؤرخ اليهودي يوسيفوس، الذي عاش في القرن الأوّل للميلاد، عن كفر أغريباس وضرب الله له وطرحه ميتًا بسبب كفره. وبعد موته، أصبحت مناطق نفوذه ولاية رومانية تحت قيادة والٍ روماني.

يَهوديًّا يَدَّعي النُّبوّةَ اسمُهُ باريشوعُ ويُعرَفُ أيضًا باسم عَليم. وكانَ يَنتمي إلى رِجالِ حاشيةِ الحاكمِ الرُّومانيّ سَرْجيوسَ بولُسَ. وكانَ هذا الحاكِمُ رَجُلاً ذَكيًّا، فأرسَلَ وَراءَ بَرنابا وشاوُل لِيَستَمِعَ إلى مَضمونِ رِسالةِ اللهِ، إلاّ أنّ عَليمَ السّاحرَ أخَذَ يُعارِضُهُما مُحاوِلاً مَنعَ الحاكمِ مِنَ الإيمانِ بسَيّدِنا عيسى عليه السلام، [9]فَحدَّقَ شاوُلُ، أي بولُس،(1) في السّاحرِ مُتَفرِّسًا [10]ثُمَّ قالَ لهُ مُقتَديًا بِرُوحِ اللهِ: "ما أنتَ إلاّ عَونٌ مِن أعوانِ إبليسَ! أنتَ عَدوُّ الصَّلاحِ والاستِقامةِ، وإنّكَ لَمَجبُولٌ بالشَّرِّ والخِداعِ! ألا كَفَفتَ عن تَشويهِ سَبيلِ اللهِ المُستَقيمِ؟ [11]ستأتيكَ الآنَ مِن عِندِ اللهِ ضَربةٌ تُعمي بَصَرَكَ إلى حِينٍ، فَتَعجزُ حتّى عن رُؤيةِ نورِ الشَّمسِ". وأظلَمَت في الحالِ عَيناهُ، وأخَذَ يَتَلَمَّسُ طَريقَهُ لِيَعثُرَ على مَن يأخُذُ بيَدِهِ ويَقودُهُ. [12]وأخَذَتِ الدَّهشةُ مِنَ الحاكمِ كُلَّ مأخذٍ، وانبَهَرَ بقُوّةِ رِسالةِ سَيِّدِنا عيسى عليه السلام، فآمَنَ بِهِ.

في أنطاكية الواقعة في منطقة بيسيدية

[13]وانتَقَلَ بُولسُ ورَفيقاهُ مِن بافوسَ مُبحِرينَ إلى ميناءِ بَرجَة في مِنطقةِ بَمْفيليّة. وفارَقَهُما مَرقُسُ عائِدًا إلى القُدس، [14]ثُمّ تَركا بَرجةَ ورَحَلا بَرًّا إلى مَدينةِ أنطاكية في مِنطقةِ بيسيديّة،(2) وإثرَ وصُولِهِما، ذَهَبا يومَ السَّبتِ إلى بَيتِ العِبادةِ وجَلَسا هُناكَ. [15]وبَعدَ أن تَلا الحاضِرونَ بَعضَ ما جاءَ في التَّوراةِ وغَيرِها مِن كُتُبِ الأنبياءِ حَسَبَ عادتِهِم، أرسَلَ المَسؤولونَ إليهِما قائِلينَ: "أيُّها الأخْوانِ، إن كانَ لَدَيكُما كَلامٌ يُشَجِّعُ الحاضِرينَ على الإيمانِ فتكَلّما". [16]فوَقَفَ بولسُ وأشارَ بيدِهِ لِيَسكُتوا ثُمَّ قالَ: "أَصْغوا إليَّ يا بَني يَعقوبَ، أنتُم وغَيرُكُم مِمَّن تَتَّقونَ اللهَ. [17]لقدِ اختارَ اللهُ آباءَنا الأوّلينَ لِيَجعَلَ مِنهُم أُمّةً لهُ، وقد تَكوّنَتِ هذهِ الأُمّةُ. وفي يَومٍ مِنَ الأيّامِ تَغرَّبَت في أرضِ مِصرَ، لكنّ اللهَ جَعَلَها تَتَكاثَرُ وتَتَقوّى فأخرَجَها، بقُدرتِهِ العَظيمةِ، مِنَ العُبوديّةِ الّتي كانَت تُعاني مِنها إلى نورِ الحُرّيّةِ. [18]ثُمّ صَبَرَ على فَسادِها على مَدى أربَعينَ سَنةً عِندَما كانَت تائهةً في الصَّحراء. [19]وأهلَكَ سَبعَ أُمَمٍ وَثَنيّةٍ في بِلادِ كَنعانَ، واستأمَنَهُم أرضَها. [20]وقد جَرى ذلِكَ على مَدى أربعِ مِئةٍ وخَمسينَ سَنةً. ثُمّ جَعَلَ فيهِم قادةً أبطالاً يُدافِعونَ عَنهُم حتّى جاءَ عَهدُ النّبيِّ صَموئيلَ. [21]عِندئذٍ طَلَبوا مِنَ اللهِ أن يُنصِّبَ عليهِم مَلِكًا، فَمَنَحَهُم

(1) لم يغيّر شاول اسمه، بل كان له اسم يهودي واسم روماني. وعندما كان يسافر في مناطق يتكلّم سكانها اليونانية، كان يستخدم اسمه الروماني، لأنّه كان يُعرف أكثر تحت هذا الاسم.
(2) كانت بمفيليّة وبيسيديّة منطقتان تقعان فيما يُعرف اليوم بجنوب تركيا.

طالوتَ بنِ قَيسٍ مِن قَبيلةِ بِنيمينَ مَلِكًا عليهِم مُدّةَ أربعينَ عامًا، [22]ثُمَّ أزاحَهُ ليَجعَلَ النّبيَّ داوُدَ مَلِكًا عليهِم بَدَلاً مِنهُ، وشَهِدَ لهُ اللهُ قائِلاً: "إنّي أرى في داوُدَ بنِ يَسّى الرَّجُلَ الّذي يَعمَلُ على مَرضاتي، ويَقومُ بكُلِّ ما آمُرُهُ بِهِ". [23]لِذا، كانَ وَعدُ اللهِ لبَني يَعقوبَ أن يَجعَلَ أحَدَ أحفادِهِ مُنقِذًا لهُم، وكانَ ذلِكَ المُنقِذُ هو عيسى النّاصريّ. [24]لكن، قَبلَ قُدومِهِ ﷺ، جاءَ النَّبيُّ يَحيى يَدعو جَميعَ بَني يَعقوبَ إلى التّوبةِ والتَّطَهُّرِ بالماءِ، [25]وفي خِتامِ دَعوتِهِ خاطَبَهُم قائِلاً: "هل تَظُنّونَ أنّني المَسيحُ المُنتَظَرُ؟ أنا لَستُ هو، إنّهُ آتٍ بَعدي، وأنا لا أرتَقي إلى شَرَفِ حَلِّ رِباطِ حِذائِهِ".

[26]وتابَعَ بُولسُ قائِلاً: "إخواني، يا ذُرّيّةَ إبراهيمَ، ويا أيُّها المُتّقونَ مِن غيرِ اليَهودِ،(1) إنّ هذِهِ الرِّسالةَ رِسالةُ نَجاتِنا الّتي أرسَلَها اللهُ إلينا، [27]إلاّ أنّ أهلَ القُدسِ وقادتَهُم لم يُدرِكوا أنّ سَيِّدَنا عيسى هو المُنقِذُ المَوعودُ، لأنّهُم لم يَفهموا ما كانوا يَسمَعونَ كُلَّ سَبتٍ عن تِلكَ النُّبوءاتِ مِن آياتٍ وَرَدَت في كُتُبِ الأنبياءِ، فحَكَموا عليهِ بالمَوتِ. [28]وهكَذا تَحَقّقَتِ النُّبوءاتُ! وعلى الرَّغمِ مِن أنّهُم لم يُثبِتوا عليهِ أيَّ جُرمٍ يَستَحِقُّ المَوتَ، فقد طَلَبوا مِن بيلاطُسَ إعدامَهُ. [29]وبَعدَ أن تَحَقّقَ ما جاءَ في الكُتُبِ السَّماويّةِ عنهُ، أنزَلوهُ عنِ الصَّليبِ، وسَجّوهُ القَبرَ. [30]ولكنَّ اللهَ بَعَثَهُ حيًّا، [31]فظَهَرَ على مَدى عِدّةِ أيّامٍ لرِفاقِهِ مِنَ الجَليلِ إلى القُدسِ، وهؤلاءِ هم شُهودُهُ بَينَ أفرادِ شَعبِنا.

[32]ونَحنُ الآنَ أتَينا لنَشهَدَ لكُم بالبِشارةِ: إنّ اللهَ وَعَدَ آباءَنا الأوّلينَ أن يُرسِلَ مُنقِذًا، [33]وها هو يُتِمُّ وَعدَهُ لنا نَحنُ الأبناءَ، بإرسالِ سَيِّدِنا عيسى، كَما جاءَ في المَزمورِ الثّاني مِنَ الزَّبورِ: "أنت أقرَبُ إليّ مِنَ الابنِ مِن أبيهِ، واليومَ على العَرشِ أجلَسناكَ."(2) [34]وأقامَ اللهُ سَيِّدَنا عيسى مِنَ المَوتِ، ولم يَتَعرَّض جَسَدُهُ للفَناءِ قَطعًا. ولقد وَرَدَ هذا

---

(1) "ذرية إبراهيم": هم اليهود الذين كانوا يستمعون إليه. و"المتّقون" هم الأغراب الذين كانوا يؤمنون بالله ولكنّهم لم يدخلوا الديانة اليهودية من خلال الختان.

(2) يقتبس الحواري بولس هنا من الزبور، مزمور 2: 7. وقد استخدمت بعض الترجمات العربية العبارة التالية: "أنت ابني أنا اليوم ولدتُك"، أمّا التعبير الأصلي في اللغة اليونانية الموحى بها فلا يشير إلى ولادة تناسلية لسيدنا عيسى ولا إلى أصله الإلهي، ولكنّه يشير إلى تتويجه ملكا. وقد استعمل الحواريون هذه الكناية في حديثهم عن تتويج المسيح الملك، كما وردت في المزمور 2، وأشعيا 9: 6، والمزمور 110: 3 (في الترجمة اليونانية) وضمنيا في كتاب صموئيل الثاني 7: 12-14. لقد بدأت ولادة سيدنا عيسى، بالمفهوم المجازي المشار إليه، من لحظة بعثه من الموت، ثم اكتملت بصعوده إلى عرشه في السماء. طبعا لم يأت سيدنا المسيح إلى الوجود في ساعة ولادته بذلك =

في قَولِ اللهِ عَزّ وجلّ: "أُعطيكَ البَرَكاتِ المُقَدَّسةَ الّتي وَعَدتُ بها داودَ". [35]وجاءَ في مَزمورٍ آخَرَ أيضًا: "لن تَسمَحَ أن يَتعَفَّنَ جَسَدُ عَبدِكَ المُقَدَّسِ في القَبرِ". [36]واضِحٌ، يا إخواني، أنّ النّبيَّ داوُدَ لا يُشيرُ هُنا إلى نَفسِهِ، فقد عاشَ طولَ حَياتِهِ يُرضي اللهَ، ثُمَّ تُوُفِّيَ ودُفِنَ مَعَ آبائِهِ، وتآكَلَ جَسَدُهُ تَحتَ التُّرابِ. [37]بل كانَ النّبيُّ داود يُشيرُ إلى سَيِّدِنا عيسى الّذي أحياهُ اللهُ، فلم يَتعَرَّض جَسَدُهُ للفَناءِ. [38]فاعلَموا يا إخوتي إنّما بِشَفاعةِ عيسى يَغفِرُ اللهُ لكُم ذُنوبَكُم، [39]وكُلُّ مَن يؤمِنُ بِهِ يَتَحَرَّرُ مِنَ الخطايا الّتي لم تَكُن لتُحَرِّرَكُم مِنها تَوراةُ النّبيِّ موسى. [40]واحذَروا أن تَقَعوا في ما حَذَّرَ مِنهُ النّبيُّ حَبَقوق: [41]"أيُّها المُستَهزِئونَ بِوُعودي، ستُصيبُكُم الدَّهشةُ وتَموتونَ لأنّي سأُنزِلُ في زَمانِكُم خَرابًا على دِيارِكُم، خَرابًا لو أخبَرَكُم بِهِ أحَدٌ ما صَدَّقتُموهُ".

[42]وبَينَما كانَ بُولُسُ وبَرنابا يُغادِرانِ بَيتَ العِبادةِ، طَلَبَ النّاسُ مِنهُما مُواصَلةَ الحَديثَ عن نَفسِ المَوضوعِ في السَّبتِ التّالي. [43]وعِندَ انتِهاءِ اللِّقاءِ، انضَمَّ إلى بُولسَ وبَرنابا كَثيرٌ مِنَ اليَهودِ وغَيرُهُم مِمَّن سَبَقَ أن تَهَوَّدوا فشَجّعاهُم أن يَكونوا مُخلِصينَ على الدَّوامِ بفَضلٍ مِنهُ تَعالى.

[44]وهكذا عِندَما حَلَّ السَّبتُ المُنتَظَرُ، تَجَمَّعَ حَشدٌ كَبيرٌ مِن أهلِ المَدينةِ للإصغاءِ إلى الحَديثِ الدّائرِ حَولَ سَيّدِنا عيسى ﵇. [45]ولكنّ بَعضَ اليَهودِ، عِندَما رأوا تِلكَ الحُشودَ الغَفيرَةَ، امتلأتْ قُلوبُهُم غَيرَةً فبَدَؤوا يُعارِضونَ كَلامَ بولُسَ ويُهينونَهُ، [46]فتَوَجَّهَ بولسُ وبَرنابا إليهِم بجُرأةٍ قائلَيْنِ: "يا رِجالَ بَني يَعقوبَ، كانَ علينا تَبليغُكُم أنتُم أوّلاً رِسالةَ اللهِ، لكنّكُم بَعدَ رَفضِكُم إيّاها، أثبَتُّم أنّكُم لا تَستَحِقّونَ دارَ الخُلودِ! لِهذا السَّبَبِ، سنَتَوَجَّهُ بتَبليغِ تِلكَ الرِّسالةِ إلى الشُّعوبِ الأُخرى! [47]وهذا تَنفيذًا لأمرِ اللهِ كَما جاءَ في كِتابِ النّبيِّ أشَعيا: "جَعَلناكَ نورًا للأُمَمِ، لتَحمِلَ النَّجاةَ إلى آخِرِ الأرضِ".
[48]ففَرِحَ النّاسُ مِن غَيرِ اليَهودِ وسَبَّحوا اللهَ شاكِرينَ لإنعامِهِ عليهِم برِسالةِ السّيِّدِ المَسيحِ ﵇، ودَخَلَ في الإيمانِ كُلُّ مَن قَدَّرَ اللهُ لهُمُ التَّنَعُّمَ في دارِ الخُلدِ.

[49]وهكذا، انتَشَرَت رِسالةُ سَيِّدِنا عيسى ﵇ في جَميعِ أنحاءِ تِلكَ المِنطقةِ. [50]وحَرَّضَ قادةُ اليَهودِ النِّسوةَ المُتَدَيِّناتِ ذَواتِ الشَّأنِ ووُجَهاءَ المَدينةِ على بُولسَ

= المعنى، كما لم يكتسب الألوهية في تلك الساعة، بل هو كلمة الله منذ الأزل. فالولادة إذن تشير إلى تتويجه مسيحا ملكا. ورغم أنه سُمّي ملكا قبل ذلك، إلاّ أنّ ذلك لم يكن قد أعلن بعدُ على رؤوس الملأ، كما أنّ تتويجه في السماء لم يتمّ إلى حين صعوده.

وبَرنابا، مِمّا تَسبَّبَ في اضطِهادِهِما وطَردِهِما مِن تِلكَ المِنطقة. (1) [51]فنَفَضَ حينَئذٍ بولسُ وبَرنابا الغُبارَ عن أرجُلِهِما ورَحَلا إلى مَدينةِ إيقونية. (2) [52]أمّا بالنِّسبةِ إلى المُؤمنينَ في مَدينةِ أنطاكية في بِيسيديّة، فكانوا مُمتَلئينَ فَرَحًا وقد غَمَرَهُم اللهُ برُوحِهِ القدُّوس.

١٤
الفصل الرّابع عشر

في مدينة إيقونية

[1]كانَت وِجهَةُ بولُسَ وبَرنابا مَدينةَ إيقونية، حَيثُ قَصَدا بيتَ العِبادةِ اليَهوديَّ، وأخَذا يَتَحدّثانِ عن رِسالةِ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، مِمّا جَعَلَ الكَثيرينَ مِنَ اليَهودِ وغَيرِهِم يُؤمِنونَ بِسَيِّدِنا عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ. [2–3]ولذلِكَ مَكَثَ بُولسُ وبَرنابا في إيقونية مُدّةً طَويلةً واستَمرّا في نَشرِ الرِّسالةِ فيها مُتَحدِّثَيْنِ بطَلاقةٍ عن سَيِّدِنا عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وعن فَضلِهِ، مُظهِرَيْنِ آياتٍ وعَجائبَ بِتأييدٍ مِنَ اللهِ. وبَقِيَ هُناكَ عَدَدٌ مِنَ اليَهودِ الّذينَ قاوَموا رِسالةَ اللهِ، وأخَذوا يُثيرونَ النّاسَ ضِدَّ بولُسَ وبَرنابا وسَمَّموا أفكارَهُم وجَعَلوهُم يَرفُضونَ تِلكَ الرِّسالةَ. [4]فَانقَسَمَ أهلُ المَدينةِ إلى فِئتينِ، فِئةٍ انحازَت إلى الحَوارِيَّينِ بولُسَ وبَرنابا، وأُخرى إلى اليَهودِ الرّافِضينَ للرِّسالةِ. [5]وحِيكَتْ بَينَ هَؤلاءِ بالتَّعاوُنِ مَعَ قادتِهِم وآخَرينَ مِن غَيرِ اليَهودِ مُؤامَرةٌ لشَنِّ هُجومٍ على بُولسَ وبَرنابا ورَجْمِهِما. [6–7]فلمّا أحَسَّ الحَوارِيّانِ بهذِهِ المُؤامَرةِ فَرّا هارِبَيْنِ باتِّجاهِ مِنطقةِ ليقونية، حَيثُ شَرَعا في نَشرِ الرِّسالةَ بمَدينةِ لِستَرَة، ثُمَّ دَربَة، بالإضافةِ إلى المَناطِقِ المُجاوِرة.

في لسترة ودربة

[8]وفي مَدينةِ لِستَرَة، وَجَدَ بولُسُ وبَرنابا رَجُلاً كَسيحًا مُنذُ وِلادتِهِ، لم يَخطُ

(1) يسجّل الكتّاب القدامى أنّ عددا من النساء الوثنيات النبيلات كنّ مهتمّات جدًا بالديانة اليهودية. ولم يكن عليهن الختان مثل الرجال إذا قرّرن اعتناق اليهودية. طبعًا كانت هذه الجماعة من النساء قادرات على التأثير في أزواجهنّ ذوي النفوذ.

(2) كان نفض الغبار الوسيلة التي كان اليهود يستخدمونها في زمن السيد المسيح ليظهروا رفضهم لمَن كانوا يعتبرونهم وثنيين. وبما أنّ بولس وبرنابا قاما بهذا الفعل، فقد اعتبرا أنّ قادة اليهود أصبحوا كالوثنيين.

خُطوةً واحِدةً. [9]وكانَ يُصيخُ السَّمعَ إلى بُولسَ عِندَ خِطابِهِ. فتفَرَّسَ بولُسُ في وَجهِهِ مَلِيًّا، وأحسَّ أنّهُ يَملِكُ إيمانًا راسِخًا يُؤهّلُهُ ليَكونَ مَوضِعَ الشِّفاءِ بِقُوّةِ سَيِّدِنا عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، [10]فما كانَ مِن بولُسَ إلاّ أن كَلّمَهُ بصَوتٍ مُرتَفِعٍ قائلاً: "قُم وقِفْ على قَدَمَيكَ!" وهكذا، وَقَفَ الرَّجُلُ على قدَميهِ وأخَذَ يَمشي. [11]وعِندَما رَأى النّاسُ عَمَلَ بولُسَ ذاكَ، أخَذوا يَصرُخونَ بلُغَتِهِم اللّيقونيّة قائِلينَ: "تَجَسَّدَتِ الآلهةُ في شَكلِ بَشَرٍ وحَلَّت بَينَنا!" [12]مُعتَبرينَ بَرنابا الإلهَ زِيُوسَ، رَئيسَ الآلِهَةِ، وبُولسَ الإلَهَ هِرْمِسَ، مِرسالَ الآلِهة لأنّهُ كانَ المُتَحدِّثَ الرَّئيسيَّ فيهِما. [13]إلاّ أنّ بُولسَ وبَرنابا لم يُدرِكا ما يَقصِدُهُ هؤلاءِ النّاسُ. وكانَ بِالقُربِ مِنَ المَدينةِ مَعبَدٌ للإلهِ زيُوسَ، فجَعَلَ الكاهِنُ يأتي بعُجُولٍ مُزَيَّنةٍ بأكاليلِ الزَّهرِ إلى بَوّابَةِ المَدينةِ حَيثُ كانَ بُولسُ وبَرنابا واقفَيْنِ، ليُريقَ مَعَ بَقيّةِ النّاسِ دَمَها قَرابينَ عِندَ أقدامِهِما باعتِبارِهِما إلهَينِ، [14]وعِندَما أدرَكَ بُولسُ وبَرنابا ذلِكَ، أخَذا بتَمزيقِ ثِيابِهِما احتِجاجًا، وأسرَعا إلى المُجتَمِعينَ هُناكَ صائحَيْنِ بحَماسةٍ: [15]"أيُّها النّاسُ، لِمَ تَقومونَ بِمِثلِ تِلكَ الأعمالِ؟! إنّما نحنُ بَشَرٌ مِثلُكم! ولقد حَمَلنا إليكُم رِسالةَ اللهِ نُبَلِّغُكُم إيّاها وهي تَدعوكُم إلى التَّخلّي عنِ القِيامِ بهذِهِ الأُمورِ الباطلةِ، وإلى الإيمانِ باللهِ الحَيِّ القَيّومِ الّذي خَلَقَ هذا الكَونَ بسَمائِهِ وأرضِهِ وبحارِهِ وبكُلِّ ما فيهِ! [16]فلقد كانَت جَميعُ الأُمَمِ في الماضي تَسيرُ وِفقَ أهوائِها، [17]على الرَّغمِ مِن أنّ اللهَ يُذَكِّرُهُم دائمًا بوُجُودِهِ مِن خِلالِ آياتِهِ مِن أمطارٍ وثِمارٍ تُشبِعُهُم خَيراتُها فتَمتَلِئُ قُلوبُهُم سَعادةً".

[18]ولم يَستَطِعْ بَرنابا وبُولسُ، رَغمَ كلامِهِما، أن يَرُدّا النّاسَ عن تَقديمِ الأضاحي لهُما إلاّ بِصُعوبةٍ كَبيرةٍ.

[19]فجاءَ بَعضُ اليَهودِ مِن مَدينتَي إيقونيَة وأنطاكيَة، واستَطاعوا تَحريضَ الحُشودِ ضِدَّ بُولسَ وبَرنابا، فرَجَموا بُولسَ وألقَوا بِهِ خارِجَ المَدينةِ، وتَركوهُ هُناكَ ظانِّينَ أنَّهُ قد ماتَ.(1) [20]والتَفَّ حَولَهُ عَدَدٌ مِنَ المُؤمِنينَ، فوَجَدوهُ على قَيدِ الحَياةِ، ثُمَّ استَعادَ قُوّتَهُ ونَهَضَ ودَخَلَ المَدينةَ، وسافَرَ في اليَومِ التّالي صُحبةَ بَرنابا إلى مَدينةِ دَربَة.

(1) عندما أنكر بولس وبرنابا كونهما آلهة، فمن الممكن أن الجموع ظنت أنّهما قاما بشفاء الكسيح عن طريق السحر، ومن شدّة الخوف انضمّ الناس إلى قادة اليهود وبدؤوا يرجمون معهم بولس وبرنابا.

العودة إلى مدينة أنطاكية

[21]وفي مَدينةِ دَربَة، أخَذَ الحَوارِيّانِ بولُسُ وبَرنابا يُبَشِّرانِ برِسالةِ المَسيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، واستَطاعا كَسبَ عَدَدٍ كَبيرٍ مِنَ المُؤمِنينَ. ثُمَّ قَفَلا عائِدَيْنِ إلى لِسْترة وإيقونية وأنطاكية في مِنطَقَةِ بيسيديّة، [22]داعمَيْنِ المُؤمنينَ شادَّيْنِ مِن عَزائمِهِم وأزرِهِم ليُثَبِّتوا إيمانَهُم بسَيِّدِنا عيسى قائلَيْنِ: "علينا أن نُقاسي الكَثيرَ مِنَ الشَّدائدِ لدُخولِ مَملكةِ اللهِ الأبديّةِ". [23]ثُمَّ عَيَّنا شُيوخًا في كُلِّ جَماعةٍ مِن جَماعاتِ المُؤمنينَ، وبَعدَ أدائِهِما الصَّلاةَ والصِّيامَ استَودَعاهُم في حِمايةِ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مَولاهُم الّذي آمَنوا بِهِ.(1) [24]ثُمَّ تَوَجَّها لاحِقًا إلى بيسيديّة ثُمَّ بَمْفيليّة [25]حتّى وَصَلا مَدينةَ بَرجَة الّتي نادَيا فيها بالرِّسالةِ، ونَزَلا بَعدَئذٍ إلى السّاحِلِ، حَيثُ مَدينةُ أتّالية [26]مُبحِرَيْنِ مِن هُناكَ باتِّجاهِ أنطاكية في سُوريا، المَدينةِ الّتي مِنها خَرَجا سابِقًا بمُوافَقةِ إخوتِهِما في الإيمانِ، في رِعايةِ اللهِ، إلى أماكنَ أُخرى لتَبليغِ الرِّسالةِ.

[27]وعِندَ وُصولِهِما مَدينةَ أنطاكية، جَمَعَ بولُسُ وبَرنابا المُؤمِنينَ ليُخبِراهُم بما فَتَحَ اللهُ عليهِما مِن أعمالٍ قاما بها، وهو ما فَتَحَ الأبوابَ أمامَ مُختَلِفِ الشُّعوبِ للإيمانِ، [28]ومَكَثا هُناكَ وَقتًا طَويلاً مَعَ المُؤمِنينَ.

١٥
الفصل الخامس عشر

فتوى مجمع المؤمنين في القدس

[1]وذاتَ مَرّةٍ، وَصَلَ أنطاكيةَ بَعضُ أتباعِ المَسيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ اليَهودِ قادِمينَ مِن مِنطَقةِ يَهوذا، وأخَذوا يَحُثّونَ المؤمنينَ غيرَ اليَهودِ على الخِتانِ الذي نَصَّتْ عليهِ التَّوراةُ، زاعِمينَ أنّهُم لن يَكونوا مِنَ النّاجينَ إن لم يُطبِّقوهُ.(2) [2-3]فقامَ خِلافٌ شَديدٌ بينَ بُولسَ

(1) كان على رأس معظم بيوت العبادة اليهودية شيوخٌ يقودون الجماعة، وقد اتّبع المؤمنون بالسيد المسيح الطريقة عينها في اجتماعاتهم.

(2) كان معظم اليهود يعتبرون أنّ الشخص لا يمكنه أن ينتمي إلى الشعب اليهودي، الذي يُعتبر شعب اللّه المختار، إلاّ من خلال الختان بالنسبة إلى الرجال والتطهّر بالماء بالنسبة إلى الرجال والنساء. وكان اليهود يعتبرون غيرهم من الأمم غير طاهرين إلى أن يقوموا بهاتين الفريضتين.

وبَرنابا مِن جِهةٍ، وبَينَ هؤلاءِ مِن جِهةٍ أُخرى. فقَرَّرَ المُؤمِنونَ في أنطاكيَة إرسالَ بولُسَ وبَرنابا مَعَ بَعضٍ مِنهُم إلى القُدسِ، للبَحثِ في تِلكَ المَسألةِ مَعَ الحَوارِيِّينَ والمَسؤولينَ في جَماعاتِ المُؤمِنينَ هُناكَ، وللحُصولِ على فَتوًى في ذلِكَ الأمرِ.(1) فخَرَجوا إلى القُدسِ، وفي طَريقِهِم مَرُّوا ببِلادِ فينيقيّة والسّامِرةِ، حَيثُ كانوا يُعلِنونَ لأتباعِ السَّيِّدِ المَسيحِ عنِ اهتِداءِ غَيرِ اليَهودِ إلى الإيمانِ بِهِ سَلامُهُ عَلَينا، مِمّا أشاعَ بَينَ المُؤمِنينَ الفَرَحَ الشَّديدَ. [4]وعِندَ وُصولِهِم مَدينةَ القُدسِ استَقبَلَهُمُ المُؤمِنونَ والحَوارِيّونَ ومَسؤولو جَماعاتِ المُؤمِنينَ. ثُمَّ أخَذوا يُحَدِّثونَهُم عنِ الأعمالِ الّتي قاموا بها بِعَونِ اللهِ. [5]وعِندَئذٍ، قامَ بَعضُ أتباعِ المَسيحِ سَلامُهُ عَلَينا مِن طائفةِ المُتَشَدِّدينَ وطَلَبوا فَرضَ الخِتانِ على المُؤمنينَ طِبقًا لِما جاءَ في شَريعَةِ موسى عليه السلام في التَّوراةِ.(2)

[6]وعُقِدَ اجتِماعٌ ضَمَّ الحَوارِيِّينَ ومَسؤولي جَماعاتِ المُؤمِنينَ للنَّظَرِ في تِلكَ المَسألةِ. [7]وبَعدَ جَدَلٍ طَويلٍ، قامَ بُطرُسُ بَينَهُم خَطيبًا وقالَ: "يا إخوتي، أنتُم على عِلمٍ بأنّ اللهَ قدِ اختارَني مِن بَينِكُم مُنذُ وَقتٍ لمُهِمَّةِ تَبليغِ رِسالةِ سَيِّدِنا عيسى لغَيرِ اليَهودِ، حتّى يَكونَ بِوُسعِهِمِ الإنصاتُ إلى الرِّسالةِ فيؤمِنوا بالمَسيحِ المُنقِذِ. [8]وبما أنّ اللهَ هو الأعلَمُ بما في القُلوبِ، بَيَّنَ للجَميعِ أنّهُ قَبِلَهُم وجَعَلَهُم مِن عِبادِهِ الفائزينَ، لأنّهُ أمَدَّهُم برُوحِهِ تَقدَّسَ وتَعالى كَما فَعَلَ مَعَنا تَمامًا، [9]وبِهذا، فإنّ اللهَ لم يُفَضِّلنا عليهِم، فقد طَهَّرَ قُلوبَهُم لإيمانِهِم بسَيِّدِنا عيسى، دونَ أن يُوجِبَ عليهِمِ الخِتانَ. [10]فلِماذا تُخالِفونَ إرادَةَ اللهِ وتَتَدَخَّلونَ في شُؤونِهِ؟ نعم، أنتُم تُخالِفونَ إرادةَ الله فتأمرونَ هؤلاءِ المُؤمنينَ بِتَقاليدَ يَهوديّةٍ أثقَلَت ظُهورَنا وظُهورَ آبائِنا، [11]ونَحنُ على يَقينٍ بأن لا فَرقَ بَينَنا وبَينَهُم، لأنّنا أصبَحنا، كُلُّنا على حَدٍّ سَواءٍ، مِنَ النّاجينَ بفَضلِ سَيِّدِنا عيسى سَلامُهُ عَلَينا".

---

(1) كان المؤمنون بالمسيح خارج فلسطين يحكمهم الشيوخ المحليّون، لا السلطة المركزية في القدس، ولكن المؤمنين خارج فلسطين كانوا بحاجة إلى سماع رأي المؤمنين المتقدّمين في القدس من أجل حلّ المشاكل التي كانوا يواجهونها مع مَن ادّعوا أنّهم موفدون من قبل المؤمنين بالمسيح من خلفية يهودية. ولو لم تتوصّل تلك المجموعات من المؤمنين إلى حلّ، لحصل الانشقاق الكامل بين مؤمني القدس ومنطقة يهوذا من جهة، ومؤمني أنطاكية والمناطق غير اليهودية من جهة أخرى.

(2) كانت طائفة المتشدّدين من أهمّ فروع اليهودية. وبالنسبة إلى المؤمنين الأوائل بالمسيح، لم يوجد فرق بين إيمانهم اليهودي وبين إيمانهم بالسيد المسيح، والكثير من المؤمنين حافظوا على علاقات متينة مع حزبهم الديني اليهودي.

[12]وبَعدَ حَديثِ بُطرُسَ الصَّخرَ رانَ صَمتٌ على الجَميعِ، وبَدَؤوا يُصغونَ إلى حَديثِ بَرنابا وبُولُسَ عنِ المُعجِزاتِ والآياتِ الَّتي جَرَت على أيدِيهِما والَّتي مَنَّ اللهُ عليهِما بإجرائِها بَينَ غَيرِ اليَهودِ. [13]وعِندَ انتِهائِهِما مِن حَديثِهِما، انبَرى يَعقوبُ قائِلاً: [14]"أيا إخوتي، هلا تُصغونَ إليَّ، لقد ذَكَّرَكُم بُطرُسُ الصَّخرُ كَيفَ أنعَمَ اللهُ تَعالى بفَضلِهِ وللمَرَّةِ الأولى على أُناسٍ مِن غَيرِ اليَهودِ ليَجعَلَهُم مِن أُمَّتِهِ، [15]وهذا يُوافِقُ ما جاءَ على لِسانِ النّبيِّ عاموس: [16]"قالَ تَعالى: "سيأتي زَمَنٌ فيهِ أعودُ وأرحَمُ بَني يَعقوبَ فأُشَيِّدُ مَملكةَ النّبيِّ داود المُتَهَدِّمة،(1) وأُعيدُ الحُكمَ لنَسلِهِ [17]لكَي تَهتَدي إليّ سائرُ شُعوبِ الدُّنيا الّذينَ اختَرتُهُم ليَكونوا مِن عِبادي". [18]هذا ما يَقولُهُ اللهُ الّذي أوحى بهذِهِ الأُمورِ مُنذُ القِدَم. [19]أمّا بشأنِ المُهتَدينَ مِن غَيرِ اليَهودِ، فعَلينا ألاّ نُثقِلَ عليهِم بالتَّقاليدِ اليَهوديّةِ، [20]ولكن لا بُدَّ أن نَكتُبَ لهُم عن تَحريم لُحوم القَرابينِ المُقَدَّمةِ للأوثانِ، وتَحريم الزَّواجِ مِنَ المَحارِمِ، وتَحريم الدَّم والمُنخَنِقةِ.(2) [21]وهم بَلا شَكٍّ يَعلمونَ هذِهِ الأُمورَ، لأنّ اليَهودَ يَقرَؤونَ في كُلِّ مَدينةٍ، مُنذُ القِدَمِ، هذِهِ الوَصايا على النّاسِ في بُيوتِ العِبادةِ كُلَّ سَبتٍ كَما جاءَت في تَوراةِ سَيِّدِنا موسى".

رسالة الحواريّين والمؤمنين

[22]وَمِن ثَمَّ قَرَّرَ الحَواريّونَ ومَسؤولو جَماعاتِ المُؤمِنينَ وبَقيّةُ المُؤمِنينَ اختِيارَ رَجُلَينِ مِن بَينِهِم ليُرافِقا بُولُسَ وبَرنابا إلى مَدينةِ أنطاكية، واختاروا سِلواني ويَهوذا المَعروف باسمِ بارسابا، وكانا مِن قادةِ المُؤمِنينَ. [23]وأرسَلوا هذِهِ الرِّسالةَ مَعَهُم وفيها:

(1) قصد يعقوب بكلماته: "أُشيّد مملكة النبي داود المتهدّمة" أنّ اللّه سيرسل المسيح ملكًا من بعد أن يُقطع نسلُ النبي داود من الملك زمَنَ أسرهم في بابل.

(2) لقد وافق الحواريون والشيوخ في القدس على قبول المؤمنين بالمسيح من خلفية غير يهودية كإخوة في الإيمان وكأعضاء لشعب اللّه، ولم يكن ضروريا أن يتّبعوا التقاليد اليهوديّة. ولكن بقيت قضيّة تعامل هؤلاء المؤمنين من خلفية غير يهودية مع اليهود الذين آمنوا بالسيّد المسيح. أمّا القواعد الأربعة التي استندوا عليها فهي مأخوذة من التوراة، في سفر اللاويين، الفصلين 17 و18. وكانت هذه الأمور ممنوعة على بني يعقوب إضافةً إلى كلّ الغرباء المقيمين بينهم، فالهدف كان تيسير تعامل المؤمنين اليهود مع المؤمنين غير اليهود، وذلك من خلال تجنّب الأمور التي تستفزّ المشاعر اليهوديّة والسماح لليهود بأن يأكلوا مع المؤمنين غير اليهود الذين يحافظون على تلك الوصايا. والحواري بولس شرح هذه القضية بالتفصيل في رسالته الأولى إلى المؤمنين في مدينة كورنتوس، الفصول 8 إلى 11.

"مِن إخوانِكُم الحَوارِيِّينَ والمَسؤولِينَ بَينَ المُؤمِنينَ، إليكُم أيُّها المُؤمنونَ مِن غَيرِ اليَهودِ في مَدينة أنطاكية وغَيرِها مِن بِلادِ سُوريا وكِليكيَّة. بَعدَ التَّحيَة: [24]وَصَلَ إلى سَمعِنا أنّهُ وَفَدَ عليكُم، وبِغَيرِ تَفويضٍ مِنّا، بَعضُ الأشخاصِ الّذينَ أثاروا مَعَكُم أحاديثَ فارِضينَ عليكُم بَعضَ المَسائلِ، مِمّا أثارَ قَلقَكُم وانزِعاجَكُم. [25]لذا، كانَ إجماعُنا على رَجُلَينِ هُما يَهوذا وسِلواني ليَكونا برِفقةِ حَبيبَينا بَرنابا وبُولُسَ [26]اللَّذيْنِ خاطرا بحياتِهِما مِن أجلِ سَيِّدِنا عيسى. [27–28]وسيُبَلِّغُكُم يَهوذا وسِلواني أنّنا قَرَّرنا بِوَحيٍ مِن رُوحِ اللهِ عَدمَ الإثقالِ عليكُم إلاّ بِما لا بُدَّ مِنهُ مِنَ الأُمورِ. [29]لذا، نُبَلِّغُكم أيُّها المُؤمنونَ أنّ لُحومَ القَرابينِ المُقدَّمةِ للأوثانِ، والدَّمَ ولَحمَ المَخنوقِ مِن الحَيواناتِ، والزَّواجَ مِنَ المَحارِمِ كُلُّ ذلِكَ حَرامٌ عليكُم، فإنِ امتنَعتُم عن تِلكَ المُحَرَّماتِ، فقد أتيتُم ما أوجَبَهُ اللهُ عليكُم، وعُوفيتُم".

[30]وهكذا انطَلَقَ هؤلاءِ الرِّجالُ الأربعَةُ إلى أنطاكية، وجَمَعوا المُؤمِنينَ وسَلَّموهُم الرِّسالةَ. [31]وعِندَ قِراءَةِ المُؤمِنينَ لها فَرِحوا بما فيها مِن كَلِماتٍ قَوَّت عَزيمتَهُم. [32]وكانَ لِيَهوذا وسِلواني كَراماتُ النُّبوءَةِ. فقَدِ استمَرّا مُدَّةً طَويلةً في تَقديمِ الوَعظِ والنُّصحِ، وشَدِّ أزرِ المُؤمِنينَ. [33]ثُمَّ وَدَّعَهُما المُؤمِنونَ بأمانِ اللهِ ليَعودا مِن حَيثُ أتيا. [34–35]أمّا بولُسُ وبَرنابا، فبَقِيا مَعَ آخَرينَ هُناكَ في أنطاكية يُعلِّمانِ ويَنشُرانِ تَعاليمَ رِسالةِ سَيِّدِنا عيسى ﷺ.

الخلاف الّذي وقع بين بولس وبرنابا

[36]وبَعدَ مُضيِّ فَترةٍ مِنَ الزَّمَنِ، حَدَّثَ بولُسُ بَرنابا قائِلاً: "لنَعُدْ لزيارةِ المُؤمنينَ في جَميعِ أنحاءِ البِلادِ الّتي كُنّا قد نَشَرنا فيها رِسالةَ المَسيحِ للاطمِئنانِ على أحوالِهِم". [37]فاقتَرَحَ بَرنابا أن يَصطَحِبا يُوحَنّا المَعرُوف بِمَرقُسَ، [38]ولكنّ بُولسَ رَأى أنّ يوحَنّا لا يَصلُحُ للمُهِمّةِ الّتي يَقومانِ بِها، لأنّهُ تَرَكَهُما في مُقاطعةِ بَمْفيليّة، ولم يُتِمَّ مُهِمّةَ نَشرِ الدَّعوةِ مَعَهُما. [39]وأثارَ هذا الأمرُ خِلافًا شَديدًا بَينَ بُولسَ وبَرنابا وأدّى إلى انفِصالِهِما، فاصطَحَبَ بَرنابا مَرقُسَ مُبحِرًا باتِّجاهِ قُبرُصَ. [40–41]واختارَ بولُسُ سِلواني، وغادَرا إلى سُوريا ثُمّ كِليكيّة بَعدَ أن وَدّعَهُما المُؤمِنونَ بأمانِ اللهِ، فأخَذا يَطوفانِ ويُقَوِّيانِ عَزائِمَ كُلِّ جَماعاتِ المُؤمِنينَ ويُؤازِرانِهِم.

١٦
الفصل السّادس عشر

تيموتاوي

[1]ومِن هُناكَ تَوَجَّهَ بولُسُ إلى مَدينةِ دَربَة ثُمَّ لِستَرَة وكانَ فيها أحَدُ أتباعِ عيسى ﷺ واسمُهُ تيموتاوي وكانَت أُمُّهُ مِمَّن آمَنوا بالسَّيِّدِ المَسيحِ وهي مِن أصلٍ يَهوديٍّ، أمّا أبوهُ فكانَ يُونانيًّا. [2]وكانَ تيموتاوي مَوضَعَ إعجابِ المُؤمِنينَ ومَدحِهِم في لِستَرَة وإيقونية. [3]وعِندَما أرادَ بُولسُ اصطِحابَهُ في تَرحالِهِ، جَعَلَهُ يَختَتِنُ إذ إنّهُ كانَ مَعروفًا لدَى يَهودِ المِنطقةِ بأنّ أباهُ يُونانيٌّ.(1) [4]وهكذا، أخَذا يَتَنَقَّلانِ بَينَ المُدُنِ مُبَلِّغَيْنِ المُؤمِنينَ الفَتوى الّتي أجمَعَ عليها الحَواريّونَ والمَسؤولونَ عَن جَماعاتِ المُؤمِنينَ للعَمَلِ بها. [5]فكانَت جَماعاتُ المُؤمِنينَ بسَيِّدِنا عيسى ﷺ تَتَقَوّى في إيمانِها، ويَزدادُ عَدَدُها يَومًا بَعدَ يومٍ.

الدّعوة في مقدونيا

[6]ثُمَّ جاءَ وَحيٌ مِن رُوحِ اللهِ إلى بُولسَ ورِفاقِهِ بعَدَمِ نَشرِ الرِّسالةِ في مُقاطعةِ آسيا فتَوَجَّهوا إلى مُقاطَعتَي فِريجيّة وغَلاطيَة، [7]وعِندَ حُدودِ مُقاطعةِ ميسيّا، حاوَلوا التَّوَجُّهَ إلى مُقاطعةِ بيتينيّة ولكنّ رُوحَ سَيِّدِنا عيسى مَنَعَتهُم مِن ذلِكَ أيضًا، [8]فاجتازوا مِنطقةَ مِيسيّا مُتَوَجِّهينَ إلى ميناءِ تَرْواسَ. [9]وفي اللَّيلِ، رَأى بولُسُ في رؤيا رَجُلاً مَقدُونيًّا مِن شِمالِ اليونانِ واقِفًا يَتَوَسَّلُ قائِلاً: "أُعبُرْ إلينا في مَقدونيا وساعِدْنا".(2) [10]وبَعدَ تِلكَ الرُّؤيا، تأكَّدَ بولُسُ ورِفاقُهُ(3) أنّ اللهَ دَعاهُم للتَّوَجُّهِ إلى تِلكَ المِنطقةِ لنَشرِ رِسالةِ المَسيحِ ﷺ، وفي الحالِ أخَذوا يَستَعِدّونَ للتَّوَجُّهِ إلى مَقدونيا.

---

(1) كان اليهود في فلسطين يعتبرون الزواج بين اليهود والوثنيين إثما كبيرا، ولكن هذا الموقف كان أقلّ تشدّدًا في منطقة لسترة مثلاً، حيث كان عدد الجالية اليهوديّة قليلا. ولم يكن تيموتاوي مقبولا عند اليهود لأنّه لم يكن يهوديًا بالتمام إذ لم يكن مختونًا. ولذلك شجّعه بولس على الختان لكي يصبح يهوديًا من أجل شهادته أمام الجماعة اليهودية، خاصّةً وأنّ بولس كان غالبا ما يبدأ وعظه من بيت العبادة في كلّ مدينةٍ يدخلها ليكلّم اليهود وغيرهم، لأنّهم يعلمون بالكتب السماوية وباستطاعتهم التجاوب مع دعوته بسهولة.

(2) كانت مقدونيا مقاطعة رومانية.

(3) انطلاقا من هذه النقطة، انتقل لوقا من الحديث بصيغة الضمير الغائب إلى الحديث بضمير المتكلّم، وهذا يعني أنّه أصبح هنا أحد مرافقي بولس وسِلواني وشاهدًا بأم عينه على الأحداث التي جرت فيما بعد. وفي صياغة هذا النص سنواصل استعمال ضمير الغائب لسلاسة وضوح الفكرة وتسلسلها.

في مدينة فيليبّي

[11]وأبحَروا بَعدَ ذلِكَ مِن ميناءِ تَرْواسَ مُتَوَجِّهين مُباشَرةً إلى جَزيرةِ سَموثْراكي. وفي اليَومِ التّالي، سافَروا إلى نيابُلُسَ الميناءِ الرَّئيسيِّ في مُقاطعةِ مَقدونيا، [12]وبَعدَهُ، سافَروا إلى مَدينةِ فيليبّي بَرًّا وأقاموا فيها عِدّةَ أيّام، وكانَت فيليبّي مُستَعمَرةً رُومانيّةً مِن أهمِّ مُدُنِ مُقاطعةِ مَقدونيا. [13]وفي يومِ السَّبتِ، خَرَجوا مِن بوّابةِ المَدينةِ إلى ضِفَّةِ النَّهرِ، مُتَوَقّعينَ وُجودَ مَكانٍ للعِبادةِ.(1) وعِندَ وصُولِهم، وَجَدوا جَماعةً مِنَ النِّسوةِ المُؤمِناتِ اللَّواتي تَجَمَّعْنَ للعِبادَةِ، فجلَسوا يُحَدِّثونَهُنّ عن رِسالةِ السَّيِّدِ المَسيحِ، [14]وكانَ بَينَ أولئكَ النِّسوةِ المُصغياتِ امرأةٌ مِن غَيرِ اليَهودِ، اسمُها ليديا مِن مَدينةِ ثياتيرا، وهي امرأةٌ تَخافُ اللهَ وتَعمَلُ في تِجارةِ القُماشِ باهظِ الثَّمنِ ذي اللَّونِ الأُرجوانيّ،(2) ففَتَحَ اللهُ عليها وجَعَلَها تُقبِلُ على كَلامِ بُولُسَ [15]وتَتَطَهَّرُ بالماءِ وأهلَ بيتِها الّذينَ أصبَحوا بذلِكَ مِن أتباعِ عيسى عليه السلام. وأخَذَت ليديا تُلِحُّ عليهِم بالقولِ: "إن كُنتُم تَعتبرونَني مؤمِنةً مُخلِصةً لرِسالةِ سَيِّدِنا عيسى، فهيّا للإقامةِ في داري". ونُزولاً عِندَ طَلَبِها هذا، أقامَ بولُسُ ورِفاقُهُ عِندَها.

بولس وسلواني في السّجن

[16]وبَينَما كانوا في طَريقِهِم ذاتَ مَرّةٍ إلى مَكانِ العِبادةِ على ضِفَّةِ النَّهرِ في مَدينةِ فيليبّي، التَقَوا جارِيةً سَكَنَها جِنّيٌّ فجَعَلَها تَتَنَبَّأُ بالغَيبِ، وأصبَحَ ذلِكَ حِرفةً لها ومَصدَرًا لمالٍ وَفيرٍ لأسيادِها. [17]وأخَذَت هذِهِ الفَتاةُ تَسيرُ إثرَ بولُسَ ورِفاقِهِ صارِخةً: "هؤلاءِ الرِّجالُ هم عِبادُ اللهِ العليِّ، وهم يَدِلّونَكُم على طَريقِ النَّجاةِ!" [18]وظَلَّت على هذِهِ الحالِ عِدّةَ أيّام، فانزَعَجَ مِنها بولُسُ، وتَوَجَّهَ بِحَديثِهِ إلى الجِنّيِّ الّذي يَسكُنُها قائِلاً: "آمُرُكَ بِاسمِ سَيِّدِنا عيسى المَسيحِ أن تُغادِرَ جَسَدَها!" فخَرَجَ الجِنّيُّ في الحالِ.

---

(1) يبدو هنا أنّ الاجتماع قد عقد في الهواء الطلق بعيدا عن المباني. ففي الأماكن التي تخلو من بيوت العبادة، كان اليهود يفضّلون عقد اجتماعهم في مكانٍ طاهر قرب مصدر ماء. ويبدو أن غسل الأيدي قبل الصلاة قد تحوّل إلى عادة تمارس طبيعيًا عند اليهود خارج فلسطين، وتكشف عمليات التنقيب عن أهميّة وجود الماء في خدمة بيوت العبادة.

(2) كانت ليديا امرأةً من ثياتيرا وهي مدينة تقع في مقاطعة آسيا الرومانية، وكانت ثياتيرا تشتهر بالصبغة الأرجوانية التي كانت تستخرج من الصدف البحري. ومن المرجّح أنّ ليديا لم تكن يهودية، ولكنّها كانت تعبد اللّه مع اليهود. كما أنّها كانت على الأرجح غنيّة إذ كانت تبيع هذه الصبغة الغالية.

[19]وعِندَما عَلِمَ أسيادُها بذلِكَ أدرَكوا أنّ بولُسَ قد أضاعَ عليهِم مَورِدًا سَهلاً مِنَ المالِ، فقَبَضوا عليهِ وعلى سِلواني وجَرُّوهُما إلى السّاحةِ العامّةِ أمامَ السُّلُطاتِ، [20]وتَقَدّموا بِهِما إلى رِجالِ السُّلطةِ وقالوا: "إنّ هذينِ الرَّجُلينِ اليَهوديَّينِ يُثيرانِ الفَوضى في مدِينتِنا، [21]فهُما يَدعوانِ إلى أُمورٍ لا تَتّفِقُ مَعَ مُعتَقداتِنا وعاداتِنا نحنُ الرُّومانَ!"(1) [22]وأثارَ ذلِكَ حَفيظةَ مَن حَضرَ مِنَ النّاسِ ضِدَّهُما، فأمَرَ رِجالُ السُّلطةِ بنَزعِ ثيابِهِما وضَربِهِما بالعِصيِّ، [23]ففَعَلوا ذلِكَ. ثُمَّ رَمى بِهِما الحُرّاسُ في غَياهِبِ السِّجنِ وأمَروا السَّجّانَ بتَشديدِ الحِراسَةِ عليهِما، [24]وتَنفيذًا للأوامِرِ وُضِعَت أقدامُهُما في خَشَبةِ التَّعذيبِ.

[25]وعِندَ مُنتَصَفِ اللَّيلِ، تَقريبًا، وبَينَما كانَ بولُسُ وسِلواني يَدعوانِ ويَبتَهِلانِ اللهَ بآياتٍ مِنَ الزَّبورِ، وبَقيّةُ السُّجناءِ يُصغونَ إليهِما، [26]حَدَثَ زِلزالٌ عَنيفٌ هَزَّ أركانَ السِّجنِ، فتَفَتّحَت أبوابُهُ كُلُّها، وانفَكَّت قُيودُ جَميعِ المَساجينِ. [27]وعِندَما انتفَضَ السَّجّانُ مِن نَومِهِ، ورَأى أبوابَ السِّجنِ مَفتوحَةً على مِصراعَيْها، ظَنَّ أنّ المَساجينَ قد هَرَبوا فجَرَّدَ سَيفَهُ مِن غِمدِهِ يُريدُ قَتلَ نَفسِهِ،(2) [28]فصَرَخَ بِهِ بولسُ قائِلاً: "لا تَقتُلْ نَفسَكَ، فنَحنُ المَساجينَ ما زِلنا في أماكِنِنا!"

[29]فطَلَبَ السَّجّانُ مِصباحًا لإضاءَةِ السِّجنِ، ثُمَّ اندَفَعَ وقدِ اعتَرَتْهُ رَجفةٌ ورَمى بنَفسِهِ أمامَ بولُسَ وسِلواني، [30]وأخرَجَهُما قائلاً: "أخبِراني يا سَيّدَيَّ ما يَجِبُ عليَّ فِعلُهُ لأفوزَ بالنَّجاةِ؟"(3) [31]فأجاباهُ بالقَولِ: "ما عليكَ سِوى الإيمانِ بعِيسى المَسيحِ، لتَكونَ أنتَ وأهلُ بَيتِكَ مِنَ النّاجينَ".(4) [32]وتَحَدَّثا مَعَهُ ومَعَ أهلِ بيتِهِ حَولَ رِسالةِ سَيّدِنا عيسى ﷺ. [33]ثُمّ بادَرَ السَّجّانُ في تِلكَ السّاعةِ مِنَ اللّيلِ بِغَسلِ جِراحِهِما. وبَعدَ

---

(1) يُحاكم بولس بتهمة التبشير بديانة غير رومانية. ذلك أنّ الروماني الذي يعتنق اليهودية يدان بحسب القانون الروماني، ولم يعرف الولاة حينئذٍ الفرق بين رسالة بولس والديانة اليهودية.

(2) بالنسبة إلى الرومان، إذا سمح سجّان بفرار سجين من سجنائه، كان يعاقب نفس العقاب الذي كان السجين يواجهه. ولا بدّ أنّ من بين السجناء من كان محكوما عليه بالموت. لذلك أراد هذا السجّان قتل نفسه ليتجنّب مواجهة الذل والتعذيب.

(3) من الممكن أن يكون السجّان قد سمع الجارية التي سكنها جني تتكلّم عن هؤلاء الرجال الذين كانوا يبشّرون بطريق النجاة. ومن المرجّح أنّه فسّر الزلزال كظاهرة خارقة تبرهن على صدق هؤلاء الرجال ورسالتهم.

(4) توقّع الرومان أنّ جميع أفراد العائلات يتّبعون ديانة ربّ البيت لأنّ هذا الأب كان يتمتّع بنفوذ كبير يخضع أفراد عائلته لخياره.

ذلِكَ تَطَهَّرَ وأهلَ بيتِهِ بالماءِ صِبغةً للهِ، [34]ثُمّ اصطَحَبَ بولُسَ وسِلواني إلى دارِهِ. وقامَ على خِدمتِهِما بتَقدِيمِ الطَّعامِ لهُما، لِيَعُمَّ الفَرَحُ في أرجاءِ ذلِكَ البيتِ بَعدَ أنِ اهتَدَى أهلُهُ إلى اللهِ.

[35]وعِندَ الفَجرِ، أرسَلَ رِجالُ السُّلطةِ بَعضَ الحَرَسِ إلى السَّجّانِ قائِلينَ: "أطلِقْ سَراحَ الرَّجُلَينِ". [36]فأخبَرَ السَّجّانُ بولُسَ بذلِكَ قائِلاً: "جاءَ الأمرُ بإطلاقِ سَراحِكُما، فَارحَلا بأمانِ اللهِ ورِعايتِهِ". [37]فانبَرى بولُسُ قائِلاً: "لقد خالَفوا القانونَ عِندَما انهالوا علينا ضَربًا دونَ مُحاكَمةٍ مَعَ أنّنا مِن مُواطِني الإمبراطوريّةِ الرُّومانيّة، ورَمَونا في السِّجنِ، وهل يُريدونَ الآنَ التَّخَلُّصَ مِنّا سِرًّا؟! هذا مُستَحيلٌ، عليهِم القُدومُ إلينا شَخصيًّا لإطلاقِ سَراحِنا".(1)

[38]فنَقَلَ الحُرّاسُ ذلِكَ الأمرَ إلى رِجالِ السُّلطةِ، وعِندَما عَلِمَ هؤلاءِ بأنّ بولُسَ وسِلواني مُواطِنانِ رُومانيّانِ خافوا،(2) [39]وذَهَبوا إليهِما إرضاءً لهُما، وأخرَجوهُما مِنَ السِّجنِ، طالِبينَ مِنهُما الرَّحيلَ عنِ المَدينةِ. [40]وتَوَجَّهَ بولُسُ وسِلواني بَعدَ إطلاقِ سَراحِهِما إلى دارِ ليديا، حَيثُ اجتَمَعا مَعَ المُؤمِنينَ، لِيَشُدّا مِن عَزائِمِ إيمانِهِم بعيسى عليه السلام ثُمَّ غادَرا المَدينةَ.

١٧
الفصل السّابع عشر

في مدينة تسالونكي

[1]وبَعدَ أن مَرَّ بولُسُ وسِلواني ببَلدَتَي أمْفيبُوليسَ وأبلونِيّة، وَصَلا مَدينةَ تَسالونْكي،(3) وكانَ فيها بَيتُ عِبادةٍ لليَهودِ، [2–3]فتَوَجَّهَ بولُسُ إلى هُناكَ على عادتِهِ،

(1) لم تتمتّع إلاّ فئةٌ قليلة من سكّان الإمبراطورية الرومانية بالمواطنة الرومانية بما فيها من حقوقٍ وامتيازات خاصّة. وكان يُمنع عقاب مواطن روماني بالضرب أمام الملأ، حتّى بعد المحاكمة.

(2) لقد جعل بولس وسِلواني رجال السلطة أنفسهم في مأزقٍ قانوني لأنّهما انتظرا أن يُضربا أوّلاً قبل أن يُعلما السلطات بأنّهما مواطنان رومانيان. وبذلك أصبح الولاة، لا بولس وسِلواني، مضطرّين للمفاوضة لأنّ التقارير التي قد تصدر في شأنهم قد تضع شرعيتهم في خطر وقد تحرم مدينة فيليبي من مركزها المميّز كمستعمرة رومانية. وخطة بولس وسلواني هذه، ستساعدهما لاحقًا على ضمان أمن مجموعة المؤمنين الناشئة.

(3) كانت مدينة تسالونكي عاصمة ولاية مقدونيا الرومانية.

وظَلَّ هُناكَ ثَلاثَةَ أسابيع، وفي كُلِّ يوم سَبت يُناقِشُ الحُضورَ بأنّ قَدَرَ عيسى ﷺ أن يُقاسي الآلامَ والمَوتَ، ويُبعَثَ بَعدَ ذلِكَ حيًّا، مُستَنِدًا في ذلِكَ إلى حُجَجٍ مِنَ التَّوراةِ والزَّبورِ وغَيرِهِما مِن كُتُبِ الأنبياءِ. وكانَ يَقولُ: "إنّ عيسى الّذي أُنادي بِهِ هو المَسيحُ المُنتَظَرُ!" [4]فاقتَنَعَ بذلِكَ بَعضٌ مِنَ اليَهودِ الّذينَ انضَمّوا إلى بولُسَ وسِلواني وأصبَحوا مِنَ المُؤمِنينَ، بالإضافةِ إلى عَدَدٍ كَبيرٍ مِنَ اليُونانيّينَ الأتقياءِ، واليُونانيّاتِ ذَواتِ الشَّأنِ، [5]مِمّا مَلأَ نُفوسَ قادةِ اليَهودِ حَسَدًا، فجَمَعوا بَعضَ الرُّعاعِ مِنَ الشَّوارِعِ وكَوَّنوا عِصابَةً تَزرَعُ في أرجاءِ المَدينةِ الفَوضى والقَلاقِلَ. واقتَحَمَت هذِهِ العِصابةُ دارَ ياسونَ بَحثًا عن بولُسَ وسِلواني، لإحضارِهِما أمامَ عامّةِ النّاسِ، [6]لكنّهُم لم يَعثُروا علَيهِما، فاقتادوا ياسونَ وبَعضَ المُؤمِنينَ إلى رِجالِ السُّلطةِ في المَدينةِ، وكانوا يَهتِفونَ قائلِينَ: "بولُسُ وسِلواني هُما مَن أشعَلا نارَ الفِتنةِ في كُلِّ مَكانٍ، وها قد قَدِما إلى هُنا أيضًا! [7]فقَدِ استَضافَهُما ياسُونُ عِندَهُ،(1) وهم جَميعًا مُتمرِّدونَ ضِدَّ القَيصَرِ لأنّهُم يُبايِعونَ مَلِكًا غَيرَهُ اسمُهُ عيسى!"(2) [8]وأثارَ هذا القَولُ حَفيظَةَ الحاضِرينَ ورِجالِ السُّلطةِ، [9]فأخَذَ هؤلاءِ كَفالةً مِن ياسُونَ ومَن كانَ مَعَهُ، ثُمَّ أطلَقوا سَراحَهُم.(3)

في مدينة بيريّة

[10]وعِندَ هُبوطِ اللّيلِ، أسرَعَ المُؤمِنونَ في تَسالونْكي وأخرَجوا بولُسَ وسِلواني مِنها وأرسَلوهُما إلى بَلدةِ بيرِيّةِ. وبَعدَ أن وَصَلا إليها، تَوَجَّها إلى بيتِ العِبادةِ اليَهوديّ. [11]واستَمَعَ يَهودُ تِلكَ البَلدةِ إلى رِسالةِ سَيّدِنا عيسى ﷺ باهتِمام إذ كانوا أوسَعَ صَدرًا مِن أهلِ تَسالونكي وأرحَبَ أُفُقًا. وكانوا يَقومونَ بِتَدارُسِ الكُتُبِ السَّماويّة يَوميًّا للتَّأكُّدِ

---

(1) ياسون اسم يوناني شائع ولكنّه كان شائعا أيضًا بين جالية اليهود في المهجر، كما تشهد على ذلك بعض الكتابات المنقوشة والوثائق التجارية. ومن المرجّح أنّه مضيف يهودي وربّما يكون بولس وسِلواني قد مكثا عنده خلال عملهما في المدينة.

(2) كان الرومان يعتبرون أيّ إعلان عن ملكٍ نظير للقيصر، أي السيد المسيح، (آية 3) خيانة بحقّ جلالة الإمبراطور، وبذلك كانوا يفهمون إعلان العلامات التي تشير إلى قدوم هذا القائد الجديد (انظر رسالتي تسالونيكي الأولى والثانية) كتوقّعات لوفاة الإمبراطور الحالي وزواله، لذا كانت تلك التوقّعات انتهاكًا للمراسيم التي كان يصدرها الإمبراطور. وكان المواطنون الذين يقسمون على الولاء للقيصر يلتزمون في قسمهم أيضًا بالتبليغ عن أيّة محاولة للخيانة.

(3) أخذ الكفالة من ياسون والباقين تجعلهم مسؤولين قانونيًا عن بولس وسِلواني، حتّى يغادرا المدينة ولا يرجعا.

مِن صِحَّةِ كلامِ بولسَ وسِلواني. [12]وهُناكَ آمَنَ بِسَيِّدِنا عيسى كَثيرٌ مِنَ اليَهودِ وعَدَدٌ مِنَ اليُونانيّاتِ ذَواتِ الشَّأنِ، وكَثيرٌ مِنَ رِجالِ اليونانِ. [13]وعِندَما عَرَفَ اليَهودُ في تَسالونكي بأنّ بولسَ وسِلواني يُناديانِ برِسالةِ اللهِ في بَلدةِ بيريّة أيضًا، تَوَجَّهوا إلى هُناكَ لإثارةِ النّاسِ وتَحريضِهِم على القَلاقِلِ. [14–15]فأسرَعَ المُؤمِنونَ في بيريّة بإخراجِ بولُسَ مِنَ المَدينةِ، خَوفًا عليهِ، وإيصالِهِ إلى الشَّاطئِ ومِنها إلى أثينا. ثُمَّ وَدَّعَ بولسُ الرِّجالَ الّذينَ رافَقوهُ وأوصاهُم بضَرورةِ إلحاقِ سِلواني وتيموتاوي بِهِ على عَجَلٍ إذ كانا ما يَزالانِ في بيرِيّةِ.(1)

في مدينة أثينا

[16]وبَينَما كانَ بُولسُ في انتِظارِ سِلواني وتيموتاوي في مَدينةِ أثينا، استَبَدَّ بِهِ ضِيقٌ شَديدٌ عِندَ رُؤيتِهِ لِتِلكَ المَدينةِ وقدِ امتَلأتْ بالأوثانِ، [17]فأخَذَ يُنادي في بَيتِ عِبادةِ اليَهودِ بالإيمانِ بِالسَّيّدِ المَسيح أمامَ اليَهودِ وغَيرِهِم مِنَ المُتَعَبِّدينَ اليُونانيّينَ. وكانَ بولُسُ يَتَحدَّثُ يَوميًّا عنِ الرِّسالَةِ أمامَ أيِّ شَخصٍ يُقابِلُهُ في ساحةِ تِلكَ المَدينةِ، داعِيًا إيّاهُ إلى الإيمانِ. [18]ونَشَبَ جِدالٌ بَينَ بولسَ وجَماعةٍ مِنَ الفَلاسِفةِ الأبيقوريّينَ والرِّواقيّينَ،(2) فقالَ بَعضُهُم: "ماذا يَقصِدُ هذا الثَّرثارُ بكلامِهِ؟" وعَلَّقَ آخَرونَ بِالقَولِ: "يَبدو أنّ هذا الرَّجُلَ يُنادي بآلِهةٍ غَريبةٍ" مُعتبِرينَ أنّ ما كانَ يَتَحدَّثُ عنهُ بولسُ بشَأنِ عيسى سَلامُهُ عَلَينا والقِيامةِ، اسمانِ لإلهَينِ لم يَسمَعوا عنهُما مِن قَبلُ، [19]فطَلَبوا مِنهُ أن يُرافِقَهُم إلى مَجلِسِ المُثَقَّفينَ في تَلِّ مَريخ قائلينَ: "نُريدُ مَعرِفةَ تِلكَ العَقيدةِ الجَديدةِ الّتي تُنادي بِها،

---

(1) من المرجّح أنّ سِلواني وتيموتاوي بقيا في بيريّة لشدّ أزر مجموعة المؤمنين الجدد في تلك المنطقة.

(2) كان الأبيقوريّون يتّبعون تعاليم الفيلسوف أبيقور. وقد اعتبر الأبيقوريّون اللذّة هدفًا أساسيًا في الحياة، وهي لذّة حياة الهدوء، الخالية من الألم والمشاعر المزعجة والمخاوف الخرافية وبشكل خاص الخوف من الموت. ولم ينكر الأبيقوريّون وجود الآلهة التي كانت بحسب رأيهم لا تهتمّ بحياة الناس. هدف الرُّواقيّين العيش بانسجام مع الطبيعة، ظنّا منهم أنّ حياتهم تمتلئ هكذا بالصلاح والسلام. وقد آمن الرُّواقيّون بأنّ الوسيلة الوحيدة التي تضمن للناس السيطرة على حياتهم هي التحكّم في ردّات فعلهم لما يحصل في العالم. وكان الرُّواقيّون وحْدوجوديين (وهو ما يعني أنّ العالم وُجد من واحد)، واللّه هو بنظرهم روح العالم. إيمانهم كان بالكوزموبوليس أيّ المدينة العالمية التي تنعم فيها النفوس الحرّة فعلاً بحقوق مدنية متساوية، وهو ما ساعد في زوال الفروقات القومية والاجتماعية.

[20]فأنتَ تُلقي على مَسامِعِنا أفكارًا مُثيرةً للتَّعجُبِ، ونَرغَبُ في مَعرِفةِ مَعناها". [21]وكانَ شَغَفُ أهلِ أثينا والمُقيمينَ فيها مِنَ الأجانِبِ في ذلِكَ الحِينِ، مُتّجِهًا إلى الحَديثِ عَنِ الفَلسَفاتِ الجَديدةِ والإصغاءِ إلى كُلِّ ما يَتَعلّقُ بها. [22]ووَقَفَ بولُسُ في مَجلِسِ المُثَقَّفينَ خَطيبًا وقالَ: "يا أهلَ أثينا، أراكُم مُهتَمِّينَ بأُمورِ الأديانِ، [23]ولاحَظتُ ذلِكَ وأنا أسيرُ في مَدينتِكُم حَيثُ المَعابِدُ والمَقاماتُ الكَثيرةُ. وقد وَجَدتُ على مَذبَحٍ مِن مَذابِحِ القَرابينِ عِندَكُم عِبارةً تَقولُ: "إلى الإلهِ المَجهولِ". فها أنا ذا قَدِمتُ الآنَ لأُحَدِّثَكُم عَن هذا الإلَهِ المَجهولِ الّذي تَعبُدونَهُ.(1) [24]إنّهُ اللهُ العليُّ، خالقُ الكَونِ وما فيهِ، هو رَبُّ السَّماواتِ والأرضِ، ولَيسَت تِلكَ المَعابِدُ الّتي شَيَّدَها البَشَرُ لهُ بِسَكَنٍ، [25]فهو لَيسَ بحاجةٍ إلى خِدمةِ البَشَرِ، إنّهُ غَنيٌّ عنها وعَن كُلِّ شَيءٍ، فهو المُعطي، وهو واهِبُ الحياةِ للبَشَرِ ولكُلِّ كائنٍ حيٍّ وهو رازِقُهُم. [26]خَلَقَ البَشَرَ مِن رَجُلٍ واحِدٍ، لإعمارِ الأرضِ، ووزَّعَهُم في أرجائِها وحَدَّدَ لكُلِّ واحِدٍ مِنهم زَمانَهُ ومَكانَهُ، [27]وجَعَلَ لهُم كُلَّ ذلِكَ لَعَلَّهُم يَبحَثُونَ عنهُ لكي يَعرِفوهُ ويَعبُدوهُ بَعدَ اهتِدائِهِم إليهِ، مَعَ أنّهُ أقرَبُ إلينا مِن حَبلِ الوَريدِ. [28]وكَما قالَ أحَدُ شُعَرائِكُم: "هو واهِبُنا الحَياةَ ومانِحُنا القُدرَةَ والوُجودَ". وقالَ آخَرُ: "إنّما نَحنُ عِيالُ اللهِ".(2)

[29]"نعم نَحنُ عِيالُ اللهِ، ولذا كانَ علينا ألاّ نَظُنَّ بأنّ اللهَ يَتَمثَّلُ في هذِهِ الأوثانِ الّتي هي مِن صُنعِ الإنسانِ ونِتاجِ فَنِّهِ ومَهاراتِهِ سَواءٌ أكانَت ذَهَبًا أم فِضَّةً أم حَجرًا. [30]لم يُعاقِبِ اللهُ في الماضي هؤلاءِ الجاهلينَ، أمّا الآنَ فقد صَدَرَ الأمرُ على الجَميعِ بالتَّوبةِ والأوبَةِ إليهِ لِعبادَتِهِ إلهًا واحِدًا، [31]وذلِكَ لأنّهُ أرجأهُم ليَومٍ فيهِ يُحاسِبُ جَميعَ النّاسِ بالعَدلِ، بواسِطةِ الرَّجُلِ الّذي اختارَهُ، والّذي دَلَّهُم عليهِ مِنْ خِلالِ رُجوعِهِ حيًّا مِن بينِ الأمواتِ". [32]وعِندَما سَمِعَ الحاضِرونَ بِخَبَرِ بَعثِ المَيتِ حيًّا، سَخِرَ بَعضٌ مِنهُم،(3)

---

(1) قبل زمن الحواري بولس بكثير، حلّت كارثة على مدينة أثينا، ولم يستطع أيّ مذبح استعطاف الآلهة لردّها آنذاك. ولذلك قرّر أهل هذه المدينة أن يقدّموا ذبائح لإلهٍ مجهولٍ، فتوقّف الوباء حالاً. وكان هذا المذبح ما زال قائما عند مرور بولس فاستخدمه قاعدةً لخطابه.

(2) في هذا المقطع، اقتبس بولس من شاعرين يونانيين، أبيميندس الكريتي الذي عاش في القرن السادس قبل الميلاد، والرُّواقي آراتس الذي عاش في القرن الثالث قبل الميلاد.

(3) آمن معظم اليونانيين بوجود حياة بعد الموت ولكنّها حياة غير واضحة المعالم في العالم السفلي، كما آمنوا في بعض الأحيان، بالتقمّص. وقد كان صعبا على اليونانيّين الإيمان بقيامة الجسد. كما آمنوا أيضًا أنّ الزمن لا نهاية له، لذلك بَدَت فكرة يوم الدين غريبة كنهاية للزمن.

وقالَ آخرونَ: "نُودُّ أن تُحدِّثَنا بهذا المَوضوعِ في مُناسبةٍ أُخرى". [33]عِندئذٍ غادَرَ بولُسُ المَجلِسَ [34]وبِرِفقتِهِ بَعضُ الّذينَ انضَمّوا إليهِ مُؤمِنينَ بعيسى عليه السلام، ومِن هؤلاء دِيُونيسُ الّذي كانَ عَضوًا في مَجلِسِ المُثقَّفينَ وامرأة تُدعى تَمارَة، وآخَرونَ غيرُهما.

١٨
الفصل الثّامن عشر

في مدينة كورنتوس

[1]ومِن أثينا سافَرَ بولُسُ إلى مَدينةِ كورِنْتوسَ، [2]والتَقى هُناكَ رَجُلاً يَهوديًّا اسمُهُ عَقيلُ مِن بلادِ البُنطِ. وكانَ قد قَدِمَ مُنذُ فَترةٍ قَصيرةٍ هو وزَوجَتُهُ بَرَكَةُ مِن إيطاليا بَعدَ أن أصدَرَ القَيصرُ كُلوديُوسُ أمرًا يَقضي بمُغادَرةِ جَميعِ اليَهودِ مَدينةَ روما. فتَوَجَّهَ بولُسُ لزيارتِهما، [3]وأقامَ عِندَهُما لأنّهُما كانا يَشتَغِلانِ مِثلَهُ في صِناعةِ الخِيامِ، وعَمِلَ مَعَهُما. [4]وكانَ يَجلِسُ في كُلِّ سَبتٍ في بَيتِ العِبادةِ مُناقِشًا هُناكَ اليَهودَ واليُونانيّينَ مُحاوِلاً إقناعَهُم بِرِسالةِ سَيِّدِنا عيسى عليه السلام.

[5]وبَعدَ وُصولِ سِلوانيِ وتيموتاوي مِن مَقدونيا، استطاعَ بولُسُ التَّفَرُّغَ للقِيامِ بالدَّعوةِ لرِسالةِ عيسى عليه السلام ونَشرِها،(1) فكانَ يُشهِدُ اليَهودَ على أنّ عيسى عليه السلام هو المَسيحُ المُنتَظَرُ، [6]إلاّ أنّ اليَهودَ عارَضوهُ وأهانوهُ، فما كانَ مِنهُ إلاّ أن نَفَضَ ثَوبَهُ(2) قائِلاً: "إن كانَ الهَلاكُ مآلَكُم أيُّها اليَهودُ فما ذاكَ إلاّ بما كَسَبَت أيدِيكُم، وما أنا عَنكُم بِمسؤولٍ، ولأتَوجَّهَنَّ الآنَ إلى غَيرِكُم أدعوهُم إلى سَيِّدِنا عيسى". [7]ومُنذُ ذلِكَ الوَقتِ نَقَلَ بولُسُ مَكانَ اجتِماعاتِهِ إلى دارٍ تَقَعُ قُربَ بَيتِ العِبادةِ لِشَخصٍ مِن غَيرِ اليَهودِ اسمُهُ تِيتُوسُ الصِّدِّيق وكانَ رَجُلاً تَقيًّا. [8]وهُناكَ اهتدَى على يَدِ بولُسَ كِرِيسْبُوسُ المَسؤولُ عَن بيتِ العِبادةِ وأهلِ بيتِهِ وكَثيرونَ مِن أهلِ كُورنتوسَ، وهكذا نَما فيهِم حَديثُ بولُسَ فآمَنوا بسَيِّدِنا عيسى عليه السلام، وتَطَهَّرُوا بالماءِ.

(1) جلب سِلواني وتيموتاوي لبولس تقدمةً مالية من المؤمنين في مدينة فيليبّي حتّى يستطيع بولس التركيز على الدعوة، ولا يحتاج أن يعمل في صناعة الخيام لسدّ احتياجاته.

(2) كان نفض الثوب عادة من العادات اليهودية لكي يعلن الشخص عن براءته وعدم موافقته بشدّة على رأي مخاصميه.

[9]وفي إحدى اللّيالي أتى سَيِّدُنا عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى بولُسَ في الرُّؤيا وقالَ لهُ: "لا تَهابَنَّ أعداءَكَ وامضِ في الدَّعوةِ ولا تصمُتْ، [10]فأنا لكَ ظَهيرٌ ولن يَقدِرَ أحَدٌ على إيذائِكَ، فقَد اختَرتُ الكَثيرَ مِن أهلِ هذِهِ المَدينةِ ليَكونوا مِن أتباعي". [11]وهكَذا أقامَ بولُسُ في كُورنتوسَ مُدَّةَ سَنةٍ ونِصفِ السَّنةِ ماضِيًا في نَشرِ رِسالةِ اللهِ مُفصِحًا عَمّا جاءَ فيها.

[12]وعُيِّنَ في تِلكَ الفَترةِ غالِيُونُ حاكِمًا على أَخائيةِ في جَنوبِ اليونان حَيثُ يُقيمُ بولسُ، (1) فَانتهَزَ اليَهودُ هُناكَ الفُرصةَ وتَجمَّعوا يُريدونَ أخذَ بولُسَ ليَمثُلَ أمامَ الحاكم لمُقاضاتِهِ، فقالوا زاعِمينَ: [13]"إنّ هذا الرَّجُلَ يُقنِعُ النّاسَ بعِبادةِ اللهِ بتَعليمٍ يُخالِفُ ما جاءَ في الشَّريعةِ". [14]وعِندَما هَمَّ بولُسُ بالرَّدِّ، التَفَتَ غالِيُونُ إلى اليَهودِ قائلاً: "يا مَعشرَ اليَهودِ، لو كانَت تُهمَتُكُم لهُ اقتِرافَ جُرمٍ أوِ ارتِكابَ مُخالفةٍ للقانونِ الرُّومانيّ، لاستَجَبتُ لكُم، [15]ولكنّ التُّهمةَ المُوجَّهةَ إليهِ تَتعَلّقُ بألقابٍ وأسماءٍ في شَريعتِكُم اليَهوديّةِ وبِأحكامِها، فما عليكُم إذَن سِوَى تَسويَةِ الخِلافِ بَينَكُم، ولذلِكَ فإنّني أرفُضُ مُقاضاتَهُ في تِلكَ الأُمورِ". [16]ثُمَّ طَرَدَهُم مِنَ المَحكمَةِ. [17]وهَجَمَ الرَّعاعُ مِن غَيرِ اليَهودِ بَعدَ ذلِكَ على سُوستيني المَسؤولِ الجَديدِ عَن بيتِ العِبادةِ، وانهالوا عليهِ ضَربًا أمامَ المَحكَمةِ، ولم يُعِرْ غالِيُونُ ذلكَ أيَّ اهتمامٍ.

بركة وعقيل وشمسيّ

[18]وبَقِيَ بولُسُ مُقيمًا بَعضَ الوَقتِ مَعَ المُؤمنينَ في مَدينةِ كورنتوسَ، ثُمَّ اتَّجهَ بعدَ أن وَدَّعَ إخوَتَهُ في الإيمانِ، بَحرًا إلى سُوريا وبِرفقتِهِ بَركة وعَقيلَ، ولكنّ بولُسَ قَبلَ مُغادَرتِهِ ميناءَ كَنْكَرِيّة حَلَقَ رأسَهُ وَفاءً لنَذرٍ كانَ عليهِ حَسَبَ العادةِ اليَهوديّة. (2) [19]ووَصَلَ بولسُ ورَفيقاهُ ميناءَ مَدينةِ أَفاسوسَ، واتَّجهَ هو إلى بَيتِ العِبادةِ حَيثُ كانَ يَدخُلُ في مُناقَشاتٍ مَعَ اليَهودِ [20]الّذينَ طَلَبوا مِنهُ أن يُطيلَ إقامَتَهُ بينَهُم، إلاّ أنّهُ اعتَذَرَ عَن ذلِكَ، [21]وأعطاهُم وَعدًا عِندَ وَداعِهِم قائِلاً: "إنّني عائِدٌ إليكُم بإذنِ اللهِ". [22]وتَرَكَ بَرَكَةَ وعَقيلَ

---

(1) كان غاليون أخا للفيلسوف الروماني الشهير سينيكا. وقد أُكتشفت كتابة قديمة منقوشة في مدينة دلفي تظهر أنّ غاليون كان حاكم تلك المنطقة بين عامي 51 و52 للميلاد.

(2) كان بولس يتّبع تقاليد النذر اليهودي المذكور في التوراة (انظر سفر العدد الفصل السادس). وكان ممنوعًا على اليهودي خلال النذر أن يحلق رأسه وأن يشرب أو يأكل أيًا من نتاج الكرمة، كالخمر مثلاً. وفي نهاية النذر، كان يتمّ حلق الرأس ويقدّم الشعر للّه مصحوبا بذبيحة.

هُناكَ، وأبحَرَ مِن أَفاسوسَ إلى مَدينةِ قَيصَريّة، ومِنها إلى القُدسِ لزيارَةِ جَماعةِ المُؤمِنينَ وتَفَقُّدِ أحوالِهِم، ورَحَلَ بَعدَها إلى مَدينةِ أَنطاكية شِمالِ سُوريا. [23]وبَعدَ أن قَضَّى بَعضَ الوقتِ هُناكَ، غادَرَ لزيارَةِ أماكِنَ أُخرى في مِنطقتَيْ غَلاطِيَةَ وفِريجيّةَ، مُشَجِّعًا ومُؤازِرًا أتباعَ المَسيحِ أينَما حَلَّ.

[24]وكانَ قد قَدِمَ إلى مَدينةِ أَفاسوسَ مُنذُ وَقتٍ قَريبٍ رَجُلٌ يَهوديٌّ مِنَ الإسكندريّة اسمُهُ شَمسيّ، وهو مُتَكَلِّمٌ فَصيحٌ عالِمٌ بالتَّوراةِ والزَّبورِ وغَيرِها مِن كُتُبِ الأنبياءِ، [25]وقدِ اهتَدى إلى رِسالةِ سَيّدِنا عيسى ﷺ، فكانَ يَتَحَدَّثُ عنها بكَثيرٍ مِنَ الحَماسةِ والدّقّةِ، ولم يَكُن على عِلمٍ إلاّ بتَعاليمِ النّبيِّ يَحيى الّتي كانَ يُنادي بِها أثناءَ تَطَهُّرِ النّاسِ بالماءِ، [26]وكانَ شَديدَ الجُرأَةِ في حَديثِهِ عَن ذلِكَ في بَيتِ العِبادةِ، وسَمِعَهُ هُناكَ عَقيلٌ وبَرَكة، فَرافقاهُ إلى دارِهِما ليُبيِّنا لهُ ما لم يَكُن يَعلَمُ مِن تَفاصيلَ في رِسالةِ عيسى ﷺ. [27]ثُمَّ عَزَمَ شَمسيٌّ على الذّهابِ إلى جَنوبِ اليُونان داعِيًا مُبَشِّرًا، فشَجَّعَهُ إخوانُهُ في الإيمانِ، في مَدينةِ أَفاسوسَ، على ذلك. [28]وكَتَبوا رِسالةً إلى المُؤمِنينَ في اليونان، أوصَوهُم فيها بالتَّرحيبِ بِهِ. وعِندَ وصولِهِ إلى هُناكَ، أخَذَ بفَضلٍ مِنَ اللهِ يُقَوّي عَزائمَ المُؤمنينَ بعيسى ﷺ، إذ كانَ أثناءَ مُحاجَّتِهِ لجَماعاتِ اليَهودِ، يَتَفَوّقُ عليهِم أمامَ الجَميعِ، مُستَشهِدًا بما جاءَ في التَّوراةِ والزَّبورِ وفي غَيرِهِما مِن كُتُبِ الأنبياءِ الّتي ذَكَرَت أنّ عيسى ﷺ هو المُنقِذُ المَوعودُ.

١٩
الفصل التّاسع عشر

بولس في أفاسوس

[1]وعِندَما كانَ شَمسيٌّ في مَدينةِ كورنتوسَ، سافَرَ بولسُ عَبرَ الطُّرُقِ الدّاخِليّةِ إلى مَناطِقِ غَلاطيَة وفِريجيّة إلى أن وَصَلَ مَدينةَ أَفاسوسَ، حَيثُ التَقى بَعضَ أتباعِ السَّيِّدِ المَسيحِ ﷺ [2]فاستَفسَرَهُم قائلاً: "هل حَظيتُم بحُلولِ رُوحِ اللهِ فيكُم عِندَ إيمانِكُم بسَيّدِنا عيسى؟" فأجابوا: "كَلاّ، بل إنّنا لم نَسمَع بوجودِ رُوحِ اللهِ مِن قَبلُ!" [3]فتابَعَ بولُسُ استِفساراتِه: "إذن، ما هي التَّعاليمُ الّتي اتّبعتُموها عِندَ تَطَهُّرِكُم بالماءِ؟" فقالوا: "قُمنا بذلِكَ حَسَبَ ما جاءَ بِهِ النّبيُّ يَحيى". [4]فأجابَهُم بولُسُ قائِلاً: "كانَ النّبيُّ يَحيى يَدعو النّاسَ للتَّطَهُّرِ بالماءِ دَليلاً على التَّوبةِ، وكانَ يَدعوهُم أيضًا للإيمانِ بالمُنقِذِ الّذي

سيأتي مِن بَعدِهِ، أي بسَيِّدِنا عِيسى المَسيحِ!" [5]ولمّا سَمِعوا بذلِكَ تَطَهّروا تَبَعًا لإيمانِهِم بعيسى ﷺ. [6]ووَضَعَ بولسُ يَديهِ عليهِم، فحَلَّت عِندئذٍ روحُ اللهِ فيهِم وأخَذوا يَنطِقونَ بلُغاتٍ شَتّى، وأصبَحوا يَتنبَّؤونَ بأُمورٍ بوحيٍ مِنَ اللهِ، [7]وكانَ عَدَدُ هؤلاءِ حِينَذاكَ حَوالي الاثنَيْ عَشَرَ رَجُلاً.

[8]وظَلَّ بُولسُ على مَدى ثلاثةِ أشهُرٍ يَتَرَدَّدُ على بيتِ العِبادةِ، يُتابِعُ بجُرأةٍ حَدِيثَهُ عَنِ المَملكةِ الأبديّةِ الّتي وَعَدَ اللهُ بها، ويُناقِشُ مَن حَولَهُ فيُقنِعُهُم، [9–10]غيرَ أنّ هذا لم يَمنعْ مِن وُجودِ فِئةٍ عارَضَتهُ رافِضةً الإيمانَ مُعلِنةً على المَلإِ استهزاءَها برِسالةِ عيسى ﷺ، فغادَرَ بولُسُ بيتَ العِبادةِ، واصطَحَبَ مَعَهُ المُؤمنينَ برِسالةِ المَسيحِ ﷺ، وأخَذَ يُجالِسُهُم كُلَّ يوم، على مَدى سَنَتين، في قاعةٍ كَبيرةٍ يَملِكُها رَجُلٌ غَيرُ يَهوديٍّ اسمُهُ تيرانّوسُ. وكانَ بولُسُ يَشرَحُ التَّعاليمَ الّتي جاءَت في رِسالةِ سَيِّدِنا عِيسى ﷺ، إلى أن سَمِعَ جَميعُ سُكّانِ مُقاطعةِ آسيا مِنَ اليَهودِ وغَيرِهِم حَديثَهُ حَولَ ما جاءَ مِن تَعاليمَ في رِسالةِ المَسيحِ ﷺ.(1)

أبناء سكاوا

[11]وكانَ اللهُ يُجري على يَدَي بولُسَ مُعجزاتٍ خارقةً [12]حتّى إنّ النّاسَ حَمَلوا المَناشِفَ الّتي جَفَّفَ بولسُ بها عَرَقَهُ، أو مَلابِسَ العَمَلِ الّتي ارتَداها ليَضَعوها على مَرضاهُم لِتزولَ الأمراضُ عنهُم، أو تَفِرَّ الجانُ والشَّياطينُ مِن أجسادِ مَن تَلَبَّستهُم في الحالِ. [13]وحَدَثَ أنّ جَماعةً مِنَ اليَهودِ الرَّحّالينَ كانَت حِرفَتُهُم طَرَدَ الجانِ والشّياطينِ مِنَ المَمسوسينَ، فحاوَلَ بَعضُهُم استِغلالَ اسم عيسى ﷺ في أعمالِ السِّحرِ الّتي يَقومونَ بها. فكانوا يَقولونَ: "آمرُكَ لَتخرُجَنَّ باسم عيسى الّذي يُنادي بِهِ بولُسُ". [14]وكانَ مِن بَينِ هؤلاءِ أولادٌ سَبعةٌ لرَجُلِ دينٍ يَهوديٍّ اسمُهُ سَكاوا.(2) [15]وذاتَ يوم أرادوا طَرَدَ الشّياطينِ والجانِّ، وعِندَما أمَروهُم الخُروجَ باسم سَيِّدِنا عيسى ﷺ، قالَ لهُم جِنّيٌّ: "إنّني أعرِفُ عيسى كَما أعرفُ بولُسَ أيضًا فَمَن أنتُم؟!" [16]ثُمَّ هَجَمَ عليهِم الجِنّيُّ مِن خِلالِ الرَّجُلِ الّذي تَلَبَّسَهُ وأشبَعَهُم ضَربًا، فما كانَ مِنهُم إلاّ أن فَرُّوا بأنفُسِهِم عُراةً والجِراحُ تَملأُ أجسادَهُم. [17]ووَصَلَ ذلِكَ

(1) كانت أفاسوس مدينةً تجارية كبيرة، وعاصمة مقاطعة آسيا ومنها تُبَثّ الأخبار بسرعة فائقة، وكان بولس يقوم بتدريب الناس للدعوة وإرسالهم إلى كلّ أنحاء المنطقة.

(2) كان الاعتقاد سائدًا أنّ الأحبار اليهود يملكون قوّة عظيمة في عالم السحر، لكونهم يعلمون أسماء الكائنات الغيبية، وخاصةً أسماء الإله الأعظم.

الخَبَرُ إلى سَمعِ جَميعِ أهالي أَفاسوسَ يَهودًا وغَيرَ يَهودٍ، فجَعلَهُم يَهابونَ ويُعلونَ مِن شأنِ سَيّدِنا عيسى ﵇. [18-19]وإضافةً إلى كُلِّ هذا اعترَفَ كَثيرٌ مِنَ المُؤمنينَ بآثامِهِم، فجَمَعَ عَدَدٌ مِنهُم، مِنَ الّذينَ كانوا يُمارِسونَ السِّحرَ كُتُبَهُم وتَعاويذَهُم وأحرَقوها أمامَ المَلإ. وقد بَلَغَ ثَمَنُ هذِهِ الكُتُبِ ما يُقارِبُ الخَمسينَ ألفًا مِنَ العُملةِ النَّقديّةِ الفِضيّةِ.(1) [20]وهكذا، أخَذَت رِسالةُ عيسى ﵇ بالانتِشارِ على نِطاقٍ واسعٍ وأخَذَت تَزدادُ قوّةً.

[21]ثُمَّ قَرَّرَ بولُسُ، بَعدَ ذلِكَ، أن يَتَوجَّهَ إلى القُدسِ، مارًّا بمَقدونيا في شِمالِ اليُونانِ ثُمَّ بأَخائيَةِ في جَنوبِها،(2) وكانَ يَقولُ: "بَعدَ ذَهابي إلى القُدسِ، عليَّ زيارةُ روما أيضًا". [22]وأرسَلَ اثنينِ مِن مُساعِديهِ هُما تيموتاوي وأرَسْتُسُ إلى مَقدونيا. أمّا هو فمَكَثَ فَترةً في جِوارِ مَدينةِ أفاسوسَ.

الأحداث في أفاسوس

[23]في ذلِكَ الوَقتِ أثارَ الوَثَنيّونَ بهذِهِ المَدينةِ فِتنةً كَبيرةً ضِدَّ جَماعةِ عيسى ﵇، [24]وقد جَرى الأمرُ على هذا النَّحوِ: كانَ هُناكَ صائغٌ اسمُهُ دِيمِتْري، يَقومُ بتَشكيلِ نَماذِجَ فِضيّةٍ لِمَعبدِ الإلهة أرطامِيسَ في المَدينةِ، وهو عَمَلٌ يَدُرُّ عليهِ وعلى العُمّالِ رِبحًا وَفيرًا، [25]فاستَدعى يومًا هؤلاءِ العُمّالَ وآخَرينَ مِن مُساعِديهِم وقالَ لهُم: "أيُّها السّادةُ، أنتُم تَعرِفونَ أنّنا نَعتَمِدُ على هذهِ الصِّناعةِ كَمَوردِ رِزقٍ وَفيرٍ لنا، [26]وقد رأيتُم وسَمِعتُم كَيفَ اقتَنَعَ عَدَدٌ كَبيرٌ مِن أهلِ أفاسُوسَ ومَن حَولَها بكَلامِ بولُسَ هذا، وكَيفَ ضَلَّلهُم بقَولِهِ إنّ ما يَصنَعُهُ النّاسُ مِن أصنامٍ لَيسَت بآلهَةٍ على الإطلاقِ! [27]فنَحنُ أصحابَ هذِهِ المِهنةِ في خَطَرٍ لأنّها ستَكونُ مَحلَّ ازدراءِ النّاسِ، والأسوَأُ أنّ مَعبدَ الإلهة العَظيمةِ أرطاميسَ سيَفقِدُ احتِرامَ النّاسِ، وأرطاميسُ هي مَعبودةُ أهالي هذِهِ المِنطقةِ كُلِّها ولها عُبّادُها في جَميعِ أنحاءِ العالَمِ!"(3) [28]وعِندَما سَمِعَ العُمّالُ هذا الحَديثَ، انتابَهُم غَضَبٌ شَديدٌ،

---

(1) كانت الكتابات السحرية توضع في اسطوانات دائرية صغيرة أو مدلاّت وتتّخذ تعويذات. وتعادل قيمة هذه الكتب التي أحرقت أجْرَ خمسين ألف يوم عملٍ لعاملٍ عادي.

(2) عاد بولس لزيارة مجموعات المؤمنين في هذه المناطق حيث نشر رسالة السيد المسيح خلال رحلته الأولى. وأحد أسباب هذه الزيارة كان جمع التبرّعات من المؤمنين في اليونان لمساعدة المؤمنين الفقراء في منطقة يهوذا.

(3) كان تمثال أرطاميس في أفاسوس يُعبَد في ما لا يقلّ عن 33 منطقة من حوض البحر الأبيض المتوسط. وكانت أرطاميس إلهةً مشهورة في القديم.

وأخَذوا يَصرُخونَ قائلينَ: "عاشَت أرطاميسُ إلهةُ أهالي أفاسوسَ!" [29]وما أن سَرى الاضطِرابُ في جَميعِ أرجاءِ تِلكَ المَدينةِ، حتّى قَبَضَ بَعضُهُم على رَفيقَيْ بُولسَ في هذِهِ الرِّحلةِ، وهُما غايُسُ وأرِسْتَرْكي المَقدونيّانِ، مُندَفِعينَ اندِفاعَةَ رَجُلٍ واحِدٍ إلى مُدرَّجِ المَدينةِ. [30]وأرادَ بولُسُ مُواجَهةَ الجَماهيرِ المُحتَشِدَةِ، إلاّ أنّ المُؤمنينَ مَنَعوهُ، [31]وأرسَلَ إليهِ بَعضُ أصدقائِهِ مِن مَسؤولِي تِلكَ الوِلايةِ، يَرجونَهُ عَدَمَ تَعريضِ نَفسِهِ للخَطَرِ بتَوَجُّهِهِ إلى المُدَرَّجِ. [32]وسادَتِ الفَوضى الحُشودَ، وأخَذَ الصُّراخُ يَتَعالى، كُلُّ فِئةٍ تَهتِفُ بِعِباراتٍ تَختَلِفُ عَنِ الأُخرى، لأنّ أكثَرَهُم كانوا يَجهَلونَ سَبَبَ احتِشادِهِم. [33]وكانَ أن دَفَعَ اليَهودُ أحَدَهُم واسمُهُ اسكندَرُ ليَقِفَ في المُقَدِّمةِ ويُوَضِّحَ ما يَحصُلُ للحُشودِ. فأشارَ إسكَندَرُ بيَدِهِ للحُضورِ ليَهدَؤوا، لأنّهُ كانَ يُريدُ أن يُوَضِّحَ لهُم أنّهُ لا صِلةَ لليَهودِ بما يَقولهُ بُولسُ. [34]وعِندَما أدرَكَ الحاضِرونَ أنّ إسكَندَرَ يَهوديٌّ، أخَذَ الجَميعُ يَهتِفونَ: "عاشَت أرطاميسُ إلهةُ أفاسوس!"(1) [35]وظَلّوا يُرَدِّدون ذلِكَ لِساعَتينِ، إلى أن تَوَصَّلَ رَئيسُ مَجلِسِ المَدينةِ إلى تَهدِئَةِ الحُضورِ قائِلاً: "يا أهلَ أفاسُوسَ! إنّ الجَميعَ على عِلمٍ بأنّ مَدينتَكُم هذِهِ هي الحارِسَةُ لمَعبدِ أرطاميسَ الإلهةِ العَظيمةِ وحارِسةُ تِمثالِها الهابِطِ مِنَ السَّماءِ! [36]وهذا لا خِلافَ حَولَهُ، فاهدَؤوا وتَعَقَّلُوا ولا تَتَهَوَّروا. [37]لقد أحضَرتُم هذينِ الرَّجُلَينِ رَغمَ أنّهُما لم يَنتَهِكا حُرمةَ مَعبدِ أرطاميسَ ولم يَكفُرا بها. [38]فإن كانَت تُوجَدُ شَكوى مِن قِبَلِ دِيمِتري وأهلِ مِهنتِهِ ضِدَّ أحَدٍ، فهُناكَ المَحاكِمُ والقُضاةُ لهذِهِ المَسألةِ، وما عليهِم سِوى الالتِجاءِ إليهِم، [39]وإن كانَ مِن شَكوًى أُخرى، فعَلينا النَّظَرُ فيها مِن خِلالِ اجتِماعِ المَجلِسِ حَسَبَ القانونِ. [40]إنّكُم بطَريقَتِكُم هذِهِ الّتي تَلجَؤونَ إليها، تُعَرِّضونَ مَدينَتَنا لخَطَرِ اتّهامِ الرُّومانِ لنا بإثارةِ الفِتَنِ، فلَيسَ لنا حُجّةٌ في تَبريرِ اجتِماعِ هذِهِ الحُشودِ".(2) [41]وعِندَ انتِهائِهِ مِن كَلامِهِ هذا، أخَذَتِ الحُشودُ تَنفَضُّ مِن تَجَمهُرِها شيئًا فشَيئًا.

---

(1) كان الوثنيّون يعلمون أنّ اليهود لا يؤمنون بآلهتهم، لذلك ربّما شعروا أنّ إسكندر واليهود الآخرين كانوا بطريقةٍ ما متورّطين في الحوادث التي سبّبت الاضطراب في المدينة.

(2) أعطت الإمبراطورية الرومانية امتيازاتٍ خاصة لمدينة أفاسوس فأصبحت مدينةً حرّة تملك مجلس شيوخ خاصٍ فيها، ولكنّ الرومان احتفظوا بحقّ إلغاء هذه الامتيازات في حال نشوب أي شغب، كما حصل في مدنٍ أخرى.

٢٠
الفصل العشرون

في مقدونيا واليونان

[1]وبَعدَ انتِهاءِ الاضطِراباتِ، أرسَلَ بولُسُ إلى المؤمِنينَ يَشُدُّ أزرَهُم، ويُوَدِّعُهُم مُغادِرًا إلى مِنطقةِ مَقدونيا. [2]وأخَذَ يَتَنَقَّلُ في جَميعِ أرجائِها مُشَجِّعًا المُؤمِنينَ. حتَّى وَصَلَ أخيرًا إلى اليونان، [3]وأقامَ فيها مُدَّةَ ثلاثة أشهُرٍ. وأثناءَ استِعدادِهِ للإبحارِ إلى سُوريا، كانَ اليَهودُ يَتآمرونَ على قَتلِهِ. ووَصَلَ ذلِكَ إلى سَمعِهِ، فعَزَمَ حِينَئذٍ على العَودةِ إلى مَقدونيا، [4–6]آمِرًا بَعضَ مَن كانوا في صُحبَتِهِ بالإبحارِ إلى ميناءِ تَرْواسَ وهُم: سوباتَرُ بنُ بِرُّسَ مِن بيريّة، وأرِسْتَرْكي وسَكونْدُسُ مِن تَسالونكي، وغايُسُ مِن دَربةِ، وتيموتاوي. وكانَ مَعَهُ مِن مُقاطعةِ آسيا طيخي وطَريفي،(1) ولقد ظَلَّ إلى جانبِهِ بَعضُ المُؤمِنينَ الّذينَ رافَقوهُ إلى مَقدونيا بَرًّا، وُصولاً إلى مَدينةِ فيليبّي. وبَعدَ عِيدِ الفَطير،(2) رَكِبوا على مَتنِ سَفينةٍ ولَحِقوا ببَقيَّةِ المُؤمنينَ الّذينَ كانوا قد وَصَلوا قَبلَهُم إلى ميناءِ تَرْواس، حَيثُ مَكَثوا سَبعةَ أيّامٍ.

افتيخي يعود من الموت

[7]وفي يومِ الأحَدِ، اجتَمَعَ بولُسُ ومَن مَعَهُ لتَناوُلِ العَشاءِ التِّذكاريّ مُستَحضِرينَ ذِكرى عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في ذلِكَ اليوم. وأخَذَ بولُسُ يُحاوِرُ المُجتَمِعينَ حتّى مُنتَصَفِ اللَّيلِ وما كانَ يَستَطيعُ قَطعَ ذلكَ الحِوار لأنّهُ كانَ يَنوي السَّفَرَ في اليوم التّالي. [8]وكانَ في الطّابقِ العُلويِّ حَيثُ يَجتَمِعُ المُؤمِنونَ قَناديلُ زَيتيّةٌ كَثيرةٌ [9]جَعلَت جَوَّ الغُرفةِ مَليئًا بالدُّخانِ، وكانَ هُناكَ شابٌّ اسمُهُ أفتيخي يَجلِسُ عِندَ النّافِذةِ، وقد غَلَبَهُ النُّعاسُ بَينَما واصَلَ بولُسُ حَديثَهُ إلى وَقتٍ مُتأخِّرٍ. فنامَ أفتيخي نَومًا عَميقًا تَسبَّبَ في سُقوطِهِ أرضًا مِنَ الطّابقِ الثّالثِ، فماتَ. [10]فنزَلَ بولُسُ في الحينِ إليهِ وانحَنى عليهِ يَحتَضِنُهُ قائلاً لِمَن

(1) رافق رجالٌ بولس لحماية المال الذي جمعه المؤمنون غير اليهود من مدن فيليبّي وتسالونكي وكورنتوس لإرساله إلى المؤمنين المعوزين في القدس. وقد أرادوا بهذه الرفقة أيضًا أن يتيقّنوا من وصول المال إلى أصحابه. وكان الهدف من إرسال هذه الهِبة المالية هو إعطاء البرهان على وحدة أتباع سيدنا عيسى اليهود وغير اليهود.

(2) تدوم مدّة عيد الفطير أسبوعا من الاحتفالات، التي تُقام في الربيع، بعد عيد الفصح مباشرةً.

حَولَهُ: "لا تَقلَقوا، إنّ الشّابَّ حيٌّ!" [11]ثُمَّ صَعِدوا إلى الغُرفةِ وتَناوَلوا العَشاءَ التّذكاريّ استِحضَارًا لذِكرى سَيِّدِنا عيسى ﷺ. وعادَ بولُس، بَعدَ ذلكَ، يُتابِعُ كَلامَهُ مَعَ المُؤمِنينَ إلى طُلوعِ الفَجرِ ثُمَّ غادَرَهم. [12]أمّا بالنِّسبةِ إلى أَفتيخي، فقَد صَحبوهُ إلى بَيتِهِ حيًّا، بَعدَ أن هَدأَت نُفوسُهُم واطمأنَت بأنّ الشّابَّ قد عادَت إليهِ الحَياةُ.

وداع بولس لقادة المؤمنين في أفاسوس

[13]وقَرَّرَ بولُسُ الوصولَ إلى ميناءِ أَسّوسَ سَيرًا على الأقدامِ،(1) وطَلَبَ مِن رِفاقِهِ الإبحارَ إلى هُناكَ لمُلاقاتِهِ، لِيُتابِعوا الرِّحلةَ مَعًا صَوبَ القُدسِ. فصَعِدوا على مَتنِ السَّفينةِ وفَعَلوا كَما طَلَبَ مِنهُم. [14]وعِندَ وصولِ بُولسَ إلى أَسّوسَ انضَمَّ إلى رِفاقِهِ ليُبحِروا مَعًا إلى ميناءِ مِتْلينَ. [15]ثُمَّ انطَلَقوا في اليومِ المَوالي مُتَجاوِزينَ جَزيرةَ خِيُوسَ، ووَصَلوا في اليومِ الثّالثِ جَزيرةَ ساموسَ، ثُمّ أخيرًا في اليومِ الرّابعِ وَضَعوا مَراسيَهُم في ميناءِ مِيليتُسَ. [16]وكانَ بولُسُ قد قَرَّرَ تَجاوُزَ مَدينةِ أفاسوسَ لأنَّهُ لم تَكُن لَدَيهِ الرَّغبةُ في قَضاءِ المَزيدِ مِنَ الوَقتِ في تِلكَ المِنطقةِ، إذ كانَ يُريدُ أن يَصِلَ إلى القُدسِ قَبلَ حُلولِ عِيدِ الخَمسينَ إن تَمَكَّنَ مِن ذلك.(2)

[17]وبَعدَ النُّزولِ في مِيليتُسَ، استَدعى بولُسُ شُيوخَ المُؤمِنينَ في أفاسوسَ، [18]وخَاطَبَهُم قائِلاً: "يا إخواني، أنتُم تَعلَمونَ، مُنذُ قُدومي، طَريقةَ تَعامُلي مَعَكُم طَوالَ الفَترةِ الّتي أمضَيتُها بَينَكُم في هذِهِ المِنطقةِ، [19]فقد كُنتُ أخدِمُ سَيِّدَنا عيسى ﷺ بكُلِّ تَواضُعٍ وبِدُموعٍ كَثيرةٍ، رَغمَ كُلِّ ما أصابَني مِن مِحَنٍ مَصدَرُها مَكائِدُ اليَهودِ. [20]وتَعلَمونَ أنّي لم أَمنَع عنكُم ما فيهِ نَفعُكُم، إذ أنّني كُنتُ أجلِسُ مَعَكُم ناصِحًا مُعَلِّمًا، مُنتَقِلاً في ذلك مِن دارٍ إلى دارٍ، [21]أُناشِدُ الجَميعَ، اليَهودَ وغَيرَ اليَهودِ، أن يَعودوا إلى اللهِ تائِبينَ وإلى الإيمانِ بسَيِّدِنا عيسى ﷺ مُنيبينَ. [22]وأمّا الآنَ فإنّني أتَوَجَّهُ إلى القُدسِ بوَحيٍ مِن رُوحِ اللهِ، ولا أعلَمُ ما سأُلاقيهِ هُناكَ، [23]إلاّ أنّ تَحذيرًا

(1) كانت المسافات الصغيرة تُقطع برًّا وليس بحرًا إذ لم تكن تتطلّب وقتا طويلا مشيا على الأقدام، خاصةً أنّ السفن كانت تنتظر العابرين في المرافئ. كما كانت السفرات بحرًا مُكْلِفة أكثر من المَشْي على الأقدام.

(2) كان بولس مستعجلا للوصول إلى القدس قبل حلول العيد، إذ يتجمّع هناك عدد كبير من الحجاج، وتقدَّم الهبات الكبيرة للفقراء من اليهود وهو ما يحدث فيهم تأثيرا فائقا، مبرهنا على وحدة المؤمنين بالسيد المسيح، يهودا وغير يهود.

مِن رُوحِ اللهِ يأتيني في كُلِّ مَدينةٍ مَررتُ بها في طَرِيقي بأنّ المَصاعِبَ والسِّجنَ في انتِظاري. [24]وأُعلِنُ أنّ حَياتي لا تُساوي شَيئًا أمام إتمام العَمَلِ المُلقى على عاتقي والدَّعوةِ الّتي كَلّفَني بها مَولاي عيسى ﷺ، وهي أن أَزُفَّ لهُمُ البُشرى بفَضلِ اللهِ عليهِم ولُطفِهِ.

[25]لقد أعلَمتُكُم جَميعًا بقِيامِ مَملكةِ اللهِ المَوعودةِ، وأنا على يَقينٍ أنّكُم لن تَروني بَعدَ اليَوم، [26]لِهذا أُخبِرُكم أيُّها الإخوةُ أنّهُ إن ضَلَّ أحَدُكُم فما أنا بِمَسؤولٍ عن ذلك، [27]لأنّني لَم أُقَصِّرْ في إبلاغِكُم كُلَّ ما يَجِبُ عليكُم فِعلُهُ لمَرضاةِ اللهِ. [28]فحافِظوا على أنفُسِكُم وعلى الرَّعية الّتي استأمَنَكُم اللهُ عليها بِروحِهِ تَقدَّسَ وتَعالى، وقوموا برِعايةِ جَماعاتِ المُؤمِنينَ باللهِ الّتي جَعَلَ اللهُ فِداءَها دَمَ حَبيبِهِ عيسَى ﷺ، [29]واعلَموا أنّهُ سيَهجُمُ عليكُم بَعدَ رَحيلي دَجّالونَ كَالذِّئابِ المُفترِسةِ لا يُشفِقونَ على الرَّعية، [30]وسيَلجأُ بَعضُكُم إلى الكَذِبِ والغِشِّ وتَشويهِ الحقِّ ليَجعَلَ المُؤمِنينَ يَمضونَ في إثرِه. [31]فحَذارِ مِن ذلِكَ، وتَذَكّروا أنّي لم أتَوَقّف على مَدى ثَلاثِ سَنواتٍ عَن رِعايَتِكم جَميعًا، بالنَّصيحةِ والدُّموعِ لَيلاً نَهارًا".

[32]"والآن ها أنا أُفارِقُكم وأترُكُكم برِعايةِ اللهِ وبِحمايةِ الرِّسالةِ بفَضلِهِ تَعالى، فإن عَمِلتُم بهذِهِ الرِّسالةِ فسَتَثبُتونَ على إيمانِكُم وتَحصُلونَ على نَصيبِكُم باعتِبارِكُم مِن عِبادِ اللهِ الصّالحينَ. [33]واعلَموا أنّهُ لم يَكُن لَدَيَّ أدنى رَغبةٍ في فِضَّتِكم أو ذَهَبِكُم أو ثيابِ أحَدِكُم، [34]فقدِ اعتَمَدتُ على كَدِّ يَدَيَّ لأُحَصِّلَ مَعاشي ومَعاشَ مَن مَعي مِن رِفاقي، [35]ولقد بَيّنتُ لكُم كَيفَ نُوَجِّهُ جُهودَنا لمُساعدةِ المُحتاجينَ. وتَذَكّرُوا يا أحبابي كَلِماتِ سَيِّدِنا عيسى، إذ قالَ: "السَّعادةُ في العَطاءِ أعظَمُ مِنها في الأخْذِ".(1)

[36]وعِندَما أنهى بولُسُ كَلامَهُ، رَكَعَ الجَميعُ للهِ وتَضرَّعوا مِن أجلِ بولُسَ، [37]ثُمّ أجهَشَ الجَميعُ بالبُكاءِ وبَدَؤوا يُعانِقونَهُ ويُقَبِّلونَهُ، [38]وقد تَملّكَهُم شُعورٌ بالحُزنِ، لأنّهُم لن يَرَوا مُحيّاهُ ثانيةً، ثُمَّ أوصَلوهُ إلى السَّفينةِ ووَدَّعوهُ.

---

(1) كان مجتمع الطبقة الراقية، والفلاسفة يحتقرون العمل اليدوي، وكان معظم الفلاسفة يحاولون الحصول على المال من الأغنياء أو يمارسون التعليم أو يسْتجْدون. وقد كان بولس ومساعدوه يمنحون المال للفقراء ليبيّنوا أنّ دعوتهم صادقة.

٢١
الفصل الحادي والعشرون

إلى القدس

[1]بَعدَ أن تَرَكَ بولُسُ ورِفاقُهُ قادةَ المُؤمنينَ في مَدينةِ أفاسوسَ، يَمَّموا بِسَفينتِهِم شَطرَ جَزيرةِ قُوشَ حَيثُ قاموا في اليَومِ التّالي مِن وُصولِهِم بالتَّوجُّهِ إلى جَزيرةِ رُودُسَ ومِنها إلى ميناءِ باتَرا، [2]وهُناكَ وَجَدوا سَفينةً مُتوَجِّهةً إلى بِلادِ فينيقِية فصَعِدوا إليها. [3]وخِلالَ إبحارِهِم بَدَت لهُم جزيرةُ قُبرُصَ عَن شِمالِهِم، ثُمَّ تابَعوا سَفرَهُم مُتَّجِهينَ إلى سُوريا حَيثُ رَسَتِ السَّفينةُ في مِيناءِ صُورَ وأفرَغَت حُمولتَها هُناكَ، [4]فنزَلَ بولُسُ وأصحابُهُ فوَجَدوا في هذِهِ المَدينةِ جَماعةً مِن أتباعِ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ. فأقاموا عِندَهُم سَبعةَ أيّام كانوا أثناءَها يَطلُبونَ مِن بولُسَ ألاّ يَتوَجَّهَ إلى القُدسِ لأنّهُم عَلِموا بوَحيٍ مِن روحِ اللهِ أنّهُ سيُلاقي الأذى هُناكَ. [5]وبَعدَ انتِهاءِ الزِّيارةِ، غادَروا المكانَ وتابَعوا إبحارَهُم وقد كانَ في وَداعِهِم أتباعُ المَسيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ جميعًا معَ عائلاتِهِم. وعِندَ وُصولِهِم إلى الشّاطئ رَكَعوا جَميعًا للصَّلاةِ، [6]ثُمَّ وَدَّعَ بَعضُهُم بَعضًا وتَوجَّهَ كُلُّ واحِدٍ إلى وِجهتِهِ. وصَعِدَ بولُسُ ورِفاقُهُ على مَتنِ السَّفينةِ [7]وتابَعوا طَريقَ سَفَرِهِم صَوبَ عَكّا،(1) وعِندَ وُصولِهِم نَزَلوا فيها لمُلاقاةِ جَماعةِ المُؤمنينَ هُناكَ وإلقاءِ السَّلام عليهِم والإقامةِ عِندَهُم مُدّةَ يوم. [8]وفي اليَومِ التّالي واصَلوا مُهِمّتَهُم وُصولاً إلى مَدينةِ قَيصريّة الّتي نَزَلوا فيها وأقاموا عِندَ الدّاعِيةِ فيليبَ، أحَدِ الرِّجالِ السَّبعةِ الّذينَ اختارَهُم الحَواريّونَ لتَوزيعِ المُؤَنِ على الأرامِلِ. [9]وكانَ لِفيليبَ أربعةُ بَناتٍ عازِباتٍ يَتمَتّعنَ بكَراماتِ النُّبوءة. [10]وبَعدَ مُضِيِّ عِدّةِ أيّام في ضِيافةِ فيليبَ، قَدِمَ مِن مِنطقةِ يَهوذا رَجُلٌ لهُ كَرامةُ النُّبوءَةِ اسمُهُ أغابوسُ، [11]تَوَجَّهَ إلى بولُسَ ورِفاقِهِ، وأخَذَ حِزامَ بولُسَ، ثُمَّ قَيّدَ يَديهِ وقَدَمَيهِ بنَفسِهِ وقالَ: "نَزَلَ وَحيٌ مِن رُوحِ اللهِ أنّ اليَهودَ سيَقومونَ بتَقييدِ صاحِبِ هذا الحِزامِ في القُدسِ كَما فَعَلتُ، ثُمَّ يُسَلِّمونَهُ إلى الأجانِبِ". [12]وعِندَما سَمِعَ أصحابُ بولُسَ ومَنِ استَضافوهُم مِنَ المُؤمِنينَ هذا الكَلامَ، تَوَجَّهوا إليهِ مُتوَسِّلينَ ألاّ يَذهَبَ إلى القُدسِ. [13]فأجابَهُم قائلاً: "لِمَ تُثيرونَ أشجاني بِبُكائِكُم؟ إنّي على استِعدادٍ لا للقَيدِ فقط، بل للمَوتِ أيضًا في القُدسِ في سَبيلِ مَولاي عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ". [14]وعِندَ إحساسِهِم بالعَجزِ عن إقناعِهِ،

---

(1) كانت مدينة عكّا معروفة أيضًا باسم بتولمايس.

قالوا: "إن كانَ هذا ما يُريدُهُ سَيِّدُنا عيسى، فلتُنَفَّذْ إرادَتُهُ!" [15]وحزَمَ بولُسُ وأصحابُهُ أمرَهُم استِعدادًا لمُتابَعةِ رِحلتِهِم إلى القُدسِ، [16]وانضَمَّ إليهِم جَماعةٌ مِنَ المُؤمنينَ مِن قَيصريّة وتَوَجّهوا جَميعًا إلى دارِ مَناسونَ، وهو رَجُلٌ يَهوديٌّ قُبرُصِيُّ المَولِدِ، وأحَدُ المُؤمِنينَ الأوائِلِ بالسّيِّدِ المَسيحِ، ليُقيموا عِندَهُ.

في القدس

[17]وفي اليوم التّالي، عِندَ وُصولِ بولُسَ ورِفاقِهِ إلى القُدسِ، كانَ في استِقبالِهِم هُناكَ إخوانُهُم في الإيمانِ الّذينَ رَحّبوا بِهِم بِحَرارةٍ. [18]وفي الغَدِ، تَوَجَّهوا لزيارةِ يَعقوبَ،[(1)] وكانَ قادةُ المُؤمنينَ مُجتَمِعينَ عِندَهُ. [19]فسَلَّمَ بولسُ عليهِم وأخبَرَهُم بتَفاصيلِ ما قامَ بِهِ مِن أعمالٍ بفَضلِ اللهِ أثناءَ نَشرِ دَعوَتِهِ بَينَ سائرِ الشُّعوبِ. [20]وعِندَما سَمِعوا بذلِكَ، كَبَّروا اللهَ مُسَبّحِينَ، ثُمَّ قالوا لهُ: "أيُّها الأخُ، أنتَ تَعلَمُ أنّ مِنَ بَينَ اليَهودِ مَن آمَنَ بسَيِّدِنا عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ. وقد بَلَغَ عَدَدُهُم الآلافَ، ولكنّهُم مُتَعَصِّبونَ للتَّوراةِ، [21]وقد وَصَلَ إلى أسماعِهِم أنّكَ طَلَبتَ مِنَ اليَهودِ الماكِثينَ بينَ الوَثنيِّينَ خارجَ فِلَسطين مُخالَفةَ تَعاليمِ تَوراةِ سَيِّدِنا موسى، وخُصوصًا عَدَمَ خِتانِ أولادِهِم واتّباعِ عاداتِ شَعبِنا. [22]ولا شَكَّ بأنّهُم سيَسمَعونَ بخَبَرِ قُدومِكَ إلى هُنا، فماذا نَحنُ فاعِلونَ![(2)] [23]إنّنا نَنصَحُكَ بما يلي: بَينَنا أربَعةُ رِجالٍ عليهِم نُذُرٌ يؤدُّونَها، [24]فاذهَبْ إليهِم وتَطَهَّرْ واستَعِدَّ لتُشارِكَهُم في الشَّعائرِ الّتي تَنتَهي بحَلقِ رُؤوسِهِم وتَقديمِ ذَبائحِهِم فتَتِمَّ بذلكَ نُذُرُهُم، ثُمّ قَدِّم إليهِم تَكاليفَ الذَّبائحِ، وسيَعلَمُ الجَميعُ عِندَئذٍ أنّ ما وَصَلَ إلى سَمعِهِم مِن أخبارٍ غَيرُ صَحيحٍ، لأنّكَ تَعمَلُ بما جاءَ في التَّوراةِ. [25]أمّا عن غَيرِ اليَهودِ مِنَ المُؤمِنينَ، فقد أرسَلنا إليهِم بفَتوى تُحَرِّمُ عليهِم أكلَ لُحومِ القَرابينِ المُقَدَّمةِ للأوثانِ، والدِّماءَ، ولُحُومَ الحَيواناتِ المُنخَنِقةِ، وزَواجَ المَحارِمِ". [26]فاستَجابَ بولُسُ لنَصيحةِ إخوانِهِ، وتَطَهَّرَ كَما فَعَلَ الرِّجالُ الأربَعةُ، ثُمَّ تَوَجَّهَ إلى الحَرَمِ الشَّريفِ، مُعلِنًا رَسميًا في سِجلاّتِ

(1) كان يعقوب أخا سيدنا عيسى أحد قادة المؤمنين في القدس. ويبدو أن بطرس وغيره من الحواريين الاثني عشر الباقين كانوا قد تركوا القدس في هذه الفترة، حين قدّم بولس ورفاقه هبات المؤمنين غير اليهود للمؤمنين اليهود الفقراء في القدس، حسب ما جاء في سيرة الحواريين 24: 17.

(2) قَبِل المؤمنون اليهود وقادتهم عمل بولس بين غير اليهود، ولكنّهم واجهوا مشكلةً. ففي ذلك الوقت، كان الشعور القومي اليهودي ينمو وكانت مقاومة المتشددين اليهود الشديدة للاختلاط بالأجانب تزداد. ولذلك احتاج بولس أن يبرهن على التزامه بميراثه اليهودي وبالتقاليد.

الحَرَمِ تاريخَ انتِهاءِ أداءِ الرِّجالِ للشّعائرِ الخاصّةِ بنُذورِهم، وزَمَنَ تَقديمِ القَرابينِ عن كُلٍّ مِنهُم.(1)

القبض على بولس

27وعِندَما أوشَكَت شَعائرُ تَطهيرِ بولُسَ على الانقِضاءِ، شاهَدَ بَعضُ اليَهودِ مِن مُقاطعةِ آسيا بولُسَ وهو في حَرَمِ بيتِ اللهِ، فقاموا بإثارةِ النّاسِ هُناكَ ضِدَّهُ، فأمسَكوا بِهِ 28صارِخينَ: "إلينا يا بَني يَعقوبَ! هوذا الرَّجُلُ الّذي يَقومُ بتَعليمِ النّاسِ في كُلِّ مَكانٍ أُمورًا ضِدَّ شَعبِنا وضِدَّ توراتِنا وضِدَّ هذا المَكانِ المُقَدَّس! والأسوأ أنّهُ سَمَحَ للأغرابِ بدُخولِ حَرَمِ بَيتِ اللهِ، مُنَجِّسًا قُدسيّةَ هذا المَكانِ!" 29ولقد ذَكَروا ذلِكَ لأنّهُم شاهَدوهُ في أنحاءِ المَدينةِ رِفقةَ رَجُلٍ غَيرِ يَهوديّ مِن أفاسوسَ يُدعى طَريفي، فظَنّوا أنّ بولُسَ سَمَحَ لهُ بالدُّخولِ إلى الأماكِنِ المُحرَّمةِ على الأجانبِ في الحَرَمِ الشَّريفِ.(2) 30وهاجَتِ المَدينةُ، وأخَذَ النّاسُ يَندَفِعونَ مِن كُلِّ الأنحاءِ إلى مَكانِ وُجودِ بولُسَ، وعِندَما أمسَكوا بِهِ، أخَذوا يَجُرّونَهُ إلى خارجِ الحَرَمِ الشَّريفِ، وأُغلِقَتِ الأبوابُ في الحالِ. 31وبَينَما كانوا يُحاولونَ قَتلَهُ، عَلِمَ قائدُ الكَتيبةِ الرُّومانيّة بحالةِ الهَيَجانِ الّتي تَجتاحُ القُدسَ، 32فأسرَعَ مَعَ عَدَدٍ مِنَ الضُّبّاطِ والجُنودِ إلى حَيثُ الحُشودُ.(3) وعِندَما رأتِ هذِهِ الحُشودُ قُدومَ القائدِ مَعَ جُنودِهِ، تَوَقّفوا عن ضَربِ بولُسَ. 33فأقبَلَ القائدُ وقَبَضَ عليهِ وأمَرَ بتَقييدِهِ بسِلسِلَتين. وبادَرَ بالسُّؤالِ: "مَن هذا الرَّجُلُ وما الأفعالُ الشّائنةُ الّتي ارتَكَبَها؟" 34فأخَذَت جَماعاتٌ مِنَ الحُضُورِ تَصرُخُ هائجةً، كُلٌّ يَصرُخُ بِعباراتٍ تَختَلِفُ عن الأُخرى، مِمّا مَنَعَ القائدَ مِن مَعرفةِ حَقيقةِ الأمرِ. فأصدَرَ أمرَهُ بأخذِ بولُسَ إلى القَلعةِ.

(1) اقترح شيوخ جماعة المؤمنين في القدس أن يشترك بولس في النذور مع هؤلاء الرجال لأجل حمايته من تُهَم التخلّي عن اليهود وتقاليدهم. وعند انتهاء نذورهم، كان باستطاعته دفع ثمن الذبائح المفروضَة في التوراة. وللانضمام إلى أصحاب النذور، كان على بولس أن يتطهّر أيضًا لأنه عاد من أراضٍ غريبة وهكذا اعتبروه غير طاهر وغير مؤهَّل للاشتراك في هذه المناسبة. واعتبر كل شخص يدفعُ ثمن الذبائح المطلوبة نيابةً عن شخص آخر عند انتهاء النذور عملاً صالحًا.

(2) كان يهود مقاطعة آسيا ومدينة أفاسوس تحديدًا يعرفون بولس ونشاطاته. وتهمتهم له كانت باطلة، لكنّها استندت على علاقة بولس بالمؤمنين غير اليهود.

(3) كانت قلعة أنطونيا تطلّ من الجهة الشمالية الغربية على باحات الحرم الشريف وتحوي كتيبة رومانية مؤلّفة من 600 رجل. وبسبب ارتفاع قلعتهم، كان الجنود قادرين على الإشراف على ساحات الحرم في حال اندلاع شغب، وكانوا سريعي التدخّل من خلال مدارج تربط القلعة بباحة الحرم.

[35]وعِندَ وُصولِهِ السُلّمَ الواصِلَ بَينَ الحَرَمِ والقَلعةِ، اضطَرَّ الجُنودُ لحَملِهِ حتّى لا يَفتِكَ بهِ الجُمهورُ [36]الّذي تَبِعَهُ صارِخًا: "هيّا لِنَقتُلْهُ! اُقتلوهُ، اُقتلوهُ!" [37]وأثناءَ إدخالِ الجُنودِ بولُسَ إلى القَلعةِ التَفَتَ إلى القائِدِ قائلاً: "هل تَسمَحُ بأن أطلُبَ مِنكَ شَيئًا؟" فأجابَهُ القائِدُ: "أتَتَكَلّمُ اليُونانيّة؟(1) [38]ألَستَ أنتَ ذاكَ المِصريَّ الّذي تَسبّبَ في إثارةِ الفِتنةِ وقامَ باقتِيادِ أربعةِ آلافٍ مِنَ القَتَلَةِ المُتطَرِّفينَ إلى الصَّحراءِ مُنذُ فترةٍ؟"(2) [39]فقالَ بولُسُ: "إنّما أنا يَهوديٌّ مِن مَدينةِ طَرسُوسَ، المَدينةِ المَشهورةِ في كِيليكيّة. اسمَحْ لي مِن فَضلِكَ بمُخاطَبةِ الحُشودِ". [40]فأذِنَ لهُ القائِدُ بذلِكَ. فوَقَفَ بولُسُ على السُّلّمِ مُشيرًا إلى النّاسِ بالإنصاتِ. وعِندَما سادَ الصَّمتُ، أخَذَ يُخاطِبُهُم باللُّغة العِبريّةِ.(3)

٢٢
الفصل الثّاني والعشرون

خطاب بولس للجمهور

[1]قالَ بولُسُ: "يا إخواني مِن بَني يَعقوبَ، اصغوا إليّ". [2]وعِندَما تَنبَّهوا إلى أنّهُ يُخاطِبُهُم بالعِبريّةِ سادَ الجَمعَ مَزيدٌ مِنَ الهُدوءِ.(4) [3]فتابَعَ بولُسُ قائلاً: "إنّني يَهوديٌّ، وطَرسُوسُ الّتي في مُقاطعةِ كِيليكيّة هي مَسقطُ رأسي، إلاّ أنّ نَشأتي كانَت في رُبوعِ هذِهِ المَدينةِ، وكانَ مُعَلّمي هو الشَّيخُ غَمْلائِيل، ودَرجَتُ على عاداتِ آبائِنا الأكثرِ تَشَدُّدًا وعلى مُعتَقداتِهِم، وكُنتُ شَديدَ الحَماسةِ للهِ كَما أنتُم اليَومَ، [4]مِمّا جَعَلَني أضطَهِدُ أتباعَ

(1) كان الرومان يستخدمون اللغة اليونانية للأعمال الإدارية والتجارية. وكان معظم سكان منطقة القدس لا يعرفون إلاّ القليل من اللغة اليونانية، ولكنّ بولس كان يجيدها.

(2) كتب المؤرخ الروماني يوسيفوس عن مدّعي النبوّة هذا والذي أتى من مصر وجمع حوله أتباعا للإطاحة بالحكم الروماني. وقد هزمه الحاكم فيلكس على رأس الجيش الروماني، ولكنّه فرّ هاربًا. وفي ذلك الوقت، ظهر الكثير من الأصوليّين اليهود الذين استخدموا عمليات القتل لترهيب عملاء الرومان من الشعب اليهودي.

(3) من الممكن أنّ القائد الروماني سمح لبولس بمخاطبة الجمع، ظنًّا منه أنّ الناس اعتبروه عن خطأ قائدَ مجموعة اليهود الأصوليّين التي ذكرها، وأنّ بولس سيوضّح لهم الأمر.

(4) ظنّ بعض من هذه الجموع أنّ بولس يهودي من خارج فلسطين يعطف على غير اليهود، وكانوا يخافون من هؤلاء ويحتقرونهم. ولكن عندما سمعوه يتكلّم لغتهم العبرية بطلاقة، توقّفوا عن الكلام وانتبهوا إليه.

عيسى النّاصِريّ إلى دَرجةِ المَوتِ، فكُنتُ أقبِضُ عليهِم رِجالاً ونِساءً وأُلقي بِهِم في السُّجونِ، [5]والشّاهِدُ على صِحّةِ أقوالي هذِهِ رَئيسُ الأحبارِ وجَميعُ أعضاءِ المَجلِسِ، فقد حَرَّضتُهُم على أن يَكتُبوا رَسائلَ مُوَجَّهةً إلى قادةِ اليَهودِ في دِمَشقَ يأذنونَ لي فيها، عِندَ ذَهابي إلى هُناكَ، بالقَبضِ على هؤلاءِ النّاسِ وإحضارِهِم إلى القُدسِ ليَلقَوا عِقابَهُم.

[6]وفي ظَهيرةِ ذلِكَ اليوم، عِندَما كُنتُ في طَريقي إلى دِمَشقَ وقد اقتَرَبتُ مِنها، سَطَعَ حَولي فَجأةً نورٌ باهِرٌ مِنَ السَّماءِ، [7]جَعَلَني أسقُطُ أرضًا، وسَمِعتُ صَوتًا يُخاطِبُني قائلاً: شاوِلُ! يا شاوِلُ! لِمَ تَضطَهِدُني؟" [8]فأجَبتُ: "مَن أنتَ يا سَيِّدي؟" فقالَ الصَّوتُ: "أنا عيسى النّاصِريّ، أنا مَن تَضطَهِدُهُ باضطِهادِكَ لأتباعي!" [9–10]فقُلتُ: "وماذا أعمَلُ يا سَيِّدي؟" فقالَ: "قُم وادخُلْ دِمَشقَ، هُناكَ سيُعَلِّمُكَ أحَدُهُم الأعمالَ الّتي اختَرتُكَ للقِيامِ بها". وقد أبصَرَ مَن مَعي ذلِكَ النُّورَ، إلاّ أنّهُم لم يُمَيِّزوا صَوتَ المُخاطِبِ.

[11]ولم يَكُن باستِطاعتي مُتابعةُ السَّيرِ، فقد أصابَني النُّورُ بالعَمى، فقادَني مَن كانوا برِفقتي مِن يَدي حتّى وَصَلنا إلى دِمَشقَ. [12]وهُناكَ قابلَني رَجُلٌ تَقيٌّ اسمُهُ حَنانيّا، مُلتَزِمٌ تَعاليمَ التَّوراةِ، وكانَ مَحَلَّ احتِرام جَميعِ اليَهودِ، [13]فاقتَرَبَ مِنّي ووَقَفَ بِجانِبي قائلاً: "يا أخي شاوِلُ أبصِرْ!" وحالَما انجَلى العَمى عَن عَينَيَّ رأيتُهُ. [14]ثُمَّ قالَ لي: "لقدِ اختارَكَ رَبُّ آبائنا الأوّلينَ لتَكونَ عالِمًا بما يُرضيهِ ولتَكونَ أنتَ مَن مَنَّ عليهِ برُؤيةِ المُرتَضى عيسى عليه السلام، ولِتَسمَعَ كَلامَهُ مُباشرةً، [15]فيَجِبُ أن تُعلِنَ رِسالتَهُ بَينَ كُلِّ النّاسِ، وتُخبِرَهُم بما رأيتَ وما سَمِعتَ مِنهُ! [16]فما بالُكَ تُبطِئ في ذلِكَ؟ قُم واُطلُبْ شَفاعةَ سَيِّدِنا عيسى عليه السلام واغتَسِلْ وتَطَهَّرْ مِن ذُنوبِكَ!"

[17]فرَجَعتُ مِن فَوري إلى القُدسِ. وذاتَ يوم، بَينَما كُنتُ أُصَلّي في حَرَم بيتِ اللهِ، رُفِعَ عني الحِجابُ، [18]ورأيتُ عيسى عليه السلام يَقولُ لي: "أسرِعْ بالخُروجِ مِنَ القُدسِ، فإنّهُم لن يَتَقَبّلوا مِنكَ دَعوتَكَ للإيمانِ بي". [19]فأجَبتُ: "يا سَيِّدي، كَيفَ لا، وهؤلاءِ على عِلمٍ يَقينٍ بأنّني إنّما كُنتُ أتَوَجَّهُ إلى بُيوتِ العِبادةِ للقَبضِ على المُؤمنينَ بِكَ وسَجنِهِم وضَربِهِم. [20]وعِندَما قُتِلَ شَهيدُكَ اِسطِفانَ كُنتُ هُناكَ وقد رَضيتُ عن ذلِكَ، وكُنتُ حارِسًا لثِيابِ قتَلَتِهِ". [21]وأصَرّ عيسى عليه السلام على الأمرِ قائلاً: "اِرحَلْ عن القُدسِ! سأُرسِلُكَ إلى غَيرِ اليَهودِ للدَّعوةِ في البِلادِ البَعيدةِ!"

[22]وعِندَما نَطَقَ بولُسُ بهذِهِ الكَلِماتِ عن دَعوةِ غَيرِ اليَهودِ، قَطَعَ الحاضِرونَ صَمتَهُم

وبَدَؤوا يَصرُخونَ: "هيّا نَقتُلْهُ! لنَمحُ هذا الرَّجُلَ مِنَ الوُجودِ! فحَرامٌ أن يَبقى على قَيدِ الحَياة!" [23]ثُمَّ عَلا صُراخُهُم مُلَوِّحينَ بثيابِهِم غَضَبًا مُلقينَ نَحوَهُ بحَفناتٍ مِن تُرابٍ مَلأتِ المَكانَ. [24]فأمَرَ القائدُ عِندئذٍ جُنودَهُ باقتيادِ بولُسَ إلى القَلعةِ، وجَلدِهِ أثناءَ استِجوابِهِ لمَعرفةِ سَبَبِ احتِجاجِ الحُشودِ عليهِ بمِثلِ هذِهِ الطَّريقةِ. [25]وعِندَما مَدَّدوهُ ورَبَطوهُ استِعدادًا لجَلدِهِ، التَفَتَ بولُسُ إلى الضّابطِ الواقفِ بجانبِهِ وقالَ: "هل يُعطيكُم القانونُ الحَقَّ بجَلدِ مواطنٍ رُومانيٍّ بِلا مُحاكَمةٍ؟" [26]ولمّا سَمِعَ الضّابطُ ذلِكَ أسرَعَ إلى القائدِ وأخبَرَهُ قائلاً: "أتَعلَمُ أيَّ مُخالفةٍ كُنّا سَنرتَكِبُ لو جَلَدنا هذا الرَّجُلَ؟ إنّهُ مواطنٌ رومانيٌّ!"(1) [27]فتَوَجَّهَ القائدُ على الفَورِ إلى بولُسَ سائلاً: "أخبِرْني: هل أنتَ رُومانيُّ الجِنسيّةِ؟" فأجابَهُ: "نعم". [28]فقالَ القائدُ: "لقد دَفعتُ مَبلَغًا باهِظًا لأحصُلَ على هذِهِ الجِنسيّةِ". فرَدَّ عليهِ بولُسُ بالقَولِ: "أمّا أنا، فإنّني رومانيُّ المَولِدِ". [29]وفي الحالِ ابتَعَدَ المُكَلَّفونَ باستِجوابِ بولُسَ تَحتَ جَلدِ السِّياطِ، ومَلأَ الخَوفُ أيضًا قَلبَ القائدِ لأنّهُ خالَفَ القانونَ الرُّومانيَّ بتَقييدِهِ بولُسَ المواطنَ الرُّومانيّ بالسَّلاسِلِ. [30]وفي الغَدِ أرادَ أن يَعرِفَ تَفاصيلَ التُّهمةِ المُوجّهةِ إليهِ مِن اليَهودِ، وهكذا أخرَجَ القائدُ بولُسَ مِنَ السِّجنِ، وأمَرَ باجتِماعِ رُؤساءِ الأحبارِ، وجَميعِ أعضاءِ المَجلِسِ اليَهوديّ الأعلى، وبإحضارِ بولُسَ أمامَهُم.(2)

٢٣
الفصل الثّالث والعشرون

خطاب بولس أمام أعضاء المجلس الأعلى

[1]وعِندَما مَثُلَ بولُسُ أمامَ أعضاءِ المَجلِسِ أخَذَ يُخاطِبُهُم مُحدِّقًا إليهِم قائلاً: "يا إخوتي مِن بَني يَعقوبَ، لقَد وَهَبتُ نَفسي للهِ بنيّةٍ صافيةٍ ولم أندَمْ على ذلكَ حتّى هذا اليومِ". [2]فأمَرَ حَنانيّا رَئيسُ الأحبارِ الخُدّامَ بصَفْعِهِ على فيهِ. [3]فوَبَّخَ بولسُ حَنانيّا قائلاً:

(1) فعل بولس ما فعله أيضًا في فيليبي. لأنّ الجنود خرقوا القانون بتقييد مواطن روماني، فاستخدم بولس حقوقه القانونية ضدّهم.

(2) عرف القائد أنّ بولس لم يكن قد خرق القانون الروماني، ولكنّه علم أيضًا أنّه فعل شيئًا ما يخصّ الديانة اليهودية، لذلك دعا مجلس اليهود الأعلى لتقصّي الأمر.

"ليَضرِبْكَ اللهُ، أيُّها المُنافِقُ![1] كَيفَ تأمُرُ بضَربي مُخالِفًا بذلِكَ أحكامَ التَّوراة، وأنتَ على أساسِها تَجلِسُ لمُحاكَمتي؟!" [4]فالتَفَتَ إليهِ مَن كانوا واقفينَ بجوارِهِ قائلينَ: "كَيفَ تَجرُؤُ أن تَشتُمَ مَن عَيَّنَهُ اللهُ رَئيسًا للأحبارِ؟" [5]فأجابَهُم بولُسُ قائلاً: "لم أكُن أعلَمُ يا إخواني بأنّهُ رَئيسُ الأحبارِ، ولو كُنتُ أدري لما فَعَلتُ، فقد جاءَ في التَّوراةِ: "لا تَلعَنْ رَئيسَ شَعبِكَ". [6]وكانَ بولُسُ يَعلَمُ أنّ أعضاءَ المَجلِسِ مُنقَسِمونَ إلى طائفتينِ، طائفةِ الصَّدّوقيّينَ، وطائفةِ المُتَشَدِّدينَ. لذلِكَ انبرى قائلاً: "أيُّها الإخوةُ، إنّني أنتَمي إلى طائفةِ المُتَشَدِّدينَ أبًا عن جَدٍّ! وأنا الآنَ ماثِلٌ أمامَكُم لأحاكَمَ بسَبَبِ إيماني بأنّ اللهَ مُحْيِي المَوتى!"

[7]فانقَسَمَ المَجلِسُ إلى قِسمَينِ: ووَقَفَ الصَّدّوقيونَ ضِدَّ المُتَشَدِّدينَ. [8]فالصَّدّوقيّونَ لا يؤمنونَ بالبَعثِ ولا بالمَلائكةِ أو غَيرِها مِن الكائناتِ الأثيريّة، بَينَما يُقِرُّ المُتَشَدِّدونَ بتِلكَ الأُمورِ كُلِّها.[2] [9]وهاجَ الحُضورُ في المَجلِسِ، ووَقَفَت فِئةٌ مِن فُقهاءِ طائفةِ المُتَشَدِّدينَ للاحتِجاج بشِدّةٍ قائلينَ: "إنّنا لا نَرى لهذا الرَّجُلِ ذَنبًا! فرُبَّما كَلَّمَهُ شَيطانٌ أو مَلاكٌ". [10]وما لَبِثَ الخِلافُ أن اشتَدَّ إلى دَرجةِ أنّ القائدَ خَشِيَ على بولُسَ أن يُقَطَّعَ إرَبًا إرَبًا، فأمَرَ بإنزالِهِ وإبعادِهِ عَنهُم، فساقوهُ إلى المُعسكَرِ. [11]وفي اللَّيلِ، ظَهَرَ سَيِّدُنا عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لبولُسَ يُقَوّي عَزيمَتَهُ ويُطَمئِنُهُ قائلاً: "لا عليكَ! لا بُدَّ أن تَمضيَ لتَتَحَدَّثَ عنّي في روما كَما فَعلتَ في القُدسِ".

التّآمر على قتل بولس

[12–13]وفي صَباحِ اليوم التّالي اجتَمَعَ أكثَرُ مِن أربعينَ رَجُلاً يَهوديًّا وقد عَزَموا على قَتلِ بولُسَ وعاهَدوا أنفُسَهُم ألاّ يَذوقوا طَعامًا ولا شَرابًا حتّى يَقتُلوهُ.[3] [14]لذلِكَ تَوَجَّهوا إلى رُؤساءِ الأحبارِ وكِبارِ رِجالِ الدِّينِ قائلينَ: "لقد أقسَمنا ألاّ نَتَذَوّقَ طَعامًا حتّى نَقضيَ على بولُسَ. [15]فعليكُم الآنَ مَعَ باقي أعضاءِ المَجلِسِ، التَّوَجُّهُ إلى القائدِ الرّومانيِّ

(1) دعا بولس رئيس الأحبار "حائطًا مبيّضًا"، وقصد بذلك أنّه شخصٌ يخفي بشاعته وضعفه دون أن يتخلّص منهما، وبالطريقة نفسها التي يقدر اللون الأبيض أن يغطّي حائطًا بشعًا.

(2) لم يكن الصدّوقيّون يؤمنون بالقيامة من بين الأموات، لأنّها لم تُذكر حرفيًا في التوراة. وكانوا يؤمنون بحسب المؤرّخ يوسيفوس أنّ روح الإنسان تختفي بموته.

(3) اعتبر بعض اليهود المتطرّفين الذين كانوا يريدون الإطاحة بالاحتلال الروماني أنّ جرائم الاغتيال أعمالٌ حسنة.

طالبينَ إحضارَ بولُسَ للوقوفِ أمامَكُم بذَريعةِ إجراءِ تَحقيقٍ أدقَّ مَعهُ. وسنَكونُ نَحنُ على استِعدادٍ لقَتلِهِ قَبلَ وصُولِهِ إلى المَجلِسِ".

[16]وعَلِمَ ابنُ أُختِ بولُسَ بهذا الكَمينِ فتَوجَّهَ إلى المُعَسكَرِ ليُخبِرَ بولُسَ بذلكَ. [17]فاستَدعى بولُسُ أحَدَ الضُّبّاط وقالَ لهُ: "خُذ هذا الشّابَّ ليُقابِلَ القائدَ فإنّ لَدَيهِ شَيئًا يُريدُ إخبارَهُ بِهِ". [18]فمَضى الضّابطُ مَعَ الشّابِّ إلى القائدِ وأخبَرَهُ بأنّ بولُسَ طَلَبَ إليهِ ذلِكَ، [19]فأخَذَ القائدُ الشّابَّ مِن يَدِهِ وانفَرَدَ بِهِ سائلاً: "أخبِرْني بما عِندَكَ". [20]فأسَرَّ إليهِ قائلاً: "سيَطلُبُ مِنكَ أعضاءُ المَجلِسِ غَدًا إحضارَ بولُسَ بحُجّةِ أنّهُم يُريدونَ إجراءَ تَحقيقٍ مَعهُ، [21]فلا تُصَدِّقْهُم! لأنّ هذا مُجَرَّدُ كَمينٍ دَبَّرَهُ حَوالي أربعينَ رَجُلاً مِنَ اليَهودِ عاهَدوا أنفُسَهُم ألاّ يَتَناوَلوا الطَّعامَ حتّى يَقتُلوا بولُسَ، وهم الآنَ يَتَهَيَّؤونَ لتَحقيقِ مأربِهِم". [22]فصَرَفَ القائدُ الشّابَّ ونَبَّهَهُ بعَدَمِ البَوحِ بذلِكَ الأمرِ لأيٍّ كانَ.

نقل بولس إلى قيصريّة

[23]ثُمّ استَدعى القائدُ اثنَينِ مِن ضُبّاطِهِ وأمَرَهُما قائلاً: "عليكُم أن تَعِدّوا قوّةً تَتألّفُ مِن مِئتَي جُنديٍّ وسَبعينَ فارِسًا، ومِئتَينِ مِنَ الرُّماةِ للذَّهابِ حالاً إلى مَدينةِ قَيصريّة(1) هذِهِ اللّيلةَ على السّاعةِ التّاسِعةِ. [24]وجَهِّزوا فَرَسًا لبولُسَ يَحمِلُهُ سالِمًا إلى الحاكمِ فيلِكْسَ". [25]ثُمّ خَطَّ رِسالةً يَقولُ فيها: [26]"مِنَ القائدِ كُلودِيُوسَ ليسِياسَ إلى صاحبِ الفَخامةِ فيلِكْسَ الحاكمِ. بَعدَ التَّحيّةِ، [27]أودُّ أن أُخبِرَكَ بأنّ اليَهودَ قَبَضوا على هذا الرَّجُلِ، وأوشَكوا على قَتلِهِ، إلاّ أنّني تَوَجَّهتُ مَعَ جُنودي إليهِ فأنقَذناهُ مِن بَينِ أيديهِم، لأنّني عَلِمتُ أنّهُ مواطِنٌ رومانيٌّ. [28]وأرَدتُ مَعرِفةَ سَبَبِ شَكواهُم عليهِ، فأحضَرتُهُ أمامَ مَجلِسِهِم، [29]فوَجَدتُ أنّ التُّهمةَ المُوَجَّهةَ إليهِ تَتَعَلَّقُ بأُمورِ دينِهِم، ولم تَكُن هُناكَ شَكوى عليهِ يَستَحِقُّ مِن أجلِها المَوتَ أو السَّجنَ. [30]ثُمّ عَلِمتُ أنّ مؤامَرةً تُحاكُ لهُ، فأرسَلتُهُ إليكَ على وَجهِ السُّرعةِ، وسألتُ الّذينَ اتّهَموهُ أن يُقدِّموا شَكواهُم عليهِ بَينَ يَديكَ".

[31]فنَفَّذَ الجُنودُ أوامِرَ القائدِ واصطَحَبوا بولُسَ لَيلاً إلى بَلدةِ أنْتيباتْريسَ، [32]وفي اليوم التّالي، تَرَكَ الجُنودُ بولُسَ بعُهدةِ الفُرسانِ ليَعودوا إلى مُعسكَرِهِم في القُدس. [33]وعِندَما وَصَلَ الفُرسانُ مَدينةَ قَيصريّة، سَلَّموا الرِّسالةَ وبولُسَ إلى الحاكِمِ. [34]فقرَأَ الحاكمُ

(1) كانت مدينة قيصرية عاصمة ولاية يهوذا في فلسطين.

الرِّسالةَ ثُمّ استَفسَرَ بولُسَ عنِ الوِلاية الرُّومانيّة الّتي يَنتمي إليها فأخبَرَهُ بأنّها كِليكيّة، فقالَ لهُ: [35] "سأستَمِعُ إلى قَضيَّتِكَ عِندَ حُضورِ مَنِ اتّهَموكَ". ثُمَّ أمَرَ بحِراسةِ بولُسَ في قَصرِ هيرودُسَ.(1)

٢٤
الفصل الرّابع والعشرون

بولس يمثل أمام الحاكم فيلكس

[1]وبَعدَ مُضيِّ خَمسةِ أيّام، قَدِمَ حَنانيّا رَئيسُ الأحبارِ إلى مَدينةِ قَيصريّة وبصُحبَتِهِ بَعضُ رِجالِ الدِّينِ ومُحامٍ اسمُهُ تَرْتُلُّس، لِيُقَدِّموا شَكوى ضِدَّ بولسَ أمامَ الحاكم. [2]وعِندَ استدعاءِ بولُسَ، قامَ المُحامي بذِكرِ الشَّكوى أمامَ فيلِكْسَ مُستَهِلاًّ بقولِهِ: "يا صاحِبَ الفَخامةِ فيلِكْسُ، إنّنا بِفَضلِكُم نَنعَمُ بالأمانِ والسَّلام مُنذُ زَمَنٍ طَويلٍ، وبفَضلِ حُسنِ قيادتِكُم تَحَسَّنَتْ أوضاعُ البلادِ، [3]لِذا نَحنُ نُعلِنُ دائمًا امتِنانَنا لكُم في كُلِّ مَكانٍ. [4]ولن أُطيلَ عليكُم بكَثرَةِ الكَلامِ، إنّ ما نَرجوهُ مِنكُم تَقَبُّلُ خُلاصةِ شَكوانا بما نَعلَمُهُ مِنكُم مِن رَحابةِ الصَّدر. [5-6]إنّنا وَجَدنا هذا الرَّجُلَ بَلاءً، فهو الّذي يَقِفُ وَراءَ الفِتَنِ والاضطِراباتِ الّتي تَعُمُّ اليَهودَ في جَميعِ الأنحاءِ. وإنّنا نُعلِمُكُم أنّهُ زَعيمُ طائفةِ النَّصارى، وهو مَن حاوَلَ تَدنيسَ حَرَمِ بيتِ الله. لذلِكَ قُمنا بالقَبضِ عليهِ وتَقديمِهِ إلى المُحاكَمةِ تَبَعًا لِمُقتضيات دينِنا. [7]إلاّ أنّ القائدَ لِيسياسَ لم يُساعِدْنا في ذلِكَ، بلِ استَخدَمَ ضِدَّنا العُنفَ وأخَذَهُ مِن بَينِ أيدينا، [8]بَعدَ أن أمَرَنا برَفعِ شَكوانا إليكُم. وسَوفَ تَعرِفونَ صِدقَنا في ما نَقولُ، عِندَما تَستَجوبونَهُ بنَفسِكم". [9]وصادَقَ رِجالُ الدّينِ اليَهودُ جَميعًا على صِحَّةِ تِلكَ الأقوالِ.

[10]فأشارَ الحاكِمُ إلى بولُسَ بالكَلام فقالَ: "إنّي على عِلم بأنّكُم القائمُ على أمرِ هذِهِ البلادِ مُنذُ سَنَواتٍ، لذا فإنّي مُطمَئِنٌّ كُلَّ الاطمِئنانِ في الدِّفاع عن نَفسي أمامَكُم. [11]ويُمكِنُكُم ببَساطةٍ، أن تَتَبَيَّنوا أنّي ذَهَبتُ إلى القُدسِ للعِبادةِ مُنذُ فَترةٍ لا تَزيدُ عنِ

(1) صار القصر الذي بناه هيرودس الكبير في قيصرية مكان إقامة الحكّام الرومان في ولاية يهوذا. وكان يُستخدم أيضًا لانعقاد المحكمة حيث يحكم الولاة في القضايا القانونية.

الاثنَي عَشَرَ يومًا، [12]ولم يَجِدْني خُصومي يومًا مِن تِلكَ الأيّام أُجادِلُ أحدًا في الحَرَمِ الشَّريفِ، أو أفتَعِلُ إثارةَ النّاسِ في بُيوتِ العِبادةِ، ولا في أيِّ مَكانٍ آخَرَ في المَدينةِ. [13]وإنّهُم الآنَ عاجِزونَ عن إثباتِ ادِّعاءَاتِهم عليَّ. [14]لذا، أُقِرُّ أنّني، كَباقي أبناءِ شَعبي، أعبُدُ اللهَ الّذي عَبَدَهُ آبائي الأوّلونَ، وذلِكَ حَسَبَ طَريقِ مَولاي عيسى عليه السلام الّذي يَدَّعونَ أنّهُ لم يَكُن سِوى بِدعةٍ. كَما أُقِرُّ أنّني مُؤمِنٌ بكُلِّ ما جاءَ في التَّوراةِ والزَّبورِ وغَيرِهِما مِن كُتُبِ الأنبياءِ، [15]ولَدَيَّ يَقينٌ كهذِهِ الجَماعةِ بأنّ اللهَ تَعالى سيُحيي المَوتى جَميعًا الأبرارَ مِنهُم والأشرارَ. [16]وبِسَبَبِ يَقيني هذا، أبذُلُ جهدي على الدَّوامِ لأكونَ نَقيَّ السَّريرةِ تُجاه اللهِ والبَشَرِ. [17]وقد غِبتُ عنِ القُدسِ عِدّةَ سَنَواتٍ، وعِندَما عُدتُ إليها حَمَلتُ مَعي لأهلِها مِنَ الفُقراءِ بَعضَ الصَّدَقاتِ، وقَدَّمتُ بَعضَ الذَّبائحِ لوَجهِ اللهِ. [18]وكُنتُ أقومُ بذلكَ في الحَرَمِ الشَّريفِ بَعدَ أن تَطَهَّرتُ. ولم أُحَرِّضْ النّاسَ حِينذاكَ ليَتَجمَّعوا حَولي، ولم أكُن مُثيرًا لأيِّ فِتنة. ولقد رآني بَعضُ اليَهودِ مِن مُقاطعةِ آسيا في الحَرَمِ، [19]فكانَ على هؤلاءِ أن يأتوا إليكَ ليُقَدِّموا بأنفُسِهِم شَكواهُم عليَّ إن كانَت لَدَيهِم شَكوى. [20]أمّا هؤلاءِ الحاضِرونَ المُحتَجّونَ، فلْيَذكُروا أنّهُم عِندَما حاكَموني أمامَ المَجلِسِ اليَهوديِّ لم يَجِدوا أساسًا لاتّهاماتِهِم لي، [21]سِوى ما قُلتُهُ أمامَ المَجلسِ مِن أنّني أؤمنُ بأنّ المَوتى سيُبعَثونَ أحياءً".

بولس في سجن قيصريّة

[22]وبما أنّ فيلِكْسَ كانَ على مَعرفةٍ صَحيحةٍ بطَريقِ عيسى عليه السلام، أمَرَ بفَضِّ الاجتِماعِ قائلاً: "سأصدِرُ حُكمي في هذِهِ القَضيّةِ عِندَ قُدومِ القائِدِ ليسياسَ". [23]وأمَرَ الضّابطَ بحِراسةِ بولُسَ، مَعَ مَنحِهِ قليلاً مِنَ الحُرّيّةِ، والسَّماحِ لأصدقائِهِ بالتَّرَدُّدِ عليهِ وخِدمتِهِ.

[24]وبَعدَ مُضيِّ أيّام على ذلِكَ، قَدِمَ فيلِكْسُ رِفقةَ زَوجتِهِ اليَهوديّة دُروسِيلا. واستَدعى بولُسَ للاستِماعِ إليهِ. فأخَذَ بولُسُ يُحَدِّثُهُ عنِ الإيمانِ بعيسى المَسيحِ عليه السلام، [25]وعنِ الصَّلاحِ والعِفَّةِ ويَومِ الدِّينِ، وهُنا استَبَدّ الخَوفُ بفيلِكْسَ فقالَ: "حَسبُكَ الآنَ! وامضِ حتّى أستَدعيكَ ثانيةً عِندَما أجِدُ الوقتَ مُناسِبًا". [26]وقد كانَ فيلِكْسُ يُكثِرُ مِن استدعاءِ بولسَ ويُحادِثُهُ لَعَلَّهُ يَعرِضُ رَشوةً عليهِ ليُطلِقَ سَراحَهُ، ولكن دونَ طائلٍ. [27]ومَرَّ على ذلِكَ سَنتانِ. وقَبلَ أن يُغادِرَ فيلِكْسُ الحُكمَ إثرَ تَعيينِ بُورْكِيُوسَ فَسْتُوسَ خَلَفًا لهُ، أبقى بولُسَ في السِّجنِ إرضاءً لليَهودِ.

٢٥
الفصل الخامس والعشرون

أمام الحاكم فستوس

[1]وبَعدَ ثلاثةِ أيّامٍ مِن وُصُولِ الحاكمِ فَسْتُوسَ إلى الولايةِ، تَوَجَّهَ مِن قَيصريّة إلى القُدسِ، [2–3]وهُناكَ تَقَدَّمَ رؤساءُ الأحبارِ وقادةُ اليَهودِ إليهِ بشَكوى على بولُسَ مُلِحِّينَ عليهِ أن يُرسِلَهُ إلى القُدس. وكانوا قد وَضعوا خِطَّةً لِقَتلِهِ وهو في طَريقِهِ إلى هُناكَ. [4–5]فأجابَهُم فَستوسُ: "إنّ بولُسَ مَحجوزٌ في قَيصريّة وإنّي عائدٌ إليها الآنَ، فليأتِ مَعي بَعضُ أعيانِكُم ويُقَدِّمونَ الشَّكوى ضِدَّهُ إن كانَ مُذنبًا".

[6]وانقَضَت ثَمانيةُ أو عَشَرةُ أيّامٍ على وُجودِ فَستُوسَ في القُدسِ عادَ بَعدَها إلى قَيصريّة حَيثُ عَقَدَ في اليوم التّالي جَلسةً لمُحاكَمةِ بولُسَ. [7]وعِندَ وُصولِ بولُسَ إلى مَكانِ المُحاكَمةِ، تَجَمهرَ حَولَهُ بَعضُ قادةِ اليَهودِ الّذينَ جاؤوا مِنَ القُدسِ، وتَقَدَّموا ضِدَّهُ بشَكاوٍ خَطيرةٍ كثيرةٍ لم يَكُن لهُم على إثباتِها دَليلٌ. [8]فوَقَفَ بولُسُ إذ ذاكَ يُدافِعُ عن نَفسِهِ قائلاً: "لم يَكُن مِن ذَنبٍ ارتَكَبتُهُ ضِدَّ الدِّينِ اليَهوديّ أو ضِدَّ بَيتِ اللهِ أو ضِدَّ القَوانينِ الرُّومانيّة". [9]وكانَ في نِيّةِ فَستُوسَ إرضاءُ اليَهودِ، فسألَهُ: "هل أنتَ على استِعدادٍ للذَّهاب إلى القُدسِ، فتَمثُلَ هُناكَ للمُحاكَمةِ أمامي؟" [10]فأجابَهُ بولُسُ: "كَلاّ! فأنا الآنَ واقِفٌ أمامَ مَحكَمةِ القَيصرِ حَيثُ يَجِبُ أن أُحاكَمَ.⁽¹⁾ وإنّكم لتَعلَمونَ بلا رَيبٍ أنّي ما ارتَكَبتُ ذَنبًا ضِدَّ اليهودِ قَطعًا، [11]وأنا لَستُ مِمّن يَفِرُّ مِنَ العُقوبةِ العادِلةِ وإن قَضَتْ بمَوتي، ولكنّني بَريءٌ مِمّا يَكيلونَهُ ضِدّي مِن تُهَمٍ مُفتراةٍ، ولَيسَ لأحَدٍ الحَقُّ أن يُسَلِّمَني إليهِم، ولذلِكَ فإنّي إلى قَيصرِ روما أرفَعُ قَضيّتي!"⁽²⁾ [12]وبَعدَ أن تَشاوَرَ فَستوسُ مَعَ مُستَشاريهِ، رَدَّ عليهِ قائلاً: "بما أنّكَ تَطلُبُ رَفعَ قَضيّتَكَ إلى القَيصرِ، فستَذهَبُ إليهِ".

---

(1) في هذا المقطع، يستعين بولس بحقّه كمواطنٍ روماني أن يرفض محاكمته أمام سلطات يعتبرها غير ملائمة، وكذلك حقّه في رفض تدخّل مجلسِ اليهود الأعلى الذي كان يريد قتله، وكان بولس على علم بذلك.

(2) بالرغم من أنّ الوالي لم يكن قد بتَّ في قضية بولس، إلاّ أنّ هذا الأخير كان من حقّه أن يعارض اقتراح الوالي بتغيير مكان محاكمته.

أغريباس وبرنيس

[13]وبَعدَ بِضعةِ أيّام، أقبَلَ المَلِكُ أَغْريباسُ الثّاني تُرافِقُهُ شَقيقتُهُ بِرنيسُ إلى مَدينةِ قَيصريّة وذلِكَ للتَّرحيبِ بِفستوسَ رَسميًّا. (1) [14]وأقاما فيها عِدّة أيّام عَرضَ خِلالَها فَستوسُ على المَلِكِ قَضيّةَ بولُسَ قائلاً: "يُوجَدُ في السِّجنِ رَجُلٌ تَرَكَهُ لي فيلِكسُ، [15]وقد أمَدَّني رُؤساءُ الأحبارِ وغَيرُهُم مِن كِبارِ اليَهودِ بشَكاوٍ ضِدَّهُ عِندَما كُنتُ في زيارةٍ إلى القُدسِ، طالبينَ مِنّي مُعاقبتَهُ، [16]إلاّ أنّني أجبتُهُم بأنّهُ لا يَحِقُّ الحُكمُ على أحَدٍ دونَ مُحاكَمةٍ طِبقًا للقانونِ الرُّومانيّ، وللمُتَّهمِ الحقُّ في الدِّفاعِ عَن نَفسِهِ أمامَ خُصومِهِ. [17]وهكذا، أقبَلَ قادةُ اليَهودِ إلى قَيصريّةِ. وفي اليوم التّالي ودونَ تأخيرٍ جَلَستُ على الفَورِ على مَنَصّةِ القَضاءِ وأمَرتُ بإحضارِ الرَّجُلِ. [18]وعِندَما وَقَفَ خُصومُهُ ليُواجِهوهُ باتِّهاماتِهِم، لم يَتّهِموهُ بارتِكابِ جَرائمَ ضِدَّ القانونِ الرُّومانيّ كَما تَوقَّعتُ، [19]بل جَرى بَينَهُم جَدَلٌ حَولَ أُمورِ عَقيدتِهِم، وتَحديدًا حَولَ شَخصٍ تُوُفِّيَ واسمُهُ عيسى، وكانَ بولُسُ يؤكِّدُ لهُم أنّهُ حَيّ يُرزَق. [20]وهُنا تَملَّكَتني الحَيرةُ في كَيفيّةِ الحُكمِ في هذا الأمرِ، فسألتُ بولُسَ هل هو مُستَعِدٌ أن يَذهَبَ إلى القُدسِ لتُعادَ مُحاكَمتُهُ هُناكَ على ضَوءِ التُّهَمِ المُوجَّهَةِ ضِدَّهُ، (2) [21]ولكنَّهُ رَفَضَ وطَلَبَ أن تُرفَعَ قَضيَّتُهُ إلى جَلالةِ القَيصرِ للنَّظَرِ فيها، فأمَرتُ بإبقائِهِ تَحتَ الحِراسةِ إلى حينِ تَمَكُّني مِن إرسالِهِ إلى القَيصرِ". [22]فانبَرى أغريباسُ مُوَجِّهًا كَلامَهُ لِفَسْتوسَ قائلاً: "وأنا أيضًا أرغَبُ في الاستِماعِ إلى هذا الرَّجُلِ". فأجابَهُ: "غدًا تَستَمِعُ إليهِ".

[23]وفي اليَومِ التّالي، حَضَرَ أَغريباسُ الثّاني وأختُهُ بِرنيسُ في مَوكِبٍ فَخم، ودَخَلا قاعةَ المَراسِمِ، مُحاطَيْنِ بالقادةِ العَسكَريّينَ، وكِبارِ أعيانِ المَدينة. فأمَرَ فَستوسُ عِندئذٍ بإحضارِ بولُسَ، [24]ولمّا حَضَرَ بَدأ فَستوسُ الجَلسةَ مُوَجِّهًا حَديثَهُ إلى المَلِكِ قائلاً: "أيُّها المَلِكُ أَغريباسُ، أيُّها السّادةُ الحاضِرونَ، إنّ هذا الرَّجُلَ الّذي تَرونَ هو المَطلوبُ إعدامُهُ بإلحاحٍ مِنَ اليَهودِ كُلِّهِم في القُدسِ وفي مَدينةِ قَيصريّة، [25]أمّا أنا فما وَجَدتُ لهُ جُرمًا يَستَحِقُّ عليهِ المَوتَ. ولقد رَفَعَ الرَّجُلُ قَضيَّتَهُ إلى جَلالةِ القَيصرِ، فقَرَّرتُ إرسالَهُ

---

(1) كان أغريباس الثاني ابن أغريباس الأول (المذكور في سيرة الحواريين الفصل 12)، وقد عيّنه الإمبراطور كلوديوس ملكًا على أجزاء صغيرة من بلاد الشام سنة 53 للميلاد. وقد كان اليهود يكرهونه، خاصةً كبار الأحبار منهم. وفي ذلك الوقت، كانت أخته برنيس قد ترمّلت وعاشت معه.

(2) ادّعى فستوس أنّ الطبيعة الدينية لتلك المشاجرة تعني أنّه من الأفضل إجراء المحاكمة في القدس، باستشارة القادة اليهود. ولكن فستوس كان في نيّته إرضاء اليهود.

إلى روما [26]وما مِن قَضيةٍ أو تُهمةٍ واضِحةٍ أكتُبُ عنها لمَولانا القَيصر. لذا أحضَرتُهُ أمامَكُم جَميعًا، وأمامَكَ أنتَ أيُّها المَلِكُ أغريباسُ على وَجهِ الخُصُوص، حتّى إذا نَظَرنا في قَضيّتِهِ اتّفَقنا على ما أكتُبُ عنها لجَلالةِ القَيصر، [27]إذ لا يُعقَلُ كَما أعتَقِدُ، أن يُرسَلَ سَجينٌ دونَ وَثيقةِ الاتّهامِ".

٢٦
الفصل السّادس والعشرون

دفاع بولس أمام أغريباس

[1]فتَوَجَّهَ أَغريباسُ بكَلامِهِ إلى بولُسَ قائلاً: "نأذنُ لكَ الآنَ بالدِّفاعِ عن نَفسِكَ". فأشارَ بولسُ بيدِهِ مُستهِلاً دِفاعَهُ عن نَفسِهِ بقولِهِ: [2]"أيُّها المَلِكُ أغْريباسُ، إنّي أحسِبُ نَفسي سَعيدًا أن أقومَ بالدِّفاعِ عن نَفسي أمامَكُم اليَومَ، لأدحَضَ ادّعاءاتِ قادةِ اليَهودِ، [3]خُصوصًا وأنّكُم تَعلَمونَ بعاداتِهِم وتَقاليدِهِم واختِلافِ آرائِهِم بشأنِها. ولذا، أرجو أن تُصغوا إلى كَلامي بتَمَعُّنٍ وصَبرٍ". [4]وبَدأ بولُسُ دِفاعَهُ هذا بقَولِهِ: "إنّ اليَهودَ جَميعًا يَعرِفونَ سِيرةَ حياتي مُذ كُنتُ شابًّا، كَما يَعلَمونَ نَشأتي في بَلَدي وانتِقالي للعيشِ في القُدسِ، [5]إنّهُم يَعرِفونَني مُنذُ أمَدٍ طَويلٍ، وبإمكانِهِم -إن أرادوا- أن يُدلوا بشَهادتِهِم على أنّي كُنتُ ألتَزِمُ بأشدِّ المَذاهِبِ اليَهوديّةِ، لأنّي كُنتُ أنتَمي إلى طائفةِ المُتَشَدِّدِينَ. [6]واليَومَ فإنّي أُحاكَمُ بسَبَبِ ثِقتي في أنّ اللهَ قادرٌ على تَحقيقِ ما وَعَدَهُ لآبائنا الأوّلينَ [7]بخُصوصِ نَجاتِهِم بَعدَ بَعثِ المَوتى مِنَ القُبورِ، والوَعدُ هو الرَّجاءُ الّذي يَنتَظِرُ أسباطُنا الاثنا عَشَرَ تَحقُّقَهُ وهُم يَعبُدونَ اللهَ تَعالى لَيلاً نَهارًا. إنّ ثِقتي باللهِ وبتَحقيقِ وَعدِهِ هذا هي سَبَبُ ما أواجِهُهُ مِن تُهَمِ اليَهودِ". [8]ثُمّ تَوَجّهَ بولُسُ إلى خُصومِهِ وقالَ: "لِماذا تُشكّونَ في قُدرَةِ اللهِ في بَعثِ المَوتى مِن جَديدٍ؟"

[9]"لقد كانَت لديّ في البَدءِ قَناعةٌ مَفادُها أنّهُ عليّ مُعارَضةُ عيسى النّاصريِّ بكُلِّ ما أوتيتُ مِن قُوّةٍ وجَهدٍ، [10]وفَعَلتُ ذلكَ في مَدينةِ القُدسِ، بتَفويضٍ مِن رُؤساءِ الأحبارِ، ورَمَيتُ بالبَعضِ مِن أتباعِهِ في السِّجنِ، ووافَقتُ المَجلِسَ عِندَما حَكَمَ على آخَرينَ مِنهُم بالإعدامِ، [11]بل إنّي كُنتُ أتَرَدَّدُ على بُيوتِ العِبادةِ حَيثُ يَتَعَبّدونَ بهَدَفِ اضطِهادِهِم وإكراهِهِم على إهانةِ عيسى والإساءةِ إليهِ، وقد بَلَغَ بي التَّعَصُّبُ ضِدَّهُم إلى دَرَجةِ مُلاحَقةِ بَعضِهِم إلى مُدُنٍ خارجَ البِلادِ للعُثورِ عليهِم واضطِهادِهِم".

[12]ثُمّ أردفَ قائلاً: "يا جَلالةَ المَلِكِ، لقد صادَفَ في تِلكَ الفَترةِ أثناءَ أحَدِ رِحلاتي أن تَوَجّهتُ إلى دِمَشق بتَفويضٍ مِن رُؤساءِ الأحبارِ. [13]وعِندَ الظَّهيرةِ، شاعَ نورٌ مِن السَّماءِ أشَدُّ سُطوعًا مِن نورِ الشَّمسِ حَولي وحَولَ رِفاقي، [14]أوقَعنا جَميعًا أرضًا، وعَلا بَعدَهُ صَوتٌ يَتَحدَّثُ بالعِبريّة قائلاً: "شاولُ! يا شاولُ، لِما تَضطَهِدُني؟! إنّكَ بذلِكَ تُقاوِمُ إرادةَ اللهِ دونَ جَدوى كدابّةٍ تَرفُسُ المِنخاسَ!"(1) [15]فسألتُهُ: "مَن أنتَ يا سَيِّدي؟" فأجابَني الصَّوتُ قائلاً: "أنا عيسى الّذي تَضطَهِدُهُ باضطِهادِكَ لأتباعي. [16]قُم وقِفْ على قَدَمَيكَ، فما ظَهَرتُ لكَ إلاّ لأنّني اختَرتُكَ لتَخدِمَني، وتُخبِرَ النّاسَ بظُهوري الآنَ أمامَكَ وبما سأُبَيِّنُهُ لكَ فيما بَعدُ. [17]وأقولُ لكَ إنّي سأحميكَ مِن شَعبِكَ اليَهودِ ومِن غَيرِهِم مِن الشُّعوبِ الّتي أُرسِلُكَ إليهِم، [18]لتُنيرَ قُلوبَهُم قَبلَ عُيونِهِم، فتُخرِجَهُم بذلِكَ مِن الظُّلُماتِ إلى النُّورِ، ومِن سَطوةِ الشَّيطانِ إلى طاعةِ اللهِ، وعِندَما تُحَدِّثُهُم عنّي فسيُؤمنونَ بي، فيَغفِرَ اللهُ ذُنوبَهُم ويَمنَحَهُم نَصيبًا مَعَ عِبادِهِ الصّالِحينَ".

[19]أيُّها المَلِكُ أغريباسُ، لقدِ اختَرتُ الانصياعَ لهذِهِ الرِّسالةِ السّماويّة، [20]فقُمتُ بنَشرِ الدَّعوةِ في دِمَشق، ومِنها إلى القُدسِ، ثُمّ طُفتُ مِنطقةَ يَهوذا بأكمَلِها، وخَرَجتُ بَعدَ ذلِكَ إلى الأجانبِ، مُبَلِّغًا الجَميعَ بأنّ عليهِم التّوبةَ والإنابةَ إلى اللهِ وتَرجَمةَ ذلِكَ في أعمالٍ تُبَرهِنُ على تَوبَتِهِم النَّصوحِ. [21]لهذا السَبَبِ، عَمَدَ اليَهودُ إلى القَبضِ عليّ عِندَما كُنتُ في الحَرَمِ الشَّريفِ، بهَدَفِ القَضاءِ عليَّ، [22]إلاّ أنّ قُدرةَ اللهِ حَمَتني مِنهُم. وها أنا واقفٌ أمامَكُم الآنَ بتَمامِ العافيةِ. وإنّي لأدعو إلى هذِهِ الرِّسالةِ العَظيمةِ كُلَّ إنسانٍ مَهما كانَت عَظَمَتُهُ أو بَساطَتُهُ. وإنّي لم أخرُج عَمّا جاءَ بِهِ النّبيُّ موسى أو غيرُهُ مِنَ الأنبياءِ،(2) [23]ومَفادُها أنّ قَدَرَ المَسيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يُقاسيَ الآلامَ، ثُمّ يَكونَ أوّلَ مَن يَبعَثُهُ اللهُ مِنَ المَوتِ حيًّا إلى الأبدِ، ليُبَشِّرَ أُمَّتَهُ وباقي الأُمَمِ بالنُّورِ".

[24]وما إن تَحَدَّثَ بولسُ عن قيامةِ سَيِّدِنا عيسى حتّى قاطَعَهُ فَستوسُ قائلاً: "لا بُدَّ أنّكَ تَهذي يا بولُسُ! فتَبَحُّرُكَ العَميقُ في العِلمِ أفقَدَكَ صَوابَكَ".(3) [25]فرَدَّ عليهِ بولُسُ

---

(1) اقتبس السيد المسيح هنا المثل اليوناني القائل: "صعب أن ترفس مناخس"، وهي عبارة كانت تستعمل للدلالة على مَن كان يصارع القدر. وكان هذا المثل معروفا بين اليهود.

(2) في هذا المقطع، يقدّم بولس البرهان الذي يُظهر أنّ الإيمان بسيدنا عيسى على أنه المسيح المنتظر جزء من الديانة اليهودية التي يسمح بها الرومان، وليس ديانة جديدة. فقد كان يُمنع منعا باتا التصريح بديانة جديدة دون إذن من السلطات الرومانية.

(3) ربما كان يبدو منطق القيامة غريبًا وبربريًا بالنسبة إلى فستوس كروماني مثقّف، وبناءً على هذا اعتبر أنّ بولس كان يهذي.

قائلاً: "لَستُ أهذي يا صاحِبَ الفَخامةِ فَستوسُ، وما أقولُهُ هو عَينُ العَقلِ والصَّوابِ! [26]فأنا على يَقينٍ بأنّ المَلِكَ قد اطلَّعَ على هذِهِ الأُمورِ، لأنّ ما حَدَثَ لم يَحدُث في الخَفاء! لذا أستَطيعُ التَّحدُّثَ إليهِ بكُلِّ بَساطة". [27]والتَفَتَ إلى المَلِكِ أَغريباسَ وقالَ: "أيُّها المَلِكُ أَغريباسُ، هل تؤمِنُ بما جاءَ بِهِ الأنبياءُ؟ إنّي مُتيَقِّنٌ بذلِكَ". [28]فأجابَهُ أغريباسُ الثّاني ساخِرًا: "لكأنّكَ تُحاوِلُ إقناعي أن أُصبِحَ مِن أنصارِ عيسى المَسيحِ بِيُسرٍ!" [29]فأجابَهُ بولُسُ: "لَيسَ المُهِمُّ عُسرُ الجَهدِ أو يُسرُهُ لتُصبِحَ كذلك، فأنا أدعو اللهَ أن يُصبِحَ جَميعُ الحاضِرينَ مِثلي، ولكن طَبعًا دونَ أن تَكونَ أيديهِم مُكَبَّلَةً بمِثلِ هذِهِ القُيودِ".

[30]ثُمّ قامَ المَلِكُ والحاكِمُ وبِرنيسُ ومَن كانَ مَعَهُم، [31]وتَركوا القاعةَ وهم يَتَحَدَّثونَ فيما بَينَهُم قائلينَ: "لم يَرتَكِبْ هذا الرَّجُلُ ذَنبًا يَستَحِقُّ عليهِ المَوتَ أو السَّجنَ". [32]ثُمَّ التَفَتَ أغريباسُ الثّاني إلى فَستوسَ وقالَ: "كانَ مِنَ المُمكِنِ إطلاقُ سَراحِ هذا الرَّجُلِ، لو لم يَرفَعْ قَضيّتَهُ إلى القَيصرِ!"

٢٧
الفصل السابع والعشرون

في الطريق إلى روما

[1]وبَعدَ التَّشاوُرِ، قَرَّرَ الحاكِمُ فَستوسُ إرسالَ بولُسَ مَعَ بَعضِ المَساجينِ إلى إيطاليا تَحتَ حِراسةِ الجُندِ بقيادةِ ضابِطٍ يَعمَلُ في كَتيبةِ القَيصرِ اسمُهُ يُوليوسُ. [2]وصَعِدَ هؤلاءِ ومَعَهُم رِفاقُ بولُسَ، ومِن بَينِهِم أَرِسْتَرْكي المَقدونيّ مِن مَدينة تَسالونكي على مَتنِ سَفينةٍ أتَت مِن ميناءِ أدْراميت كانَت على وَشَكِ الإبحارِ إلى بَعضِ المَوانِئِ على شاطِئِ مُقاطعةِ آسيا. [3]وفي اليَومِ التّالي، وبَعدَ وُصولِهِم إلى صَيدا، سَمَحَ يُوليوسُ الّذي كانَ يُعامِلُ بولُسَ مُعامَلَةً حَسَنَةً بأن يَزورَ أصدقاءَهُ ويَحصُلَ مِنهُم على ما يَحتاجُ إليهِ. [4]ثُمَّ تابَعوا إبحارَهُم ثانيةً، وبِسَبَبِ هُبوبِ ريحٍ مُعاكِسة، ظَلّوا مُبحِرينَ بمُحاذاةِ الشّواطئِ الشّماليّة لجَزيرةِ قُبرُصَ، [5]واتَّجَهوا قُربَ شَواطئِ مُقاطعتَيْ كِليكيّة وبَمْفيليّة حتّى وَصَلوا إلى ميناءِ ميرا في مُقاطَعةِ لِيكيّة، [6]وعَلِمَ الضّابِطُ بوجودِ سَفينةٍ أُخرى مُقبلةٍ مِنَ الإسكندريّة كانَت في طَريقِها إلى إيطاليا فصَعِدوا على مَتنِها وتابَعوا رِحلتَهُم. [7]وقدِ استَغرَقَت رِحلتُهُم تِلكَ أيامًا لبُطءِ السَّفينةِ بسَبَبِ الرِّيحِ الّتي مَنَعَت مِن إرسائِها في ميناء كِنيدُسَ. ثُمَّ تابَعوا

طَريقَهم بمُحاذاةِ شَواطئِ جَزيرةِ كِريتَ وجاوَزوا مِنطقةَ سَلْمونة، [8]ووَصَلوا بصُعوبةٍ إلى مَكانٍ اسمُهُ المَوانئ الحَسَنة بالقُربِ مِن مَدينةِ لَسائيَة.

[9]وتأخَّرَ المَوكبُ كَثيرًا في رِحلتِهِ لأنَّ الإبحارَ خَطيرٌ، بسَبَبِ قُربِ حُلولِ مَوسِم العَواصِفِ الخَريفيّ الّذي يَلي انقِضاءَ عِيدِ الكَفّارةِ اليَهوديّ. [10]وأدرَكَ بولُسُ ذلِكَ فخاطَبَهُم مُنذِرًا: "أيُّها الرِّجالُ، إنّني لألمَحُ في سَفَرِنا هذا خَطَرًا وخَسارةً عَظيمةً، لا على السَّفينةِ وحُمولتِها فحَسبُ، بل على أرواحِنا أيضًا". [11]إلاّ أنّ الضّابطَ كانَ مُقتَنِعًا بكَلامِ قائِدِ السَّفينةِ وصاحِبِها، فلم يُعِرِ اهتمامًا لنُصحِ بولُسَ. [12]ولمّا لم يَكُن بالإمكانِ قَضاءُ فَصلِ الشِّتاءِ في ذلِكَ الميناءِ لأنّهُ مَكشوفٌ لرِياحِ الشِّتاء، اتَّجَهَ قَرارُ الأغلَبيّةِ إلى مُتابعةِ السَّفَر، على أمَلِ الوُصُولِ إلى مَرفإ فينِكْسَ في كِريتَ لقَضاءِ الشِّتاءِ فيهِ لأنّ هذا المَرفأ يُطِلُّ على الجُنوبِ الغَربيِّ والشَّمالِ الغَربيِّ فقط.

العاصفة

[13]وهَبَّت في المَوانئِ الحَسَنة، رِياحٌ لَطيفةٌ مِنَ الجُنوبِ، فظَنَّ البَحّارةُ أنّ الأمرَ سيَقِفُ عِندَ ذلكَ الحَدِّ، فتابَعوا إبحارَهُم باتِّجاهِ الغَربِ بالقُربِ مِن ساحِلِ كِريتَ. [14]وفَجأةً، هَبَّت عاصِفةٌ تُعرَفُ بالعاصِفةِ "الشّماليّة الشَّرقيّة" آتيةً مِن اتّجاهِ كِريتَ، [15]ودَفَعَت بالسَّفينةِ إلى البَحرِ دونَ مُقاوَمةٍ، فاستَسلَمَ مَن كانَ على ظَهرِها دونَ أن يَعرِفوا وِجهتَهُم، [16]ثُمَّ مَرّوا لاحِقًا بالقُربِ مِن جَزيرةٍ صَغيرةٍ اسمُها كُودا، حيثُ تَمَكّنوا بصُعوبةٍ مِن تأمينِ قاربِ النَّجاةِ، [17]فرَفَعوهُ إلى سَطحِ السَّفينةِ، ورَبَطوا الحِبالَ حَولَها حِمايةً لها. وخافَ البَحّارةُ أن تَصطَدِمَ السَّفينةُ بتِلالِ سِرْتِسَ الرَّمليّةِ في قاعِ البَحرِ قُربَ السّاحِلِ اللِّيبي، لذلِكَ عَمَدوا إلى إنزالِ شَراعِها وتَركِها تَنساقُ دونَ مُقاوَمةٍ. [18]وفي اليَومِ التّالي أخَذَتِ العاصِفةُ تَشتَدُّ بشَكلٍ جَعَلَ البَحّارةَ يُخَفِّفونَ مِن حُمولةِ السَّفينةِ برَمي بَعضِ مُحتَوياتِها في البَحرِ. [19]وفي اليومِ الثّالثِ، وَصَلَ الأمرُ بالبَحّارة إلى رَمي بَعضِ مُعَدّاتِ السَّفينةِ. [20]ومَضَت عِدّةُ أيّام بَعدَها لم يَكُن بمَقدورِ أحَدٍ رُؤيةُ الشَّمسِ ولا النُّجوم، واستَمَرَّتِ العاصِفةُ عَنيفةً حتّى فَقَدَ الجَميعُ الأمَلَ بالنَّجاةِ.

[21]وكانَ كُلُّ رُكّابِ السَّفينةِ قدِ امتَنَعوا عَن تَناوُلِ طَعامِهِم لفَترةٍ طَويلةٍ، فقامَ بولُسُ فيهِم خَطيبًا وقالَ: "أيُّها الرِّجالُ، كانَ عليكُم العَمَلُ بنَصيحتي عِندَما أشَرتُ عليكُم ألاّ تُغادِرُوا جَزيرةَ كِريتَ. ولو فَعَلتُم، لسَلِمتُم مِن هذهِ الخَسارةِ وتَجاوَزتُم هذا الخَطَرَ. [22]ولكنّي الآنَ أقولُ لكُم: تَشَجَّعوا فلن يَهلِكَ أحَدٌ مِنكُم، ولكنّ السَّفينةَ ستَتَحَطَّمُ.

[23]ففي اللّيلةِ الماضِية ظَهَرَ لي مَلاكٌ مِن اللهِ الّذي أنتَمي إليهِ وأعبُدُهُ، وقالَ لي مُطَمئنًا: [24]"لا تَخَفْ يا بولُس، إنّهُ لا بُدَّ لكَ مِن الوُقوفِ أمامَ القَيصرِ، وقد حَفِظَ اللهُ حَياتَكَ وحَياةَ جَميعِ المُسافِرينَ مَعَكَ!" [25]فاطمَئِنّوا جميعًا أيُّها الرِّجالُ، لأنّي واثِقٌ أنّ اللهَ سيُحَقِّقُ وَعدَهُ، [26]ولا بُدَّ أنّ سَفينَتَنا ستَرتَطِمُ بإحدى الجُزُرِ".

تحطّم السّفينة

[27]وفي اللّيلةِ الرّابعةَ عَشرةَ، وبَينَما كانَت السَّفينةُ تُبحِرُ برُكّابِها في البَحرِ الأبيضِ المُتوَسِّطِ والرِّيحُ تَضرِبُها في لُجَجِهِ، ظَنَّ البَحّارةُ عِندَ مُنتَصَفِ اللّيلِ أنّهُم أصبَحوا على مَقرُبةٍ مِنَ اليابسةِ، [28]فقاسوا عُمقَ الماءِ فوَجَدوا أنّ سَفينَتَهُم على عُلوِّ أربَعينَ مِترًا مِنَ القاعِ، ثُمَّ كَرَّروا ذلِكَ بَعدَ قليلٍ فوَجَدوا أنّهُم أصبَحوا على عُلوِّ ثَلاثينَ مِترًا مِنَ القاعِ، [29]فخافوا عِندئِذٍ مِن اصطِدام أسفَلِ السَّفينةِ بصُخورِ القاعِ، فعَمَدوا إلى إلقاءِ أربَعِ مَراسٍ عِندَ مؤخِّرةِ السَّفينةِ، راجينَ طُلوعَ الفَجرِ. [30]وعِندئِذٍ عَزَمَ البَحّارةُ على النَّجاةِ بأنفُسِهِم، فأنزَلوا قارِبَ النَّجاةِ إلى سَطحِ البَحرِ زاعِمينَ أنّهُم يُريدونَ إلقاءَ المَراسي مِن جِهةِ مُقَدِّمةِ السَّفينةِ. [31]إلاّ أنّ بولُسَ التَفَتَ إلى الضّابِطِ والجُنودِ قائلاً: "إن فَرَّ هؤلاءِ فلن يَكونَ لكُم أمَلٌ في النّجاةِ". [32]فقامَ الجُنودُ بقَطعِ حِبالِ القارِبِ وتَركوهُ يَهوي في الماءِ.

[33]وقُبيلَ الفَجرِ، طَلَبَ بولُسُ مِن كُلِّ الرُّكّابِ تَناوُلَ الطَّعام قائلاً: "مَضى أُسبوعانِ ولم تَذوقوا طَعامًا لشِدّةِ خوفِكُم، [34]وأنتُم بحاجةٍ إليهِ ليُقَوِّيَكُم وتُحافِظوا بهِ على أنفُسِكُم. صَدِّقوني إن قُلتُ لكُم لن يَخسَرَ أحَدُكُم شَعرةً مِن رأسِهِ". [35]وبَعدَ قولِهِ هذا، قامَ بولُسُ بتَناوُلِ الخُبزِ شاكِرًا اللهَ أمامَ الجَميعِ، وقَسَّمَهُ وأكَلَ. [36]فبَعَثَ ذلِكَ الطَّمأنينةَ في نُفوسِ الجَميعِ، وأخَذوا يَتَناولونَ الطَّعامَ. [37–38]وبَعدَ أن شَبِعوا، رَمَوا بالقَمحِ في البَحرِ للتَّخفيفِ مِن وَزنِ السَّفينةِ، وكانَ عَدَدُ الرُّكّابِ مِئتَينِ وسِتّةً وسَبعينَ شَخصًا.

[39]وعِندَ طُلوعِ الفَجرِ، لم يَستَطِع البَحّارةُ تَمييزَ الشّاطئِ الّذي لَمَحوهُ، إذ إنّهُم رأوا خَليجًا ذا ساحِلٍ رَمليٍّ، فقَرَّروا دَفعَ السَّفينةِ إليهِ [40]فقَطَعوا المَراسي وتَركوها تَسقُطُ في البَحرِ، وحَلّوا الحِبالَ الّتي تُمسِكُ بالدّفّةِ، ورَفَعوا الشِّراعَ الأماميَّ لتُوَجِّهَهُ الرِّيحُ نَحوَ الشّاطئِ. [41]ولكنَّ السَّفينةَ اندَفَعَت مُصطَدِمةً بتلٍّ رَمليٍّ، فانغَرَزَت مُقَدِّمَتُها وبَقِيَت مُؤَخِّرَتُها في مَهَبِّ الأمواجِ العاتيةِ الّتي حَطَّمَتْها في النِّهاية.

[42]وخَوفًا مِن هُروبِ المَساجينِ في تِلكَ الحالةِ، قَرَّرَ الجُنودُ قَتلَهُم، [43]ولكنَّ الضّابِطَ يُوليوسَ أرادَ إنقاذَ بولُسَ، فحالَ دونَ تَنفيذِ إرادةِ الجُنودِ، وأمَرَ القادرينَ على

السِّباحةِ بالقَفزِ للوُصولِ إلى البرِّ، [44]وغَيرَ القادِرين باستِخدامِ ألواحِ السَّفينةِ للنَّجاةِ. وهكذا، وَصَلَ الجَميعُ إلى الشَّاطئ بسَلامةٍ.

٢٨
الفصل الثّامن والعشرون

في جزيرة مالطة

[1]وعِندَما بَلَغَ الجَميعُ اليابِسةَ عَرَفوا أنّهُم على شاطئ جَزيرةِ مالطَة. [2]وكانَ أهلُها ذَوي مُرُوءةٍ إذِ استَقبَلوهُم أحسَنَ استِقبالٍ مُرَحِّبينَ بِهِم فأوقدوا لهُم نارًا ليَتَدَفّؤوا لأنّ الطَّقسَ كانَ مُمطِرًا وبارِدًا. [3]وقامَ بولُسُ بجَمعِ بَعضِ الحَطَبِ لإشعالِ النّارِ، وإذا بحَيّةٍ انسَلَّت بفِعلِ الحَرارةِ وعَلِقَت بيَدِهِ. [4]وعِندَما رأى الحاضِرونَ مِن سُكّانِ الجَزيرةِ ذلِكَ المَشهَدَ، أخَذوا يَتَحَدَّثونَ فيما بَينَهُم قائلينَ: "لا بُدَّ أن يَكونَ هذا الرَّجُلُ قد ارتكَبَ جَريمةَ قَتلٍ، فهو وإن نَجا مِن عاصِفةِ البَحرِ، فلن يَنجو مِن يَدِ إلهِ العَدالةِ الّذي سيُنزِلُ بِهِ العُقوبةَ الآنَ!" [5]إلاّ أنّ بولُسَ نَفَضَ يدَهُ فوَقَعَت الحيّةُ في النّارِ دونَ أن تَمَسَّهُ بأذىً. [6]وقد كانَ الحاضِرونَ يَترَقّبونَ أن تَبدوَ على بولُسَ آثارُ أذى الحَيّةِ، كتَوَرُّمِ جِسمِهِ أو سُقوطِهِ فَجأةً ميتًا، لكن بَعدَ انتِظارٍ طَويلٍ تَبَدَّدَت شُكوكُهُم تِلكَ فلم يَبدُ على بولُسَ شَيءٌ مِمّا تَوَقَّعوهُ، فاعتَبَروهُ إلهًا.

[7]وكانَ بالقُربِ مِن هذا المَكانِ أراضٍ لبُوبْليوسَ حاكِمِ الجَزيرةِ الّذي استَضافَ رُكّابَ السَّفينةِ في دارِهِ، وأكرَمَهُم على مَدى ثَلاثةِ أيّام. [8]وصادَفَ أن كانَ والِدُ بُوبْليوسَ طَريحَ الفِراشِ بسَبَبِ حُمّى أصابَتْهُ وإسهالٍ، فزارَهُ بولُسُ وهُناكَ تَضَرَّعَ للهِ طالِبًا شِفاءَهُ واضِعًا يَديهِ عليهِ فشُفي. [9]وعِندَما حدَثَ ذلِكَ، أخَذَ كُلُّ المَرضى في الجَزيرةِ يَتوافَدونَ عليهِ لنَيلِ الشِّفاءِ فنالوهُ، [10]مِمّا جَعَلَ أهلَ الجَزيرةِ يُكَرِّمونَ بولُسَ ومَن كانَ بِرفقتِهِ حتّى غادَروا الجَزيرةَ فزَوَّدوهُم بكُلِّ ما يَحتاجونَ إليهِ خِلالَ سَفَرِهِم.

من مالطة إلى روما

[11]وبَعدَ مُضيّ ثَلاثةِ أشهُرٍ شَرَعوا في الإبحارِ على سَفينةٍ قادمةٍ مِنَ الإسكندريّةِ تَحمِلُ رَسمَ الجَوزاءِ، أي التَّوأمينِ، وكانَت راسيةً على شاطئ مالطة طَوالَ فَصلِ الشِّتاءِ. [12]وأبحَروا فيها إلى مَدينةِ سِيراكيُوسَ حَيثُ أمضَوا ثلاثةَ أيّامٍ. [13]ثُمّ تابَعوا

إبحارَهُم مِنها حتّى مَدينةِ رِيغيونَ. وفي اليومِ التّالي هَبَّت عليهِم رياحٌ جَنوبيّةٌ، فتابَعوا إبحارَهُم إلى أن بَلَغوا ميناءَ بُوطيولي في إيطالَيا في اليَومِ الثّالثِ، [14]فنَزَلوا مِن السّفينةِ، واجتَمَعوا هُناكَ ببَعضِ الإخوةِ مِن أتباعِ السَّيِّدِ المَسيحِ الّذينَ طَلَبوا مِنهُم قَضاءَ أُسبوعٍ بَينَهُم. ثُمّ تَوَجَّهوا إلى روما سَيرًا على الأقدامِ، [15]وفي مَسيرتِهِم تِلكَ وَجَدوا بَعضَ المؤمنينَ الّذينَ قد عَلِموا بوصولِهِم، فخَرَجوا مِن روما لاستِقبالِهِم في سُوقِ أَبيُوس وفي بَلدةِ الخاناتِ الثّلاثةِ. وعِندَما رآهُم بولُسُ قَوِيَت عَزيمَتُهُ وشَكَرَ اللهَ على كُلِّ شَيءٍ. [16]وعِندَ وُصولِهِم إلى روما، سَمَحَ الضّابِطُ لبولُسَ أن يَستأجِرَ بَيتًا ليُقيمَ فيهِ مَعَ جُنديٍّ واحدٍ يَحرُسُهُ.

في روما

[17]وبَعدَ مُضيّ ثلاثةِ أيّامٍ على إقامةِ بولُسَ والجُنديَّ في ذلِكَ البَيتِ، استَدعى بولُسُ مَشايخَ يَهودِ روما،(1) وخاطَبَهُم قائلاً: "يا إخوتي مِن بَني يَعقوبَ، إنّني لم أرتَكِب جُرمًا ضِدَّ شَعبِنا أو ضِدَّ مُعتقداتِ آبائِنا، ورَغمَ ذلِكَ قامَ بَعضُ النّاسِ بالقَبضِ عليَّ في القُدسِ وسَلَّموني إلى الرُّومانيّينَ، [18]فأجرَوا مَعي تَحقيقًا ووَجَدوني بَريئًا مِن أيّ تُهمةٍ أستَحِقُّ عليها المَوتَ. [19]فقَرَّروا إطلاقَ سَراحي، ولمّا عارَضَ اليَهودُ ذلِكَ، قَرَّرتُ رَفعَ قَضيّتي إلى القَيصرِ. ولم يَكُن هَدَفي اتّهامَ بَني قَومي. [20]ولهذا السَّبَبِ أرسَلتُ في طَلَبِكُم لأُبيِّنَ لكُم الأمرَ جَليًا، فإنّي إنّما قُيِّدتُ بسَلاسِلَ لأنّي مؤمنٌ بالمَسيحِ المُنتَظَرِ الّذي يَرتَجي بَنو يَعقوبَ ظُهورَهُ". [21]فأجابوهُ قائلينَ: "لم تَصِلنا بخُصوصِكَ أيُّ رِسالةٍ مِن مِنطقةِ يَهوذا، ومَن جاؤوا مِن إخوانِنا اليَهودِ مِن هُناكَ لم يُخبِرونا بسُوءٍ عَنكَ، [22]ولكنّنا نَرغَبُ في سَماعِ مُعتَقداتِكَ، فالنّاسُ في كُلِّ مَكانٍ يَنتَقِدونَ مَذهبَكَ وجَماعتَكَ".

[23]واتّفَقوا على اللِقاءِ في يومٍ مُعيّنٍ. وكانَ مَكانُ اللِقاءِ مَنزلَ بولُسَ حيثُ وَفَدوا برِفقةِ مَجموعةٍ أُخرى. واستَمَرَّت جَلسَتُهُم مِن الصَّباحِ إلى المَساءِ، كانَ بولُسُ أثناءَها يُحَدِّثُهُم ويُبَيِّنُ لهُم الحَقائقَ المُرتَبِطةَ بمَملكةِ اللهِ المَوعودة. وحاوَلَ أثناءَها إقناعَهُم أن عيسى عَلَيْهِ سَلَامُهُ هو المُنقِذُ المَوعودُ، مُستَشهِدًا في كُلِّ ذلِكَ بما جاءَ في تَوراةِ موسى وغَيرِها مِن كُتُبِ الأنبياءِ. [24]واقتَنَعَ بَعضُهُم بكَلامِهِ بَينَما رَفَضَهُ الآخَرونَ. [25]وحَدَثَ

(1) أُلغيَ في هذا الوقت تحديدًا أمر القيصر كلوديوس المذكور سابقا في سيرة الحواريين 18: 2، ورجع بعض اليهود إلى روما.

خِلافٌ بَينَهُم حَولَ هذا المَوضوعِ، وعِندَما بَدَؤوا يَنصرِفونَ قالَ لهُم بولُسُ: "صَدَقَ وَحيُ رُوحِ اللهِ في ما قالَ عنكُم وعن آبائِكُم سَواءٌ بسَواء، والّذي جاءَ على لِسانِ النّبيِّ أشعيا: 26"اِذهَبْ إلى شَعبِ بَني يَعقوبَ وقُل لهُم: لقد سَمِعتُم رِسالةَ اللهِ ولكنّكُم لا تَفهَمونَ، وشاهَدتُم أعمالَهُ ولكنّكُم لا تفقَهونَ، 27فإنّ عُقولَ أبناءِ هذا الشّعبِ مُتَكَلِّسة وقد صَمّوا آذانَهُم وأعمَوا بَصائرَهُم، حتّى لا يَسمَعوا رِسالتي ويَفهَموها فيَرجِعوا إليّ، فأَشفيَهُم". 28واعلَموا أنّهُ بسَبَبِ رَفضِكُم لرِسالةِ النّجاةِ هذِهِ، أمَرَنا اللهُ تَعالى بدَعوةِ غَيرِكُم مِن الأُمَمِ إليها، وهم لها مُستَجيبونَ طائعونَ". 29وبَعدَ انتهائِهِ مِن الكَلامِ انصَرَفَ اليَهودُ مِن عِندِهِ وقد ثارَت فيما بينَهُم مُناقَشاتٌ حادّةٌ حَولَ كُلِّ ما ذَكَرَهُ. 30وهكذا ظَلَّ بولُسُ مُقيمًا في روما سَنتَينِ كاملتَينِ في المَنزِلِ الّذي استأجَرَهُ.(1) وقد فَتَحَهُ في وَجهِ كُلِّ مَن يَرغَبُ في زيارتِهِ. 31وكانَ خِلالَ تِلكَ الفَترةِ يُعلِنُ قِيامَ مَملكةِ اللهِ المَوعودةِ بِجُرأةٍ، دونَ مُعارَضةٍ مِن أحَدٍ، مُتابِعًا تَعليمَهُ للنّاسِ عن سَيِّدِنا عيسى المَسيحِ سَلامُهُ عَلَينا.

(1) في حال لم يأتِ المشتكون أو لم تُسجّل التُّهَم خلال سنتين، يُطلِق الإجراء الروماني سراح المتّهم. وبعد أن أُطلق سراح بولس، يبدو أنّه سافر إلى أماكن شتّى بما فيها كريت وتركيا واليونان وربما إسبانيا أيضًا. ويبدو أنّ بولس كتب بعض رسائله في تلك الفترة من حياته. وبحسب التقليد أعيد سجن بولس، ومن ثمّ قُطع رأسه. ولكن لوقا أراد أن يبيّن لنا في نهاية سِفْره أنّ رسالة بولس كانت مقبولة ولم تتعارض مع القوانين الرومانية.

رحلات الحواري بولس للدعوة
رحلة الأولى
رحلة الثانية
رحلة الثالثة
رحلة الرابعة
البحر الأسود
البحر الأبيض المتوسط
سوريا
دمشق
القدس
البلاد العربية (مملكة الأنباط)
مصر
الإسكندرية
غزة
يافا
قيصرية
عكا
صور
صيدا
قبرص
سلاميس
بافوس
كيليكية
طرسوس
أنطاكية
سلوكية
كبدوكية
غلاطية
بنطس
بيثينية
دربة
لسترة
إيقونية
أنطاكية في بيسيدية
برجة
أتالية
ميرا
باترا
جزيرة رودس
كولوسي
ثياتيرا
أفسس
ميليتس
كنيدس
ترواس
أسوس
جزيرة خيوس
جزيرة بطمس
سلمونة
كريت
لاسائية
فينكس
موانئ الحسنة
نيابوليس
فيلبي
أمفيبوليس
أبولونية
تسالونيكي
بيرية
أثينا
كورنثوس
أخائية
مقدونيا
نيكوبوليس
مالطة
سيراكوس
ريغيون
إيطاليا
بوطيولي
روما
كيلومترات
0 100 200 300 400

شرق حوض البحر المتوسّط في عصر السيد المسيح

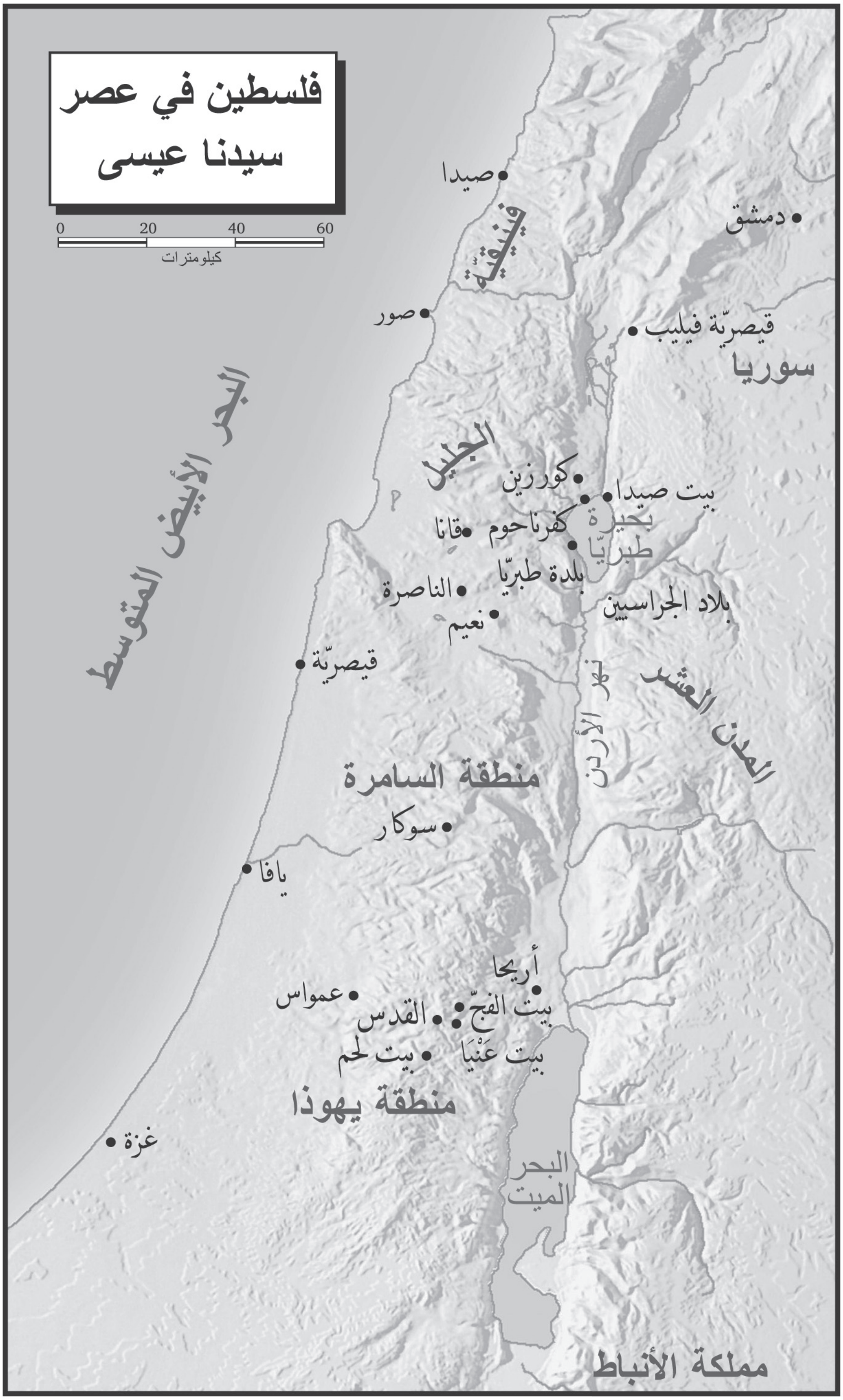
فلسطين في عصر
سيدنا عيسى
0 20 40 60
كيلومترات
صيدا
فينيقية
دمشق
صور
قيصريّة فيليب
سوريا
البحر الأبيض المتوسط
الجليل
كورزين
بيت صيدا
بحيرة طبريّا
كفرناحوم
قانا
بلدة طبريّا
الناصرة
بلاد الجراسيين
نعيم
قيصريّة
نهر الأردن
المدن العشر
منطقة السامرة
سوكار
يافا
أريحا
عمواس
بيت الفجّ
القدس
بيت عَنْيَا
بيت لحم
منطقة يهوذا
غزة
البحر الميت
مملكة الأنباط

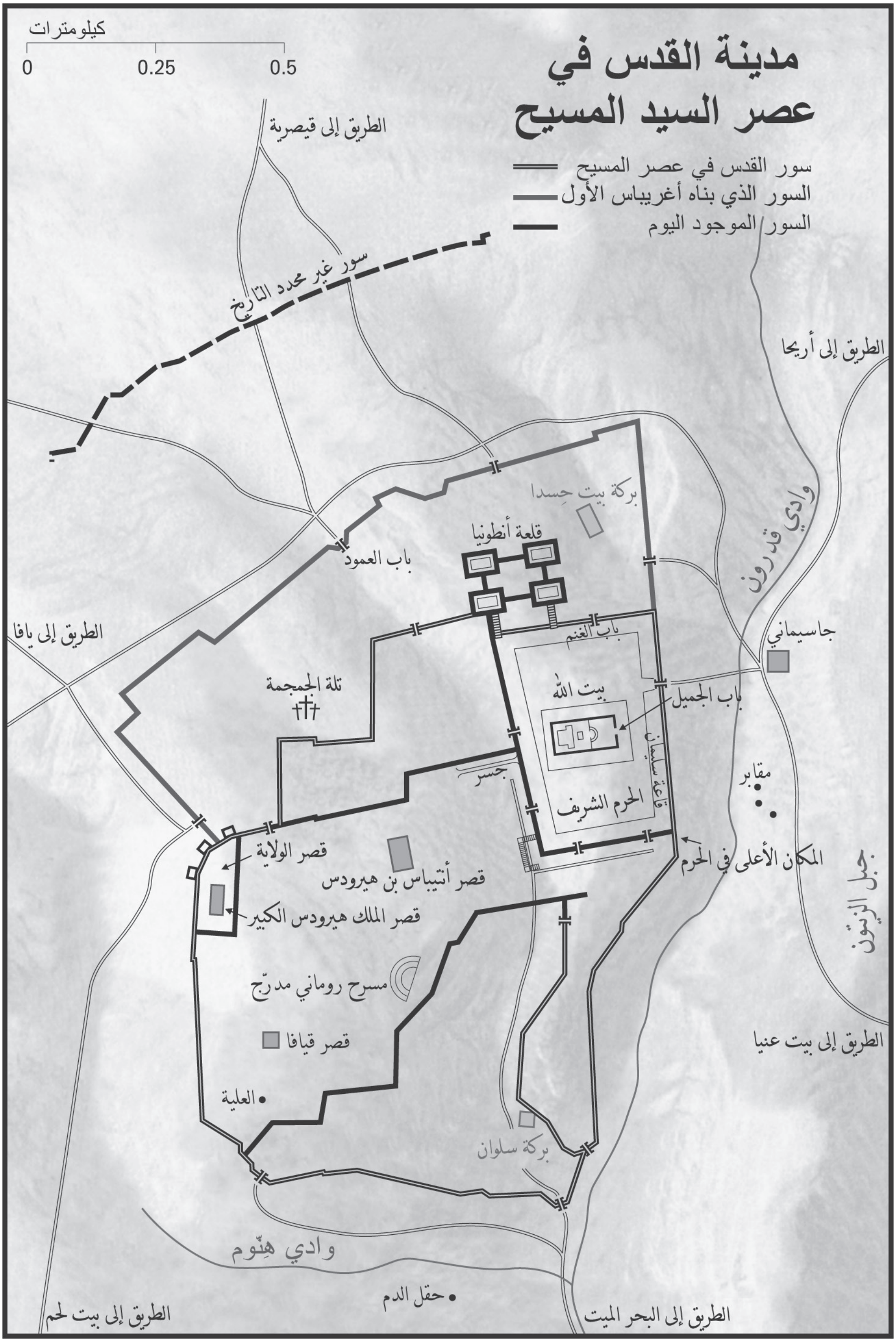

مدينة القدس في
عصر السيد المسيح
كيلومترات
0
0.25
0.5
سور القدس في عصر المسيح
السور الذي بناه أغريباس الأول
السور الموجود اليوم
الطريق إلى قيصرية
سور غير محدد التاريخ
الطريق إلى أريحا
وادي قدرون
بركة بيت حِسدا
قلعة أنطونيا
باب العمود
الطريق إلى يافا
باب الغنم
جاسيماني
بيت الله
باب الجميل
تلة الجمجمة
قاعة سليمان
جسر
مقابر
الحرم الشريف
المكان الأعلى في الحرم
قصر الولاية
قصر أنتيباس بن هيرودس
جبل الزيتون
قصر الملك هيرودس الكبير
مسرح روماني مدرّج
قصر قيافا
الطريق إلى بيت عنيا
العلية
بركة سلوان
وادي هِنّوم
حقل الدم
الطريق إلى بيت لحم
الطريق إلى البحر الميت

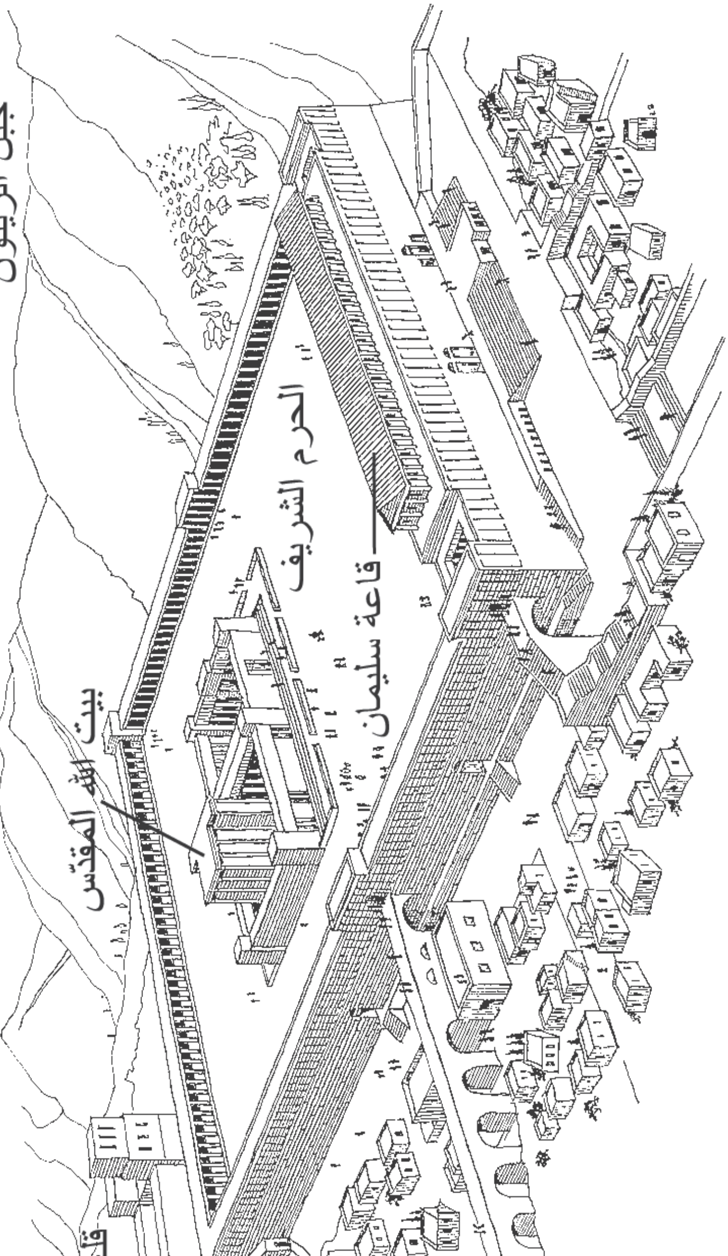
جبل الزيتون
الحرم الشريف
قاعة سليمان
بيت الله المقدس
قلعة أنطونيا

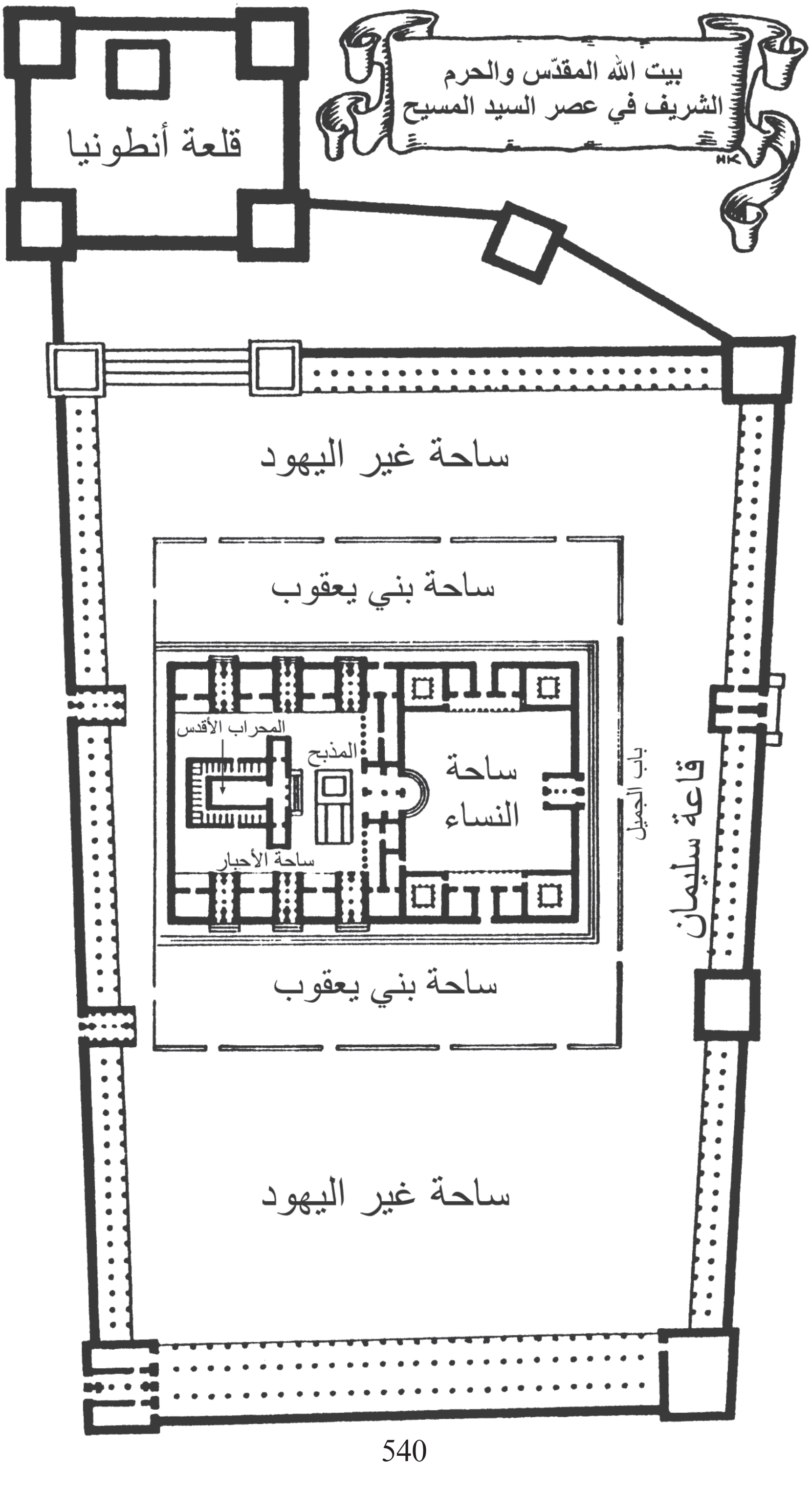
بيت الله المقدّس والحرم
الشريف في عصر السيد المسيح
قلعة أنطونيا
ساحة غير اليهود
ساحة بني يعقوب
المحراب الأقدس
المذبح
ساحة النساء
ساحة الأحبار
باب الجميل
قاعة سليمان
ساحة بني يعقوب
ساحة غير اليهود

فهرس

شروح لبعض المصطلحات والأسماء في هذا الكتاب

أ

الأبيقوريون: كان الأبيقوريّون أناسًا يتّبعون تعاليم الفيلسوف أبيقوروس. وقد اعتبر الأبيقوريّون اللذّة هدفًا أساسيًا في الحياة، وهي لذّة حياة الهدوء، الخالية من الألم والمشاعر المزعجة والمخاوف الخرافية (وبشكلٍ خاص الخوف من الموت). لم ينكر الأبيقوريّون وجود الآلهة التي كانت بحسب رأيهم لا تبالي بحياة الناس.

أرطاميس: إلهة الخصوبة عند اليونانيين. كان تمثال أرطاميس في مدينة أفاسوس يُعبَد في ما لا يقلّ عن 33 منطقة من حوض البحر الأبيض المتوسط. كانت أرطاميس إلهةً مشهورة في القديم.

الأسر (السبي): سُبِيَ بنو يعقوب (بنو إسرائيل) إلى بابل ما بين 597 ق.م. و539 ق.م. عندما أخذ البابليون سكان مملكة يهوذا (الجنوبية) وعاصمتها القدس أسرى وهجّروهم إلى بابل. وقد أخذت قبل ذلك الإمبراطورية الأشورية عشرة من عشائر بني يعقوب أسرى من مملكة السامرة (الشمالية) وسبوهم إلى بلاد أشور سنة 722 ق.م.

الإمبراطورية الرومانية: سادت هذه الإمبراطورية وعاصمتها روما على حوض البحر الأبيض المتوسط زمن سيدنا المسيح.

ب

بابل: إمبراطورية كبيرة بين النهرين عاصمتها مدينة بابل في عصور قبل الميلاد. تغلّب جيش بابل على مملكة يهوذا (الجنوبية) في عام 586 ق.م. وهجّر كثيرين إلى بابل، حيث سكنوا سبعين سنة، كما وعد الله على لسان النبي إرميا عليه السلام.

البرص: تشمل هذه الكلمة أنواعا كثيرة من الأمراض الجلدية ومنها البرص (الجذام). اعتبر المصاب بالبرص نجسًا عند اليهود وكان يُحرم من العبادة.

البشرى، البشارة: الكلمة اليونانية "يوانجيليون" التي دخلت العربية في كلمة "إنجيل" معناها "الخبر السّارّ" أو "البشرى" أو حتى "البيان". وهي الخبر المفرح ويتعلق بحلول مملكة الله الموعودة بمجيء سيدنا عيسى إلى العالم حتى يؤسس تلك المملكة ويَفدِي البشر.

بطرس الصخر، سمعان: كان اسمه الأصلي سمعان بن يوحنّا، ولكن السيد المسيح سمّاه بطرس، أي الصخر باليونانية. ترعرع في منطقة الجليل وكان صياد سمك بالشراكة مع أخيه أندراوس. أصبح الأخوان من الحواريين وكان بطرس قائدهم.

الابن الروحي لله: جاء في الإنجيل الشريف أنّ اللهَ مُحِبٌ لعباده محبة الأب لأسرته، إذ يصف الله بأنّه رب بيت المؤمنين، ويصف المؤمنين بأنّهم من أهل بيته أو عياله. والمقصود بذلك أنّ اللهَ يحبّ المؤمنين ويعتني بهم أكثر مما يعتني أبٌ صالح بأولاده، وهم بدورهم يحبّونه ويسعون إلى طاعته وتعظيمه. أما السيد المسيح عليه السلام، فمقامه عند الله حسب النص الأصلي للإنجيل كمقام البكر الذي يتولّى أمر أفراد العائلة وأمر الخدم في البيت، وأحيانًا تضاف كلمة "الفريد" في وصفه. فهذا اللقب يشير إلى الصلة الحميمة بين الله والمسيح، وعلى هذا الأساس يمنح المسيح أتباعه الحق ليكونوا أهل بيت الله. وهذا اللقب يعني أيضا أنّه المسيح الملك المنتظر الذي يَمْلِك على المملكة الأبدية التي وعد الله بها عباده الصالحين.

وفي بعض الآيات ترى إشارةً لكيان السيد المسيح عليه السلام، فهو كلمة الله التي ألقاها إلى مريم العذراء وأصبحت إنسانًا بقوّة روح الله. وحسب الإنجيل كلمة الله هي صفة قائمة في ذاته تعالى. ومن هذا المنطلق نستطيع أن نرى كيف يكون لدى سيدنا عيسى المسيح عليه السلام سلطة على بيت الله كسلطة الابن البكر عند الناس.

وقد تُرجمت هذه المفاهيم غالبًا بـ "ابن الله" و"الله الأب،" و"أبناء الله". أمّا في هذا الكتاب فلم نستخدم التعابير التقليدية لأنّها قد تشير إلى معنى بيولوجي، حيث أنّ المقصود من هذه التعابير في لغة الوحي اليونانية لم يكن الإشارة أو

التلميح إلى أن الله شريك في عملية الإنجاب المألوفة؛ معاذ الله! لذا نحن اخترنا ترجمة هذه المصطلحات بـ"الابن الروحي لله" والله "الأب الصمد" أو "الأب الرحمن".

ابن داود: انظر شرح مصطلح وريث مملكة النبي داود في هذا الفهرس.

بولس: كان اسمه الأصلي شاول وكان من المدينة الرومانية طرسوس (في تركيا الآن). وكان مواطنا رومانيا. تربّى في القدس ودرس عند الفقيه اليهودي المشهور غملائيل. أصبح عضوا في حزب المتشددين واضطهد المؤمنين بالمسيح بشدة ولاحقهم حتى في مدن أجنبية. وفي سفره إلى دمشق ليضطهد أتباع المسيح، ظهر له سيدنا المسيح بجلاله وأمره أن يبشر به في كل الأمم.

بيت الله: كلمة "ناوس" باليونانية تعني المبنى المركزي لمعبد اليهود الرئيسي في القدس الذي اختاره الله من بين كل أماكن العبادة في العالم. في ترجمات أخري لا تمييز بين بيت الله والحرم الشريف، بل تستخدم كلمة "الهيكل" أو "المعبد" لكلا المعنيين.

بيت العبادة: مكان يجتمع فيه اليهود يوم السبت للعبادة والصلاة والدعاء والتعليم الديني وقراءة التوراة والزبور وغيرهما من كتب الأنبياء. أقام اليهود بيوت العبادة في كل مدينة وفي كل حي سكنوا فيه. وكان لكل بيت عبادة مسؤول (لوقا 8: 41) أو لجنة من المسؤولين يساعدهم خادم. ولا تُقدم فيه الذبائح، بل كانت تُقدم في حرم بيت الله بالقدس فقط.

بيلاطس: بيلاطس البنطي، الوالي الروماني على محافظة يهوذا التي كانت تضمّ مناطق يهوذا والسامرة وأدومية (وامتدّ زمن حكمه ما بين 26 و36 للميلاد).

ت

التلاميذ: أتباع السيّد المسيح الذين تعلّموا منه وتبعوه. (انظر مصطلح الحَواريين في هذا الفهرس).

التوراة: تشير الكلمة اليونانية "نوموس" إلى ثلاثة معاني: 1) كتب النبي موسى الخمسة وهي التكوين والخروج واللاويين والعدد والتثنية. 2) جميع ما أوحى

الله على أسباط بني يعقوب (أو العهد القديم). 3) شريعة الله، وخاصة الوصايا العشر التي كتبها الله على لوحين حجريين. (انظر التوراة، سفر الخروج الفصل 20 وسفر التثنية الفصل 5). واعتبر اليهود تعاليم شيوخهم أيضًا من محتويات الشريعة. أمّا المسيح فقد وجه انتقادًا شديدًا لهؤلاء اليهود لأنهم وضعوا تعاليمهم البشرية فوق كلمة الله في الشريعة.

ج

جباة الضرائب، جباة الجزية: كانت فلسطين في أيام السيّد المسيح تحت استعمار الإمبراطورية الرومانية، التي وظفت بعض سكّان فلسطين ليجمعوا الضرائب من أبناء بلدهم، فاعتبرهم أهل المنطقة عملاء للجيش الروماني المحتلّ فنبذوهم.

الجليل: القسم الشمالي من فلسطين. كان اليهود يحتقرون أهل الجليل لأنّهم كانوا بسطاء وغير متدينين وكان جزء منهم من نسل مختلط يهود ووثنيين.

جماعة المؤمنين: تدلّ هذه الكلمة اليونانية (إكليسيا) على جماعة محلية في مدينةٍ ما، وهي مكوّنة من المؤمنين بسيدنا المسيح. وعادةً ما يجتمعون في بيت أحد المؤمنين، حيث يتناولون عشاء السيد المسيح ويشتركون في دراسة تعاليمه والدعاء وتشجيع بعضهم بعض.

الجن، الشياطين: في اليونانية "دايمونيون." أشار اليونانيون الوثنيون بهذه الكلمة إلى كائنات غيبية عاقلة صالحة كانت أو شريرة، غير أنّ السيد المسيح والأنبياء من قبله أعلنوا أنّ جميع الجن والشياطين أشرار.

ح

حبر، أحبار: رجل الدين اليهودي من نسل هارون عليه السلام، الذي اختار الله تعالى أن يكون الأحبار من أهل بيته. قاد الأحبار العبادة في بيت الله، وكان لكل واحد منهم الحق في مشاركة العبادات والشفاعة في بيت الله في القدس، بما فيها نحر الذبائح وحرقها. وفي وقت تقديم الذبائح، صباحا وعصرا، قام الأحبار باختيار أحد منهم بالقرعة ليدخل المحراب المقدّس في بيت الله ويبخّره. وكان عملهم في الشفاعة رمزًا لشفاعة المسيح المنتظر.

الحبس تحت الأرض: الكلمة اليونانية "أبوسوس" معناها حفرة عميقة جدًا في باطن الأرض مخصّصة للشياطين والجن، ويسجنها الله فيها حتى يوم الدين. ومنها يصعد الوحش (دابة الأرض) عندما تقوم الساعة.

المحراب المقدّس: القسم الرئيسي داخل خيمة العبادة في أيام النبي موسى، ثم داخل بيت الله الذي بناه النبي سليمان في القدس، لم يُسمح بدخوله لغير الأحبار. نجد في هذا القسم مائدة الخبز المقدّم قربانا لوجه الله وموقد البخور والمنارة الذهبية للمصابيح. يدخل الحبر بكرةً وأصيلاً كل يوم لكي يحرق البخور على موقد مخصّص له في هذا المكان المقدّس.

المحراب الأقدس \ الداخلي: وراء ستار سميك في المحراب المقدّس كان المحراب الداخلي في الخيمة المقدسة التي حملها معهم بنو يعقوب حين انتقلوا مع النبي موسى عليه السلام في صحراء سيناء ثم في بيت الله الذي بناه النبي سليمان في مدينة القدس، وفي هذا القسم نجد صندوق العهد، وفوقه ملاكان مقرّبان تظلّل أجنحتهما الغطاء. وكان دخول هذا المكان محرّما إلا لكبير الأحبار الذي يدخله يوما في السنة، في يوم الكفارة، كما جاء في التوراة.

الحرم الشريف: كلمة "هيارون" في اليونانية، تعني المنطقة المحرّمة لبيت الله أي الحرم الشريف أو الديار المقدسة، أي الباحات حول المعبد المركزي.

الحاكم أنتيباس بن هيرودس: أنتيباس بن هيرودس الكبير وكان حاكما على ربع بلاد فلسطين (الجليل) بين السنوات: 4 قبل الميلاد و39 للميلاد. وبعد وفاة أبيه، قسّم الرومان فلسطين إلى أربع محافظات وحكم أنتيباس المعروف أيضًا بهيرودس أنتيباس واحدة منها.

الحَواريون: أتباع سيدنا عيسى الاثنا عشر الذين اصطفاهم ليرافقوه ويتعلّموا منه ويساعدوه بالدعوة ويعاينوا حياته وموته وبعثه المجيد. هم في ترجمات أخرى "الرسل" أو "رسل المسيح." أمّا بولس الذي رأى السيد المسيح عندما ظهر له في طريقه إلى دمشق، فقد انضمّ إلى جماعة حواريي المسيح أيضًا. أسماء الحواريين مدرجة في: متّى 10: 2-4، مرقس 3: 16-19، لوقا 6: 14-16، وسيرة الحواريين 1: 12-13. وصار الحواريون قادة إخوتهم في الإيمان بعد صعود السيد المسيح إلى السماء.

خ

الختان: عملية تطهير الصبي. كانت علامة جسدية لاصطفاء الله تعالى لبني يعقوب، فأمر الله النبي إبراهيم أن يختتن هو ونسله، وأمر النبي موسى أيضا في التوراة. ويتمّ ختان الولد عادة بعد أسبوع من مولده، ولقد شوّه بعض اليهود هذه العادة فأخذت طابع التحيّز الوطني اليهودي.

خدام بيت الله: أو اللاويون. وهم جماعة رجال الدين من عشيرة لاوي بن يعقوب النبي وهم المسؤولون عن حراسة بيت الله وكل الحرم الشريف في القدس. ساعد بنو لاوي الأحبار على نحر الذبائح في عبادات بيت الله. لم يأتمنهم الله على ميراث في أرض الميعاد، بل أعطاهم مدنا مشتتة في أراضي العشائر الأخرى.

الخيش: نسيج خشن من شعر الماعز كان يلبسه الناس قديمًا كعلامة على الندم أو الكرب.

الخيمة المقدّسة \ خيمة العبادة: أمر الله النبي موسى أن يصنع هذه الخيمة بمساعدة شعبه بني يعقوب. وكانت المكان المعيّن لعبادة بني يعقوب إلى حين بناء بيت الله في القدس في عهد النبي سليمان.

ذ

الذِّبح العظيم: قال النبي يحيى بن زكريا عن سيدنا المسيح، هوذا الذِّبحُ العَظيمُ المُرسَلُ مِن اللهِ ليُزيلَ عن البَشَرِ ذُنوبَهُم" (يوحنا 1: 29). وكان يقصد أنّ السيد المسيح سيحقّق وعود الله بفداء الناس أجمعين بتضحيته بنفسه على الصليب من أجلهم، كما كان شعب بني يعقوب يذبح الغنم في عيد الكفارة ليزيلوا بهذا الذبح خطاياهم وذنوبهم. وكانوا يذبحون الذبائح كل سنة، وتلك الذبائح لم تؤد إلى الغفران بل إلى ستر الذنوب فقط. أمّا تضحية السيد المسيح فكانت قويّة وقبلها الله تكفيرا عن ذنوب المؤمنين به إلى الأبد.

مذبح: أمر الله تعالى قوم ميثاقه في التوراة أن يذبح الذبائح ليصفح عن ذنوبهم، ثم أمرهم أن يحرقوها (جزئياً أو كُلياً) على المذبح النحاسي في باحة بيت الله. وكان المذبح على شكل مصطبة أو منصة.

ر

رسل المسيح: انظر مصطلح الحَواريون. روح الله: هي روح الله الطاهرة الأزلية وليست الملاك جبريل. نفخ الله روحه إلى مريم أم عيسى. وينزل الله روحه أيضا على قلوب المؤمنين وهي "الروح القدس" في بعض الترجمات الأخرى.

الرواقيون: فلاسفة أتباع الفيلسوف زينون (توفي في 264 ق.م.) هدف الرُّواقيّين العيش بانسجام مع الطبيعة، ظنّاً منهم أنّ حياتهم تمتلئ هكذا بالصلاح والسلام. وقد آمن الرُّواقيّون بأنّ الوسيلة الوحيدة التي تضمن للناس السيطرة على حياتهم هي التحكّم في ردّات فعلهم لما يحصل في العالم. كان الرُّواقيّون وحْدِوجوديون (أيّ العالم وُجد من واحد). وفي نظرهم الله هو روح العالم. إيمانهم بالكوزموبوليس أو العالم-الدولة (أي المدينة العالمية)، التي تنعم فيها النفوس الحرّة فعلاً بحقوق مدنية متساوية، ساعد في زوال الفروقات القومية والاجتماعية.

ز

الزبور: كتاب أدعية اتّخذ شكل الشعر، أنزله الله على عشائر بني يعقوب وخاصّة على النبي داود عليه السلام. ورتّل المؤمنون بعض هذه الأدعية كابتهالات. وتعبّر بعض هذه الأدعية عن الشكر أو الثناء، وبعبّر بعضها الآخر عن طلب العزاء أو انتقام أو رحمة. ويُعرف أيضا بالمزامير.

زيوس: رئيس الآلهة عند الإغريق.

س

السبت: يوم السبت هو يوم الاستراحة والعبادة لليهود حيث لا يُسمح لهم بالعمل فيه وفقًا لما أمر الله به النبي موسى، وكان اليهود يجتمعون يوم السبت في بيوت العبادة ليقرؤوا التوراة وغيرها من كتب الأنبياء وليسبّحوا بحمد الله تعالى.

سدوم وعمورة: مدينتا قوم لوط عليه السلام وهي ملقّبة في القرآن "المؤتكفة" لأنّها من المدن التي أمطر الله عليها نارًا وكبريتًا عقابا على شرهم.

السامرة: تقع وسط فلسطين، وعاصمتها تسمّى السامرة أيضا.

السامريون: عاشوا في القسم الأوسط من أرض فلسطين وكانوا يؤمنون بالله وحده. وكانت بينهم وبين اليهود عداوة لأنّهم لم يعترفوا ببيت الله في القدس كمركز دينيّ. وكانوا من نسل يجمع الوثنيين واليهود. واعتبرهم اليهود نجسين ومنبوذين.

سيد البشر: لقب سيدنا عيسى بن مريم وهو حرفيًّا باللغة اليونانية "ابن الإنسان،" أو المسيح الملك الآتي. ويتوضّح هذا الاصطلاح في سفر النبي دانيال 7: 13 - 14: ﴿وفي الليلة نفسها، رأيتُ ما يُشبه إنسانًا قادِمًا في ظُلَلٍ مِنَ الغَمَامِ. فأقبل إلى صاحب الأزل فقرّبوه من حضرته. فمنحه سلطانًا وجلالاً وقوّةً ملكَيّة حتّى يخدمه الناس من كلّ الشعوب والأمم واللغات. سلطانه لا تحدّه حدود ويدوم إلى الأبد، ومملكتُه لا تُدمّر ولا تُهزم أبدًا﴾.

ش

المتشددون: أي الفريسيون. طائفة أو حزب يهودي محافظ دينيا وسياسيا في القرن الأول للميلاد، شكّل الأكثرية في المجلس الأعلى. انتقدهم السيد المسيح بصرامة بسبب نفاقهم.

الشريعة: انظر مصطلح التوراة في هذا الفهرس.

ص

الصدّوقيون: حزب يهودي ديني ليبرالي متحرر في القرن الأول للميلاد، انتمى إليه كبار الأحبار. كان يمثّل الحزب الثاني في المجلس اليهودي الأعلى، ولكنّهم كانوا أصدقاء ولاة السلطة الرومانية ورؤساء الأحبار. وهم لا يؤمنون بالقيامة ولا بالملائكة ولا بالأرواح. اختلفوا دائما مع المتشددين، ولكنهم اتّفقوا معهم على مقاومة المسيح وقتله. ولا يعني هذا الاسم أنهم صادقون.

صلب \ الصليب: كان الصليب أبشع طرق الإعدام عند الرومان، في حين كان اليهود يعدمون المجرمين رجما، وأحيانًا يعلّق الرومان جثة المجرم على شجرة

بعد رجمه ليهينوه. كان الرومان يحتلّون بلاد فلسطين زمن السيد المسيح ومنعوا اليهود من تنفيذ حكم الإعدام. وقد حرّض قادة اليهود الوالي الروماني بيلاطس على إعدام السيد المسيح صلبا. لذلك فاليهود لم يصلبوا سيدنا عيسى ولم يقتلوه، بل قتله الرومان، وفي الحقيقة لم يقتله الرومان أيضا، لأنّ سيدنا عيسى سلّم نفسه للموت بإرادته حتى يفدي بني آدم بذبح عظيم.

الصيام: كان الناس يصومون في زمن السيد المسيح لأهداف مختلفة. وكان هناك الصوم الجماعي المفروض في يوم معيّن من السنة (يوم الكفارة)، وصام اليهود أيضًا باختيارهم أفرادًا وجماعات ليعبّروا عن الحزن أو التوبة أو التواضع أو للاستعانة أو الاسترشاد لأنفسهم أو لغيرهم. وعادةً ما يصومون دون أكل وشرب يوما كاملا ليلا نهارا، وأحيانًا يتجاوزون اليوم الواحد إلى ثلاثة أيام دون أكل وشرب ليلا نهارا (انظر سفر أستير 4: 16). وأنّب سيدنا عيسى المتشددين لأنهم صاموا رياء حتى يمدحهم الناس. فقال السيد المسيح إن الصيام يجب أن يكون لوجه الله فقط (متّى 6: 16-18). وقبل بداية رسالته، صام سيدنا عيسى أربعين يوما ليلا نهارا.

ض

الضالون، غير المتديّنين: اعتبر المتشددون غير المتديّنين "ضالين" أو "خاطئين" لعدم التزامهم بالشعائر والتقاليد الدينية الخاصّة بالأكلات المحرّمة والسبت ومعاشرتهم غير اليهود (الذين اعتبرهم المتشدّدون نجسين). أمّا سيدنا عيسى فتقرّب منهم، لأن دعوته هي "للمرضى" وليس للمتديّنين المفتخرين بعلوّ مقامهم عند الله، إذ قال سيدنا عيسى إنّهم فعلا بعيدون عن الله لأنّهم رفضوا التوبة.

الأضاحي والقرابين: قدَّم اليهود حيوانات مذبوحة وحبوبا وفواكه وبهارات لكي يشكروا الله، أو ليطلبوا المغفرة أو بركة منه تعالى، أو لتكفير ذنوبهم. ثمّ أحرقوا الذبائح كُليًا أو جزئيًا، بينما أكل المتعبّدون ورجال الدين بقية الأضاحي. (انظر مصطلح مذبح في هذا الفهرس).

ط

التطهّر بالماء: قام اليهود بالتطهّر بالماء لأسباب شتّى. كان معظمهم يعتبرون أنّ الشخص لا يقدر أن ينتمي إلى الشعب اليهودي، المعتبر شعب اللّه المختار، إلاّ من خلال الختان (للرجال) والتطهير بالماء (للرجال والنساء). أما النبي يحيى بن زكريا ﷺ فدعا الناس إلى التطهّر كعلامة التوبة استعدادًا لمجيء المسيح الملك وقيامه بتكوين أمة الله من جديد. ويساوي هذا الاصطلاح "صبغة الله" (سورة البقرة 138).

ع

عشاء مولانا المسيح \ العشاء الرباني: دشّن السيد المسيح عشاءً تذكارًا لنفسه قبل تضحيته العظمى على الصليب. وهذا العشاء كان عشاءً خاصًا لعيد الفصح عند اليهود، ولكن السيد المسيح فسّر لأتباعه معناه الحقيقي، إن الكأس يرمز إلى دمه المسفوك والخبز إلى جسده المكسور من أجلهم ومن أجل كل من يؤمن به. ونقرأ في الإنجيل أنّ المؤمنين عندما يجتمعون ويتناولون هذا العشاء، يعلنون حقيقة أن موت المسيح كان فديةً للناس (انظر رسالة كورنتوس الأولى 11: 26). ويشترك المؤمنون أيضًا في موته وانتصاره التام على القبر ويشهدون على وحدتهم بتناولهم هذا العشاء الطاهر.

عالم الأموات، القبر: مكان ينتظر فيه الأموات يوم القيامة. فيه يتعذّب الأشرار عذابًا أليما، بينما يرتاح الصالحون ويتنعمون.

علماء التوراة: فقهاء الديانة اليهودية في الكتب السماوية والشريعة والتقاليد الدينية، شرحوا كتاب الله للناس وهم أيضا نُساخ. وكان أكثرهم ينتمي إلى حزب المتشدّدين.

ميثاق: اتّفاق بين شخصين أو بين الله تعالى وشخص يختاره (مثل النبي نوح ﷺ في سفر التكوين 9: 8-17 أو النبي إبراهيم ﷺ في سفر التكوين 17: 1-8) أو بين الله وشعب معيّن (مثل بني يعقوب في زمن سيدنا موسى ﷺ) (انظر التوراة، سفر الخروج 24: 4-8).

عيد التجديد: عيد يتذكر فيه اليهود تجديد بيت الله المقدّس في عام 164 ق.م. وتطهيره بعد أن دنّسه الملك الوثني (أنطيوخس إبيفانس) عندما قدّم فيه خنزيرًا ذبيحةً. وكان طول العيد ثمانية أيام في فصل الشتاء (انظر يوحنا 10: 22). عيد الخمسين: هو العيد الذي يلي أوّل أيام الحصاد بخمسين يوما (أو سبعة أسابيع)، وهو يصادف اليوم الذي بُعث فيه السيد المسيح حيًّا. كان اليهود يحجّون إلى بيت الله في القدس ليشكروا الله على الحصاد ويعيدوا ذكرى إعلانه للشريعة على جبل سيناء. وفي هذا اليوم نزلت روح الله على أتباع سيدنا عيسى بعد صعوده إلى السماء (انظر سيرة الحواريين 2: 1-4).

عيد الخيام: وهو عيد اليهود في فصل الخريف وفيه يبيت حجاج بني يعقوب في خيام طيلة أسبوع العيد.

عيد الفصح: وهو عيد يحتفل فيه اليهود بنجاتهم من ملاك الموت، وذلك قبل هروبهم من بطش فرعون (بقيادة النبي موسى). وكانوا يذبحون الخراف كل سنة في ذكرى قيامهم بذلك أول مرة في عهد النبي موسى كعلامة لملاك الموت كي يتجاوز بيوتهم ولا يدخلها ليقتل الأبناء الأبكار (انظر سفر الخروج الفصل 12 من التوراة).

عيد الفطير: وهو عيد يلي عيد الفصح يمتدّ على سبعة أيام، لا يأكل فيه بنو يعقوب خبزا بالخميرة بل فطيراً، تذكاراً لتحررهم من العبودية في مصر ومن فرعون وطغيانه. وذلك لأنّهم لمّا خرجوا من مصر مسرعين لم يختمر العجين فأكلوه فطيرًا.

ف

فستوس: كان بوركيوس فستوس حاكمًا رومانيًا على منطقة يهوذا في السنوات 60-62 للميلاد. ودافع بولس عن نفسه أمامه واستأنف دعواه إلى القيصر (انظر سيرة الحواريين 24: 27).

فينيقية: تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط وتتضمن مدن صور وصيدا وأرواد وجبيل. وتغطّي فينيقية لبنان المعاصر.

فيلكس: حاكم روماني على منطقة يهوذا في السنوات 52 - 60 للميلاد. دافع الحواري بولس عن نفسه أمامه.

ق

القبر: انظر مصطلح عالم الأموات في هذا الفهرس.

أضحية: هي حرق بعض الذبائح كُليًا أو جزئيًا، بينما يأكل المتعبدون ورجال الدين بعضها. والهدف من حرق الذبائح هو إرضاء الله. القيصر: لقب أطلق على الملك الروماني في أيام السيد المسيح.

القيصر أغسطس: لقب أطلق على القيصر الروماني غايس أوكتافيان الذي حكم ملكا على الإمبراطورية الرومانية في الفترة الممتدة من السنة 43 ق.م. إلى 14 للميلاد. وكان هو الحاكم حين وُلد سيدنا عيسى بن مريم.

ك

كبير الأحبار: رجل دين في أعلى منصب في نظام بيت الله. كان أيضًا رئيس مجلس اليهود الأعلى. ويدخل كبير الأحبار مرة في السنة، في يوم الكفارة، المحراب الأقدس الداخلي في بيت الله ويرش دم الذبائح ليكفّر عن سيئاته وسيئات شعبه.

كنعان: منطقة بلاد الشام تضمّ فلسطين وغزة ولبنان وجنوب سوريا. ويشير هذا الاسم أحيانا إلى فلسطين فقط.

لفظ الجلالة: تجنّب اليهود لفظ اسم الجلالة وقارا وورعا، ولذلك تكلموا عن الله وكتبوا عنه في الصيغة المبني للمجهول أو بدلوا اسمه تعالى بتعبير مجازي مثل "السماوات". وفي هذه الترجمة نردّ اسم الله إلى المواطن التي حُذف منها في النص.

اللغة الآرامية: لغة سامية تشبه اللغة العبرية. في حقبة السيد المسيح، تكلّم اليهود اللغة الآرامية، بمن فيهم سيدنا عيسى ذاته. أنزل الله بعض الآيات للأنبياء بهذه

اللغة، مثلاً: عزرا 4: 8 - 6: 18، 7: 12-26، ودانيال 2: 4 -7: 28. كما أنزل الله بعض أقوال السيد المسيح باللغة الآرامية، مثلا، متى 27: 46، ومرقس 5: 41.

اللغة العبرية: وهي اللغة التي أنزل الله بها التوراة والزبور ومعظم كتب الأنبياء. كان أغلب شعب بني يعقوب يستعملون اللغة العبرية حتى زمن أخذهم أسرى إلى بابل. أمّا بعد رجوعهم من بابل، فقد ازداد عدد المتكلّمين باللغة الآرامية، بدلاً من اللغة العبرية. وفي أيام سيّدنا عيسى تكلّم اليهود اللغة الآرامية في فلسطين، أمّا العبرية فكانت لغة الدين وكانت اليونانية لغة التجارة وهي اللغة الأكثر انتشارا في حوض البحر الأبيض المتوسط.

اللغة اليونانية: وهي اللغة المنتشرة في حوض البحر الأبيض المتوسط زمن السيد المسيح، ولقد أنزل الله الإنجيل الشريف بهذه اللغة.

م

مَثَل: وهو حكاية تتضمّن لغزا وقد استعملها السيد المسيح كثيرًا في تعاليمه ليروي حقائق دينية.

مِديَن: منطقة تقع جانب خليج العقبة (في صحراء السعودية الآن).

المرّ: عنصر معطّر يستخرج من النبات. استعمله الناس كهدية رفيعة أو دواء لتخفيف الألم ولتحنيط الموتى قبل دفنهم.

المسيح والمسح: كان اليهود يمسحون بالزيت على رأس الملك أو الحبر أو النبي عند تنصيبه أو تعيينه، ولذلك كان الناس يسمّون ذلك الشخص "مسيح" أي "ممسوح" ومعناه المختار. والله عز وجل سمّى سيدنا عيسى بالمسيح لأنه اصطفاه وعيّنه ليكون الملك المرتجى من نسل داود، فيستوي على عرشه باعتباره النبي الموعود به والمفتدي وسيد كل البشر. كان مفهوم اليهود لهذه الشخصية خاطئا من عدة نواحٍ، لأنّهم توقّعوا أن الله سيدمّر الرومان المستعمرين وينقذ قوم ميثاقه من أعدائهم، فتجنّب سيدنا عيسى استعمال هذا التعبير عن نفسه.

المسيحيون: ورد هذا الاسم ثلاثة مرات فقط في الإنجيل (انظر سيرة الحواريين 11: 26، 26: 28، رسالة بطرس الأولى 4: 16)، ولم يرد هذا الاسم إلا سخرية على لسان غير المؤمنين. أُطلق على أتباع السيد المسيح لأول مرة في مدينة أنطاكية في سوريا، حيث كان الشعب - وجماعة المؤمنين فيها - خليطا من اليهود والشعوب الأخرى. لم يدعُ سيدنا عيسى إلى ديانة جديدة، بل دعا الناس لاتّباعه هو، مهما كانت جنسيتهم أو ديانتهم. تكلّم أتباع السيد المسيح في أنطاكية دائما عن روعة مولاهم، فأطلق عليهم الوثنيون اسم "مسيحيين." واعتبر المؤمنون أن هذه التسمية إهانة وفضّلوا تسمية: "أتباع الطريق" أو "أتباع سيدنا عيسى" أو "الإخوة".

مملكة الله، المملكة الربانية: بعد انتهاء مملكة بني يعقوب، أوحى الله إلى الأنبياء أنه سيقيم عرش النبي داود من جديد وسيجعل واحدا من سلالته يملك على عرشه (كتاب النبي إرميا 33: 17، كتاب النبي عموس 9: 11). ووعد الله عباده أنه سيُنشئ مملكة تدوم إلى الأبد ليس فيها ظلم أو شر. وتوقّع اليهود من هذا التعبير أنّ الله سيُؤسس مملكة وطنية دنيوية تقهر الأمم الوثنية وتجعل اليهود أسياد البشر، ولكن السيد المسيح علّم أن هذه المملكة مفتوحة لكل البشر الذين آمنوا به سَلَامُهُ عَلَيْنَا، فهو المفتدي الوحيد وسيد البشر.

الملك هيرودس: أي هيرودس الكبير الذي كان ملك على كل فلسطين بين سنة 37 ق.م. والسنة 4 ق.م. وحكم فلسطين حين وُلد السيّد المسيح.

الملك هيرودس أغريباس: 1) حفيد الملك هيرودس الكبير، كان ملكا على فلسطين ما بين سنة 37 للميلاد و44 للميلاد. وقد اضطهد أتباع المسيح الأوائل (انظر سيرة الحواريين 12: 1-5). 2) الملك أغريباس الثاني وهو ابن هيرودس أغريباس وكان حاكما على بعض مناطق فلسطين من سنة 53 إلى سنة 100 للميلاد. ودافع الحواري بولس عن نفسه ضد اتهامات اليهود أمامه وأمام أخته برنيس (انظر سيرة الحواريين 25: 13- 26: 32).

ملكة سبأ: الملكة اليمنية التي زارت سيّدنا سليمان حتى ترى مجده وتُعرف في الثقافة العربية باسم "بلقيس."

ن

النبي إلياس: عاش في القرن التاسع قبل الميلاد، وعارض الملك أخاب والملكة إيزابل الشريرين. وكان معروفًا بالمعجزات التي جرت على يديه. غاب عن الدنيا دون أن يموت وأخذه الله إلى السماء (سفر الملوك الثاني 2: 11). انتظر اليهود رجوعه قبل يوم الدين تمهيدًا لمجيء المسيح المنتظر (متّى 17: 10-11 ومرقس 9: 11-12) حسب وعد الله للنبي ملاكي. قال سيدنا عيسى إن النبي يحيى قام بدور إلياس التحضيري إذ جاء بروح إلياس وقوّته. سيرة إلياس مكتوبة في أواخر سفر الملوك الأول.

النبي يحيى بن زكريا: هو الذي جعل الشعب اليهودي يستعدّ لاستقبال السيّد المسيح وأنذرهم بضرورة التوبة، ودعاهم إلى التطهير بالماء علامة لتوبتهم. لذلك سمّاه الناس "يحيى المغطِّس". وكان له صلة قرابة لمريم أمّ سيدنا عيسى. وُلد قبل ولادة سيدنا عيسى بستّة أشهر.

النبي أَلِيسَعَ: كان ولي النبي إلياس في دعوته قبل نبوءته، وبعد صعود إلياس إلى السماء أصبح خليفته. عاش النبي أليسع في أواخر القرن التاسع قبل الميلاد، وشفا نعمان قائد الجيش السوري من مرض البرص. النبي يونس: عاش قبل سنة 612 ق.م.، وهو تاريخ خراب مدينة نينوى، المدينة التي أرسله الله إليها.

النصارى: اسم قديم لأتباع السيد المسيح، لأنّه ترعرع ونشأ في مدينة الناصرة في الجليل (انظر سيرة الحواريين 24: 5). (وانظر مصطلح المسيحيون في هذا الفهرس).

منطقة يهوذا: وهي منطقة تقع في جنوب فلسطين وعاصمتها القدس. كانت في القديم منطقة عشيرة يهوذا من شعب بني يعقوب، ثم أصبحت مملكة مستقلّة بعد انشقاق مملكة النبي سليمان في القرن التاسع قبل الميلاد.

مملكة النوبة: وهي تقع في أفريقيا الشمالية الشرقية (مصر والسودان الآن).

هـ

هِرمِس: إله الإغريق، وهو ماهر في الخطاب ورسول الآلهة الأخرى.

و

وريث مملكة النبي داود: أي ابن داود. وهو لقب المسيح المحرِّر المنتظَر، لأنّ الله وعد الأنبياء أنّ المسيح سيكون من نسل النبي داود ويرث عرشه.

وضع الأيدي: هي عملية رمزية حيث يضع الناس أيديهم على رأس شخص ما لكي ينال بركة أو شفاء، وتتمّ هذه العملية في أحيان أخرى لتكليف شخصٍ ما بمهمّة معيّنة أو لقيادة المؤمنين بالسيد المسيح.

موقد البخور: مبخرة لتقديم البخور وإحراقه في المحراب المقدّس في بيت الله كما نصّت التوراة (التوراة، سفر اللاويين 16: 12 وما يليها).

ي

يهودي: أشار هذا الاسم في الأول إلى كل من ينحدر من عشيرة بني يهوذا بن يعقوب عليه السلام. ولكن مع مرور الزمن أصبح يشير إلى كل مواطن ينتمي إلى شعب بني يعقوب (بني إسرائيل).

يهوذا: وهو أحد أبناء النبي يعقوب عليه السلام ومع مرور السنين صارت العشيرة المنحدرة من نسله تُسمّى بهذا الاسم أيضا، كما أُطلق اسم يهوذا على منطقة عشيرة يهوذا في الجبال حول القدس، ومن ثمّ على ممكلة يهوذا، المملكة الجنوبية التي أتت إلى الوجود بعد انشقاق مملكة النبي سليمان.

يهوذا الإسخريوطي: أحد حواريي السيد المسيح وقد خانه فيما بعد. كان من بلدة قريوت قرب القدس في منطقة يهوذا.

اليونانيون: سكان بلاد اليونان أو أحفادهم في بلدان أخرى. ويشير هذا الاسم في بعض الأحيان إلى غير اليهود إجمالا (انظر الرسالة إلى أحباب الله في غلاطية 3: 28). وكانت الحضارة اليونانية هي السائدة في حوض البحر الأبيض المتوسط في القرن الأول للميلاد.

فهرس

أقوال حول الكتاب	1
المقدّمة بقلم الدكتور **الهادي** جطلاوي	12 – 14
لماذا هذه القراءة لمعاني الإنجيل ودلالاته	15 – 17
المسيحيون واليهود في المنظور القرآني الشيخ الدكتور مصطفى راشد	18 – 26
مفهوم الوحي في الإنجيل والتوراة وغيرهما من كتب الأنبياء	27 – 30
مفهوم الوحي في الإسلام	31 – 34
التّحريف والوحي الإلهي	35 – 47
صور المخطوطات	48 – 53
المسيح المنتظر عند اليهود	54 – 58
المسيح المنتظر في المفهوم المسيحي	59 – 63
مفهوم المسيح المنتظر في الإسلام	64 – 69
ألقاب السيد المسيح	70 – 74
علاقة السيد المسيح بالله	75 – 83
معنى عبارة "ابن الله"	84 – 88
روح الله (الرّوح القدس)	89 – 97
مفهوم المملكة الربانية	98 – 101
مفهوم الفدية "الفداء"	102 – 104

مفهوم الذّبيحة لدى المسلمين .... 105 – 108
مذاهب اليهود وجماعاتهم على عهد السيد المسيح .... 109 – 112
القرابة ومسألة "شعب الله المختار" .... 113 – 117
أتباع السيد المسيح وحَواريوه .... 118 – 122
نساء حول السيد المسيح .... 123 – 125
مفهوم جماعة المؤمنين (الكنيسة) .... 126 – 130
الموعظة على الجبل .... 131 – 136
أمثال السيد المسيح .... 137 – 140
وداعة المسيح "وديع ومتواضع القلب" .... 141 – 149
حلول كلمة الله في جسد السيد المسيح .... 150 – 154
بين الإنجيل والتوراة .... 155 – 162
أهمية الأنساب في الإنجيل الشّريف .... 163 – 166
تكامل سِيَر السيد المسيح في الإنجيل الشريف .... 167 – 170
بعض الأنبياء حتى ميلاد السيد المسيح 171
مدخل إلى إنجيل متّى .... 172 – 173
التسلسل الملكي للسيد المسيح في سجل متى 174
إنجيل متّى .... 175 – 254
مدخل إلى إنجيل مرقس .... 255 – 256
إنجيل مرقس .... 257 – 304
مدخل إلى إنجيل لوقا 305

نسب السيد المسيح من أمه مريم كما ورد في سجل لوقا 306
إنجيل لوقا .... 307 – 392
مدخل إلى إنجيل يوحنّا .... 393 – 394
إنجيل يوحنّا .... 395 – 454
مدخل إلى سيرة الحواريين .... 455 – 456
سيرة الحواريين .... 457 – 534
خرائط .... 535 – 540

شرق حوض البحر المتوسط في عصر السيد المسيح

فلسطين في عصر سيدنا عيسى

مدينة القدس في عصر السيد المسيح

بيت الله المقدس والحرم الشريف

بيت الله المقدس والحرم الشريف في عصر السيد المسيح

رحلات الحواري بولس للدعوة

فهرس شروح لبعض المصطلحات والأسماء في هذا الكتاب 541

لمزيد من المعلومات حول كتاب المعنى الصحيح أرجو زيارة هذا الموقع :

www.alanbiya.org